

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَجَالِسُ تَأْوِيلِ آيَةٍ

قال الشريفُ المرتضى قدسَ اللهُ رُوحَه : إن (١) سأل سائلٌ عن قول الله تعالى (١) : [اظ]
﴿ وَإِذْ أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمْرًا مُتْرَفِيهَا فَمَنَسَتْهَا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا
تَدْمِيرًا ﴾ . [الإسراء : ١٦] .

في هذه (٢) الآية وجوهٌ من التأويل ؛ كلٌّ منها يُبطلُ الشبهةَ الداخلةَ على المُبطلين
فيها ؛ حتى عدلوا بتأويلها عن وجهه ، وصرّفوه عن بابه .

أولها : أن الإهلاكَ قد يكون حسنًا ، وقد يكون قبيحًا ؛ فإذا كان مُستحقًا أو على
سبيل الامتحان كان حسنًا ، وإنما يكونُ قبيحًا إذا كان ظلمًا ؛ فتعلقُ الإرادةُ به لا يقتضي
تعلقها به على الوجه القبيح ، ولا ظاهرَ نلّاية (٣) يقتضي ذلك ؛ وإذا علمنا بالأدلة تنزّهَ
التدبيرُ تعالى عن القبائح علمنا أن الإرادةَ لم تتعلقْ إلا بالإهلاكِ الحسنِ ؛ وقوله تعالى :
﴿ أَمْرًا مُتْرَفِيهَا ﴾ المأمورُ به محذوف ؛ وليس يجبُ أن يكونَ المأمورُ به هو الفسق ، ١٠
وإن وقع بعده الفسق ؛ ويجرى هذا مجرى (٤) قولِ القائل : أمرتهُ فمضى ، ودعوتهُ فأبى .
والمرادُ أنني أمرتهُ بالطاعة ، ودعوتهُ إلى الإجابة والقبول .

ويمكن أن يقالَ على هذا الوجه : ليس موضعُ الشبهة ما تكلمت عليه ؛ وإنما موضعها
أن يقال : أي معنى لتقدمُ الإرادة ؛ فإن كانت متعلّمةً بإهلاكٍ مُستحقٍّ بغيرِ الفسق
المذكور في الآية فلا معنى لقوله تعالى : إذا أردنا أمرنا ؛ لأن أمره بما أمرُ به لا يحسنُ إرادته ١٥

(١-١) ت ، د ، ف : « قال الله جل من قائل » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « لهذه » .

(٣) ش : « ولا ظاهر الآية » . (٤) ت ، د ، حاشية الأصل (من نسخة) : « وإنما

يجرى » ، وفي حاشية الأصل أيضا (من نسخة أخرى) : « وإنما هذا يجري » .

للعقاب المستحقّ بما تقدّم من الأفعال ، وإن كانت الإرادة متعلّقة بالإهلاك المستحقّ بمخالفة الأمر المذكور في الآية فهذا الذي تأيّد به ، لأنه يقتضى أنه تعالى مریدٌ لإهلاك من لم يستحقّ العقاب .
والجواب عن ذلك أنه تعالى لم يعلّق الإرادة إلا بالإهلاك^(١) المستحقّ بما تقدّم من الذنوب ؛ والذي حسنّ قوله تعالى : وإذا أردنا أمرنا ... هو أن في تكرار [٢ و] الأمر بالطاعة والإيمان إغذاراً إلى العصاة ، وإنذاراً لهم ، وإيجاباً وإثباتاً^(٢) للحجّة عليهم / : حتى يكونوا متى خلفوا وأقاموا على العصيان والطغيان بعد تكرار^(٣) الوعيد والوعظ والإنذار ممّن يحقّ عليه القول ، وتجب عليه^(٤) الحجّة ؛ ويشهد بصحة^(٥) هذا التأويل قوله تعالى قبل هذه الآية : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ . [الإسراء : ١٥] .

والوجه الثاني في تأويل الآية أن يكون قوله تعالى : ﴿ أَمْرَنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ من صفة القرية وصلتها ، ولا يكون جواباً لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا ﴾ ، ويكون تقدير الكلام : وإذا أردنا أن نهلك قرية من صفتها أننا أمرنا مترفيها ففسقوا فيها^(٦) ، وتكون « إذا » على هذا الجواب لم يأت لها جواب ظاهر في الآية ، للاستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة عليه^(٧) ؛ ونظير هذا قوله تعالى في صفة الجنة : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ

(١) ت ، ف : « يهلك مستحق » . (٢) ساقطة من ت ، د ، ف . (٣) ت ، د : « تكرر » .
(٤) ساقطة من ف . (٥) ت ، ف : « لصحة » . (٦) في ت ، وحاشية الأصل : « ويكون كأنه قال تعالى : وإذا أردنا أن نهلك قرية مأمورا مترفوها كررنا القول عليهم ، وأعدنا الوعد لهم ، وأمرناهم ثانيا ففسقوا فيها ، فحق عليها القول . والله أعلم بالمراد » .
(٧) في ت ، ق ، حاشية الأصل ، : « يمكن أن يتمحل « إذا » في الآية جواب ، وهو أن تجعل الفاء في قوله تعالى : ﴿ فدمرناها ﴾ زائدة ، وتعمل « دمرنا » جوابا لإذا ، ولا خلاف في مورد الفاء زائدة في كلام العرب ؛ حكى ابن جنى عن أبي على قال : حكى أبو الحسن عنهم : « أخوك فوجد » بمعنى أخوك وجد . ومن ذلك قولهم : زيدا فاضربه ، وعمرا فأكرم ، وعلى هذا قوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ ، ويكون معنى الآية على هذا إخبارا عن عزة الله تعالى وقدرته على جميع ما أراد تعالى . وحجة الفاء زائدة ، في بيت الكتاب :

لَا تَجْزَعِي إِنْ مُنْفِسًا أَهْلَكَتُهُ وَإِذَا هَلَكْتُ فَمَنْدَ ذَلِكَ فَاجْزَعِي
الفاء في « فاجزعي » زائدة .

لَهُمْ خَزَنَتٌ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ . وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَمِنْهُمْ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥﴾ .
[الزمر: ٧٣-٧٤] ، ولم يأت « لإذا » جواباً في طول الكلام للاستغناء عنه^(١) .

ويشهد أيضاً بصحة^(٢) هذا الجواب قول الهذلي :

حَتَّى إِذَا أَسْلَكُوهُمْ^(٣) فِي قُتَائِدَةٍ شَلَاً كَمَا تَطْرُدُ الْجَمَالَ الشُّرْدَا^(٤) ه
فحذف جواب إذا ، ولم يأت به ، لأن هذا البيت آخر القصيدة^(٥) .

والوجه الثالث : أن يكون ذكر الإرادة في الآية مجازاً أو اتساعاً وتنبهياً على المعلوم من حال القوم وعاقبة أمرهم ، وأنهم متى أمرُوا فَسَقُوا وخالفوا ؛ وذكرُ الإرادة يجري هاهنا مَجْرَمِي قَوْلِهِمْ : إذا أراد التاجرُ أن يفتقرَ أنته النوائبُ من كل جهة ، وجاءه الخسران من كل طريق ، وقولهم : إذا أراد العليلُ أن يموتَ خلطَ في ما آكله ، وتسرع إلى كل ماتتوق ١٠

(١) حاشية الأصل : « كأن التقدير : إذا جاءها حضروها وفتحت ؛ أو هموا بدخولها ، وما أشبه ذلك ، والله أعلم » . (٢) كذا في الأصل ، حاشية ت (من نسخة) ؛ وفي ت ، ف : « لصحة » . (٣) د ، ف ، حاشية ت (من نسخة) : « سلكوهم » .

وسلك لغة في أسلك ، وأورده صاحب الكشاف بهذه الرواية عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ . (٤) حواشي الأصل ، ت ، د ، ف : « البيت لعبد مناف بن ربيع الهذلي ؛ في آخر قصيدته التي أولها :

مَاذَا يَغْيِرُ ابْنَتِي رِبْعٍ عَوِيْلَهُمَا لَا تَرَقْدَانِ وَلَا بُوسَى لِمَنْ رَقَدَا

قنائة : موضع ، والجمالة : أصحاب الجمال ، كالبنالة والحجارة ، واتصاب « شلا » على المصدر ، ودل على فعل مضمَرٍ يحصل بظهوره جواب « حتى إذا سلكوهم » المنتظر ، وتلخيصه : حتى إذا أسلكوهم هذا الموضع شلوهم شلا ، يشبه طرد الشرد من الجمال إذا تزاخت على الماء ؛ وهذا كما يقال : طردوهم طرد غرائب الإبل . ومعنى أسلكوهم جعلوا لهم مسلكاً ، والسلك : إدخال شيء في شيء تسلك فيه ، ومنه ﴿ مَا سَلَكَكُمْ ﴾ . وروى أبو عبيدة : « الشرد » (بفتح الشين والراء) ، وقال : تقول : إبل شرد وجلب وطرده .

وانظر الكلام على هذا البيت في (ديوان الهذليين ٢ : ٤٢ ، وأدب الكاتب ٤٢٤ ، والاقطاب ٤٠٢) . (٥) حاشية الأصل : « جواب الشرط جزء لا يتم المشروط دونه ؛ فإذا حذف كان أهول للكلام ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ... ﴾ الآية ، وكقول الفائل : لو رأيت علياً بصفين ، وكقولهم : لو ذات سوار لطمعتي » .

إليه نفسه ؛ ومعلوم أن التاجر لم يُرد في الحقيقة شيئاً ، ولا العليل^(١) أيضاً ، لكن لما كان المعلوم من حال هذا الخسران ، ومن حال هذا الهلاك حسن هذا الكلام ، واستعمل ذكر الإرادة لهذا الوجه^(٢) . وكلام العرب وَحَى وإشارات واستعارات ومجازات^(٣) . ولهذا الحال كان كلامهم في المرتبة العليا من الفصاحة ؛ فإن الكلام متى خلا من الاستعارة^(٤) ، وجرى كله على الحقيقة كان بعيداً من الفصاحة ، برياً من البلاغة ، وكلام الله تعالى أفصح الكلام .

[٢ ظ] / والوجه الرابع : أن تحمل الآية على التقديم والتأخير ؛ فيكون تلخيصها : إذا أمرنا متر في قرية بالطاعة فعضواً واستحقوا العقاب أردنا إهلاكهم ؛ والتقديم والتأخير في الشعر وكلام العرب كثير . ومما يمكن أن يكون شاهداً لصحة هذا التأويل من القرآن قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ ﴾ [المائدة : ٦] ، والطهارة إنما تجب قبل القيام إلى الصلاة ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ ﴾ [النساء : ١٠٢] ، وقيام الطائفة معه يجب أن يكون قبل إقامة الصلاة ؛ لأن إقامتها هي^(٥) الإتيان بجميعها على الكمال .

فأما قراءة مَنْ قَرَأَ الْآيَةَ بِالتَّشْدِيدِ فقال : ﴿ أَمْرًا نَا ﴾^(٦) ، وقراءة مَنْ قَرَأَهَا بِاللَّ

(١) كذا في الأصل ، د ، وحاشية ت (من نسخة) ، وفي ت ، ف : « المريض » .
 (٢) في حاشية الأصل ، ت : « تصوير المجاز في الآية على أن التقدير : إذا قرب هلاك قرية أمرنا متر فيها ففسقوا ؛ وكذلك قوهم : إذ أراد المريض ... التقدير : إذا قرب موت المريض خلط ، وكذلك التاجر إذا قرب افتقاره أته النوائب ؛ وهذا كقوله تعالى : ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ ﴾ ؛ أي يقرب أن ينقض ؛ وإنما كنى بالإرادة عن القرب في هذه المواضع لأن المريد للشيء ، المحلى بينه وبينه — ولا مانع هناك — ما أقرب ما يقع مراده ، والله أعلم . (٣) حاشية الأصل : « الإرادة قد تستعمل في الجماد فضلاً عن العلاء ؛ كقوله تعالى : ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ ﴾ ؛ وكقول الراعي النميري :

فِي مَهْمَةٍ قَلَبْتُ بِهِ هَامَاتَهَا قَلَقَ الْفُؤُوسِ إِذَا أَرَدَنْ نُصُولَا

(٤) كذا في الأصل ، وحاشية ت (من نسخة) ، وفي ت : « وإن كان الكلام متى خلا من الاستعارة » ، وفي ف : « فإن كان الكلام متى خلا من الاستعارات » . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « هو الإتيان » . (٦) هي قراءة شاذة ، عن أبي عثمان النهدي ، والليث عن أبي عمرو ، وأبان عن عاصم . (وانظر الفراءات الشاذة لابن خالويه ٧٥) .

والتخفيف يقال : ﴿ آمَرْنَا ﴾ (١) فلن يخرج معنى قراءتهما عن الوجود التي ذكرناها (٢) ؛
إلا الوجه الأول ؛ فإن معناه لا يليق إلا بأن يكون ما تضمنته الآية هو الأمر الذي يُستدعى
به الفعل (٣) .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ تَعَامَّ الْقُرْآنَ ثُمَّ نَسِيَهُ لَقِيَ اللَّهَ
تَعَالَى وَهُوَ أَجْذَمٌ » .

قال أبو عبيد القاسم بن سلام (٤) مفسراً لهذا البيت في كتابه غريب الحديث : الأجدم:
المتطوع اليد ، واستشهد بقول المتلمس (٥) :

وما كنتُ إلا مثلَ قاطعِ كَفِّهِ بِكَفِّ له أُخْرَى فأصْبَحَ أَجْذَمًا
وقد خطأ عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٦) بأبيد في تأويله هذا الخبر وقال : الأجدم وإن

(١) هي قراءة شاذة أيضا ، عن خارجة عن نافع ؛ (وانظر المصدر السابق) .

(٢) حاشية الأصل : « قوله أمرنا ، بالشديد : كثرتنا ، وآمرنا ، بالتخفيف : جعلناهم أمراء ؛
وإن شئت فالعكس من ذلك ، والصحيح العكس » . (٣) ت ، د ، حاشية الأصل (من نسخة) :
« يستدعى به إلى الفعل » .

(٤) هو أبو عبيد القاسم بن سلام ، اللغوي الفقيه المحدث ، ولد بهراة ، ثم ذهب إلى بغداد ، ودرس
بها الأدب والحديث والفقه ، وولى القضاء بطرسوس ؛ وخرج منها إلى مكة ، وسكنها حتى مات سنة ٢٢٤ .
وكتابه غريب الحديث جمع فيه ما في كتب أبي عبيدة وقطرب والأخفش والنضر بن شميل ، وذكر
أحاديث كل رجل من الصحابة على حدة . قال ابن الأثير : « جمع كتابه المشهور في غريب الحديث والآثار ،
الذي صار أولا ؛ وإن كان أخيرا ؛ لما حواه من الأحاديث والآثار الكثيرة والمعاني اللطيفة والقوائد الجملة ؛
فصار فيه القدوة في هذا الشأن ، أفنى فيه عمره ؛ حتى إنه قل فيما يروى : إلى جمعت كتابي هذا في
أربعين سنة ، وهو كان خلاصة عمري » . ومنه نسخة مصورة بدار السكتب المصرية منقولة عن نسخة
مخطوطة بمكتبة كبرى لي بالآستانة . (وانظر إنباه الرواة ٣ : ١٢-٢٣ ، والنهاية لابن الأثير ١ : ٤-٥ .
وكشف الغنون ١٢٠٤) . (٥) هو جرير بن عبد المسيح الضبي ، والبيت من قصيدة له أولها :

يُعَيِّرُنِي أُمِّي رِجَالٌ وَلَا أَرَى أَحَا كَرَمًا إِلَّا بَانَ يَتَكْرَمًا

وهي في (ديوانه ١٦٩) ، والأصمعيات ٦٤-٦٥ ، ومختارات ابن الجعري ٢٨-١٩) ؛ وخبر القصيدة
في (الخزانة ٤ : ٢١٥ - ٢١٦) . (٦) هو أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، ولد ببغداد ونشأ =

كان المقطوع اليد ؛ فإن هذا المعنى لا يابقُ بهذا الموضع . قال : لأنّ العقوبات من الله تعالى لا تكون إلا وفقاً للذنوب وبمَحَسَبِهَا ، واليد لا مدخل لها في نسيان القرآن ، فكيف تُعاقب فيه ! واستشهد بقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ [البقرة : ٢٧٥] ، وزعم أن تأويل الآية أن الربا إذا أكلوه ثقل في بطونهم ، ورباً في أجوافهم ؛ فجعل قيامهم مثل قيام^(١) مَنْ يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ تعثراً وتخبُّلاً . واستشهد أيضاً بما روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « رأيت ليلة أُسرى بي قوماً تُقرضُ شِفَاهَهُمْ ، وكلّما قُرِضَتْ وَفَتْ ، فقال لي جبريل : هؤلاء خطباء أُمَّتِكَ ، تُقرضُ^(٢) شِفَاهَهُمْ ؛ لأنهم يقولون ما لا يفعلون » . قال : والأجذم في الخبر إنما هو المجذوم ؛ وإنما جاز أن يُسمَى المجذوم أجذم ؛ لأن الجذام يقطع ١٠ أعضاءه ويشدّها ؛ والجذم هو القطع .

[٣٠] قال الشريف المرتضى رضي الله عنه : قد أخطأ الرجلان جميعاً ، / وذهبا عن الصواب ذهبا بعيدا ، وإن كان غلطُ ابن قُتيبة أخش وأقبح ؛ لأنه علل غلظه ، فأخرجه إلى أغاليط كثيرة ؛ ونحن نبين معنى الخبر ثم نتكلّم على ما أوردها .

أمام معنى الخبر فهو ظاهر لمن كان له أدنى معرفة بمذاهب العرب في كلامها ؛ وإنما أراد عليه السلام بقوله : يحشر أجذم ؛ المبالغة في وصفه بالنقصان عن الكمال ، وفقد ما كان عليه بالقرآن من الزينة والجمال . والتشبيه له بالأجذم من حسن التشبيه وعجيبه ؛ لأن اليد من الأعضاء الشريفة التي لا يتم كثير من التصرف ولا يوصل إلى كثير من المنافع إلا بها ؛ ففادها

== بها ، وأقام بالدينور مدة فذهب إليها ، وحدث ببغداد عن إسحاق بن راهويه وطبقته ، وروى عنه ولده أحمد وابن درستوبه ؛ توفي سنة ٢٧٦ ؛ وكتابه في غريب الحديث ذكره ابن الأثير فقال : « فصنف كتابه المشهور في غريب الحديث والآثار ؛ حذا فيه حدو أبي عبيد ، ولم يودعه شيئا من الأحاديث المودعة في كتاب أبي عبيد ؛ إلا ما دعت إليه حاجة من شرح وبيان واستدراك ، فجاء كتابه مثل كتاب أبي عبيد أو أكبر » . (وانظر إنباه الرواة ٢ : ١٤٣-١٤٧ ، والنهاية لابن الأثير ١ - ٥ ، وكشف الظنون ١٢٠٤) . (١) ساقطة من ف . (٢) كذا ضبطت بالقلم في الأصل ، وفوت ، ش : « تقرر » بضم التاء وفتح القاف وتشديد الراء المفتوحة .

يفقد ما كان عليه من الكمال، وتفوته المنافع والمرافق التي كان يجعلُ يده ذريعةً إلى تناوُلها؛ وهذه حالُ ناسي القرآن ومضيئه^(١) بعد حفظه، لأنه يفقد ما كان لا بساً له من الجمال، ومستحقاً له من الثواب، وهذه عادة للعرب في كلامهم معروفة؛ يقولون فيمن فقد ناصره ومعينه^(٢): فلان بعد فلان أجدع، وقد بقيَ بعده أجدم؛ قال الفرزدق يرثي مالك بن مسعم^(٣):

تَضَعَّعَ طَوْدًا وَائِلًا بَعْدَ مَالِكٍ وَأَصْبَحَ مِنْهَا مَعْطِسُ الْعَزِّ أَجْدَعًا^(٤)

وإنما أراد المعنى الذي ذكرناه. وللرب ملاحنٌ في كلامها^(٥)، وإشارات إلى الأغراض، وتلويحات بالمعاني، متى لم يفهمها ويسرع إلى الفطنة بها من تعاطى تفسير كلامهم، وتأويل خطابهم كان ظالماً نفسه، متعدياً طوره.

ونعود إلى الكلام على ما ذكره الرجلان؛ أما أبو عبيد فإن خطاه من حيث لم يفتن للغرض في الخبر، وضلَّ عن وجهه، وإلا فلا أجدمٌ هو الأقطع لا محالة كما قال؛ إلا أنه لا يليق بهذا الموضع، وإذا حمل عليه لم يفد شيئاً؛ وإن كانت^(٦) شبهته التي أوقعته في هذا التأويل ظنه أن ذلك يكون على سبيل العقوبة له على نسيان القرآن فليس كما ظن، لأنَّ الجذم^(٧) أولاً ليس بعقوبة؛ لأن الله تعالى قد يجذم^(٨) أولياءه والصالحين من عباده، ويقطع أعضاءهم بالأمراض، وقد يبتدىء خلق من هونا قص الأعضاء؛ فليس بل لازم في الجذم أن يكون عقوبة. ثم لو كان يستحق ناسي القرآن عقوبةً على نسيانه لكان حفظ القرآن بأسره فرضاً واجباً وحنماً لازماً^(٩)؛ لأن العقوبة لا تستحق بترك ما ليس بواجب، وليس

(١) كذا ضبطت بالفلم في الأصل، ت، وفي ش: «ومضيئه»، بكسر الصاد وبعدها ياء ساكنة.

(٢) في نسخة بحاشيتي الأصل، ت: «ومغيته».

(٣) هو مالك بن مسعم الجحدري؛ من بكر بن وائل، كان سيد ربيعة في زمانه، وتوفي سنة ٧٣.

(المعارف: ١٨٤، وجمهرة الأنساب: ٣٠١، والإصابة ٦: ١٦٤).

(٤) ديوانه: ٤١٤. (٥) حاشية ف (من نسخة): «كلامهم».

(٦) ت: «وإن كان». (٧) حاشية ت (من نسخة): «الجذام».

(٨) نسخة أبي السعادات الشجری: «يجذم» يضم الياء وفتح الجيم وتشديد الذال المكسورة؛

وضبطت في ت بالوجهين معاً، وفي حواشي الأصل، ت، ف: «الجذم القطع، وقد جذم (بكسر الذال)

يجذم جذماً فهو أجدم، أى مقطوع اليد». (٩) حاشية الأصل: «الملازمة ممنوعة».

حفظ جميع القرآن كذلك .

- [٣ ظ] وأما ابنُ قتيبة فإنه غلط من حيث لم يفطن للوجه / في الخبر الذي ذكرناه ؛ من حيث ظنَّ أن العقوبة لا تكون إلا في محلِّ الذنب ، وهذا القولُ يوجب عليه ألاَّ يُجَدَّ ظهْرُ الرائي ، وتختص العقوبة بفرجه ، وكذلك القاذف كان يجبُ أن يعاقب في لسانه دون سائر أعضائه ؛ والخبر الذي استشهده حُجَّةٌ عليه ، لأننا نعلمُ أنَّ اللسانَ أقوى خطأً في باب الكلام ٥ من الشِّفة ، فلمْ لمْ يُخصَّ بالعقوبة (١) وحلَّتْ بالشفاهِ دونه ؛ ثم غلطه في تأويل الآية التي أوردها أقبحُ من كل ما تقدّم ؛ لأنه توهمَ أن ما تضمنته الآية من تحبُّط آكلِ الربا وتعثره عند القيام إنما هو في الدنيا من حيث يثقل ما أكله في معدته فيمنعه من النهوض ؛ ونحن نعلم ضرورةً خلاف ذلك ، ونجدُ كثيراً من آكلِ الربا أخفَّ نهوضاً ، وأسرع قياماً ١٠ وتصرُّفاً من غيرهم ؛ يمتنُّ لم يأكل الربا قطُّ ؛ والمعنى في الآية ما ذكره المفسرون من أن ما وصفهم الله تعالى به يكونُ عند قيامهم من قبورهم ، فيلحقهم العثار والزَّلُّ والتَّجْبُلُ على سبيلِ العقوبة لهم ، وليكونَ ذلك أيضاً أمانةً لمن يعاقبهم (٢) من الملائكة والخزنة على الفرق بين الوليِّ والعدوِّ ، ومستحقِّ الجنة ومستحقِّ النار . وليس بمعروف ولا ظاهرٍ أن الأجدَم هو المجذوم ؛ وردَّ ابن قتيبة معناه واشتقاقه إلى الجذم الذي هو القطع يُوجب عليه ١٥ أن يكونَ كلُّ داءٍ يقطع الجسدَ ويفرِّق أوصاله ؛ كالجُدْرِيِّ والأَكَاةِ (٣) وغيرها يسمَّى جذَماً ، ويسمى مَنْ كان عليه أجدَم ، وهذا باطل .

وأما قول الشاعر (٤) :

حَرَّقَ قَيْسٌ عَلَى الْبِلَا دَحْتِي إِذَا اضْطَرَمْتُ أَجْذَمًا

فليس من هذا الباب ؛ بل هو من الإجدام الذي هو الإسراع ؛ فكأنه قال : لما اضْطَرَمْتُ

(١) ف : « فلم لم تختص العقوبة به » . (٢) ف ، وحاشية ت (من نسخة) : « وبعينهم »

(٣) في نسخة بجواشي الأصل ، ت ، ف : « الأكلة ، بالكسر : الحكة ، والأكلة ، بالضم :

اللقمة » . (٤) هو الربيع بن زياد العبسي ، من أبيات في الحماسة بشرح التبريزي ٢ : ٦١ - ٦٣ ،

واللسان (جذم) .

أسرع عني ، وتباعدتني . والإجذامُ ، بالذال المعجمة والمدال غير المعجمة جميعا : الإسراع ؛
فأما قول عَنَتْرَةَ فِي وَصْفِ الذُّبَابِ (١) :

هَزِجًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ قَدَحَ الْمَكِيبِ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْذَمِ
الأجذم من صفة المكيب^(٢) لا من صفة الزناد ؛ فكأنه^(٣) قال : قَدَحَ الْمَكِيبِ الْأَجْذَمِ
عَلَى الزَّنَادِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنِ التَّشْبِيهِ وَوَاوَقِعِهِ (٤) .

مَسْأَلَةٌ

قال الشريف المرتضى قدس الله روحه : كان بعضُ الشيوخ المتقدمين^(٥) يقول : ليس
بممتنع أن يُمكنَ اللهُ تعالى من الظُّلمِ مَنْ / يعلم من حاله أنه يردُّ القيامة غير مستحق [و]
لشيء من الأعواض ، أو لما يوازى القدر المستحق عليه منها ؛ فإذا أراد الانتصاف منه
تفضلَّ عليه بما ينقله إلى مستحقِّ العوض ، ويقول : ليس هذا ببعيد ولا مستحيل ، لأن
العوض ليس يختص بصفة تمنع من التفضل بمثله ، ولا يجزئ في ذلك تجزئ الثواب .

(١) من المعلة بشرح البريزي ص ١٨٠ ، وقبلة :

وَخَلَا الذُّبَابُ بِهَا فَلَيْسَ بِبَارِحٍ غَرِدًا كَفَعَلَ الشَّارِبِ الْمُتَرْتِمِ

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « هذا من باب إجراء الصفة على غير من هي له ، كقولنا : مرتت برجل
حسب غلابة . (٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « كأنه » . (٤) د ، م : « من أحسن التشبيه
وأوقعه » ؛ وفي حواشي الأصل ، ب ، ف : « كثير القائل والقبيل في هذا الحديث ، فقال بعضهم : الأجذم :
المقطوع اليد ، وقال آخرون : هو الجذوم . وفي معنى هذا الحديث سر ، ومعناه يتضح بالحديث الآخر الذي
روى عنه عليه السلام : إني تارك فيكم القلين ، أحدهما كتاب الله ، جبل ممدود من السماء إلى الأرض . الحديث
فأما شبه الكتاب بالجبل الذي يتعلم به ، ويجعل سبباً للتوقى من الفلاك عبر عن تاركه والغافل عنه بالأجذم ،
وإنما عبر بكلمة الأجذم الشنعة ، واللفظ المستكره لأنه إذا انقطع الجبل لم يمكن أن يمك ، وإذا كانت
اليذجذماء أيضا لم يمكن الإمساك ، فأراد بذلك أن الإمساك غير حاصل ، لأمر يرجع إلى اليد الممسكة لا إلى
الجبل لأن الجبل باق بجانه ؛ فهذا أحسن ، والله أعلم . ومعنى النسيان هو ترك أحكامه ، والأخذ بمجارمه
وحدوده ؛ ولا يريد ذهب الحفظ » . (٥) حاشية الأصل : « أبو القاسم البلخي » .

وهو أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكمي البلخي ، أحد شيوخ المعتزلة ، ورأس طائفة منهم
يقال لهم : الكعبية ، توفي سنة ٣١٧ . (ابن خلكان ١ : ٢٥٢) .

والمستقرّ من مذاهب الشيوخ - وهو الصحيح - أن الانتصاف لا يجوز أن يكون موقوفاً على ما يُتفضّل به ؛ لأنّ الانتصاف واجب على الله تعالى من حيثُ خَلَى بين عباده وبين الظلم ، فلا يجوزُ أن يتعلّق إلاّ بأمرٍ واجب ، والتفضّل لفاعله ألاّ يفعله ، فتتولّ الحالُ إلى تعدّر الانتصاف . وقالوا : مَنْ يعلم الله تعالى أنه يردّ القيامة - ولا أعواض له - يمنعه من الظلم ، ولا يمكنه منه لهذه العلة . ويُجيزون^(١) أن يمكن من الظلم مَنْ يكون في الحال غير مستحقّ للعرض ، أو غير مستحقّ للقدر الذي يوازى الظلم من العوّض ، بعد أن يكون المعلوم من حاله أنه يردّ القيامة وقد استحقّ من الأعواض ما يوازى ما عليه منها .

قال المرتضى : وهذا القول - نعى تجويز تمكين الظالم من الظلم ، وهو في الحال غير مستحقّ للعرض - يبطل بالعلّة التي أبطلنا بها قول مَنْ أجاز الانتصاف بالتفضّل ؛ لأنّ نعلمُ أن تبقيّة المكفّ وغير المكفّ لا تجب ، وللقديم تعالى ألاّ يفعلها ، فلو لم يفعلها واختُرِم هذا الظالم بعد حال ظلمه لكان الانتصافُ منه غير ممكن . وقد تعلق الانتصافُ على هذا القول بما ليس بواجب ؛ كما علّمه مَنْ قدّمنا حكاية قوله بما ليس بواجب . وليس لهم أن يقولوا ذلك يحسن ؛ لأن الله تعالى يعلمُ أنه يُبقيّه فيستحقّ^(٢) أعواضاً ؛ لأنّ عليهم مثل ذلك إذا قيل لهم : فأجيزوا أيضاً أن يردّ القيامة وهو لا يستحقّ العوّض ؛ ويعلم الله تعالى أنه يتفضّل عليه بما يقع به الانتصاف .

فإذا قالوا : علمُ الله تعالى بأنه يتفضّل ، لا يخرج التفضّل من أن يكون غير واجب ؛ وقيل لهم : وعلمُ الله تعالى بأنه يُبقي مَنْ لا عوّض له ليستحقّ العوّض ، لا يُخرج التبقيّة من أن تكون غير واجبة ، فاستوى الأمران .

والصحيحُ أن يقال : إنّه تعالى لا يمكن من الظلم من لا عوّض له في الحال ؛ يستقيم الكلام ويطرّد .

(١) حاشية الأصل : « أبو هاشم وأصحابه » .

وهو أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي الجبائي ، كان هو وأبوه من كبار أئمة المعتزلة ؛ ولهما مقالات على مذهب الاعتزال ؛ وكتب الكلام مشجونة بمذاهبهما واعتقادهما ، توفي سنة ٣٢١ ، (ابن خلكان

١ : ٢٩٢-٢٩٣) . (٢) ت ، وحاشية ف (من نسخة) : « ليستحق » .

مَجْلِسِ آخِرِ*

تَأْوِيلُ آيَةٍ

قال الله تعالى^(١) : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٥] .

وقد ظنَّ قومٌ من غفلة الملحدِّين وجُهلهم أن الجوابَ عمَّا سُئِلَ عنه في هذه الآية لم يحصلْ ، وأن الامتناعَ منه إنما هو لفقد العلم به ، وأن قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ تبكيه وتقرِّع لم يقعا موقعهما ؛ وإنما هو^(٢) على سبيل المحاجرة والمدافعة عن الجواب .

وفي هذه الآية وجودٌ من التأويل يُبطل ما ظنَّوه ، وتدلُّ على ما جهلوه ؛ أولها : أنه تعالى إنما عدلَّ عن جوابهم لعلَّه بأنَّ ذلك أدعى لهم إلى الصلاح في الدين ، وأن الجواب لو صدرَ منه إليهم لازدادوا فساداً وعناداً ؛ إذ كانوا بسؤالهم متعنِّتين^(٣) لا مُستفيدين ؛ وليس هذا بمنكر ؛ لأننا نعلم في كثير من الأحوال ممن^(٤) يسألنا عن الشيء أنَّ العدولَ ١٠ عن جوابه أولى وأصلح في تدبيره .

وقد قيل إن اليهودَ قالت لكفار قريش : سلوا محمداً ؛ عن الروح فإنَّ أجابكم فليس نبيّاً ؛ وإن لم يجِبْكم فهو نبيٌّ ؛ فإننا نجد في كتبنا^(٥) ذلك ؛ فأمره الله بالعدول عن ذلك ليكونَ عاملاً له ودلالةً على صدقه ، وتكذيباً لليهود الرادِّين عليه ؛ وهذا جواب أبي عليٍّ محمد بن عبد الوهاب الجُبَّابِيِّ^(٦) .

١٥

* ف : « مجلس ثان » ، وفي حاشيتي الأصل ، ف : « هذا المجلس مما افتتح به الكتاب ، على ما وجد في بعض النسخ » . (١) ف : « إن سأل سائل عن قوله تعالى » . (٢) ف : « هما » . (٣) في ت ، حاشية الأصل (من نسخة) : « معنَّتين » ، وفي حاشية ف : « أعنت : أت بالعت » . (٤) في ت ، حاشية الأصل (من نسخة) : « فيمن » . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « كتابنا » . (٦) حاشية ف : « أبو علي من قرية يقال =

وثانيها أن القوم إنما سألوه عن الروح : هل هي محدثة مخلوقة أو ليست^(١) كذلك ؟ فأجابهم إنها من أمر ربى ، وهو جوابهم عما سألوه^(٢) عنه بعينه ؛ لأنه لا فرق بين أن يقول في الجواب : إنها محدثة مخلوقة ، وبين قوله إنها من أمر ربى ؛ لأنه إنما أراد أنها من فعله وبخلقه ، وسواء على هذا الجواب أن تكون الروح التي سألوها عنها هي التي بها قوام الجسد أم عيسى عليه السلام ، أم جبرئيل صلى الله عليه . وقد سمى الله تعالى جبرئيل روحاً ، وعيسى أيضاً مُسَمَّى بذلك في القرآن .

وثالثها أنهم سألوها عن الروح الذي هو القرآن ، وقد سمى الله القرآن روحاً في مواضع من الكتاب ؛ وإذا كان السؤال عن القرآن فقد وقع الجواب موقعه ، لأنه قال لهم : الروح^(٣) الذي هو القرآن من أمر ربى ، ومما^(٤) أنزله على نبيه صلى الله عليه ؛ ليجمعه دلالة وعلماً على صدقه ، وليس من فعل المخالقين ، ولا ممن يدخل في إيمانهم ؛ وهذا جواب الحسن البصرى .

[ه و] ويقويه قوله تعالى بعد هذه الآية : ﴿ وَالَّذِينَ شَدُّنَا لِنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ، ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ . [الإسراء : ٨٦] . فكأنه قال تعالى : إن القرآن من أمرى وفعلى^(٥) ومما أنزلته عاماً على نبوة رسولى ، ولو شئت لرفعته وأنزلته وتصرفت فيه ؛ كما تصرف الفاعل فيما يفعله .

كُلُّهَا جِئَاءٌ ؛ وهى من رستانى كارور من ناحية الأهواز ، ويقال لأهل هذه الناحية الربيعيون ؛ لأنهم كانوا استنفروا لقاتلوا الحسين عليه السلام ، فجاءوا وقد فرغ من أمره ، فطلبوا الأجرة ، فقال ابن زياد : إنكم لم تلبوا بلاه ، وأعطى كل واحد منهم ربع دينار . قال دامت أيامه : أخبرنى بذلك العراقى العلوى البصرى . وكانت وفاة أبى على هذا فى سنة ٣٠٦ . (وانظر ترجمته فى ابن خلكان : ٤٨٠-٤٨١) .

(١) ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « أم ليست » . (٢) ت ، ف : « سألوها عنه » .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « إن الروح » . (٤) ش : « وما أنزله » .

(٥) حاشية الأصل : « ليس فى الآية دليل على قوله : "وفعلى" ؛ كتب هذا الشيخ عبد الرحيم

البغدادى رحمه الله على حواشى نسخة السيد الإمام » .

نصّل

قال الشَّريف المرتضى رضى الله عنه : قال أبو مُسَلِّمٍ مُحَمَّدُ بْنُ بَجْرِ الْأَصْبَهَانِيَّ (١) فِي قَوْلِهِ
تَعَالَى : ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا هَا وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
مَوْزُونٍ ﴾ . [الحجر : ١٩] ؛ قَالَ : إِنَّمَا خَصَّ الْمَوْزُونَ دُونَ الْمَكِيلِ بِالذِّكْرِ لَوْجِهَيْنِ :

أحدهما أن غاية المكيل تنتهي إلى الوزن لأن سائر المكيلات إذا صارت طعاما دخلت
في باب الوزن وخرجت عن باب الكيل ؛ فكأن الوزن أعمُّ من الكيل .

والوجه الآخر أن في الوزن معنى الكيل ؛ لأن الوزن هو طلب مساواة الشيء بالشيء
ومقايسته إليه ، وتعديله به ؛ وهذا المعنى ثابت في الكيل ، فخصَّ الوزن بالذِّكْرِ لاشتماله
على معنى الكيل .

هذا قول أبي مُسَلِّمٍ ، ووجه الآية وما يشهد له ظاهر لفظها غير ما سلكه أبو مسلم ،
وإنما أراد تعالى بالموزون المقدَّر الواقع بحسب الحاجة ؛ فلا يكون ناقصاً عنها ، ولا زائداً
عليها زيادة مُضِرَّة أو داخلة في باب العبث . ونظير ذلك من كلامهم (٢) قولهم : كلام فلان (٣)
موزون ، وأفعاله مقدرة موزونة ؛ وإنما يراد ما أشرنا إليه ، وعلى هذا المعنى تأوَّل المفسرون
ذكر الموازين في القرآن على أحد التأويلين ، وأنها التعديل والمساواة بين الثواب والعقاب ،
قال الشاعر (٤) :

لَمَّا بَشَّرَ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ رَخِيمٌ الْحَوَاشِي لَاهْرَاءَ وَلَا نَزْرُ
والهراء : الكثير ، والنزر : القليل ؛ فكأنه قال : إن حديثها لا يقلُّ عن الحاجة

(١) كان أبو مسلم الأصبهاني على مذهب المعتزلة ؛ ووصف التفسير على طريقتهم ، وتوفي سنة ٣٧٠ .
(٢) (لسان الميزان ٥ : ٨٩) . (٢) ش : « في كلامهم » .
(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « زيد » .
(٤) في م ، وحاشيتي الأصل ، ف : « وهو ذو الرمة » ؛ والبيت في ديوانه : ٢١٢ .

ولا يزيدُ عليها ؛ وهذا يَجْرِي مَجْرَى أَنْ تَقُولَ : هو موزون . وقال مالك بن أسماء
ابن خارجة الفزاري^(١) :

وحدِيثُ أَلْذَّةِ هُوَ مِمَّا يَنْعَتُ النَّاعِتُونَ يُوزَنُ وَزْنًا^(٢)
منطقٌ صائبٌ وتَلْحَنُ أحياءٌ نأوخيهِ الحديث ما كان لِحْنًا

[ه ظ] وهذا الوجه الذي ذكرناه أشبهُ بمراد الله تعالى في الآية ، وأليقُ بفصاحة القرآن /
وبلاغته الموفيتين^(٣) على فصاحة سائر الفصحاء وبلاغتهم ؛ فأما قولُ الشاعر الذي استشهدنا
بشعره : « وتَلْحَنُ أحيانا » فلم يُرد اللَّحْنَ في الإعراب الذي هو ضد الصواب^(٤) ؛ وإنما أراد
الكناية عن النشء والتعريضَ بذكره والعدولَ عن الإفصاح عنه ؛ على معنى قوله تعالى :
﴿ وَتَتَمَرَّفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ . [محمد : ٣٠] ، وقول الشاعر^(٥) :

وَلَقَدْ وَحَيْتُ لَكُمْ لَكَيْمَا تَفْطَنُوا وَلِحْنَتْ لِحْنًا لَيْسَ بِالْمُرْتَابِ^(٦) ١٠

وقد قيل : إن اللحن الذي عُنيَ في البيت هو الفطنة وسرعةُ الفهم ؛ على ما روى عن

(١) هو مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن الفزاري ؛ شاعر إسلامي غزل . (الشعر والشعراء

. (٧٥٨-٧٥٦) .

(٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : « حديث معطوف على كلام قبله ؛ أي لها وجه ، ولها حياء ، ولها
حديث ، أو مثل ذلك . وقوله : « أَلْذَّةِ » ، أي أستلذه ؛ يقال : لذت به ولذذته ، وقوله : « مما ينعت
الناعتون » ، أي مما ينعته الناعتون . وقوله : « مما يوزن وزنا » ، أي موزونا ، فهو في موضع الحال .
(٣) حاشية الأصل : « الموفيتين : المشرقتين » .

(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « المسألة محتملة لأنه يريد باللحن ضد صواب الإعراب ؛
لأن مقابل المنطق الصائب الملحون ، واللحن من الغواني والفتيات غير مستكره ولا منكر ، بل قد
يستحب ذلك منهن ؛ لأنه بالتأنيث أشبه ، ولشهوة أدمى ، ومع الغزل أخرى ؛ و الإعراب جد ، وليس الجد
من التعشق والتغزل بشيء ، ثم ما الموجب لأن يتمحل للبيت وجه يسلبه حسن الطباق ؛ ولو أراد به الملاحنة
التي هي الفطانة لكان ملغيا بذكر اللحن ؛ لأن اللحن في هذا المعنى صائب ، فيذهب الاتساق بنهاب الطباق ؛
فبان لك أن المعنى هو اللحن الذي يضاد صواب الإعراب وإقامته ؛ وإن كان كذلك المعنى الثاني محتملا » .

(٥) هو القتال السكابي ؛ والبيت في (الأمل ١ : ٥ ، واللسان - لحن) ، وقوله :

هل من معاشر غيركم أدعوهم فلقد سئمتُ دعاء يالساكلاب!

(٦) حاشية الأصل : « الوحي : الإشارة والرسالة والكلام الخفي ؛ يقال : وحيته إليه في الكلام ، =

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « لَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحِجَّتِهِ » أى أفطن لها ، وأغوص عليها .

ومما يشهد بما ذكرناه ما أخبرنا به أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني^(١) قال حدثنا أحمد بن عبد الله العسكري قال حدثنا العنبري قال حدثنا علي بن إسماعيل الزبيدي قال أخبرنا إسحاق بن إبراهيم قال : تكلمت هند بنت أسماء بن خارجة فلحنت ، وهى عند الحجاج ، فقال لها : أتلتحنين وأنت شريفة فى بيت قيس؟! فقالت : أما سمعت قول أخى مالك لامرأته الأنصارية؟ قال : وما هو؟ قالت : قال^(٢) :

مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلْحَنُ أَحْيَا نَا وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لِحْنًا

فقال لها الحجاج : إنما عنى أخوك اللحن فى القول ؛ إذا كنى المحدث عمّا يريد ،

ولم يعن اللحن فى العربية^(٣) ، فأصاحى لسانك .

وقد ظن عمرو بن بحر الجاحظ مثل هذا بعينه وقال : إن الأحن مستحسن^(٤) فى النساء الفرائر^(٥) ، وليس بمستحب منهن كل الصواب والتشبه بفحول الرجال ، واستشهد بأبيات مالك بعينها ، وظن أنه أراد باللحن ما يخالف الصواب^(٦) . وتبعه على هذا الغلط عبد الله ابن مسلم بن قتيبة الدينورى ، فذكر فى كتابه المعروف بعيون الأخبار^(٧) أبيات الفزارى ، واعتذر بها من لحن إن أصيب فى كتابه .

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : وأخبرنا المرزباني قال أخبرنى محمد بن يحيى

— وأوحيت بمعنى ؛ وقوله : المتراب ، يجوز أن يكون المتراب مصدرا كالارتياب ، ويجوز أن يكون مفعولا ، والتقدير : ليس بالمتراب فيه . (١) هو أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني الكاتب صاحب كتاب الموشح ومعجم الشعراء وغيرهما من المصنفات ؛ روى عن ابن دريد وطبقته ، وكان مائلا إلى التشيع ، وهو أحد شيوخ الشريف المرتضى ؛ توفى سنة ٣٨٤ . (ابن خلسكان ١ : ٥٠٧-٥٠٨) .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « قوله » . (٣) فى نسخة بجواشى الأصل ، ت ، ف :

« الإعراب » . (٤) فى ت ، ونسخة بمحاشية الأصل : « من النساء » .

(٥) حاشية الأصل : « جمع غريرة ؛ وهى التى لم تجرب الأمور » . (٦) الخبر فى (البيان

والتبيين ١ : ١٤٧) . (٧) عيون الأخبار ٢ : ١٦١ .

الصُّوْلَى قَالَ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ الْمَنْجَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : قُلْتُ لِلْجَاهِظِ : مِثْلَكَ فِي عَقْلِكَ وَعِظْمِكَ بِالْأَدَبِ يُنْشِدُ قَوْلَ الْفَزَارِيِّ وَيُفَسِّرُهُ عَلِيٌّ أَنَّهُ أَرَادَ اللَّحْنَ فِي الْإِعْرَابِ ! وَإِنَّمَا أَرَادَ وَصَفَهَا بِالظَّرْفِ وَالْفِطْنَةِ وَأَمَّا تُوْرِي (١) بِمَا قَصَدْتُ لَهُ وَتَتَنَكَّبُ التَّصْرِيحَ بِهِ ، فَقَالَ لَهُ : قَدْ فِطِنْتُ لَذَلِكَ بَعْدَ ، فَقُلْتُ (٢) : فَغَيَّرَهُ مِنْ كِتَابِكَ ، فَقَالَ : فَكَيْفَ بِمَا سَارَتْ بِهِ الرِّكْبَانُ !

○ قَالَ الصُّوْلَى : فَهُوَ فِي كِتَابِهِ عَلَيَّ خَطِيئَةٌ .

[١٦] بِوَمِنْ حَسَنِ اللَّحْنِ الَّذِي هُوَ التَّعْرِيبُ وَالسَّكْنَاءُ مَا أَخْبَرْنَا بِهِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبُ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدٍ الْأَزْدِيُّ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ حَصَلَ أَسِيرًا فِي بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ ، فَسَأَلَهُمْ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالُوا : لَا تُرْسِلْ إِلَّا بِحَضْرَتِنَا ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا عَزَمُوا عَلَيَّ غَزْوَ قَوْمِهِ ، فَيَخَافُوا أَنْ يَنْذِرَهُمْ ؛ فَجِئْتُ بَعْدَهُ أُسُودَ ، فَقَالَ لَهُ : أَتَعْقِلُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ إِنِّي لِعَاقِلٌ ، قَالَ : مَا أَرَاكَ عَاقِلًا ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى اللَّيْلِ فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَقَالَ : هَذَا اللَّيْلُ ، قَالَ : أَرَاكَ عَاقِلًا ، ثُمَّ مَلَأَ كَفَّيْهِ مِنَ الرَّمْلِ فَقَالَ : كَمْ ؟ فَقَالَ : لَا أَدْرِي وَإِنَّهُ لَكَثِيرٌ . فَقَالَ : أَيَّمَا أَكْثَرِ ؟ النُّجُومُ أَمْ النَّيْرَانُ (٣) ؟ فَقَالَ : كُلُّهُ كَثِيرٌ ، فَقَالَ : أَبْلَغُ قَوْمِي التَّحِيَّةَ ، وَقُلْ لَهُمْ : لِيَكْرِهُوا فِلَانًا - يَعْنِي أَسِيرًا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ بَكْرِ - فَإِنَّ قَوْمَهُ لِي مُكْرَمُونَ ، وَقُلْ لَهُمْ : إِنَّ الْعَرَفِيحَ قَدْ أَدْبَنِي (٤) ، وَشَكَّتِ النِّسَاءُ ؛ وَأَمْرُهُمْ (٥) أَنْ يُعْرُوا نَاقَتِي الْجِرَاءَ فَقَدْ أَطَالُوا رُكُوبَهَا ، وَأَنْ يَرَكُوبُوا جَمَلِي الْأَصْهَبَ (٦) ، بِأَيَّةِ مَا أَكَلْتُ مَعَكُمْ حَيْسًا ، وَاسْأَلُوا عَن خَبْرِي أَخِي الْحَارِثَ .

فَلَمَّا أَدَّى الْعَبْدَ الرَّسَالَةَ إِلَيْهِمْ قَالُوا : لَقَدْ جُنَّ الْأَعْوَرُ ، وَاللَّهِ مَا نَعْرِفُ لَهُ نَاقَةً حُمْرَاءَ وَلَا جَمَلًا أَصْهَبَ ، ثُمَّ سَرَّحُوا الْعَبْدَ ، وَدَعَوْا الْحَارِثَ فَقَصَّوْا عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، فَقَالَ : قَدْ أَنْذَرَكُمُ ،

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « توري عما قصدت » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « قلت » . (٣) م : « أم التراب » . (٤) في حاشيتي الأصل ، ف : « العرفج : جنس من الشوك ، وأدب الرمث إذا أشبه ما يخرج من ورقه الدبا ، والدبا : صغار الجراد ؛ وحيثئذ يصلح أن يؤكل ، والرمث : من مراعى الإبل ؛ وهو من الحمض » . (٥) في نسخة بجواشي الأصل ، ت ، ف : « ومرهم » . (٦) في حاشيتي الأصل ، ف : « الأصهب : ما اخلط البياض بجمرته » .

أَمَّا قَوْلُهُ : « أَدْبَى العَرَفِجُ » يريد أن الرجالَ قد استلأموا ولبسوا السلاحَ ، وقوله : « شَكَتِ النساءُ » ؛ أي اتخذنَ الشُّكَاءَ^(١) للِسَفَرِ ، وقوله : « الناقاةُ الحمراء » ، أي ارتحلوا عن الدهناء . وارَ كَبُوا السَّمَانَ^(٢) ؛ وهو الجملُ الأصهب^(٣) . وقوله : « أَكَلْتُ مَعَكُمْ حَيْسًا » يريد أخلاطًا من الناس قد غزَوكم ، لأن الحيسَ يجمع التمرَ والسمنَ والأقِطَ . فامتثلوا ما قال ، وعرفوا لِحْنَ كلامه .

تَأْوِيلُ خَبَرِ*

رَوَى أَبُو عُبَيْدٍ القَاسِمُ بنُ سَلامٍ في كتابه غريب الحديث ، عن أمير المؤمنين عليه السلام^(٤) :

« مَنْ أَحَبَّنَا أَهْلَ البَيْتِ : فَلَيْسَتْ عَدَّةٌ^(٥) لِلْفَقْرِ جَلْبَابًا ، أَوْ تَجَفَّافًا^(٦) » .

قال أبو عُبَيْدٍ : قد تَأَوَّلَ بعضُ الناسِ هذا الخبرَ على أنه أراد به الفقرَ في الدُّنْيَا ، قال :

وليس ذلك كذلك ؛ لأنَّ نَرَى فيمنَ يَجِبُّهمُ مثلَ ما نَرَى في سائرِ الناسِ ، من الغنى والفقر ،

ولا تَمييزَ^(٧) بينهما ، قال : والصَّحِيحُ أنه أراد الفقرَ في يومِ القيامةِ ، وأخرجَ الكلامَ مُنْجَرَجَ ١٠

الموعظة والنصيحة والحثُّ على الطاعات ، فكأنه أراد : مَنْ أَحَبَّنَا فَلْيَعِدِّ لِفَقْرِهِ يومَ القيامةِ

ما يَجْبُرُهُ^(٨) مِنَ الثَّوَابِ ، والقُرْبُ إلى الله تعالى ، والرِّئْفَ^(٩) عنده .

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : « جمع شكوة ، وهي السقاء الصغيرة » . (٢) حواشي الأصل ، ت ، ف :

« الدهناء : هي أرض في بلاد تميم ، يمد ويقصر . والصمان : أصله الأرض الغليظة ، والصمان : موضع إلى جنب رمل عالج ؛ وقال :

حتى أتى عَلمَ الدهنَا يُوَاعِيسُهُ واللهُ أَعْلَمُ بالصَّمَانِ ما جَسَمُوا

قوله : « يواعسه » ، من الوعاء ، وهي الرمل ، وهو في موضع الحال ، أي مواعسًا آخذًا في الابن

من الأرض ، وقوله : « ما جشموا » يجوز أن تكون « ما » استفهامية ، ويجوز أن تكون بمعنى الذي ؛ وفي

كلا الوجهين يكون نصبًا للدلالة عليه « أعلم » من الفعل . (٣) حاشية ف : « أراد بالصمان الأرض ؛ وكنتي عنها

بالجل الأصهب » . (*) ف : قبل هذا العنوان : « مجلس آخر » . (٤) ت : « صلوات الله عليه » .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « فليعد » . (٦) التجفاف ؛ بكسر الناء وفتحها : ما يجلل

به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح ، وقد يلبسه الإنسان أيضًا . (٧) ت : « ولا تميز » ، وفي ف ،

وحاشية الأصل (من نسخة) : « ولا تميز » . (٨) في ف ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ت :

« ما يجبره » . (٩) حاشية ت (من نسخة) : « الزاني » .

[٦ ظ] قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة : وجهُ الحديثِ خلافُ ما قاله أبو عبيد ، ولم يُرد إلا الفقرَ في الدنيا ؛ ومعنى الخبر أن مَنْ أَحَبَّنَا فليصبرْ على التَّقَلُّلِ مِنَ الدُّنْيَا والتَّقَنُّعِ فِيهَا ، وليأخذْ نفسه بالكَفِّ عن أحوالِ الدنيا وأعراضِها ؛ وشبهَ الصبرَ على الفقرِ بالتَّجفافِ أو الجِلْبَابِ ؛ لأنه يسترُ الفقرَ كما يسترُ الجلبابُ أو التَّجفافُ البدنَ . قال : ويشهدُ لصحةِ هذا التَّأويلِ ما رُوِيَ عنه عليه السلامُ أنه رأى قوماً على بابِهِ ، فقال : يا قَنَبِرَ ، مَنْ هَؤُلاءِ ؟ فقال له قَنَبِرَ : هَؤُلاءِ شيعتُكَ ، فقال : ما لي لا أرى فيهم سِمْيَاً^(١) الشيعة ؟ قال : وما سِمْيَا الشَّيْعة ؟ قال : تُخَصُّ البَطونُ مِنَ الطَّوَى ، يُبْسُ الشَّفاهِ مِنَ الظَّما ، تُعْمَسُ العيونُ مِنَ البِكا ؛ هذا كله قول ابن قتيبة .

والوجهان جيماً في الخبر^(٢) حَسَنان ؛ وإن كان الوجهُ الذي ذكره ابن قتيبة أحسنَ ١٠ وأنصَحَ^(٣) .

ويمكن أن يكون في الخبر وجهٌ ثالثٌ تشهد بصحته اللُغة ؛ وهو أن أحدَ وجوه معنى لفظة الفقر أن يُحزَّ أنفُ البعيرِ حتى يَخْلُصَ إلى العِظْمِ أو قَريبٍ مِنْهُ ، ثم يُلوَى عليه حَبْلٌ ، يُدَلَّلُ بِذَلِكَ الصَّعْبُ ، يقال : فَقرَهُ يَفقرُهُ فَقرًا إذا فَعَلَ ذلك بِهِ ، وبعيرٌ مَفقورٌ وبه فَقرَةٌ ، وكلُّ شَيْءٍ حَزَزْتَهُ وَأَثَرَتْ فِيهِ فَقَرَّتْهُ تَفقيرًا ؛ ومنه سُمِّيَتِ الفَاقِرَةُ^(٤) ، وقيل سيفٌ مُفَقَّرٌ^(٥) ؛ فيحتملُ^(٦) القولُ عَمَلِيٌّ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَادَ^(٦) : مَنْ أَحَبَّنَا فَلْيَزِمْ نَفْسَهُ وَلِيخْطِمِهَا ١٥ وليقدِّها إلى الطاعات ، وَيَصْرِفِها عَمَّا تَمِيلُ طَباعُها إِلَيْهِ مِنَ الشَّهواتِ ، وليدللها على الصَّبرِ عَمَّا كَرِهَ مِنْها ، ومَشقَّةٌ ما أريدُ مِنْها^(٧) ؛ كما يُفَعَلُ ذلكُ بِالبعيرِ الصَّعْبِ ؛ وهذا وجهٌ في الخبرِ ثالثٌ لم يذكُرْ ، وليس يجب أن يُسْتَبَعَدَ حَمْلُ الكَلامِ على بعضِ ما يَحتمَلُهُ إذا كان له شاهدٌ

(١) حاشية ت (من نسخة) : « سيمياء » ، وفي حاشية الأصل : « سيمياء وسيمياء بمعنى » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « في هذا الخبر » . (٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « نصع الحضاب ، أي لم وصار سواده براقا ناصعا » . (٤) حاشية الأصل : « الفاقرة : الداهية ؛ وإنما سميت بذلك لأنها كاسرة فقار الظهر ، من قولهم فقره ، إذا أصاب فقار ظهره » . (٥) في حاشيتي الأصل ، ف : « السيف المفقر : الذي في منته حزوز أي خطوط منقورة » .

(٦-٦) ت : « فيحتمل القول أن يكون عليه السلام أراد » . (٧) ط ، م : « بها »

من اللغة وكلام العرب ؛ لأن الواجب على مَنْ يتعاطى تفسير غريب الكلام والشعر أن يذكر كل ما يحتمله الكلام من وجوه المعاني ؛ فيجوز^(١) أن يكون أرادَ المخاطبُ كلَّ واحد منها منفرداً ، وليس عليه العلمُ بمراده بعينه ؛ فإن مراده مغيبٌ عنه ، وأكثر ما يلزمه ما ذكرناه من ذكر وجوه احتمال الكلام .

فصل

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : وممن كان من مشهورى الشعراء ومتقدميهم على مذهب أهل العدل ذو الرمة ؛ واسمه غَيْلان بن عُقبة ، وكُنيتُه أبو الحارث ، وذو الرمة / [٧ و] لقبٌ لقب به لبيت قاله ، وهو قوله في صفة الوتد :

* أشعث^(٢) باقى رمة التقليد *

والرمة : القطعة البالية من الحبل ؛ يقال : حبل أرمأم ؛ إذا كان ضعيفاً بالياً ؛ وقيل إنه إنما لقب بنى الرمة لأنه كان - وهو غلام - يتفزع ، فجاءته أمه بمن كتب له كتاباً وعلقتة ١٠ عليه برمة من حبل ؛ فسمى ذا الرمة .

ويشهد بمذهبه فى العدل ما أخبرنا به أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا أبو عثمان الأشنادانى عن التوزى عن أبى عبيدة قال : اختصم رؤبة وذو الرمة عند بلال بن أبى بردة ، فقال رؤبة : والله ما فحصى طائرٌ أفحوصاً ، ولا تقرمص سبع قرموصاً^(٣) إلا بقضاء من الله وقدر ؛ فقال له ذو الرمة : والله ما قدر الله ١٥ على الذئب أن يأكل حلوبة^(٤) عيايل^(٥) ضرائك ؛ فقال رؤبة : أفقدرته أكلها ؛ هذا كذب

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « ويجوز » . (٢) حاشية الأصل : « بكسر التاء ؛ لأن قبله :

* وغير مشجوج القفا موتود * أشعث

وفى حاشية ف : « رمة التقليد ؛ أى الرمة التى يجيء منها تقليد الوتديها » ، والبيت فى ديوانه :

١٥٥ . (٣) فى حاشيتى الأصل ، ف « تقرمص ؛ أى اتخذ قرموصاً ، وهو الموضع الذى

يأوى إليه » . (٤) فى حاشيتى الأصل ، ف : « الحلوبة : التى بها لبن يحلب ؛ وأكثر ذلك فى النوق ،

وقد تستعمل فى غيرها » . (٥) فى حاشيتى ت ، ف : « عيال الرجل : من يعوله ، وواحد العيال

عيل ، مثل جيد وجياد وجيائد . والضريك : الضربير البائس الفقير ؛ ولا يصرف له فعل ، ولا يقال : ضركه بمعنى ضره ؛ والجمع ضرائك وضركاء » .

على الذئب ثانٍ^(١) ، فقال ذو الرُّمَّة : الكذب على الذئب خير من الكذب على ربِّ الذئب .
وهذا الخبر صريح في قوله بالعدل واحتجاجه عليه ، وبصيرته فيه ؛ فأما العيال فهو
جمع عَيْل ، وهو ذو العيال . والضرائك : جمع ضريك وهو الفقير .

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : وأخبرنا أبو عُبيد الله المرزباني قال حدثنا أحمد
٥ ابن محمد المسكي عن أبي العيناء عن الأصمعي عن إسحاق بن سويد قال : أنشدني
ذو الرُّمَّة :

وعينانِ قال اللهُ كونا فكانتا فَمولانِ بالألباب ما تفعلُ الخمرُ^(٢)

فقلت له : « فمولين » خبر الكون ، فقال لي : لو سبَّحت رِبحْت ، إنما قلتُ : « وعينانِ
فَمولانِ » وصفهُمَا بذلك . وإنما تحرَّز ذو الرُّمَّة بهذا الكلام من القول بخلاف العدل .

١٠ وقد رُوِيَ هذا الخبرُ على خلاف هذا الوجه ؛ أخبرنا أبو عُبيد الله المرزباني قال حدثني
أحمد بن خالد النحاس^(٤) قال حدثني^(٥) محمد بن القاسم أبو العيناء قال حدثنا الأصمعي
قال : لما أنشد ذو الرُّمَّة قوله :

وعينانِ قال اللهُ كونا فكانتا فَمولينِ بالألباب ما تفعلُ الخمرُ

— وهو يريد : كونا فكانتا فَمولينِ حيث كانتا^(٦) — قال له عمرو بن عُبيد^(٧) : ويحك ! قلتُ

١٥ عظيماً ، فقل : « فَمولانِ بالألباب » ، فقال له ذو الرُّمَّة ، ما أبالي : أقلت هذا أم سبَّحت ، فلما
علم بما ذهب إليه عمرو قال : سُبَّحَانَ اللهُ ! لو عُنيتُ ما ظننتُ كنتُ جاهلاً .

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « قوله « ثان » لا يعني أنه كذب على الذئب مرتين ؛ وإنما المعنى : إنك
كاذب على الخلق في أن أفعالهم ليست بقضاء من الله وقدر ؛ لأنه وإن ذكر الطائر والسبع ؛ فإنه يعني به الخلق ؛
ثم لما ذكر ذو الرمة الذئب قال رؤبة : هذا كذب على الذئب ثان لذلك الكذب الأول الذي
استشهدت عليه بالطائر والسبع » . (٢) ديوانه : ٢١٣ .

(٣) الخبر في (الأغانى ١٦ : ١١٧) ، وفيه : « لوفلت : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ،
والله أكبر ؛ كان خيرا لك » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « النحاس » .

(٥) حاشية ت (من نسخة) : « حدثنا » . (٦) ت « خبر كانتا » ، ولعله تحريف .

(٧) حاشية الأصل : « كان معتزليا عدليا » .

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : وَمِمَّنْ رُوِيَ أَنَّهُ كَانَ عَلَى مَذَاهِبِ أَهْلِ الْعَدْلِ مِنْ شُعْرَاءِ الطَّبَقَةِ الْأُولَى أَعْشَى^(١) قَيْسُ بْنُ ثَعْلَبَةَ ، وَاسْتَشْهَدَ بِقَوْلِهِ :

اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِالْوَفَاءِ وَبِالْعَدْلِ لِي وَوَلَّى الْمَلَامَةَ الرَّجُلَ^(٢)

وَمِمَّنْ قِيلَ إِنَّهُ كَانَ عَلَى مَذَاهِبِ أَهْلِ الْجَبْرِ مِنَ الْمَشْهُورِينَ أَيْضًا لَيْبِدُ بْنُ رَبِيعَةَ الْعَامِرِيُّ ،

وَاسْتَدَلَّ بِقَوْلِهِ :

إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرٌ نَفْلًا وَيَأْذَنُ اللَّهُ رَيْثِي وَعَجَلًا^(٣)

مِنْ هِدَاةِ سُبُلِ الْخَيْرِ اهْتَدَى نَاعِمَ الْبَالِ وَمَنْ شَاءَ أَضَلَّ

وَإِنْ كَانَ لِطَرِيقٍ^(٤) إِلَى نَسَبِ الْجَبْرِ إِلَى مَذْهَبِ لَيْبِدِ الْإِهْدَانِ الْبَيْتَانِ فَلَيْسَ فِيهِمَا دِلَالَةٌ عَلَى

ذَلِكَ ، أَمَا قَوْلُهُ :

* وَيَأْذَنُ اللَّهُ رَيْثِي وَعَجَلًا *

١٠

فِيحْتَمَلُ أَنْ يُرِيدَ : بِعَلْمِهِ ؛ كَمَا يَتَأَوَّلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا

بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ١٠٢] ؛ أَيْ بِعَلْمِهِ ، وَإِنْ قِيلَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ، إِنَّهُ أَرَادَ : بِتَخْلِيَّتِهِ وَتَمَكِّيْنِهِ ،

وَإِنْ كَانَ لِشَاهِدٍ لَذَلِكَ فِي الْلُغَةِ أَمْكَنَ مِثْلُهُ فِي قَوْلِ لَيْبِدِ ؛ فَأَمَّا قَوْلُهُ : « مَنْ هِدَاةِ اهْتَدَى وَمَنْ

شَاءَ أَضَلَّ » فَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَصْرُوفًا إِلَى بَعْضِ الْوُجُوهِ الَّتِي يَتَأَوَّلُ عَلَيْهَا الضَّلَالُ وَالْمَهْدَى

الْمَذْكُورَانِ فِي الْقُرْآنِ ؛ مِمَّا يَلِيْقُ بِالْعَدْلِ وَلَا يَقْتَضِي الْإِجْبَارَ ؛ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَذْهَبُ ١٥

لَيْبِدِ فِي الْإِجْبَارِ مَعْرُوفًا بِغَيْرِ هَذِهِ الْآيَاتِ ؛ فَلَا يُتَأَوَّلُ لَهُ هَذَا التَّأْوِيلُ ؛ بَلْ يُحْمَلُ مَرَادُهُ عَلَى

مُوَافَقَةِ الْمَعْرُوفِ مِنْ مَذْهَبِهِ .

(١) حاشية الأصل : « قبيلة الأعشى » .

(٢) ديوانه ١٥٥ ؛ وفي حاشيتي الأصل ، ف : « استأثر الله ؛ تستعمل مع الباء ؛ يقال : استأثر

الله به » . (٣) ديوانه : ٣٩ . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « لا سبيل » .

مَسْأَلَةٌ

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : اعلم أن أصحابنا لما استدثوا على نفى الرؤية بالأبصار عن الله تعالى بقوله : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] ، وبينوا أنه تعالى تمدح بنفى الإدراك^(١) الذى هو رؤية البصر عن نفسه على وجه يرجع إلى ذاته ؛ فيجب أن يكون فى ثبوت الرؤية له فى وقت من الأوقات نقص وذم . قال لهم مخالفوهم : كيف يتمدح بأنه لا يرى ، وقد يشاركه فى نفي الرؤية ما ليس بمدح ؛ كالمعدومات والإرادات والاعتقادات ؛ فقالوا لهم : لم يتمدح تعالى بنفى الرؤية فقط ، وإنما تمدح بنفى الرؤية عنه وإثباتها له ، فتمدحه بمجموع^(٢) الأمرين ؛ وليس يشاركه فى هاتين الصفتين مشارك ؛ لأن الموجودات المحدثات على ضروب ؛ منها ما يرى ولا يرى كالإرادات والاعتقادات ، ومنها ما يرى ولا يرى كالألوان ، ومنها ما يرى ويرى كالإنسان وضروب الأحياء ؛ وليس فيها ما يرى ولا يرى ؛ فثبتت المدحة لله تعالى بمضمّن الآية .

[٨و] فقال لهم المخالفون : وكيف / يجوز أن تكون صفة لا تقتضى المدحة بانفرادها ، ثم تصير تقتضيها مع غيرها ! ولئن جاز هذا ليجوز أن يتمدح متمدح بأنه شئ عالم ، أو موجود قادر ؛ فإذا كان لا مدحة فى وصف الذات بأنها شئ وموجودة^(٣) ، وإن انضمت إلى صفة مدح من حيث كانت بانفرادها لا تقتضى مدحا ، فكذلك لا مدحة فى نفي الرؤية ممن ثبتت^(٤) له ، من حيث كانت بانفرادها لا تقتضى مدحا .

فأجاب أصحابنا عن هذا الكلام بأن قالوا : ليس يمتنع فى الصفة أن تكون لا تقتضى مدحا إذا انفردت ، وتقتضيه إذا انضمت إلى غيرها ، ومثلوا ذلك بقوله تعالى : ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] . وإن نفى السنة والنوم هاهنا إنما يكون مدحا إذا انتفى عن هو بصفة الأحياء ، وإن كان بانفراده لا يقتضى مدحا لمشاركة ذوات كثيرة غير

(١) ت : « بنفى إدراك البصر » . (٢) ت : « جميع » ؛ وفى حاشيتها (من نسخة) : « فتمدح بمجموع الأمرين » . (٣) د ، ونسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « بأنها شئ موجود » . (٤) ش : « ثبت » .

ممدوحة فيه ، وفصلوا بين الوصف بالشيء والوجود ، وبين ما ذكروا من حيث لا تأثير لهاتينك^(١) الصفتين في المدح .

واعلم أن صفات المدح المتضمنة للإثبات ما تكاد^(٢) تفتقر إلى شرط في كونها مدحا . وصفات النفي إذا كانت مدحا فلا بدّ فيها من شرط ؛ وإنما افترق الأمران من حيث كان النفي أعمّ من الإثبات ؛ فيدخل تحته الممدوح وغير الممدوح ، والإثبات أشدّ اختصاصا ؛ ألا ترى أن ما ليس بعالم من الدّوات وليس بوجود أكثر مما ثبت له العلم والوجود منها ؛ لأنّ الأول لا يكون إلا غير متنادٍ ، والثاني لا بد أن يكون متناهياً ، فلما شملت صفات النفي الممدوح وغير الممدوح احتاجت إلى شرط يخصّها .

وأنت إذا اعتبرت سائر صفات النفي التي يُتمدح بها وجدتها مفتقرة إلى الشروط ؛

ألا ترى أن من ليس بجاهل إنما يكون ممدوحا بهذا النفي إذا كان حياً ذا كرا ، ومن ليس بعاجز إنما يكون ممدوحا إذا كان أيضاً موجوداً حياً ، ومن ليس بظالم إنما يكون ممدوحا إذا كان قادراً على الظلم وله دواعٍ إليه ، ولا بدّ في الشرط الذي يحتاج إليه في صفات النفي حتى تكون مدحاً من أن يكون أيضاً إثباتاً أو جارياً مجرى الإثبات ، ولا يكون نفيّاً لأنه إن^(٣) كان نفيّاً يتخصص ، وساوى^(٤) فيه الممدوح ما ليس بممدوح ؛ مثال ذلك أنا إذا مدحنا غيرنا بأنه لا يظلم ، وشرطنا في هذه المدحة أنه لم يدعه داعٍ^(٥) إلى الظلم لم تحصل المدحة ، ١٥ لأنه قد يشاركه في نفي الظلم ونفي الدواعي إليه ما ليس بممدوح ، فلا بدّ من شرط يجرى مجرى الإثبات ؛ وهو أن تقول : وهو ممن تدعوه الدواعي إلى / الأفعال ويتصرف فيها [٨ ظ] بحسب حاجته ودواعيه . فإذا صحّت هذه الجملة فالوجه أن تقول : إن المدحة في الآية إنما تتعلق بنفي الإدراك عن القديم تعالى ، لكن بشرط أن يكون مدرِكاً ، ولا نجعل^(٦) كلّ

(١) في نسخة بجاشيتي ت ، ف : « لتينك » ، وفي حاشية ت أيضا (من نسخة أخرى) : « لهاتين » .

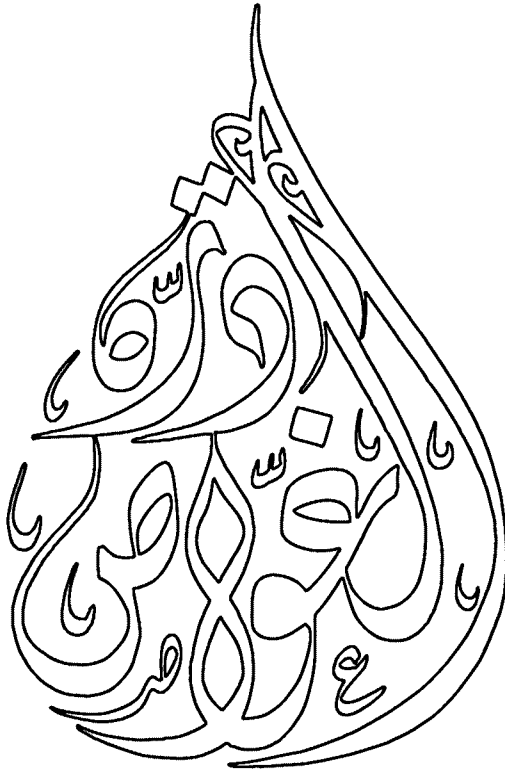
(٢) من نسخة بجواشي الأصل ، ت ، ف : « لا تكاد » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « إذا » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « وشارك » .

(٥) ت : « لم يدعه الداعي » . (٦) في الأصل : « ونجعل » ، وصححت في الحاشية ، وفي

حاشيتي الأصل ، ف : « في النسخة المقروءة على السيد رضي الله عنه : « ولا نجعل » ؛ كذا كان بخط الشجري ، وفي نسخة من أيضا » .

واحدة من الصفتين تقتضى المدح مجتمعا ؛ مع أنّ كل واحدة لا تقتضيه على سبيل الانفراد. وليس بمنكر أن يقتضى الشيء غيره بشرط متى وجد حصل المتمضى ، وإذا لم يحصل^(١) لم يحصل مقتضاه ، ونفى السنّة والنوم والظلم عن الله تعالى إنما كان مدحا بشروط معروفة على نحو ما ذكرناه ؛ وهذا التلخيص في هذا الموضوع أوّل وأحسن للشبهة^(٢) مما تقدّم ذكره.



(١) في نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « لم يوجد » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « للشبهة » .

مجلس آخر * تأويل آية

إن سأل سائل فقال : ما تقولون في قوله تعالى حِكَايَةَ عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ فَالْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ [الشعراء : ٣٢] ، وقال في موضع آخر : ﴿ وَأَنَّ أَلْقَىٰ عَصَاكَ فَلَمَّا رآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْرِبًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ (١) [القصص : ٣١] .
والثعبان هو الحيَّة العظيمة الخليفة ، والجَانُّ الصغير من الحيات ، فكيف اختلف الوصفان والقصة واحدة ؟ وكيف يجوز أن تكون العصا في حالة واحدة من صفة ما عظم خلقه من الحيات ، وبصفة ما صغر منها ؟ وبأى شيء تُزيلون التناقض عن هذا الكلام ؟ .

الجواب : أول ما نقوله (٢) : إن الذي ظنه السائل من كون الآيتين خبراً عن قصة واحدة باطل ؛ بل الحالتان مختلفتان ؛ فالحال (٣) التي أُخبر عن العصا فيها بصفة الجان (٤) كانت في ابتداء النبوة ، وقبل مصير موسى عليه السلام إلى فرعون ، والحال التي صارت العصا فيها ثعباناً كانت عند لقائه فرعون وإبلاغه الرسالة ؛ والتلاوة تدلّ على ذلك ؛ وإذا اختلفت القِصَّتَانِ فلا مسألة .

على أن قوماً من المفسرين قد تعاطوا الجواب عن هذا السؤال ؛ إمّا لظنهم أن القصة واحدة ، أو لاعتقادهم أن العصا الواحدة لا يجوز أن تنقلب في حالتين : تارة إلى صفة الجان ،

* كذا في ت ، وفي الأصل ، ف : « مجلس آخر ثالث » .

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « لم يعقب : لم يرجع ؛ وقيل لم يلتفت ، وقيل لم يعطف ولم ينتظر ؛ يقال : كره على الفوم وما عقب . ويرى أهل النظر أنه مأخوذ من العقب ؛ وروى عن سفيان : لم يعقب : لم يمكث ، ويقال : عقب في الأمر إذا تردد في طلبه مجداً ؛ وقوله تعالى : ﴿ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ﴾ ؛ أى لا يحكم بعد حكمه حاكم ، والمعقب : الذى يكر على الشيء ، وقوله تعالى : ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ﴾ ، أى للإنسان ملائكة يعقب بعضهم بعضاً . وقال الفراء : ملائكة الليل تعقب ملائكة النهار ؛ يعنى أنهم يتعاقبون ليلاً ونهاراً . (٢) ت ، د : « أول ما نقوله في هذا » . (٣-٣) ت : « فالحال التي أُخبر أن العصا صارت فيها بصفة الجان ... » .

وتارة إلى صفة الثعبان ؛ أو على سبيل الاستظهارِ في الحجّة ، وأن الحال لو كانت واحدة على ما ظنّ لم يكن بين الآيتين تناقضٌ ؛ وهذا الوجه أحسنُ ما تكلفوا الجوابَ لأجله ؛ لأن الأولين لا يكونان إلا عن غلطٍ أو غفلة ، وذكروا وجهين نزول بكل واحدٍ منهما الشبهة في تأويلها :

- ٥ أحدهما أنه تعالى إنما شبهها بالثعبان في إحدى الآيتين لعظم خلقها ، وكبر جسمها ، وهول منظرها ؛ وشبهها في الآية الأخرى بالجآن لسرعة حركتها ونشاطها وخفتها ؛ فاجتمع لها مع أنها في جسم الثعبان وكبر خلقه نشاطُ الجآن ، وسرعةُ حركته ؛ وهذا أبهر في باب الإعجاز ، وأبلغ في خرق العادة ؛ ولا^(١) تناقضَ معه بين الآيتين ؛ وليس يجب إذا شبهها بالثعبان أن يكون لها جميعُ صفات الثعبان ، ولا إذا شبهها بالجآن أن يكون لها جميعُ صفاته ،
- ١٠ وقد قال الله تعالى : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا . قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ ﴾ [الذهر: ١٥، ١٦] . ولم يُردّ تعالى أن الفضة قوارير على الحقيقة ؛ وإنما وصفها بذلك لأنه اجتمع لها صفاء القوارير وشفوفُها ورقَّتُها ؛ مع أنها من فضة ؛ وقد تشبّه العربُ الشيءَ بغيره في بعض وجوهه ؛ فيشبهون المرأةَ بالطَّيْبَةَ والبقرةَ^(٢) ونحن نعلم أن في الطباء والبقر من الصفات مالا يُستحسن أن يكون في النساء ، وإنما وقع التشبيه في صفة دون صفة ، ومن
- ١٥ وجه دون وجه^(٣) .

والجواب الثاني أنه تعالى لم يُردّ بذكر الجآن في الآية الأخرى الحيّة ؛ وإنما أراد أحدَ الجنّ ؛ فكأنه تعالى خبر^(٤) بأن العصا صارت ثعبانا في الخلقِ وعظم الجسم ؛ وكانت مع ذلك كأحد الجن في هول المنظر وإفزعها لمن شاهدها ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهَتَّتْ كَانَهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ .

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « فلا » . (٢) ت : « وبالبقرة » .

(٣) ت : « دون آخر » . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « أخبر » .

ويمكن أن يكون في الآية تأويل آخر استخرجناه ؛ إن لم يزد على الوجهين الأوَّلين لم ينقصُ عنهما ؛ والوجهُ في تكلفنا له ما بيناه من الاستظهار في الحجة ، وأنَّ التناقضَ الذي توهمَ زائلٌ على كل وجه (١) ؛ وهو أن العصا لما انقلبت حيةً صارت أولاً بصفة الجانِّ وعلى صورته ؛ ثم صارت بصفة الثعبان ؛ على تدرّج ؛ ولم تصرْ كذلك ضربة واحدة ؛ فتتفق الآيتان على هذا التأويل ، ولا يختلفُ حكمُهما ، وتكون الآية الأولى التي تتضمن ذكر الثعبان ٥ إخباراً عن غاية حال العصا ، وتكون الآية الثانيةُ تتضمن ذكر الحال التي ولَّى موسى فيها هارباً ؛ وهي حال انقلاب العصا إلى خِلقة الجانِّ ؛ وإن كانت بعد ذلك الحال انتهت إلى صورة الثعبان .

فإن قيل على هذا الوجه : كيف يصح ما ذكرتموه مع قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ ؛ وهذا يقتضى أنها صارت ثعباناً بعد الإلقاء بلا فصل ؟ قلنا : تفيده الآية ما ظنَّ ؛ ١٠ وإنما فائدة قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا هِيَ ﴾ الإخبارُ عن قرب الحال التي صارت فيها بتلك الصفة ؛ وأنه لم يطل الزمان في مصيرها كذلك ، ويجري هذا مجرى قوله تعالى / : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانَ إِذَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ [يس : ٧٧] ؛ مع تباعد ما بين [٩ ظ] كونه نُطفةً وكونه خصيماً مُبيناً ، وقولهم : ركب فلان من منزله فإذا هو في ضيئته ، وسقط من أعلى الحائط فإذا هو في الأرض ؛ ونحن نعلم أن بين خروجه من منزله وبلوغه ضيئته زماناً ، ١٥ وأنه لم يصل إليها إلا على تدرّج ؛ وكذلك الهابطُ من الحائط ؛ وإنما فائدة الكلام الإخبارُ عن تقارب الزمان ؛ وأنه لم يطل ولم يمتدّ .

(١) ت : « على كل حال » . (٢) ت (من نسخة) : « تقدير » .

تَأْوِيلُ آيَةِ أُخْرَى

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ . أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [الأعراب : ١٧٢ ، ١٧٣] .

وقد ظنَّ بعضُ مَنْ لا بصيرةَ له ، ولا فطنةَ عنده أن تأويل هذه الآية أن الله تعالى استخرج من ظهر آدم عليه السلام جميع ذريته ، وهم في خلق الذرِّ ، فقرَّرهم بمعرفته ، وأشهدهم على أنفسهم . وهذا التأويل - مع أن العقل يُبطله ويُحيله - مما يشهد ظاهر القرآن بخلافه ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ ﴾ ، ولم يقل : من آدم ، وقال : ﴿ مِنْ ظُهُورِهِمْ ﴾ ، ولم يقل : من ظهره ، وقال : ﴿ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ ، ولم يقل : ذُرِّيَّتَهُ ؛ ثم أخبر تعالى بأنه فعل ذلك لثلاثا يقولوا يوم القيامة : إنهم كانوا عن ذلك غافلين ، أو يمتدروا بِشِرْكَ آبَائِهِمْ ، وأنَّهم نَشئُوا على دينهم وسُننَتِهِمْ ؛ وهذا يقتضى أن الآية لم تتناول ولدَ آدم عليه السلام لصلبه ؛ وأنها إنما ^(١) تناولت مَنْ كان له آباء مشركون ؛ وهذا يدل على اختصاصها ببعض ذرية ^(٢) بنى آدم ؛ فهذه شهادة الظاهر ببطلان تأويلهم ، فأما شهادة العقول ^(٣) فمن حيث لا تخلو هذه الذرية التي استخرجت من ظهر آدم عليه السلام فحوطبت ^(٤) وقررت من أن تكون كاملة العقول ، مستوفية لشروط التكليف ؛ أو لا تكون كذلك .

فإن كانت بالصفة الأولى وجب أن يذكر هؤلاء بعد خلقهم وإنشائهم ، وإكمال عقولهم ما كانوا عليه في تلك الحال ، وما قرروا به ، واستشهدوا عليه ؛ لأن العاقل لا ينسى ما جرى هذا المجرى ، وإن بعد العهد وطال الزمان ؛ ولهذا لا يجوز أن يتصرف أحدنا في بلد من [١٠] البلدان وهو عاقل كامل فينسى مع بعد العهد جميع تصرفه المتقدم / وسائر أحواله .

(١) ساقطة من ت ، ف . (٢) ت : « ولد آدم » . (٣) ت : « العقل » .

(٤) ت : « أو لا تكون كاملة العقول مستوفية لشروط التكليف » .

وليس أيضاً لتخلل الموت بين الحالين تأثير ؛ لأنه لو كان تخلل الموت يُزيل الذكْر لكان تخلل النوم والسُّكْر والجنون والإغماء بين أحوال العقلاء يُزيل ذكْرهم لِمَا مضى من أحوالهم ؛ لأن سائر ما عددهناه مما ينفي العلوم يجري مجرى الموت في هذا الباب . وليس لهم أن يقولوا : إذا جاز في العاقل الكامل أن ينسى ما كان عليه في حال الطفوليّة جاز ما ذكرناه ؛ وذلك أنّنا إنما أوجبنا ذكْر العقلاء لِمَا ادَّعَوْه إذا كملت عقولهم من حيث جرى لهم (١) وهم ٥ كملوا العقول ، ولو كانوا بصفة الأطفال في تلك الحال لم نوجب عليهم ما أوجبناه .

على أن تجوز النسيان عليهم ينقضُ الغرض في الآية ، وذلك أن الله تعالى أخبر بأنه إنما قرّرهم وأشهدهم لثلاث يدّعوا يوم القيامة الغفلة عن ذلك ، وسقوط الحجّة عنهم (٢) فيه ؛ فإذا جاز نسيانهم له عاد الأمر إلى سقوط الحجّة وزوالها ، وإن كانوا على الصّفة الثانية من فقد العقل وشرائط التكليف قبّح خطابهم وتقريرهم وإشهادهم ، وصار ذلك عبثاً قبيحاً ؛ ١٠ يتعالى الله عنه .

فإن قيل : قد أبطلتم تأويل (٣) مخالفيكم ، فما تأويلها الصحيح عندكم ؟ قلنا في هذه الآية

وجهان :

أحدهما أن يكون تعالى إنما عني جماعة من ذرية بني آدم خلقهم وبلّغهم وأكمل عقولهم ، وقرّرهم على السن (٤) رسله عليهم السلام بمعرفته وما يجب (٥) من طاعته ، فأقرّوا ١٥ بذلك ، وأشهدهم على أنفسهم به ؛ لثلاث يقولوا يوم القيامة إنّنا كنّا عن هذا غافلين ، أو يعتذروا بشرك آبائهم . وإِنما أتت من اشتبه عليه تأويل الآية من حيث ظن أن اسم الذرية لا يقع إلا على من لم يكن كاملاً عاقلاً ؛ وليس الأمر كما ظن ؛ لأننا نسمي جميع البشر بأنهم ذرية آدم ؛ وإن دخل فيهم العقلاء الكاملون ، وقد قال الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ

(١) حاشية الأصل (من نسخة) ، ت ، ف : « عليهم » . (٢) ت ، حاشية الأصل (من نسخة)

« عليهم » . (٣) م : « قول » . (٤) ت ، د ، حاشية ف (من نسخة) : « لسان » .

(٥) د ، ت : « وما يجب عليهم » .

جَنَاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ﴿ [الرعد: ٢٣].
ولفظ الصالح لا يطلق إلا على مَنْ كان كاملاً عاقلاً ؛ فإن استبعدوا تأويلنا وسمَّنا الآيةَ على
البا لغير السكِّفين ؛ فهذا جوابهم .

[١٠] ^ظ والجواب الثاني أنه تعالى / لَمَّا خَلَقَهُمْ وَرَكَّبَهُمْ تَرْكِيبًا يَدُلُّ عَلَى مَعْرِفَتِهِ وَيَشْهَدُ بِقُدْرَتِهِ
ووجوبِ عبادته، وأراهم العبرَ والآياتِ والدلائلِ في أنفسهم وفي غيرهم كان بمنزلةِ المشهدِ لهم
على أنفسهم ، وكانوا في مشاهدة ذلك ومعرفةِ وظهوره فيهم على الوجه الذي أَرَادَهُ تعالى ،
وتعدُّ امتناعهم منه ، وانفكاكهم من دلالته بمنزلةِ المقرِّ المعترف ؛ وإن لم يكن هناك إسهادٌ
ولا اعتراف على الحقيقة ؛ ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى : ﴿ تُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ
دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصلت : ١١] ،
١٠ وإن لم يكن منه تعالى قولٌ على الحقيقة ، ولا منهما جواب ، ومثله قوله تعالى : ﴿ شَاهِدِينَ عَلَيَّ
أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ ﴾ [التوبة : ١٧] . ونحن نعلم أن الكفار لم يعترفوا بالكفر بالسنتهم ؛
وإنما ^(١) لَمَّا ظَهَرَ مِنْهُمْ ظُهُورًا لَا يَتِمَّكَونَ مِنْ دَفْعِهِ كَانُوا بِمَنْزِلَةِ الْمُعْتَرِفِينَ بِهِ ؛ ومثل
هذا قولهم : جوارحي تشهدُ بنعمتك ، وحالي معترفةٌ بإحسانك . وما رُوِيَ عن بعض
الخطباء ^(٢) من قوله : سل ^(٣) الأرض : مَنْ شَقَّ أَمْهَارَكَ ، وَغَرَسَ أَشْجَارَكَ ، وَجَنَى
١٥ ثَمَّارَكَ ؟ فَإِنْ لَمْ تُجِبِّكَ حِوَارًا أَجَابَتَكَ اعْتَبَارًا .

وهذا باب كبير ، وله نظائر كثيرة في النظم والنثر ؛ يغنى عن ذكر جميعها القدرُ الذي
ذكرناه منها .

(١) د ، ونسخة بمحاشيتي الأصل ، ف : « وإنما ذلك » . (٢) في نسخة بمحاشيتي الأصل ، ت ، ف :

« الحكماء » . (٣) في نسخة بمحاشيتي الأصل ، ت ، ف : « هذا من كلام الفضل بن عيسى بن أبان ،

ذكره في قصصه » .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

قال أبو عبيد القاسم بن سلام فيما يروى عن النبي صلى عليه وآله: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن». قال: أراد: يستغني به، واحتج بقولهم: تغنيت تغنياً، وتغانيت تغانياً، وأنشد بيت الأعشى:

وَكَنتُ امْرَأً زَمَنًا بِالْعِرَاقِ عَفِيفَ الْأَمْنَاخِ طَوِيلَ التَّغْنِ^(١)

وقول الآخر:

كَلَانَا غَنِيٌّ عَنْ أُخِيهِ حَيَاتِهِ وَنَحْنُ إِذَا مِتْنَا أَشَدُّ تَغَانِيًا^(٢)

واحتج أيضاً بقول ابن مسعود: «من قرأ سورة آل عمران فهو غني»، أي مُسْتغْنٍ، وبالحديث الآخر: «نعم كثر الصُّعْلُوكُ سورة آل عمران يقوم بها^(٣) في آخر الليل»؛ والصُّعْلُوكُ الفقير، واحتج بحديث آخر يروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو أنه قال: «لا ينبغي لحامل القرآن أن يظن أن أحداً أُعْطِيَ أفضلَ مما أُعْطِيَ، لأنه لو ملك الدنيا بأسرها لكان القرآن ١٠ أفضل مما ملكه». واحتج أيضاً بخبر يرفعه^(٤) عن عبد الله بن نَهَيْك أنه دخل على سعد^(٥) بيته^(٦)، فإذا مثال رث، ومتاع رث، فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن».

قال أبو عبيد: فذكره المتاع الرث، والمثال الرث يدلُّ على أن التغنى بالقرآن الاستغناء به

(١) ديوانه: ٢٢، واللسان (غني).

لئى المغيرة بن حنبله التيمى؛ وذكره المبرد فى (الكامل ٣ : ١٤ - بشرح الرصنى) ضمن أبيات لعبد الله ابن معاوية، أولها:

رَأَيْتُ فُضَيْلًا كَانَ شَيْئًا مُلْفَقًا فَكَشَفَهُ التَّمَحِيصُ حَتَّى بَدَأَ لِيَا

وقبله:

فَعَيْنُ الرَّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا

(٢) حاشية الأصل: «بقراءتها». (٤) فى نسخة بمواشى الأصل، ت، ف: «يرويه».

(٥) حاشية الأصل: «هو سعد بن أبى وقاص». (٦) كذا فى الأصل، وحاشية ف: وفى

د، ف، وحاشية ت (من نسخة): «فى بيته».

عن الكثير من المال والمثال هو الفِرَاش ، قال الشاعر^(١) :

بِكَلِّ طَوَالِ السَّاعِدَيْنِ كَأَنَّمَا يَرَى بِسُرَى اللَّيْلِ الْمِثَالَ الْمَمَهَّدَا^(٢)

— يعنى الفراش . قال أبو عبيد : ولو كان معناه الترجيع لمعظمت المِحْنَةُ علينا بذلك ؛ إذ

كان مَنْ لَمْ يُرْجِعْ بِالْقُرْآنِ فَلَيْسَ^(٣) مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

• وذ كر غير^(٤) أبا عبيد جواباً آخر ، وهو أنه عليه السلام أراد : مَنْ لَمْ يَحْسِنْ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ .

ولم يرجع^(٥) فيه . واحتج صاحب هذا الجواب بحديث عبد الرحمن بن السائب قال : أتيتُ سعداً

— وقد كُفَّ بَصْرَهُ — فسأمتُ عليه ، فقال : مَنْ أَنْتَ ؟ فأخبرته . فقال : مَرَجَبًا يَا بَنِي أَخِي ،

بَلْغَنِي أَنْكَ حَسَنُ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ ، وقد سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول : « إن هذا

القرآن نزلَ بِحُزْنٍ ، فإذا قرأتموه فابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا ، فمن لم يتغنَّ بالقرآن

١٠ فليس منا » . فقوله : « فابكوا أو تباكوا » دليل على أن التغنى التحنين والترجيع . وروى عن

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يأذنُ اللهُ لشيءٍ من أهلِ الأرضِ إلا لأصواتِ المؤذنين ،

والصوت الحسن بالقرآن » . ومعنى قوله : « يأذنُ » يستمع له ؛ يقال : أذنتُ للشيءِ آذناً إذا

استمعتُ له ؛ قال الشاعر^(٧) :

صُمُّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرَتْ بِهِ وَإِنْ ذُكِرَتْ بِسَوْءٍ^(٧) عِنْدَهُمْ أَذِنُوا

(١) نسيبه صاحب اللسان في (مثل) إلى الأعشى .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « أى بدل سرى الليل ؛ كقولك شربت بالخر ماء ، أى بدل الخمر » .

(٣) في نسخة بمحاشيتي ت ، ف : « ليس » . (٤) د ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « وذكر عن

غير أبي عبيد جواب » . (٥) ت ، د ، ف : « ويرجع » . (٦) في نسخة بمحاشيتي الأصل ،

ت ، ف : « باني » . (٧) هو قنبل بن ضمرة ؛ أحد شعراء الدولة الأموية ، من أبيات ، في

(الحماسة — بشرح التبريزي ٤ — ١٢٤ ، والاقتضاب ٢٩٢ ، وشواهد المغني ٣٢٦) ، وقبله :

إِنْ يَسْمَعُوا رِيبةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا عَنِّي وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا

(٧) ف : « بشر » .

وقال عدى بن زيد العبادي^(١) :

أَيُّهَا الْقَلْبُ تَعَلَّلْ بَدَدَنْ إِنَّ هَمِّي فِي سَمَاعٍ وَأَذَنْ^(٢)

والأذن هو السماع ، وإنما حسن^(٣) تكرير المعنى اختلاف اللفظ . وللعرب في هذا

مذهب معروف ، ومثله :

* وَهِنْدًا أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأَى وَالْبُعْدُ *

فأما الدَدَنْ فهو اللهو/واللعب، وفيه لغات ثلاث: دَدَّ عَلَى مِثَالِ دَمَ، وَدَدَّا عَلَى مِثَالِ قَتَى، [١١]
وَوَدَدَنْ عَلَى مِثَالِ حَزَنْ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: « مَا أَنَا مِنْ دَدٍ وَلَا الدَّدِ مِثْلَهُ^(٤) » .

فإن قيل : كيف يُحْمَلُ قوله : « لا يأذن الله لشيء كإذنه لكذا وكذا » على معنى الاستماع ، وهو تعالى سامع لكل شيء مسموع ، فأى معنَى للاختصاص ؟ قلنا : ليس

المراد ههنا بالاستماع مجرد الإدراك ، وإنما المراد به القبول ، فكأنه عليه السلام قال : ١٠
إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ أَوْ يُثِيبُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ كَتَقْبُلِهِ وَثَوَابِهِ عَلَى كَذَا وَكَذَا ،
وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُمْ : هَذَا كَلَامٌ لَا أَسْمَعُهُ ، وَخَاطَبْتُ فَلَانًا بِكَلَامٍ فَلَمْ يَسْمَعْهُ^(٥) ، وَإِنَّمَا يَرِيدُ نَفَى
القبول لا الإدراك ، والبيت الذي أنشدناه يشهد بذلك ، لأنه قال :

* وَإِنْ ذُكِرْتُ بِسَوْءٍ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا *

ونحن نعلم أنهم يستمعون الذِّكْرَ بالخير والشر معاً من حيث الإدراك ؛ فوجهُ ١٥
الاختصاص ما ذكرناه .

(١) حاشية ت : « العباد قوم كانوا يخدمون النعمان فسماهم العباد وكان عدى هذا منهم » ؛ وحاشية
ف : « قوم اقتطعهم النعمان بخدمة ؛ فكان يقال لهم عباد النعمان ، فنسب عدى إليهم ، « وكان نصرانياً » .
(٢) حاشية الأصل : « البعد أقرب من النأى » . (٣) ش ، ف : « وإنما حسن تكرير
المعنى لاختلاف اللفظ » .

(٤) في حاشيتي الأصل ، ف : « قوله عليه السلام : « منيه » هذه الهاء للاستراحة ، وهي تدل على
تأكيد امتناعه من اللهو » . وفي ج ، وحاشيتي ت ، ف (من نسخة) : « مني » .
(٥) في حاشيتي ت ، ف : « ومن هذا الباب قوله : دعوت الله حتى خفت ألا يكون الله يسمع ما
أقول ؛ أى يجيب » .

وقد ذكر أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري وجهاً ثالثاً في الخبر ، قال : أراد عليه السلام :
 (١) مَنْ لَمْ يَتَلَذَّذْ بِالْقُرْآنِ ، وَيَسْتَحْلِهِ ، وَيَسْتَعِزَّ بِهِ ، وَيَسْتَعِزَّ بِتِلَاوَتِهِ كَاسْتِحْلَاءِ أَصْحَابِ الطَّرْبِ لِلْغِنَاءِ
 وَالتَّذَاهِمِ بِهِ . وَسَمِيَ ذَلِكَ تَغْنِيًّا مِنْ حَيْثُ يُفْعَلُ عِنْدَهُ مَا يُفْعَلُ عِنْدَ التَّغْنَى بِالْغِنَاءِ ، وَذَكَرَ أَنَّ
 ذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِمْ : الْعَاهِمُ تَيْجَانُ الْعَرَبِ ، وَالْحُبَابُ (٢) حَيْطَانُ الْعَرَبِ ، وَالشَّمْسُ سَحَامَاتُ
 الْعَرَبِ (٣) ؛ وَأَنشَدَ بَيْتَ النَّابِغَةِ :

بُكَاءُ سَحَامَةٍ تَدْعُو هَدِيلاً مُفَجَّعَةً عَلَى فَنَنِ تَغْنَى (٤)

فشبهه صوتها لما أطرب إطراب الغناء بالغناء ، وجمالوا العاهم لما قامت مقام التيجان
 تيجاناً ؛ وكذلك القول في الحُبا والشمس .

وجوابُ أبي عُميدٍ أَحْسَنُ الأَجْوِبَةِ وَأَسْلَمُهَا ، وَجَوَابُ أَبِي بَكْرٍ أَمَدُهَا ؛ لِأَنَّ التَّلَذُّذَ
 ١٠ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْمَشْتَهِيَّاتِ ، وَكَذَلِكَ الِاسْتِحْلَاءُ وَالِاسْتِعْزَابُ . وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ وَتَفْهَمُ مَعَانِيهِ
 مِنَ الْأَفْعَالِ الشَّاقَةِ ، فَكَيْفَ يَكُونُ مُلْذَئاً مُشْتَهَى (٥) ؟ ! فَإِنْ عَادَ إِلَى أَنْ يَقُولَ : قَدْ تُسْتَحْلَى
 التَّلَاوَةُ مِنَ الصَّوْتِ الْحَزِينِ (٦) ، قَلْنَا : هَذَا رَجُوعٌ إِلَى الْجَوَابِ الثَّانِي الَّذِي رَغِبْتَ عَنْهُ ،
 وَانْفَرَدَتْ عِنْدَ نَفْسِكَ بِمَا يَخَالِفُهُ .

وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِي الْخَبْرِ وَجْهٌ رَابِعٌ خَطَرَ لَنَا ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
 [١٢] / « مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ » مِنْ غَنَى الرَّجُلِ بِالْمَكَانِ إِذَا طَالَ مُقَامُهُ بِهِ ، وَمِنْهُ قِيلَ : الْمَغْنَى وَالْمَغَانِي ،
 وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كَأَنَّ لَمْ يَغْنُوا فِيهَا ﴾ [الأعراف : ٩٢] ، أَيْ لَمْ يُقِيمُوا بِهَا ، وَقَالَ

(١-١) ف : « مَنْ لَمْ يَتَلَذَّذْ بِالْقُرْآنِ وَلَمْ يَسْتَحْلِهِ وَلَمْ يَسْتَعِزَّ بِهِ » .

(٢) فِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ف : « جَمْعُ حَبْوَةٍ (بِكْسْرِ الْحَاءِ وَضَمِّهَا مَعًا) ، وَالْأَصْلُ فِيهِ الْإِحْتِبَاءُ
 بِالسَّيْفِ ، وَالِإِحْتِبَاءُ : شَدُّ الْيَدَيْنِ أَمَامَ الرِّكْبَتَيْنِ ، وَالِاسْمُ الْحَبْوَةُ » .

(٣) فِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ف : « أَيْ يَنْزِلُ مَنزِلَةً هَذِهِ الْأَشْيَاءُ » .

(٤) فِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ف : « الْمَهْدِيلُ : صَوْتُ الْحَمَامِ وَفَرخُهَا ، وَيَحْتَمِلُ الْمَعْنَيْنِ ؛ أَيْ تَدْعُو دَعَاءً ،
 صَوْتُهَا » ؛ وَالْبَيْتُ فِي دِيْوَانِهِ ٧٩ . (٥) فِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ (مِنْ نَسْخَةٍ) ، ف (عَنْ ش) : « شَيْءٌ مَلْذُؤٌ ؛
 أَيْ يَحْمَلُ عَلَى الْإِتِّدَادِ بِهِ ، وَيُقَالُ : لَدَدْتُ بِالشَّيْءِ ، وَلِذَلِكَ ، أَوْ وَجِدْتُهُ لَدِيدًا ، أَوْ عَدَدْتُهُ كَذَلِكَ » .

(٦) تَحْتَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ فِي الْأَصْلِ : « مِنْ نَسْخَةِ الشَّجَرِيِّ » ، وَفِي نَسْخَةِ بَحَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ت

الأسود بن يعفر^(١) الإيادي :

وَلَقَدْ غَنَوْا فِيهَا بِأَنْعَمِ غُنْيَةٍ فِي ظِلِّ مَلِكٍ ثَابِتِ الْأَوْتَادِ^(٢)

وقول^(٣) الأعشى الذي أنشده أبو عبيد وهو :

وَكَنتُ امْرَأً زَمَنًا بِالْعِرَاقِ عَفِيفَ الْمُنَاحِ طَوِيلَ التَّغَنِّ

٥ بطول المقام أشبه منه بالاستغناء ، لأن المقام بوصف بالطول ولا بوصف الاستغناء بذلك ، فكأن الأعشى أراد : إنني كنت ملازماً لوطني ، مقيماً بين أهلي ، لا أسافر للانتجاع والطلب ؛ ويجري قوله هذا مجرى قول حسّان بن ثابت الأنصاري :

أَوْلَادُ جَفَنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ^(٤)

أراد بقوله : « حول قبر أبيهم » أنهم ملوك لا ينتجعون^(٥) ، ولا يفارقون محالهم

وأوطانهم ؛ فيكون معنى الخبر على هذا الوجه : من لم يُقيم على القرآن ؛ فلا يتجاوزهُ^(٦) ١٠ إلى غيره ، ولا يتعداه إلى سواه ، ويتخذهُ مَغْنًى ومنزلاً ومقاماً فليس منا .

فإن قيل : أليس قد يتعدى القرآن إلى السنّة والإجماع وسائر أدلة الشرع ؟ فكيف

يُحَظَرُ علينا تعدّيه ؟ قلنا : ليس في ذلك تعدّد للقرآن ، لأن القرآن دالٌّ على وجوب اتباع

السنّة وغيرها من أدلة الشرع ، فمن اعتمد بعضها في شيء من الأحكام لا يكون متجاوزاً

للقرآن ، ولا متعدياً ؛ فأما قوله عليه السلام : « ليس مِنَّا » فقد قيل فيه : إنه لا يكون على ١٥

أخلاقنا ، واستشهد بيت النابغة :

(١) في حاشيتي الأصل : « ويعفر (بضم الياء والفاء) ، ويعفر أيضا (بضم الياء وكسر الفاء) .

ويعفر (بضم الياء والفاء) ينصرف لزوال شبه الفعل عنه .

(٢) البيت من قصيدة في المفضليات ٢١٧ ، وفي دءف ، وحاشية الأصل (من نسخة) ، والمفضليات « عيشة » .

(٣) ت : « وبيت » . (٤) ديوانه : ٨٠ ، وأولاد جفنة : ملوك غسان .

(٥) في حاشيتي الأصل ، ف : أي لا يحتاجون إلى الانتجاع ؛ فهم مقيمون في مكانهم .

(٦) حاشية ف : « ويتجاوزهُ ويتخذهُ » ، وفي حاشية الأصل : « قال السيد : في هذا

السلام اضطراب ، والصحيح : « يتجاوزهُ ويتعداه » ؛ إلا أن تكون « لا » زائدة ؛ والمعنى : من لم

يقم على القرآن بحيث لا يتجاوزهُ إلى غيره ، ويتعداه إلى سواه ؛ ولم يتخذهُ مغنى ، ويكون قوله « يتخذهُ »

معطوفاً على « يقيم » .

إِذَا حَاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فُجُورًا فَإِنَّ لَسْتَ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنِّي^(١)

وقيل إنه أراد : ليس على ديننا ، وهذا الوجه لا يليق إلا بجوابنا الذي اخترناه ، وهو بعمد بجواب أبي عبيد أليق ، لأنه محال أن يخرج عن دين النبي صلى الله عليه وملتته من لم يحسن صوته بالقرآن ، ويرجع فيه ، أو من لم يتلذذ بتلاوته ويستحليها .

مَسْأَلَةٌ

[١٢] / اعلم أن أصحابنا قد اعتمدوا في إبطال ما ظننه أصحاب الرؤية في قوله تعالى : ﴿ وَجُودَةٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴾ [القيامة ٢٢ - ٢٣] ، على وجوه معروفة ، لأنهم يتنوا أن النظر ليس يفيد الرؤية ، ولا الرؤية من أحدٍ محتملاته ، ودلوا على أن النظر ينقسم إلى أقسام كثيرة ؛ منها تقليب الحدقة الصحيحة حيال^(٢) المرئي طلباً لرؤيته ؛ ومنها النظر الذي هو الانتظار ؛ ومنها النظر الذي هو التطف والرحمة ؛ ومنها النظر الذي هو الفكر والتأمل ، وقالوا : إذا لم يكن في أقسام النظر الرؤية لم يكن للقوم بظاهاها تماق^(٣) ، واحتجنا^(٤) جميعاً إلى طلب تأويل للآية من غير جهة الرؤية . وتأولها بعضهم على الانتظار للشواب ، وإن كان المنتظر في الحقيقة محذوفاً ، والمنتظر منه مذكوراً على عادة للعرب معروفة . وسلم بعضهم أن النظر يكون الرؤية بالبصر ، وحمل الآية على رؤية أهل الجنة لنعم الله تعالى عليهم ؛ على سبيل حذف المرئي في الحقيقة . وهذا كلام^(٥) مشروح في مواضعه ، وقد بينا ١٥ ما يورد عليه ، وما يجاب به عن الشبهة المعترضة في مواضع كثيرة .

وهنا وجه غريب في الآية حكي عن بعض التأخرين^(٦) : لا يفترق معتمده إلى العدول عن الظاهر ، أو إلى تقدير محذوف ، ولا يحتاج إلى منازعتهم في أن النظر يحتمل الرؤية ،

(١) ديوانه : ٧٩ . (٢) ت ، حاشية ف (من نسخة) : « في جهة المرئي » .

(٣) ف : « النماق » . (٤) ت ، حاشية الأصل (من نسخة) : « واحتاج جميعنا » .

(٥) ت ، ف : « وهذا الكلام » . (٦) في حاشيتي ت ، ف : « يعني به الصاحب بن

أو لا يحتملها ؛ بل يصح الاعتماد عليه ؛ سواء كان النظر المذكور في الآية هو الانتظار بالقلب ، أو (١) الرؤية بالعين ، وهو أن يحمل قوله تعالى : ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ على أنه أراد به نعمة ربها ، لأن الآلاء النعم ، وفي واحدها أربع لغات : ألا مثل قفاً ، وأنى مثل رمى ، وإلى مثل معى ، وإلى مثل حسنى ؛ قال أعشى بكر بن وائل :

أَبْيَضُ لَا يَرْهَبُ الْهَزَالَ وَلَا يَقْطَعُ رِحْمًا وَلَا يَخُونُ إِلَىٰ (٢)

أراد أنه لا يخون نعمة ، فأراد « بإلى ربها » نعمة ربها ، وأسقط التنوين للإضافة .

فإن قيل : فأى فرق بين هذا الوجه وبين تأويل من حمل الآية على أنه أريد بها (٣)

إلى ثواب ربها ناظرة ، بمعنى رائية لنعمه وثوابه ؟ قلنا : ذلك الوجه يفتقر إلى محذوف ، لأنه

إذا جعل « إلى » حرفاً / ولم يعلقها بالرب تعالى ، فلا بد من تقدير محذوف ، وفي الجواب [١٣]

الذى ذكرناه لا يفتقر إلى تقدير محذوف ، لأن « إلى » فيه اسم يتعلق به الرؤية ولا يحتاج^و إلى تقدير غيره (٤) .

(١) ت . « أم » (٢) ديوانه : ١٥٥ ، واللسان (ألى) وفي حاشيتي الأصل ، ف :

« أبيض : كريم ، والهزال كناية عن فلة ذات اليد ، وخيانة النعمة أن يبخل بها » . (٣) ف : « به » .

(٤) في حاشيتي الأصل ، ف : « الوجه الأول أحسن ، وبمجارى كلام العرب أشبه ، وفي الفصاحة

أعرق ؛ وذلك أن وجه صاحب وإن كان له حمل في العربية ؛ فإن إعمال اسم الفاعل فيما قبله على هذا الوجه مما يجوز للإنسان إليه مضائق الشعر ؛ والقرآن موضع فصاحة ، ومحل فصاحة ، فالأولى غير هذا الوجه ؛ والله أعلم » .

مَجْلِسُ آخِرِ تَأْوِيلِ آيَةٍ

إن قال قائل: ما تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس : ١٠٠] .

وظاهرُ هذا الكلام يدلُّ على أن الإيمان إنما كان لهم فعله بإذنه وأمره ، وليس هذا مذهبكم ؛ وإن حُمِلَ الإِذْنُ هاهنا على الإرادة اقتضى أن مَنْ لم يقع منه الإيمان لم يردّه الله منه ، وهذا أيضا بخلاف قولكم . ثم جعلَ الرَّجْسَ الذي هو العذاب على الذين لا يعقلون ؛ ومن كان فاقدا عقله لا يكون مُكَلَّفًا ، فكيف يستحقُّ العذاب ؟ وهذا بالضد من الخبر المروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « أكثرُ أهلِ الجنة البُهله » .

الجواب ، يقال له في قوله تعالى : ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وجوه :

١٠ فيها ، ويأمر به ، ولا يكونُ معناه ما ظنّه السائلُ من أنه لا يكون للفاعل فعله إلا بإذنه ، ويجرى هذا مجرى قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران : ١٤٥] . ومعلوم أن معنى قوله : ليس لها في هذه الآية هو ما ذكرناه ، وإن كان الأشبهُ في هذه الآية التي فيها ذكرُ الموت أن يكون المرادُ بالإِذْنِ العلم .

ومنها أن يكون الإِذْنُ هو التوفيق^(١) والتيسير والتسهيل ، ولا شبهة في أن الله يوفق

١٥ لفعل الإيمان ويلطف فيه ، ويسهّل السبيل إليه .

ومنها أن يكون الإِذْنُ العلم من قولهم : أذنت لكذا وكذا إذا سمعته وعلمته ، وآذنت فلانا بكذا إذا أعلمته ؛ فتكون فائدة الآية الإخبار عن علمه تعالى بسائر الكائنات ، فإنه ممن

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « في هذه » .

لا يخفى عليه الخفيات . . وقد أنكر بعض مَنْ لا بصيرة له أن يكون الإذن (بكسر الألف وتسكين الذال) عبارةً عن العلم ، وزعم أن الذى هو العلم الأذنُ (بالتحريك) ، واستشهد بقول الشاعر^(١) :

[١٣]
ظ

/ * إِنْ هَمَّى فِي سَمَاعٍ وَأَذَنْ * /

- وليس الأمر على ما توهمه هذا المتوهم ، لأن الأذن هو المصدر ، والإذن هو اسم الفعل^(٢) ؛
فيجرى مجرى الحذر في أنه مصدر؛ والحذر (بالتسكين) الاسم على أنه لو لم يكن مسموعاً إلا الأذن (بالتحريك) لجاز التسكين ، مثل مَثَلٍ ومِثْلٍ وشَبَهٍ وشَبِهٍ ونظائر ذلك كثيرة .

ومنها : أن يكون الإذن العلم ، ومعناه إعلام الله المكلفين بفضل الإيمان وما يدعو إلى فعله ، ويكون معنى الآية : وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإعلام الله لها بما يبعثها على الإيمان ،
وما يدعوها إلى فعله .

فأما ظنُّ السائل دخولَ الإرادة في محتمل اللفظ فباطل ؛ لأن الإذن لا يحتمل الإرادة في اللغة ، ولو احتملها أيضاً لم يجب ما توهمه ، لأنه إذا قل : إن الإيمان لا يقع^(٣) إلا وأنا مُريدٌ له لم ينف أن يكون مُريداً لما لم يقع ، وليس في صريح الكلام ولا دلالة^(٤) شيء من ذلك .

١٥

وأما قوله تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ فلم يعم بذلك الناقص العقول ، وإنما أراد الذين لم يعقلوا ويعلموا^(٥) ما وجب عليهم علمه من معرفة الله خالقهم ، والاعتراف بنبوة رسوله والالتقياد إلى طاعتهم ، ووصفهم تعالى بأنهم لا يعقلون تشبيهاً ؛

(١) هو عدى من زيد العبادى ؛ وقد تقدم البيت بتمامه منسوبا إليه في ص ٣٣ .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « ومن هذا الباب الصرم ؛ فإنه مصدر صرم ، والصرم ؛ بالضم اسم ذلك الفعل الذى هو القطع ؛ لا المصدر » .

(٣) د ، ف ، حاشية ت (من نسخة) : « لم يقع » . (٤) ف ، حاشية ت (من نسخة) :

« ولا في دليله » . (٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « ولم يعلموا » .

كما قال تعالى: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَى﴾ [البقرة: ١٨] ، وكما يصفُ أحدنا مَنْ لم يفطن لبعض الأمور، أو لم يعلم ما هو مأمور بعلمه بالجنون وقد العقل .

فأما الحديثُ الَّذِي أوردَه السائلُ شاهداً له فقد قيل إنه عليه وآله السلام^(١) لم يُردْ بالبُلهِ ذوى الغفلة والنقص والجنون ، وإنما أراد البُلهَ عن الشرِّ والقبیح ، وسأهمُّ بُلهاً عن ذلك من حيث لا يستعملونه ولا يعتادونه ، لا من حيثُ فقدوا العلم به . ووجهُ تشبيهه من هذه حاله بالابلهِ ظاهر ، فإنَّ الأبداهَ عن الشيء هو الذى لا يعرض له ولا يقصد إليه ، فإذا كان المتنزّه عن الشرِّ مُعرضاً عنه ، هاجرا لفعله جاز أن يوصفَ بالبُلهِ للفائدة التى ذكرناها ؛ ويشهد بصحة هذا التأويل قول الشاعر :

وَتَمَدَّ لَهْوَتُ بَطْفَنَةِ مَيَّادَةٍ بِنَهَاءِ تُطْلُعِنِي عَلَى أَسْرَارِهَا^(٢)

[١٤] / أراد أنها بلهاء عن الشر والريبة ؛ وإن كانت فطنةً لغيرها ؛ وقال أبو النجم العجليّ :
مِنْ كَيْلِ عَجَزَاءِ سَقُوطِ الْبَرْقِعِ^(٣) بِلَهَاءِ لَمْ تُحْفَظْ وَلَمْ تُضَيِّعْ

أراد بالبلهاء ما ذكرناه . فأما قوله : «سقوط البرقع» فأراد أنها تُبرزُ وجهها ولا تستره ، ثقة^(٤) بحسنه وإدلالاً بجمله^(٥) ، وقوله : «لم تُحفظْ» أراد أن استقامة طرائقها تُفنى عن حفظها ، وأنها لعفاؤها^(٦) ونزاهتها غير محتاجة إلى مسدّد وموقّف ؛ وقوله : «لم تُضَيِّعْ» أراد أنها لم تهملْ ١٥ فى أعذيتها^(٧) وتنعيمها وترفيفها فتشقى ، ومثل قوله : «سقوط البرقع» قول الشاعر^(٨) :

(١) ت : « إن النبي صلى الله عليه وآله » ، ف : « إنه صلى الله عليه وآله » .

(٢) الأضداد ص ٢٦٢ ، واللسان (بله) - بلا عزو . والطفلة : الناعمة ؛ وفى ت ، د ، ف :

« ميالة » . (٣) اللسان (بله) .

(٤-٥) حاشية ت (من نسخة) : « بحسنها وإدلالاً بجملها » .

(٥) ش : « لعفاقتها » ، وفى حواشى الأصل ، ت ، ف : « عفا عفا وعفاة وعفاة » .

(٦) فى حاشيتى الأصل ، ف : « الأولى فى معنى لم تضيع أنها لا تخلو من خدم يختصون بها ؛ ليكون

هذا التضيع مطابقاً لتلك الحفظ » . وفى حاشية ت (من نسخة) : « فى تغذيتها » .

(٧) هو عمر بن أبى ربيعة ، والبيت فى ديوانه ٣٣ .

فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَقْبَاتٌ وَجُودًا زَهَاهاَ الْحُسْنَ أَنْ تَتَّقَنَّا (١)
ومثله أيضا :

بِهَآ شَرَقٌ مِنْ زَعْفَرَانٍ وَعَعْبَرٍ أَطَارَتْ مِنَ الْحُسْنِ الرَّدَّاءُ الْمُجَبَّرَا (٢)
أى رمت به عنها ثقة بالجمال والكمال (٣) ، ومثله - وهو مَلِيح (٤) :

٥ لَهْوَنَا بِمَنْجُولِ الْبَرَّاقِعِ حَقِيبَةً فَمَا بَالُ دَهْرٍ لَزْنَا بِالْوَصَاوِصِ (٥)
أراد بمنجول البراقع اللاتي يوسعن عيون براقعهن ثقة بحسنهن ، ومنه الطعنة النجلاء ،
والعين النجلاء ؛ ثم قال : ما بال دهرٍ أحوَجنا واضطرنا إلى القباح ، اللواتي يضيفن عيون
براقعهن لقبحهن ، والوصاوص : هى النقب الصغار للبراقع ؛ ومما يشهد للمعنى الأول الذى
هو الوصف بالبله لا بمعنى الغفلة قول ابن الدُمَيْنة :

١٠ بِمَالِي وَأَهْلِي مَنْ إِذَا عَرَضُوا لَهُ بَبَعِضِ الْأَذَى لَمْ يَدْرِ كَيْفَ يُجِيبُ (٦)
- ويروى بنفسى وأهلى -

وَلَمْ يَعْتَذِرْ عُذْرَ الْبَرِيِّ وَلَمْ تَزَلْ بِهِ ضَعْفَةٌ (٧) حَتَّى يُقَالَ مُرِيبٌ (٨)
ومثله :

أُحِبُّ اللَّوَاتِي فِي صِبَاهُنَّ غِرَّةٌ وَفِيهِنَّ عَنْ أَرْوَاجِهِنَّ طِمَاحٌ (٩)

(١) فى الديوان : « أشرفت » وفى حاشية ت (من نسخة) : « أسفرت » ، وفى حاشية الأصل
(من نسخة) : « تتبرقا » . (٢) البيت للشماخ ، ديوانه : ٢٩ . وفى حاشية الأصل ، ت ، ف :
« الشرق : أثر الطيب ؛ يقال : يده من الطيب شرقة . وشرقت الشمس : اصفرت من الغروب ؛ ومنه
أحمر شرق : شديد الحمرة ، وشرق الثوب بالصبيغ ، ولحم شرق : لا دسم فيه » . والمخبر : النقش .
(٣) حاشية ت (من نسخة) : « ثقة بجهاها وكالها » . (٤) فى نسخة بحاشية الأصل ، ت :
« حسن » . (٥) حاشية الأصل : « لزنا : أحوجنا » . (٦) الشعر والشعراء ٤٥٩ . وفى ت :
« بأهلى ومالى » . (٧) ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « سكتة » .
(٨) مرهيب : أنى برية . وفى حاشية الأصل . « أصل العذر أن تتعقب ذنبا ، والبرىء : لا ذنب له ؛
لأن أن تتصله قائم مقام العذر للمجرم ؛ فكأنه عذر مجازا » .

(٩) البيتان فى مصارع العشاق ٣٤٧ ، وعزاها إلى بعض الأعراب ، ورواية البيت الأول فيه :
أُحِبُّ اللَّوَاتِي هُنَّ مِنْ وَرَقِ الصَّبَا وَمِنْهُنَّ عَنْ أَرْوَاجِهِنَّ طِمَاحُ
ويقال : طمخ يبصره ؛ إذا رمى به ، وفى حاشية الأصل : « طمخ : شماس » .

مُسِرَّاتِ حُبِّ مُظْهِرَاتِ عَدَاوَةٍ تَرَاهُنَّ كَالْمَرَضَى وَهُنَّ صَحَاحٌ
ومثله :

يَكْتَبِينَ الْيَنْجُوجَ فِي كَبِدِ الْمَشَى تَى وَبُلَهْ أَحْلَامُهِنَّ وَسَامٌ^(١)

أما قوله : « يكتبين » فمأخوذ من لفظ الكِبَاء ، وهو العود ، أراد يتبخرن به ، واليَنْجُوجُ [١٤] هو/العود، وفيه ست لغات : يَنْجُوج ، وَأَنْجُوج ، وَيَلَنْجُوج ، وَالْمَنْجُوج ، وَالنَّجَج ، وَيَلَنْجَج .^ظ

فأما كَبِدِ الْمَشَى ، فهو ضَيْقَتُهُ^(٢) وشدته ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبِدٍ ﴾ [البلد : ٤] ؛ وقد روى : « في كَبَةِ الْمَشَى » والمعنى متقارب ، لأن الكَبَةَ هي الصدمة والحلمة ، مأخوذ من كَبَّ^(٣) الخليل ؛ وأما الْوَسَامُ فهنَّ^(٤) الحِسان من الوَسَامَةِ ، وهي الحُسن .
١٠ ويمكن أن يكون في البَلَهْ جواب آخر ، وهو أن يَحْمَلُ على معنى البَلَهْ الذي هو الغفلة والنقصان في الحقيقة ، ويكون معنى الخبر أن أكثر أهل الجنة الذين كانوا بُلَهًا في الدنيا ، فعندنا أن الله ينعم الأطفال في الجنة والمجانين والبهائم ، وإنما لم نجعلهم بُلَهًا في الجنة وإن كان ما يصل إليهم من النعيم على سبيل العِوَضِ أو التفضُّل^(٥) لا يفتقر إلى كمال العقل ، لأن الخبر ورد بأن الأطفال والبهائم إذا دخلوا الجنة لم يدخلوها إلا وهم على أفضل الحالات
١٥ وأكملها ، ولهذا صرفنا البَلَهْ عنهم في الجنة ، ورددناه إلى أحوال الدنيا ، وإلا فالعقل لا يمنع من ذلك كمنعه إياها في باب الثواب والعقاب .

(١) البيت لأبي دؤاد الإيادي ، وهو في الأسمعيات ٦٨ ، وفي حاشية الأصل : « أي عقولهن بله ، وهن وسام ، وواحد الوسام وسيم » .

(٢) ت : « ضيقة » ، ش : « ضيقته » ، بكسر الضاد وفي حاشيتي ت ، ف : « الضيقة : الضر والبؤس ؛ وهو الضيق أيضا » . (٤) في نسخة بمحاشيتي الأصل ، ت : « فهى » .

(٤) حاشية الأصل : « وهو ازدحامهما » .

(٥) في نسخة بمحاشي الأصل ، ت ، ف : « فإن التفضل » . د : « والتفضل » .

تَأْوِيلُ آيَةِ أُخْرَى

قال الله تعالى مخبراً عن يوم القيامة: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ، وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ. يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [هود: ١٠٣-١٠٥]. وقال في موضع آخر: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ. وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦]. وفي موضع آخر: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصفات: ٢٧، والطور: ٢٥].

وظاهر هذه الآيات ظاهر الاختلاف، لأن بعضها يُنبئ عن أن النطق لا يقع منهم في ذلك اليوم، ولا يُؤذن لهم فيه، وبعضها يُنبئ عن خلافه. وقد قال قوم من المفسرين في تأويل (١) هذه الآيات: إن يوم القيامة يومٌ طويلٌ مُمتدٌّ، فقد يجوز أن يُمنع النطق في بعضه، ويُؤذن لهم في بعض آخر (٢)؛ وهذا الجواب يُضعف، لأن الإشارة إلى يوم القيامة بطوله، فكيف يجوز أن تجعل الحالات فيه مختلفة؛ وعلى هذا التأويل يجب أن يكون قوله ١٠ تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ في بعضه، والظاهر بخلاف ذلك.

والجواب السديد عن هذا أن يقال: إنما أراد الله تعالى / نفى النطق المسموع المقبول [١٥] الذي ينتفمون به، ويكون لهم في مثله عُذر أو حُجّة، ولم ينفِ النطق الذي ليست هذه حاله، ويجرى هذا مجرى قولهم: خرّس فلان عن حُجّته، وحضرنا فلانا يُناظر فلانا فلم يقل شيئاً، وإن كان الذي وُصف بالخرّس عن الحُجّة، والذي نفى عنه القول قد تكلم بكلام كثير غزير، إلا أنه من حيث لم يكن فيه حُجّة، ولا به منفعة جاز إطلاق القول الذي حكيناه عليه؛ ومثل هذا قول الشاعر (٣):

(١) ت: «تأويلات». (٢) ف: «في موضع آخر». (٣) هو مسكين الدارمي؛ وهو ربيعة بن عامر بن أنيف؛ والبيتان في (معجم الأدباء ١١: ١٣٢). وفي حاشية الأصل: «قبلهما»:

ما ضرَّ جاراً لي أجاورُهُ إلا يكونَ لِيَابِهِ سِتْرُ

أَعْمَى إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجَتْ حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي الْخِذْرَ
وَيَصْمُ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا سَمِعِي وَمَا بِي غَيْرُهُ وَقَرُّ (١)

وقال الآخر :

لَقَدْ طَالَ كِتْمَانِيكَ (٢) حَتَّى كَأَنِّي بَرَدَّ جَوَابِ السَّائِلِ عَنكَ أَعْجَم (٣)

وعلى هذا التأويل قد زال الاختلاف ، لأن التساؤل والتلاؤم لا حُجَّةَ فيه .. وأما قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ ، فقد قيل : إنهم غيرُ مأمورين بالاعتذار ، فكيف يعتذرون ؟ ويجاب بحمل الإذن على الأمر ؛ وإنما لم يُؤمروا به من حيث كانت تلك الحال لا تكليفَ فيها ، وانعباد ملجئون عند مشاهدة أحوالهم إلى الاعتراف والإقرار . وأحسن من هذا التأويل أن يحْمَلَ ﴿ يُؤْذَنُ ﴾ ، على معنى أنه لا يُسْتَمَعُ لهم ، ولا يُقْبَلُ عذرهم ، والعلة في امتناع قبول عُذرهم هي التي ذكرناها (٤) .

(١) حاشية الأصل : « يريد به ؛ أي بقوله « بينهما » جاره وجارته ؛ لأنه ذكر الجار قبل الجارة في قوله : ما ضر جاراً ... البيت » ، وفي حاشية ف : « بينهما ، أي بين الجار وبين من تخاطبه ؛ والسكلام يدل على متخاطبين » . (٢) حاشية الأصل : « كتمان أمرِك وعشك » .

(٣) في حاشيتي ت ، ف : « بعده :

لِأَسْلَمَ مِنْ قَوْلِ الْوُشَاةِ وَتَسَلَمِي سَلِمْتَ وَهَلْ حَتَّى عَلَى النَّاسِ يَسْلَمُ
(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « قوله تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ . وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ

فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ ؛ التقدير : لا ينطقون بنطق يفهمهم ، ولا يعتذرون بمذر يفهمهم ، فيكون يعتذرون داخلًا في حيز النفي ، ولا يمكن حمله على الإيجاب إلا إذا كان المعنى على أنهم ينطقون بنطق يفهمهم ؛ لأنه إن حمل على الظاهر كان في السكلام تناقض ؛ لأن التقدير إذاً : هذا يوم لا ينطقون فيعتذرون ؛ وهذا تناقض ، لأن الاعتذار نطق ، وإن شئت كان التقدير : لا ينطقون بحال ، ولا يعتذرون ؛ لأن هناك موافق ؛ فيكون هذا في موقف ؛ ومثله قراءة الحسب والثقي : ﴿ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُونَ ﴾ ، فقوله : ﴿ يَمُوتُونَ ﴾ معطوف على ﴿ لَا يُقْضَى ﴾ أي لا يقضى عليهم فلا يموتون ؛ كذلك لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ؛ أي فلا يعتذرون ؛ وهذا أحسن ، والله أعلم » .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

رُويَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ: « لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ ، فَإِنَّ الدَّهْرَ (١) هُوَ اللَّهُ » .
وقد ذكر قومٌ في تأويل هذا الخبر أن المراد به لا تَسُبُّوا الدهرَ ، فإنه لا فِعْلَ له ، وإنَّ الله
مصرفُه ومدبرُه ، فحذف من الكلام ذكر المصرف والمدبر وقال : « هو الدهر » .

وفي هذا الخبر وجهٌ هو أحسنُ من ذلك الذي حكيناهُ ، وهو أن الملحدين ، ومن
نفى الصانع من العرب كانوا ينسبون ما ينزلُ بهم من أفعال الله تعالى كالمرض والعافية ،
والجذب والخصب ، والبقاء والفناء إلى الدهر ، جهلاً منهم بالصانع جلَّتْ عظمتُه ، ويذمون
الدهرَ ويسبونه في كثيرٍ من الأحوال ، من حيث اعتقدوا أنه الفاعلُ بهم / هذه الأفعال ، [١٥]
فنهام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ ذَلِكَ وقال لهم : لا تَسُبُّوا مَنْ فَعَلَ بِكُمْ هَذِهِ الْأَفْعَالَ مِمَّنْ
تَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ هُوَ الدَّهْرُ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْفَاعِلُ لَهَا . وإنما قال : إنَّ الله هو الدهرُ من
حيث نسبوا إلى الدهر أفعال الله ؛ وقد حكى الله تعالى عنهم قولهم : ﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ۗ
الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ [الجنائية : ٢٤] . وقال لبيد :

فِي قُرُومٍ سَادَةٍ مِنْ قَوْمِهِ نَظَرَ الدَّهْرُ إِلَيْهِمْ فَأَبْهَلَ (٢)
أَي دَعَا عَلَيْهِمْ . وقال عمرو بن قَمَيْثَةَ (٣) :

كَأَنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ تَسْعِينَ (٤) حِجَّةً خَلَعْتُ بِهَا عَنِّي عِذَارَ لِحَابِي (٥)

عَلَى الرَّاحَتَيْنِ مَرَّةً وَعَلَى الْعَصَا أَنْوَى ثَلَاثًا (٦) بَعْدَهُنَّ قِيَامِي ١٥
رَمْتَنِي بَنَاتُ الدَّهْرِ (٧) مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى فَكَيْفَ يَمُنُّ بِرُمَى وَلَيْسَ بِرَامِي

(١) كذا في الأصل ، ج ، د ، ش . وفي ت ، ف : « فإن الله هو الدهر » .

(٢) ديوانه : ٨٠ . وفي حاشية الأصل : « قروم : جمع قرم ؛ وهو سيد وشريف وكريم ؛
وابتهل ؛ من الباهلة ، أي تضرع وذلل » . (٣) الأبيات في العمري ٦٢ ، وحامسة البجرتي ٣٢١ .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « سبعين » . (٥) في حاشيتي الأصل ، ف : يقول :

« إن تسعين تركنتي لا أضبط أمراً ؛ فكأنني مخلوع العذار » . والضمير في بها يعود إلى تسعين .

(٦) في حاشيتي الأصل ، ف : « أي ثلاث دفعات » .

(٧) في حاشيتي الأصل ، ف : « بنات الدهر : بلاياه وحوادثه » .

فَلَوْ أَنَّهُ نَبَلٌ إِذَا لَا تَقِيَّتُهَا وَلَكِنِّي أُرْمَى بِغَيْرِ سِهَامٍ
 إِذَا مَا رَأَى النَّاسُ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ جَلِيداً حَدِيدَ الطَّرْفِ غَيْرَ كِهَامٍ
 وَأَفْنَى وَمَا أَفْنَى مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَةٌ وَلَمْ يُفْنِ مَا أَفْنَيْتُ سَلِكَ نِظَامٍ (١)
 وَأَهْلَكَنِي تَأْمِيلُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَتَأْمِيلُ عَامٍ بَعْدَ ذَاكَ وَعَامٍ

٥ وقال الأصمعي: ذم أعرابي رجلاً فقال: هو أكثر ذنباً من الدهر؛ وأنشد الفراء (٢):

حَنَنْتِي حَائِنَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى كَأَنِّي خَاتِلٌ أَدْنُو لِصَيْدٍ (٣)
 قَصِيرُ الْخَطْوِ يَحْسِبُ مَنْ رَأَى وَلَسْتُ مُقَمِّدًا أُنِّي بِقَيْدِ
 وقال كثير (٤):

وَكَنتُ كَذِي رَجُلَيْنِ رِجْلٍ صَحِيحَةٍ وَرِجْلٍ (٥) رَمَى فِيهَا الزَّمَانُ فَشَلَّتْ
 وقال آخر (٦):

فَلَسْتَ تَأْتِرُ الدَّهْرُ الْغَدَاةَ بِهِمْ وَالِدَّهْرُ يَرْمِينِي وَمَا أُرْمَى
 يَا دَهْرُ قَدْ أَكْثَرْتَ فَجَعَلْتَنَا بَسْرَاتِنَا (٧) وَوَقَرْتَ فِي الْعَظْمِ

أما قوله: وقرت في العظم، أراد به: اتخذت فيه وقراً، أو وقيرةً، والوقرُ هو الحفيرة

[١٦] / العظيمة تكون في الصفا يستنقع فيها ماء المطر، والوقبُ أيضاً كذلك، والوقيرة أيضاً الحفيرة

١٥ إلا أنها دون الأولين في الكبر.

وكل هؤلاء الذين روينا أشعارهم نسبوا أفعال الله التي لا يشاركه فيها غيره إلى الدهر، فحسن وجه التأويل الذي ذكرناه.

(١) في حاشيتي الأصل، ف: «أى لم يفن ما أفنيت من العمر بشيء حتى يخطئ».

(٢) البيتان في حماسة البحتري ٣٢٣. (٣) ت، ف: «حابل»:

(٤) أمالي الفال ١: ١٠٩، من تائينه المشهورة. (٥) ف، حاشية ت (من نسخة): «وأخرى»

(٦) هو الأعمش، والبيتان في ملحقات ديوانه ٢٥٨، وثانیهما في اللسان (وقر) وفي حاشية

الأصل: بعدهما:

وَسَلَبْتَنَا مَا لَسْتُ نُنْقِبُنَا يَا دَهْرُ مَا أَنْصَفْتَ فِي الْحُكْمِ

(٧) حاشية الأصل: «جمع السرى، ورجل سرى، والقوم سراة».

مَسْأَلَةٌ

إِعلم أن المنافع التي عرّض الله تبارك وتعالى الأحياء لها ثلاثٌ : منفعةٌ تفضّل ، ومنفعةٌ عوّض ، ومنفعةٌ ثواب ، فأما المنفعةُ على سبيل التفضّل فهي الواقعةُ ابتداءً من غير سبب استحقاق ، ، ولفاعلها أن يفعلها ، وله ألاّ يفعلها ، وأما منفعة العوّض فهي المنفعة المستحقّة من غير مقارنة شيء من التعظيم والتبجيل لها ، وأما منفعةُ الثواب فهي المستحقّة على وجه التعظيم والتبجيل فمنفعة العوّض تبيّن من التفضّل بالاستحقاق ، والثواب يبيّن من العوّض ٥ بالتعظيم والتبجيل ، المصاحبين له ؛ فكأنّ التفضّل أصلٌ لسائر المنافع من حيث يجب تقدمه وتأخر ما عداه ؛ لأنه لا سبيل للمنتفع أن ينتفع بشيء دون أن يكون حياً له شهوة^(١) ، والابتداء بخلق الحياة والشهوة تفضّل ، فقد صح^(٢) أنه لا سبيل إلى النفع بمنفعة العوّض والثواب إلا بعد تقدّم التفضّل . فأما المنفعةُ بالثواب فهي الأصل للمنفعة بالعوّض ؛ لأنّ الآلام وما جرى مجرى الآلام^(٣) مما يُستحقّ به العوّض متى لم يكن فيها اعتبار يُفضى إلى الثواب ، ١٠ ويستحق به لم يحسّن فعلها ، وجرى عندنا مجرى العبث ، ولهذا نقول : إن الله تعالى لو لم يكفّ أحداً من المكلفين ما كان يحسّن منه أن يبتدىء بالآلام^(٤) ، وإن عوّض عليها .

والأحياء على ضروب فمنهم من عرّض للمنافع الثلاث . ومنهم من عرّض لاثنتين ، ومنهم من عرّض لواحدة ، والمكلف المرّض للثواب لا بد أن يكون منفوعاً بالتفضّل من الوجه الذي قلنا ؛ لأنه إذا خلق حياً وفعل له القدرة والشهوة والعقل وضروب التمكين ، فقد ١٥ نُفِع بالتفضّل ، وليس يجب فيمن هذه حاله أن يكون منفوعاً بالعوّض ؛ لأنّه لا يمتنع أن يخلو المكلف منّا من ألمٍ يُحدثه^(٥) الله به ؛ فلا يكون معرّضاً للعوّض ؛ فمتى عرّض له فقد تكاملت فيه المنافع ؛ فصار/ المكلف مقطوعاً على تعريضه لاثنتين من المنافع ؛ ومجوزاً تكامل [١٦]
الثلث له ؛ فأما من ليس بمكلف فمقطوع فيه على إحدى المنافع ، وهي التفضّل من حيث

(١) ش ، ومن نسخة بحاشية ت : « ذاشهوة » . (٢) ش ، ومن نسخة بحاشية ت : « وضع » .

(٣) في حاشيتي ت ، ف : « الجارى مجرى الآلام كنقص الأموال والأولاد » .

(٤) في حاشية ت (من نسخة) : « بالآلام » . (٥) ت « يبتدئه » .

خُلِقَ حياً ، ومُكِّنَ من كثير من المنافع ، ومشكوك في تعريضه للعروض من الوجه الذي بينا .
وكما قطعنا على إحدى المنافع فيه ، فنحن قاطعون أيضاً على نفي التعريض للثواب عنه ، لفقد ما يوصل^(١) إليه وهو التكليف ، ولا بد في كل حيٍّ محدث أن يكون معرضاً لإحدى هذه المنافع ، أو لجميعها ؛ وإنما أوجبنا^(٢) ذلك من جهة حكمة القديم تعالى ؛ لامن جهة أنه يستحيل^(٣) في نفسه ، وإنما قلنا إنه ليس يستحيل^(٤) ؛ لأن كونه حياً وعاقلاً وذا شهوة وقدرة ليس منفعةً بنفسه ، وإنما يكون منفعةً ونعمةً إذا فعل تعريضاً للنفع ؛ فأما إذا فعل تعريضاً للضرر أو لأوجهٍ من الوجوه ، فإنه لا يكون نعمةً ولا منفعةً ، وأوجبناه من جهة حكمة القديم تعالى ، لأنه إذا جعل الحيَّ بهذه الصفات ، فلا يخلو من أن يكون أراد بها نفعه أو ضرره ، أو لم يرد بها شيئاً ، فإن كان الأول فهو الذي أوجبناه ، وإن كان الثاني أو الثالث فالقديم تعالى متنزّه^(٥) عنهما ، لأن الثاني يجرى مجرى الظلم ، والثالث هو العبث بعينه ، وقد يشارك القديم تعالى في النفع بالتفضل والعوض الفاعلون المحدثون ، ولا يصح أن يشاركوه في النفع بالثواب ، لأن الصفة التي يستحق المكلف لكونه عليها الثواب ، وهي كون الفعل شاقاً عليه لا يكون إلا من قبله تعالى ، وليس لأحد أن يظن فيمن يهدى إلى الدين ويرشد إلى الإيمان ، وما يستحق به الثواب أنه معرض للثواب ، وذلك أن^(٥) المكلف قد يكون معرضاً للثواب ، ويصح أن يستحقه من دون كل هداية وإرشاد يقع منّا ، ولولا الصفة التي جعله الله تعالى عليها لم يصح^(٦) أن يستحقه ، فبان الفصل بين الأمرين ؛ على أن أحدنا وإن نفع غيره بالتفضل وبالتعريض للعوض فهذه المنافع منسوبة إلى الله تعالى ، ومضافة إليه من قبل أنه لولا نعمة ومنافعه لم تكن هذه منافع ولا نعماً ؛ ألا ترى أنه لو لم يخلق الحياة والشهوة/ لم يكن ما يوصل إليهما مما ذكرنا منفعةً ولا نعمةً ، ولو لم يخلق المشتهى الملذوذ لم يكن سبيل لنا إلى النفع والإينام ؛ فبان بهذه الجملة ما قصدناه .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « يوصله » . (٢) في نسخة بمحاشيت ت ، ف : « وجب » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « مستحيل » ، وحاشية ف (من نسخة) : « بمستحيل » .

(٤) ت ، وحاشية ف (من نسخة) : « متزّه » . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « لأن » .

(٦) ساقطة من ت .

مجلس آخر تأويل آية

إن سأل سائل فقال : ما تأويل قوله تبارك وتعالى مخبراً عن مهلك قوم فرعون وتوريبته نعمهم : ﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ . فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴾ [الدخان : ٢٨ ، ٢٩] .

وكيف يجوز أن يُضيف البكاء إليهما ، وهو لا يجوز في الحقيقة عليهما ؟ .

الجواب ، يقال له في هذه الآية وجوه أربعة من التأويل :

أولها أنه تعالى أراد أهل السماء والأرض فحذف كما حذف في قوله : ﴿ واسأل القرية ﴾ [يوسف : ٨٢] ؛ وفي قوله تعالى ﴿ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ [محمد : ٤] وأراد أهل القرية ، وأصحاب الحرب ، ويجرى ذلك مجرى قولهم : السخاء حاتم ، يريدون : السخاء سخاء حاتم ؛ قال الحطيطي^(١) :

وَشَرُّ الْمَنَايَا مَيِّتٌ وَسَطٌ أَهْلُهُ كَهَيْلِكَ الْفَتَى قَدْ أَسْلَمَ الْحَى حَاضِرُهُ^(٢) ١٠
أراد شر المنايا مَيِّتٌ^(٣) مَيِّتٌ ؛ وقال الآخر :

(١) البيت في طبقات الشعراء لابن سلام ص ٩٥ ؛ ضمن أبيات أربعة للحطيطي لم تذكر في ديوانه . وفي حاشيتي الأصل ، ف : « قال السيد الإمام عليه السلام : طلبت هذا البيت في شعر الحطيطي فلم أجده فيه » .

(٢) في حواشي الأصل ، ت ، ف : « قوله : « شر المنايا » تقديره شر المنايا موت مَيِّت فيما بين عشيرته ؛ كهلاك هذا الفتى في حال أن أسلم الحى حاضر هذا الفتى ؛ أى أن حضاره أسلموا الحى ، ولم ينصروه ، ولم يمنعوا ذمارهم » .

(٣) ف ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « منية » .

قَلِيلٌ عَيْبُهُ وَالْعَيْبُ جَمٌّ وَلَكِنَّ الْغِنَى رَبٌّ غَفُورٌ^(١)

أراد: غنى رب غفور؛ وقال ذو الرمة:

لَهُمْ مَجْلِسٌ صُهَبُ السَّبَالِ أَذَلَّةٌ سَوَاسِيَّةٌ أَحْرَارُهَا وَعَبِيدُهَا^(٢)

أراد أهل مجلس ، وأما قوله : « صُهَبُ السَّبَالِ » فإثما أراد به الأعداء ، والعرب تصف الأعداء بذلك ، وإن لم يكونوا صهب الأسيلة ، وقوله : « سواسية » يريد أنهم مستوون متشابهون؛ ولا يقال هذا إلا في الذم .

وثانيتها أنه أراد تعالى المبالغة في وصف القوم بصغر القدر ، وسقوط المنزلة ؛ لأن العرب إذا أخبرت عن عظم المصاب بالمهلك^(٣) قالت : كُسِفَتِ الشَّمْسُ لِفَقْدِهِ ، وَأَظْلَمَ الْقَمَرُ ، وبكاء

(١) البيت لعروة بن الورد ، وهو في ملحقات ديوانه : ١٩٨ ، وهو في شرح المقامات ٢ : ١٩٢ ، والبيان ١ : ٩٥ ، والعقد ١ : ٢١٢ ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « قال مولانا الإمام : كان السيد رضى الله عنه وهم في معنى هذا البيت . ومعنى البيت : أن الشاعر وصف إنسانا بكثرة العيوب ؛ لأن مالها وغناه يستتران عليه عيوبه ، فكأنه قال : قليل عيبه ، يعنى يقل ظهور عيبه مع كثرة عيوبه ؛ إلا أن الغنى يستترها عليه ؛ كأنه رب غفور ستار للعيوب . ومعنى البيت على ما يوافق استشهاد السيد رضى الله عنه أنه يمدح إنسانا ويقول : قليل عيب هذا المدوح مع كثرة العيب في الناس ؛ ولكن الغنى عما يجير المعاييب هو غنى الله تعالى . والأشبه بالبيت أن يكون هجوا ؛ كأنه يهجو إنسانا ويقول : يرى عيبه قليلا مع كثرة العيوب فيه ، والذي يقلل عيبه غناه كأنه رب غفور ، وأول القطعة :

ذَرِينِي لِلْغِنَى أَسْمَى فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ شَرَّهُمُ الْفَقِيرُ
وَأَبْعَدُهُمْ وَأَهْوَنُهُمْ عَلَيْهِمُ وَإِنْ أَمْسَى لَهُ حَسْبٌ وَخَيْرُ
يَبَاعِدُهُ النَّدَى وَتَزْدَرِيهِ حَلِيلَتُهُ وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ
وَتَلْقَى ذَا الْغِنَى وَلَهُ جَلَالٌ يَكَادُ فَوْادٍ صَاحِبُهُ يَطِيرُ
قَلِيلٌ عَيْبُهُ

(٢) ديوانه ١٥٧ وفي حاشيتي الأصل ، ف : « العرب إنما تسمى الأعداء صهب السبال ؛ لأن أعداءهم كانوا من الروم ؛ والروم صهب الأسيلة ، ثم اتسعوا فسموا كل عدو صهب السبال ؛ وإن لم يكن من الروم ، والغريب من هذا يصفون الأعداء بالزرق العيون . »
(٣) ف ، ت (من نسخة) : « بالملك » .

الليل والنهار والسماء والأرض ، يريدون بذلك المبالغة في عظم الأمر وشمول ضرره؛ قال جرير
يَرْتِي عَمْرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ (١) :

(١) حاشية ف : « حدث إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي قال : حدثنا عبدالله ابن أخت أبي الوزير
عن أبي محمد الشامي : كنت غلاما في خلافة عمر بن عبد العزيز ؛ فلما أخذ عمر في رد المظالم غلظ ذلك على
أهل بيته ، وعلى جميع قريش ، فكتب إليهم عبد الرحمن بن الحكم بن هشام :

فَقُلْ لِهَشَامٍ وَالَّذِينَ تَجَمَعُوا بَدَائِقَ مَوْتُوا لِاسْلَمَةَ يَدِ الدَّهْرِ
فَأَنْتُمْ أَخَذْتُمْ حَتْفَكُمْ بِأَكْفَكُمْ كِبَاحِثَةً عَنْ مُدْيَةٍ وَهِيَ لَا تَدْرِي
عَشِيَّةَ بَايَعْتُمْ إِمَامًا مُخَالَفًا لَهُ شَجَنٌ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالْحِجْرِ

فأجابهم بعضٌ ولِدِ مَرْوَانَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ :

لَنْ كَانَ مَاتَدْعُو إِلَيْهِ هُوَ الرَّدَى فَمَا أَنْتَ فِيهِ ذَا غَنَاءٍ وَلَا وَفْرِ
فَأَنْتَ مِنَ الرَّيْشِ الذَّنَابِي وَلَمْ تَكُنْ مِنَ الْجَزَلَةِ الْأُولَى وَلَا وَسَطِ الظَّهْرِ
وَنَحْنُ كَفَيْنَاكَ الْأُمُورَ كَمَا كَفَى أَبُونَا أَبَاكَ الْأَمْرَ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ

قال القاضي : قول عبد الرحمن بن عبد الحكم في شعره هذا : « بدابق » ، فلم يصرفه ، وفي صرفه
وترك صرفه وجهان معروفان في كلام العرب ، والعرب تذكره وتؤنثه ؛ فمن ذكره صرفه ؛ كما قال
الشاعر :

* بَدَائِقٍ وَأَيْنَ مِثِّي دَائِقٍ *

ومن أنه لم يصرف ؛ كما قال الآخر :

لَقَدْ خَابَ قَوْمٌ قَلْدُوكَ أُمُورَهُمْ بَدَائِقٍ إِذْ قِيلَ الْعَدُوُّ قَرِيبٌ

وقوله :

* كِبَاحِثَةٍ عَنْ حَتْفِهَا وَهِيَ لَا تَدْرِي *

هذا مثل يضرب للذي يثير بجهله ما يؤديه إلى هلاكه ، أو الإضرار به ، وأصله أن ناساً أخذوا شاة
ليست لهم ، فأرادوا أكلها فلم يجدوا ما يذبحونها به ؛ فهموا بتخليتها فاضطربت عليهم ، ولم تزل تثير الأرض
وتبعثرها بقوائمها ؛ فظهر لهم فيما احتقرته مديّة فذبحوها بها ، وصارت هذه القصة مثلاً سائرا . وقول
المرواني : « وأنت من الريش الذنابي » يقال : ذنب الفرس وغيره ، وذنابي الطائر ، وذنابي الوادي وذنابته ،
ومذنب النهر .

[١٧] الشَّمْسُ طَالَعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نَجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَ (٢) ظ

وقال يزيد بن مفرغ الحميري :

الرَّيْحُ تَبْكِي شَجْوَهَا وَالْبَرْقُ يَلْمَعُ (٣) فِي الْعَمَامَةِ (٣)

وهذا صنيمهم في وصف كل أمرٍ جلَّ خطبُهُ ، وعظُم موقعه ؛ فيصفون النهار بالظلام ،

٥ وأن الكواكب طلعت نهاراً لفقد نور الشمس وضوئها ؛ قال النابغة :

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالَعَةٌ لَا النُّورُ نُورٌ وَلَا الإِظْلَامُ إِظْلَامٌ (٤)

وقال طرفة :

إِنْ تُنَوَّلُهُ فَقَدْ تَمَنَّمُهُ وَتُرِيهِ النِّجْمَ يَجْرِي بِالظَّهْرِ (٥)

ومن هذا قولهم : لأريتك الكواكب بالنهار، ومعناه أورد عليك ما يُظلم له في عينك

١٠ النهار، فتظنُّه ليلاً إذا كواكب .

فأما بيت جرير فقد قيل في انتصاب النجوم والقمر (٦) وجوه ثلاثة : أحدها أنه أراد أن الشمس طالعةٌ وليست مع طلوعها كاسفةٌ نجوم الليل والقمر ، لأنَّ عظيمَ الرزء قد سلَّها ضوءها ؛ فلم يناف طلوعُها ظهور الكواكب . والوجه الثاني أن يكون انتصاب ذلك كما ينتصب في قولهم : لا أكلمك الأبد، والدهر، وطوال المُسند (٧) ، وما جرى مجرى ذلك ، فكأنه أخبر

(١) ديوانه ٣٠٤ .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « بضحك » .

(٣) البيت من قصيدة له مطلعها :

أَصْرَمْتُ حَبْلَكَ مِنْ أَمَامَةٍ مِنْ بَعْدِ أَيَّامِ بَرَامَةٍ

قال ابن قتيبة : « وهي أجود شعره » ؛ وهي في الأغاني ١٧ : ٥٤ - ٥٥ ، والخزانة ٢ : ٢١٣ -

٢١٤ ، ٥١٦ ، ٥٢٠ .

(٤) ديوانه : ٧٢ .

(٥) ديوانه : ٦٥ . وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « يقول : إن تنوله هذه المرأة مرة نوالا

فقد تمنعه أحيانا ، وتريه النجم ظهراً ؛ وهذا مثل للأمر الصعب » .

(٦) في حاشيتي الأصل ، ف : « عظم الشيء : معظمه ، وعظمه : كبره » .

(٧) حاشية الأصل : « المسند : الزمان ؛ يقال : لا أكله أبد المسند » .

بأن الشمس تبكيه ما طلعت النجوم وظهر القمر^(١). والوجه الثالث أن يكون القمر ونجوم الليل باكين الشمس على هذا المرثى المفقود، فبكتين؛ أي غلبت بهن بالبكاء؛ كما تقول: باكاني عبدُ الله فبكيته، وكأثرني فكثرتُه، أي غلبته وفضتُ عليه.

وثالثها أن يكون معنى الآية الأخبارَ عن أنه لا أحدٌ يأخذُ بثأرهم ولا انتصر لهم، لأن العرب كانت لا تبكي على قتيل إلا بعد الأخذ بثأره، وقتل من كان بواءً به من عشيرة القاتل، فكنيتُ تعالى بهذا اللفظ عن فقد الانتصار، والأخذ بالثأر؛ على مذهب القوم الذين خوطبوا بالقرآن.

ورابعها أن يكون ذلك كناية عن أنه لم يكن لهم في الأرض عمل صالح يرفع منها إلى السماء. ويطابق هذا التأويل ما روى عن ابن عباس رحمة الله عليه / في قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ [١٨] وَعَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ قيل له: أو تبكيان على أحد؟ فقال: نعم، مصلاؤه في الأرض، ومصعد عمله في السماء. وروى أنسُ بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «ما من مؤمنٍ إلا وله بابٌ يصعدُ منه عمله، وبابٌ ينزلُ منه رزقُه، فإذا مات بكيا عليه»، ومعنى البكاء هاهنا الإخبار عن الاختلال بعده كما يقال: بكى منزلُ فلان بعده، قال ابن مقبل:

لعمري أيبكٍ لقد شاقني مكان حزنٍ له أو حزن

١٥

وقال مزاحم الثقبلي:

بكت دَارُهُمْ مِنْ أَجْلِهِمْ وَتَهَلَّلَتْ دُمُوعِي فَأَيَّ الْجَازِعِينَ أُلُومُ^(٢)
أَمْسْتَعْبِرًا يَبْكِي مِنَ الْهَوْنِ وَالْبَلَى وَآخَرَ يَبْكِي شَجْوَهُ وَيَتِيمُ^(٣)

(١) حاشية الأصل: «قال مولانا عليه السلام: أراد هذه الصورة: الشمس طالعة ليست بكاسفة؛ ولسكنها مع ذلك تبكي عليك، وستبكي مدة طلوع النجوم والقمر».

(٢) ديوانه ١٥ - ١٦.

(٣) حاشية ف: «المستعبر: الذي يأتي بالعبرة، وهي سين الطلب، و«مستعبرا»، بدل الجازعين.

ويهم، أي يصير هائما، قال الله تعالى: ﴿فِي كُفْلٍ وَادٍ يَبِيمُونَ﴾.

فإذا لم يكن لهؤلاء القوم الذين أخبر الله عن بوارهم مقامٌ صالح في الأرض ، ولا عمل كريم يُرْفَع إلى السماء جاز أن يقال : فما بكت عليهم السماء والأرض .

ويمكن في الآية وجه خامس ، وهو أن يكون البكاء فيها كنايةً عن المطر والسُّقيا ؛ لأن العرب تشبّه المطرَ بالبكاء ، ويكون معنى الآية أن السماء لم تسقِ قبورهم ، ولم تجدْ عليهم بالقطر ؛ على مذهب العرب المعروف في ذلك ؛ لأنهم كانوا يستسقون السحاب لبور من فقدوه من أعزّ أمهم ، ويستنبتون لمواقع خفرهم الزهر والرياح ؛ قال النابغة :

فَلَا زَالَ قَبْرُ بَيْنَ ثُبْنَى وَجَاسِمٍ عَلَيْهِ مِنَ الْوَسْمِيِّ طَلٌّ وَوَابِلٌ^(١)
فِيُنْبَتَ حَوْذَانًا وَعَوْفًا مَنُورًا سَاتِبَعُهُ مِنْ خَيْرِ مَا قَالَ قَائِلٌ^(٢)

وكانوا يُجرون هذا الدعاء مجرى الاسترحام^(٣) ، ومسألة الله تعالى لهم الرضوان ، والفعل ١٠ الذي أضيف إلى السماء وإن كان لا يجوز إضافته إلى الأرض - فقد يصح عطفُ الأرض على السماء بأن يقدر لها فعلٌ يصح نسبه إليها ، والعرب تفعل مثل هذا ؛ قال الشاعر :

يَأْلَيْتَ زَوْجِكَ فِي الْوَعَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمِحًا^(٤)

(١) ديوانه ٦٢ . والرواية فيه :

سَقَى الْغَيْثُ قَبْرًا بَيْنَ بُصْرَى وَجَاسِمٍ بَغِيثٍ مِنَ الْوَسْمِيِّ قَطْرٌ وَوَابِلٌ

وتبني وجاسم : موضوعان بالشام . وفي حاشيتي الأصل ، ف : « الوسمي : أول المنظر ، وهو الذي يأتي في الحريف ، والحريف عند العرب ربيع ، والربيع صيف ، والصيف قيظ » .

(٢) حاشية ف : « فينبت ، النصب في جواب التني ، والحوذان : نبت ، يقال له بالعامرية مشكك ، وعوف : نبت أيضا ، ومنورا : أخرج الثور » .

وقال البطليوسي شارح الديوان : « الخوذان والعوف نباتان ؛ إلا أن الخوذان أطيب رائحة ؛ وأنشد سيبويه هذا البيت بالرفع ؛ ولم يجعله جوابا ؛ أراد : وذلك ينبت حوذانا ، أي ينبت الخوذان على كل حال » .

(٣) حاشية الأصل : « قال مولانا عليه السلام عن ابن الأعرابي : إن العرب إنما تستسق القبور لأنها إذا سقيت وعم القطر أعشب المكان ؛ فخره القوم للرعي ، وترحموا على الموتى » .

(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « روى : « قد غدا متقلدا » ؛ وإذا روى « في الوعى » كان « متقلدا » نصبا على الحال . وقوله : « في الوعى » خبر لبيت » .

فقطف الرمحَ على السيف ، وإن كان التقلد لا يجوز فيه ، لكنه أراد حاملًا رمحاً ،
ومثل هذا يقدر/ في الآية ، فيقال : إنه تعالى أراد أن السماء لم تسق قبورهم ، وأن الأرض [١٨]
لم تُعشِبْ عليها^(١) ؛ وكلُّ هذا كنايةٌ عن حرمانهم رحمة الله تعالى ورضوانه .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ : «إِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
أَدْوَمُهَا»^(٢) وَإِنْ قُلَّ ؛ فَعَلَيْكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ بِمَا تُطِيقُونَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا .
وفي وصفه^(٣) - عليه السلام - الله تعالى بالمللِ وجوهٌ أربعة :

أَوَّلُهَا أَنَّهُ أَرَادَ نَفَى الْمَلَلِ عَنْهُ ، وَأَنَّهُ لَا يَمَلُّ أَبَدًا ، فَعَلَّقَهُ بِمَا لَا يَقَعُ عَلَى سَبِيلِ التَّبَعِيدِ
كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ ؛ [الأعراف ٤٠] .

وقال الشاعر :

فَإِنَّكَ سَوْفَ تَحْكُمُ أَوْ تَنَاهَى^(٤) إِذَا مَا شَبَّتَ أَوْ شَابَ الْغُرَابُ^(٥) .

(١) د ، ف ، وحاشية ت (من نسخة) : « عليهم » .

(٢) في حاشية الأصل ، ف : « كان في الأصل المقروء على المصنف « أدومها » [بضم الواو]
والمعروف أدومها [بفتح الواو] » .

(٣) ف ، وحاشية ت (من نسخة) : « في صفته » .

(٤) حاشية الأصل : « تناهى : تملغ الشيخوخة » .

(٥) حواشي الأصل ، ت ، ف : « البيت للناطقة الديباني ، وقبله :

فَإِنَّ يَكْ عَامِرٌ قَدْ قَالَ جَهْلًا فَإِنَّ مَطِيَّةَ الْجَهْلِ الشَّبَابُ

يهجو عامر بن الطفيل ، يقول : هو معذور فإنه شاب ، ثم قال : سوف تحكم إذا شخت ؛ أو لعلك
لا تحكم أبدا ؛ حتى يشيب الغراب ، وذلك لا يكون أبدا ، وتحكم ، أى تصير حكيمًا ، وفعل ، بضم العين :
يحيى ، لما يدخل على الإنسان فيصير كالطبع ؛ كقولك : سفه يسفه سفاهة ، ولم يكن سفها فسفه . وتحكم
من حكم يحكم [بضم الكاف] حكمة ؛ إذا صار حكيمًا .

أراد أنك لا تحكّم أبداً . فإن قيل : ومن أين قلمت : إن ماعلقه به لا يقع حتى حكمتُم بأنه أراد نفي المَلَل على سبيل التأييد؟ قلنا: معلوم أن المَلَل لا يَشْمَل البشرَ في جميع آراهم^(١) وأوطارهم ، وأنهم لا يَعْرَوْنَ من حرص ورغبة وأمل وطمع ، فلماذا جاز أن يعلّق ما عليهم تعالى أنه لا يكون بمثلهم .

٥ والوجه الثاني أن يكون المعنى أنه لا يفضّب عليكم ويطرحكم حتى تتركوا العمل له ، وتُعرضوا عن سؤاله ، والرغبة في حاجتكم إلى جوده ؛ فسمّى الفعلين مَللاً ؛ وإن لم يكونا على الحقيقة كذلك؛ على مذهب العرب في تسميتها الشيء باسم غيره إذا وافق معناه في بعض الوجوه ، قال عدى بن زيد العبادي :

ثمَّ أضْحَوْا لَعِبَ الدَّهْرُ بِهِمْ وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ يُودِي بِالرَّجَالِ^(٢)

وقال عبيد بن الأبرص الأسدي :

سَأَلُ بِنَا حُجْرَ ابْنِ أُمِّ قَطَامٍ إِذْ ظَلَّتْ بِهِ السَّمَرُ الذَّوَابِلُ تَلْعَبُ^(٣)

فنسبنا اللعّب إلى الدهر والقنأ تشبيهاً؛ وقال ذو الرّمة :

وَأَبْيَضَ مَوْشِيَّ الْقَمِيصِ نَصَبْتُهُ عَلَى خَصْرِ مِقْلَاتٍ سَفِيهِ جَدِيلِهَا^(٤)

فسمّى اضطرابَ زمامها، وشدة تحركه سفهاً؛ لأن السفهَ في الأصل هو الطيشُ وسرعة

[١٩] الاضطراب / والحركة ، وإنما وَصَفَ ناقته بالذكاء والنشاط . فأما قوله : « وأبيض مَوْشِيَّ

القَمِيصِ » فإنما عَنَى بِهِ سَفِيهَهُ ، وقَمِيصُهُ : جَفْنُهُ ، والمِقْلَاتُ : الناقَةُ التي لا يعيش لها ولد .

والوجه الثالث أن يكون المعنى أنه تعالى لا يقطع عنكم فضله وإحسانه حتى تملّوا من سؤاله ، ففعلُهم مَلَلٌ على الحقيقة، وسمّى فعله تعالى مَللاً ، وليس بمللٍ على الحقيقة للازدواج

(١) حاشية الأصل : « آراهم : جمع أرب ؛ وهو الحاجة » .

(٢) البيت في (الأغاني ٢ : ٣٣) ؛ وفي حاشية الأصل : « أودى ، إذا هلك » .

(٣) ديوانه : ٦ ؛ والرواية فيه : « السمرة النواهل » .

(٤) ديوانه ٥٥٣ ، وفي حاشيتي الأصل ، ف : « الجديل : زمام من الأديم » .

ومشكلة اللفظين^(١) في الصورة، وإن اختلفا في المعنى، ومثل هذا قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾؛ [البقرة: ١٩٤]، ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾؛ [الشورى: ٤٠]. ومثله قول الشاعر - وهو عمرو بن كلثوم التغلبيّ -

أَلَا لَا يَجْهَلُنُّ أَحَدُنَا عَلَيْنَا فَذَجْهَلٌ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا^(٢)

وإنما أراد المجازاة على الجهل، لأن العاقل لا يفخر بالجهل ولا يتمدح به .

والوجه الرابع أن يكون الراوي وهمّ وغلط من الضم^(٣) إلى الفتح: وأن يكون قوله «يُمَلُّ» بالضم لا بالفتح، وعلى هذا يكون له معنيان: أحدهما أنه لا يعاقبكم بالنار حتى تملوا عبادة^(٤) وتعرضوا عن طاعته، لأن الملة هي مشتوى الخبز؛ يقال: ملّ الرجل الخبز^(٥) وغيرها يملها ملاً إذا اشتواها في الملة . وقيل: إن الجمر لا يقال له ملة حتى يخالطه رماد؛ والمعنى الثاني أن يكون أراد أنه لا يسرع إلى عقابكم^(٦)، بل يحلم عنكم ويتأني بكم^(٧) حتى تملوا حملته، وتستعجلوا عذابه، بركوبكم المحارم وتتأيعكم^(٧) في المآثم^(٨) .

(١) ت، وحاشية ف (من نسخة) : «اللفظين» . (٢) من المعلقة س ٢٣٨ بشرح التبريزي .

(٣) في الأصل : « في الفتح إلى الضم » ، وفي ت ، د ، ف : « من الفتح إلى الضم » ، والتصويب

من حواشي الأصل ، ت ، ف . (٤) ت ، د ، ف : « من عبادته » .

(٥) الخبز : العجينة توضع في الملة حتى تنضج ، وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « الخبز » .

(٦) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « رفقاً بكم » . (٧) في حاشيتي الأصل ، ف :

« التنايع : التماذي في الشر ؛ يقال : تنايع في الخير ، وتنايع في الشر » .

(٨) حاشية ف : « قيل في هذا الخبر إن معناه أن الله لا يمل وإن تملوا ؛ ومثله قول الراجز :

نَحْنُ بَنِي ضَبَّةَ لَا نَفْرُ حَتَّى نَرَى جَاهِجًا تَخِرُّ

يريد : لا نفر وإن خرت جاهجنا ؛ أي لا نفر أصلاً . وقول الشاعر في بعض الروايات :

وَلَمْ تَشَارِكْ عِنْدِي بَعْدُ غَانِيَةً لَا وَالَّذِي أَصْبَحَتْ عِنْدِي لَهُ نَعَمُ

حَتَّى أَمَرَ عَلَى الشَّقْرَاءِ مُعْتَسِفًا خَلَّ النَّقَا بِمِرْوَحٍ لِحْمُهُ زَيْمُ

فسر ذلك على أنه لم يشاركك لا وهو حتى أمر على الشقراء ، ولا يريد أنه إذا حل ذلك الموضع شاركك غانية .

[قال المرتضى رضى الله عنه] : روى أنه قيل للفرزدق : هل حسدت أحدا على شيء من الشعر ؟ فقال : لا ، لم أحسد على شيء منه إلا ليلي الأخيلية في قولها^(١) :

وَمُخَرَّقٍ عَنْهُ الْقَمِيصُ تَخَالُهُ بَيْنَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحِيَاءِ سَقِيمًا^(٢)
 حَتَّى إِذَا بَرَزَ اللَّوَاءُ رَأَيْتَهُ تَحْتَ اللَّوَاءِ عَلَى الْخَمِيصِ زَعِيمًا^(٣)
 لَا تَقْرُبَنَّ الدَّهْرَ آلَ مُطَرِّفٍ لَا ظَلِمًا أَبَدًا وَلَا مَظْلُومًا^(٤)

— ويروى : « إن ظالما أبدا وإن مظلوما » —

على أنني قد قلت :

وَرَكِبَ كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عِنْدَهُمْ لَهَا تِرَةً مِنْ جَذْبِهَا بِالْعَصَائِبِ^(٥)
 / سَرَوًا يَخْبِطُونَ اللَّيْلَ وَهِيَ تَلْفُسُهُمْ إِلَى شُعْبِ الْأَكْوَارِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ^(٦)
 إِذَا أَبْصَرُوا نَارًا يَقُولُونَ لَيْتَهَا وَقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمْ نَارُ غَالِبٍ^(٧)

وليس أبيات الفرزدق بدون أبيات ليلي ، بل هي أجزالُ ألفاظها ، وأشدُّ أسرا ، إلا أن أبيات ليلي أطبعُ وأنصح ؛ وقد كان الفرزدق مشهورا بالحسد على الشعر والاستكثار لقليله والإفراط في استحسنان مستحسنه .

== والبيتان في الحماسة بشرح التبريزي ٣ : ١٣٣ ، من قصيدة نزياد بن حمل ؛ وبمعنى بالشقراء فرسه . والاعتساف : الأخذ في السير على غير هداية ولا دراية . والحل : الطريق في الرمل ، والنقا : الرمل . والروح : النشيط ، والزم : المسكنز اللحم . (١) من أبيات في (الحماسة - بشرح التبريزي ٤ : ١٥٥ - ١٥٧) ؛ مطالعها :

يَأْتِيهَا السَّدِيمُ الْمَلُوءِي رَأْسَهُ لِيَقْوَدَ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ بَرِيْمًا

(٢) حاشية (من نسخة) : « وسط البيوت » ، وهي رواية الحماسة .

(٣) م : « رفم اللواء » ، وهي رواية الحماسة . والخميس : الجيش ، سمي بذلك لأنه يكون خمس كتاب ، أو خمسة صفوف : المقدمة ، واليمين ، والميسرة ، والقاب ، والساق .

(٤) من نسخة بجواشي الأصل ، ت ، ف : « لاتفزون الدهر » ؛ وهي رواية الحماسة . وفي حاشية الأصل : « لا ظالما أبدا ؛ لأنهم لا يجهلون ظلمك ، ولا مظلوما لأنك لا تقدر أن تنصر منهم » .

(٥) ديوانه ١ : ٣٠ ، والتر : الثأر ، والعصائب : جمع عصابة ؛ وهي العمامة تعصب على الرأس .

(٦) حاشية الأصل : « الشعب : جمع شعبة ، أي جوانب الأكوار ، والأكوار : جمع كور ؛ وهو

الرحل » . (٧) حاشية ت (من نسخة) : « آنسوا نارا » . خصرت : بردت ، وغالب أبو الفرزدق

وقد روى أن الكُمَيْت بن زيد الأسديّ لما عرض على الفرزدق أبياتاً من قصيدته

التي أولها:

أَتَصْرِمُ الْجَبَلَ حَبْلَ الْبَيْضِ أَمْ تَصَلُّ وكيف والشَّيْبُ في فَوْدَيْكَ مُشْتَعِلُ
لما عَبَاتَ لِقَوْسِ الْمَجْدِ أَسْهَمَهَا حيثُ الجُدودُ على الأَحْسَابِ تَنْتَضِلُ^(١)
أَحْرَزْتَ مِنْ عَشْرِهَا تَسْعًا وَوَاحِدَةً فَلَا الْعَمَى لَكَ مِنْ رَامٍ وَلَا الشَّلْلُ^(٢)
السَّمْسُ أَدْنَكَ إِلَّا أُمَّهَا امْرَأَةٌ وَالْبَدْرُ أَدَاكَ إِلَّا أَنَّهُ رَجُلٌ^(٣)

حسده الفرزدق ، فقال له : أنت خطيب ، وإنما سلم له الخطابة ليخرجه عن أسلوب الشعر . ولما بهره من حُسن الأبيات وأفرط بها إعجابُه ، ولم يتمكن من دفع فضلها جملة عدل في وصفها إلى معنى الخطابة^(٤) .

- (١) في حاشيتي الأصل ، ف : « عَبَات : هيأت ، واجدود ، جمع الجدد ؛ وهو البخت ، وتنتضل : تناضل وتراعى » . (٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « يقال للرامي المصيب : لا عمى ولا شلل » . (٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « يعني أن أباك البدر وأمك الشمس ، وإلا تقرير » . (٤) حاشية ف : « حدث إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي عن عبد الله بن إسحاق بن سلام قال : أتى الكُميت بئب مجلس يزيد بن المهلب يمتدحه ، فصادف على مابه أربعين شاعرا ؛ فقال للأذن : استأذن لي على الأمير ؛ فاستأذن له عليه ، فأذن له ، فقال : كم رأيت بالباب من شاعر ؟ قال : أربعين شاعرا قال : فأنت جالب التمر إلى هجر ، فقال : إنهم جلبوا دفلا ، وجلبت زاذا ، فقال : هات زاذك ، فأنتده :

هَلَّا سَأَلْتِ مَنَّا زِلًا بِالْأَبْرِقِ دَرَسَتْ وَكَيْفَ سَوَّالٍ مَنْ لَمْ يَنْطِقْ !
لَعِبَتْ بِهَا رِيحَانٌ : رِيحٌ عَجَّاجَةٌ بِالسَّافِيَّاتِ مِنَ التُّرَابِ الْمَعْنِقِ
وَالهَيْفُ رَاحَةٌ لَهَا يَنْتَاحُهَا طَفَلُ العَشِيِّ بِذِي حَنَاتِمَ شُرُقِ
تَصِلُ اللِّقَاحَ إِلَى النَّتَاجِ مَرَبَّةً لِحَفُوقِ كَوَّكِبِهَا وَإِنْ لَمْ يَخْفِقِ
غَيْرُنَ عَهْدِكَ بِالذَّيَارِ وَمَا يَكُنُّ رَهْنَ الحَوَادِثِ مِنْ جَدِيدٍ يَخْلُقُ
إِلَّا خَوَالِدَ فِي الحَلَّةِ يَبْتُهَا كَالطَّيْدَسَانِ مِنَ الرَّمَادِ الأُورِقِ
وَمُشَجَّجًا تَرَكَ الوَلَائِدُ رَاسَهُ مِثْلَ السَّوَّاكِ وَدَمْنَةً كَالْمَهْرِقِ =

وحسدُ الفرزدق على الشعر وإعجابه بجيده من أدلّ دليل على حسن نقده له وقوة بصيرته فيه ، وأنه كان يطرَبُ للجيد منه فضلَ طرب ، ويعجب منه فضل عجب . ويدلّ أيضاً على إنصافه فيه ، وأنه مستقلٌّ للكثير الصادر من جهته ، فإن كثيراً من الناس قد يبلغ بهم الهوى في الإعجاب والاستحسان لما يظهر منهم في شعر أو فضل إلى أن يعموا عن محاسن غيرهم فيستقلّوا منهم الكثير ، ويستصغروا الكبير .

ولآيات الفرزدق التي ذكرناها خبر مشهور متداول ، أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو عبيدة عن يونس قال : دخل الفرزدق على سليمان^(١) بن عبد الملك وعنده نصيب الشاعر ، فقال له سليمان أنشدني :
 [٢٠]
 فأنشده الأبيات التي تقدم ذكرها ، فاسودّ وجه سليمان وغازله / فعلمه ، وكان يظن أنه ينشده
 ١٠ مديحاً له ، فلما رأى نصيب ذلك قال : ألا أنشدك ؟ فأنشده :

= دارُ التي تركتكَ غيرَ ملومةٍ دَنِفًا فَإِن لَمْ تَرَ عَ قَلْبِكَ فَاشْفِقِ
 قد كنتَ قبلُ تتوقُّ من هِجْرَانِهَا فَالْيَوْمِ إِذْ شَحَطَ الْمَزَارُ بِهَا تَقِ
 والحُبُّ فيه حَرَارَةٌ ومَرَارَةٌ سَائِلُ بِذَلِكَ مِنْ تَطْعَمَ أَوْزُقِ
 ماذاق بُؤْسَ مَعِيشَةٍ ونَعِيمِهَا فِيمَا مَضَى أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعِشِقِ
 حتى بلغ إلى قوله :

مَنْ قَالَ بَتُّ أَخَا الِهْمُومِ وَمَنْ يَبِتُ غَرَضَ الِهْمُومِ وَنَصِبِهَا يُورِّقِ
 بَشَّرْتُ نَفْسِي إِذْ رَأَيْتُكَ بِالْغَنَى وَوَقَّتُ حِينَ سَمِعْتُ قَوْلَكَ لِي ثِقِ
 فأمر بالخلع عليه حتى استغاث ؛ فقال : أتاك الغوث ، ارفعوا عنه .

(١) حاشية ف : « قيل : بينا سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام إذ أتى بحجر منقوش ، فطلب من يقرؤه ، فأتى بوهب بن منبه ؛ فقرأه فإذا فيه : ابن آدم إنك لو أبصرت قليل ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك ، ولرغبت في الزيادة من عمك ؛ وانصرت عن حرصك وحيلك ؛ وإنما يلقاك غدا ندمك ، وقد زلت بك قدمك ، وأسلمك أهلك وحشمك ؛ فبان منك الولد القريب ، ورفضك الوالد والنسب ؛ فلا أنت إلى دنياك عائد ، ولا في حياتك ذائد ، فاعمل ليوم القيامة ، يوم الحسرة والندامة فبكي سليمان »

أَقُولُ لِرَكْبٍ قَافِلِينَ لَقِيَهُمْ قَفَا ذَاتِ أَوْشَالٍ وَمَوْلَاكَ قَارِبٌ^(١)
 قَفُوا خَبْرُونِي عَنِ سُلَيْمَانَ إِنِّي لِمَعْرُوفِهِ مِنْ أَهْلِ وَدَّانَ طَالِبٌ^(٢)
 فَعَاجُوا فَأَتَنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَّتُوا أَثْنَتُ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ^(٣)
 فقال له سليمان : أنت أشعر أهل جلدتك^(٤) ؛ وفي بعض الأخبار أن الفرزدق قال ذلك
 في نصيب حين سأله عنه سليمان .

وروى أيضاً أنه لما أنشد نصيب أبياته قال له سليمان : أحسنت ، ووصاه^(٥) ولم يصل الفرزدق
 فخرج الفرزدق وهو يقول :

(١) قفاذات أوشال : خلف هذا الموضع ؛ والأوشال : جمع وشل ، بالتحريك ؛ وهو الماء القليل
 يتخلف من جبل أو صخر . وفي حاشيتي الأصل ، ف : « في ديوانه : ذات أوشان ؛ بالنون » .
 وفي معجم ما استعجم للبكري : ٢١٢ : « ذات أوشال : موضع بين الحجاز والشام » وذكر البيت .
 وأراد بالمولى نفسه ؛ والقارب : طالب الماء ليلاً .
 (٢) ودان ، بفتح الواو : قرية بين مكة والمدينة ، قريبة من الجحفة ؛ وفي حاشيتي الأصل ، ت : « يعني
 أنا من أهل ودان ، وهي أرض للعرب » .
 (٣) وبعده :

فَقَالُوا تَرَكَنَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ يُطِيفُ بِهِ مِنْ طَلَبِي الْعُرْفِ رَاكِبٌ
 وَلَوْ كَانَ فَوْقَ النَّاسِ حَيْثُ فَعَالُهُ كَفَعْلِكَ أَوْ لِلْفِعْلِ مِنْكَ مُقَارِبٌ
 لَقَلْنَا لَهُ شِبْهٌ وَلَكِنْ تَعَدَّرَتْ سَوَاكُ عَنِ الْمُسْتَشْفَعِينَ الْمَطَالِبُ
 هُوَ الْبَدْرُ وَالنَّاسُ الْكَوَاكِبُ حَوْلَهُ وَلَا يُشَبَّهُ الْبَدْرَ الْمُنِيرَ الْكَوَاكِبُ

(٤) الخبر في (الكامل - بشرح المرصفي ٢ : ٢١٧ - ٢١٨ ، والشعر والشعراء ٣٧٢ - ٣٧٣ ،
 واللاكي ٢٩١ - ٢٩٢) ، والأبيات في (البيان والتبيين ١ : ٨٣ ، وأمال الغال ١ : ٩٤ ، ومعجم البلدان
 ٨ : ٤٠٥ ؛ ولكنه لم يذكر « ذات أوشال » في موضعها) .

(٥) حاشية ف : « حدث محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله عن معاذ صاحب الهروي قال : « دخلت
 مسجد الكوفة ، فرأيت رجلاً لم أر قط أتق ثياباً منه ، ولا أشد سواداً ، فقلت له : من أنت ؟ فقال : أنا
 نصيب ، فقلت : أخبرني عنك وعن أصحابك ، فقال : جميل إمامنا ، وعمر أوصفنا لربات الحجال ، وكثير
 أبكنا على الأطلال والدمن ، وقد قلت ما سمعت . قلت : فإن الناس يزعمون أنك لا تحسن أن تهجو ، قال :
 فأقروا لي أني أحسن المدح ؟ قلت : بلى ، قال : ولكني رأيت الناس رجلين : رجلاً لم أسأله فلا ينفني أن
 أهجو ، ورجلاً سأله فنعتني ، فسكنت نفسي أحق بالهجا ؛ إذ سولت لي أن أطلب منه » .

وَخَيْرُ الشُّعْرِ أَكْرَمُهُ رِجَالًا وَشَرُّ الشُّعْرِ مَا قَالَهُ الْعَبِيدُ^(١)

ولا شبهة في أن أبيات الفرزدق مقدمة في الجزالة والرّصانة على أبيات نصيب ؛ وإن كان نصيب قد غرّب^(٢) وأبدع في قوله :

* وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ *

إلّا أن أبيات نصيب وقعت موقعها ، ووردت في حال تليق بها ، وأبيات الفرزدق جاءت في غير وقتها وعلى غير وجهها ؛ فلهذا قدّمت أبيات نصيب .

والفرزدق مع تقدّمه في الشعر وبلوغه فيه إلى الذّروة العليا ، والغاية القصوى شريف الآباء ، كريم البيت ، له ولآبائه ما أثر لا تدفع ، ومفاخر لا تجحد . والفرزدق لقبٌ لقب به ، وليس باسمه ، وإنما لقب بذلك لجهامة وجهه ، وغلظه ؛ لأنّ الفرزدقة هي القطعة الضخمة ١٠ من المعجن ، وقيل : إنها الخبزة الغليظة التي يتخذ منها النساء الفتوت^(٣) ، واسمه همام بن غالب ، وكُنيت أبو فراس ، وقيل إنّه كان يُكَنى في شبابه بأبي مكية^(٤) وهي أغرب كُنيتته^(٥) .

وكان شيميّا^(٦) مائلا إلى بني هاشم ، ونزاع في آخر عمره عما كان عليه من القذف^(٧)

(١) في نسخة بحاشيتي ت ، ف : « أشرفه لحولا » ، وفي حاشيتي الأصل ، ف : « يعني أن نصيبا حبشي مملوك » . (٢) ل ، ونسخة في حاشيتي ت ، ف : « أغرب » .

(٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « الفتوت والفتيت بمعنى » .

(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « كان يُكنى أبا مكية ، ومكية بنته ، وذكر ذلك في شعره فقال :

شاهد إذا ما كنت ذامحيميّة بدارمي أمّه ضبيّة

صمّح مح مثل أبي مكية

- الصمّح : العظيم الرأس ، وأبو مكية يعني نفسه » .

(٥) ش : « أعرف كنيته » .

(٦) في حاشيتي الأصل ، ف : « النسبة إلى الشيعة شيعي ، بكسرة صحيحة على الشين ؛ كما تنسب إلى

الجزيرة جيزي ، والجزيرة حلة بمصر ؛ منها أبو الربيع الجيزي » .

(٧) حاشيتي ت (من نسخة) : « من القرف » ، والقرف : الرمي بالسوء .

والفسق، وراجع طريقة الدين، على أنه لم يكن في خلال^(١) فسقه منسأخاً من الدين جملة، ولا مُهملاً لأمره أصلاً.

ومما يشهدُ لذلك ما أخبرنا به علي بن محمد الكاتب عن أبي بكر محمد بن يحيى الصوليّ عن أبي حفص الفلاس عن عبد الله بن سوار/ عن معاوية بن عبد الكريم عن أبيه قال: [٢٠] دخلتُ على الفرزدق، فجعلت أحادثه، فسمعت صوت حديد يتققع، فتأملت الأمر، فإذا هو مقيد الرّجل^(٢)، فسألته عن السبب في ذلك، فقال: إني آليتُ على نفسي ألا أنزع القيد من رجلي، حتى أحفظ القرآن.

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني أبو ذرّ القراطيسيّ قال حدثنا ابن أبي الدنيا قال حدّثني الرّياشيّ عن الأصمعيّ عن سلام بن مسكين قال: قيل للفرزدق: علامَ تقدّف المحصّنات؟ فقال: والله، لله أحبّ إليّ من عينيّ هاتين، أفتراه يعدّني بعدها^(٣)! . ١٠

وروي أنّه تعاقب بأستار الكعبه، وعاهد الله على ترك الحجاء والقذف اللذين كان ارتكبهما، وقال:

ألم ترّني عاهدتُ ربّي وإنّني
أبين رتاجٍ قائماً ومقام^(٤)

(١) حاشية ت (من نسخة): « حال » . (٢) حاشية ت (من نسخة): « الرجلين » .

(٣) حاشية ف: « ذكر المبرد في كتابه قال: دخل لبطة بن الفرزدق على أبيه وهو محبوس في سجن مالك بن المنذر بن الجارود؛ ومالك عامل على البصرة لخالد بن عبد الله انقري؛ فقال له: يا أبت؛ هذا عمر بن يزيد الأزدي ضرب آفأ ألف سوط ومات، فشد على حمار، فقال الفرزدق: كأنك والله يمثل هذا الحديث قد تحدّثت به عن أبيك — والحسن إذ ذاك محبوس عنده — فقال له: يا أبا فراس، فأعندك إن كان ذلك؟ فقال: والله يا أبا سعيد، لله أحبّ إليّ من سمعي وبصري، ومن مالي وولدي، ومن أهلي وعشيرتي؛ أفتراه يخذلني! فقال الحسن: كلا والله يا أبا فراس » .

وانظر الخبر في (الكامل - بشرح المرصفي ٢: ٧٦ - ٧٧) .

(٤) في حاشيتي الأصل، ف: « الرتاج: الباب الملقق، والباب العظيم أيضا قائما، حال بما يدل عليه

لين » ، وفي ت، د: « قائم » .

عَلَى حَلْفَةٍ لَا أَشْتَمُ الدَّهْرَ مُسْلِمًا وَلَا خَارِجًا مِنْ فِي زُورٍ كَلَامٍ (١)
 أَطْعَمْتُكَ يَا إِبْلِيسَ سَبْعِينَ حِجَّةً فَلَمَّا انْقَضَى عُمْرِي وَتَمَّ تَمَامِي (٢)
 فَرَعْتُ إِلَى رَبِّي وَأَيَقَنْتُ أَنَّنِي مُلَاقٍ لَأَيَّامِ الْخُتُوفِ حِمَامِي (٣)

وَرَوَى الصُّوَلِيُّ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَيَّاضِ عَنِ إِدْرِيسَ بْنِ عِمْرَانَ قَالَ : جَاءَنِي الْفَرَزْدَقُ ،
 ٥ فَتَذَاكَرْنَا رَحِمَةَ اللَّهِ وَسَعَتَهَا ؛ فَكَانَ أَوْثَقَنَا بِاللَّهِ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : أَلَيْكَ هَذَا الرَّجَاءُ وَالْمَذْهَبُ
 وَأَنْتَ تَقْدِفُ الْمُحْصَنَاتِ ، وَتَفْعَلُ مَا تَفْعَلُ ! فَقَالَ : أَتَرُونَنِي لَوْ أَذْنِبْتُ إِلَى أَبِييَّ ، أَوْ كَانَا يَقْدِفَانِي

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « قال مولانا السيد : خارجا ، تقديره : ولا يخرج خروجاً ؛ وذهب
 عيسى بن عمر إلى أنه في موضع الحال ؛ لأن قوله : لا أشتم نصب على الحال ؛ كأنه قال : عاهدت لا شامتا
 ولا خارجا . وقال أبو سعيد : تقديره : عاهدت على أن أحلف لا شامتا ولا خارجا ؛ وهو حال من التاء في
 عاهدت ، أو المحذوف من المصدر ؛ وهو الفاعل . وسيبويه يجعل لا أشتم جواب القسم ؛ ولا موضع له من
 الإعراب ، والقسم عاهدت . نقوله : ولا خارجا ، أي لا يخرج خروجاً ؛ وهو مضاف على لا أشتم » .
 وفي حاشية ف أيضاً : « ذكر المبرد في كتابه الكامل في قوله :

* ولا خارجا من في زور كلام *

لأنما وضع اسم الفاعل موضع المصدر ، أراد : لا أشتم الدهر مسلماً ، ولا يخرج خروجاً من في زور كلام ؛
 لأنه على هذا أقسم ، والمصدر يقع في موضع اسم الفاعل ؛ يقال : ماء غور ، أي غائر ؛ كما قال الله تعالى :
 ﴿ إِنَّ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ ؛ ويقال : رجل عدل ، أي عادل ، فعلى هذا جاء المصدر على فاعل ؛ كما
 جاء اسم الفاعل على المصدر ؛ يقال : قم قائماً ؛ فيوضع موضع قولك : قم قياماً ؛ قال : وكان عيسى بن عمر
 يقول : إنما قوله لا أشتم حال ، فأراد : عاهدت ربني في هذه الحال ، وأنا غير شام ولا خارج من في زور
 ولم يذكر الذي عاهد عليه » .

وانظر (الكامل - بشرح الرصافي ٢ : ٨١ - ٨٣) .

(٢) د ، ومن نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « تسعين » ، وفي حاشية الأصل ، ف : « أي بلغت
 غايته ؛ ونسبة التمام إلى التمام ترد على معنى التأكيدي كما قال الشاعر : « نحن جنوننا » ، والجنون لا يجن ، وإنما المراد
 يجن ؛ وكما قال :

جُنُونُكَ جَنْوْنٌ وَلَسْتَ بِوَاجِدٍ طَيِّبًا يُدَاوِي مِنْ جُنُونِ جُنُونِي

(٣) ش ، ف : « فررت » ، والأبيات في (ديوانه ٢ : ٧٧٠) .

في تنور ، وتطيب أنفسهما بذلك ؟ قلنا : لا ، بل كانا يرهماك ، قال : فأنا والله برحمة ربّي أوثق مني برحمتها .

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن إبراهيم^(١) قال حدثنا عبد الله بن أبي سميد^(٢) الورّاق قال حدثني محمد بن محمد بن سليمان الطّفاوي^(٣) قال : حدثني أبي عن جدي قال : شهدت الحسنَ البصرى في جنازة النّوار (امرأة الفرزدق) - وكان الفرزدق حاضراً - فقال له الحسن وهو عند القبر : يا أبا فراس ، ما أعددت لهذا المضجع ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله مذثمانون سنة ، فقال له الحسن : هذا العمودُ فأين الطُّنبُ ! . وفي رواية أخرى أنه قال له : نعم ما أعددت ، ثم قال الفرزدق في الحال :

[٢١] / أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ - إِنْ لَمْ يُعَافِنِي - أَشَدَّ مِنَ الْمَوْتِ التَّهَابًا وَأَضْيَقًا^(٤)
 إِذَا جَاءَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِدًا عَنيفٌ وَسَوَاقٌ يَسُوقُ الْفَرَزْدَقَا^و
 لَقَدْ خَابَ مِنْ أَوْلَادِ آدَمَ مَنْ مَشَى إِلَى النَّارِ مَقُولَ الْقِلَادَةِ أَرْزَقًا^(٥)
 يُقَادُ إِلَى نَارِ الْجَحِيمِ مُسْرَبَلًا سَرَائِلَ قَطْرَانٍ لِبَاسًا مُحْرَقًا

قال : فرأيت الحسن يدخلُ بعضه في بعض ، ثم قال : حسبك . ويقال إن رجلاً رأى الفرزدق بعد موته في منامه ، فقال له ما فعل بك ربك ؟ فقال : عفاً عني بتلك الأبيات^(٦) .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « محمد بن محمد بن إبراهيم » .

(٢) د ، ونسخة بجواشي الأصل ، ت ، ف : « سميد » .

(٣) حاشية الأصل : « الطّفاوي : منسوب إلى طفاوة ؛ وهم قوم » .

(٤) الأبيات في ديوانه ٢ : ٥٧٨ ، مع اختلاف في الرواية وترتيب الأبيات ؛ وفي نسخة بجواشي

الأصل ، ف ، ت : « أشد من القبر » ؛ وهي رواية الديوان .

(٥) ف : « مشدود الفلاذ » ، وهي رواية الديوان .

(٦) حاشية ف : « زعم بعض النميمية أن الفرزدق رثى في النوم فقيل له : ما صنع ربك ؟ فقال :

نظفرتي ؛ قيل له : بأي شيء ؟ قال : بالكلمة التي نازعنيها الحسن البصرى على شفير القبر » . وفيها أيضاً : « في السكامل ، كان الفرزدق يخرج من منزله فيرى بني تميم والمصاحف في حجورهم فيسرب ذلك ويجذل له =

وأما ما يدلُّ على تشييعه وميله إلى بني هاشم ما أخبرنا به أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني عمر بن داود العُماني قال حدثنا محمد بن زكريا^(١) الغلابي قال حدثنا مهدي بن سابق قال حدثنا أبو لبيد قال : جاء السكيتُ إلى الفرزدق فقال : يا عمَّ إني قد قلت قصيدةً أريدُ أن أعرضَها عليك ، فقال له : قل ، فأنشده :

* طَرِبْتُ وَمَا شَوْقًا إِلَى الْبَيْضِ أَطْرَبُ *

فقال له الفرزدق : إلى مَنْ طَرِبْتَ ، تَسَكَلْتِكِ أُمَّكِ ! فقال :

* وَلَا لِعَبَا مَنِّي وَذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ *

ولم تلهيني دارٌ وَلَا رَسْمٌ مَنزِلٌ وَلَمْ يَتَطَرَّ بَنِي بَنَانَ مُحَضَّبُ

= ويقول : إيه فدى لكم أبي وأمي ! كذا والله كان آبؤكم ، قال : ونظر أبو هريرة الدوسي إلى الفرزدق فقال : مهما فعلت ففقطك الناس عليه ، فلا تقنط من رحمة الله ، ثم نظر إلى قدميه فقال : إني أرى لك قدمين لضيئين ؛ فابتغ لهما موقفا صالحا يوم القيامة .
(و انظر السكامل - بشرح المرصفي ٢ : ٧٩) .

(١) حواشي الأصل ، ف ، ت : « الغلابي : منسوب إلى غلاب ، اسم امرأة ؛ وكان شيعيا » .
وفي حاشية ف أيضا : « حدث الغلابي عن محمد بن عبد الله عن علي بن محمد قال : قال أنوشروان لبرزجمهر لما أراد قتله : إني قاتلك ؛ فتسكلم بشيء تذكر به ؛ فقال : أيها الملك ، إن الدنيا حديث حسن وقبيح ؛ فإذا استطعت أن تسكون حديثا حسنا فكنه ، قال ابن عبد الله : وذكر هذا الكلام لابن عائشة فقال : صدق ، هو والله من قوله تعالى : ﴿ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ ، وأنشد ابن عائشة :
أَلَمْ تَرَ أَنَّ النَّاسَ تَخَلَّدُ بَعْدَهُمْ أَحَادِيثُهُمْ وَالْمَرْءَ لَيْسَ بِخَالِدٍ
وقال أيضا :

وَإِذَا الْفَتَى لَأَقَى الْحِمَامَ رَأَيْتَهُ لَوْلَا الثَّنَاءُ كَأَنَّهُ لَمْ يُوَلَدِ

وروى محمد بن زكريا الغلابي : كان مريد يكنى أبا إسحاق ، وكانت له نوادر ؛ فبينما هو ذات يوم جالس إذ جاءه أصحابه فقالوا : يا أبا إسحاق ، هل لك في الخروج بنا إلى العقيق ، وإلى قباء ، وإلى أحد ؛ ناحية قبور الشهداء ؛ فإن هذا يوم كما ترى طيب ؛ فقال : اليوم يوم الأربعاء ، ولست أبرح من منزلي ، فقالوا له : ماتسكروه من يوم الأربعاء وفيه ولد يونس بن متى ؟ فقال : بأبي وأمي صلى الله عليه وآله ! وفيه التهمة المحوت ، فقالوا : يوم نصر فيه يوم الأحزاب ، فقال : أجل ! ، ولكن بعد إذ زاغت الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر » .

فقال له : إلى من ضربت ؟ فقال :

وَلَا أَنَا مِمَّنْ يَزْجُرُ الطَّيْرَ ؛ هَمَّهُ : أَصَاحَ غُرَابٌ أُمُّ تَعَرَّضَ ثَعَابٌ (١)
وَلَا السَّانِحَاتُ الْبَارِحَاتُ عَشِيَّةً أُمِّرَ سَلِيمُ الْقَرْنِ أُمُّ مَرٍّ أَعْضَبُ (٢)
وَلَكِنْ إِلَى أَهْلِ الْفَضَائِلِ وَالنُّهْيِ وَخَيْرِ بَنِي حَوَاءَ ، وَالْخَيْرِ يُطَابُ

فقال له الفرزدق : هؤلاء بنو دارم ، فقال الكُميت :

إِلَى النَّفْرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ بِحَبِّهِمْ إِلَى اللَّهِ فِيمَا نَابَنِي أَتَقَرَّبُ
فقال الفرزدق : هؤلاء بنو هاشم ، فقال الكُميت :

بَنِي هَاشِمٍ رَهْطِ النَّبِيِّ فَإِنِّي بِهِمْ وَلَهُمْ أَرْضِي مِرَارًا وَأَعْضَبُ (٣)
فقال له الفرزدق : والله لو جُزَّتْهم إلى سواهم لذهب قولك باطلا .

[٢١]
ظ

ومما يشهدُ لذلك ما أخبرنا به أبو عبيد الله المرزُباني قال حدثنا الحسن بن محمد قال حدثني ١٠
جدِّي يحيى بن الحسن العلوي قال حدثنا الحسين بن محمد بن طالب قال : حدثني غير واحد
من أهل الأدب أن علي بن الحسين عليهما السلام حجَّ فاستجهر (٤) الناس جماله ، وتشوَّفوا
له ، وجعلوا يقولون : مَنْ هذا ؟ فقال الفرزدق :

(١) ت ، د ، حاشية الأصل (من نسخة) : « في المتن ، قال المرتضى رضي الله عنه : يجب الوقوف
على الطير » ، ثم يبدأ « بهمه » ليعلم الغرض . والزجر هنا : التيمن أو التشاؤم بالطير وغيره .
(٢) السانح من الطير : مامر من مياسرك إلى ميامنك ، والبارح عكسه ، وكان العرب يتيامنون بالسانح ،
ويتشاءمون بالبارح ، والأعضب : مكسور القرن ، وفي ت ، ف بعد هذا البيت : « فقال : إلى من طربت
لأُمِّ لك ! فقال الكُميت ... »

(٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « أعني بني هاشم ، أو إلى بني هاشم » .

(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « يقال : جهرت الرجل واستجهرته ؛ إذا رأته عظيم المرأة ، وما
أحسن جهر فلان ! أي ما يجتهر من هيئته وحسن منظره ؛ وقيل : اجتهر ؛ أي حملهم بجماله على أن يجهره
عليه السلام ، أي يدركوا جهره » .

هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كَلَّمَهُ
هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءَ وَطَائِنَهُ
إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا
يَكَادُ يُمَسِّكُهُ عِرْفَانَ رَاحَتِهِ
يُنْفِضِي حَيَاءً وَيُنْفِضِي مِنْ مَهَابَتِهِ
أَيُّ الْقَبَائِلِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ
مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ يَعْرِفُ أَوْلِيَّةَ ذَا

هَذَا التَّمْيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ
وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ (١)
إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكَرَمُ
رَكْنُ الْخَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ (٢)
فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَنْتَسِمُ (٣)
لَأَوْلِيَّةٍ هَذَا أَوْ لَهُ نِعْمُ
فَالَّذِينَ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالَهُ الْأُمَمُ (٤)

(١) البطحاء: أرض مكة المنبجحة، والحل، بالكسر: خارج المواقيت من البلاد، والحرم: ما بين المواقيت المعروفة؛ وأراد بهما أهل الحل والحرم.
(٢) الخطيم: الجدار الذي عليه ميزاب السكبة، وانتصب «عرفان» على أنه مفعول له، أي يكاد يمسه ركن الخطيم؛ لأنه عرف راحته. ويستلم، بمعنى يلمس الحجر الأسود.
(٢) حواشي الأصل، ت، ف: روى أبو الفرج في كتاب الأغاني الكبير هذا البيت: ينضى ...

وبنينا آخر وهو:

بِكْفِهِ خَيْرُ رَانَ رِيحِهَا عَيْقُ
مَنْ كَفَّ أَرْوَعَ فِي عِرْنِينِهِ شَمَمُ

للحزيرين الكنانى، قال: مدح بهما الحزيرين عبد الله بن عبد الملك، وقد حجج، وكان أبوه عبد الملك قد وصاه بالألا يحجب الحزيرين لحب لسانه، ووصفه له بهيئته، فدخل عليه وأنشده البيتين. قال أبو الفرج: والناس يروون هذين البيتين في أبيات الفرزدق التي مدح بها زين العابدين عليه السلام.
وقد ذكر أبو تمام في (الحماسة - بشرح التبريزي ٤-١٦٧-١٦٩) الأبيات مذوبة إلى الحزيرين اللبقي. وانظر تفصيل الخبر وتحقيق نسبة الأبيات في (الأغاني ١٤: ٧٤-٧٧).

(٤) حاشية ف: «روى أنه كان عبد الملك بن مروان لما سمع هذا من الفرزدق قال له: «أو رافضو أيضا أنت! فقال الفرزدق: إن كان حب آل محمد رفضا فأنا هناك، فقال عبد الملك: قل في مثل ماقلته فيه، وعلى أن أضعف عطاءك، فقال الفرزدق: وتجيئني بأب مثل أبيه وأم مثل أمه؛ حتى أقول فيك مثل ماقلته فيه؛ أقول هذا ولا تستحي من الله عز وجل! مر حتى تسقط اسمي من الديوان جملة، فأسقط عطاءه فبلغ ذلك على بن الحسين عليهما السلام، فبعث إليه، فلما أتاه قال: يا أبا فراس؛ خذ مني جميع ما أملكه ولك الفضل بعد ذلك؛ وما كاد أتك بعد! فقال: يا بن رسول الله، ماقلته فيك لرجاء منوبة؛ وإن نوالا على الله، وما أؤمله فيكم عند الله عز وجل أحب إلى من ملك عبد الملك؛ فقال: فكتم كان عطاؤه الله حرمته؟ قال: ألف ومائتان في السنة، فوزن له ثمانية وأربعين ألفا، عطاء أربعين سنة، فأخذها وانصرف.»

وفي رواية النَّلابي أن هِشام بن عبد الملك حج في خلافة عبد الملك - أو الوليد - وهو حديث^(١) السن، فأراد أن يستلم الحجر، فلم يتمكن من ذلك لتزاحم الناس عليه، فجلس ينتظر خَلْوَةً؛ فأقبل على بن الحسين عليهما السلام، وعليه إزار ورداء، وهو من أحسن الناس وجهاً، وأطيبهم ريحاً، بين عينيه سجادة، كأنها رُكبة عَنز، فجعل يطوف بالبيت، فإذا بلغ الحجر تنحَّى الناس له حتى يستلمه، هيبة له وإجلالا. فعاظ ذلك هشاماً، فقال رجل من أهل الشام لهشام: مَنْ هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة؟ فقال هشام: لأعرفه - لئلا يرغَّب فيه أهل الشام. فقال الفرزدق - وكان هناك حاضراً - : لكني أعرفه، وذكر الأبيات، وهي أكثر مما رويناه؛ وإنما تركناها^(٢) لأنها معروفة.

قال: فغضب هشام، وأمر بحبس الفرزدق بمُسفان، بين مكة والمدينة، وبلغ ذلك على بن الحسين عليهما السلام، فبعث إلى الفرزدق بائني عشر ألف درهم وقال: اعذرنا/ يا أبا فراس، [٢٢] ولو كان عندنا في هذا الوقت أكثر منها لوصلناك به، فردَّها الفرزدق وقال: يا بن رسول الله، ما قلتُ الذي قلتُ إلا غضباً لله ورسوله، وما كنتُ لأُرزَأَ^(٣) عليه شيئاً؛ فردَّها إليه وأقسم عليه في قبولها وقال له: قد رأى الله مكانك، وعلم نيتك، وشكر لك، ونحن أهل بيت إذا أنفدنا شيئاً لم نرجع فيه؛ فقبلها، وجعل الفرزدق يهجو هشاماً وهو في الحبس؛ فما هجاه به قوله:

١٥

تَحْبَسُنِي بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالَّتِي إِنِّي رَقَابُ النَّاسِ يَهُوِي مُنِيهَا^(٤)
يُقَلِّبُ رَأْسًا لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ وَعَيْنًا لَهُ حَوْلَاءُ بَادَ عِيُونُهَا

(١) د، ف، حاشية ت (من نسخة) : « حدث السن » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « تركنا أكثرها » ،

(٣) ت : « أرزأك » . وفي حاشية ف : « يقال : مارزأته شيئاً ؛ أي لم آخذ منه شيئاً » .

(٤) ديوانه ١ : ٥١ ، وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « تحبسنى » ، وحاشية ف (من نسخة) :

« قلوب الناس يهوى » ؛ وهي رواية الديوان .

مكتبة التور والرواية

مجلس آخر

تأويل آية

إن سأل سائل فقال: ما عندكم في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُ الْأُونِ مُخْتَلِفِينَ. إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلَئِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].
وظاهر هذه الآية يقتضى أنه تعالى ما شاء أن يكونوا أمة واحدة وأن يجتمعوا على الإيمان والهدى؛ وهذا بخلاف ما تذهبون إليه؛ ثم قال: ﴿وَلَئِكَ خَلَقَهُمْ﴾ فلا يخلو من أن يكون عني أنه للاختلاف خلقهم، أو للرحمة؛ ولا يجوز أن يعنى الرحمة؛ لأن الكناية عن الرحمة لا تكون بلفظة «ذلك»؛ ولو أرادها لقال: ولتلك خلقهم، فلما قال ﴿وَلَئِكَ خَلَقَهُمْ﴾ كان رجوعه إلى الاختلاف أولى. وليس يبطل حمل الآية على الاختلاف من حيث لم يكن المذكوراً فيها؛ لأن الرحمة أيضاً غير مذكورة فيها، وإذا جعلتم قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ دالاً على الرحمة فكذلك قوله: ﴿مُخْتَلِفِينَ﴾ دالٌّ على الاختلاف؛ على أن الرحمة هي رقة القلب والشفقة؛ وذلك لا يجوز على الله تعالى، ومتى تعدى بها ما ذكرناه، لم يُعْنِ بهنا إلا العفو وإسقاط الضرر، وما جرى مجراه^(١) عن مستحقه، وهذا مما لا يجوز أن يكونوا مخلوقين له على مذهبكم، لأنه لو خلقهم للعفو لما حسن منه عقاب المذنبين ومؤاخذة المستحقين.

الجواب، يقال له: أما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾ فإنما عني به المشيئة التي ينضم إليها الإلجاء، ولم يعن المشيئة على سبيل الاختيار، وإنما أراد تعالى أن يخبرنا عن قدرته^ظ وأنه ممن لا يغالب، ولا يعصى مقهوراً؛ من حيث كان قادراً على الإلجاء العبيد، وإكراههم ما أراد منهم.

فأما لفظة «ذلك» في الآية فحملها على الرحمة أولى من حملها على الاختلاف؛ لدلي

العقل وشهادة اللفظ ، فأما دليل العقل فمن حيث علمنا أنه تعالى كره الاختلاف ، والذهاب عن الدين ، ونهى عنه ، وتوعد عليه ، فكيف يجوز أن يكون شائئاً له ، ومجرباً^(١) بخلاف العباد إليه .

وأما شهادة اللفظ فلأن الرحمة أقرب إلى هذه الكناية من الاختلاف ، وحمل اللفظ على أقرب المذكورين إليها أولى في لسان العرب .

فأما ما طعن به السائل ، وتعلق به من تذكير الكناية ، وأن الكناية عن الرحمة لا تكون إلا مؤنثة فباطل ، لأن تأنيث الرحمة غير حقيقي ، وإذا كنى عنها بلفظ التذكير كانت الكناية على المعنى ، لأن معناها هو الفضل والإتمام ؛ كما قالوا : سرّني كلمتك ، يريدون سرّني كلامك ، وقال الله تعالى : ﴿ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ﴾ ؛ [الكهف : ٩٨] ؛ ولم يقل « هذه » ، وإنما أراد هذا فضل من ربي ؛ وقالت الخنساء :

فَذَلِكَ يَاهِنْدُ الرَّزِيَّةُ فَاعَامِسِي وَنِيرَانُ حَرْبٍ حِينَ شَبَّ وَقُوذُهَا^(٢)
أرادت الرزء ؛ وقال امرؤ القيس :

بِرَهْرَهَةٍ رُوْدَةٌ رَخْصَةٌ كَخِرْعُوْبَةِ الْبَانَةِ الْمَنْفَطِرِ^(٣)

فقال : « المنفطر » ولم يقل المنفطرة ، لأنه ذهب إلى الغصن ؛ وقال الآخر :

هَنِيئًا لَسَعْدٍ مَا قَتَضَى بَعْدَ وَقْفَتِي^(٤) بِنَاقَةٍ سَعْدٍ وَالْعَشِيَّةُ بَارِدٌ
فذكر الوصف : لأنه ذهب إلى العشي ؛ وقال الآخر :

قَامَتْ تُبَكِّيهِ عَلَى قَبْرِدٍ مَنْ لِي مِنْ بَعْدِكَ يَا عَامِرُ^(٥)

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : « الإجراء يستعمل في المنكر المذموم ؛ يقال : أجرى عليه فعله ، ولا يقال إلا في الشر » .

(٢) ديوانها : ٥٩

(٣) ديوانه : ٨ . البرهرة : الرقيقة الجلد ، والرودة : الرخصة الناعمة ، والخرعوبة : الفضيض الغض ، والمنفطر : المنشق .

(٤) حاشيت (من نسخة) : « وقفني » .

(٥) البيتان في العقد ٣ : ٢٥٩ ، و ٥ : ٣٩٠ ؛ ونسبهما لأعرابية على قبر ابن لها يقال له عامر .

تَرَ كُنْتِي فِي الدَّارِ ذَاغُرَبِيَّةٍ (١) قَدْ ذَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ نَاصِرٌ

فقال: « ذاغربة » ولم يقل ذات غربة، لأنه أراد شخصا ذا غربة؛ وقال زياد الأعجم:

/ إِنَّ الشَّجَاعَةَ وَالسَّمَاةَ ضُمْنَا قَبْرًا يَمْرُو عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ (٢)

[٢٣]

فقال: « ضمننا » ولم يقل ضمننتا؛ قال الفراء: لأنه ذهب إلى أن السماحة والشجاعة مصدران،

والعرب تقول: قِصَارَةُ الثَّوبِ يُعْجِبُنِي؛ لأن تَأْنِيثَ الْمَصَادِرِ يَرْجِعُ إِلَى الْفِعْلِ، وَهُوَ مَذْكَرٌ .

وقال الفرزدق:

تُجُوبُ بِنَاءَ الْفَلَاةِ إِلَى سَعِيدٍ إِذَا مَا الشَّاةُ فِي الْأَرْطَاةِ قَالَا (٣)

فذكر الوصف، لأنه أراد التيس؛ فأما الأرتاة فهي واحدة الأرتى، وهي (٤) شجر

يَنْبُتُ فِي الرَّمْلِ تَسْتِظِلُّ بِظِلَالِهِ الطَّبَاءُ مِنَ الْحَرِّ، وَتَأْوِي إِلَيْهِ، قَالَ الشَّمَاخ:

إِذَا الْأَرْطَى تَوَسَّدَ أُرْدِيهِ خُدُودُ جَوَازِيٍّ بِالرَّمْلِ عَيْنِ (٥)

١٠

(١) في العقد: « لى وحشة » .

(٢) اللآلى' ٩٢١؛ وبعده:

فَإِذَا مَرَّرْتَ بِقَبْرِهِ فَاعْقِرْ بِهِ كَوْمَ الْجِلَادِ وَكُلَّ طِرْفٍ سَابِحٍ

وفي ت، ونسخة بحاشيتي الأصل، ف: « إن السماحة والشجاعة » .

(٣) ديوانه ٢: ٦١٧، وروايته: « فروحت القلوس إلى سعيد » .

(٤) في نسخة بحاشيتي الأصل، ت: « وهو » .

(٥) ديوانه ٩٤، وفي حاشية ت (من نسخة): « توسط أبردیه »، وفي حواشي الأصل،

ت، ف: « قبله » .

إِلَيْكَ بَعَثْتُ رَاحِلَتِي تَشْكِي هُزَالًا بَعْدَ مَقْعِدِهَا السَّمِينِ

إِذْ بَرَكْتُ عَلَى شَرْفٍ وَأَلْقْتُ عَسِيبَ جِرَائِمِهَا كَعَصَا الْمُهْجِينِ

إِذَا الْأَرْطَى

المقعد: أصل السنام، والشرف: النجد من الأرض، وعسيب جرائمها: صفة العنق، والمهجين:

الراعى، والجوازي: التي اكتفت بالرطب عن الماء، وأبردا الأرتى: الغداة والعشى؛ وقال خالد بن

كلثوم: أبرداه: ظلاه؛ الظل بالغداة والعشى؛ وقال ابن دريد: معناه أن البقرة تتوسد بالغداة

الأرتى الذى بلى المغرب، فإذا دارت الشمس دارت معها إلى ناحية المشرق تتوسد الفصون التي مالت عنها

الشمس. والعين: جمع عياء؛ وهي الواسعة العين.

وقوله: «قالا» من القِيلولة لامن القول، على أن قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ كما يدلّ على الرحمة بدل أيضاً على «أن يرّحم»، فإذا جملنا الكناية بلفظة «ذلك» عن أن يرحم كان التذكير في موضعه؛ لأن الفعل مذكور، ويجوز أيضاً أن يكون قوله تعالى ﴿وَلِدَكَ خَلَقَهُمْ﴾ كناية عن اجتماعهم على الإيمان، وكونهم فيه أمة واحدة؛ ولا محالة أنه لهذا خلقهم؛ ويطابق هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾؛ [الذاريات: ٥٦].

٥. وقد قال قوم في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ معناه أنه لو شاء أن يدخلهم أجمعين الجنة، فيكونوا في وصول جميعهم إلى النعيم أمة واحدة، وأجرى هذه الآية مجرى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾؛ [السجدة: ١٣]. في أنه أراد: هداها إلى طريق الجنة، فعلى هذا التأويل أيضاً يمكن أن ترجع لفظة «ذلك» إلى إدخالهم أجمعين إلى الجنة، لأنه إنما خلقهم للمصير إليها والوصول إلى نعيمها.

١٠. فأما قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ فمعناه الاختلاف في الدين والذهاب عن الحق فيه بالهوى والشبهات.

وذكر أبو مسلم ابن بحر في قوله: ﴿مُخْتَلِفِينَ﴾ وجهاً غريباً وهو أن يكون معناه أن خلف هؤلاء الكافرين يخلف سلفهم في الكفر، / لأنه سواء قولك: خلف بعضهم بعضاً، [٢٣] وقولك: اختلفوا^(١)، وسواء قولك: قتل بعضهم بعضاً، واقتتلوا؛ ومنه قولهم: لا أفعل^{١٥} كذا ما اختلف المعمران والجديدان، أي جاء كل واحد منهما بعد الآخر.

فأما الرحمة فليست رقة القلب كما ظنه السائل، لكنها فعل النعم والإحسان، يدلّ على ذلك أن من أحسن إلى غيره، وأنعم عليه يوصف بأنه رحيم به، وإن لم يعلم منه رقة قلب عليه، بل وصفهم بالرحمة من لا يمهّدون منه رقة القلب أقوى من وصفهم الرقيق القلب بذلك؛ لأن مشقة النعمة والفضل والإحسان على من لا رقة عنده أكبر منها على الرقيق القلب،

٢٠. وقد علمنا أن من رق قلبه لو امتنع من الإفضال والإحسان لم يوصف بالرحمة، وإذا أنعم

(١) حاشية الأصل: «سمى الاختلاف اختلافاً لأن الكلام يخلف بعضه بعضاً».

وُصِفَ بذلك ، فوجب أن يكون معناها ما ذكرناه ؛ على أنه لا يمتنع أن يكون معنى الرحمة في الأصل ما ذكرتم^(١) ، ثم انتقل بالتعارف إلى ما ذكرناه كمنظأره . وقد وصف الله تعالى القرآن بأنه هُدًى ورحمة من حيث كان نعمة ، ولا يتأتى في القرآن ما ظنوه^(٢) ؛ وإنما وصفت رقة القلب بأنها رحمة ؛ لأنها مما تجاوره الرحمة التي هي النعمة في الأكثر ، وتوجد عنده ، فحلَّ محلَّ وصف الشهوة بأنها محبة لَمَّا كانت توجدُ عندها المحبة في الأكثر ؛ وليست الرحمة مختصةً بالعمو ؛ بل تستعمل في ضروب النعم ، وصنوف الإحسان ؛ ألا ترى أنا نصيف النعم على غيره ، المحسن إليه بالرحمة ، وإن لم يُسقط عنه ضرراً ، ولا تجاوز له عن زلة ؛ وإنما سمي العفو عن الضرر وما جرى مجراه رحمة من حيث كان نعمة ؛ لأن النعمة بإسقاط الضرر تجرى مجرى النعمة بإيصال النفع ، فقد بان بهذه الجملة معنى الآية ، وبطلان ما ضمنه السائل ١٠ سؤاله .

فإن قيل : إذا كانت الرحمة هي النعمة ، وعندكم أن نعم الله تعالى شاملةً للخلق أجمعين ، فأى معنى لاستثناء ﴿ مِنْ رَحِمٍ ﴾ من جملة المختلفين إن كانت الرحمة هي النعمة ؟ وكيف يصح اختصاصها بقوم دون قوم وهي عندكم شاملة عامة ؟

قلنا : لا شبهة في أن نعم الله شاملة للخلق أجمعين ؛ غير أن في نعمه أيضاً ما يختصُّ بها بعض العباد^(٣) ، إما لاستحقاق ، أو لسبب يقتضي الاختصاص / فإذا حملنا قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ﴾ على النعمة بالثواب ، فالاختصاص ظاهر ، لأن النعمة به لا تكون إلا مستحقة ، فمن استحق الثواب بأعماله وصل إلى هذه النعمة ، ومن لم يستحقه لم يصل إليها . وإن حملنا الرحمة في الآية على النعمة بالتوفيق للإيمان واللطف الذي وقع بعده فعل الإيمان كانت هذه النعمة أيضاً مختصة ، لأنه تعالى إنما لم يُنعم على سائر المكلفين بها ؛ من حيث

(١) ت ، حاشية الأصل (من نسخة) : ما ذكر .

(٢) س : « قالوه » .

(٣) ت : « الخلق » .

لم يكن في معلومه تعالى أن لهم توفيقاً، وأن في الأفعال ما يختارون عنده الإيمان؛ فاختصاص هذه النعم ببعض العباد لا يمنع من شمول نعمهم آخر لهم؛ كما أن شمول تلك النعم لا يمنع من اختصاص هذه .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

روى أبو مسعود البدرى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « مما أدرك الناس

من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحي فاصنع ^(١) ما شئت » .

وفي هذا الخبر وجود من التأويل ثلاثة :

أحدها أن يكون معناه : إذا عملت العمل لله جلّ وعزّ وأنت لا تستحي من الناظرين

إليك ، ولا تتخوفهم ^(٢) أن ينسبوك فيه إلى الرياء صنعت ما شئت ، لأن فكرتك فيهم ،

ومراقبتك لهم يقطعانك عن استيفاء شروط عملك ، ويمنعانك من القيام بمحدوده وحقوقه ؛

وإذا طرحت الفكر توقّرت على استيفاء عملك .

والوجه الثانى أن من لم يستحي من المعايير والمخازى والفضائح صنع ما شاء ،

والظاهر ^(٣) ظاهر أمر ، والمعنى معنى تغليظ وإنكار ؛ مثل قوله تعالى : ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ ؛

[فصلت : ٤٠] ، وقوله عز وجل : ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ ؛ [الكهف : ٢٩] ؛

وهذا نهاية التغليظ والزجر والإخبار عن كبر ^(٤) الذنب فى أطراح الحياء ؛ ويجرى مجرى

قولهم : بعد أن فعل فلان كذا فليفعل ما يشاء ، وبعد أن أقدم على كذا فليقدم على ما شاء ؛

والعنى المبالغة فى عظم ما ارتكبه ، وقبح ^(٥) ما اقترفه .

والوجه الثالث أن يكون معنى الخبر إذا لم تفعل ما تستحي منه فافعل ما شئت ؛

(١) حاشية ت (من نسخة) : « فافعل » .

(٢) فى حاشيتى الأصل ، ف : « خاف وتخوف بمعنى » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « فالظاهر » .

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « عظم الذنب » .

(٥) ت ، د ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « وقبيح » .

فكانَ معنى (١) الخبر إذا لم تفعلُ قبيحاً فافعل ما شئت ، لأنه لا قبيح (٢) من ضرورب القبائح إلا والحياة يصاحبه ، ومن شأنِ فاعله إذا قرّع به أن يستحي منه ، فحتى جانب [٢٤] / الإنسان ما يستحي منه من أفعاله فقد جانب سائر القبائح ، وما عدا القبيح من الأفعال ظ فهو حسن .

ويجرى هذا مجرى خبرٍ روى فيما أظن عن نبينا عليه السلام أن رجلاً جاءه (٣) فاسترشده إلى خصلة يكون فيها جماع الخير ، فقال له عليه السلام : « أشرتُ عليك ألا تكذبَ نبي ، ولن أسألك (٤) ما وراء ذلك » . فهان على الرجل ترك الكذب خاصة ، والمعاهدة على اجتنابه دون سائر القبائح ، وشرط على نفسه ذلك ، فلما انصرف جعل كلما هم بقبيح يفكر (٥) ويقول : أرأيت لو سألتني عنه النبي صلى الله عليه وآله ما كنت قائلًا له ، لأنني إن صدقته افتضحت ، وإن كذبتُه نقضت العهدَ بيني وبينه ؛ فكان ذلك سبباً لاجتنابه لسائر القبائح (٦) ، وهكذا معنى الخبر الذي تأولناه ؛ لأن في اجتناب ما يُستحي منه اجتناباً لسائر القبائح .

(١) م : « المعنى » . (٢) م : « لا ضرب » . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « أتاه » .

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « عما » .

(٥) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « يفكر » ؛ بإسكان الفاء وكسر الكاف .

(٦) حاشية ف : « قال السيد الإمام ضياء الدين : وفي رواية أخرى أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأسلم ثم قال : أنا وأخذ من الذنوب بما ظهر ، وأنا أستسر بخلال أربع : الزنا والسرقه وشرب الخمر والكذب ؛ فأيتهن أحببت تركت ، قال : دع الكذب ؛ فلما تولى من عند النبي صلى الله عليه وآله هم بانزنا ؛ فقال : يسألني رسول الله صلى الله عليه وآله ، فإن جحدت نقضت ماجملت ، وإن أقررت حددت ، ثم هم بالسرقه ثم بشرب الخمر ؛ فنفكر في مثل ذلك ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : يارسول الله ، تركتهن أجمع . قال السيد : إنما كتبت هذه الرواية ها هنا ؛ لأن هذه مفصلة ، وتلك مجمله ، ولأن رأيت السيد غير محقق فيما أورده » .

تَأْوِيلُ خَبَرِ آخِرِ

روى محمد بن الحنفية رحمة الله عليه عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام قال: كان قد كُتِرَ على مارية القبطية أم إبراهيم في ابن عم لها قبطي كان يزورها ، ويختلف إليها ، فقال لى النبي صلى الله عليه وآله : « خذ هذا السيف وانطلق ، فإن وجدته عندها فاقتله » . قلت : يا رسول الله ، أكون في أمرك إذا أرسلتني كالسكة^(١) الحمّاة ، أمضى لما أمرتني ، أم الشاهدُ يرى ما لا يرى الغائب ؟ فقال لى النبي صلى الله عليه وآله : « بل الشاهدُ يرى ما لا يرى الغائب » . فأقبلت متوشحاً^(٢) بالسيف ، فوجدته عندها ، فاخترطتُ السيفَ ، فلما أقبلت نحوه عرف أنى أريده ، فأثى نخلة فرقى إليها ، ثم رمى بنفسه على قفاه ، وشغّر برجليه ، فإذا إنه أجبٌ أمسح ، ماله مما للرجال قليل ولا كثير ، قال : فعمدتُ السيفَ ورجعت إلى النبي صلى الله عليه وآله فأخبرته ، فقال : « الحمد لله الذى يصرف^(٣) عنا أهل البيت » .

١٠

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : فى هذا الخبر أحكام وغريب ، ونحن نبدأ بأحكامه ، ثم نتلوها بغريبه .

فأول ما فيه أن لقائل أن يقول : كيف يجوز أن يأمر الرسول عليه السلام بقتل رجل على التهمة^(٤) بغير بينة ولا مايجرى مجراها؟ والجواب عن ذلك أن القبطيَّ جائز أن يكون من أهل/العهد الذين أخذ عليهم أن تجرى فيهم^(٥) أحكامُ المسلمين، وأن يكون الرسول عليه السلام [٢٠] تقدم إليه بالانتهاء عن الدخول إلى مارية، فخالف وأقام على ذلك ، وهذا نقضٌ للعهد، وناقضٌ

(١) فى حاشيتى الأصل ، ف : « السكة : الحديدية اتى تسكون على طرف آلة الفدان ، والفدان آلة الأكرة » . (٢) توشحت بالسيف ؛ إذا تقلدته .

(٣) حاشية ت من نسخة : « صرف » ، و د : « صرف عنا الرجس أهل البيت » ، و ط ، م :

« يصرف عنا الرجس أهل البيت » . (٤) فى حواشى الأصل ، ت ، ف : « التهمة ؛ بالتحريك هو

الصحيح » . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « عليهم » .

العهد من أهل الكفر مؤذّن بالمحاربة؛ والمؤذّنُ بها مستحقٌّ للقتل .

فأما قوله: « بل (١) الشاهد يرى مالا يرى الغائب (١) » فإنما عني به رؤية العلم لرؤية البصر لأنه لا معنى في هذا الموضع لرؤية البصر ، فكأنه عليه وآله السلام قال : بل الشاهد يعلم؛ ويصحّ له من وجه الرأى والتدبير ما لا يصحّ للغائب؛ ولو لم يقل ذلك لوجب قتل الرجل على كل حال ، وإنما جاز منه عليه الصلاة والسلام أن يخيّر بين قتله والكفّ عنه ، ويفوض الأمر في ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام من حيث لم يكن قتله من الحدود والحقوق ، التي لا يجوز العفو عنها ، ولا يسعُ إلا إقامتها ، لأن ناقض العهد ممن إلى الإمام القائم بأمر (٢) المسلمين إذا قدرَ عليه قبل التوبة أن يقتله، أو أن يمنَّ عليه .

ومما فيه أيضا من الأحكام اقتضاؤه أن مجرد أمر الرسول صلى الله عليه وآله لا يقتضى الجوب ، لأنه لو اقتضى ذلك لما حسنت مراجعته ولا استفهامه ؛ وفي حسنها ووقوعها موقعها دلالة (٣) على أنها لا تقتضى ذلك .

ومما فيه أيضا من الأحكام دلالتُه على أنه لا بأس بالنظر إلى عورة الرجل عند الأمر ينزل فلا يوجد من النظر إليها بدّا إمّا لحدّ يقام ، أو لعقوبة تسقط ، لأن العلم بأنه أمسح أحبّ لم يكن إلا عن تأمل ونظر ، وإنما جاز التأمل والنظر لتبيين : هل هو ممن يكون منه ما قرّف به أولا ، والواجب على الإمام فيمن شهد عليه بالزنا ، وادّعى أنه محبوب أن يأمر بالنظر إليه ، وتبيين أمره ، وبمثل أمر النبي صلى الله عليه وآله في قتل مقاتلة بنى قريظة، لأنه أمر أن ينظروا إلى مؤتزر ، وكلّ من أشكل عليهم أمره ، فمن وجدوه قد أنبت قتله ، ولولا جواز النظر إلى العورة عند الضرورة لما قامت شهادة الزنا ؛ لأن من رأى رجلا مع امرأة واقعا عليها متى لم يتأمل أمرها حق التأمل لم تصحّ شهادته ، ولهذا قال النبي

(١-١) حاشية ت (من نسخة) : « بل لا يرى الشاهد ما يرى الغائب » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « بأمر » .

(٣) ط : « وفي حسنها ووقوعها دلالة .. » ، م : « وفي حسنها ووقوعها موقعها » .

صلى الله عليه وآله لسعد بن عباد ، وقد سأله عمن وجد مع امرأته رجلا ، أيقته ؟ / فقال [٢٥]
 صلى الله عليه وآله : لا ، حتى يأتي بأربعة شهداء ، ولو لم يكن للشهداء إذا حضر واتعمد النظر إلى
 عورتيهما لإقامة الشهادة كان حضورهم كغيبتهم ، ولم تقم شهادة الزنا ؛ لأن من شرطها
 مشاهدة العضو في العضو كالميل في المسححة .

فإن قيل : كيف جازَ لأمر المؤمنين الكفُّ عن القتل ، ومن أي جهة آثره لما وجده
 أحب ، وأي تأثير لكونه أحب فيما استحقَّ به القتل وهو نقض العهد ؟ قلنا : إنه عليه
 السلام لما فوَّضَ إليه الأمر في القتل والكفِّ كان له أن يقتله على كلِّ حال ، وإن وجده
 أحب ؛ لأنَّ كونه بهذه الصفة لا يُخرجه من نقض العهد ، وإنما آثر الكفِّ الذي كان
 إليه ، ومفوضاً إلى رأيه ، لإزالة التهمة والشك الواقعين في أمر مارية ، ولأنه أشفق من أن
 يقتله ، فيتحقق الظن ويلحق بذلك العار ، فرأى عليه السلام أن الكفِّ أولى لما ذكرناه . ١٥

فأما غريب الحديث^(١) فقولُه : «شَغَرٌ^(٢) برجليه» يريد رفعهما^(٣) ، وأصلُه في وصف الكلب
 إذا رفع رجله للبول ، فأما نكاح الشَّغار^(٤) - وقد قيل الشَّغار بالفتح - فهو أن يزوّج الرجلُ
 من هو ووليُّ لها من بنتٍ أو أختٍ غيره ، على أن يزوجه بنته أو أخته بغير مهر . وكان
 أحدُ العرب في الجاهلية يقول للآخر : شاغِرني ؛ أي زوّجني حتى أزوّجك ؛ وأظنه مأخوذاً
 من الشَّغَر الذي هو رفع الرجل ، لأن النكاح فيه معنى الشَّغَر ، فسمي هذا العقد شِغاراً ١٥
 ومشاغرة ، لإفضائه في كل واحد من المزوَّجين^(٥) إلى معنى الشَّغَر ، وصار اسماً لهذا النكاح
 كما قيل في الزنا سِفاح ، لأن الزانين يتساحان الماء ، أي يسكبانه ، والماء هو النُّطفة ، ويمكن
 أن يكون أيضاً الماء الذي يغتسلان به ، فكُنِيَ بذلك عن الزنا^(٥) ثم صار اسماً له وعلماً
 عليه .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « الخبر » . (٢-٢) حاشية ت (من نسخة) : « برجليه

يريد رفعهما » . (٣) ت ، ف : « الشغار ، بالكسر » . (٤) ت ، ف : « المتزوجين » .

(٥) حاشية ف : « الزنا والزنا كلاهما صحيح » .

ومن الشُّعْرُ الذي هو رُفْعُ الرجل قول زياد لابنة معاوية ، وكانت عند ابنه ، فافتخرتُ يوماً عليه ، وتناولتُ ، فشكاها إلى أبيه زياد ، فدخل عايبها بالدَّرَّةِ يَضْرِبُهَا ، ويقول لها أَشْفَرًا وَفَخْرًا ! وأما قولُ الفرزدق :

شَغَارَةٌ تَقْدُ الفَصِيلَ بِرِجْلِهَا فَطَارَةٌ لِقَوَادِمِ الأَبْكَارِ^(١)

[٢٦] / فإنه من غريب شعره ، وفسره قال : معنى «شغارة» أنها ترفع رجلها للبول ، وقوله : «تقدُ الفصيل برجلها» ، أى تركله وتدفعه عن الذنوب إلى الرضاع ، ليتوقَّرَ اللبن على الحلب ، وأراد «بتقده»^(٢) ، أى تبالغ فى إيلامه وضربه ، ومنه الموقوذة^(٣) ؛ فأما قوله : «فطاره لقوادم الأبقار» ، فالفطرُ هو الحلب بثلاث أصابع ، والقوادم هى الأخلاف ، وإنما خصَّ الأبقار بذلك ؛ لأنَّ صغر أخلافها يمنع من حلبها ضَبًّا^(٤) ، والضْبُّ هو الحلب بالأصابع الأربعة^(٥) ؛ فكأنه لا يمكن فيها لِقَصْرَ أخلافها إلا الفطرُ ؛ ومعنى البيت تمييزُ نساء جرير بأنهنَّ راعيات ، وذلك مما تُعَيِّرُ به العربُ النساءَ ؛ ألا ترى إلى قوله قبل هذا البيت :

كَمْ عَمَّةٍ لَكَ يَا جَرِيرُ وَحَالَةٍ فِدْعَاءَ قَدِ حَلَبْتِ عَلَى عِشَارِي^(١)
كُنَّا نَحَازِرُ أَنْ تُضَيِّعَ لِقَاحَنَا وَلَهُمَا إِذَا سَمِعَتْ دُعَاءَ يَسَارِ^(٢)

ثم تلا ذلك بقوله : شغارة ...

١٥ قال سيدنا المرتضى أدام الله علوه : وعندى أن قوله «شغارة» كناية عن رفع رجلها للزنا وهو أشبه بأن يكون مراده فى هذا الموضع ، ألا ترى أنه قد وصفها بالوآله ، وترك

(١) ديوانه ٢ : ٤٥٢ .

(٢) ف حاشية ت (من نسخة) : « تقد » .

(٣) فى حاشيتى الأصل ، ف : « الموقوذة : الشاة التى يرمىها الراعى بالعصا فتموت » .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « ضفا ؛ والضف هو الحلب » .

(٥) م : « الأربعة كلها » .

(٦) فى حاشيتى الأصل ، ف . « الفدع : اعوجاج فى الزند ، وعلى تتعلق بمحذوف ، كأنه قال

متخففة على ، أو قائمة على » ، والشار : جمع عشراء ؛ وهى الناقة التى أتى عليها من وضعها عشرة أشهر .

(٧) فى حاشيتى الأصل ، ف : « اللقاح : جمع لفعة ؛ وهى الناقة الحديثة العهد بالنتاج » .

حفظ اللقّاح عند سماعها دعاء يَسَار؛ وَيَسَار اسمٌ لِرَاع؛ فكأنه قد وصفها بالوَلَه إلى الرِّثَا والإسراع إليه، وترك حفظ ما استَحْفِظْتَهُ من اللقّاح؛ فالأشبه أن يكون قوله: «شغارة» - مع كونه عقيب البيت الذي ذكرناه - محمولا على ما أشرنا إليه .

فأما قولهم : ذهبوا شغَر بغير فليس من هذا في شيء وإنما يُراد به أنهم ذهبوا متفرقين متشتتين ، ومثله ذهبوا عباديد وعبايد ، وشعائل وشعارير وأيادي^(١) سبا ؛ كل ذلك بمعنى واحد .

وأما قوله: «إِذَا أَنَّهُ أَجَبَّ» ، فيعني به المقطوع الذَكَر ؛ لأنَّ الجَبَّ هو القطع ؛ ومنه بعير أَجَبَّ إِذَا كَانَ مَقْطُوعَ السِّنَامِ : وقد ظن بعض مَنْ تَأَوَّلَ هَذَا الْخَبْرَ أَنَّ الْأَمْسَحَ هَهُنَا هُوَ الْقَلِيلُ لِحْمِ الْأَلْيَةِ ، كَالْأَرْصَعِ وَالْأَرْسَحِ وَالْأَزْلِ^(٢) ، وَهَذَا غَلْطٌ ، لِأَنَّ الْوَصْفَ بِذَلِكَ لَا مَعْنَى لَهُ فِي الْخَبْرِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ تَأْكِيدَ الْوَصْفِ لَهُ بِأَنَّهُ أَجَبُّ ، وَالْبَالِغَةُ فِيهِ ، لِأَنَّ قَوْلَهُ : «أَمْسَحَ» [٢٦] ط يفيد أنه مصْطَلِمٌ^(٣) الذَّكَرُ ، وَيَزِيدُ عَلَى مَعْنَى أَجَبَّ زِيَادَةَ ظَاهِرَةً .

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني القاسم بن الحسين الوراق قال حدثنا سليمان ابن داود الطوسي قال حدثنا سوار بن عبد الله القاضي عن الأصمعي قال : دخلتُ على

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : « أيادي ، يجوز أن تكون نصباً على الحال ، وعلى المصدر أيضا ؛ فإذا كان حالا كان التقدير : تفرقوا أمثال أيادي سبا ، وإذا كان مصدرا فالتقدير : تفرقوا تفرق أولاد سبا . وفي حواشي الأصل ، ت ، ف أيضا : « يقال تفرقوا أيادي سبا ، وفي معناه قولان : أحدهما أنه سبأ بن يشجب ، والأَيَادِي : الأولاد ، وفيه لأنه من السبي ، ووزنه فعل ؛ وحينئذ ينصرف ، وإنما صار الأولاد أيادي ؛ لأنه يستعان بهم كما يستعان بالأيادي ، والأَيَادِي جمع الجمع ، يد وأيد وأياد . »

(٢) حاشية ف : « الأَرْصَعُ وَالْأَرْسَحُ وَالْأَزْلُ : قَلِيلُ لَحْمِ الْوَرَكِ . »

(٣) حاشية ف . « مصْطَلِمٌ : مَقْضُوعُ الذَّكَرِ . »

الرشيد^(١) في الليل، فتذاكرنا أحوال القمر، فقلت: العرب تقول للقمر إذا كان ابن ليلة: ما أنت ابن ليلة^(٢)؟ قال: رضاعٌ سُخَّيْلَةٌ، حلَّ أهلها برُمَيْلَةٍ. قيل له: ما أنت^(٣) ابن ليلتين؟ قال: حديثٌ أُمَّتَيْنِ، بكذبٍ ومَينٍ. قيل له: ما أنت ابن ثلاث؟ قال: قليل اللبّاث - وقيل أيضاً: حديثٌ فَتَيَاتٍ، غيرِ جِدِّ مؤتلفات - قيل له: فما أنت ابن أربع؟ قال: عتمةُ أم رُبْعٍ - وقيل: عتمةُ أم الرُبْعِ^(٤) - غير جائع ولا مُرَضِعٍ. قيل له: فما أنت^(٥) ابن خمس؟ قال: عشاءٌ خَلِيفَاتُ قُعْسٍ - ويقال: حديثٌ وأنسٍ، ويقال: سرٌّ ومَسٌّ^(٦) - قيل له: ما أنت^(٧) ابن ست؟ قال سرٌّ وِبتٌ - وقيل: تحدّث^(٨) وِبتٌ - قيل له: ما أنت^(٩) ابن

(١) حاشية ف: « حدث عبيد الله بن محمد النيمي قال: أراد الرشيد سفراً؛ وأمر الناس أن يتأهبوا لذلك، وأعلمهم أنه خارج مد الأسبوع؛ ففضى الأسبوع ولم يخرج، فاجتمعوا إلى المأمون يسألونه أن يستعلم ذلك؛ ولم يكن الرشيد يعلم أن المأمون يقول الشعر؛ فكتب إليه المأمون:

يَا خَيْرَ مَنْ خَبَّتِ الْمَطْيُ بِهِ وَمَنْ تَقَدَّى بِسِرِّهِ فَرَسُ
هَلْ غَايَةٌ فِي الْمَسِيرِ نَعْرِفُهَا أَمْ أَمِيرُنَا فِي الْمَسِيرِ مُلْتَبِسُ
مَاعِلِمٌ هَذَا إِلَّا إِلَى مَلِكٍ مِنْ نُورِهِ فِي الظَّلَامِ يُقْتَبَسُ
إِنْ سِرَّتْ سَارَ الرَّشَادُ مُتَّبِعًا وَإِنْ تَقَفَ بِالرَّشَادِ يَحْتَبِسُ

فقرأها الرشيد وسرّ بها، ووقع فيها: يابني، ما أنت والشعر! أما علمت أن الشعر أرفم حالات الدق، وأقل حالات السرى! والمسير إلى ثلاث إن شاء الله.

— قوله المأمون في شعره: « ومن تقدى بسرجه فرس »، تقدى أي استمر؛ كما قال ابن قيس الرقيات:

تَقَدَّتْ بِي الشَّهْبَاءُ نَحْوَ ابْنِ جَعْفَرٍ سِوَا عَلِيَّهَا لَيْلَهَا وَنَهَارُهَا
أى استمرت وجرت فاصدة إليك.

(٢) في حاشيتي الأصل، ف: « أى أستفهمك عن نفسك في حال كونك ابن ليلة ».

(٣) ط، م: « فأنت ». (٤) د، حاشية ف (من نسخة): « أم ربيع ».

(٥) ت، د: « ما أنت ».

(٦) في حاشيتي ت، ف: « مس، أى ليكن سيرك مساء للضوء ».

(٧) ط، م: « فأنت ».

(٨) ف، حاشية الأصل (من نسخة): « حدث ».

(٩) د، ت، ف: « قيل: ما أنت ». ط، م: « قيل فأنت ».

- سبع؟ قال دَلَجَةٌ^(١) ضَبِع^(٢) - وقيل هُدَى لأنس^(٣) ذى الجمع ، وقيل: حديث جمع ، وقيل: يُضْفَرُ فِي النَّسَمِ^(٤) ، وقيل: يُلْتَقَطُ فِي الْجَزَع - قيل: ما أنت ابن ثمان؟ قال: قرأ إضحيان^(٥) .
- قيل: له: ما أنت ابن تسع؟ قال منقطع الشسع - وقيل يُلْتَقَطُ فِي الْجَزَع ، وقيل: الوَدْعُ^(٦) ، وقيل عَشِيَّةُ أَهْلِ جَمْع - قيل له: ما أنت ابن عشر؟ قال: مُلِّثُ الشَّهْرِ ، - وقيل: مَخْنَقُ الْفَجْرِ ، وقيل: أُوْدِيكَ إِلَى الْفَجْرِ ، وقيل: أبادر الفجر - قيل له: ما أنت ابن إحدى عشرة^(٧)؟ قال: أطلع عشاءً ، وأرى بُكْرَةَ - وقيل: أُغِيبُ بِسُحْرَةٍ - قيل: له ما أنت ابن اثنتي عشرة؟ قال: مُوْتِنِقٌ لِلْبَشَرِ^(٨) ، بالبدو والحضر . قيل: ما أنت ابن ثلاث عشرة؟ قال: قرأ باهر ، يَعْمَشِي لَهُ النَّاطِرُ ؛ قيل له: ما أنت ابن أربع عشرة؟ قال: مُقْتَبِلُ الشَّبَابِ ، أُضِي مُدْجِنَاتِ^(٩) السَّحَابِ - وقيل مُضِي^(١٠) للسحاب - قيل له: ما أنت ابن خمس عشرة؟ قال: تَمَّ الشَّبَابِ ، وانتصف الحِساب .

١٠

(١) س: « بضم الدال » ، ت: « بضم الدال وفتحها معا » .

(٢) في نسخة بحاشيتي ت ، ف: « الضبيع » .

(٣) ج ، س: « لأنس ذى الجمع » ، بتنوين السين .

(٤) الفسع: سير مضمفور مثل الأعنة .

(٥) ت ، س: « قرأ إضحيان » ، بالإضافة؛ وفي حاشية الأصل (من نسخة): « قرأ إضحيان » ،

بضم الهمزة . وفي حواشي الأصل ، ت ، ف: « قرأ إضحيان وليلة ضحيانة ، بالكسر؛ هو المعروف الصحيح » .

(٦) الودع: خرز أبيض يخرج من البحر؛ معروف .

(٧) في حاشيتي ت ، ف: « يقال: إن ما بعد العشر موضوع لم يرو عن قدماء العرب » .

(٨) في نسخة بحاشيتي ت ، ف: « موثق البشر » .

(٩) حاشية ف: « أسمى مدجنات السحاب؛ التقدير: السحاب المدجنات؛ وهذا من باب ما يقال

له إضافة الصفة إلى الموصوف في الظاهر؛ كقول: مررت بحسان النساء ، وجسام الرجال؛ أي النساء الحسان والرجال الجسام » .

(١٠) ت ، ف ، وحاشية الأصل (من نسخة): « مضى السحاب » .

قيل له: ما أنت ^(١) ابن ست عشرة؟ قال: ناقص ^(٢) الخلق، بالغرب والشرق. قيل له: ما أنت ابن سبع عشرة؟ قال: أمكنت المقتفرة ^(٣). قيل له ما أنت ابن ثمان عشرة ^(٤)؟ قال: قليل البقاء، سريع الفناء. قيل له: ما أنت ابن تسع عشرة؟ قال: بطيء الطلوع / بين الخسوع. قيل: ما أنت ابن عشرين؟ قال: أطلع بسحرة، وأضى بالبهرة ^(٥) - وقيل: ثم أهجرت ^(٦) بالبهرة - قيل: ما أنت ابن إحدى وعشرين؟ قال: كالقبس؛ يرى بالغلس. قيل: ما أنت ابن اثنين وعشرين؟ قال: لا أطلع إلا ريثما أرى. قيل: ما أنت ابن ثلاث وعشرين، قال: أطلع في قئمة، ولا أجلو الظلمة. قيل له: ما أنت ابن أربع وعشرين؟ قال: لا قر ولا هلال. قيل: ما أنت ابن خمس وعشرين؟ قال: دنا الأجل، وانقطع الأمل. قيل: ما أنت ابن ست وعشرين؟ قال: دنا مادنا؛ فلا يرى مني إلا شفا. قيل: ما أنت ابن سبع وعشرين؟ قال: أطلع بكراً، ولا أرى ظهرا. قيل: ما أنت ابن ثمان وعشرين؟ قال: أسبق شعاع الشمس. قيل: ما أنت ابن تسع وعشرين؟ قال: ضئيل صغير، فلا يراني إلا البصير. قيل: ما أنت ابن ثلاثين؟ قال: هلال مستنير ^(٧).

قال الأصمى: ثم قلت للرشيد: يقال إنه لا يحفظ هذا الحديث من الرجال إلا عاقل،

(١) ت، ف: «قيل ما أنت». (٢) م: «ناقص الخلق».

(٣) حاشية ف (من نسخة): «المقترة».

(٤) في نسخة حاشيتي الأصل، ف: «ثمان عشرة».

(٥) في حاشيتي الأصل، ف «البهرة: نصف الليل؛ يقال ابهار الليل؛ إذا انتصف، وبهرة كل شيء وسطه». س: «البهرة البهرة: الوسط من كل شيء، وكأنه إشارة إلى نصف النهار؛ ويدل عليه ذكر التهجير؛ والله أعلم».

(٦) في حاشيتي الأصل، ف: «معنى قوله: «أهجرت بالبهرة»، أي أطلع نصف الليل، واستعمل

التهجير؛ وهو نصف النهار في الليل استعارة».

(٧) ف، وحاشية ت (من نسخة): «مستسر»، وفي نسخة بحاشيتي الأصل، ف: «مستسر»، وفي حاشية

ف: «مستسر، من السرار؛ وهو آخر الشهر». وفي حاشية الأصل أيضا (من نسخة): «مستين».

فقال: خذه عليّ ، قلت : هاتِ ، فأعاده حتى بَلَغَ : « قيل له : ما أنت ابن ثمان ؟ قال : قرأ أضحيان » .

أما قوله : « رَضاع سُخَيْلَة » أراد تصغيرَ سَخْلَة ، والمعنى أن القمرَ يَبْقَى بقدر ما ينزل قوم ، فتَضَعُ شائهم سَخْلَة ، ثم تُرَضِعُها ويرتحلون ، فبقاؤه بالأفق بمقدار هذا الزمان . وقوله : « حَلَّ أهلهَا برُمَيْلَة » أظن أن المعنى فيه الإخبارُ عن قلة اللَّبَاث وسرعة الانتقال ؛ لأن الرَّمَلَ ليس بمنزل مُقام للقوم ؛ لأنهم كانوا يختارون في منازلهم جَدَدَ^(١) الأرضِ وهَضْبَهَا والأما كن التي لا تستولى السيولُ عليها ، فَخَصَّ الرُّمَيْلَة لهذا المعنى . وقوله « حديثُ أُمَّتَيْنِ ، بكذبٍ ومين » يريد أن بقاءه قليل بمقدار ما تَلَقَى الأُمَّةُ الأُمَّةَ ، فتكذبُ لها حديثاً ثم تفتقران . وقوله : « حديثُ فتياتٍ ، غيرِ جدِّ مؤتلفات » ، أراد أنه يَبْقَى بقاءَ فتياتٍ اجتمعن على غير ميماد ، فتحدثن ساعة ثم انصرفن غيرَ مؤتلفات . وقوله « عَتَمَة أم رُبَع^(٢) » ، يقال : عَتَمَتْ إباهُ إذا تأخرتُ عن العشاءِ ، ومن هذا سَمِيَتْ صلاةُ العَتَمَة ؛ لأنها آخرُ الوقتِ في العِشاءِ ، وقوله « أم رُبَع » يعنى الناقةُ ، وهو تأخير حَلْبِها ؛ يريد أن بقاءه بمقدار ما تُحَلَبُ^(٣) ناقةٌ لها ولدٌ ولدته في أول الربيعِ ؛ وهو أولُ النَّتاجِ ، والولدُ في هذا الوقتِ يُسَمَّى رُبَعاً ، إذا كان ذكراً ، [٢٧ ط] فإن كان أنثى قيل رُبَعَة ، فإن كان في آخر النَّتاجِ قيل هُبَعٌ للذكر وللأنثى هُبَعَة . وقوله : « عِشاءُ خَلِفاتٍ قُعَس » ؛ فالخَلِفاتُ اللواتي قد استبان حَمْلُهُنَّ ، واحدها خَلِيفَة ، وهى الخاض ؛ ١٥ ولا واحدٌ للخاض من لفظها^(٤) ، وإنما قال : « عِشاءُ خَلِفاتٍ » ؛ لأنها لا تُعَشَّى إلى أن يغيب القمرُ في هذه الليلة ، والقُعَساءُ الداخلةُ الظَّهْرَ الخارجةُ البطنِ . وقوله : « سِرٌّ وِبَتْ » يريد أنه لا يبقى إلا بقدر^(٥) ما يبببب الإنسان ثم يسير^(٥) ، يريد أنه يبقى بقدر ما يسير الإنسان ثم يبببب ،

(١) الجلد من الأرض : الصلب المستوى .

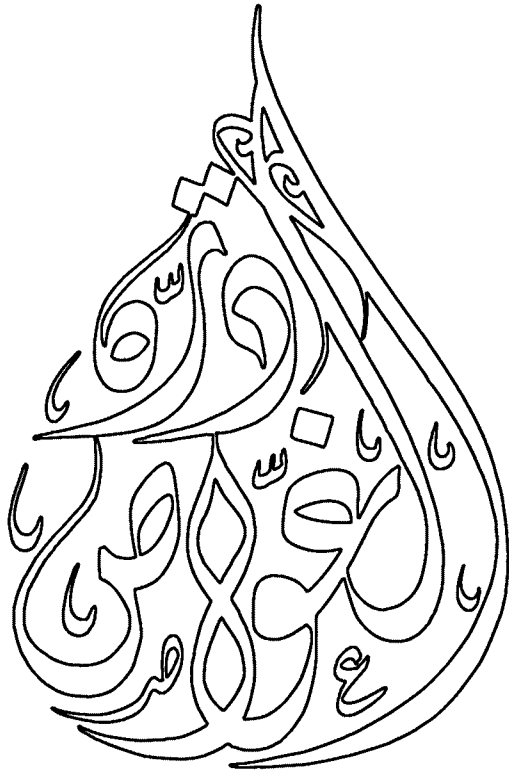
(٢) ط ، م : « أم الربيع » . (٣) في نسخة بحاشيتي ت ، ف : « حلب ناقة » .

(٤) كذا في ش ، وفي ج : « لفظه » .

(٥-٥) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « ما الإنسان ثم يسير يبببب » .

فقلب المعنى لأنه يسير في الضوء .

وقوله : « قرأ إضحياناً » ؛ أى ضاحٍ وبارز ، ويقال : « قرأ إضحياناً » بالتنوين فيهما جميعاً ، و « قرأ إضحياناً » بالإضافة ، ومنه قيل : ليلة إضحيانة ، إذا كانت نقيّة البياض .
وقوله : « منقطع الشسع » ، أراد أنه يبقى بقدر ما تبقى شسع من قدرٍ يمشى به حتى ينقطع .
وقوله : « يلتقط في الجزع » ، أى أنه مضى ، أبلج ، لو انقطعت مِخْنَقَةٌ فتاة فيها شذورٌ مفصلة بجزعٍ ماضعٍ منها شيء لضياؤه ونقائه . وقوله : « أضيء بالبهرة » ، يعنى به وسط الليل ، لأن بهرة الشيء وسطه . وقوله : « أمكنت المقتفر القفرة » ؛ فالمقتفر الذى يتبع الآثار ، ومقتفراته مواضعه التى يقصدها^(١) .



(١) فى نسخة بمحاشينى الأصل ، ت : « وقفرته : موضعه الذى يقصده » .

مَجْلِسُ آخِرِ تَأْوِيلِ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾؛ [الإسراء: ٧٢] فقال: كيف يجوز أن يكونوا في الآخرة عمياً ، وقد تظاهر الخبر عن الرسول عليه وآله السلام بأن الخلق يُخشرون كما بُدئوا سالمين من الآفات والمآهات ، قال الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعْمُدُونَ﴾؛ [الأعراف : ٢٩]، وقال عز وجل: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾؛ [الأنبياء : ١٠٤]، وقال جل وعلا: ﴿فَبَصَّرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدًا﴾؛ [ق : ٢٢] .
الجواب ، يقال في هذه الآية أربعة أجوبة^(١):

أحدها أن يكون العمى الأول إنما هو عن تأمل الآيات ، والنظر في الدلالات والمعبر التي أراها الله المكلفين في أنفسهم وفيما يشاهدون ، ويكون العمى الثاني هو عن الإيمان بالآخرة ، والإقرار / بما يُجازى به المكلفون فيها من ثواب أو عقاب ، وقد قال قوم: [٢٨] إن الآية متعلقة بما قبلها من قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾؛ [الإسراء : ٦٦] إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾؛ [الإسراء : ٧]، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾؛ يعني^(٢) في هذه النعم ، وعن هذه المعبر ، فهو في الآخرة أعمى ؛ أي هو عمّا غُيِبَ عنه من أمر الآخرة أعمى ، ويكون قوله: ﴿فِي هَذِهِ﴾ كناية عن النعم ١٥ لاعتن الدنيا ويقال: إن ابن عباس رحمة الله عليه سأله سائل عن هذه الآية فقال له: اتل ما قبلها، ونهه على التأويل الذي ذكرناه .

(١) م : د أوجه . (٢) د ، ف ، حاشية ت (من نسخة) : د يعني عن هذه النعم .

والجواب الثاني: ﴿ مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ ﴾ يعنى الدنيا ﴿ أَعْمَى ﴾ عن الإيمان بالله والمعرفة بما أوجب عليه المعرفة به ؛ فهو في الآخرة أعمى عن الجنة والثواب؛ بمعنى أنه لا يهتدى إلى طريقتهما^(١)، ولا يوصل إليهما، أو عن الحججة^(٢) إذا سوئل^(٣) وووقف، ومعلوم أن مَنْ ضلّ عن معرفة الله تعالى والإيمان به يكون في القيامة منقطع الحججة، مفقود المعاذير.

• والجواب الثالث: أن يكون العمى الأول عن المعرفة والإيمان، والثانى بمعنى المبالغة فى الإخبار عن عظيم ما يناله^(٤) هؤلاء الكفار الجهال من الخوف والغم والحزن الذى أزاله الله عن المؤمنين العارفين بقوله: ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾؛ [يونس : ٦٢]، ومن عادة العرب أن تُسمى مَنْ اشتدَّ همُّه وقوى حزنه أعمى سخين العين، ويصفون المسرور بأنه قيرير^(٥) العين، قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَمْكُونُ ﴾؛ [السجدة: ١٧].

والجواب الرابع: أن العمى الأول يكون^(٦) عن الإيمان، والثانى هو الآفة فى العين على سبيل العقوبة؛ كما قال الله تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى . قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي عَلَى أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا . قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾؛ [طه : ١٢٤ - ١٢٦]. ومن يُجيب بهذا الجواب يتأول قوله تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ﴾ على أن المعنى / فيه الإخبار عن الاقتدار وعدم المشقة فى الإعادة؛ كما أنها معدومة فى الابتداء، ويجعل ذلك نظيرا لقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ ﴾^(٧) عليه؛ [الروم : ٢٧]، ويتأول قوله تعالى ﴿ فَبَصُرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ على أن معناه الإخبار عن قوة المعرفة، وأن الجاهل بالله فى الدنيا يكون عارفا به فى الآخرة؛ والعرب

(١) ت ، ف : « طريقتهما ». (٢) ت ، ف : « يفقد الحججة ». حاشية الأصل من نسخة : « لفقده الحججة ». (٣) ت ، حاشية ف (من نسخة) : « سئل ووقف ». (٤) فى نسخة بمحاشيتى ت ، ف : « ما ينال ». (٥) ت ، د ، ف : « أنه ». (٦) ساقطة من ف . (٧) حاشية ف : « أهون هاهنا بمعنى الهين ، وإن حمل على المبالغة فهو على مجاز كلام العرب » .

تقول: فلان بصير بهذا الأمر؛ وزيد أبصر بكذا من عمرو، ولا يريدون إِبْصَارَ العين، بل العلمَ والمعرفة؛ ويشهد بهذا التأويل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَك فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾، أى: كنت غافلاً عما أنت الآن عارف به، فلما أن كَشَفْنَا عَنْكَ الْغِطَاءَ بَانَ أَعْمَانَاكَ وَفَعَلْنَا فِي قَلْبِكَ الْمَعْرِفَةَ عَرَفْتَ وَعَلِمْتَ .

فأما الخبر الذى تُدْعَى روايته فهو خبر واحد، ولا حجة^(١) فى مثله؛ وإذا عرف لفظه ه ربما أمكن تأوله على ما يوافق هذا الجواب، ومن^(٢) ذهب إلى الأجوبة الأولى يجعل العمى الأول والثانى معاً غير الآفة فى العين، فإن عورض بقوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾^(٣) تأوله على العمى عن الثواب أو عن الحجة، وقال فى قوله تعالى: ﴿لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ إن معناه: كنت بصيراً فى اعتقادى وظنى، من حيث كنت أرجو الهداية إلى الثواب وطريق الجنة .

١٠

والحاصل من هذه الجملة أنه لا يجوز أن يُراد بالعمى الأول والثانى جميعاً الآفة فى العين؛ لأنه يودى إلى أن كلَّ مَنْ كَانَ مَثُوفًا^(٤) البصر فى الدنيا؛ من مؤمن وكافر وطائع وعاصٍ يكون كذلك فى الآخرة، وهذا باطل ويمثله يبطل أن يراد بلفظة ﴿أَعْمَى﴾ الثانية المبالغة بمعنى أفضل من فلان، ويبطله أيضاً أن العمى الذى هو الخلق لا يُتَعَجَّبُ منه بلفظة «أفعل» وإنما يقال: ما أشدَّ عماء! ولا يجوز أن يُراد بالعمى الأول العين^(٥) والثانى العمى عن الثواب ١٥ والجنة أو الحجة، لأننا نعلم أن فيمن^(٦) عميت عينه فى الدنيا من يستحق الثواب، ويوصل إليه، ولا يجوز أن يراد بالأول والثانى العمى عن المعرفة والإيمان، لا على طريقة^(٧) المبالغة والتعجب / ولا على غير ذلك؛ لأننا نعلم أن الجهال بالله تعالى، المعرضين فى الدنيا عن معرفته [٢٩] و

(١) ت، وحاشية ف (من نسخة): «واحد لاجحة». (٢) فى نسخة بحاشيتى ت،

ف: «يذهب». (٣) فى حاشيتى ت، ف: «روى نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وآله: يحشر الناس يوم القيامة كما ولدتهم أمهاتهم حفاة عراة. وفى حديث آخر: غرلا؛ والأغزل: الأكلف؛ ورواه غيره: أن ناسى القرآن يحشر يوم القيامة أعمى». (٤) الثوف: الذى أصابته

الآفة، وفى م: «مكفوف». (٥) ف، ومن نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «عمى العين»

(٦) ت، حاشية ف (من نسخة): «ممن». (٧) حاشية ت (من نسخة): «طريق» .

لا يجوز أن يكونوا في الآخرة كذلك ؛ فضلا أن يكونوا على أبلغ من هذه الحالة لأن المعارف في الآخرة ضرورية ، يشترك فيها جميع الناس ، فلم يبق بعد الذي أبطلناه إلا ما دخل في الأجوبة . وعلى الأجوبة الثلاثة الأول إذا أريد بأعمى الثانية المبالغة والتعجب كان في موضعه ؛ لأن عمى القلب وضلاله يتمتع منه بلفظة « أفعل » وإن لم يجز ذلك في

عمى الجارحة ٥

ولمن أجاب بالجواب الرابع ألا يجعل قوله تعالى : ﴿ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى ﴾ لفظه تعجب ، بل يجعله إخباراً عن عماءه من غير تعجب ، وإن عطف عليه بقوله تعالى : ﴿ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ ويكون تقدير الكلام : وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَهُوَ أَضَلُّ سَبِيلًا (١) .

١٠ فإن قيل : ولم أنكرتم التعجب من الخلق بلفظة « أفعل » ؟ . قلنا : قد قال النحويون في ذلك : إن الألوان والعيوب لا يتمتع منها بلفظ التعجب وإنما يُمدلُ فيها إلى أشد وأظهر وما جرى مجراها ؛ قالوا : لأن العيوب والألوان قد ضارعت الأسماء ، وصارت خِلقة كاليد والرجل ونحو ذلك ؛ فلا يقال : ما أسوده وما أعوره ، كما لا يقال : ما أيداه (٢) وما أرجله ؛ ويقال : ما أشد سواده ! كما يقال : ما أشد يده ورجله ! واعتلوا بعملة أخرى ، قالوا : إن الفعل من الألوان والعيوب على « افعل » و « افعال » ، نحو احمرّ واعورّ واحولّ واحوالّ ١٥ والتعجب لا يدخل فيها (٣) زاد على ثلاثة أحرف من الأفعال ؛ ألا ترى أنه لا يدخل في انطلق واستخرج ودخرج لزيادته على ثلاثة أحرف (٤) ؟

(١) حاشية ت ، ف : « لو ذكر رحمه الله المبالغة في الموضعين لكان صوابا ، لأن أفعل في التعجب فعل ؛ وهو ما هنا اسم كالمبالغة ؛ أولاترى أنا نقول في التعجب « ما أحسن » والتقدير : شيء أحسنه » .
(٢) في حاشيتي ت ، ف : « إنما يبنى التعجب من الأفعال دون الأسماء واليد والرجل أسماء » .
(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « على ما زاد » ،

(٤) حاشية ف : « إنما امتنعت صورة التعجب في الرباعي ؛ لأن فعل التعجب يكون أبداً أرباعاً أحرف ؛ أحدها الب النقل والتناز الفعل ؛ فإذا أدخلت على الرباعي لم يكن بد من طرح أحد الحروف ولا يمكن ذلك لأن كلها أصول فعلا ؛ إذ التعجب يختص الثلاثي فحسب » .

فإن قيل لهم فقد قالوا : عَوِرَتْ عَيْنُهُ وَحَوِلَتْ ، قالوا : هذا منقول من «أفعل» وهو في الحكم زائد على ثلاثة أحرف، يدلّ على ذلك صحة الواو فيه ؛ كما سجدت في اسودّ و أبيض ولولا أنه منقول منه لاعتلت الواو، فقلت: عارت وحالت ، كما قيل : خاف وهاب.

وحكى عن الفراء في ذلك جوابان : أحدهما أنّ «أفعل» في التعجب فيه زيادة على وصف

قَبْلَهُ إذا قال القائل أفضل وأجمل، فهو أزيد في الوصف من جميل وفاضل ، فلم يقولوا: ما أبيض ه
زيداً ! لثلايسقط / التزيد^(١) ، ولا يكون قبل أبيض وصف يزيد أبيض عليه ، يخالف لفظه [٢٩] ط
لفظه ؛ كما خالف أفضل وأجمل فاضلاً وجميلاً ، فلما فاتهم في أبيض وأحمر علمم التزيد^(٢) أدخلوا
عليه ما تبين الزيادة فيه ، وقالوا : ما أظهر حمرة زيد: وما أشد سواد عمرو ! لأن «أظهر» زيد
على ظاهر، و«أشد» زيد على شديد^(٣) .

والجواب الآخر أنّ التعجب مبنى على زيادة فصلح أن يتقدمها نقص وتقصير عن بلوغ
التناهي ، فقالوا : ما أعلم زيداً ! ليدلوا على زيادة علمه ؛ لأنهم في قولهم : عالم وعليم لم يبلغوا
في التناهي مبلغ «أعلم» ، ولم يقولوا : ما أبيض زيداً ! لأن البياض لا تأتي^(٤) منه زيادة بعد
نقص ، فعدلوا إلى التعجب بأشدّ وأبين وما جرى مجراها ، وهذا الجواب ليس بسديد؛ لأنّ
الألوان قد تتأتى فيها الزيادة بعد نقص ، وقد تدخل فيها المفاضلة ، ألا ترى أنّ ما حلّه قليل
أجزاء البياض يكون أنقص حالاً في البياض مما حلّه الكثير من الأجزاء !

١٥

والجواب الأول الذي حكيناه عن الفراء أصوب ، وإن كان ما قدمناه عن البصريين هو

المعتمد^(٥) وقد أنشد بعضهم ممترضاً على ما ذكرناه قول الشاعر :

(١) في نسخة بحاشيتي ت ، ف : « التزايد » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « الزيد » .

(٣) في حاشيتي ت ، ف : « متقرر في علم الأصول أن السواد لا يكون أزيد في كونه سواداً من سواد

آخر؛ وإنما تنكأثر الأجزاء ، فيقال : هذا أشد سواد من ذلك » .

(٤) في نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « لا تتأتى » .

(٥) حاشية ف : « قال ابن الشجري : هذان الوجهان متقاربان ، والسيد يفضل الأول ، ولا أدرى

ما بينهما ، إلا أن الأول اعتبار باللفظ والثاني اعتبار بالمعنى » ، وفي حاشية ت : « الجواب الأول مشتمل

على نفي المبالغة في أبيض ، والملة ألا يسقط التزيد ، ، والجواب الثاني مشتمل على طرف من ذلك الجواب ؛

لأنه يقول إنما لا يمال أبيض على طريق المبالغة ؛ لأن التزايد في البياض لا يتأتى » .

يَأْتِيَنِي مِثْلِكَ فِي الْبِيَاضِ أبيضٌ مِنْ أُخْتِ بَنِي إِبَاضٍ (١)
وَأُنْشِدُوا أَيْضاً قَوْلَ الشَّاعِرِ (٢) :

أَمَّا الْمُدُوكُ فَأَنْتَ الْيَوْمَ الْأَمُّهُمُ لَوْ مَأَّ وَأَبْيَضُهُمْ سِرْبَالٌ طَبَّاحٌ

فأما البيت الأول فإن أبا العباس المبرد حمله على الشذوذ ، وقال : إن الشاذ النادر لا يطعن

• في المعمول عليه ، والمتفق على صحته ، ويجوز أيضاً أن يقال في البيت الثاني مثل ذلك ، وقد قيل في البيت الثاني إن أبيض فيه ليس هو الذي للمفاضلة ، وإنما هو أفعال الذي مؤنثه فملا ، كقولك أبيض وبيضاء ؛ ويجرى ذلك مجرى قولهم هو حسن (٣) القوم وجهاً ، وشريفهم (٣) خلُقاً ؛ فكان الشاعر قال : (٤) ومبيضهم ، فلما أضافه انتصب مابده لتمام الاسم ، وهذا أحسن من حمله على الشذوذ (٥) .

١٠ ويمكن فيه وجه آخر وهو أن أبيض في البيت وإن كان في الظاهر عبارة عن اللون [٣٠] فهو في المعنى / كناية عن اللؤم والبخل ، فحمل لفظ التعجب على المعنى دون اللفظ ، و

(١) البيت في اللسان (بيض) ، وروايته فيه :

جَارِيَةٌ فِي دِرْعِهَا الْفَضْفَاضِ أبيضٌ مِنْ أُخْتِ بَنِي إِبَاضِ

وفي حاشية ف : « أبيض ، بالرفع على تقدير : أنت أبيض ، وبالفتح على أنه حال من أنا أو أنت

وإياض : اسم رجل » .

(٢) في حاشيتي ت ؛ « قال السيد المرتضى رضى الله عنه : هو اضرفة ؛ وإنما أراد ذمه بقلة الفرى

في بيته ، فطباخه نقي الثوب » .

والبيت في ديوانه : ١٥ ، وروايته فيه :

إِنْ قَلْتَ نَصْرٌ فَنَصْرٌ كَانَ شَرِّ قَتَى قَدِمًا وَأَبْيَضُهُمْ سِرْبَالٌ طَبَّاحٌ

وهو أيضاً في اللسان (بيض) ، وروايته فيه :

إِذَا الرِّجَالُ اسْتَوَوْا وَاسْتَدَّ أَكْطُهُمْ فَأَنْتَ أبيضُهُمْ سِرْبَالٌ طَبَّاحٌ

(٣-٣) حاشية ت (من نسخة) : « هو أحسن القوم وجهاً وأشرفهم خلقاً » .

(٤) حاشية ف : « مبيضهم ؛ أي أبيضهم ، لاجمعى المبالغة » .

(٥) حاشية ف : « تحقيق ما قدره السيد أن يكون أبيضهم سربال طباح » ليس معناه التعجب

والمعنى مبيضهم سربال طباح ، ويؤول المعنى إلى أن سربال طباخه أبيض فحسب ولا يعني أنه أشد بياضاً من

سربال غيره » .

ولو أراد بأبيضهم بياض الثوب ونقائه على الحقيقة لما جاز أن يتعجب بلفظة «أفعل» ، فالذي جوزَ تعجُّبه بهذه اللفظة ما ذكرناه .

فأما قول المتنبي :

أَبَعْدُ بَعْدَتْ بَيَاضًا لَأَبْيَاضَ لَهُ لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلْمِ (١)

فقد قيل فيه إن قوله : «لأنت أسود في عيني» كلام تام ، ثم قال : «من الظلم» أى من جملة الظلم؛ كما يقال: حُرٌّ من أحرار (٢) ، ولثيم من لثام ؛ أى من مُجَلِّتهم ، وقال الشاعر (٣) :

وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُ شِهَابٌ بَدَا وَاللَّيْلُ دَاجٍ عَسَا كَرُهُ
كأنه قال: وأبيض كائن من ماء الحديد ، وقوله : «من ماء الحديد» وصف لأبيض ، وليس يتصل به كاتصال «من» بأفضل في قولك : هو أفضل من زيد ، ولفظة «من» في بيت المتنبي مرفوعة الموضع ، لأنها ووصف لأسود ؛ وإذا أريد المفاضلة والتعجب كانت منصوبة ١٠ الموضع بأسود (٤) كما تقول زيد خير منك ، فمَنك في موضع نصب بخير ، كأنه قال : قد خارك بخيرك ، أى فضلك في الخير؛ وهذا التأويل المذكور في بيت المتنبي يمكن أن يقال في قول الشاعر :

* أبيضُ من أختِ بني إِباضِ *

ويحمل على أنه أراد من جملتها ومن قومها ، ولم يرد التعجب وتأوله على هذا الوجه أولى ١٥ من تحمله على الشذوذ ، فأما قول المتنبي :

* أَبَعْدُ بَعْدَتْ بَيَاضًا لَأَبْيَاضَ لَهُ *

(١) ديوانه ٤ : ٣٥ ؛ وهو يخاطب الشيب ، وقبلة

ضَيْفٌ أَلَمَّ بِرَأْسِي غَيْرَ مُجْتَنِمٍ وَالسَّيْفُ أَصْدَقُ فِعْلاً مِنْهُ بِاللَّمَمِ

(٢) ش ، ف ، وحاشية ت (من نسخة) : « حر من الأحرار ولثيم من اللثام » .

(٣) البيت في شرح العكبري لبيت المتنبي ، أورده من غير عزو .

(٤) حاشية ف : « إذا قلت زيد أضرب من عمرو كان الجار مع المجرور في موضع النصب على المفعول

من حال الجار والمجرور ؛ لأنه على تقدير : غالب زيد عمرا في الضرب فقلبه ؛ فيكون إذا « من عمرو » في موضع النصب ؛ لأنه في معنى المفعول على ما ذكرناه » .

فالعنى الظاهر للناس فيه أنه أراد: لا ضياء له ولا نور ولا إشراق ، من حيث كان
حُلُولُهُ محزنا مؤذنا بتقضى الأجل ؛ وهذا لعمري معنى ظاهر ؛ إلا أنه يمكن فيه معنى آخر ؛
وهو أنه يريد إنك بياض لا لون بعده ، لأن البياض آخر ألوان الشعر ، فجعل قوله ؛
« لا بياض له » بمنزلة قوله : لا لون بعده ، وإنما سَوَّغَ ذلك له أن البياض هو الآتى بعد
السواد ، فلما نفي أن يكون للشيب بياض كان نفياً لأن يكون بعده لون .

٥١

وقد اختلف القراء في فتح الميم وكسرها من قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ ﴾
[٣٠] / فَهَوِيَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ ﴿ ، فقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو بفتح الميمين معا ، وقرأ عاصم
ظ في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي بكسر الميم فيهما معا^(١) ، وفي رواية حفص عن عاصم :
لايكسرها ، وكسر أبو عمرو الأولى وفتح الأخيرة : ولكل وجه ، أما من ترك إمالة الجميع ؛
١٠ فإن قوله حسن ، لأن كثيراً من العرب لا يميلون هذه الفتحة ، وأما من أمال الجميع فوجه
قوله أن ينحو بالألف نحو الياء ، ليعلم أنها تنقلب إلى الياء^(٢) ، وأما قراءة أبي عمرو بإمالة الأولى
وفتح الثانية فوجه قوله أنه جعل الثانية أفعال من كذا مثل أفضل من فلان ، وإذا جعلها
كذلك لم تقع الألف في آخر الكلمة ؛ لأن آخرها إنما هو من كذا ، وإنما تحسن الإمالة في
الأواخر ، وقد حذف من « أفعال » الذى هو للتفضيل الجار والمجرور جميعا ، وهما رادان في المعنى
١٥ مع الحذف ، وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ ﴾ ؛ [طه : ٧] ، المعنى
وأخفى من السر ، فكذلك قوله تعالى : ﴿ فَهَوِيَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ ﴾ ، أى أعمى منه في الدنيا
أو أعمى من غيره ، ويقوى هذه الطريقة ما عطف عليه من قوله تعالى : ﴿ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾
فكما أن هذا لا يكون إلا على « أفعال من كذا » كذلك المعطوف عليه .

(١) ت ، ونسخة بحاشيتي ت ، ف : « جميعا » .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « على هذا الوجه لا تميل بحال ؛ إلا إذا كانت الكلمة من بنات

الياء ؛ فأما إذا لم تسكن من بنات الياء فلا تميل ، والأعمى أصله عمى ، فهو إذاً من بنات الياء » .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « تَقَىءُ الْأَرْضُ أَفْلاذَ كَبِيدِهَا مِثْلَ الْأَسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ فِي مِثْلِ هَذَا : قَتَلْتُ ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ الرَّحِمِ ^(١) فَيَقُولُ فِي مِثْلِ هَذَا : قَطَعْتُ رَحِمِي ، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ فِي مِثْلِ هَذَا : قَطَعْتُ يَدِي ، ثُمَّ يَتْرُكُونَهُ وَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئاً » .

- معنى « تَقَىءُ » أي تخرج ما فيها من الذهب والفضة ، وذلك من علامات قُرْبِ السَّاعَةِ ، وقوله : « تَقَىءُ » تشبيه واستعارة من حيث كان إخراجا وإظهاراً ؛ وكذلك تسميته ^(٢) مافي الأرض من الكنوز « كِيداً » تشبيهاً ^(٣) بالكبد التي في بطن البعير وغيره ؛ وللعرب في هذا مذهب معروف ؛ قال مُرَّةُ بْنُ مَحْكَانَ ^(٤) السَّمْدِيُّ يَصِفُ قِدْرًا نَصَبَهَا لِلأَضْيَافِ :
- لَهَا أَرِيزٌ يُزِيلُ اللَّحْمَ أَزْمَهُ عَنِ الْعِظَامِ إِذَا مَا اسْتَحْمَشَتْ غَضَبًا ^(٥)
/ تَرْمِي الصَّلَاةَ بِنَبْلِ غَيْرِ طَائِثَةٍ وَفَقًّا إِذَا آنَسَتْ مِنْ تَحْتِهَا لَهْبًا ^(٦) [٣١]
- فوصفها بالغضب تشبيهاً واستعارة ، فأما الأريز فهو الغليان ، والعرب تقول : لجوفه أريزٌ مثل أريزِ الرجل ، والأزمَلُ : الصوت ، واستحْمَشَتْ ، أي غَضِبَتْ ؛ يقال : كَحْمَشَهُ أَي أَغْضَبَهُ ، وقال النابغة الجعدي في معنى الاستعارة :

(١) ف ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « لرحم » .

(٢) د ، وحاشية ت (من نسخة) : « تسمية » .

(٣) ش ، ونسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « تشبيه » .

(٤) ضبط بالقلم في ت بفتح الميم ، وفي ف بالفتح والكسر معا .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « استحمشت » ، بالبناء للجھول وفي حاشيتي ت ، ف « أحشت

الرجل وحشته ؛ أي أغضبته فاحتمش واستحمش ، والحشة الاسم كالحشمة ؛ واحتمش الديكان : اقتتلا » .
وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « قبله :

نَصَبْتُ قِدْرِي لَهُمْ وَالْأَرْضُ قَدْ لَبَسَتْ مِنْ الصَّقِيعِ مِلاءَ جِدَّةٍ قُشْبًا

— ملاء : جمع ملاءة ، قشبا : جمع قشيب ؛ وهو الجديد » .

(٦) في حاشيتي الأصل ، ف : « الصلاة : جمع صال . غير طائشة : غير مخضبة . وفقاً ، أي رميا وفقاً ؛ شبه

ماترى به النار من فبينها بالنبل ؛ أي كلما اشتدت النار تحت القدر اشتد غليها بقدر اشتداد انار تحتها » .

سَأَلْتَنِي عَنْ أَنَسٍ هَلْ كُؤَا شَرِبَ الدَّهْرَ عَنَيْهِمْ وَأَكَلُ (١)

فوصف الدهر بالأكـل والشرب تشبيها واستعارة . وقال قوم : معنى البيت شرب أهل الدهر بعدهم وأكلوا .

واختلف أهل اللغة في الأفلاذ ، فقال يعقوب بن السكيت : الفلذ لا يكون إلا للبعير ، وهو قطعة من كبده (٢) ، ولا يقال فلذ الشاة ، ولا فلذ البقرة ، ويقال : أعطني فلذاً من الكبد ، وفلذة من الكبد ، قال أعشى باهلة :

تَكْفِيهِ حَزَّةٌ فِلْذٍ إِنْ أَلَمَّ رِيْهَا مِنْ الشَّوَاءِ وَيُرْوَى شُرْبُهُ الْغُمْرُ (٣)

الغُمْرُ : القَدَحُ الصَّغِيرُ ؛ وقال يعقوب : ولا يقال : أعطني حُزَّةً من سَنَامٍ ولا من لَحْمٍ ، وإنما الحزَّة في الكبد خاصة ؛ فإذا أرادوا ذلك من السَنَامِ واللحم قالوا : أعطني (٤) حذيةً من لحم ؛ وهي القطعة الصغيرة ، وفلقة من سنام ، وقال الطوسي (٥) عن أبي عبيد عن الأصمعي قال : يقال : أعطني حذيةً (٦) من لحم ، وحزرة من لحم ؛ إذا كانت مقطوعة طولاً ، فإذا كانت مجتمعة قلت : أعطني بضعة من لحم ، وهبرة من لحم ، ووذرة من لحم .

ومثل هذا الحديث قوله : ﴿ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ ؛ [انزلال : ٢] . معناه أخرجت ما فيها من الكنوز ، وقال قوم : عني به الموتى ، وأنها أخرجت موتاها ، فسمي

(١) ت ، د ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « بأناس » .

(٢) حاشية الأصل : « ذكر ابن الشجري : الفلذ كبد البعير خاصة ؛ وليس بقطعة من الكبد ؛ وكذا ذكره ابن السكيت » . (٣) من قصيدة له يرثي بها المنتشر بن وهب الوائلي ، أولها :

إِنِّي أُتَيْتُ بِشَيْءٍ لَا أُسْرُ بِهِ مِنْ عُلُوِّ لَاعْجَبٍ فِيهِ وَلَا سَخَرُ

وهي في (أمالى اليزيدي ١٣ - ١٨ ، وجهرة الشعر ٢٨٠ - ٢٨٣ ، والأصمعيات ٣٢ ، ٣٥ ، والكامل - بشرح المرصني ٨ : ٢١١ - ٢١٢) ويذكرها المؤلف فيما بعد .

(٤) ش ، س : « حذية » ؛ بضم الحاء وكسرها .

(٥) حاشية ت : « أبو الحسن علي بن عبد الله الطوسي » .

(٦) كذا ضبط بالقلم في الأصل ، ت ، ف ، وفي الحواشي : « المعروف : الحذية ، بالكسر ؛ وهي القطعة من اللحم على الطول . والحذوة (مثلثة الحاء) : العطية » .

تعالى الموتى ثِقَلًا^(١) تشبيها بالحمل الذى يكون فى البطن ، لأن الحمل يسمى ثِقَلًا ، قال تعالى :
﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ ﴾ ؛ [الأعراف : ١٨٩] . والعرب تقول : إن للسيد الشجاع ثِقَلًا على
الأرض ، فإذا مات سقط عنها بموته ثِقَلٌ ، قالت الخنساءُ تَرثِي أخاها صَخْرًا :
أَبْعَدَ ابْنِ عَمْرٍو مِنْ آلِ الشَّرِيدِ حَلَّتْ بِهِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا^(٢)

معناه أنه لما مات حلَّ عنها بموته ثِقَلٌ لسُوْدُودِه^(٣) وشرفه ، وقال قوم : معنى « حَلَّتْ » [٣١]
زَيْنَتْ موتاها به ، وهو مأخوذ من الحِليَّة ؛ وقال الشَّمْرَدَلُ اليربوعى يَرثِي أخاه :
وَحَلَّتْ بِهِ أَثْقَالَهَا الْأَرْضُ وَأَنْتَهَى لِمَثْوَاهُ مِنْهَا وَهوَ عَفٌّ شَمَائِلُهُ^(٤)

وروى هشام بن المنذر^(٥) قال : قال زهير بن أبى سلمى المُرْنِيّ بيتاً ثم أكَدَى ، ومِرّ
به النابغة الذبيانيّ فقال له : يا أبا أمامة ، أَجِزْ ، قال : ماذا ؟ قال :

١٠ تَزَالُ الْأَرْضُ إِمَامِيَّ خَفِيًّا وَتَحِيَا مَاحِيَّتَ بَهَا ثَقِيلاً^(٦)
نَزَلَتْ بِمُسْتَقَرِّ الْعِزِّ مِنْهَا

فماذا قال ؟ فأكَدَى والله النابغة أيضا ، وأقبل كعب بن زهير وهو غلام ، فقال له

(١) فى نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « أثقلا » .

(٢) ديوانها ٢٠١ .

(٣) ت ، ج ، ف : « بسوودده » .

(٤) البيت من قصيدة مذكورة (فى أمالى اليزيدى ٣٢ - ٣٤ ، والأغانى ١٢ : ١١٣ - ١١٤ ،

وأبيات منها فى ابن أبى الحديد ٤ : ٣٨٣ ، وحماسة ابن الشجرى ٨٣) وفى حاشيتى الأصل ، ف :
شمائله : أخلاقه ، والواحد شمال ، بالكسر ، قال الشاعر :

* وَمَا لَوْمِي أَخِي مِنْ شِمَالِيَا *

(٥) فى حاشيتى الأصل ، ف : « نسخة ابن قدامة : وروى أبو المنذر همام بن محمد بن السائب قال قال

زهير والذى فى الأصل يوافق ش ، ص . وفى م : « أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب » .

(٦) ت ، د ، ونسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « تراك » ، وفى حاشيتى الأصل ، ت : « يقول :

لأن مت صارت الأرض خفيفة بموتك ، وإن تحيا بقيت ثقلة » .

أبوه : أجز يا بُنيّ ، فقال : ماذا ؟ فأنشده البيت الأول ، ومن الثاني قوله : « بِمَسْتَقَرِّ الْعِزِّ مِنْهَا » ؛ فقال كعب :

* فَمَنْعُ جَانِبَيْهَا أَنْ يَزُولَا *

فقال زهير : أنت والله ابني .

• وإنما خصّ الكبيد من بين ما يشتمل عليه البطن ، لأنه من أطياب الجزور ، والعرب تقول : أطياب الجزور : السنام ، والمليح^(١) ، والكبيد .

قال سيدنا الشريف الأجلّ المرتضى ، أدام الله علوه : وإني لأستحسّن قولَ الحنساء^(٢) ، وقد قيل لها : ما مدحت أخاك حتى هجنت^(٣) أباك ، فقالت :

جَارِي أَبَاهُ فَأَقْبَلَا وَهُمَا يَتَعَاوَرَانِ مَلَاءَةَ الْحُضْرِ^(٤)
حَتَّى إِذَا نَزَّتِ الْقُلُوبُ وَقَدْ لَزَّتْ هُنَاكَ الْعَذْرُ بِالْعَذْرِ^(٥)
وَعَلَا هُتَافُ النَّاسِ : أَيُّهُمَا ؟ قَالَ الْمُجِيبُ هُنَاكَ : لَا أَدْرِي
بَرَزَتْ صَفِيحَةُ وَجْهِ وَالِدِهِ وَمَضَى عَلَى غُلُوبِهِ يَجْرِي
أَوْلَى فَأَوْلَى أَنْ يُسَاوِيَهُ لَوْلَا جَلَالُ السَّنِّ وَالْكُبْرِ
وَهُمَا كَأَيْبِهِمَا وَقَدْ بَرَزَا صَقْرَانِ قَدْ حَطَّآ إِلَى وَكْرٍ

١٠

(١) اللحاء : وسط الظهر ؛ ما بين الكاهل إلى العجز .

(٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : « كانت الحنساء كثيرة المدح لأخيها ، فقيل لها : قد فضله على أهلك ، فقالت هذه الأبيات » . وهي في (زهر الآداب) ، ٤ : ٦٧ وسحاسة ابن السجري ١٠٤ ، والبيت الأول في خزانة الأدب ٣ : ٢٧٧ .

(٣) ف ، ونسخة بحاشيتي ت ، الأصل : « هجوت » ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « وروى : ما أبنت أخاك حتى هجنت أباك » .

(٤) في حاشيتي الأصل ، ف : « بارى أباه ، تعنى أخاها ، ويتعاوران : يتداولان ، والحضر العدو » .

(٥) في حاشيتي الأصل ، ف : « نزت : ارتفعت ، ولزت : لصقت ، يعنى : حتى تحرك قلوب النظارة ، والعذر : جم العذار ؛ يعنى عذارى فرسيهما في التسابق ؛ وهو استعارة » .

ويقال : إنه قيل لأبي عبيدة : ليس هذه الأبيات في مجموع شعر الخنساء ، فقال أبو عبيدة : العامة أسقط من أن يُجد عليها بمثل ذلك .

[٣٢] ولعمري إنها قد بلغت في مدح أخيها من غير إزراء على أبيها / النهاية ، لأنها جعلت تقدم أبيه له عن قُدرة منه على المساواة ، وعن غير تقصير منه ، وإنما (١) أفرج له عن السبق معرفةً بحقه ، وتسليماً لكُبره وسنه ، وكأنَّ الخنساء نظرتُ في هذا المعنى إلى قول زهير ٥ يصف حمار وحش (٢) :

فَشَجَّ بِهَا الْأَمَاعِزَ فَهِيَ تَهْوِي هُوِي (٣) الدَّلُو أَسْلَمَهَا الرَّشَاءُ (٤)
فَلَيْسَ لِحَاقِهِ كَلْحَاقِ الْفِ وَلَا كَنَجَائِهَا مِنْهُ نَجَاءُ (٥)
يُقَدِّمُهُ إِذَا احْتَفَلَتْ عَلَيْهَا تَمَامُ السَّنِّ مِنْهُ وَالذِّكَاؤُ (٦)

١٠ ويشبه أن يكون الكميت أخذ من الخنساء قوله في مَخَلد بن يزيد بن المهلب :
مَا إِنْ أَرَى كَأَيْكَ أَدْرَكَ شَأْوَهُ أَحَدًا وَمِثْلَكَ طَالِبًا لَمْ يُدْحِقْ
تَنْجَازِبَانَ ؛ لَهُ فَضِيلَةٌ سِنِّهِ وَتَلَوْتَ بَعْدَ مُصَلِّيًّا لَمْ تُسَبِّحْ (٧)

(١) ت : « وإنه » . (٢) الأبيات في ديوانه : ٦٧ - ٦٩ . (٣) ضبطت في ت بضم الهاء وفتحها معاً . (٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « أى شج الحمار بالأتن الأماعز ، أى علا الأماعز بهن ، والأمعز : الأرض الصلبة ، وكذلك المعزاز ، والهوى : السقوط إلى أسفل ، وكذلك الهوى في السير . وبعد هوى من الليل ؛ أى هزيع ؛ وقيل : الهوى [بالضم] الارتفاع » .
(٥) في حاشيتي الأصل ، ف : « يقول : ليس يلحق شيء في السرعة كما يلحق الحمار في سرعته ، والمراد بالإنف صاحبه . ولا كنجائها ؛ أى ليس شيء ينجو كنجائها ، أى ليس شيء ينجو كنجاء الأتان ؛ أى لا يهرب هارب كبريها ، ولا يلحق لاحق كحقوقه » .
(٦) احتفلت : اجتمعت وتأهبت ؛ ورواية الديوان :

يُقَضُّهُ إِذَا اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ تَمَامُ السَّنِّ مِنْهُ وَالذِّكَاؤُ

(٧) د ، ش ، ونسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « تنجاريان » ؛ وفي حاشيتي الأصل ، ف : « قوله تنجاذبان ، في موضع الحال من قوله : « ما إن أرى كأبيك » ، ومثلك ، أى ما رأيت مثلك ومثل أبيك في حال مجاذبتهما ومجاراتهما في المجد والشرف . وقوله : « له فضيلة سنه » جملة مستأنفة من مبتدأ وخبر ؛ المعنى يقول : إن سبقك أبوك فلا غرو ، فإنه لم يسبق قط ، وإن سبقته فأنت جدير بالسبق » .

إِنْ تَنَزَّعَا وَلَهُ فَضِيلَةٌ سَبَقَهُ
وَلَئِنْ لَحِقَتْ بِهِ عَلَى مَا قَدْ وَضَى
فَبِمِثْلِ شَأْوِ أَيْكَ لَمْ يُتَعَاقِرْ
مَنْ بَعْدَ نِعَايَتِهِ فَأَحْجِبِ وَأَخْلِقِ

ويشبه هذا المعنى قولُ المؤمِّلِ بنِ أمِّئيلِ الكوفيِّ المخاربيِّ يمدح المهدى في حياة المنصور:

لَئِنْ فَتَّ الْمُلُوكَ وَقَدْ تَوَافَوْا
لَقَدْ فَاتَ الْمُلُوكَ أَبُوكَ حَتَّى
وَجِئْتَ وَرَاءَهُ تَجْرِي حَثِيثًا
وَمَا بِكَ حَيْثُ تَجْرِي مِنْ فُتُورِ
إِلَيْكَ مِنَ السَّهُولَةِ وَالْوُغُورِ (١)
بِقُوا مِنْ بَيْنِ كَابٍ أَوْ حَسِيرِ (٢)

(١) خبر هذه الأبيات في أمالي الزجاجي : ٦٠ - ٦٢ : « وفد المؤمِّل بن أميل على المهدى بالرى فامتدحه ، فأمر له بعشرين ألف درهم ؛ فاتصل الخبر بالمنصور ؛ فكتب إليه يعذله ويقول : إنما كانت سبيلك أن تأمر للشاعر بعد أن يقوم ببابك سنة بأربعة آلاف درهم ؛ وكتب إلى كاتبه بإنفاذ الشاعر إليه ، فسأل عنه فقيل له : قد شخص إلى مدينة السلام ، فكتب إلى المنصور بخبره ، فأفخذ المنصور قائدا من قواده إلى النهروان يتصفح وجوه الناس ؛ حتى وقع بيده المؤمِّل ، فأثنى به المنصور ، فقال له : أتيت غلاماً غراً نخدعته ! قال : نعم يا أمير المؤمنين ! أتيت غلاماً غراً كريماً نخدعته فانخدع على ؛ فكأن ذلك أعجبه ، فقال له : أنشدني ما قلت فيه ؛ فأنشده :

هُوَ الْمَهْدِيُّ إِلَّا أَنْ فِيهِ
تَشَابَهُ ذَا وَذَا فِيهِمَا إِذَا مَا
فَهَذَا فِي الظَّلَامِ سِرَاجُ نَارٍ
وَلَكِنْ فَضَّلَ الرَّحْمَنُ هَذَا
وَبِالْمَلِكِ الْعَزِيزِ فَذَا أَمِيرًا
وَنَقَصَ الشَّهْرِيَّ مُحَمَّدًا وَهَذَا
فِيَا بِنِ خَائِفَةَ اللَّهِ الْمُصَفَّى
لَئِنْ فَتَّ الْمُلُوكَ

فقال : أحسنت ، ولكن لا يساوي عشرين ألف درهم ، ثم قال : أين المال ؟ فقال : ها هوذا ، قال ياربيع : أعطه منه أربعة آلاف درهم ، وخذ الباقي ، ففعل ؛ فلما صارت الخلافة إلى المهدى رفع المؤمِّل إليه يذكر قصته ، فضحك ، وأمر برد المال إليه ، فرد . . .

(٢) السكابي : المتغير اللون ، والخسير : المعبي .

فَقَالَ النَّاسُ مَا مِنْ ذِي نِ إِلاَّ
بِمَنْزِلَةِ الْخَلِيقِ مِنَ الْجَدِيرِ (١)
فَإِنْ سَبَقَ الْكَبِيرُ فَأَهْلُ سَبَقِ
لَهُ فَضْلُ الْكَبِيرِ عَلَى الصَّغِيرِ
وَإِنْ بَلَغَ الصَّغِيرُ مَدَى كَبِيرِ
فَقَدْ خَلِقَ الصَّغِيرُ مِنَ الْكَبِيرِ
ومن هذا المعنى قول الشاعر :

جِيَادٌ جَرَّتْ فِي حَابَةِ فَتَفَاضَلَتْ
عَلَى قَدَرِ الْأَسْنَانِ وَالْعِرْقِ وَاحِدٌ (٢)

ومما له بهذا المعنى بعضُ الشَّبه ، وإن لم يُذكر فيه السَّن وتفضيل الكَبِير قول زهير :

[٣٢]
هُوَ الْجَوَادُ فَإِنْ يَأْحَقُ بِشَاوِهِمَا
عَلَى تَكَالِيفِهِ فَمِثْلُهُ لِحِقَا (٣)

أَوْ يَسْبِقُهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَهْلٍ
فَمِثْلُ مَا قَدَّمَ مِنْ صَالِحٍ سَبَقَا

وروى أنه عُرضت على جعفر (٤) بن يحيى بن خالد البرمكي جارية شاعرة، فأراد أن يبلوها

فقال لها : قولي في معنى بيتي زهير اللذين ذكرناهما ، فقالت :

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : « أي لم يكن بينك وبين أبيك من الفرق والنفقات إلا مثل ما بين الخلق والجدير ، ومعناهما واحد . »

(٢) حاشية الأصل : « أي على الكبر والضعف في السن . والعرق : الأصل . »

(٣) البيتان في ديوانه : ٥١ - ٥٢ ؛ وقبلهما :

يَطْلُبُ شَاوُ أُمْرَيْنِ قَدَّمَا حَسَنًا
وَالشَّأْوُ : الغاية ، وأراد بالمرأين أباه وجده .
نَالَا الْمُلُوكَ وَبَدَأَ هَذِهِ السُّوقَا

(٤) حاشية ف « قيل : لما قتل جعفر بن يحيى وصلب بباب الجسر ، رأسه في ناحية ، وجسده في ناحية مرت به امرأة على حمار فاره ، فوقف عليه ثم نظرت إلى الناس فقالت بلسان فصيح : والله لئن صرت اليوم آية ؛ لقد كنت في المسكارم غاية ؛ ثم أنشأت تقول :

وَمَا رَأَيْتُ السَّيْفَ خَالِطًا جَعْفَرًا
بَكَيْتُ عَلَى يَحْيَى وَأَيْقَنْتُ أَنْمَا
وَمَا هِيَ إِلَّا دَوْلَةٌ بَعْدَ دَوْلَةٍ
إِذَا أَنْزَلَتْ هَذَا مَنَازِلَ رِفْعَةٍ
وَنَادَى مُنَادٍ لِلْخَلِيفَةِ فِي يَحْيَى
قُضَارَى الْفَتَى يَوْمًا مَفَارِقَةُ الدُّنْيَا
تُخَوِّلُ ذَا نِعْمَى وَتُعْقِبُ ذَا بَلْوَى
مِنَ الْمَلِكِ حَطَّتْ ذَا إِلَى غَايَةِ سُفْلَى
ثم حركت الحمار ؛ فكأنها كانت ريجاً لم تعرف . »

بَلَغَتْ - أَوْ كِدَتْ - يَجِي أَوْ لَحِقَتْ بِهِ فَنِلْتُمَا خَالِدًا فِي شَأْوٍ مُسْتَبِقٍ
لَكِنْ مَضَى وَتَلَا يَجِي فَأَنْتَ لَهُ تَالٍ تَعَلَّمْتَ دُونَ الرَّكِيضِ بِالْعَنْقِ (١)

ومن أحسن ما قيل في المساواة والمقاربة - وهو داخل في هذا المعنى، مناسب له - قول عبادة

ابن شبيل :

إِذَا اخْتَرْتَ مِنْ قَوْمٍ خِيَارَ خِيَارِهِمْ فَكُلُّ بَنِي عَبْدِ الْمَدَانِ خِيَارُ
جَرَوْا بَعْنَانَ وَاحِدٍ فَضُلُّ بَيْنِهِمْ بَأْنُ قِيلَ قَدْ فَاتَ الْعِدَارَ عِدَارُ (٢)

وقول الكميت بن زيد :

مُصَلِّ أَبَاهُ لَهُ سَابِقٌ بَأْنُ قِيلَ فَاتَ الْعِدَارُ الْعِدَارُ (٣)

ومثله قول العتابي - وهو مليح (٤) جداً :

كَمَا تَقَاذَفُ جُرْدٌ فِي أَعْنَبِهَا سَبَقًا بَادَانِهَا مَرًّا وَبِالْعُدْرِ (٥)

وأول من سبق إلى هذا المعنى زهير في قوله يصف مطايرة البازي القطة (٦) ومقاربتة لها :

دُونَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ الْأَرْضِ قَدَرُهُمَا عِنْدَ الذَّنَابِي فَلَا قَوْتُ وَلَا دَرَكُ (٧)

وقد لاحظ أبو نواس هذا المعنى في قوله يمدح الفضل بن الربيع ، ويذكر مقاربتة لأبيه

في الفضل (٨) والسؤدد :

(١) ش ، وحاشية ت (من نسخة) : « تامل » . وفي حاشيتي الأصل ، ف : « العنق دون

الركض ، أى أنك تتعلل بالعنق لإبقاء وحشمة لأبيك وجدك ، ولوسرت ركضا لسبقتهما » .

(٢) العذار من اللجام : ما سال على خد الفرس .

(٣) المصلي : الثأني من خيول السبق .

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « حسن » .

(٥) ج ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « تقاذف » ، بفتح الفاء . وفي حاشيتي الأصل ، ف :

« تقاذف ، أى تتسابق في عنان واحد ، على حد واحد ؛ لانسبق لإحداها على الأخرى لإلأبذن أو بعنان »

وفرس أجرد ؛ قصير الشعر رقيقه .

(٦) د ، حاشية ت (من نسخة) : « للقطة » .

(٧) ديوانه : ١٧٤ ، الذنابي : الذنب ، وفي حاشيتي ت ، ف : « عند الذنابي مستأنف ، أى

الصقر عند ذنابي القطة » . (٨) ف ، ونسخة بحاشية ت : « المجد » .

نَمَّ جَرَى الْفَضْلُ فَانْتَهَى قُدَمَا دُونَ مَدَادٍ مِنْ غَيْرِ تَرْهِيْقٍ (١)
فَقِيلَ رَاشَا سَهْمًا يُرَادُ بِهِ الْـ غَايَةُ وَالنَّصْلُ سَابِقُ الْفَوْقِ (٢)

ويشاكل ذلك قولُ البحترى في ابن أبي سعيد الثغررى :

جَدُّ كَجَدِّ أَبِي سَعِيدٍ إِنَّهُ تَرَكَ السَّمَكَ كَأَنَّهُ لَمْ يُشْرِفِ (٣)
قَاسَمْتَهُ أَخْلَاقَهُ وَهِيَ الرَّدَى لِلْمُعْتَدِي، وَهِيَ النَّدَى لِلْمُعْتَنِي
/ فَإِذَا جَرَى مِنْ غَايَةٍ وَجَرَيْتَ مِنْ أُخْرَى التَّقَى شَأْوَا كَمَا فِي الْمَنْصَفِ

ويشبهه أيضاً قوله :

وَإِذَا رَأَيْتَ شَمَائِلَ ابْنِي صَاعِدٍ أَدَّتْ إِلَيْكَ شَمَائِلَ ابْنِي مُخْلَدٍ (٤)
كَالْفَرَقْدَيْنِ إِذَا تَأَمَّلَ نَاطِرٌ لَمْ يَعْلَمْ مَوْضِعُ فَرَقْدٍ عَنْ فَرَقْدٍ

فأما قول الخنساء: «يتعاوران ملاءة الحضر»، فهي تعنى بالملاءة الغبار، وإن عدى بن الرقاع كأنه نظر إليها في قوله يصف حمراً وأنانا :

يَتَعَاوَرَانِ مِنَ الْغُبَارِ مَلَاءَةٌ بَيْضَاءُ مُحْدَثَةٌ هُمَا نَسَجَاهَا (٥)

(١) ديوانه: ٩١ ، وفي حاشيتي الأصل ، ت : « أى من غير مدانة أولحوق » .

(٢) راش السهم : وضع عليه الريش ، والنصل : حديدة السهم ، والفوق : موضع الوتر من

السهم

(٣) ديوانه ٢ : ١٢٢ ، وفي حاشيتي الأصل ، ف : « أى جد كجد أبى سعيد مذكور ، أى جعل

السماك غير عال ؛ كأنه قد علاه وذقه » .

(٤) في حاشيتي الأصل ، ف : « يسوى بين ابني صاعد وابني مخلد » ، والبيتان في ديوانه ١ :

١٧٢ ، وروايته : « ... شمائل ابن محمد » .

(٥) البيتان من قصيدته التي مطلعها :

مَا هَاجَ شَوْقَكَ مِنْ مَعَانِي دِمْنَةٍ وَمَنَازِلِ شَعَفِ الْفُوَادِ بِإِلَاهَا

وهى في الطرائف الأدبية : ٩٢-٩٧ ، والبيتان في (معاني المسكرى ٢ : ٣١ ، وحاسة ابن الشجرى :

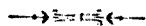
٢٧٦-٢٧٧ ، ومجمع المرزبانى ٢٥٣ ، وشرح المختار من شعر بشار ٣١٧ ، وزهر الآداب ٤ : ٦٨ .

ومجموعة المانى : ٢٠٣) . ويتعاوران ؛ أى تصير الغبرة للعير مرة ، وللاتان مرة .

٥
[٣٣]
و

تُطْوَى إِذَا وَطِئًا مَكَانًا جَاسِيًا وَإِذَا السَّنَابِكُ أُسْهِلَتْ نَشْرَاهَا^(١)
وهذا المعنى ، وإن كان هو معنى الخنساء بعينه فقد زاد في استيفائه عليها زيادة ظاهرة ،
صار من أجلها بالمعنى أحقَّ منها . وقد ابتدأ بهذا المعنى رجلٌ من بني عُقَيْلٍ فقال
من قصيدة^(٢) :

٥ يُشِيرَانِ مِنْ نَسِجِ التُّرَابِ عَلَيْهِمَا قَمِيْعَيْنِ أَسْمَالًا وَيُرْتَدِيَانِ



(١) الجاسي : الغليظ من الأرض ، وأسهمت : صارت إلى سهولة الأرض .
(٢) أبيات منها في الخزانة ٣ : ٢٧٦ ، منسوبة إلى ابن مقبل ، وفي زهر الآداب ٤ : ٦٨
منسوبة لأعرابي من بني عقيل .

وقبله :

قِفَارٌ مَرَوْرَاةٌ يَحَارُ بِهَا الْقَطَا وَيُضْحِي بِهَا الْجَأْبَانِ يَفْتَرِقَانِ
المروراة : المفازة التي لاشيء فيها ، والجأبان : مثنى جأب ؛ وهو الحمار الغليظ من حمر الوحش ، وأراد
بالجأبين الذكر والأنثى .

مَجْلِسُ آخِرٍ

تَأْوِيلُ آيَةٍ *

إن سأل سائل عن قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف ١٨].

فقال: كيف وصف الدم بأنه كذب، والكذب من صفات الأقوال لا من صفات الأجسام؟ وأى معنى لوصفه الصبر بأنه جميل؟ ومعلوم أن صبر يعقوب عليه السلام على فقد ابنه يوسف لا يكون إلا جميلاً؟ ولِمَ ارتفع الصبر؟ وما مقتضى لرفعه؟

والجواب، يقال له: أمّا ﴿ كَذِبٍ ﴾ فمعناه أنه مكذوب فيه وعليه، مثل قولهم: هذا ماء سكب وشراب صب؛ يريدون مصبوباً ومسكوباً؛ ومثله: ماء غور، ورجل صوم، وامرأة نوح^(١)، قال الشاعر:

تَظَلُّ جِيَادُهُمْ نَوْحًا عَلَيْهِمْ مُقَلَّدَةً أَعْتَبَهَا صُفُونَا^(٢)

أراد بقوله: «نوحًا» أى نائمة عليهم، ومثله: ما لفلان معقول؛ يريدون عقلاً، وما له على هذا الأمر مجاود، يريدون جلدًا^(٣)، قال الشاعر:

* ورد هذا العنوان في ت، ف، ولم يرد في سائر الأصول.

(١) في حاشيتي الأصل، ف: « الوصف بالمصدر يفيد قوة ذلك الفعل؛ كقولهم: رجل صوم؛ يعنى أنه لكثرة صومه كأنه صار بكليته صوماً، ومن ذلك: ماء سكب وصب.»

(٢) صفونا: جمع صافن؛ والصابن من الخيل: القائم على ثلاث قوائم، وقد أقام الرابعة على طرف الحافر، والبيت لعمر بن كلثوم، من المعلقة، وروايته فيها:

تَرَ كُنَّا الْخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ مُقَلَّدَةً أَعْتَبَهَا صُفُونَا

(وانظر المعلقات - بشرح التبريزي: ٢١٧) .

(٣) في حاشيتي الأصل، ف: « بين السيد رضى الله عنه أنه كما يكون بمعنى المفعول؛ فقد يكون المفعول بمعنى المصدر؛ وهما متداخلان في هذا المعنى؛ فإذا كان المفعول بلفظ المصدر فلأن المفعول الحقيقي هو المصدر، ألا ترى أنك إذا قلت: ضربت زيدا ففعلك على الحقيقة هو الضرب لازيداً، وإذا جاء المصدر بمعنى الفاعل فلائنه سبب له؛ والفعل له طرفان: أحدهما إلى المفعول، والآخر إلى العاقل.»

حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْرُكُوا لِعِظَامِهِ / لَحْمًا وَلَا لِفُؤَادِهِ مَعْقُولًا
وَأَنشُد أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبُ :

قَدْ وَالَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بِقَدْرَةٍ مُبْلِغِ الْعَزَاءِ وَأُدْرِكَ الْمَجَاوِدِ

وقال الفراء وغيره : يجوز في النحو : « بدم كذباً » بالنصب على المصدر ؛ لأن ﴿ جَاءُوا ﴾ فيه معنى كذبوا كذباً ، كما قال تعالى : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ [العاديات : ١] فنصب ضَبْحًا^(١) على المصدر ؛ لأن العاديات بمعنى الضابحات ، وإنما كان دماً مكذوباً فيه ؛ لأن إخوة يوسف^(٢) ذبحوا سَخْلَةً ، ولطخوا قميصَ يوسف بدمها ، وجاءوا أباهم بالقميص ، وادَّعوا أكلَ الذئب له ، فقال لهم يعقوب^(٢) : يَا بَنِيَّ ، لقد كان هذا الذئب رفيقاً حين أكل ابني ، ولم يُحْرِقْ قميصه ؛ قالوا : بل قتله اللصوص ، قال : فكيف قتلوه وتركوا قميصه ، وهم إلى قميصه أحوجُّ منهم إلى قتله ! . وقد قيل : إنه كان في قميص يوسف ثلاثُ آيات : حين قُدَّ قميصه من دُبُرٍ ، وحين ألقى على وجه أبيه فارتد بصيراً ، وحين جاءوا عليه بدم كذب ؛ فتنبه أبوه على أن الذئب لو أكله لخرق قميصه^(٣) .

وأما وصف الصبر بأنه جميل ، فلأن الصبرَ قد يكون جميلاً وغير جميل ، وإنما يكون جميلاً إذا قُصِدَ به وجهُ الله ، وفِعِلَ للوجه الذي وَجِبَ ، فلما كان في هذا الموضع واقماً على الوجه المحمود صحَّ وصفه بذلك . وقد قيل إنه أراد صبراً لا شكوى فيه ولا جَزَع ، ولو لم يصفه بذلك لظنَّ مصاحبةَ الشكوى أو الجزع له . وأما ارتفاع قوله : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ فقد قيل إن المعنى : فشأنى صبرٌ جميل ، أو الذي أعتقده صبرٌ جميل^(٤) . وقال قطرب : معناه فصبري صبر جميل ؛ وأنشدوا :

(١) الضبج : صوت يسمع من جوف الفرس حال العدو . (٢) ت : « يوسف عليه السلام » .

(٣) في حاشيتي ت ، ف : « قال السيد المرتضى رضى الله عنه : وقد قرئ : ﴿ بَدَمٍ كَذِبٍ ﴾ وهو

الدم المسفوح » . (٤) في حاشيتي ت ، ف : « يجوز أن يكون « صبر » مبتدأ وخبره محذوف

ويحتمل أن يكون « صبر » مبتدأ و « جميل » خبره » ، وفي حاشية ف أيضاً : « وهو وإن كان نكرة يفوز

مقام المعرفة ؛ وذلك أن أى صبر كان فهو المراد » .

شَكَا إِلَى جَمِيلٍ طَوَّلَ الشَّرَى يَا جَمِيلَ لَيْسَ إِلَى الْمُشْتَكَى
الدَّرْهَانِ كَلَّفَانِي مَا تَرَى ^(١) صَبْرًا جَمِيلًا فَكَلَانَا مُبْتَلَى

معناه: فليكن منك صبر جميل . وقد روى أن في قراءة أبي: ﴿ فَصَبْرًا جَمِيلًا ﴾
بالنصب ، وذلك يكون على الإغراء ^(٢) ، والمعنى فاصبري يا نفس صبراً جميلاً ، قال ذو الرُّمَّة :

أَلَا إِنَّمَا مَيَّ - فَصَبْرًا - بَلِيَّةٌ وَقَدْ يُبْتَلَى الْحُرُّ الْكَرِيمُ فَيَصْبِرُ ^(٣)
وقال الآخر :

أَبَى اللَّهُ أَنْ تَبْقَى لِحَى بَشَاشَةٍ فَصَبْرًا عَلَى مَا شَاءَهُ اللَّهُ لِي صَبْرًا

تَأْوِيلُ خَبَرِ

في الحديث أن قيس بن عاصم قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : « هذا [٢٤]
سيد أهل الوبر » ؛ فقلت : يا رسول الله ، ما المال الذي ليست على فيه تبعمة من طالب
ولا ضيف ؟ فقال عليه السلام : « نِعَمَ الْمَالُ أَرْبَعُونَ ، وَالكَثْرُ سِتُونَ ، وَوَيْلٌ لِأَصْحَابِ ١٠
الْمِثْنِ ! إِنْ مَنُّ أَعْطَى الْكَرِيمَةَ ، وَمَنْحَ الْغَزِيرَةِ ^(٤) ، وَنَحَرَ السَّمِينَةَ ، فَأَكَلَ وَأَطْعَمَ الْقَانِعَ
وَالْمُعْتَرَّ - وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : « إِنْ مَنُّ أَعْطَى مِنْ رِسْلِيهَا ، وَأَطْرَقَ فَلَخْلَهَا ، وَأَفْقَرَ ظَهْرَهَا ،
وَمَنْحَ غَزِيرَتِهَا ، وَأَطْعَمَ الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ » ؛ قلت : يا رسول الله : ما أكرم هذه الأخلاق وأحسنها !
إنه لا يُحَلُّ بِالْوَادِي الَّذِي فِيهِ إِبِلٌ مِنْ كَثْرَتِهَا . فقال : « فَكَيْفَ ^(٥) تَصْنَعُ فِي الْعَظِيمَةِ ^(٦) ؟
قلت : أَعْطَى الْبَكْرَ ، وَأَعْطَى النَّابَ . قال : « فَكَيْفَ تَصْنَعُ فِي الْمِنْحَةِ ؟ » ، قلت : إِنْ ١٥
لَأَمْنَحَ الْمَائَةَ . قال : « فَكَيْفَ ^(٥) تُعْطَى الطَّرْوَقة ؟ » ، قلت : يَمْدُو النَّاسُ بِإِبْلِهِمْ فَلَا يورِّع

(١) هذا البيت ورد في ت ، وحاشية ف .

(٢) حاشية ف : « معنى الإغراء أن يغربه القائل بانترام الذي أشار إليه ؛ كقولهم : عليك به . »

(٣) ديوانه : ٢٢٥ . (٤) الغزيرة كثيرة اللبن .

(٥) ت ، د ، حاشية ف (من نسخة) : « كيف » .

(٦) ف ، حاشية الأصل (من نسخة) « العطية » .

رجل عن جمل مَخْطُمه^(١) فيمسكه ما بدا له، حتى يكون هو الذي يرده. وفي الرواية الأخرى قال: « فكيف تصنع في الإطراق؟ »، قلت: يغدو الناس فمن شاء أن يأخذ برأس بعير ذهب به . قال: « فكيف تصنع في الإفقار؟ »، قلت: إني لأُقَصِّرُ النَّابَ المدْبِرَةَ والضَّرْعَ^(٢) الصغيرة، قال: « فكيف تصنع في المنيحة؟ » قلت: إني لأمنح في السنة المائة، قال: « فمالك أحب إليك أم مال مواليك؟ »^(٣)، قلت: لا، بل مالي، قال: « فإن مالك ما أكلت فأفئيت، وأعطيت فأمضيت ». وفي الرواية الأخرى: « ولبست فأبليت، وسائر مواليك »، قلت: لا جرَم ! والله لئن رجعت لأقنَّ عددها . فلما حضره الموت جمع بنيه فقال: يا بني خذوا عني، فإنكم لن تأخذوا عن أحد هو أنصح لكم مني، لا تنوحوا علي فإن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يُنْحَ عليه، وقد سمعته ينهى عن النياحة، وكففتوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها، وسودوا أكبركم، فإنكم إذا سودتم أكبركم لم يزل لأبيكم فيكم خليفة، وإذا سودتم أصغركم هان أكبركم على الناس، وزهدوا فيكم، وأصلحوا من^(٤) عيشكم؛ فإن فيه غنى عن طلب إلى الناس، وإياكم والمسألة؛ فإنها آخر^(٥) كسب المرء، وإذا دفنتموني فأخفوا قبري عن بكر بن وائل، فقد كانت بيننا مخاشات في الجاهلية، فلا [٣٤] آمن سفيهاً منهم أن يأتي / أمراً يدخل عليكم عينا^(٦) في أبيكم^(٧) .
ظ

(١) ت، وحاشية ف (من نسخة): « مَخْطُمه .

(٢) رواية ابن الأثير في النهاية (زرع): « إني لأفقر البكر الضرع، والناب المدبر، أي أعيرهما

للكوب؛ يعني الجمل الضعيف، والناقة الهرمة » .

(٣) حاشية ف: « المولى من بليك؛ من ابن العم والمعتق؛ وبليك؛ أي يقريك، وأصل الولي

القرى .

(٤) م: « وأصلحوا عيشكم »، وحاشية ف (من نسخة): « وأصلحوا من أمر عيشكم » .

(٥) ف، ونسخة بمحاشيتي الأصل، ت « أخس » .

(٦) من نسخة بمحاشيتي ت، ف: « عينا » .

(٧) الخبر بهذه الرواية في (الفائق ٣: ١٣٥)، وفي رواية أخرى فيه أيضا: « وإذا مات فقبوا

قبري من بكر بن وائل، فإن كنت أنا وشهم في الجاهلية — وروى: أهاوشهم — وروى أغاوشهم » .

فأما قوله : « الكُثْرُ سِتُونَ » فمعناه الكثير ، تقول العرب : نسأل الله الكُثْرَ ، ونعوذ به من القُلِّ ؛ أي نسأله الكثير ، ونعوذ به من القليل ؛ وقال الشاعر :

فإِنَّ الكُثْرَ أَعْيَانِي قَدِيمًا وَلَمْ أَقْتِرْ لَدُنْ أُنَى غَلَامٍ^(١)

وقال الآخر :

وقَدْ يَقْضُرُ القُلُّ الفَتَى ذُونَ هَمٍّ وَقَدْ كَانَ لَوْلَا القُلُّ طَلَاعَ أَنْجِدٍ^(٢)

والكريمة ، يعني بها كرائم ماله . و«أمنح الغزيرة» ، أي أعطيها مَنْ يَحْلُبُهَا ويردها ، ومن ذلك الحديث : «العارية مُؤَدَّاةٌ ، والمنحةُ^(٣) مردودة ، والزعيم^(٤) غارم ، والدَّيْنُ مقضى^(٥)» فالنحة الناقة أو الشاة يدفعها الرجل إلى مَنْ يحلبها وينتفع بلبنها ثم يردّها عليه ، والزعيم : الكفيل ، ويقال له أيضا القبيل^(٥) والصَّيْبُ والجَمِيلُ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾ [يوسف : ٧٢] ، قال الشاعر :

فَلَسْتُ بِأَمْرٍ فِيهَا بِسَلِمٍ وَلَكِنِّي عَلَى نَفْسِي زَعِيمٌ^(٦)

وقال آخر :

قُلْتُ كَفَى لَكَ رَهْنٌ بِالرِّضَا فَازْعِمِي يَا هِنْدُ قَالَتْ قَدْ وَجَبَ^(٧)

معناه الكفيل ، ويروى : «فأقبل» ، من القبيل الذي هو الكفيل أيضا .

(١) البيت في اللسان (كثر) ، ونسبه إلى رجل من ربيعة ، وفي حاشيتي ت ، ف : «أى لم أكن قبل مكثرا ولا مقترا ، يصف حاله بالنوسط ، والإفتار : الفقر» .

(٢) البيت في اللسان (قلل) ، ونسبه إلى خالد بن علقمة الدارمي ، وأشد قبله :

وَيْلٌ أُمَّ لَدَاتِ الشَّبَابِ مَعِيشَهُ مَعَ الكُثْرِ يُعْطَاهُ الفَتَى المُتْلَفَ النَّدَى

(٣) حاشية ت (من نسخة) : «المنحة» ، وهي والمنحة بمعنى .

(٤-٤) حاشية ت (من نسخة) : «والدين مقضى ، والزعيم غارم» .

(٥) القبيل : الكفيل والعريف ، وقد قبل يقبل قبالة ؛ أى يكفل .

(٦) حاشية ف : «معناه لأملك إلا نفسي» .

(٧) البيت لعمر بن أبي ربيعة ؛ وهو في ديوانه ٣٧٨ ، وفي حاشية ف : «أى ضمنت وحلفت على نفسي ألا أجاوز رضاك ، فاعلمى مثله» .

وقال الفراء : القانع هو الذي يأتيك فيسألك ؛ فإن أعطته قبل ، والمتمتر : الذي يجلس عند البيعة ، ويمسك عن السؤال ، كأنه يعرض في المسألة ولا يصرح بها ، يقال قنع الرجل قنعة إذا رضى ، وقنع قنوعاً إذا سأل .

فأما قوله : « لا جرم » فقال قوم : معنى جرم كسب ، وقالوا في قوله تعالى : ﴿ لا جرم أن لهم النار ﴾ [النحل : ٦٢] ، أن « لا » رد على الكفار ، ثم ابتداء فقال : ﴿ جرم أن لهم النار ﴾ بمعنى كسب قولهم أن لهم النار ، وقال الشاعر :

نَصَبْنَا رَأْسَهُ فِي رَأْسِ جِدْعٍ بِمَا جَرَمَتْ يَدَاهُ وَمَا اعْتَدَيْنَا (١)

أى : بما كسبت . وقال آخرون : معنى « جرم » حق ، وتأول الآية بمعنى حقق قولهم

أن لهم النار ؛ وأنشدوا :

١٠ وَلَقَدْ طَعَنْتُ أَبَا عَمِيْنَةَ طَعْنَةً جَرَمْتُ فَزَارَةَ بَعْدَهَا أَنْ يَغْضَبُوا

أراد : حققت فزارة ، وروى الفراء « فزارة » ، بالنصب على معنى كسبت (٢) الطعنة

[٣٥] فزارة الغضب / ، وقال الفراء : لا جرم في الأصل مثل لا بُدَّ ، ولا محالة ، ثم استعملته العرب

في معنى حقاً ، وجاءت فيه بجواب الأيمان ، فقالوا : لا جرم لأقومن ؛ كما قالوا : والله لأقومن ، وفيها لغات ، يقال : لا جرم ، ولا جُرم ، بضم الجيم وتسكين الراء ، ولا جَرَمَ

١٥ بجذف الميم ، ولا ذا جَرَم ؛ قال الشاعر :

إِنَّ كِلَابًا وَالِدِي لَا ذَا جَرَمٍ (٣) لِأَهْدِرَنَّ الْيَوْمَ هَدْرًا فِي النَّعَمِ (٤)

* هَدَرَ الْمَعْنَى (٥) ذِي الشَّقَاشِقِ اللَّهْمِ (٦) *

(١) البيت في اللسان (جرم) ، ونسبه إلى أبي أسماء بن الضريبة . (٢) د : « أ كسبت »

(٣) البيت في اللسان (جرم) من غير عزو . (٤) لأهدرن : لأصوتن ؛ من الهدير ، و

تردد صوت البعير في حنجرته . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « المغنى » .

(٦) حواشى الأصل ، ت ، ف : المعنى : الذى يدخل العنة من الإبل ؛ وهى الحظيرة ؛ وذلك أن الف

الثلثم إذا هاج حبس حتى لا يضرب فى النوق الكرام ، ومنه قول الوليد بن عتبة :

قَطَعْتُ الدَّهْرَ كَالسَّدِمِ الْمَعْنَى تَهْدِرُ فِي دَمِشْقَ فَلَا تَرِيمُ

والناب : الناقة الهرمة ، وجمها نيب ، ومثلها الشارف ، قال الشاعر :

لَا أَفْتَأُ الدَّهْرَ أَبْكِيهِمْ بِأَرْبَعَةٍ مَا اجْتَرَّتِ النَّيْبُ أَوْحَنْتَ إِلَى بَلَدٍ (١)

ويقال للبعير أيضا إذا كبر عَوْدًا ، وللاُنثى عَوْدَةٌ ، قال الشاعر :

عَوْدًا عَلَى عَوْدٍ مِنَ الْقُدَمِ الْأَوَّلِ يَمُوتُ بِالْتَرَكِ وَيَحْيَا بِالْعَمَلِ (٢)

وهذا من أبيات المعاني ، ومعناه بعيرٌ عَوْدٌ على طريق متقدم ، وسُمِّيَ الطريقُ بأنه عَوْدٌ لتقدمه تشبها بالبعير ، وقوله :

* يموت بالترك ويحيا بالعمل *

أراد أنه إذ سُلِكَ وطُرِقَ ظهرت أعلامه ، ووضحت طرقه ، واهتدى سالكه لسلكه ، ولم يَضِلَّ عن قصده ، فكان هذا كالحياة له ، وإذا لم يُسَلِّكْ طمست آثاره ، وامَّحَتْ (٣)

معامله ، فلم يَهْتَدِ فيه راكب لقصده ، وكان ذلك كالموت له .

فأما « الخُمَاشَات » فهي الجنائيات والجراحات ، : قال ذو الرُّمَّة يذكر الحمار والأثُن :
رَبَاعٍ لَهَا مُدُّ أَوْرَقِ الْعَوْدِ عِنْدَهُ خُبَاشَاتُ ذَخَلٍ مَا يُرَادُ امْتِثَالُهَا (٤)

= وأصله « المعنن » ؛ فقلبت لإحدى النونات ياء ، كقولك : تغنيت ، وفي التنزيل : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ ، والشقاشق : جمع شقشقة ؛ وهي كالرئة تخرج من فم البعير إذا حاج واغتم ، واللهم : الذي يلتم كل شيء ؛ أي يبتلع ، وفرس لهم : سريع ؛ كأن يلتمهم الأرض .

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : لا أفتأ ؛ أي لا أزال أبكيهم بأربعة ؛ أي بأربعة شئون ؛ وهي مجازي الدمع من الدماغ ؛ ومثله قول الآخر :

* جُودِي بِأَرْبَعَةٍ عَلَى الْجِرَاحِ *

وقيل بأربعة آفاق من موق العين ، واجتريت : إذا أكلت الجرة . واجرة : ما يخرج البعير من بطنه ليتلعه .

(٢) البيتان في اللسان (عود) ، ونسبهما إلى بشير بن النسك .

(٣) من نسخة بحاشيتي ت ، ف : « أنهجت » ؛ أي بليت .

(٤) ديوانه : ٥٣٣ ؛ وفي حاشيتي ت ، ف : « الرباع من الغنم ماله أربع سنين ، ومن الحافر ماله

سبع سنين ، ومن الحف ماله سبع سنين والجمع ربع ، وقد أربع .

يريد بقوله : «مايرادامثالها» ، أى ما يراد اقتصاصها ، يقال : أمثلى من هذا الرجل ، وأقدنى وأقصنى بمعنى واحد .

فأما قوله : «لايورع» ، أى لا يحبس ، ولا يمنع ، يقال ورعت الرجل توريعا إذا منعتهُ وكففته ، والورع هو المتحرج (١) المانع نفسه مما تدعوه إليه ، يقال ورِعَ ورعاً ورعةً ؛

٥ قال لبيد :

أَكَلَّ يَوْمٍ هَامَتِي مُقَزَّعَةً (٢) لَا يَمْنَحُ الْفِتْيَانَ مِنْ حُسْنِ الرَّعَّةِ (٣)

ويقال : ما ورع أن فعل كذا وكذا، أى ما كذب (٤) ، فأما الورع بالفتح فهو الجبان ،

[٣٥] وأما الطرّوقة / فهي التى قد حان لها أن تطرق ، وهى الحقة . وقوله فى الرواية الأخرى

«إلا من أعطى من رسلها» فالرسل اللبن . والإفقار : هو أن يُركبها الناس ، ويحملهم على

١٠ ظهورها ، مأخوذ من قَمَرَ الظهر ، والإطراق : للفحول هو أن يبذلها لمن يُنزيها على إناس

إليه . وذكر الإطراق فى هذه الرواية أحبُّ إلى من الطرّوقة لأنه قد تقدم من قوله : «إنه يعطى

الناب والبكر والضرع والمائة» فلا معنى لإعادة ذكر الطرّوقة . وقوله فى الجواب «يندب

الناس فلا يورع رجل» عن جمل يخطمه فيمسكه قائداً له (٥) ثم يرده «لايحتمل غير الإطراق»

ولا يليق بمعنى الطرّوقة .

١٥ وكان قيس بن عاصم شريفاً فى قومه ، حليماً ويكنى أبا على ، وكان الأحنف بن قيس يقول

(١) ت : « هو الرجل المتحرج » .

(٢) من أرجوزة فى ديوانه ٧-٨ ، وفى حاشيتى الأصل ، ف : « المعنى : أ كل يوم أحارب وألبس الله

حتى ذهب شعر مقدم رأسى ، والأفزع : الأصلع ؛ إلا أن الأفزع الذى أدى صلعه إلى وسط رأسه »

(٣) حواشى الأصل ، ت ، ف : « يمكن أن يكون المعنى إن هامته المقزعة التى قرعتها أعداؤه ترك

الفتيان من قبيلته على حسن الرعة والتحرج . وهذا الحديث خارج مخرج التذم » .

(٤) حواشى الأصل ، ت ، ف : « قوله : ما كذب [بالتخفيف] أى مالبث أن فعل كذا ،

كذب [بالتشديد] ، أى ماجبن ، وحمل فلان فما كذب [بالتشديد] أيضاً ، أى صدق الجملة فى الحرب

(٥) ت ، د ، ف ، حاشية الأصل من نسخة : « ما بداله » .

إنما تعلمت الحلم من قيس بن عاصم؛ أبي بقاتل ابنه فقال: زَعَبْتُمُ الفتي، وأقبل عليه فقال: يا بُنَيَّ لقد نقصتَ عدَدَكَ، وأوهنتَ ركنَكَ، وفتتَ في عضدِكَ، وأشمتَ عدوكَ، وأسأتَ بقومك؛ خلّوا سبيله؛ وما حلَّ حُبوتُه، ولا تغيّر وجهه.

وقال ابن الأعرابي: قيل لقيس: بماذا سُدت؟ فقال بثلاث: بَدَلِ الندى، وكفّ

الأذى، ونصّر المولى.

وذكر المدائني قال: كان قيس بن عاصم يقول لبنيه: إياكم والبغى، فما بَغَى^(١)

قوم قط إلا قَاوَا وذلّوا. وكان الرجل من بنيهِ يظلمه بعضُ قومه فينهى إخوته أن ينصروه.

وقيس بن عاصم هو الذي حفزَ الحوفزان^(٢) بن شريك الشيباني بطعنة في يوم جدود^(٣)،

فسمى الحارث الحوفزان؛ وقال سوار بن حيان^(٤) المنقري^(٥):

وَنَحْنُ حَفَزْنَا الحَوْفَزَانَ بطعنة سَقَّتْهُ نَجِيمًا من دَمِ الجَوْفِ أشكلاً^(٦)
وَحُمْرَانَ قَسْرًا أَنْزَلْتَهُ رِمَاخُنَا فمَالَجَ غُلًّا في ذِرَاعِيهِ مُثَقَلًا^(٧)

(١) ف، حاشية الأصل (من نسخة): « فإنه ما بغى ». (٢) حفزه، أي طعنه من خلفه، وفي اللسان

عن التهذيب أن الحوفزان لقب لجرار من جراري العرب؛ وكانت العرب تقول للرجل إذا قاد ألفا جراراً.

(٣) حواشي الأصل، ت، ف: « جدود: موضع فيه ماء يسمى بالكلاب، وكانت فيه وقعة مرتين؛

وقال للكلاب الأول يوم جدود؛ وهو لتغلب على بكر بن وائل »

(٤) وانظر خبر يوم جدود في العقد ٥: ١٩٩-٢٠١، وابن الأثير ١: ٣٧٢.

(٥) كذا ضبط بالفلم في جميع الأصول، وضبطه ابن السيد في الاقتضاب ص ١٣٩: « بجاء مكسورة

غير معجمة وباء معجمة بواحدة »، والبيتان في (الأغانى ١٢: ١٤٧، وابن الأثير ١: ٣٧٢، واللائيء

٢٥٦، واللسان - حفز، شكل).

(٥) م: «... المنقري في ذلك ».

(٦) من نسخة بحاشيتي الأصل، ف: « كسته نجيعا »، والشكاة: حمرة يخالطها بياض؛ ويسمى الدم

أشكلاً للحمرة والبياض المختلطين فيه.

(٧) من نسخة بحاشيتي الأصل، ت: « مقفلا »؛ وهو حمران بن عمرو بن بشر بن عمرو؛ وكان على

شيبان وذهل واللاهزم؛ حينما خرجوا لقتال بني يربوع.

وفي يوم جدود يقول قيس بن عاصم :
 جَزَى اللهُ يَرْبُوعًا بِأَسْوَى سَعِيهَا
 إِذَا ذُكِرَتْ فِي النَّائِبَاتِ أُمُورُهَا (١)
 وَيَوْمَ جَدُودٍ قَدْ فَضَحْتُمْ ذِمَارَكُمْ
 وَسَأَلْتُمْ وَالْخَيْلُ تَدْمِي نُحُورُهَا
 / سَتَحْطِمُ سَمْدُ الرَّبَابِ أُنُوفَكُمْ
 كَمَا حَزَّ فِي أَنْفِ الْقَضِيبِ جَرِيرُهَا

[٣٦]

القضيب : الناقة المقتضبة الصعبة ؛ وفي قيس يقول عبدة بن الطبيب :

عَلَيْكَ سَلَامٌ اللهُ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ
 وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا (٢)
 سَلَامٌ أَمْرِيءَ جَلَلَتَهُ مِنْكَ نِعْمَةٌ (٣)
 إِذَا زَارَ عَنْ شَحْطِ بِلَادِكَ سَلَمًا
 فَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ وَاحِدٍ
 وَلَكِنَّهُ بُدْيَانُ قَوْمٍ تَهْدَمَا (٤)

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : ذاكرني بعض الأصدقاء بقول أبي دهبيل
 الجُمحِيّ وهو يعني ناقتة :

١٠

(١) الأبيات في (الأغاني ١٢ : ١٤٧) .

(٢) الأبيات في (الأغاني ١٢ : ١٤٨ ، والحامسة - بشرح التبريزي ٢ : ٢٨٥ - ٢٨٦) .

(٣) رواية التبريزي :

* تَحِيَّةٌ مَنْ غَادَرْتَهُ غَرَضَ الرَّدَى *

(٤) قال التبريزي في شرحه لهذا البيت : « يجوز أن يروى « هلك » بالنصب وبالرفع ؛ فإذا نصبه كان هلكه في موضع البدل من قيس ، وهلك ينتصب على أنه خبر كان ؛ كأنه قال : فسا كان هلك قيس هلك واحد من الناس ؛ بل مات لموته خلق كثير ؛ وإذا رفعته كان هلكه في موضع المبتدأ وهلك واحد في موضع الخبر ، والجملة في موضع النصب على أنه خبر كان ، ويشبه هذا البيت قول امرئ القيس :

فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً
 وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تُسَاقِطُ أَنْفُسًا

إذا رويت « تساقط » بضم التاء .

وَأَبْرَزْتُهَا مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ عِنْدَمَا أَصَاتَ الْمُنَادِي بِالصَّلَاةِ فَأَعْتَمًا (١)
وسألني إجازة هذا البيت بأبيات تنضم إليه وأجمل الكناية فيه كأنها كناية عن امرأة
لا عن ناقة، فقلت في الحال :

فطِيبَ مَسْرَاهَا الْمَقَامُ وَضَوَّاتُ
فِيَارَبِّ إِنْ لَقَيْتَ وَجْهًا تَجِيَّةً
تَجَافِينِ عَنْ مَسِّ الدَّهَانِ وَطَلَا
وَكَمْ مِنْ جَلِيدٍ لَا يُخَامِرُهُ الْهَوَى
أَهَانَ لَهْنِ النَّفْسِ وَهِيَ كَرِيمَةٌ
وَعُوجِلَتْ دُونَ الْحِلْمِ أَنْ تَحْتَلِمَا (٥)

بِإِشْرَاقِهَا بَيْنَ الْحَاطِمِ وَزَمَرَمَا (٢)
فَجِيَّ وَجُوهًا بِالْمَدِينَةِ سُهَمًا (٣)
عَصَمْنَ عَنِ الْحِنَاءِ كَفًّا وَمِعْصَمًا
شَنَّ عَلَيْهِ الْوَجْدَ حَتَّى تَنَيَّا (٤)

(١) أصات: نادى، وأعتم: دخل في العتمة؛ والبيت من قصيدة جيدة؛ ذكر منها أبو الفرج هذه
الآيات :

أَلَا عَلِقَ الْقَلْبُ الْمُتِمِّ كَلْمًا
خَرَجْتُ بِهَا مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ بَعْدَمَا
فَمَا نَامَ مِنْ رَاعٍ وَلَا ارْتَدَّ سَامِرٌ
وَمَرَّتْ بِيَطْنِ اللَّيْثِ تَهْوِي كَأَنَّمَا
وَجَازَتْ عَلَى الْبَزْدَاءِ وَاللَّيْلِ كَاسِرٌ
فَمَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى تَبِينَتْ
وَمَرَّتْ عَلَى أَشْطَانِ رَوْنَقٍ بِالضُّجَا
وَمَا شَرِبْتُ حَتَّى ثَنَيْتُ زِمَامَهَا
فَقُلْتُ لَهَا قَدْ بَنَيْتُ غَيْرَ ذَمِيمَةٍ
لِحَاجَا وَلَمْ يَلْزَمْ مِنَ الْحَبِّ مَلْزَمًا
أَصَاتَ الْمُنَادِي بِالصَّلَاةِ فَأَعْتَمًا
مِنَ الْحَى حَتَّى جَاوَزَتْ بِي يَلْمَلَمًا
تَبَادَرُ بِالْإِدْلَاجِ نَهْبًا مُقَسَّمًا
جَنَاحِينَ بِالْبَزْدَاءِ وَرَدًّا وَأَدَهَا
بِمَلْيَبِ نَحْلًا مُشْرَفًا أَوْ مَخِيَّمًا
فَمَا خَزَّرَتْ لِلْمَاءِ عَيْنًا وَلَا فَمَا
وَحَفَّتْ عَلَيْهَا أَنْ تَخْرُ وَتُكَلِّمًا
وَأَصْبَحَ وَاوْدَى الْبِرْكَ غَيْثًا مُدَيِّمًا

(واظفر الأغاني ٦ : ١٦٣ ، ومعجم البلدان ٦ : ٢١٢-٢١٣ ، والشعر والشعراء ٥٩٧) .

(٢) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « فطيب رباها » . وضوات : أضامت .

(٣) سهما : جمع ساهم ؛ وهو المتغير الوجه . (٤) شننن : صببن . (٥) م : « وقفت بدارها » .

فَعُجَّتْ تَقَرِّي دَارِسًا مُتَكَرًّا وَتَسْأَلُ مَصْرُوفًا عَنِ النُّطْقِ أَعْجُمًا (١)
 وَيَوْمَ وَقَفْنَا لِلوِدَاعِ وَكُنَّا يَمُدُّ مُطِيعَ الشُّوقِ مَنْ كَانَ أَحْرَمًا
 نُصِرْتُ بَقَلْبٍ لَا يَعْتَفُ فِي الْهَوَى وَعَيْنٍ مَتَى اسْتَمَطَّرَتْهَا فَطَرَتْ دَمًا (٢)

وكان أبو دَهَبَل (٣) من شعراء قريش ، ومن جمع إلى الطبع التجويد ، واسمه وهب بن زَمَعَة بن أُسَيْد (٤) / بن أَحِيحَة بن خلف بن وهب بن حذافة بن جَمَح ، واسمه تيم ابن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤي بن غالب ، وكان اسمُ جَمَح تيمًا ، واسم أخيه زيدًا ؛ وهما ابنا عمرو بن هُصَيْص ، فاستبقا إلى غاية ، فمضى تيمٌ عن الغاية ، فقبل جَمَح تيمٌ فسمى جَمَح ، ووقف عليها زيد فقبل سَهَم (٥) زيد ، فسمى سَهَمًا (٦) ؛ فأما كُنْيته فهي مشتقة من الدَّهْبَلَة ، وهي المشي الثقيل ، يقال دَهَبَل الرجل دَهْبَلَة إذا مشى ثقيلًا .

١٠ أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني قال حدثني محمد بن إبراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى النحوي قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال : قيل لأبي عمرو بن الملا ما يعجبك من شعر أبي دَهَبَل الجُمَحِيّ ؟ فقال قوله :

يَا عَمْرُ حُمٌّ فِرَاقُكُمْ عَمْرًا وَعَزَمْتِ مِنَّا النَّأْيَ وَالْهَجْرًا (٧)
 يَا عَمْرُ شَيْخُكَ وَهُوَ ذُو شَرَفٍ يَرَعَى الزَّمَارَ وَيُكْرِمُ الصَّهْرًا (٨)
 وَاللَّهِ مَا أَحْبَبْتُ مُحِبَّكُمْ لَا نَبِيًّا خُلِقْتُ وَلَا بَكْرًا (٩)

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : تقرى : « تتبع » أراد تقرى ؛ وهو تتفعّل من قولك : قروت الأرم والشىء ؛ إذا تتبعته . (٢) من نسخة بجواشي الأصل ، ت ، ف : « مطرت دما » . (٣) وانظر ترجمة أبي دهبَل في (الشعر والشعراء ٥٩٦-٥٩٩ ، والاشتقاق ٨١ ، والمؤلف والمختل)

للأمدى ١١٧ ، والأغانى ٦ : ١٤٩-١٦٥) .

(٤) في ص : « أُسَيْد » ، بفتح الهمزة وكسر السين .

(٥) « سَهَم » ، بالفتح : تغير وجهه ، وسهم ، بالبناء للمجهول : غلب ؛ وضبط في ت : بهما ما

(٦) حاشية ف : سهم : « قبيلة من باهلة ، ومن قريش أيضا » .

(٧) الأبيات في (الأغانى ٦ : ١٥٣) ، وفي حاشية الأصل (من نسخة) « وعزمت منى » .

(٨) شيخك ؛ يعنى أباه (٩) حاشية ف : « تقدير البيت : ما أحببت نبيًا ولا بكرا كحبي إياكم »

إن كان هذا السحرُ منك فلا
 إحدَى بنى أودٍ كلفتُ بها
 وترى لها دلاً إذا نطقتُ
 كنتساقطِ الرطبِ الجبنيِّ من الـ
 ومقالةٍ فيكمُ عرّكتُ لها
 ومريدُ سرّكمُ عدلتُ به
 قالتُ يُقيم لنا لِنَجْزِيه
 ما إن أقيمُ لِحَاجَةِ عَرَضتُ
 وإذا هممتُ بِرِحْلَةٍ جَرِعتُ
 إني لأرْضى ما رَضيتُ به

/وروى أبو عمرو الشيباني لأبي دهب:

ياليت من يمنع المعروف يُمنعه
 وليت رزق رجالٍ مثلُ نائلهم

- وروى: «ضيق كضيق ووسع كالذي اتسعوا» .

وليت للناس خطأً في وجوههم
 وتبين أخلاقهم فيه إذا اجتمعوا
 وليت ذا الفحش لاقى فاحشاً أبداً
 ووافق الحلمُ أهلَ الحلمِ فاندعوا^(٧)

(١) الإرعاء : الإبقاء ؛ كذا ذكره صاحب اللسان واستشهد بالبيت .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « أي أسراره مائة إليها » .

(٣) الأقناء : جمع قنو ؛ وهو غصن الخجل .

(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « نقرا ؛ أي قليلاً ؛ وهو صوت يسمع من وقع الإبهام على

الوسطى ؛ يقال : مأعطاء نقرا ونقرة ؛ أي شيئاً ؛ ولا يستعمل إلا في النفي » .

(٥) الأبيات في المؤلف والمختار ١١٧ .

(٦) حاشية ف : « يجوز أن يكون « قوت » خبر المبتدأ ؛ أي هو قوت ؛ ويجوز أن يكون بدلا

من مثل نائلهم » .

(٧) حاشية ف : « فاندعوا : فاستراحوا » .

ترعى عليَّ وَجَدَدِي السَّحْرَا^(١)
 حَمَلتُ بِلَا تَرَةٍ لَنَا وَتَرَا
 تَرَكَتْ بِنَاتِ فَوَادِهِ صُعْرَا^(٢)
 أَقْنَاءَ لَا نَثْرًا وَلَا نَزْرَا^(٣)
 جَنبِي أُرِيدُ بِهَالِكِ الْعُذْرَا
 عَمَّا يُجَاوِلُ مَعْدِلًا وَعَعْرَا
 يَوْمًا فَخَيْمَ عِنْدَهَا شَهْرَا
 إِلَّا لِأَبِي فِيكُمْ عُذْرَا
 وَإِذَا أَقَمْنَا لَمْ تَقْدِ تَقْرَا^(٤)
 وَأَرَى لِحُسْنِ حَدِيثِكُمْ شُكْرَا

٥

١٠

[٣٧]

و

حتى يذوق رجالٌ غيباً ما صنعوا^(٥)
 قوتٌ كقوتٍ ووسع كالذي وسعوا^(٦)

١٥

ولأبي دَهْبَلٍ فِي قَتْلِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا :
 تَبَيَّتُ النَّشَاوَى مِنْ أُمِّيَّةٍ نُومًا وبالطَّفِّ قَتَلْتَنِي مَا يَنَامُ حَمِيمُهَا (١)
 وَمَا ضَيَّعَ الْإِسْلَامَ إِلَّا عَصَابَةٌ تَأَمَّرَ نَوْكَاهَا وَدَامَ نَعِيمُهَا (٢)
 وَصَارَتْ قَنَاةُ الدِّينِ فِي كَفِّ ظَالِمٍ إِذَا مَالَ مِنْهَا جَانِبٌ لَا يُقِيمُهَا

وَأَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَرْزَبَانِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ
 رَوَى أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ لِأَبِي دَهْبَلٍ قَالَ - وَيُقَالُ إِنَّهَا لِلْمَجْنُونِ :

أَتْرَكُ لَيْلِي لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا سِوَى لَيْلَةٍ إِنِّي إِذَا لَصَبُورُ (٣)
 هَبُونِي إِمْرَأًا مِنْكُمْ أَضَلَّ بَعِيرَهُ لَهُ ذِمَّةٌ إِنَّ الدِّمَامَ كَبِيرُ
 وَلصَّاحِبِ التَّرْوُكُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عَلَى صَاحِبِ مَنْ أَنْ يَضِلَّ بَعِيرُ (٤)
 عَفَا اللَّهُ عَنْ لَيْلِي الْغَدَاةَ فَإِنَّهَا إِذَا وَلَّيْتُ حَكْمًا عَلَى تَجْجُورُ

وَرَوَى أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ لِأَبِي دَهْبَلٍ - وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو تَمَامٍ فِي الْحَمَاسَةِ لَهُ (٥) :

أَقُولُ وَالرَّكْبُ قَدْ مَالَتْ عَمَائُهُمْ وَقَدْ سَقَى الْقَوْمَ كَأْسَ النَّشْوَةِ السَّهْرِ
 يَأْلِيَتْ أَنِّي بَأَثْوَابِي وَرَاحِلَتِي عَبْدٌ لِأَهْلِكِ طُغُولَ الدَّهْرِ مُؤْتَجِرُ
 إِنْ كَانَ ذَا قَدْرٍ يُعْطِيكَ نَافِلَةً مِنَّا وَيَجْرِمُنَا مَا أَنْصَفَ الْقَدْرُ!

(١) الأبيات في (الأغاني ٦ : ١٦٢ ، ومعجم البلدان ٦ : ٥٢) ، والطف : أرض في ضاء الكوفة ، كان فيها مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه ، وحميمها : أفر باؤها .

(٢) في الأغاني ومعجم البلدان : « وما أفسد الإسلام ... » .

(٣) الأبيات في الأغاني (٦ : ١٦٤ ، وديوان الحماسة - بشرح التبريزي ٣ : ٢٧٢-٢٧٣

(٤) حاشية ف : « أضلت بعيري إذا شذ عنك وذهب ، وضلت الطريق إذا شذت عنه وذهبت

(٥) الحماسة - بشرح التبريزي ٣ : ٢٩٦-٢٩٧ . (٦) الحماسة : « كأس النشوة »

(٧) حاشية الأصل (من نسخة) : « هذا الشهر مؤتجر » ، وهي رواية الحماسة .

(٨) وورد بعد هذا البيت في الحماسة :

جَنِيَّةٌ أَوْ لَهَا جِنٌّ يَعْلَمُهَا رَمَى الْقُلُوبَ بِقَوْسٍ مَالِهَا وَتَرَ

[٣٨] وأخبرنا المرزباني قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال : مثل قول أبي دهب :
ولو تركونا لا هدى الله أمرهم فلم يذجموا قولاً من الشر ينسج^(١)
لأوشك صرف الدهر تفريق بيننا وهل يستقيم الدهر والدهر أعوج!
قول العجاج لرؤبة ابنه يشكوه لما استطال عمره، وتمنى موته:

٥ لما رآني أرعشت أطرافي^(٢) استعجل الدهر وفيه كاف
يخترم الإلف عن الألف

قال ومثله :

عدمت ابن عم لا يزال كأنه وإن لم أتره منطوي على وتر
يعين على الدهر والدهر مكتف وإن استعنه لا يعنى على الدهر

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه ومثل الجميع قول أبي أحمد عبید الله بن عبد الله

ابن طاهر :

إلى كم يكون العتب في كل ساعة وكم لا تملن القطيعة والهجرة
رؤيدك إن الدهر فيه كفاية لتفريق ذات البين فانتظري الدهرا

(١) من قصيدة في (الأغاني ٦ : ١٥١-١٥٢ ، والشعر والشعراء ٥٩٨-٥٩٩) ، مطلعها :

تداول هذا الليل ما يتباج وأعيت غواشي الهم ما تتفرج

(٢) ديوانه : ٣٩ .

مَجْلِسِ آخِرِ تَأْوِيلِ آيَةٍ *

إن سأل سائل فقال : ما وجهُ التَّكرارِ في سورة الكافرين، وما الذي حَسَّنَ إعادةَ النفي لكونه عابدا ما يعبدون ؛ وكونهم عابدين ما يعبد ، وذكرُ ذلك مرة واحدة يُغني . وما وجه التكرار أيضا في سورة الرحمن لقوله تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ؛ [سورة الرحمن] ، الجواب ، يقال له : قد ذكر ابن قتيبة في معنى التَّكرارِ في سورة الكافرين وجهها ، وهو أنَّ

٥ قال : القرآن لم ينزل دَفْعَةً واحدة ؛ وإنما كان نزوله شيئا بعد شيء ، والأمر في ذلك ظاهر ، فكان المشركين أتوا النبي صلى الله عليه وآله فقالوا له : استلم^(١) بعض أصنامنا حتى نؤمن بك ؛ ونصدِّقَ بنبوتك ، فأمره الله تعالى بأن يقول لهم : ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ ، ثم غبروا مدة من الزمان وجاءوه / فقالوا له : اعبد بعض آلهتنا ، واستلم بعض أصنامنا يوماً أو شهراً أو حولاً ، لنفعل مثلَ ذلك بإلهك ، فأمره الله تعالى بأن يقول لهم : ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ ؛ أى إن كنتم لا تعبدون إلهي إلا بهذا الشرط فإنكم لا تعبدونه أبداً .

وقد طعن بعض الناس على هذا التأويل بأن قال : إنه يقتضى شرطاً وحذفاً لا يدل عليه ظاهر الكلام ، وهو شَرْطُهُ في قوله : ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ ؛ وإذا كان ما نفاه عن نفسه من عبادته ما يعبدون مطلقاً غير مشروط ، فكذلك ما عطفه عليه . وهذا الطعن غير صحيح ، لأنه لا يمتنع إثباتُ شرطٍ بدليل ، وإن لم يكن في ظاهر الكلام ، ولا يمتنع عطف المشروط على المطلق بحسب قيام الدلالة .

وعن هذا السؤال ثلاثة أجوبة ؛ كلُّ واحد منها أوضح مما ذكره ابن قتيبة .

* لم يذكر في الأصل ، وأثبتته عن ت .

(١) حاشية ف : « من استلام الحجر ، وهو التسح ، ويقال : استلام الحجر ، والأصل ترك الهمز

لأنه من السلمة ؛ وهى الحجر ؛ إلا أن استلام الحجر جرى في كلامهم مهموزا » .

أولها ما حكى عن أبي العباس ثعلب أنه قال: إنما حَسُنَ التكرار؛ لأن تحت كلِّ لفظة معنى ليس هو تحت الأخرى، وتلخيص الكلام: قل: يأبها الكافرون: لا أعبد ما تعبدون الساعة وفي هذه الحال، ولا أنتم عابدون ما أعبد في هذه الحال أيضا، فاخْتَصَّ الفعلان منه ومنهم بالحال، وقال من بعد: ولا أنا عابد ما عبدتم في المستقبل، ولا أنتم عابدون ما أعبد فيما تستقبلون، فاختلف^(١) المعاني وحَسُنَ التكرار لاختلافها، ويجب أن تكون السورة على هذا الجواب^(٢) مخصصةً بِمَنْ المعلوم من حاله^(٣) أنه لا يؤمن. وقد ذكر مقاتل وغيره أنها نزلت في أبي جهل والمستهزئين، ولم يؤمن من الذين نزلت فيهم أحد؛ والمستهزئون هم: العاص ابن وائل السهمي، والوليد بن المغيرة، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، وعدى ابن قيس.

والجواب الثاني وهو جواب الفراء أن يكون التكرار للتأكيد؛ كقول الجيب مؤكداً: ١٠
بلى بلى، والممتنع مؤكداً: لا لا؛ ومثله قول الله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾؛ [التكاثر: ٢، ٣]، وأنشد الفراء:
وكانن وكم عندي لهم من صنيعه
أيدي تنوها على وأوجبوا
وأنشد أيضاً:

١٥ كَمْ نِعْمَةٌ كَانَتْ لَكُمْ كَمْ كَمْ وَكَمْ

وقال آخر:

[٣٨] / نَفَقَ الْغُرَابُ بَيْنَ لُبْنَى غُدْوَةً كَمْ كَمْ وَكَمْ بِفِرَاقِ لُبْنَى يَنْفِقُ^(٤)
ط

وقال آخر:

(١) ط: «فاختلفت المعاني».

(٢) ساقطة من ط، م.

(٣) ساقطة من ت، م.

أَرَدْتُ لِنَفْسِي بَعْضَ الْأُمُورِ فَأَوْلَىٰ لِنَفْسِي أَوْلَىٰ لَهَا! (١)

والجواب الثالث - وهو أغربها - أنني لا أعبد الأصنام التي تعبدونها ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ؛ أي : أنتم غير عابدين الله الذي أنا عابده إذ أشركتكم به ، واتخذتم الأصنام وغيرها معبودةً من دونه أو معه ، وإنما يكون يكون عابداً له مَنْ أخاص له العبادة دون غيره ، وأفرده بها ؛ وقوله: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ ؛ أي لست أعبد عبادتكم ، وما في قوله : ﴿مَّا عَبَدْتُمْ﴾ في موضع المصدر كما قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَّاهَا: وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾؛ [الشمس: ٧، ٦]، أراد : وطَّحَّيه إياها وتسويته لها، وقوله تعالى : ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾؛ [غافر: ٧٥] ، يريد: بفرحكم ومرحكم ؛ قال الشاعر:

يَا رَبِّعَ سَلَامَةَ بِالْمُنْحَىٰ بِخَيْفٍ سَلَعٍ جَادَكَ الْوَابِلُ (٢)

١٠ إِنْ تُمَسِّ وَحْشًا فَمَا قَدْ تَرَىٰ وَأَنْتَ مَعْمُورٌ بِهَا آهِلُ (٣)

أراد فبرؤيتك معموراً أهلاً ، ومعنى قوله : ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ ، أي لستم عابدين عبادتي على نحو ما ذكرناه ، فلم يتكرر الكلام إلا لاختلاف المعاني .

وتلخيص ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله قال للكفار لا أعبد آلهتكم ، ومن تدعونه من دون الله ، ولا أنتم عابدون إلهي ، فإن زعمتم أنكم عابدون إلهي فأنتم كاذبون ، إذ كنتم من غير الجهة التي أمركم بها تعبدونه ، فأنا لا أعبد مثل عبادتكم ، ولا أنتم ما دمتم على ما أنتم عليه تعبدون مثل عبادتي .

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « أولئك : كلمة تحذير ، قال الأصمعيّ : معناه فاربك مانكره ، والولي : القرب ، وقد وليه يليه . وقال ثعلب : أصح ما ذكر في « أولى » قول الأصمعيّ ، وقد قيل في غير ذلك ، وكان محمد بن الحنفية عليه السلام إذا مات جاره يقول : أولى لي ! كدت أكون السوء المحترم » .

(٢) المنحى : حيث ينحى السيل ؛ أي يميل . والخيف : ما انحدر عن الجبل وارتفع عن السيل ، وفي سمي خيف متى . وسلع : يطلق على جملة مواضع في ديار باهلة وأسد .

(٣) وحشا : خالياً ، وبما ترى ؛ أي بما كنت قد ترى ، وآهل : ذو أهل ؛ وفي حاشية ف « وأنت معمور بها ، يجوز أن يتعلق « بها » بمعمور وبآهل جميعاً . وفي د ، م : « به أهل » .

فإن قيل : أما اختلاف المعبودين فلا شبهة فيه ، فما الوجهُ في اختلاف العبادة ؟ قلنا : إنه صلى الله عليه وآله كان يعبد مَنْ يخلص له العبادة ولا يشرك به شيئاً ، وهم يشركون ، فاختلقت عبادتهما^(١) ، ولأنه أيضاً كان يتقرب إلى معبوده بالأفعال الشرعية التي تقع على وجه العبادة ، وهم لا يفعلون تلك الأفعال ، ويتقربون بأفعال غيرها ، يمتقدون جهلاً أنها عبادة وقربة .

و
[٣٩] / فإن قيل : فما معنى قوله تعالى : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ ، وظاهر هذا الكلام يقتضى إباحتهم المقام على أديانهم ؟ قلنا في هذا ثلاثة أجوبة : أولها أن ظاهر الكلام وإن كان ظاهره إباحة فهو وعيد ومبالغة في النهي والزجر ؛ كما قال تعالى : ﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ ؛ [فصلت : ٤٠] . وثانيها أنه أراد لكم جزاء دينكم ، ولي جزاء ديني ، فحذف الجزاء لدلالة الكلام عليه ، وثالثها أنه أراد لكم جزاؤكم ولي جزأى ؛ لأن نفس الدين هو الجزاء ؛ قال الشاعر :

إِذَا مَا لَقُونَا لَقِينَاهُمْ وَدَنَاهُمْ مِثْلَ مَا يُقْرَضُونَا

فأما التكرار في سورة الرحمن فإنما حسن للتقرير بالنعم المختلفة الممددة ، فكما ذكرنا نعمة أنعم بها قرّر عليها^(٢) ، ووبّخ على التكذيب بها ؛ كما يقول الرجل لغيره : ألم أحسن إليك بأن خولتكَ الأموال ! ألم أحسن إليك بأن خلصتكَ من المكاره ! ألم أحسن إليك ١٥ بأن فعلت بك كذا وكذا ! فيحسن منه التكرير^(٣) لاختلاف ما يقرره به ، وهذا كثير في كلام العرب وأشعارهم ، قال مهلهل بن ربيعة يرثي أخاه كليياً^(٤) :

(١) ف ، حاشية ت (من نسخة) : « عبادتهما » .

(٢) ت ، ف : « بها » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « التكرار » .

(٤) من قصيدة مشهورة ، مطلعها :

أَلَيْتُنَا بَدَى حُسْمِ أَيْبَرِي إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَا تَجُورِي
وهي في (أمالي القالي ٢ : ١٢٩-١٣٣) وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « قبل هذا البيت :
وَهَمَامُ بْنُ مُرَّةٍ قَدْ تَرَ كُنَا عَلَيْهِ الْقَشْعَانِ مِنَ النَّسُورِ

إِذَا طُرِدَ (١) الْيَتِيمُ عَنِ الْجَزُورِ (١)	عَلَى أَنْ لَيْسَ عِدْلًا مِنْ كَلْبٍ
إِذَا مَاضِمَ جِيرَانُ الْمُجِيرِ	عَلَى أَنْ لَيْسَ عِدْلًا مِنْ كَلْبٍ
إِذَا رَجَفَ الْعِضَاءُ مِنَ الدَّبُورِ (٢)	عَلَى أَنْ لَيْسَ عِدْلًا مِنْ كَلْبٍ
إِذَا خَرَجَتْ مُخَبَّأَةُ الْخُدُورِ	عَلَى أَنْ لَيْسَ عِدْلًا مِنْ كَلْبٍ
إِذَا مَا أُعْلِنَتْ نَجْوَى الْأُمُورِ	عَلَى أَنْ لَيْسَ عِدْلًا مِنْ كَلْبٍ
إِذَا خِيفَ الْخَوْفُ مِنَ الثُّغُورِ	عَلَى أَنْ لَيْسَ عِدْلًا مِنْ كَلْبٍ
عَدَاةَ تَلَاتِلِ الْأُمْرِ الْكَبِيرِ (٣)	عَلَى أَنْ لَيْسَ عِدْلًا مِنْ كَلْبٍ
إِذَا مَا خَامَ جَارُ الْمُسْتَجِيرِ (٤)	عَلَى أَنْ لَيْسَ عِدْلًا مِنْ كَلْبٍ

وقالت ليلي الأَخِيلِيَّةُ تَرثِي تُوْبَةَ بِنِ الْحَمِيرِ :

[٣٩] / وَلنعمَ الفتى يَا تُوْبَ كُنْتَ إِذَا التَّمَّتْ ظ
وَنِعْمَ الْفَتَى يَا تُوْبَ كُنْتَ وَلَمْ تَكُنْ
صُدُورُ الْأَعَالَى وَاسْتَشَالَ الْأَسَافِلِ (٥)
لَتُسْبِقَ يَوْمًا كُنْتَ فِيهِ تَحَاوِلِ (٦)

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « اللئيم » .

وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « قال مهلهل في هذه القطعة قبل هذا البيت مرثية أخيه ؛ وهو الذي ثارت لأجله حرب البسوس ؛ وكان سبب تلك الحرب أن كلبيا رمى ضرع ناقة البسوس ، فانتظم ضرعها ، فقتل كلب ، وبقيت الحرب فيهم أربعين سنة ، وكان في أواخر تلك الحروب يوم التحلاق ، وعلى أن ليس عدلا ؛ يعنى : ليس همام عدلا من كلب ؛ ويقال : عندى غلام عدل غلامك [بكسر العين] وهذا المال عدل غلامك [بالفتح] ؛ أى قيمته ؛ قال الفراء : العدل [بالفتح] : ما عادل الشئ من غير جنسه ، والعدل [بالكسر] المثل . (٢) رجف : تحرك حركة شديدة ، والعضاء : كل شجر له شوك ؛ وفي حاشية الأصل : « أى كان الزمان شتاء » .

(٣) التلاتل : الشدائد ، وفي ت ، ف : « بلابل » ، وفي الأصل ذكر الوجهان معا ، وفي الحاشية :

« البلابل : الهت ، والتلاتل : الشدائد ، وفي شعره بالياء » .

(٤) خام : جبن ، وفي نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « خار » .

(٥) حاشية ت (من نسخة) : « في ديوانها : « العوالى » ، وهى رواية ف أيضا .

(٦) ف ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « تجاول » ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « ف في

نسخة شعرها :

وَنِعْمَ الْفَتَى يَا تُوْبَ كُنْتَ قَدِيمَةً عَلَى الْخَلِيلِ تَمْرِيهَا وَنِعْمَ الْمَنَازِلُ

وقديعة ؛ أى مدة قديعة ، ويجوز أن تكون قديعة بمعنى مقدامة . وتمريها ، تحلبها الجربة .

- وَنِعْمَ الْفَتَىٰ يَا تَوْبَ كُنْتَ لِخَائِفٍ
 وَنِعْمَ الْفَتَىٰ يَا تَوْبَ جَارًا وَصَاحِبًا
 لَعَمْرِي لَأَنْتَ الْمَرْءُ أَبْيَىٰ لِفَقْدِهِ
 [لَعَمْرِي لَأَنْتَ الْمَرْءُ أَبْيَىٰ لِفَقْدِهِ
 لَعَمْرِي لَأَنْتَ الْمَرْءُ أَبْيَىٰ لِفَقْدِهِ
 لَعَمْرِي لَأَنْتَ الْمَرْءُ أَبْيَىٰ لِفَقْدِهِ
 أَبَىٰ لَكَ ذَمُّ النَّاسِ يَا تَوْبَ كَلَّمَا
 أَبَىٰ لَكَ ذَمُّ النَّاسِ يَا تَوْبَ كَلَّمَا
 فَلَا يُبْعِدُنكَ اللَّهُ يَا تَوْبَ إِنَّمَا
 وَلَا يُبْعِدُنكَ اللَّهُ يَا تَوْبَ إِنَّهَا
 وَلَا يُبْعِدُنكَ اللَّهُ يَا تَوْبَ وَالتَّقَىٰ
- أَتَاكَ لَكِي يُجْمَىٰ وَنِعْمَ الْمُجَاهِلُ^(١)
 وَنِعْمَ الْفَتَىٰ يَا تَوْبَ حِينَ تَفَاضِلُ^(٢)
 بِجِدِّ وَلَوْ لَامَتْ عَلَيْهِ الْعَوَازِلُ
 وَيَكْفُرُ تَسْهِيْدِي لَهُ لَا أَوْائِلُ^(٣)
 وَنَوْ لَامَ فِيهِ نَاقِصُ الرَّأْيِ جَاهِلُ^(٤)
 إِذَا كَثُرَتْ بِالْمُلْحَمِينَ التَّلَاتِلُ^(٥)
 ذُكِرَتْ أُمُورٌ مُحْكَمَاتٌ كَوَامِلُ
 ذُكِرَتْ سَمَاحٌ حِينَ تَأْوِي الْأَرَامِلُ
 لَقِيَتْ حِمَامَ الْمَوْتِ وَالْمَوْتُ عَاجِلُ
 كَذَلِكَ الْمُنْيَا عَاجِلَاتٌ وَأَجِلُ^{١٠}
 عَلَيْكَ الْعَوَادِي الْمُدْجِنَاتُ الْهَوَاطِلُ^(٦)

فخرجت في هذه الأبيات من تكرار إلى تكرار لاختلاف المعاني التي عددناها على نحو

ما ذكرناه^(٧).

(١) كذا في الأصل ، ف ؛ وفي ت : « المحامل » ، وفي حاشيتها : « المحامل ؛ من الجمالة ؛ وهي

الدية » .

(٢) ف ، وحاشية ت (من نسخة) : « تناضل » ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « تقاقل » .

(٣) زيادة من م وحاشيتي ط ، ف .

(٤) م : « ناقص العقل » .

(٥) ت : « البلايل » ، وفي حاشية ف : « المنتجم : الذي أشرف على القتل ؛ فكأنه جعل لحما ،

والتلائل : جمع تلتلة ، وهي مضاعف من الرباعي ، يقال : تلتلت وتلتلة ؛ كما يقال : كبة وكبكية ؛ قال تعالى :

﴿ فَكَبَّيُّوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴾ ، والتلائل : الأمور العظام » .

(٦) المدجنات : السحائب المظلمة ، والمطلان : تتابع المطر والدمع .

(٧) حاشية ف : « في الجايس والأنيس : من أعجب ماروي في قصتهما أن ليلي الأخيلية بعد موت

توبة تزوجت ، ثم إن زوجها بعد ذلك مرّ بقبر توبة وليلي معه ، فقال لها : يا ليلي ؛ هل تعرفين هذا القبر ؟

فقال : لا ، فقال : هذا قبر توبة فسلمى عليه ، فقالت : امض لأشأنك ؛ فاتريد من توبة وقد بليت عظامه ؟ =

وقال الحارث بن عباد - :

قَرَّبَا مَرَبَطَ النِّعَامَةِ مِنِّي لَقِحتُ حَرَبُ وَاثِلٍ عَن حِيَالِ (١)
ثم كرر قوله : «قربا مربوط النعمامة» في أبيات كثيرة من القصيدة للمعنى الذي ذكرناه.

وقالت ابنة عم للنعمان بن بشير ترى زوجها :

وحدثنى أصحابه أن مالكا أقام ونادى صخبه برحيل
وحدثنى أصحابه أن مالكا ضروب بنصل السيف غير نكول
وحدثنى أصحابه أن مالكا جواذ بما في الرجل غير بنخيل
وحدثنى أصحابه أن مالكا خفيف على الحداث غير ثقيل
وحدثنى أصحابه أن مالكا صرؤم كماضى الشفرتين صقيل

[٤٠]

وهذا المعنى أكثر من أن نحصيه . وهذا هو الجواب عن التكرار في سورة المرسلات

بقوله تعالى : ﴿ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ .

== قال : أريد تكذيبه؛ أليس هو الذي يقول :

وَلَوْ أَن لَّيْلَى الْأَخِيلِيَّةِ سَلَّمَتْ
لَسَلَّمَتْ تَسْلِيمَ الْبِشَاشَةِ أَوْزَقَا
علي ودوني ترربة وصفايح
إليها صدئى من جانب القبر صائح

فوالله ، لا برحت أو تسلمى عليه ؛ فقالت : «السلام عليك يا نوبة ورحمك الله ، وبارك لك فيما صرت إليه ؛ فإذا طائر قد خرج من القبر حتى ضرب صدرها ، فشمقت شهقة فانت ، فدفنت إلى جانب قبره ، فنبئت على قبره شجرة ، وعلى قبرها شجرة ، فطالنا والتفنا » .

(١) مربوط ؛ ضبطت بالقلم في الأصل ، بالفتح والكسر معا ، وفي حاشية ف : « ما كان على فعل يفعل ، بالضم فالصدر والموضع منه فعل بالفتح ، وما كان على فعل يفعل بالكسر فالصدره فعل ، بالفتح ، والموضع مفعول ، بالكسر ، وما كان على يفعل بالفتح فكلاهما فيه بالفتح » . وفي حاشية الأصل : « الحيال : ألا تحمل الناقة أو الفرس ؛ يعنى أن الحرب لقت بعد أن كانت لا تحمل » .

وقد ورد هذا البيت في (أمالي القالي ٣ : ٢٦) ، وبمده :

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ اللَّـهُ
قَرَّبَا مَرَبَطَ النِّعَامَةِ مِنِّي
وإني بجرها اليوم صال
إن بيع الكرام بالشسع غال

فإن قيل: إذا كان الذي حسن التكرار في سورة الرحمن ما عدده من الآله ، ونعمه فقد عدد في جملة ذلك ما ليس بنعمة، وهو قوله: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِرٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴾ [آية: ٣٥]، وقوله: ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ ﴾^(١) [آية: ٤٣، ٤٤]. فكيف يحسن أن يقول بعقب هذا: ﴿ فَبَأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ وليس هذا من الآلاء والنعم؟ قلنا: الوجه في ذلك أن فعل العقاب وإن لم يكن ٥ نعمة فقد كرهه ووصفه والإنذار به من أكبر النعم، لأن في ذلك زجراً عمماً يستحق به العقاب وبمعالي ما يستحق به الثواب، فإنما أشار بقوله تعالى: ﴿ فَبَأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ، بعد ذكر جهنم والعذاب فيها إلى نعمته بوصفها والإنذار بعقابها ، وهذا مما لا شبهة^(٢) في كونه نعمة.

فصل

قال سيدنا الشريف الأجل المرتضى ذو المجددين أدام الله علوه : وكما أنه كان في الجاهلية وقبل الإسلام وفي ابتدائه قوم يقولون بالدهر ، وينفون الصانع ، وآخرون مشركون ١٠ يعبدون غير خالقهم ، ويستنزلون الرزق من غير رازقهم أخبر الله تعالى عنهم في كتابه ، وضرب لهم الأمثال ، وكرّر عليهم البينات والأعلام ، فقد نشأ بعد هؤلاء جماعة ممن يتستّر بإظهار الإسلام ويحقن بإظهار شعاره والدخول في جملة أهله دمه وماله زنادقة مُلْحِدُونَ ، وكفار مشركون ؛ فمنهم^(٣) عِزُّ الإسلام عن المظاهرة والمجاهرة ، وألجأهم خوف القتل إلى الساترة ؛ وبأية هؤلاء على الإسلام وأهله أعظم وأغلظ، لأنهم يُدْعِغُونَ في الدين ، ويموهون ١٥ على المستضعفين ، بجأشٍ رابط ، ورأى جامع ؛ فِعْلٌ من قدامين الوحشة، ووثق بالأنسة ، بما يظهره^(٤) من لباس الدين ، الذي هو منه على الحقيقة عارٍ ، وبأثوابه غير متوار ، كما يحكى أن عبد الكريم بن أبي العوجاء قال لما قبض عليه محمد بن سليمان ، وهو والى الكوفة من قبل

(١) حاشية ف : « الحميم : الماء الحار ، والآني : الذي بلغ نهايته . »

(٢) ش : « وهذا لا شبهة . » (٣) ش : « فمنهم . » (٤) ش : « فيما يظهره . »

[٤٠] المنصور، وأحضره / للقتل، وأيقن بمفارقة الحياة^(١): لأن قتلتموني لقد وضعت في أحاديثكم
 أربعة آلاف حديث مكدوبة مصنوعة^(٢).

والمشهورون من هؤلاء الوليد بن يزيد بن عبد الملك، والحمادون: حماد الراوية، وحماد
 ابن الزبيرقان، وحماد عجرد؛ وعبد الله بن المقفع، وعبد الكريم بن أبي العوجاء،
 ٥ وبشار بن بُرد، ومطيع بن إياس، ويحيى بن زياد الحارثي، وصالح بن عبد القدوس
 الأزدي، وعلي بن خليل الشيباني، وغير هؤلاء، ممن لم نذكره؛ وهم وإن كان عددهم كثيراً
 فقد أقلهم الله وأذلهم^(٣) بما شهدت به دلائله الواضحة، وحججه اللائحة على عقولهم من
 الضعف، وآرائهم من السخف.

ونحن نذكر من أخبار كل واحدٍ ممن ذكرناه وتهمته في دينه نبذة^(٤)، ونومى فيها
 ١٠ إلى جملة^(٥). والذي دعانا إلى التشاغل بذلك - وإن كانت عنايتنا بغيره أقوى - مسألة من
 نرى إجابته، ونؤثر موافقته، فتكلفناه له ومن أجله، مع أنه غير خالٍ من فائدة ينفع علمها
 ويُتأدب بروايتها وحفظها.

أما الوليد^(٦) فكان مشهوراً بالإلحاد، متظاهراً بالعناد، غير محتشم في أطراح الدين أحداً.

(١) حاشية ت (من نسخة): « الدنيا » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة): « موضوعة » .

(٣) في ت، د: « وأذلهم وأرذلهم » .

(٤) نبذة، بفتح النون وضمة. (٥) في ت، د: « جملة كافية » .

(٦) حواشي الأصل، ت، ف: « هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان؛ ويكنى أبا العباس

قتله يزيد بن الوليد بن عبد الملك، وكان المتولى لذلك عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك، وكانت ولاية

الملعونة سنة وشهرين ونيفاً وعشرين ليلة، وقتل وقد بلغ من السن اثنتين وأربعين سنة، وقتل معه ولداً

الحكم وعثمان، وكان يقال لهما الجملان ». وانظر أخبار الوليد في (الأغانى ٦: ٩٨ - ١٣٧

والعقد ٤: ٤٥٢-٤٦٣).

ولا مراقب فيه بشراً ؛ وفي الحديث أنه وُلِدَ لِأَخِي أُم سَامَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ غَلامٌ فَسَمَّوْهُ الْوَلِيدَ ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : «سَمَّيْتُمُوهُ بِأَسْمَاءِ فِرَاعِنْتُمْ ! لِيَكُونَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ الْوَلِيدُ ، لَهُوَ شَرٌّ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ فِرْعَوْنَ عَلَى قَوْمِهِ» . قال الأوزاعي : فسألت الزُّهْرِيَّ عَنْهُ فَقَالَ : إِنْ اسْتُخْلِيفَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ ، وَإِلَّا هُوَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ .

٥ أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال : حدثني محمد بن إبراهيم قال : حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال : كان الوليد بن يزيد بن عبد الملك قد عزم على أن يبنى فوق البيت الحرام قبة يشرب عليها الخمر ، ويُشرف على الطواف ، فقال بعض الحجبة^(١) : لقد رأيتُ الجوسى البناء فوق الكعبة ؛ وهو يقدر مواضع أركان القبة ، فلم تمس^(٢) تلك الليلة حتى وافى الخبرُ بقتل الوليد .

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني عبد الله بن يحيى العسكري / عن أبي إسحاق [٤١]
الطلحي قال أخبرني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل عن أبي العالقة عن بعض أهل العلم قال : قال يزيد بن الوليد - وهو الملقب بالناقص^(٣) لما ولى : نشدتُ الله رجلاً سمع شيئاً من الوليد إلا أخبر به ! فقام ثور بن يزيد فقال : أشهد لسمعتُه^(٤) وهو يقول :

١٥ اسقياني وابنَ حَرْبٍ واسْتُرَانَا بِإِزَارِ
واترُ كما مَنْ طَلَبَ الْجَنَّةَ يَسْعَى فِي خَسَارِ
سأسوسُ النَّاسَ حَتَّى يَرُوكِبُوا دِينَ الْجِمَارِ^(٥)

وأخبرنا المرزباني قال : أخبرني أحمد بن خالد النخاس قال : حدثنا محمد بن مكحول قال :

(١) حاشية ت (من نسخة) : « بعض الطواف » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « فلم تمس » .

(٣) ش : « الملقب بالناقص » ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « قيل له الناقص لأنه كان تقص أعطياتهم » .

(٤) ش : « لقد سمعته » .

(٥) في حاشيتي الأصل ، ف : « أي حتى ينزرو بعضهم على بعض كما تتنازى الحمير » .

نشَر الوليدُ بنُ يزيدٍ يوماً المصحفَ ، وكان خطُّه كأنَّه أصابع ، وجعل يرميه بالسهم وهو يقول (١) :

تَذَكَّرُنِي الحِسابُ وَسَتُّ أَدْرِي أَحَقًّا مَا تَقُولُ مِنَ الحِسابِ
فَقُلْ لِلَّهِ يَمْنَعُنِي طَعَامِي وَقُلْ لِلَّهِ يَمْنَعُنِي شَرَابِي

٥ قال سيدنا الشريف الأجل المرتضى أدام الله علوه : ويله من هذه الجرأة على الله وبلا طويلا ! وما أقدر الله أن يمنعه طعامه وشرابه وحياته ! وما أولاه اللعين باليم العذاب وشديد العقاب ! لولا ما تتم به المحنة ، وينتظم به التكليف ؛ من تأخير المستحق من الثواب والعقاب ، وتبعيدها من أحوال الطاعات والمعاصي .

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال : حدثني أحمد بن كامل قال : كان الوليد بن يزيد زنديقا ١٠ وإنه فتح (٢) المصحف يوماً فرأى فيه : ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ ؛ [إبراهيم : ١٥] ، فاتخذ المصحف غرضا ورماه بالنبل حتى مزقه ؛ وهو يقول :

أَتُوْعِدُ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ فَمَا أَنَا ذَاكَ جَبَّارٌ عَنِيدٌ
فَإِنْ لَاقَيْتَ رَبَّكَ يَوْمَ حَشْرٍ فَقُلْ يَا رَبِّ خَرَّقَنِي الْوَلِيدُ (٣)

(١) ت : « وهو يقول » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « افتتح » .

(٣) حاشية ف : « أخبر أبو حاتم عن العتيبي قال : كان الوليد بن يزيد قد نظر إلى جارية من أهيا النساء يقال لها : سفري ، فجن بها ، وجعل يرأسها وتأبى عليه ؛ حتى بلغه أن عيدا للنصارى قد قرب ، وأنها ستخرج فيه ، وكان في موضع العيد بستان حسن ، وكان النساء يدخلنه ، فصاع الوليد صاحب البستان أن يدخله فينظر إليها ؛ فتأبى ، وحضر الوليد وقد تقشف وغير حليته ، ودخلت سفري البستان ، فجعلت تمتى حتى انتهت إليه ، فقالت لصاحب البستان : من هذا ؟ قل لها : رجل مصاب ، فجعلت تمازحه وتضاحكه حتى اشتنى من النظر إليها ومن حديثها ؛ فقيل لها : ويلك ! أتدرين من ذلك الرجل ؟ قالت : لا ،

وأما حماد الراوية فكان مُنْسَلِخاً من الدين ، زارياً على أهله ، مُدْمِناً لشرب الخمر وارتكاب الفجور .

وقال عمرو بن بحر الجاحظ : كان مُنْقِذَ بن زياد الهلاليّ ، ومطيع بن إياس ، ويحيى بن زياد ، وحفص بن أبي ودّة (١) ، وقاسم بن زُنْقُطَة ، وابن المقفع ، ويونس بن أبي فروة ، وحماد مجرد / وعلى بن الخليل ، وحماد بن أبي ليلي الراوية ، وحماد بن الزُّبْرَقَان ، ووالدة بن [٤١] ^ظ الحُبَاب ، وعمارة بن حمزة بن ميمون ، ويزيد بن الفيض ، وجميل بن محفوظ المهلبيّ ، وبشار ابن بُرْدِ الرَّعَث ، وأبان اللاهقيّ؛ يجتمعون على الشرب وقول الشعر ، ويهجو بعضهم بعضاً ، وكلٌّ منهم مُتَمِّمٌ في دينه (٢) .

— فقيل لها: الوليد بن يزيد؟ وإنما تشف حتى ينظر إليك؛ فجئت بعد ذلك ، وكانت عليه أحر منه عليها ، فقال الوليد في ذلك :

أضحى فؤادك يا وليدُ عميداً صَبّاً قديماً للحسان صيوداً
من حُبِّ واضحة العوارض طفلةٍ برزت لنا نحو الكنيسة عيداً
مازلتُ أرمقها بعيني وامتقِ حتى بصرتُ بها تقبلُ عوداً
عود الصليب ، فويح نفسي من رأى منكم صليبا مثله معبوداً!
فسألتُ ربِّي أن أكون مكانه وأكون في لهب الجحيم وقوداً

قال القاضي: لم يبلغ مدرك الشيبانيّ هذا الحد من الخلاعة؛ إذ قال في عمرو النصراني:

يا ليتني كنتُ له صليبا فكنتُ معه أبداً قريباً
أبصرُ حسناً وأشمُ طيباً لا وأشيأ أخشى ولا رقيباً

فلما ظهر أمره وعلمه الناس قال :

الأحبدا سفرى وإن قيل إننى كلفتُ بنصرانية تشرب الخمرًا
يهونُ عليّ أن تظلَّ نهارها إلى الليلِ لأولى نصلّى ولا عصراً

(١) ش : « ودة » ، بفتح الواو ، وضبط في الأصل بالفتح والضم معاً .

(٢) حاشية ف : « حدث أبو الحسن بن راهويه قال : صلى يحيى بن معلى الكاتب - وكان في مجلس فيه أبو نواس ، ووالدة بن الحباب ، وعلى بن الخليل ، والحسين بن الخليل - صلاة ، فقرأ فيها =

وعمل يونس بن أبي فرّوة كتاباً في مثالب العرب وعيوب الإسلام بزعمه، وصار به إلى ملك الروم ، فأخذ منه مالاً . وقال أحمد بن يحيى النحويّ قال رجل يهجو حمّاد الراوية :

نِعْمَ الْفَتَى لَوْ كَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ وَيُقِيمُ وَقْتَ صَلَاتِهِ حَمَّادُ
بَسَطَتْ مَشَافِرَهُ الشَّمُولُ فَأَنْفَهُ مِثْلُ الْقَدُومِ يَسْمُهَا الْحَدَّادُ
وَأَبْيَضَ مِنْ شُرْبِ الْمُدَامَةِ وَجْهُهُ فَبَيَاضُهُ يَوْمَ الْحِسَابِ سَوَادُ
لَا يُعْجِبُنَاكَ بَزُّهُ وَلِسَانُهُ إِنَّ الْمَجُوسَ يَرَى لَهَا أُسْبَادُ^(١)

وكان حمّاد مشهوراً بالكذب في الرواية وعمل الشعر ، وإضافته إلى الشعراء المتقدمين ودسه في أشعارهم ؛ حتى إن كثيراً من الرواة قالوا : قد أفسد حمّاد الشعر ، لأنه كان رجلاً يقدر على صنعه فيدس في شعر كل رجل منهم^(٢) ما يشاكل طريقته ، فاختلط لذلك الصحيح بالسقيم ؛ وهذا الفعل منه ، وإن لم يكن دالاً على الإلحاد فهو فسقٌ وتهاون بالكذب في الرواية^(٣) .

وأما حمّاد بن الزُّبرقان فهذه طريقته في التخريم^(٤) والتهتك ؛ أخبرنا أبو الحسن عليّ

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فغلط ، فلما سلم ، فقال أبو نواس :

أَكْثَرَ يَحْسَبِي غَلَطًا فِي « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ »

فقال والبة :

قَامَ طَوِيلًا سَاكِتًا حَتَّى إِذَا أَعْيَا سَجَدَ

فقال علي بن الحليل :

يَزْجِرُ فِي مِحْرَابِهِ زَحِيرَ حُبَلَى لِلْوَلَدِ

فقال الحسين بن الحليم :

كَأَنَّمَا لِسَانُهُ شُدَّ بِحَبْلِ مِنْ مَسَدٍ

(١) حاشية الأصل : « جمع سبد ؛ وهو المال ، وهامه اكتابة عن الثياب واللباس » . (٢) ساقط من م . (٣) توفي حماد الراوية سنة ١٥٥ . (وانظر ترجمته في ابن خلكان ١ : ١٦٤-١٦٥)
(٤) حاشية ت (من نسخة) : « الفجور » ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « التخريم التهتك ، وهو أيضا التدين بدين الحرمة ؛ وهم أهل التناسخ » .

ابن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دُرَيْدٍ قال أخبرنا الأشنانداني قال : دعا حماد بن الزبيرَ قان^(١) أبا الغول الهشلي إلى منزله وكانا يتقارضان^(٢) ، فأنهره أبو الغول ، فلم يزل المفضل به حتى أجابه ، وانطلق معه ، فلما رجع إلى المفضل قال : ما صنعت أنت وحماد ؟ قال : اصطالحنا على ألا أمره بالصلاة ، ولا يدعوني إلى شرب الخمر ، وأنشد المفضل قوله :

٥ * نَعِمَ الْفَتَى لَوْ كَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ *
و

وذكر الأبيات التي تقدمت في الرواية الأخرى منسوبة إلى هجاء حماد الراوية .

فأما حماد عجرد فشهرته في الضلالة / كشمرة الحمادين ، وكان يُرمَى مع ذلك بالثنية . [٢ :]
و أخبرنا أبو عميد الله المرزباني قال حدثني علي بن عبد الله الفارسي قال أخبرني أبي قال حدثني ابن مَهْرُوبٍ^(٣) قال حدثني علي بن عبد الله بن سعد قال حدثني السري بن الصباح الكوفي قال : دخلت على بشار بالبصرة ، فقال لي : يا أبا علي ، أما إني قد أوجعتُ صاحبكم ، ١٠ وبلغت منه - يعني حماد عجرد - فقلت : بماذا يا أبا معاذ ؟ فقال : بقولي فيه :

يَا بَنَ نِهْيَا رَأْسُهُ عَلَيَّ ثَقِيلٌ وَاحْتِمَالُ الرَّأْسَيْنِ خَطْبٌ جَلِيلٌ
فَادْعُ غَيْرِي إِلَى عِبَادَةِ رَبِّيْنِ فَإِنِّي بَوَاحِدٍ مَشْفُولٌ

فقلت لِمَ^(٤) أدعته في عماء ؟ ثم قلت له : قد بلغ حماداً هذا الشعر ، وهو يرويه على خلاف

١٥ هذا قال : فما يقول ؟ قلت يقول :

فَادْعُ غَيْرِي إِلَى عِبَادَةِ رَبِّيْنِ فَإِنِّي عَنْ وَاحِدٍ مَشْفُولٌ

قال فلما سمعه أظرق وقال : أحسنَ والله ابنُ الفاعلة ! ثم قال : إنني لأحتشمك ، فلا تنشد

أحدًا هذين البيتين ؛ وكان إذا سئل عنهما بعد ذلك قال : ما هما لي !

(١) انظر ترجمته ومراجعتها في (إنباه الرواة ١ : ٣٣٠-٣٣٢) . (٢) حواشي الأصل ، ت ، ف :

« يتقارضان : يتجازيان ؛ ويقال ذلك في الخير والشر جميعا ، أي يقرض بعضهم بعضا الهجاء » .

(٣) م : « مهرويه » ، بفتح الميم وسكون الهاء وضم الراء وبعدها واو ساكنة وياء مفتوحة .

(٤) م : « لن أدعه » .

وأخبرنا المرزباني قال أخبرني علي بن هارون عن عمه يحيى بن علي عن عمر بن شبة قال حدثني خلاذ الأرقط قال قال بشار: بلغني أن رجلاً كان يقرأ القرآن وحماد ينشد الشعر، فاجتمع الناس على القارى فقال حماد: علام تجتمعون؟ فوالله ما أقول^(١) أحسن مما يقول! فمقتة الناس على هذا.

٥ وروى ابن شبة عن أبي عبيدة قال: كان حماد عجراً يُعيرُ بشاراً بالقبح؛ لأنه كان عظيم الجسم، مجدوراً، طويلاً، جاحظ العينين، قد تغشاهما لحم أحمر؛ فلما قال حماد فيه:

والله ما الخنزيرُ في نَدَنِهِ برُبْعِهِ في النَّتَنِ أو حُمْسِهِ
بَلْ رِيحُهُ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِهِ وَمَسَّهُ أَلْيَنُ مِنْ مَسِّهِ
وَوَجْهُهُ أَحْسَنُ مِنْ وَجْهِهِ وَنَفْسُهُ أَفْضَلُ مِنْ نَفْسِهِ
وَعُودُهُ أَكْرَمُ مِنْ عُودِهِ وَجِنْسُهُ أَكْرَمُ مِنْ جِنْسِهِ

١٠

[٤٢] / فقال بشار: وبلى علي الزنديق! لقد نَفَثَ بما في صدره، قيل: وكيف ذلك؟ قال: ما أراد الزنديق لإقوال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾؛ [التين: ٤]؛ فأخرج الجحودَ بها مخرج هجائي، وهذا خبث من بشار وتغلغل شديد لطيف.

وأول من جعل نفي الإلحاد تأكيداً للوصف به، وأخرج ذلك مخرج المبالغة مُساور

١٥ الوراق في حماد مجرد فقال:

لَوْ أَنَّ مَانِي وَدَيْصَانًا وَعُصْبَتَهُمْ جَاءُوا إِلَيْكَ لَمَّا قُلْنَاكَ زَنْدِيقُ
أَنْتَ الْعِبَادَةُ وَالتَّوْحِيدُ مُذْ خُلِقَا وَذَا التَّرَنْدُقُ نِيرَانُجٌ مَخَارِيقُ^(٢)

فأما ابن المقفع^(٣) فإن جعفر بن سليمان روى عن المهدي أنه قال: ما وجدتُ كتاب

(١) ش: «لا أقول». (٢) توفي حماد عجرد سنة ١٦١؛ (وانظر ترجمته في ابن خلكان

١: ١٦٥-١٦٦) (٣) حاشية ف: «هو الذي يقول:

قَدْ سَلِمَ السَّاكِتُ الصَّمُوتُ كَلَامُ رَاعِي الْكَلَامِ قَوْتُ
لَا تُنْفَسُ سِرًّا إِلَى جِدَارٍ فَرَبَّمَا كَمَّتِ الْبُيُوتُ
وَاعْجَبًا لَامرئٍ ضحوك! مُسْتَيْقِنٌ أَنَّهُ يَمُوتُ

رَزَنْدَقَةٌ قَطُّ إِلَّا وَأَصْلُهُ ابْنُ الْمُتَفَعِّعِ . رَوَى ابْنُ شَيْبَةَ قَالَ : حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ ابْنَ الْمُتَفَعِّعِ وَقَدْ
حَرَّ بَيْتَ نَارِ الْمُجُوسِ (١) بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ ، فَلَمَّحَهُ وَتَمَثَّلَ :

يَا بَيْتَ عَاتِكَةَ الَّذِي اتَّعَزَلْتُ حَذَرَ الْعِدَا وَبِهِ الْفُؤَادُ مُوَكَّلُ (٢)
إِنِّي لِأَمْنَحُكَ الصَّدُودَ وَإِنِّي قَسَمًا إِلَيْكَ مَعَ الصَّدُودِ لِأَمِيلُ (٣)

وَرَوَى أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَعْلَبٌ قَالَ : قَالَ ابْنُ الْمُتَفَعِّعِ يَرْتِي يَحْيَى بْنَ زِيَادٍ - وَقَالَ الْأَخْفَشُ : ه
وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ يَرْتِي بِهَا ابْنَ أَبِي الْعُوجَاءِ :

رُزَيْنًا أَبَا عَمْرٍو وَلَا حَيَّ مِثْلُهُ فَلَهُ زَيْبُ الْحَادِثَاتِ بَمَنْ وَقَعَ !
فَإِنْ تَكُ قَدْ فَارَقْتَنَا وَتَرَ كَتْمَنَا ذَوِي خَلَّةٍ مَا فِي أَسْدَادٍ لَهَا طَمَعُ
لَقَدْ جَرَّ نَفْعًا فَقَدْ نَا لَكَ أَنْنَا أَمِنَّا عَلَى كُلِّ الرَّزَايَا مِنَ الْجَزَعِ

قَالَ ثَعْلَبٌ : الْبَيْتُ الْأَخِيرُ يَدُلُّ عَلَى مَذْهَبِهِمْ فِي أَنَّ الْخَيْرَ مَمْرُوجٌ بِالشَّرِّ ، وَالشَّرُّ مَمْرُوجٌ ١٠
بِالْخَيْرِ .

وَأَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبُ قَالَ أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصَّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْمَغِيرَةُ بْنُ
مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ مِنْ حَفْظِهِ قَالَ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ خِدَاشٍ قَالَ : كَانَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ يَحِبُّ أَنْ يَرَى

(١) ش : « نَار » لِلْمُجُوسِ .

(٢) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ : « هَذَا الْبَيْتَانِ لِلْأَحْوَصِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَاصِمِ بْنِ أَبِي الْأَنْبَلِجِ حَمَى الدَّبْرِ ، وَكَانَ
حَمَى الدَّبْرِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَبَى ذَاتَ يَوْمٍ بِلَاءَ حَسَنًا فَاضْطَعْنَ الْمَشْرُوكُونَ عَلَيْهِ ،
وَمَا قَتَلَ أَرَادَ الْمَشْرُوكُونَ أَنْ يَمْتَلُوا بِجَنَّتِهِ ، وَكَانَ قَبِيلَ الْحَارِثِيَّةِ ، قَدْ رَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ : الْمَاهِمُ أَحْفَظُ جَنَّتِي مِنَ
الْمَشْرُوكِينَ ، فَلَمَّا قَتَلَ رَحِمَهُ اللَّهُ بَعَثَ اللَّهُ جَمَاعَةً مِنَ النُّجَلِ ، فَلَمْ تَزَلْ عِنْدَهُ تَحْمِيهِ حَتَّى هَجَمَ عَلَيْهِ الْمَلِيلُ ، لَجَاءَ سَبِيلَ
فَاحْتَمَلَهُ ، فَلَمْ يَرِ الْمَشْرُوكُونَ جَنَّتَهُ » .

وَالْبَيْتَانِ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ يَمْدَحُ فِيهِمَا عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ؛ وَهِيَ فِي (الْأَغَانِي ١٨ : ١٩٦-١٩٧)
وَأَبْيَاتٌ مِنْهَا فِي الْخَزَانَةِ (١ : ٢٤٨) ؛ وَهِيَ عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مَعَاوِيَةَ . وَأَتَعَزَلُ :
أَتَجَنَّبُ وَأَكُونُ بِعَزَلٍ ، وَالْعِدَا : جَمْعُ عَدُوٍّ ؛ يُقَالُ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ .

(٣) أَمْنَحُكَ : أَعْطَيْكَ ؛ وَالْبَيْتُ مِنْ شَوَاهِدِ الْكَلِمَاتِ ، عَلَى أَنَّ « قَسَمًا » تَأْكِيدٌ لِلْقِسْمِ الْمَقْهُومِ مِنْ

قَوْلِهِ : « إِنِّي لِأَمْنَحُكَ الصَّدُودَ » .

عبد الله بن المقفع ، وكان ابن المقفع يحب ذلك ، فجمعهما عبّاد بن عبّاد المهلبّي فتحادثا ثلاثة أيام ولياليهنّ ، فقيل للخليل : كيف رأيت عبد الله ؟ قال : ما رأيتُ مثله ، وعلمه أكبر [٤٣] من عقله ، / وقيل لابن المقفع : كيف رأيت الخليل ؟ قال : ما رأيتُ مثله ، وعقله أكبر من علمه . قال المغيرة : فصدقا ، أدّى ^(١) عقل الخليل الخليل إلى أن مات أزهّد الناس ^(٢) ، وجهل ابن المقفع أداه إلى أن كتب أمانا لعبد الله بن عليّ فقال فيه : ومستى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله ففساؤه طوالق ؛ ودوابه حُبس ^(٣) ، وعبيده أحرار ، والمسامون في حلّ من بيعته . فاشتد ذلك على المنصور جدّا وخاصةً أمر البيعة ، وكتب إلى سفيان بن معاوية المهلبّي وهو أمير البصرة من قبله بقتله ، فقتله .

وكان ابن المقفع مع قلة دينه جيّد الكلام ، فصيح العبارة ، له حكم وأمثال مستفادة ؛ ١٠ من ذلك ما روى من أن يحيى بن زياد الحارثي كتب إليه يلتمسُ معاقدة الإخاء والاجتماع على المودّة والصفاء ، فأخّر جوابه ، فكتب إليه كتابا آخر يستترّثيه ، فكتب إليه عبد الله : إن الإخاء رِقٌّ ؛ فكرهتُ أن أملكك رِقّي قبل أن أعرف حُسن ملكتك . وكان يقول : « ذلّل نفسك بالصبر على الجار السوء ، والعشير السوء ، والجلس السوء ، فإنّ ذلك لا يكاد يُخطئك » .

١٥ وكان يقول : « إذا نزل بك أمرٌ مهمّ فانظر ؛ فإن كان ممّا له حيلة فلا تعجز ، وإن كان ممّا لا حيلة فيه فلا تجزع » .

ودعاه عيسى بن عليّ إلى الغداء فقال : « أعزّ الله الأمير ! لستُ يوى للكرام أكيلا » ، قال : ولم ؟ قال : « لأنّي مزكوم والزّكمة قبيحة الجوار ، مانعة من عشرة الأحرار » . وكتب إلى بعض إخوانه : « أمّا بعد ، فتعلّم العلم ممّن هو أعلم به منك ، وعلمه من

(١-١) حاشية الأصل (من نسخة) : « فإن عقل الخليل أداه إلى أن مات أزهّد الناس » .

(٢) الحبس ، بالضم : ماوقف ؛ وهو جمع الحبس ؛ وفي الحديث : « ذلك حبس في سبيل الله » ؛

أي موقوف على الغزاة ، يركبونه في الجهاد .

أنت أعلمُ به منه ، فإنك إذا فعلتَ ذلكَ عَلِمْتَ ما جَهِلْتَ ، وحفظتَ ما عَلِمْتَ .
وقال لبعض الكتّاب : « إياك والتَّبَعِ لِيَوْخِشِيَ الكَلامَ طَمَعاً في نَيْلِ البِلاغَةِ ، فإن ذلك هو العيُّ الأَكْبَرُ » .

وقال لآخر : « عليك بما سَهَلَ من الألفاظ ؛ مع التَّجَنُّبِ لألفاظ السَّفَلَةِ » .

وقيل له : ما البلاغة ؟ فقال : « التي إذا سَمِعَهَا الجاهلُ ظَنَّ أنه يُحَسِّنُ مِثْلَهَا » .

وقال : « لا تَحَدِّثْ مَنْ تَخَافُ تَكْذِيبَهُ ، ولا تَسْأَلْ مَنْ تَخَافُ مَنَعَهُ ، ولا تَعْدُ بِما

لا تَقْدِرُ على ^(١) إِنْجَازِهِ ، ولا تَضْمَنُ ما لا تَثِيقُ بِالقَدْرَةِ عَلَيْهِ ، ولا تَرْجُ ما تُعَنَّفُ بِرِجائِهِ ،

ولا تُقَدِّمُ ^(٢) على ما تَخَافُ العِجْزَ عَنْهُ » .

وقال لبعض إخوانه / : « إذا صَاحَبْتَ مَلِكاً فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ قَدْ يُدَسِّبُونَ إلى قَلَةِ الوَفَاءِ ، [٤٣]
ط

فَلا تُشْعِرَنَّ قَلْبَكَ اسْتِبْطَاءَهُ ، فإنه لم يَشْعِرْ أَحَدًا قَلْبَهُ إِلَّا ظَهَرَ على لِسَانِهِ إن كان سَخِيفاً ^(٣) ، ١٠

وعلى وجهه إن كان حَلِيماً » .

وكان يقول : « إنَّ مِمَّا سَخَى بِنَفْسِ العالِمِ عن الدنْيا علمه بأن الأرزاقَ لم تُقَسِّمَ فيها على

قَدْرِ الأَخْطَارِ » ^(٤) .

فأما ابن أبي العوّاء فقد ذكرنا ما رُوِيَ من اعترافه بدسه في أحاديث النبي صلى الله

عليه وآله أحاديث مَكْذُوبَةٌ . ورُوِيَ أنه رأى عِدْلاً قد كُتِبَ عليه آيةُ الكُرْسِيِّ فقال لصاحبه : ١٥

لِمَ كُتِبَ هذا عليه ؟ فقال : لئلا يُسْرَقَ ، فقال : قد رأينا مصحفاً سَرِقَ ! .

ولبشارٍ فيه :

قُلْ لِعَبْدِ الكَرِيمِ يابنِ أبي العَوْءِ جَاءَ بَعَثَ الإِسْلامَ بِالْكَفْرِ مُوقاً ^(٥)

(١) ش : « ولا تعد ما لا تقدر عليه » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « لا تتقدم » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « سفياً » . (٤) توفي ابن المقفع سنة ١٤٢ ، وانظر ترجمته

وأخباره في كتاب أمراء البيان (١ : ٩٩-١٢٩)

(٥) الأبيات في الأغاني (٣ : ٢٥) ، و الموق : الحق في غباوة .

لَا تُصَلِّيَ وَلَا تَصُومُ فَإِنَّ صَوْمَهُ تَفْبَعُضَ النَّهَارِ صَوْمًا رَقِيقًا (١)
 لَا تُبَالِي إِذَا أَصَبْتَ مِنَ الْخَمِّ رِ عَتِيقًا أَلَا تَكُونُ عَتِيقًا
 لَيْتَ شِعْرِي غَدَاةً خُلِّيتُ فِي الْجَنَّةِ دِ حَنِيفًا خُلِّيتُ أُمُّ زِنْدِيقًا (٢)

فَأَمَّا بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ فَرَوَى الْمَازِنِيَّ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ لِبَشَّارٍ : أَتَأْكُلُ اللَّحْمَ وَهُوَ مَبِينٌ
 لِدِيَانَتِكَ؟ - يَذْهَبُ إِلَى أَنَّهُ تَنْوِيٌّ (٣) - فَقَالَ بَشَّارٌ : إِنَّ هَذَا اللَّحْمَ يَدْفَعُ عَنِّي شَرَّ هَذِهِ
 الظَّالِمَةِ .

قال المبرد : وروى أن بشاراً كان يتعصب للنار على الأرض ، ويصوب رأياً إبليس
 في الامتناع عن السجود ، وروى له :

النَّارُ مُشْرِقَةٌ وَالْأَرْضُ مُظْلِمَةٌ وَالنَّارُ مَعْبُودَةٌ مُذْ كَانَتِ النَّارُ

١٠ وروى بعض أصحابه قال : كنا إذا حضرت الصلاة نقوم إليها ، ويقعد بشار ، فنجعل
 حَوْلَ ثِيَابِهِ (٤) تراباً ؛ لننظر : هل يصلّي ، فنعود والتراب بحاله ولم يثبم إلى الصلاة .

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن عبد الله الفارسي قال : أخبرني أبي
 قال : حدثني ابن مهرويه عن أحمد بن خلاد قال : حدثني أبي قال : كنت أكلم بشاراً وأرد
 عليه سوء مذهبه بميله إلى الإلحاد ، فكان يقول : لا أعرف إلا ما عاينت أو عاينه معين ؛
 ١٥ وكان الكلام يطول بيننا ، فقال لي : ما أظن الأمر (٥) يا أبا مخلدٍ إلا كما يقال : إنه خذلان ؛
 ولذلك أقول :

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « رقيقاً » .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « المحلى : العارض للجبش ، أى أن العارض إذا كتب اسمه كتبها
 مسلماً أو زنديقاً » .

(٣) النبوية : فرقة من الكفرة تزعم بائنية الإله ؛ إله للخير وهو النور ، وإله للشر وهو الظلمة ؛
 وانظر (الملل والنحل للشهرستاني ١٤٣ ، وكشاف اصطلاحات الفنون ١ : ١٩٨-١٩٩) .

(٤) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) « حوالى ثوبه » .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « ما أظن ما الأمر ... » .

[٤٤] هَوَايَ وَلَوْ خَيْرَتْ كُنْتُ الْمُهَذَّبَا / طَبِعْتُ عَلَى مَا فِي غَيْرِ مُخَيَّرِ
و غُيِّبَ عَنِّي أَنْ أَنَالَ الْمُغَيَّبَا / أُرِيدُ فَلَا أُعْطَى وَأُعْطَى وَلَمْ أُرِدْ
فَأُمْسِي وَمَا أَعْتَبْتُ إِلَّا التَّعَجُّبَا / وَأَصْرَفْتُ عَنْ قَصْدِي وَعِلْمِي مُبْصِرًا

قال الجاحظ : كان بشار صديقاً لو اصل بن عطاء الغزال قبل أن يظهر مذاهبه المكروهة ، وكان بشار مدح واصل بن عطاء ، وذكر خطبته التي نزع منها الرأء^(١) ، وكانت على البديهة
فقال :

تَكَفَّ التَّوْمُ وَالْأَقْوَامُ قَدْ حَفَلُوا / وَحَبَّرُوا خُطْبًا نَاهِيكَ مِنْ خُطَبِ !
فَقَامَ مُرْتَجِلًا تَغْلِي بَدَاهَتُهُ / كَرُّ جَلِّ التَّيْنِ لَمَّا حُفَّ بِاللَّهَبِ^(٢)
وَجَانِبَ الرَّاءِ لَمْ يَشْعُرْ بِهِ أَحَدٌ / قَبْلَ التَّصَفُّحِ وَالْإِغْرَاقِ فِي الطَّابِ

١٠ ومثل ذلك قول بعضهم في واصل بن عطاء :

وَيَجْعَلُ الْبُرَّ قَمَحًا فِي تَكَلُّمِهِ / وَجَانِبَ الرَّاءِ حَتَّى احْتَالَ لِلشَّعْرِ
وَنَمَّ يُقَلُّ مَطْرًا وَالْقَوْلُ يُعْجِلُهُ / فَعَاذَ بِالغَيْثِ إِشْفَاقًا مِنَ الْمَطْرِ

فلما أظهر بشار مذاهبه هتف^(٣) به واصل ، وقام بذكره وتكفيره وقعد ، فقال
بشار فيه :

١٥ مَالِي أَشَايِعُ غَزَّالًا لَهُ عُنُقُ / كَنَفْتِقِ الدَّوِّ إِنْ وُلِّيَ وَإِنْ مَثَلًا^(٤)
عُنُقَ الزَّرَافَةِ مَا بَالِي وَبَالِكُمْ / تُكْفَرُونَ رِجَالًا أَوْ كُفَرُوا رِجَالًا^(٥)

(١) نشرها الأستاذ عبد السلام هارون في المجموعة الثانية من نوادر المخطوطات .

(٢) حاشية الأصل : (من نسخة) : « فقال مرتجلا » ؛ والقين في الأصل : الحداد ؛ ثم قيل لسكل حامل بالنار : قين ، وأراد بالقين هاهنا الصياغ .

(٣) هتف به : فضحه ، والهتاف في الأصل الصياح .

(٤) النقتق بكسر النونين : ذكر النعام ، والدو والدوية والدواية : الفلاة .

(٥) حواشي الأصل ، ت ، ف : « عنق ، نصب على الهمزة ؛ شبه واصلًا بالزرافة ، والزرافة : الحيوان المعروف ، وعنقه أصحابه ؛ يقال : هم إياه عنق ؛ أي متتابعون » .

فلما تتابع على واصل ما يشهد بالحاده قال عند ذلك : أما لهذا الأعمى الملحد ! أما لهذا المشنّف المكتنى^(١) بأبي معاذٍ من يقتله ! أما والله لولا أنّ الغيلة سجيّةٌ من سجايا الغالية لدستتُ إليه من يبيع بطنه في جوف منزله على مضجعه ، أو في يوم حفله ، ثم كان لا يتولّى ذلك إلا عُقيليّ أو سدّوسيّ ، فمدل واصل بن عطاء من الضرير إلى الأعمى ، ومن الكافر إلى الملحد ، ومن المرعث إلى المشنّف ، ومن بشار إلى أبي معاذ ، ومن الفراش إلى المضجع

و زاد قوم فقالوا : ومن أرساتُ إلى دستت ، ومن يبقر إلى يبيع ، ومن داره إلى منزله ، ومن المغيرة^(٢) إلى الغالية / ، والأول أشبهُ بأن يكون مقصوداً ، وما ذكّرت^(٣) ثانياً قد يتفق استعماله من غير عدول عن استعمال الرء .

فأما قوله : « لا يتولّى ذلك إلا عُقيليّ »^(٤) أو سدّوسيّ^(٥) : فلأن بشاراً كان مولّى لهم ، وذكره بنى سدّوس لأن بشاراً كان ينزل فيهم . فأما لقبُ بشار بالمرعث فقد قيل فيه ثلاثة أقوال : أحدها أنه لقبٌ بذلك لبيت قاله وهو :

قَالَ رِيمٌ مُرَعَثٌ فَاتَرُ الطَّرْفِ وَالنَّظْرُ
لَسْتَ وَاللَّهِ قَاتِلِي^(٥) قُلْتُ أَوْ يَغْلِبُ الْقَدْرُ

والقول الثاني أنه كان لبشار ثوبٌ له جيبان : أحدهما عن يمينه ، والآخر عن شماله ، فكان إذا أراد لبسه يضمه عليه ضمّاً ، من غير أن يدخل رأسه فيه ، فشبهه استرسال الجيبين وتدلّيهما بالرعّاث ، وهي القرطاة ، فقيل : المرعث ، وقال أبو عبيدة : إنّما سمّي المرعث لأنه كان يلبس في صباه رعائاً ، وهذا هو القول الثالث .

وكان بشار مقدما في الشعر جداً حتى إن كثيراً من الرّواة يُلحِقُه بمن تقدّم عصره عليه

(١) ت ، د ، حاشية الأصل (من نسخة) : « المكتنى » .

(٢) المغيرة : فرقة من غلاة الشيعة ، أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي ، وكان مولى لخالد بن عبد الله

القسري ، وادعى النبوة لنفسه . (وانظر مفاتيح العلوم ٢٠ ، والفرق بين الفرق ٢٢٩) .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « وما ذكر » .

(٤-٤) ساقط من م .

(٥) ت ، ج ، ش : « نائلي » .

من الجوّدين . وأخبرنا الرزبانيّ عن محمد بن يحيى الصولّيّ قال حدثنا محمد بن الحسين
اليشكريّ^(١) قال : قيل لأبي حاتم : مَنْ أشعر الناس ؟ قال الذي يقول :

ولها مَبْسِمٌ كغَرِّ الأَقاحي وَحَدِيثُ كالوشى وَشَى البرُودِ
نَزَلَتْ في السَّوادِ مِنْ حَبَّةِ القِفا بِ وَنالتْ زِيادَةَ المُسْتَرِيدِ
عندَها الصَّبْرُ عَن لِقائِي وَعندي زَفَراتُ يا كُنانَ صَبْرَ الجَلِيدِ

- يعني بشاراً ؛ قال : وكان يقدّمه على جميع الناس ، ولما قال بشار :

بني أُمَيَّةَ هُبُّوا طالَ نوْمُكمُ إِنَّ الخَلِيفَةَ يَعقوبُ بنِ داوُدِ^(٢)
ضاعتْ خِلافَتُكمُ يا قومِ فالتمِسُوا خَلِيفَةَ اللهِ بَيْنَ الرِّزْقِ والمُودِ^(٣)
فبلغ ذلك المهديّ فوجد عليه ، وكان ذلك سبب قتله^(٤) .

(١) من نسخة بحاشيتي ت ، ف : « محمد الحسن السكري » .

(٢) هو أبو عبد الله يعقوب بن داود وزير المهدي ، (وانظر أخباره وتفصيل أسباب قتله ، في

الفغري ١٦٠-١٦٣) . (٣) ت ، ج ، د ، ف : « الناي والعود » .

(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « كان حماد مجرد قال في بشار :

لَهُ مُقَلَّةٌ عَمِياءُ واسَتْ بِصِيرَةَ إلى الأَيرِ مِنْ تَحْتِ الثَّيابِ تُشِيرُ

فقال بشار : - وكتب بها إلى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وكان حماد يعلم ولده :

يا أبا الفضلِ لا تَنمُ وَقَعَ الذُّبُّ في الغَنَمِ

إِنَّ حمادَ عَجَرَدِ إنْ رَأى سَوءَةً هَجَمَ

بينَ فِخْذَيْهِ حَرَبَةٌ في غِلافٍ مِنَ الأَدَمِ

كُلِّما غَبتَ ساعَةٌ مَجْمَعِ المِيمِ بالقَلَمِ

فقال العباس : مالي ولبشار ! اصرفوا حماداً عني ، فقال حماد : لقد فرق بيني وبين رزقي بشعره ،

وسوف أفرق بينه وبين حياته بشعر أ قوله ، فقال :

بني أُمَيَّةَ هُبُّوا طالَ نوْمُكمُ إِنَّ الخَلِيفَةَ يَعقوبُ بنِ داوُدِ

ضاعتْ خِلافَتُكمُ يا قومِ فالتمِسُوا خَلِيفَةَ اللهِ بَيْنَ الرِّزْقِ والمُودِ

ونسبهما إلى بشار ، فبلغ ذلك المهديّ فقتله « وكان مقتل بشار سنة ١٦٧ . (وانظر ترجمته ومراجعتها

في الشعر والشعراء : ٧٣٣-٧٣٦) .

مَجْلِسُ آخِرٍ تَأْوِيلُ آيَةٍ *

فَأَمَّا مَطِيعُ بْنُ إِيَّاسَ الْكِنَانِيِّ^(١) فَأَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَرْزُبَانِيُّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ هَارُونَ [٤٥] عَنْ عَمِّهِ يَحْيَى بْنِ / عَلِيٍّ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْمَدَنِيِّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْكَاتِبِ قَالَ أَخْبَرَنِي أُمِّي قَالَ: رَأَيْتُ بِنْتًا لِمَطِيعِ بْنِ إِيَّاسَ قَدْ أَتَى بِهَا فِي أَوَّلِ أَيَّامِ الرَّشِيدِ، فَأَقْرَتِ بِالزَّ نَدَقَةٍ وَقَرَأَتْهَا وَتَابَتْ، وَقَالَتْ: هَذَا شَيْءٌ عَلَّمَنِيهِ أَبِي، فَجَبَلِ الرَّشِيدِ تَوْبَتَهَا، وَرَدَهَا إِلَى أَهْلِهَا.

وقال محمد بن داود بن الجراح في أخبار مطيع بن إياس أنه كان يرمى بالز نذقة، وروى أنه لما حضرته الوفاة أحاط به أهل بيته، فأقبلوا يقولون له: قل يا مطيع: لا إله إلا الله، فلا يقول حتى إذا صارت نفسه في^(٢) ثغرتَه كَرَّتْ نَفْسُ^(٢)، ثم أهوى إلى الكلام، فقالوا له: قل لا إله إلا الله، فتكلم كلاماً ضعيفاً فتسمموا له، فإذا هو يقول:

كَلَفَ نَفْسِي عَلَى الزَّمَانِ وَفِي أَيِّ زَمَانٍ دَهْتَنِي الْأَزْمَانُ
حِينَ جَاءَ الرَّبِيعُ وَاسْتَتَبَلَ الصَّيْفُ وَطَابَ الطَّلَاءُ وَالرَّيْحَانُ^(٣)

قال المرزباني: وهذا الحديث يرويه^(٤) المهيم بن عدى ليحيى بن زياد.

فَأَمَّا يَحْيَى بْنُ زِيَادِ الْحَارِثِيِّ^(٥) فَهِيَ يَحْيَى بْنُ زِيَادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَدَّانِ

(١) انظر مطيع بن إياس وأخباره في (الأغانى ١٢-٧٥-١٠٥).

(٢-٢) ت، د، ف: «ثغرتَه نفس»، ومن نسخة بحاشيتي الأصل، ت: «في ثغرة نحره

تنفس». ط: «في ثغراته تنفس».

(٣) الطلاء: الخمر.

(٤) حاشية ت (من نسخة): «رواه».

(٥) انظر يحيى بن زياد في (معجم الشعراء للمرزباني ٤٩٧-٤٩٨).

ابن الديان الحارثي الكوفي . وزياد بن عبيد الله هو خال أبي العباس السفاح ، ويكنى يحيى
أبا الفضل ، وكان يُعرف بالزُّنديق : وكانوا إذا وصفوا إنسانا بالظُّرف قالوا : هو أظرف من
الزُّنديق - يعنون يحيى - لأنه كان ظريفاً ، وهذا المعنى قصد أبو نواس بقوله :

* تَبِهَ مُعَنَّ وَظَرْفُ زَنْدِيقٍ * (١)

قال الصولي : وإنما قال ذلك لأن الزُّنديق لا يرعُ عن شيء (٢) ولا يمتنع مِن يدعي (٣)
إليه ، فنسبه إلى الظُّرف لمساعدته على كل شيء ، وقلة خلافه .

وروى أنه قيل ليحيى بن زياد - وهو يوجد بنفسه - قل : لا إله إلا الله ، فقال :

* لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْغُبُطُ وَالْجَلَا جُلُ * (٤)

ثم أغمى عليه ، فلما أفاق أعيد عليه القول فقال :

* وَبازِلٌ تَغْلَى بِهِ الْمَرَا جِلُ * (٥)

١٠

وروى محمد بن يزيد قال : قال مطيع بن إلياس يرثي يحيى بن زياد - وكانا جميعاً مرميين

بالخروج عن الملة :

يَا أَهْلَ بَكْوَا نَقَلْبِي الْقَرِحِ وَلِلدُّمُوعِ الْمَوَامِلِ السُّفْحِ (٦)

رَاحُوا بِيحْيَى إِلَى مُغَيَّبَةٍ فِي الْقَبْرِ بَيْنَ التَّرَابِ وَالصَّفْحِ (٧)

(١) ديوانه : ٨٩ ، صدره :

* وَصَيْفٌ كَأْسٍ مُحَدِّثُهُ مَلِكٌ *

(٢) في حاشيتي ت ، ف : « يقال : ورع ورع ورعا ، ورعة ، فهو ورع ؛ أي تقى » .

(٣) م : « لا يدع شيئاً » .

(٤) ت ، ش ، ف : « والحلاخل » ، د : « القرط والحلاخل » . والغبيط : الرجل ؛ وهو للنساء

يشد على الهودج . وفي حاشيتي الأصل : « الغبيط : قتب يأخذ جميع ظهير البعير » .

(٥) البازل : البعير إذا كان في التاسعة ؛ سمي بذلك لأنه يزل نابه ؛ أي ينشق .

(٦) ت ، ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « السواكب » .

(٧) الصفح : جمع صفيحة ؛ وهي الحجارة العراض .

راحو ابى يحيى ولو تساعدنى الـ / أقدارُ لم يبتكر ولم يرح^(١)
يا خير من يحسن البكاله الـ يومَ ومن كان أمس للمدح
قد ظفر الحزن بالسرور وقد أدبل مكرؤها من الفرح

[٤٥]
ظ

ولطيع يرثيه :

انظرُ إلى الموتِ كيفَ بادهُهُ / والموتُ مقدّامةٌ على البهم^(٢)
لو قد تدبّرتَ ما صنعتَ به / قرعتَ سناً عليه من ندم
فأذهب بمن شئتَ إذ ذهبَ به / ما بعدَ يحيى للرزءِ من ألم

وأما صالح بن عبد القدوس فكان متظاهرا بمذاهب الثنوية ، ويقال إن أبا الهذيل
العلّاف ناظره فقطعه ، ثم قال له : على أى شىء تعزم يا صالح ؟ فقال : أستخير الله وأقول
١٠ بالاثنين ، فقال أبو الهذيل : فأيهما استخرت لا أم لك !!

وروى أن أبا الهذيل ناظره فى مسألة مشهورة فى الامتراج الذى ادّعوه بين النور والظلمة
فأقام عليه الحجة فانقطع ، وأنشأ يقول :

أبا الهذيل هداك الله يا رجلُ / فأنتَ حقاً لعمري مُعضِلُ جدلُ

وروى أنه رؤى يصلى صلاة تامة الركوع والسجود ، فقيل له : ما هذا ومذهبك
١٥ معروف ! قال : سنة البلد ، وعادة الجسد ، وسلامة الأهل والولد .

ويقال إنه لما أراد المهديّ قتله على الزندقة دحا إليه بكتاب وقال له : اقرأ هذا ، قال :
وما هو ؟ قال : كتاب الزندقة ، قال صالح : أوتعرفه أنت يا أمير المؤمنين إذا قرأته ؟ قال :
لا ، قال : أفتقتنى على مالا تعرف ! قال : فإني أعرفه ، قال صالح : فقد عرفته ولست بزنديق
وكذلك أقرؤه ولست بزنديق .

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « لم يتكر ولم ترح » .

(٢) البهم : جمع بهمة ؛ وهو الشجاع .

وذكر محمد بن يزيد البرد قال : ذكر بعض الرواة أن صالحاً لما نواظر فيما قذف به من الزندقة بمحضرة المهديّ قال له المهديّ : ألسنت القائل في حفظك ما أنت عليه :

رُبَّ سِرٍّ كَتَمْتُهُ فَكَاثِي أَخْرَسَ أَوْ ثَنَى لِسَانِي خَبِلُ
/ ولو أنّي أبديتُ للنّاسِ عِلْمِي لم يكن لي في غيرِ حَبْسِي أَكْلُ

[٤٦]
و

قال صالح : فإني أتوب وأرجع ، فقال له المهديّ : هيهات ! ألسنت القائل :

والشّيخُ لا يتركُ أخلاقَهُ حتّى يُوارَى في ثرّبي رَمْسِهِ
إذا ارعوى عاودَهُ جهلُهُ^(١) كذبي الضنّي عاد إلى نكسه^(٢)

ثمّ قدّم قَتيل ، ويقال إنه صلبه على الجسر ببغداد .

ومن شعره^(٣) وهو في الحبس :

١٠ خرَجْنَا مِنَ الدُّنْيَا وَنَحْنُ مِنْ أَهْلِهَا فَلَسْنَا مِنَ الأَحْيَاءِ فِيهَا وَلَا المَوْتَى
إِذَا دَخَلَ السَّجَانُ يَوْمًا لِحَاجَةٍ عَجِبْنَا وَقُلْنَا جَاءَ هَذَا مِنَ الدُّنْيَا
وَنَفَرَحُ بِالرُّوْيَا فَجُلُّ حَدِيثِنَا إِذَا نَحْنُ أَصْبَحْنَا الحَدِيثُ عَنِ الرُّوْيَا^(٤)

(١) ف ، حاشية ت (من نسخة) : « عاد إلى جهله » .

(٢) حاشية الأصل : « عاد إلى نكسه ؛ أي عاد إلى غيه رجوع الناقه من المرض » .

(٣) وردت هذه المقضوعة في إنباه الرواة ١ : ٦٢ ، ومعجم الأديباء ٣ : ١٥٥ ، منسوبة إلى صالح ابن عبد القدوس ، وفي المحاسن والأضداد ٤٥-٤٦ منسوبة إلى عبد الله بن معاوية ، وفي عيون الأخبار ١ : ٨١-٨٢ ، من غير عزو ، وورد منها البيت الأول والثاني في رسالة الغفران ١٤٢ منسوبين لولد صالح ، وفي مقدمة التزوييات : ٢٧ منسوبين لرجل كان في السجن على عهد ملوك في العباس ، يقال إنه من ولد صالح بن عبد القدوس ، ومطلعها :

إلى الله أشكو إنّه موضعُ الشكوى وفي يده كشفُ المصرة والبلى

(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « هذا المعنى الأحنف المعكبري وإن كان قريب اللفظ :

وأعلم في المنام بكل خيرٍ فأصبح لا أراه ولا يراني

وإن أبصرت شرّاً في منامي لقيت الشرّ من قبل الأذان

فَإِنْ حَسَنْتُ لَمْ تَأْتِ عَجَلَى وَأَبْطَأَتْ
 طَوَى دُونَنَا الْأَخْبَارَ سِجْنُ مُمْنَعٍ
 وَإِنْ قَبِحَتْ لَمْ تَحْتَبَسْ وَأَنْتَ عَجَلَى
 لَهُ حَارِسٌ تَهْدَا الْعُيُونُ وَلَا يَهْدَا
 مِنْ النَّاسِ لَا نَخْشَى، فَنَفْشَى وَلَا نَفْشَى
 مُتَمِيمِينَ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ فَارَقُوا الدُّنْيَا
 أَلَا أَحَدٌ يَا أُوِي لِأَهْلِ مَحَلَّةٍ

قال سيدنا الشريف المرتضى ذو المجدين أدام الله علوه : وأظن أن ابن الجهم لاحظ قول صالح : « فَنَفْشَى وَلَا نَفْشَى ^(١) » في قوله يصف الحبس :

بَيْتٌ يُجَدِّدُ لِلْكَرِيمِ كَرَامَةً وَيُزَارُ فِيهِ وَلَا يَزُورُ وَيُحْفَدُ ^(٢)

وأما علي بن الخليل فذكر محمد بن داود قال : كان علي بن الخليل - وهو مولى يزيد بن مزيد الشيباني ، ويكنى أبا الحسن ، وهو كوفي - متهماً بالزندقة ، فطلبه الرشيد عند قتله ١٠ الزنادقة ، فاستتر طويلاً ، ثم قصد الرقة ^(٣) وبها الرشيد ، فمدحه ومدح الفضل بن الربيع .

وروي ^(٤) أنه لما قدم الرشيد للمظالم بالرقة حضر شيخ حسن الهيئة ، حسن الخضاب ، معه قصيدة ، فأشار بها ، فأمر الرشيد بأخذها منه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا أحسن قراءة لها من غيري ، فأذن لي في قراءتها ، ففعل ، فقال : إني شيخ كبير ، ولا آمن [٤٦]
 ط

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « حمله السيد رضی الله عنه على أن قوله : « فَنَفْشَى ... » كلام مستأنف ، وأن الغشيان واقم ، والبيت الذي ذكر أنه نظر إليه يدل على ذلك ؛ ومراد الشاعر غير هذا - والله أعلم ؛ وهو أن يكون « نفشى » منصوباً بإضمار أن بعد الغاء التي تجيء بعد النفي ، ويكون غشيان الناس إياهم منفيًا .

(٢) يحفد : يخدم ، وفي م : « يحمد » ، والبيت من قصيدة قلها في الحبس حين حبسه المتوكل ؛ وهي في ديوانه مره ٤ ، والمحاسن والأضداد ٤٣ ، وأولها :

قَالَتْ حُبِسْتُ فَقُلْتُ لَيْسَ بِضَائِرِي حَبْسِي وَأَيْ مُهَنْدٍ لَا يُعْمَدُ

(٣) الرقة : مدينة مشهورة على الجانب الأيسر للفرات بولاية حلب ؛ وهي وطن ربيعة الرقي الشاعر

المشهور .

(٤) الخبر في (الأغاني ١٣ : ١٣-١٤) .

الاضطراب إذا قت ، فإن رأيت أن تأذن لي في الجلوس فعلت ، فقال : اجلس ، اجلس ، ثم أنشأ يقول :

يا خيرَ مَنْ وَخَدَتْ بِأَرْخُلِهِ
تَطْوِي السَّبَاسِبَ فِي أَرْمِيهَا
لَمَّا رَأَتْكَ الشَّمْسُ طَالِعَةً
خَيْرُ الْخَلَائِفِ (٣) أَنْتَ كَمَا هُمْ
وَكَذَلِكَ لَا تَنْفَكُ خَيْرَهُمْ
مِنْ عَضْبَةٍ طَابَتْ أُرُومِهَا
فَوْقَ النُّجُومِ فُرُوعُ نَبَمَتِهِمْ
إِنِّي رَحَلْتُ إِلَيْكَ مِنْ فِرْعَ
مَازَاكَ إِلَّا أَنِّي رَجُلٌ
بَقَرٍ أَوَانِسَ لَا قُرُونَ لَهَا
وَأَجَازِبُ الْفِتْيَانِ بَيْنَهُمْ
لِلْمَاءِ فِي حَافَاتِهَا حَبَبٌ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ فِي بَيْتِهِ
نَجْبُ الرِّكَابِ بِمَهْمَةٍ جَلِسِ (١)
طَى التَّجَارِ عَمَامِ الْبِرْسِ (٢)
سَجَدَتْ لَوَجْهِكَ طَاعَةَ الشَّمْسِ
فِي يَوْمِكَ الْمَاضِي وَفِي أَمْسِ
نَمْسِي وَتُصْبِحُ فَوْقَ مَا تُنْمِي
أَهْلَ الْعَفَافِ وَمُنْتَهَى الْقُدْسِ
وَمَعَ الْحَضِيضِ مَنَابِتُ الْفَرَسِ
كَانَ التَّوَكُّلُ عِنْدَهُ تَرْسِي
أَصْبُو إِلَى بَقَرٍ مِنَ الْإِنْسِ
يَقْتَنَانِ بِالتَّطَوُّبِ وَالْحَبْسِ
صَهْبَاءَ مِثْلَ مُجَاجَةِ الْوَرَسِ
نَظْمٌ كَطَى صَحَائِفِ الْفَرَسِ (٤)
مَا إِنْ أَضَعْتُ إِفَامَةَ الْخَمْسِ

فقال له هارون : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : علي بن الخليل الذي يقال إنه زنديق ، قال : أنت أمين ، وكتب إلى محمدويه ألا يعرض له .

ومن تركنا ذكره من هؤلاء أكثر ممن ذكرناه ، وإنما اعتمدنا من كان بهذه البلية

(١) وخذت : أسرع ، ونجب : جم نجيب ، وهو وصف للنافاة الخفيفة السريعة ، والمهمه : البلد القفر ، والجلس : الغليظ من الأرض .

(٢) السباسب : جمع سبب ؛ وهي الفلاة ، والتجار : جمع تجر ، وتجر : جمع تاجر ؛ كقولهم : صاحب وصحب وصحاب ، والبرس : القطن .

(٣) م : « الخلائق » .

(٤) حاشية الأصل : « ذكر س : الحباب طرائق الماء ، واخبب ما يعلو المائعات من النفاخات » .

أشهر ، وأمره فيها أظهر ، وأوردنا مع ذلك قليلا من كثير ، وجملة من تفصيل .

وإذ قد ذكرنا جملة من أخبار أهل الضلالة ، والمفادين للجهالة ، حسب ما سئلنا ، فنحن ننبعها بشيء من أخبار أهل التوحيد والعدل ، ومُلحح حكاياتهم ، ومستحسن ألفاظهم ، [٤٧] لِيُعْلَمَ الفرق بين من رَجَحَتْ / بِيَعْتُهُ ، وبين من خَسِرَتْ صَفْقَتُهُ ، فقد سئلنا أيضا ذلك .

٥ اعلم أن أصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - وخُطبه ، فإنها تتضمن من ذلك مالا زيادة عليه ، ولا غاية وراءه ، ومن تأمل المأثور في ذلك من كلامه علم أن جميع ما أسهب المتكلمون من بعد في تصنيفه وجمعه ، إنما هو تفصيل لتلك الجمل ، وشرح لتلك الأصول ، ورؤى عن الأئمة من أبنائه عليهم السلام من ذلك ما يكاد لا يحاط به كثرة ، ومن أحب الوقوف عليه ، وطلبه من مظانه أصاب منه الكثير الغزير ، الذي في بعضه شفاء للصدور السقيمة ، ونتاج للعقول العقيمة ؛ ونحن نقدم على ما يزيد ذكره شيئا مما روى عنهم في هذا الباب .

فمن ذلك ما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام (١) وهو يصف الله تعالى : « بمضادته (٢) بين الأشياء علم أن لا ضد له ، وبمقارنته بين الأمور علم أن لا قرين له ، ضاد النور بالظلمة ، والخشونة باللين ، واليبوسة بالبلل ، والصدِّد (٣) بالحرور ؛ مؤلف بين متعادياتها (٤) ، مفرق بين متدانياتها » . ١٥

(١) ت : « ... عليه السلام أنه قال وهو يصف ... » .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « أي ينصب المضادة بين الضدين يستدل على أن لا ضد له ؛ لأن » يقدر على ذلك لا بد أن يكون متوحداً بصفات الجلال ، التي تحيل أن يكون للموصوف بها ضد .

(٣) في حاشيتي ت ، ف : « الصرد : البرد ؛ وهو فارسي معرب ، يقال : يوم صرد وصرد [بـسكـر] الرءاء وفتحها] ، وصرد الرجل [بكسر الراء] بصرده صردا [بفتحها] » .

(٤) ف ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « متباعداتها » .

وروى عنه عليه السلام أنه سئل : بِمَ عَرَفْتَ رَبِّكَ ؟ فقال : بما عرّفني به ، قيل : وكيف عرّفك ؟ فقال : « لا تشبّهه صورة ، ولا يُحسّ بالحواس الخمس ، ولا يقاس بقياس الناس » . وقيل له عليه السلام : كيف يحاسب الله الخلق ؟ فقال : كما يرزقهم ، فقيل : كيف يحاسبهم ولا يرونه ؟ فقال : كما يرزقهم ولا يرونه .

وسأله رجل فقال : أين كان ربُّك قبل أن يخلق السماء والأرض ؟ فقال عليه السلام : **○** أين سؤالٌ عن مكان ، وكان الله ولا مكان .

وروى عن أبي عبد الله الصادق ^(١) عليه السلام أنه سأله محمد الحلبيّ فقال له : هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربّه؟ قال : نعم رآه بقلبه ، فأما ربُّنا جلّ جلاله فلا تدرکه أبصارُ الناظرين ، ولا تحيط به أسمعُ السامعين .

وروى صفوان بن يحيى قال : دخل أبو قرّة المحدث على أبي الحسن الرضا ^(٢) عليه السلام **١٠** فسأله ^(٣) عن أشياء من الحلال والحرام والأحكام والفرائض ، حتى بلغ إلى التوحيد ، فقال له أبو قرّة : إنا رؤونا أن الله تعالى قسم الكلام والرؤية ، فقسم لموسى الكلام ، ولمحمد صلى الله عليه وآله الرؤية ، فقال الرضا عليه السلام : فمن المبلغ عن الله تعالى إلى الثقلين : الجنّ والإنس أنه لا تدرکه الأبصار ، ولا يحيطون به علماً ، وليس كمثله شيء ؟ أليس محمد عليه السلام نبياً صادقاً ؟ قال : بلى ، قال : فكيف يحيى ، رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنه جاء من عند الله تعالى يدعوهم **١٥** إليه بأمره ، ويقول : لا تدرکه الأبصار ، ولا يحيطون به علماً ، وليس كمثله شيء ، ثم يقول :

(١) هو الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وأمه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر ، ولد بالمدينة سنة ٨٠ ، وروى عن أبيه وجده القاسم وطبقهما ، وقد ألف تلميذه جابر بن حباب الصوفي كتاباً في ألف ورقة يتضمن رسائله ؛ وتوفى سنة ١٤٨ ، ودفن بالبقيع ؛ (شذرات الذهب ١ : ٢٢٠) .

(٢) هو الإمام أبو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، ثامن الأئمة الاثني عشر ، توفى بطوس سنة ٢٠٤ ، وصلى عليه المؤمنون ؛ ودفن بجانب الرشيد . (شذرات الذهب ٦ : ٦) . (٣) حاشية ت (من نسخة) : «فسأله» .

سأراه بعيني وأحيط به علماً؛ أما تستحيون ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا أن يكون يأتي عن الله تعالى بشيء، ثم يأتي بخلافه من وجه آخر! قال أبو قرّة: فإنه يقول: ﴿وَلَقَدْ رَأَوْهُ نَزَلَ أَخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾؛ [النجم: ١٣، ١٤]، فقال عليه السلام: ما بعد هذه الآية يدلّ على ما رأى؛ حيث يقول: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾؛ [النجم: ١١]، يقول ما كذب فؤاد محمد ما رأت عيناه، ثم أخبر بما رأى، فقال: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾؛ [النجم: ١٨]، وآيات الله غير الله، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾؛ [طه: ١١٠]، فإذا رآته الأبصار فقد أحاط به العلم. فقال أبو قرّة: فأكذب بالرؤية؟ فقال الرضا عليه السلام: إذن القرآن كذبها، وما أجمع عليه المسلمون أنه لا يحاط به علماً، ولا تدركه الأبصار، وليس كمثل شيء.

١٠ وأتى أعرابيّ أبا جعفر محمد بن عليّ عليهما السلام^(١) فقال له: هل رأيت ربك حين^(٢) عبدته؟ فقال: لم أكن لأعبد شيئاً لم أره، فقال: كيف رأيتَه؟ فقال: لم تره الأبصارُ بمشاهدة العيان، بل رأته القلوب بحقائق الإيمان؛ لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، معروف بالآيات، منموت بالعلامات، لا يجورُ في قضيتَه؛ هو الله الذي لا إله إلا هو. فقال الأعرابيّ: الله أعلم حيث يجعل رسالاته!

١٥ وروى أن شيخاً حضر صقّين مع أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: أخبرنا يا أمير المؤمنين [٤٧] عن مسيرنا إلى الشام، أكان بقضاء من الله تعالى وقدّر؟ قال له: / نعم يا أخا أهل الشام، والذي فاق الحجة، وبرأ النسمة، ما وطئنا موطناً، ولا هبطنا وادياً، ولا علونا تلمعة إلا بقضاء من الله وقدّر، فقال الشاميّ: عند الله أحسب عنائي يا أمير المؤمنين، وما أظنُّ أن لي أجراً في سعيي إذ كان الله قضاؤه عليّ وقدّره! فقال له عليه السلام: إن الله قد أعظم

(١) هو الإمام أبو جعفر محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم؛ أحد الأئمة الاثني عشر؛ توفي

بيفداد سنة ٢٢٠؛ (شذرات الذهب ٢: ٤٨) .

(٢) ش: «حق» .

لكم الأجر على مسيركم وأنتم سائرون ، وعلى مقامكم وأنتم مقيمون ، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ، ولا إليها مضطرين ، ولا عليها مجبرين .

فقال الشاميّ : وكيف ذلك والقضاء والقدر ساقانا ، وعنهما كان مسيرنا وانصرافنا ؟ فقال له عليه السلام : يا أبا أهل الشام ، لعلك ظننت قضاءً لازماً ، وقدراً حتماً ؛ لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والمعقاب ، وسقط الوعد والوعيد ، والأمر من الله والنهي ، وما كان المحسن أولى بثواب الإحسان من المسيء ، والمسيء أولى بعقوبة الذنب من المحسن ؛ تلك مقالة عبدة الأوثان ، وحزب الشيطان ، وخُصماء الرحمن ، وشهداء الزور ، وقدريّة هذه الأمة ومجوسها ؛ إن الله أمر عباده تخييراً ، ونهاهم تحذيراً ، وكأف يسيراً ، وأعطى على القليل كثيراً ، ولم يُطع مكرهاً ، ولم يُعص مغلوباً ، ولم يكأف عسيراً ، ولم يرسل الأنبياء لعباً ، ولم ينزل الكتب إلى عباده عبثاً ، ولا خلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً ؛ ذلك ظنّ الذين كفروا ، فويل للذين كفروا من النار !

قال الشاميّ : فما القضاء والقدر الذي كان مسيرنا بهما وعنهما ؟ قال : الأمر من الله بذلك والحكم ، ثم تلا : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ [الأحزاب : ٣٨] ، فقام الشاميّ فريحاً مسروراً لتسمع هذا المقال ، وقال : فرجت عنى فرج الله عنك يا أمير المؤمنين ، وأنشأ يقول :

١٥ أنتَ الإمامَ الَّذِي نَرَجُو بِطَاعَتِهِ يَوْمَ الْحِسَابِ مِنَ الرَّحْمَنِ غُفْرَانًا^(١)
أَوْضَحْتَ مِن أَمْرِنَا^(٢) مَا كَانَ مُلْتَبِسًا جَزَاكَ رَبُّكَ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا^(٣)

وروي أن أبا حنيفة النعمان بن ثابت قال : دخلت المدينة ، فرأيت أبا عبد الله [جعفر ابن علي]^(٤) عليه السلام ، فسلمت عليه ، وخرجت من عنده ، فرأيت^(٥) ابنه موسى^(٦) عليه السلام

(١) حاشية ف : « في رواية * يوم النشور من الرحمن رضوانا * » .

(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « أوضحت من ديننا » .

(٣) حاشية ف : « في رواية : جزاك ربك عنا فيه إحسانا * » .

(٤) تسكئة من ت . (٥) ت ، ش : « فأتيت » .

(٦) هو المعروف بموسى الكاظم ، أحد الأئمة الاثني عشر ؛ توفي سنة ١٨٣ ؛ (شذرات الذهب : ١ : ٣٠٤)

[٤٨] في دِهْلِيْزِهٖ، قَاعِدًا فِي مَكْتَبِهٖ، / وَهُوَ صَغِيرُ السِّنِّ فَقَلَّتْ لَهُ : أَيْنَ يُحَدِّثُ (١) الْغَرِيبَ إِذَا كَانَ (٢) عِنْدَكُمْ وَأَرَادَ ذَلِكَ ؟ فَظَنَرَ إِلَىَّ ثُمَّ قَالَ : يَتَجَنَّبُ شَطُوطَ الْأَنْهَارِ ، وَمَسَاقِطَ (٣) الثَّمَارِ ، وَأَفْنِيَةَ الدُّوْرِ ، وَالطَّرِيقَ النَّافِذَةَ ، وَالْمَسَاجِدَ ، وَيَضَعُ وَيَرْفَعُ بَعْدَ ذَلِكَ حَيْثُ شَاءَ . قَالَ : فَلَمَّا سَمِعْتُ هَذَا الْقَوْلَ نَبَّلَ فِي عَيْنِي ، وَعَظَّمُ فِي قَلْبِي . فَقَلَّتْ لَهُ : جُعِلَتْ فِدَاكَ ! فَمَنْ الْمَعْصِيَةُ ؟ فَظَنَرَ إِلَىَّ ثُمَّ قَالَ : اجْلِسْ حَتَّى أَخْبِرَكَ ، فَجَلَسْتُ ، فَقَالَ : إِنَّ الْمَعْصِيَةَ لَا يَبْدَأُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْعَبْدِ أَوْ مِنْ رَبِّهِ ، أَوْ مِنْهُمَا جَمِيعًا ؛ فَإِنْ كَانَتْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ أَعْدَلُ وَأَنْصَفُ مِنْ أَنْ يُظْلِمَ عَبْدَهُ ، وَيَأْخُذَهُ بِمَا لَمْ يَفْعَلْهُ ، وَإِنْ كَانَ مِنْهُمَا فَهُوَ شَرِيكُهُ ؛ وَالْقَوِيُّ أَوْلَىٰ بِإِنْصَافِ عَبْدِهِ الضَّعِيفِ ، وَإِنْ كَانَتْ مِنَ الْعَبْدِ وَحْدَهُ فَعَلِيهِ وَقَعَ الْأَمْرُ ، وَإِلَيْهِ تَوَجَّهَ النَّهْيُ ، وَلَهُ حَقُّ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ، وَوَجِبَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ ، قَالَ : فَلَمَّا سَمِعْتُ ذَلِكَ قُلْتُ : ﴿ ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ؛ [آتِ عَمْرَانَ : ٣٤] .

١٠ وقد نُظِمَ هَذَا الْمَعْنَى شِعْرًا فَقِيلَ :

لَمْ تَخْلُ أَعْمَالُنَا اللَّاتِي نُدْمُ لَهَا	إِحْدَى ثَلَاثِ خِلَالِ حِينِ نَأْتِيهَا
إِمَّا تَفَرَّدَ بَارِينَا بِصَنْعَتِهَا	فَيَسْقُطُ اللَّوْمُ عَنَّا حِينِ نُنْشِئُهَا
أَوْ كَانَ يَشْرِكُنَا فِيهَا فَيَلْحَقُهُ	مَا سَوْفَ يَلْحَقُنَا مِنْ لَأْمٍ فِيهَا
أَوْ لَمْ يَكُنْ لِإِلَهِي فِي جِنَائِبِهَا	ذَنْبٌ فَمَا الذَّنْبُ إِلَّا ذَنْبُ جَانِبِهَا (٤)

١٥ وأحَدٌ مَنْ تَظَاهَرَ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ بِالْقَوْلِ بِالْعَدْلِ ، الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ ، وَاسْمُ أَبِيهِ يَسَارٌ ، مِنْ أَهْلِ مَيْسَانَ ، مَوْلَى بَعْضِ الْأَنْصَارِ ، وَكَانَ اسْمُ أُمِّهِ خَيْرَةَ ، مَمْلُوكَةٌ لِأُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَيُقَالُ إِنْ أُمَّ سَلَمَةَ كَانَتْ تَأْخُذُ الْحَسَنَ إِذَا بَكَى فَتَسَكَّتُهُ بِشِدْبِهَا ،

(١) حَاشِيَةٌ (مِنْ نَسِخَةٍ) : « يَضَعُ » .

(٢) م : « الرَّجُلِ » .

(٣) حَاشِيَةٌ (مِنْ نَسِخَةٍ) : « وَمَسَقِطٌ » .

(٤) فِي حَوَاشِي الْأَصْلِ ، ت ، ف : « زِيَادَةٌ فِي آخِرِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ :

سَيَعْلَمُونَ إِذَا الْمِيزَانَ شَالَ بِهِمْ أَهْمُ جَنَوَهَا أَمِ الرَّحْمَنِ جَانِبِهَا

فكان يَدِرُّ عليه ، فيقال إنَّ الحكمة التي أوتِيها الحسن من ذلك ، وبلغ الحسنُ من السن تسعا وثمانين سنة .

فمن تصريحه بالعدل ما رواه عليُّ بن الجعد^(١) قال : سمعت الحسن يقول : مَنْ زَعَمَ أَنَّ
المعاصيَ من الله عز وجلّ جاء يوم القيامة مسودًّا وجهه ، ثم قرأ : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى
الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ ﴾ [الزمر : ٦٠] . وقال داود بن أبي هند : ٥
سمعت الحسن يقول : كلُّ شيء بقضاء وقدر^(٢) إلا المعاصي . [٤٨]
ظ

وكان الحسنُ بارع الفصاحة ، بليغ المواعظ ، كثير العالم . وجميعُ كلامه في الوعظ
وذم الدنيا أو جلّه مأخوذٌ لفظاً ومعنى ، أو معنًى دون لفظ ؛ من كلام أمير المؤمنين عليّ
ابن أبي طالب عليه السلام ، فهو القدوة والغاية^(٣) .

فمن ذلك قوله عليه السلام : « شيثان أحدهما مأخوذٌ من الآخر ، أحدهما أكثر شيء ١٠
في الدنيا ، والآخر أقلُّ شيء في الدنيا : العبر والاعتبار » .

وقوله عليه السلام : « مثلُ الدنيا والآخرة ، مثلُ المشرق والمغرب ، متى ازدادت من
أحدهما قرباً ، ازدادت من الآخر بُعداً » .

وقوله : « شتان بين عمليْن : عملي تذهب لذّته ، وتبقى تبيعتُهُ ، وعملي تذهب مؤنتُهُ
وتبقى أجره » . ١٥

وقوله في وصف الدنيا : « ما أصِف من دارٍ أولها عناء ، وآخرها فناء ، في حالها
حساب ، وفي حرامها عقاب ، مَنْ صحَّ فيها أمين^(٤) ، ومَنْ فرط فيها ندم ، ومن استغنى

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « علي بن الجعد لم يلبى الحسن ؛ فإن علياً مات سنة ثلاثين ومائتين ،
والحسن مات سنة عشرين ومائة ، وولد علي بن الجعد سنة أربع وثلاثين ومائة . قال القتيبي : علي بن الجعد
سولي أم سلمة المخزومية ، امرأة أبي العباس أمير المؤمنين ، وولد سنة ست وثلاثين ومائة ، ومات ببغداد
سنة ثلاثين ومائتين ، وفيها مات عبد الله بن طاهر » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « بقضاء الله وقدره » . (٣) ت : « فهو في ذلك القدوة والغاية » .

(٤) حاشية ف : « قوله : من صحَّ فيها أمين ، يعني أن الإنسان إذا صحَّ جسمه أمن الأحوال الدنيوية

والآخروية ، وإذا مرض ندم على التقصير » .

فيها فِتْنٌ ، وَمَنْ افْتَقَرَ فِيهَا حَزَنٌ .
 وقوله في كلام له : « فَيَأْيُهَا الذَّامُّ لِلدُّنْيَا ، وَالْمَعْتَلُّ ^(١) بِفِرْوَرِهَا ، مَتَى اسْتَدَمَّتْ ^(٢) إِلَيْكَ ؟
 بَلْ مَتَى غَرَّتْكَ ؟ أَمْضِاجُ آبَائِكَ مِنَ الثَّرَى ؟ أَمْ بِمَنْزِلِ أُمَّهَاتِكَ مِنَ الْبِلَى ؟ كَمْ مَرَّضَتْ
 بِكَفِّكَ ؟ وَكَمْ عَالَجَتْ بِيَدَيْكَ ؟ تَبْتَغِي لَهُمُ الشِّفَاءَ ، وَتَسْتَوْصِفُ لَهُمُ الْأَطْبَاءَ ؛ مَثَلَتْ لَكَ بِهِمُ
 ٥ الدُّنْيَا نَفْسَكَ ، وَبِمَصْرَعِهِمْ مَصْرَعَكَ » .

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : وهذا باب إن وإجناه اغترفنا من ثبج ^(٣)
 بحر زاخر ، أو شؤبوب ^(٤) غمامٍ ماطر ؛ وكلُّ قولٍ في هذا الباب لقائل إذا أُضِيفَ إليه ،
 أو قويسَ به كان كإضافة القطرة إلى الغمرة ^(٥) ، أو الحصاة إلى الحجرة ^(٦) ، وإنما أشرنا
 إليه إشارة ، وأوماناً إليه إيماء ، ثم نعود إلى ما كنا فيه .

١٠ روى أن أعرابياً سمع كلامَ الحسن البصرى فقال : المؤمن فصيح إذا لفظ ، نصيح
 إذا وعظ .

وروى أن الحسن تلا يوماً : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَالْجِبَالِ ﴾ [الأحزاب : ٧٢] ، ثم قال : « إِنَّ قَوْمًا غَدَّوْا فِي الْمَطَارِفِ ^(٧) الْعِتَاقَ ، وَالْعَمَامَ
 الرَّاقِقَ ، يَطْلُبُونَ الْإِمَارَاتَ ، وَيُضَيِّمُونَ الْأَمَانَاتَ ، يَتَعَرَّضُونَ لِلْبَلَاءِ وَهُمْ مِنْهُ فِي عَافِيَةٍ ؛ حَتَّى
 ١٥ إِذَا أَخَافُوا مَنْ فَوْقَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِفَّةِ ، وَظَلَمُوا مَنْ تَحْتَهُمْ مِنْ أَهْلِ الذَّمِّ أَهْزَلُوا ^(٨) دِينَهُمْ
 [٤٩] وَأَسْمَنُوا بَرَادِيَهُمْ ، وَوَسَّعُوا دَوْرَهُمْ ، وَضَيَّقُوا قُبُورَهُمْ ؛ أَلَمْ تَرَهُمْ قَدْ جَدَّدُوا / الشِّيَابَ
 و

(١) ت ، ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « للغتر » .

(٢) حاشية الأصل : « قوله عليه السلام استدمت ، أى فعلت ما نلام عليه » .

(٣) ثبج البحر : وسطه أو معظمه . (٤) الشؤبوب : الدفعة من الطر .

(٥) الغمرة : الماء الكبير الذى يفمر من خاض فيه .

(٦) الحرة : أرض سوداء ذات حصى .

(٧) المطارف : جم مطرف ؛ وهو كساء من خز ذو أعلام .

(٨) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « هزلوا » .

وأخلقوا الدين، يتسكى أحدهم على شماله، فيأكل من غير ماله؛ طعامه غصب،
وخدمه سُخْرَةٌ؛ يدعو بخلو بعد حامض، وبجازٍ بعد بارد، ورطب^(١) بعد يابس؛ حتى
إذا أخذته الكِظَّة، تجشأ من البشم، ثم قال: يا جارية، هاتي حاطوماً (يعنى هاضوما)
يهضم الطعام؛ يا أحييمق! لا والله لن تهضم إلا دينك، أين جارك! أين يتيئك!
أين مسكينك! أين ما أوصاك الله عز وجل به! » .

وذكر يوماً الحجاج فقال: «أنا أعيّمش أحييفش، له جيممة يرجلها، وأخرج
إلينا بنانا قصاراً، والله ما عرق فيها عنان في سبيل الله، فقال: بايعوني، فبايعناه، ثم رقى
هذه الأعواد ينظر إلينا بالتصغير، وننظر إليه بالتعظيم؛ يأمرنا بالمعروف ويحنتبه، وبنهانا
عن المنكر ويرتكبه.» .

وروى عيسى بن عمر قال: قال الحسن: «إن هذه القلوب طلعة^(٢) فأقدعوها، ١٥
فإنكم إن تطيعوها تنزع بكم إلى شرٍّ غاية، وحادثوا هذه النفوس، فإنها سريرة الدثور.» .
قال عيسى بن عمر: تحدث بذلك أبو عمرو بن العلاء، فعجب من فصاحته .
وكان يقول في بعض كلامه: «ما يشاء أن ترى أحدهم أبيض بضاً، يملخ في الباطل
ملخاً، ينفض مذرّويه ويقول: هأنذا فاعرفوني.» .

قال: فالبيض، هو الرخص اللحم، وليس هو من البياض على ما يظنه قوم؛ لأنه ١٥
قد تكون الرخصة مع الأدمة. وأما قوله « يملخ » فإن المَلخ هو التذنى والتكسر، يقال
ملخ الفرس إذا لعب^(٣)؛ قال رؤبة يصف الحمار:

* مُعَزِّمُ التَّجْلِيحِ مَلِخُ المَلَقِ^(٤) *

(١) ف، ونسخة بحاشيتي ت، ف: « ورطب » .

(٢) الطلعة: الكثيرة الطلع إلى الشيء؛ أي أنها كثيرة الميل إلى هواها تشبهه حتى تهلك صاحبها،
قال في اللسان: « وبعضهم يرويه بفتح الطاء وكسر اللام، وهو بمعناه، والمعروف الأول » .

(٣) في اللسان (ملخ) وحاشيتي ت، ف: « يملخ في الباطل ملخاً؛ أي يمر فيه مرا سريعاً » .

(٤) الاعترام: النضى على جهة واحدة، والتجليح: شدة الإقدام، والملق: المستوى من الأرض. =

والمذروان^(١) : فرعا الأليتين : قال عنتره :

أَحْوَى^(٢) تَنْفُضُ مِذْرَوِيهَا لَتَقْتَلَنِي فَهَانَذَا نُعْمَارَا

هذا قول أبو عبيد ؛ وقال ابن قتيبة ردًّا عليه : ليس المذروان فرعى الأليتين حسب ؛

بل هما الجانبان من كل شيء ؛ تقول العرب : جاء فلان يضرب أضدرية ، ويضرب عطفية ،

وينفض مذروية ، وهما منكباه . وذَكَرَ أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا مِنْ فَصْحَاءِ الْعَرَبِ يَقُولُ : قَنَّعَ

الشيب مذروية ، يريد جانبي رأسه ، وهما فوداه ، وإنما سُمِّيَ بذلك ، لأنهما يذريان ؛ أى

== وفي حواشى الأصل ، ت ، ف : وقوله :

* إِذَا تَنَلَّاهُنَّ صَالِصَالُ الصَّعَقُ *

— أى تلا الحمار الأذن ، والصلصال : الصوت ، والضعق : شدة الصوت ؛ وحار صعق : شديد

الصوت ؛ وبعده :

* يَرْمِي الْجَلَامِيدَ بِجُلْمُودٍ مَدَقٌ *

والبيت من أرجوزته التى مطلعها :

* وَقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ خَاوِيِ الْخُتْرِقِ *

وهى فى (ديوانه ١٠٤-١٠٨) ، وأبيات منها مشروحة فى (الخزانة ١ : ٣٨-٤٤) .

(١) حاشية ف : « قوله المذروان ؛ أى أطراف الأليتين ، وليس بمثنى على واحد هو مذرى ، خلافا لما

يقوله أبو عبيد ؛ إذ لو كان ذلك كذلك لكان مذريران ؛ لأن الواو إذ وقعت رابعة فصامدا قلبت ياء قياسا

على « مغزيران » ، ألا ترى إلى المذرى الذى يميز به الضعاع إذ انثى يقال « مذريران » ؛ فقولته : « مذروان » لأطراف

الأليتين ، كذا ورد عنهم فى صورة التثنية ، وإن لم يكن تثنية لواحد مذكور .

(٢) ت ، د ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « أنعموى » ، وهو مخاطب عمارة بن زياد العيسى

وكان بلغه أنه يقول لقومه : قد أكثرتم ذكر هذا العبد ؛ وددت أنى لقينته خاليا حتى يعلم أنه

عبد ؛ وبعده :

مَسَى مَا تَلَقَيْنِي فَرْدَيْنِ تَرَجُفُ رَوَانِفُ أَلْيَتَيْكَ وَتُسْتَطَارَا

وازروانف أعلى الأليتين ؛ والبيتان من قطعة فى (حماسة ابن الشجرى : ٨ ، واللالى ٤٨٣ ، والخزانة

يَشِيْبَانِ ، وَالذَّرَى وَالذَّرْوَةَ^(١) الشَّيْبُ ، قَالَ : وَهَذَا أَصْلُ الْحَرْفِ ، ثُمَّ اسْتَمِيرَ لِلْمُنْكَبِينَ ، وَالْأَلْيَتَيْنِ ، وَالطَّرْفَيْنِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، قَالَ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي عَائِدٍ الْهَدَلِيُّ يَذْكُرُ قَوْسًا :

عَلَى عَجَسٍ هَتَّافَةِ الْمَذْرُويْنَ زَوْرَاءَ مُضَجَّةٍ فِي الشَّمَالِ^(٢)

أَرَادَ قَوْسًا يَنْبِضُ^(٣) طَرَفَاهَا . قَالَ : فَلَا مَعْنَى لِمُوصَفِ الرَّجُلِ الَّذِي ذَكَرَهُ الْحَسَنُ بِأَنَّهُ

يَحْرُكُ أَلْيَتَيْهِ ؛ وَلَا مِنْ شَأْنٍ مِنْ يَبْدُخُ^(٤) وَيَتِيهِ عَلَى نَفْسِهِ وَيَقُولُ : هَانَذَا فَاعْرِفُونِي أَنْ يَحْرُكُ أَلْيَتَيْهِ ؛ وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّهُ يَضْرِبُ عِظْفَيْهِ ، وَهَذَا مِمَّا يُوَصِّفُ بِهِ الْمَرِيحَ الْمُخْتَالِ ، وَرَبَّمَا قَالُوا : جَاءَنَا يَنْفُضُ مِذْرُويَهُ ، إِذَا تَهَدَّدَ وَتَوَعَّدَ ، لِأَنَّهُ إِذْ تَكَلَّمَ وَحَرَّكَ رَأْسَهُ نَفَضَ قُرُونَهُ فَوَدَّيَهُ ، وَهِيَ مِذْرُوَاهُ .

قَالَ سَيِّدُنَا الشَّرِيفُ الْأَجَلُ الْمُرْتَضَى أَدَامَ اللَّهُ عُلُوَّهَ : لَيْسَ الَّذِي ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ بِعَبِيدٍ ،

لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ الْمُخْتَالِ الَّذِي يُزْهِى بِنَفْسِهِ أَنْ يَهْتَزَّ وَيَتَشَتَّى ، فَتَتَحَرَّكُ أَعْطَافُهُ وَأَعْضَاؤُهُ ؛ وَمِذْرُوَاهُ ١٠ مِنْ جَمَلَةٍ مَا يَهْتَزُّ وَيَتَحَرَّكُ ، لِأَنَّهُمَا بَارِزَانِ مِنْ جِسْمِهِ ، فَيُظْهِرُ فِيهِمَا الْإِهْتِرَازَ ، وَإِنَّمَا حُصِّىَ الْمِذْرُوَانِ^(٥) بِالذِّكْرِ مَعَ أَنْ غَيْرَهُمَا يَتَحَرَّكُ أَيْضًا ، عَلَى طَرِيقِ التَّقْبِيحِ عَلَى هَذَا الْمُخْتَالِ وَالتَّهْجِيحِ لِفِعْلِهِ . وَقَوْلُ ابْنِ قَتَيْبَةَ لَيْسَ مِنْ شَأْنِ مَنْ يَبْدُخُ أَنْ يَحْرُكُ أَلْيَتَيْهِ لَيْسَ بِشَيْءٍ ، لِأَنَّ الْأَغْلَبَ مِنْ شَأْنِ الْمُخْتَالِ الْبَدَّخُ الْإِهْتِرَازُ وَتَحْرِيكُ الْأَعْطَافِ ؛ عَلَى أَنَّ هَذَا يَلْزِمُهُ فِيمَا قَالَهُ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ

(١) حَوَاشِي الْأَصْلِ ، ت ، ف : الْعَجَبُ مِنْ ابْنِ قَتَيْبَةَ كَيْفَ خَلَطَ الْمَهْمُوزَ بِالْمَعْتَلِ ، وَإِنَّمَا هُوَ الذَّرَاءُ بِالْمُهْمَزِ شَيْبَ مَقْدَمِ الرَّأْسِ ، وَقَدْ ذَرَى يَذْرَأُ ، وَرَجُلٌ أَذْرَأُ وَامْرَأَةٌ ذَرَاءٌ ؛ وَهِيَ الذَّرَّةُ ، وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ ذَكَرَهُ فِي إِسْلَاحِ غَلَطِ أَبِي عُبَيْدٍ . وَفِي حَاشِيَةِ فٍ أَيْضًا : « الذَّرَاءُ : هُوَ شَيْبُ مَقْدَمِ الرَّأْسِ ؛ وَهُوَ مَهْمُوزٌ لِغَيْرِهِ ، وَأَصْلُ الْمَذْرُوبِينَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مِنْ ذُرُورِ الرَّيْحِ ، وَقَدْ صَحَّ أَنَّهُ إِذَا كَانَ بِمَعْنَى الشَّيْبِ كَانَ ذَرَاءً ، مَهْمُوزًا ، فَلَوْ كَانَ مِنَ الذَّرَّةِ الَّتِي هِيَ الشَّيْبُ لَكَانَ مِذْرَأَيْنِ » .

(٢) دِيْوَانُ الْهَدَلِيِّينَ ٢ : ١٨٥ . وَالْعَجَسُ : مَقْبُضُ الْقَوْسِ ، وَهَتَّافَةُ الْمَذْرُوبِينَ ؛ أَيُّ لَطْرَفِيهَا صَوْتٌ نَفِيسٌ ، وَزَوْرَاءُ : مَعْوَجَةٌ .

(٣) الْإِنْبَاضُ : النَّصْوِيْتُ .

(٤) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ (مِنْ نَسْخَةٍ) : « يَبْدُخُ » .

(٥) ش : « حُصِّىَ الْمَذْرُوبِينَ » .

من شأن كل متوعد أن يجرّك رأسه ، وَيَنْفُضْ مَدْرُوبِيَهْ ؛ فإذا قال : إن ذلك في الأكثر قيل له مثله .

وكان الحسن يقول : « يا ابن آدم ، جَمْعًا جَمًّا ، سَرَطًا سَرَطًا^(١) ، جَمْعًا في وعاء ، وشدًّا في وكاء ، وركوبَ الذَّلُولِ ، ولبسَ اللَّيْنِ ؛ حتى قيل مات ، فأفضى والله إلى الآخرة ، فطال حسابُه » .

وكان يقول : « مسكين^(٢) ابن آدم ، مكتوم الأجل ، مكنون العِللِ ؛ أسير جوع ، صريع شبيح ، إنَّ مَنْ تَوَلَّمَهُ البَقَّةُ ، وتقتله الشَّرْقَةُ ، لبادي الضَّعْفِ ، فريسة الحُتْفِ » .
وكان يقول : « ما أطال أحد الأمل ، إلا أساء العمل » .

وكتب إلى عمر بن عبد العزيز : « أما بعد ، فإن طول البقاء إلى فناء ، نخذ من فنائك الذي ١٠ لا يبقى ، لبقائك الذي لا يفنى ، والسلام » .

وكان يقول : « إذا رأيت رجلا ينافس في الدنيا فنافسه في الآخرة » . وسأله رجل : ما حالك ؟ فقال : بأشدّ حال ، ما حال مَنْ أصبح وأمسى ينتظر الموت ، ولا يدرى ما يفعل الله به !! .

[٥٠] / وكان يقول : « يا ابن آدم ، بُسِطَتْ لكَ صحيفة ، ووَكَّلَ بِكَ ملكان كريمان ، يكتبان عملك ١٥ فأثِلا ما شئت ، وأكثر وأقلل » . وفي خبر آخر : « ووَكَّلَ بِكَ ملكان كريمان ، ريقك مدادهما ، ولسانك قلمهما » .

روى أبو بكر الهذلي قال : لما وفد^(٣) عمرُ بن هبيرة والياً على العراق نزل واسطا ، فبعث

(١) السرط : البلع .

(٢) حواشي الأصل ، ت . ف : يجوز : « مسكينُ ابن آدم » ، ويكون قد حذف التنوين لانتفاء الساكنين ؛ من باب قوله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ ، وقول الشاعر :

عمرُو الَّذِي هَشَمَ التَّريِدَ لقومه ورجالُ مَكَّةَ مَسْنِتُونَ عِجَافُ

(٣) من نسخة محاشيتي الأصل ، ت : « قدم » .

إلى الشعبي وإلى الحسن البصري ، فقال لهما : إن يزيد بن عبد الملك عَبْدُ اللَّهِ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَهُ ،
وانتجبه لخلافته ، وقد أخذ بنواصينا ، وأعطيناها عهدنا ومواثيقنا وصفقة أيدينا ، فوجب علينا
السمع والطاعة ، وإنه بمثني إلى عراقكم غير سائل إياه ، إلا أنه لا يزال يبعث إلينا في القوم
نقتلهم ، وفي الضياع نقبضها ، أو في الدور نهديمها ، فنوئيه من ذلك ما ولّاه الله ، فما تريان ؟
فأما الشعبي فقال قولاً فيه بعض الدين ؛ وأما الحسن فإنه قال له : يا عمر ، إني أتباك عن
الله أن تتعرض له ، فإن الله ما نعتك من يزيد ، ولا يمنعك يزيد من الله ؛ إنه يوشك أن ينزل
إليك ^(١) مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ ، فيستنزلك من سريرك ، ويُخْرِجُكَ مِنْ سَمَةِ قَصْرِكَ إِلَى ضَيْقِ
قَبْرِكَ ؛ ثم لا يوسعه عليك إلا عمالك ، إن هذا السلطان إنما جعل ناصرًا لدين الله ، فلا تركبوا
دين الله وعباد الله بسلطان الله تُدَلُّوْهُمْ بِهِ ، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق جل وعزّ .
وذكر عن الشعبي أنه قال : كان والله الحسنُ أكرمنا عليه .

وروى أبو بكر بن عياش قال : قال مسامة بن عبد الملك للحسن : عَظَمَنِي فَقَالَ : إِذَا
نَزَلْتَ عَنِ الْمَنْبَرِ فَاعْمَلْ بِمَا تَكَلَّمْتَ بِهِ ، فَقَالَ : عَظَمَنِي ، فَقَالَ : أَوْلَيْتَ قَطًا ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، قَالَ :
فَمَا كُنْتَ تَحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْكَ فَأَنْتَ إِلَى مَنْ وَرَيْتَهُ .

وعن ثابت البناني قال : قال رجل للحسن : آخِذْ عَطَائِي أَمْ أَدَعَهُ حَتَّى آخِذَهُ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ فَقَالَ لَهُ : قُمْ وَيَحْكُ خِذْ عَطَاءَكَ ! فَإِنَّ الْقَوْمَ مَفَالِيسُ مِنَ الْحَسَنَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . ١٥
وولد للحسن غلام ، فنهأه بعض أصحابه ، فقال الحسن : « نَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى هَبَيْتِهِ ، وَنَسْتَرِيدهُ مِنْ
نَمِّهِ ، وَلَا مَرْحَبًا بِمَنْ إِنْ كُنْتُ غَنِيًّا أَذْهَلَنِي ، وَإِنْ كُنْتُ فَقِيرًا أَتَعْبَنِي ؛ لَا أَرْضَى بِسَمِّي
لَهُ سَمِيًّا ، وَلَا بِكَدِّي لَهُ فِي الْحَيَاةِ كَدًّا ، أَشْفِقُ عَلَيْهِ مِنَ الْفَاقَةِ بَعْدَ وَفَاتِي ، وَأَنَا فِي حَالٍ
لَا يَصِلُ إِلَى / مِنْ هَمِّ حَزَنٍ ، وَلَا مِنْ فَرْحِهِ سُرُورٍ » .

[٥٠]
ظ

وكان الحسن يقول : « لو لم يكن من شؤم الشراب إلا أنه جاء إلى أحب خلق الله إلى الله
فأفسده ، لكان ينبغي للماقل أن يتركه » - يعني العقل .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « أن يرسل عليك ملكا » .

وعزى جارا له يهودياً فقال: «جزاك الله عن مصيبتك بأعظم ما جازى به أحدا من أهل مِلَّتِكَ». وهذا تخاضع منه مليح، لأنه لم يدع له بالثواب الذى لا يستحقه الكفار، وأراد بالجزاء العوض الذى يستحقه الكافر مع استحقاق العقاب.

وكان الحسن يقول: «ليس للفاسق المعين بالفسق غيبة، ولا لأهل الأهواء والبدع غيبة، ولا للسلطان الجائر غيبة».

وقال فى قوله تعالى ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ قال العلم، ﴿وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١] قال: الجنة.

وخرج الحسن فى جنازة معها نوائح، فقال له رجل: أما ترى يا أباسعيد هذا؟ وهم الرجل بالرجوع، فقال له الحسن: إن كنت كلما رأيت قبيحاً تركت له حسناً أسرع ذلك فى دينك. وذكرت عنده الدنيا فقال:

أحلامٌ نومٍ أو كِظَلٍ زائلٍ إنَّ اللَّيْبَ بِمِثْلِهَا لَا يُخَدَعُ
وكان يتمثل:

اليومَ عِنْدَكَ دَلُّهَا وَحَدِيثُهَا وَغَدًا لَغَيْرِكَ كَفُّهَا وَالْعِصْمُ (١)

وعن أبى عبيدة قال: لما فرغ الحجاج من خضراء (٢) واسط نادى فى الناس أن يخرجوا فيدعوا له بالبركة، فخرج الناس، وخرج الحسن، فاجتمع عليه الناس، فخاف أهل الشام على نفسه أن يقتلوه، فرجع وهو يقول: قد نظرنا يا أخبث الأخبثين، وأفسق الفاسقين!

(١) حاشية ف: « قبله:

لَا تَأْمَنَنَّ أَنِّي حَيَاتِكَ وَأَعْلَمَنَّ أَنَّ النِّسَاءَ وَمَا لِهِنَّ مُقَسَّمٌ

وبعده:

كالكبوت يُصْبِحُ خَالِيًا مِنْ أَهْلِهِ وَيَحُلُّ بِعَدِّكَ فِيهِ مَنْ لَا تَعْلَمُ

(٢) حاشية الأصل: «خضراء واسط: بنية كان ابتناها الحجاج»، وفى م: «قصر واسط»

فأما أهلُ السماءِ فمقتوك ، وأما أهلُ الأرضِ ففرثوك ، ثم قال : أبى الله تعالى للميثاق الذى أخذهُ على أهلِ العلمِ لِيُبَيِّنَنَّه للناسِ ولا يَكْتُمُونَهُ . ثم انصرف وبلغ الحجاجَ ذلك فقال : يا أهلَ الشامِ وهم حوله : الله (١) ليقومَنَّ (٢) عبيد من عبيد أهلِ البصرة ، ويتكلم فى بما يتكلم ، ولا يكون عند أحد منكم تغيير ولا نكير ! قالوا : ومن ذاك أصلحك الله ! استقنا دمَه ، فقال : علىَّ به ، وأمر بالنطع والسيف فأحضرا ، ووجه إليه ، فلما دنا الحسن من الباب ، ٥
حرك شفتيه والحاجب ينظر إليه ، فلما دخل قال له الحجاج : هاهنا ، وأجاسه قريبا من فرشه ، وقال له : ما تقول فى علىَّ وعثمان ؟ قال : أقول قولَ مَنْ هو خير منى عند مَنْ هو شرٌّ منك ، قال موسى عليه السلام لفرعون إذ قال له : ﴿ مَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى . قَالَ عَلِمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾ ؛ [منه : ٥١ - ٥٢] ؛ عَلِمُ علىَّ وعثمان عند الله تعالى ، فقال له الحجاج : أنت سيد العلماء يا أبا سعيد ، ثم دعا بغالية فغلل بها لحيته ، فلما خرج ١٠
الحسن أتبعه الحاجب ، فقال : يا أبا سعيد ، لقد دعاك لغير ما فعل بك ، ولقد أحضر السيف والنطع ، فلما أقبلت رأيتك قد حرّكت شفتيك بشيء ، فما قلت ؟ قال : قلت يا معدّتى عند كُرْبَتِي ، ويا صاحبي عند شدّتي ، ويا ولىَّ نعمتى ، ويا إلهى وإله آبائى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب أرزقنى مودّته ، واصرف عني أذاه ومعرّته ؛ ففعل ربي عز وجل ذلك .

١٥

وكان الحسن يقول : ما زال النفاق مقموعا حتى عمّم هذا عمامة ؛ وقد سيفاً .
- يعنى الحجاج .

(١) حواشى الأصل ، ت ، ف : « هم كثيرا ما يتصرفون فى القسم ؛ وذلك لكثرة تردده فى كلامهم فتارة يحذفون الفعل ، كقولك بالله ، وأخرى يحذفون خبر المبتدأ ، كقولك لعمري ، وتارة يحذفون حرف القسم من غير عوض ، كقولك : الله لأفعلن ؛ بالنصب ، والله لأفعلن بالجر ، وتارة يحذف الحرف عن عوض ، كقولك الله ، وهائه . »

(٢) حواشى الأصل ، ت ، ف : « لا بد من النون فى صيغة اللام فى جواب القسم ؛ وحذفها ضعيف ؛ ومع ضعفه جائز ؛ كقولك : والله ليقوم زيد ، والفصيح بالنون ؛ وإنما تحرى ذلك فيه لأن الغرض بالقسم التوكيد ؛ فينبغى أن يكون مؤكدا . »

وروى أبو بكر الهذلي أن رجلاً قال للحسن: يا أبا سعيد، إن الشيعة تزعم أنك تُبغض علياً عليه السلام، فأكب بيكي طويلاً، ثم رفع رأسه فقال: لقد فارقتكم بالأمس رجلٌ كان سهماً من مرأى ربنا عز وجل على عدوه، رباني هذه الأمة، ذو شرفها وفضلها، وذو قرابة من النبي صلى الله عليه وآله قريبة، لم يكن بالنوامة عن أمر الله، ولا بالغافل عن حق الله، ولا بالسروقة من مال الله، أعطى القرآن عزائمها فيما له وعليه، فأشرف منها على رياضٍ موقنة، وأعلام بينة، ذلك ابن أبي طالب يا لكع! وكان الحسن إذا أراد أن يحدث في زمن بني أمية عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال أبو زينب.

وشهد الحسن جنازة فقال: إن أمراً هذا^(١) آخره لينبئني أن يُزهد فيه، وإن أمراً هذا أوله لينبئني أن يُحذر منه^(٢). وعن حميد الطويل قال: خطب رجل إلى الحسن ابنته، وكانت السفير بينهما - فرضيه، وأراد أن يزوجه فأثنت عليه ذات يوم وقلت: وأزيدك يا أبا سعيد، إن له خمسين ألفاً، قال: أقات له خمسون ألفاً! ما اجتمعت من حلال - قالت: يا أبا سعيد، إنه والله ما علمت لورع مسلم، فقال: إن كان جمعها من حلال، لقد ضن بها عن حق! لا يجري بيني وبينه صهرٌ أبداً.

وقيل لعلي بن الحسين عليهما السلام: قال الحسن البصري ليس العجب ممن هلك كيف هلك، وإنما العجب ممن نجا كيف نجا! فقال عليه السلام: أنا أقول: ليس العجب ممن نجا كيف نجا؛ وإنما العجب ممن هلك كيف هلك مع سعة رحمة الله!

وأتى عليه السلام يوماً الحسن البصري وهو يقصّ عند الحِجْر فقال: أترضى يا حسن نفسك للموت؟ قال: لا، قال: فعملك للحساب؟ قال: لا؛ قال: فم دار للعمل غير هذه الدار؟ قال: لا، قال: فله في أرضه مماذ غير هذا البيت؟ قال: لا، قال: فلم تشغل الناس عن التطواف^(٣).

(١-١) م: « إن أمراً هذا أوله لينبئني أن يحذر منه، وإن أمراً هذا آخره لينبئني أن يزهد فيه »

(٢) كذا في الأصل، ت، ج، ش، ف، وفي نسخة بحاشيتي ت، ف: « الطواف ».

وكانت وفاة الحسن البصري سنة ١١٠؛ (وانظر ترجمته في ابن خلكان ١: ١٢٨-١٢٩)

مَجْلِسُ آخِرٍ

وَمَنْ تَظَاهَرَ بِالْمَدْلِ وَاشْتَهَرَ بِهِ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءِ الْغَزَّالِ ، وَيَكْنَى أَبُو حُدَيْفَةَ ، وَقِيلَ :
إِنَّهُ مَوْلَى بَنِي ضَبَّةَ ، وَقِيلَ : مَوْلَى بَنِي مَخْزُومٍ ، وَقِيلَ : مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ .

وَرَوَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ غَزَّالًا ، وَإِنَّمَا لَقَّبَ بِذَلِكَ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَكْثُرُ الْجُلُوسَ فِي الْغَزَّالِينَ ،
وَقِيلَ : إِنَّهُ كَانَ يَجْلِسُ فِي الْغَزَّالِينَ عِنْدَ رَضِيحٍ لَهُ يَعْرِفُ بِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْغَزَّالِ . وَذَكَرَ الْمُبَرِّدُ :
أَنَّ^(١) وَاصِلًا كَانَ يَلْزِمُ الْغَزَّالِينَ ، لِيَعْرِفَ الْمُتَعَفِّفَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ، فَيَصْرِفُ صَدَقَتَهُ إِلَيْهِنَّ^(٢) ،
وَلَقَّبَ بِذَلِكَ كَمَا لَقَّبَ أَبُو سَلَمَةَ حَفْصُ بْنُ سَلِيمَانَ بِالْحَلَّالِ ، وَهُوَ وَزِيرُ أَبِي الْعَبَّاسِ^(٣) السَّفَّاحِ ،
وَلَمْ يَكُنْ خَلَّالًا ، وَإِنَّمَا كَانَ مَنْزِلُهُ بِالْكَوْفَةِ بِقَرْبِ الْخَلَّالِينَ ، وَكَانَ يَجْلِسُ عِنْدَهُمْ فَسُمِّيَ خَلَّالًا ،
وَمِثْلُهُ أَبُو عَلِيٍّ الْحَرَمَازِيُّ^(٤) ، وَهُوَ مَوْلَى لَبْنِي هَاشِمٍ ، وَإِنَّمَا لَقَّبَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يَنْزِلُ فِي
بَنِي الْحَرَمَازِ ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ يَزِيدِ الْخُوَزِيِّ ، وَليْسَ بِخُوَزِيٍّ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَنْزِلُ^(٥) بِمَكَّةَ
بِشُعْبِ الْخُوَزِ ، وَأَبُو سَعِيدِ الْمُتَبَرِّئِيِّ ، لِأَنَّهُ نَزَلَ^(٦) بِالْمَقَابِرِ .

١٠

وَكَانَ وَاصِلٌ أَلْفَخَّ فِي الرَّاءِ ، قَبِيحُ اللَّشْفَةِ ؛^(٧) فَكَانَ يَخْلُصُ مِنْ كَلَامِهِ الرَّاءَ^(٧) ، يَمْدِلُ
عِنْدَهَا فِي سَائِرِ مَحَاوِرَاتِهِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا طَرَفًا مِنْ ذَلِكَ فِي أَخْبَارِ بَشَّارِ بْنِ بَرْدٍ^(٨) .

(١) انظر السكامل بشرح المرصفي ٧ : ١١٤ . (٢) في السكامل : « فيجعل صدقه لهن » .

(٣) حراشي الأصل ، ت ، ف ؛ « أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال هو الذي قيل فيه :

إِنَّ الْوَزِيرَ وَزِيرَ آلِ مُحَمَّدٍ أَوْدَى فَمَنْ يَشْنَأَكَ كَانَ وَزِيرًا

إِنَّ السَّلَامَةَ قَدْ تَبَيَّنُ وَرَبَّمَا كَانَ السُّرُورُ بِمَا كَرِهَتْ جَدِيدًا

وَكَانَ يَمِيلُ إِلَى أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . وَانظر أخباره في الفخرى : ١٣٣ .

(٤) هو أبو علي الحسن بن علي الحرمازي ؛ أعرابي راوية ، وكان أيضا شاعرا ، والحرماز : أبو حنيفة بن تميم ؛ وهو الحارث بن مالك بن عمرو بن تميم ؛ (وانظر الفهرست : ٤٨) .

(٥) حاشية ت (من نسخة) : « منزله » .

(٦) حاشية ت (من نسخة) : « ينزل بالمقابر » .

(٧-٧) حاشية ت (من نسخة) : « فكان يخلص كلامه من الراء » .

(٨) انظر ص ١٣٩-١٤٠ من هذا الجزء .

وذكر أبو الحسن البرذعي المتكلم أن إنساناً سأل عمرو بن عُبيد أو غيره عن شيء في القدر بحضرة واصل بن عطاء ، فتكلم السائل بشيء أغضب عمرًا ، فأجابه عمرو بجواب لم يرضه واصل ، فقال له واصل : إياك وأجوبة الغضب فإنها مندمة ، والشيطان يكون معها ، [٥٢] وله في تضاعيفها همزة^(١) ، وقد أوجب الله جلّ وعز على نبيه / عليه السلام أن يستعيد من هزات الشيطان ، وأن يكونوا معه بقوله : ﴿ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ ؛ [المؤمنون : ٩٧] ؛ إلى خاتمة الآية ،^(٢) وقلما شاهدت أحداً أجاب فتثبت في جوابه^(٣) ،^(٤) وما يُطلق به لسانه^(٥) فالحقّه لوم .

قال البرذعي : انظر إلى واصل كيف كلمَ عمرًا ، فأخرج الرء من كلامه ، فقال في موضع « والشيطان يحضرها » : « يكون معها » . وقال : « قد أوجب الله على نبيه » ، ولم يقل : « أمره » . وقال : « وأن يكونوا معه » بدلا من قوله . « ويحضره » ثم قال : « إلى خاتمة الآية » ولم يقل : « إلى آخر الآية » .

قال سيدنا الشريف المرتضى أيده الله : ومما لم يذكره البرذعي أنه عدل عن افتتاح الآية من أجل الرء أيضاً ، لأن أولها : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ ؛ ولولا قصدُهُ إلى العدول لكان ذكرها واجبا من ابتدائها^(٦) ؛ لاسيما وفي ابتدائها تعليم وتوقيف على كيفية ١٥ دعائه والاستمادة به .

وقيل إن رجلا قال له : كيف تقول أسرج الفرس ؟ قال : ألبس الجواد . وقال له آخر : كيف تقول : ركب فرسه ، وجرّ رحله ، قال : استوى على جواده ؛ وسحب عامله .

وذكر أبو الحسين الخياط أن واصلًا كان من أهل مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وآله ٢٠ ومولده سنة ثمانين ومات سنة إحدى وثلاثين ومائة .

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « همز الشيطان وسوسته وغلبته على العقل » .
 (٢-٢) نسخة بحاشية ت : « وقلما شاهدت أحداً أجاب فتثبت في جوابه » .
 (٣-٣) من نسخة بحاشية الأصل ، ت : « وما ينطلق به لسانه » .
 (٤) ش : « من حيث ابتدائها » .

وكان واصل ممن لقيَ أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وصحبه ، وأخذ عنه ، وقال قوم: إنه لقي أبا محمد عليه السلام، وذلك غلطاً؛ لأنَّ محمداً توفي سنة ثمانين أو إحدى وثمانين ، وواصل وُلد في سنة ثمانين .

وواصل هو أول من أظهر المنزلة بين المنزلتين ؛ لأنَّ الناس كانوا في أسماء أهل الكبار من أهل الصلاة على أقوال ؛ كانت الخوارج تسميهم بالكفر والشرك ، والمرجئة تسميهم بالإيمان ، وكان الحسن وأصحابه يسمونهم بالنفاق ، فأظهر واصل القول بأنهم فساق غير مؤمنين ، ولا كفار ، ولا منافقين .

وكان عمرو بن عبيد من أصحاب الحسن وتلاميذه ، فجمِع بينه وبين واصل لينظره فيما أظهر من القول بالمنزلة بين المنزلتين ، فلما ووقفوا على الاجتماع ذُكر أن واصل أقبل ومعه جماعة من أصحابه إلى حنيفة الحسن ، وفيها عمرو بن عبيد جالس ، فلما نظر إلى واصل ، وكان / في عنقه [٥٢] طول واعوجاج قال : أرى عنقاً لا يفلح صاحبها ! فسمع ذلك واصل فلما سلّم عليه قال له : يابن أخى ، إن من عاب الصنعة عاب الصانع ، لتعلق الذى بين الصانع والمصنوع ^(١) ؛ فقال له عمرو بن عبيد : يا أبا حذيفة ، قد وعظت فأحسنت ، ولن أعود إلى مثل الذى كان منى .

وجلس واصل في الحلقة ، وسئل أن يكلم عمراً فقال واصل لعمرو : لِمَ قات إنَّ من أنى كبيرة من أهل الصلاة استحق اسم النفاق ؟ فقال عمرو : لقول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور : ٤] ، ثم قال في موضع آخر : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النوبة : ٦٧] ، فكان كل فاسق منافقاً ؛ إذ كانت ألف ولام المعرفة موجودتين في الفاسق ؛ فقال له واصل : أليس قد وجدت الله تعالى يقول : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة : ٤٥] ، وأجمع أهل العلم على أن صاحب ٢٠

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « بين الصنعة والصانع » . ومن نسخة بحاشية ت أيضا :

« بين الصنعة والصانع » .

الكبيرة يستحق اسم ظالم ؛ كما يستحق اسم فاسق ؛ فالألا كفتت صاحب الكبيرة من أهل الصلاة بقول الله تعالى : ﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ؛ [البقرة : ٢٥٤] ، فعرّف بألف ولام التعريف اللتين في قوله : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ، كما قال في القاذف : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ ﴾ ، فسميته منافقاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ النّٰفِقِينَ هُمُ الفَاسِقُونَ ﴾ ! فأمسك عمرو ، ثم قال له واصل : يا أبا عثمان ؛ أيما أولى أن يُستعمل في أسماء المحدثين من أمتنا؟ ما اتفق عليه أهل الفرق من أهل القبلة ، أو ما اختلف فيه؟ فقال عمرو : بل ما اتفقوا عليه أولى ، فقال له واصل : ألسنت تجد أهل الفرق على اختلافهم يسمون صاحب الكبيرة فاسقاً ، ويختلفون فيما عدا ذلك من أسمائه ؛ لأن الخوارج تسميه مشركاً فاسقاً ، والشيعية تسميه كافر نعمة فاسقاً ! - قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : يعنى بالشيعية الزيدية^(١) - والحسنُ يسميه منافقاً فاسقاً ، والمرجئة^(٢) تسميه مؤمناً فاسقاً؟ فاجتمعوا على تسميته بالفاسق ، واختلفوا فيما عدا ذلك من أسمائه ، فالواجب أن يُسمى بالاسم الذي اتفق عليه وهو الفاسق ؛ لاتفاق المختلفين عليه ، ولا يسمى بما عدا ذلك من الأسماء التي اختلف فيها ، فيكون صاحب الكبيرة / فاسقاً ، ولا يقال فيه إنه مؤمنٌ ولا منافقٌ ، ولا مشركٌ ولا كافر نعمة^(٣) ، فهذا أشبه بأهل الدين .

١٥ فقال له عمرو بن عُبيد : ما بيني وبين الحق عداوة ، والقولُ قولك ، فليشهد عليَّ من حضر أني تارك المذهب الذي كنت أذهب إليه ؛ مِن نفاق صاحب الكبيرة من أهل الصلاة ،

(١) الزيدية : ثلاث فرق ؛ الجارودية والسليمانية ، والإبترية ؛ يجمعها القول بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ؛ في أيام خروجه في زمان هشام بن عبد الملك ؛ (وانظر الفرق بين الفرق : ١٦ ، والمثل والنحل للشهرستاني ٨٧ ، ومفاتيح العلوم ٢١) .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « المرجئة في القديم غير الذين لا يؤيدون العقاب ؛ بل هم الذين كانوا يؤخرون علماً عليه السلام عن غيره من الصغابة ؛ والإرجاء : التأخير » .

وانظر (الفرق بين الفرق ١٩ ، والمثل والنحل للشهرستاني ٧٨ ، ومفاتيح العلوم ٢٠ ، وكشاف اصطلاحات الفنون ٥٧٨) .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « ولا كافر » .

قائلٌ بقول أبي حُدَيْفَةَ في ذلك ، وأنى قد اعتزلت مذهبَ الحسن في هذا الباب . فاستحسنَ الناس هذا من عمرو .

وقيل إن اسمَ الاعتزال إنما اختصَّت به ^(١) هذه الفرقة لاعتزالهم مذهبَ الحسن بن أبي الحسن في تسمية مُرْتَكِبِ الكبيرة من أهل الصلاة بالنفاق ؛ وحسكى غير ذلك .

وقيل إن قَتَادَةَ بَعْدَمَوْتَ الحسن البصرى كان جَلَسَ مَجَاسَهُ ، وكان هو وعمرو بن عُبيد • جميعاً رئيسين متقدمين ^(٢) في أصحاب الحسن ، فجزت بينهما نَفْرَةٌ ، فاعتزل عمرو مجلس قَتَادَةَ ، واجتمع عليه جماعة من أصحاب الحسن ، فكان قَتَادَةَ إذا جالس مجلسه سأل عن عمرو وأصحابه فيقول : ما فعلتِ المعتزلة ؟ فسمُّوا بذلك .

قال سيدنا الشريف المرتضى ذوالمجددين أدام الله علوه : أما ما أُلْزِمَهُ واصل بن عطاء ^(٣) لعمرو بن عبيد أولاً فسديدٌ لازم ^(٤) ، وأما ما كَلَّمَهُ به ثانياً فغير واجب ولا لازم ؛ لأن الإجماع وإن لم يوجد في تسمية صاحب الكبيرة بالنفاق أو غيره من الأسماء كما وجد في تسميته بالفسق فغير ممتنع أن يسمَّى بذلك لدليل غير الإجماع ، ووجودُ الإجماع في الشيء وإن كان دليلاً على صحته ، فليس فقدُه دليلاً على فساده ؛ وواصل إنما أُلْزِمَ عمراً أن يعدل عن التسمية بالنفاق للاختلاف فيه ، ويقصرَ على التسمية بالفسق للاتفاق عليه ، وهذا باطل ، ولو لزم ما ذكره للزمه أن يقال : قد انفق أهلُ الصلاة على استحقات صاحب الكبيرة من أهل القبلة الذمَّ ١٥ والعقاب ، ولم يتفقوا على استحقاقه التخليد في العقاب ، أو نقول إنهم اجمعوا على استحقاقه العقاب ، ولم يجمعوا على فعل المستحق به ، فيجب القول بما اتفقوا عليه ، ونفى ما اختلفوا فيه . فإذا قيل استحقاقه ^(٥) للخلود ، أو فعل المستحق به من العقاب ، وإن لم يجمعوا عليه ،

(١) ت : « إنما اختص » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « مقدمين » .

(٣) من نسخة بجواشي الأصل ، ت ، ف : « عمرو بن عبيد » .

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « واجب » .

(٥) حاشية ت (من نسخة) : « استحقات الخلود » .

[٥٣] فقد علم بدليل غير الإجماع؛ قيل له مثل ذلك فيما عوّل عليه ، وبطل على / كل حال أن يكون الاختلاف في القول دليلاً على وجوب الامتناع منه ، وهذا ينتقض بمسائل كثيرة ذكرها ^ط يطول .

• على أن المقدمة التي قدمها لا تشبه ما ألزم عليها ، لأن الإجماع أولى من الاختلاف فيما يتعارض ويتقابل ، والإجماع والاختلاف في الموضوع الذي كلف عليه واصل عمراً في مكانين ؛ لأن الإجماع هو على تسميته بالفسق ، والاختلاف هو في تسميته بما عداه من الأسماء ، فلا تعارض بينهما ؛ وله أن يأخذ بالإجماع في موضعه ، ويعوّل فيما الاختلاف فيه على دلالة غير الإجماع ، لأن فقد الإجماع من القول لا يوجب بطلانه .

وحتى أن واصلاً كان يقول : أراد الله من العباد أن يعرفوه ثم يعملوا ، ثم يعملوا ، قال الله تعالى : ﴿ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ ﴾ ، فعرفه نفسه ، ثم قال : ﴿ اخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾ ؛ [طه : ١٢] ، فبعد أن عرفه نفسه أمره بالعمل . قال : والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَالصَّابِرِينَ إِنَّا نَسْتَعِينُهُمْ وَإِنَّا لَمُتَوَّصُونَ ﴾ . إلا الذين آمنوا - يعني صدقوا - ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ . علموا وعملوا وعلموا .

وروى المبرّد قال : حدثت أن واصل بن عطاء أقبل في رُقَّةٍ فأحسّوا بالحوارج ، وكانوا قد أشرفوا على العطب ، فقال واصل لأهل الرُقَّة : إن هذا ليس من شأنكم فاعتزلوا ودعوني وإياهم ، فقالوا : شأنك ، فقال الحوارج له : ما أنت وأصحابك ؟ قال : مشركون مستجبرون ليسمعوا كلام الله ، وقيموا حدوده ، فقالوا : قد أجرناكم ؛ قال : فعلمونا أحكامه ، فجمعوا يعلمونه أحكامهم ، وجعل يقول : قد قبلت أنا ومن معي ، قالوا : فامضوا مصاحبين فإنكم إخواننا ؛ قال لهم : ليس ذلك لكم ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَإِن أَعَدَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتِجَارَكَ فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْغِئْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ ؛ [النبوة : ١] ، فأبلغونا مأمننا ، فساروا بأجمعهم حتى بلغوا الأمان ^(١) .

وحكى أن محمداً وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن كأننا ممن دعاها^(١) واصل إلى القول بالعدل ، فاستجابا له ، وذلك لما حجَّ واصل ، ودعا الناس بمكة والمدينة^(٢) .

وحكى أبو القاسم البلخي أن عبد الله قال لابنه محمد : كلَّ خصالك محمودية ابني إلا قولك بالقدر ، قال : يا أبة ، أفشى أقدر على تركه / (أولا أقدر على تركه^(٣)) ؟ فورد الكلام على رجل [٥٤] عاقل فقال : لا عابثك عليه أبدا . قال أبو القاسم : يقول إن كنت أقدر على تركه فهو قولي ، وإن كنت لا أقدر فلم تُمتابني على شيء لا أقدر عليه .

* * *

فأما عمرو بن عبيد فيكنى أبا عثمان ، مولى لبني العدوية ، من بني تميم ، قال الجاحظ : هو عمرو بن عبيد بن باب . وباب نفسه من سبى كأبل ؛ من سبى عبد الرحمن بن سمرة ، وكان باب مولى لبني العدوية قال : وكان أبوه عبيد شريطاً ، وكان عمرو منزهداً ، فكانا إذا اجتازا معاً على الناس قالوا : هذا شرُّ الناس أبو خير الناس ، فيقول عبيد : صدقتم؟ هذا إبراهيم ، وأنا تاريخ .

قال علي بن الجعد : وهو عبيد بن باب ، وكان بوّاباً للحكم بن أيوب ، قال : وكان باب مُكاريهاً ، له دكان معروف يقال له دكان باب ، وكان فارسياً ، وللفرزدق معه خبر مشهور تركنا ذكره لشهرته وفحش فيه .

وذكر أبو الحسين الخياط أن مولد عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء جميعاً في سنة ثمانين ، ١٥ قال : ومات عمرو بن عبيد في سنة مائة وأربع وأربعين ؛ وهو ابن أربع وستين سنة .

روى أن عمراً استأذن على المنصور ، فدخل عليه الربيع^(٤) فقال له : بالباب رجل

(١) حاشية ت (من نسخة) : « ممن دعاها » .

(٢) وانظر ترجمة واصل في (معجم الأدباء ١٩ : ٢٤٦-٢٤٧ ، وابن خلكان ٢ : ١٧٠ ، وفوات الوفيات ٢ : ٣٩٥-٣٩٦ ، ولسان الميزان ٦ : ٢١٤-٢١٥ ، وعبون التواريخ وشذرات العجب - وفيات سنة ١٣١) . (٣-٣) ساقط من م .

(٤) هو الربيع بن يونس بن محمد ، حاجب أبي جعفر المنصور ، ووزيره بعد أبي أيوب المدرياني .

في سنة ١٧٠ ، (وانظر ترجمته وأخباره في ابن خلكان ١ : ١٨٥-١٨٦) .

قال: إني عمرو بن عبيد، وكانت علي المنصور جُبَّةً يمانية محمَّقة^(١)؛ فقال: ويلك يا ربيع! عمرو بالباب؟ قال: نعم، قال: هات لي قيصاً أبيض، فأتاه به، فألقاه عليه، ثم قال: دُرٌّ من خلفي؛ ففظ الجبة وازدُرُّ على - قال الربيع: ولم أكن أرى أحداً يوقِّره المنصور حتى رأيت عمرو بن عبيد - فدخل عليه رجل آدمٌ مربع الكدنة^(٢)، بين عينيه أثر السجود، حسن الأدب، حسن اللسان؛ كأنه لم يزل مع الملوك في توقيره للخليفة، وإعظامه إياه، قال: فسلم، فاجتذبه المنصور ليجلس معه فأبى، وطرح نفسه بين يديه، فسأله واحتفى^(٣) به، فلما أراد عمرو القيام قال له: عِظْنِي يَا أبا عثمان وأوجز، قال له: إن ما في يدك لست بوارثه عن أحد، وإنما هو شيء، صار إليك، وقد كان في يد غيرك قبلك، ولو دام لك لبقى في يد الأول، والسلام. وروى الأصمعي قال: قال مطر الوراق لعمرو بن عبيد: إني لأرحمك مما يقول الناس فيك، فقال عمرو: أتسمعتني^(٤) أقول فيهم شيئاً؟ قال: لا، قال: فإياهم فارحم!

[٥٤] / وقال خالد بن صفوان لعمرو بن عبيد: لم لا تأخذ مني فتقضى ديننا إن كان عليك؟ وتصل رحمتك؟ فقال له عمرو: أما دين فليس عليّ، وأما صلّة رحمتي فلا يجب عليّ، وليس عندي. قال: فما بمنعك أن تأخذ مني؟ قال: يمنعني أنه لم يأخذ أحدٌ من أحد شيئاً إلاّ ذلك له، وأنا والله أكره أن أذلّ لك.

ويقال إن ابن لهيعة أتى عمرو بن عبيد في المسجد الحرام، فسلم عليه، وجلس إليه، وقال له يا أبا عثمان ما تقول في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾؛ [النساء: ١٢٩]؛ فقال: ذلك في محبة القلوب التي لا يستطيعها العبد ولم يكلفها^(٥)، فأما العدل بينهن في القسمة من النفس والكسوة والنفقة فهو مُطبق لذلك، وقد كلفه بقوله

(١) حاشية الأصل: « محمقة، يعني أن نسبتها إلى الين صحيحة ». وفي م: « مخففة » .

(٢) الكدنة: غلظ اللحم على الجسم .

(٣) حاشية ت (من نسخة): « وأحني به » .

(٥) ت: « ولا تكلفها » .

(٤) ت: « أسمعني » .

تعالى: ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾ فيما تطيقون ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ ؛ بمنزلة مَنْ ليست
أيماً ، ولا ذات زوج . فقال ابن لهيعة : هذا والله هو الحق .

ويقال إن عمرو بن عبيد أتى يونس بن عبيد يعزيه عن ابن له ، فقال له : إن أباك كان
أصلك ، وإن ابنك كان فرعك ، وإن امرأ ذهب أصله وفرعه لحري أن يقل بقاؤه . وقيل
إن عبد الله بن عبد الأعلى أخذ هذا المعنى فقال :

صَحْبَتُكَ قَبْلَ الرُّوحِ إِذَا أَنَا نُظْفَةُ تُصَانُ فَمَا يَبْدُو لِعَيْنٍ مَصُونُهَا
أَرَى المَرءَ دِينًا لِلْمَنَابِيا وَمَالِهَا مِطَالٌ إِذَا حَلَّتْ بِنَفْسٍ دُيُونُهَا
فَمَاذَا بَقَاءُ الفِرْعِ مِنْ بَعْدِ أَصْلِهِ سَتَأْتِي الذِي لاقَى الأُصولَ غُصُونُهَا
وأول من سبق إلى هذا المعنى امرؤ القيس في قوله :

فبَعْضَ اللّوْمِ عاذِلْتِي فَإِنِي سَتَغْنِينِي التَّجَارِبُ وانْتِسابِي (١)
إلى عِرْقِ التَّرِي وَشَجْتِ عُرُوقِي وهذا المَوْتُ يَسْلُبُنِي شَبَابِي

وأخذ ذلك لبيد في قوله :

فإن أنت لم تصدقك نفسك فانتسب لعلك تهديك القرون الأوايل (٢)
فإن لم تجد من دون عدنان والدا ودون معد فلتزعك العوايل (٣)
/ وأخذه أيضاً في قوله :

[٥٥]

تَوَدُّ ابْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا وهَلْ أَنَا إِلا مِنْ رَيْبَةٍ أَوْ مُضَرٍّ! (٤)

ونظر إليه محمود الوارق وإبراهيم بن العباس الصولي ؛ أما محمود ففي قوله :

إِذَا ما انْتَسَبْتَ إلى آدَمِ فأمَّ يَكُ بَيْنَكُما مِنْ أبِ
وَجازَتْ سِنُوكَ بِكَ الأَرْبَعِينَ وصِرْتَ إلى الجانِبِ الأَجَنَّبِ

(١) ديوانه : ١٣٣ . (٢) ديوانه : ٨٨ .

(٣) حاشية الأصل : « وجد بخط ابن السكيت رحمه الله : فلتزعك ، ولتزعك (بضم الزاي في الثانية
وقصها في الأولى) ؛ وهو من زاع بزوع بمعنى وزع ، وفتزعك من الروع ، ووزع من الكف . »

(٤) ديوانه : ١ : ٢٨ .

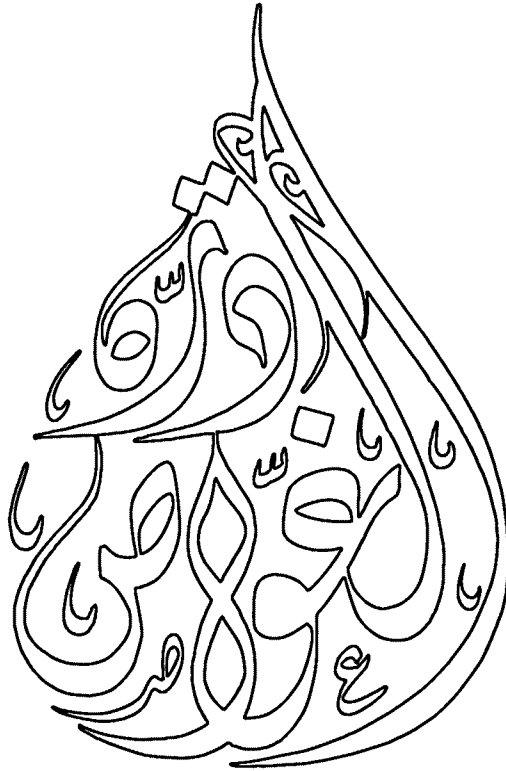
وَدَبَ الْبَيَاضُ خِلَالَ السَّوَادِ فَأَصْبَحَتْ فِي شِمَةِ الْأَشْهَبِ
وَكَيْفَ تُوَمِّلُ طُولَ الْحَيَاةِ إِذَا كَانَ حِلْمُكَ لَمْ يَعْرُبِ

وأما إبراهيم في قوله :

نَعَى نَفْسِي إِلَى أَبِي وَخَبَّرَ أَيْنَ مُنْقَلَبِي (١)
لَمَوْعِظَةٍ رَأَاهَا فِي أَبِيهِ كَمَا رَأَيْتُ أَبِي

وَكَانَ أَبَا نَوَاسٍ لِحَظِّ هَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا هَالِكٌ وَإِبْنُ هَالِكٍ وَذُو نَسَبٍ فِي الْمَهَالِكِينَ عَرِيقُ (٢)
إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَيْبٌ تَكشَفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ



مجلد آخر

قال: رُوِيَ أَنَّ عَمْرُو بْنَ عَبِيدٍ دَخَلَ عَلَى مَعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرٍو النَّغَلَابِيِّ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَقَالَ لَهُ :
إِنَّ اللَّهَ تَعَبَّدَكَ فِي حَالِ الصَّحَّةِ بِالْعَمَلِ بِجَوَارِحِكَ وَقَلْبِكَ ، وَوَضَعَ عَنكَ فِي هَذِهِ الْحَالِ عَمَلَ
الْجَوَارِحِ ، وَلَمْ يَكْلِفْكَ إِلَّا الْعَمَلَ بِقَلْبِكَ ، فَأَعْطِهِ بِقَلْبِكَ مَا يَجِبُ لَهُ عَلَيْكَ .

وَرُوِيَ أَنَّ قَوْمًا اجْتَمَعُوا إِلَى عَمْرٍو بْنِ عَبِيدٍ ، فَتَذَاكَرُوا السَّخَاءَ فَأَكْثَرُوا فِي وَصْفِهِ ،
وَعَمْرٍو سَاكِتٌ ، فَسَأَلُوهُ عَمَّا عِنْدَهُ فَقَالَ : مَا أَصْبَبْتُمْ صِفَتَهُ ؛ إِنَّ السَّخِيَّ مَنْ جَادَ بِمَالِهِ تَبْرُّعًا ،
وَكَفَّ عَنِ أَمْوَالِ النَّاسِ تَوْرَعًا .

وَذَكَرَ إِسْحَاقُ بْنُ الْفَضْلِ الْهَاشِمِيُّ قَالَ : إِنِّي لَعَلَى بَابِ الْمَنْصُورِ يَوْمًا ، وَإِلَى جَنْبِي
عُمَارَةُ^(١) بْنُ حَمْرَةَ ، إِذْ طَلَعَ عَمْرٍو بْنُ عَبِيدٍ عَلَى حِمَارٍ ، فَتَزَلَّ عَنْ حِمَارِهِ ، ثُمَّ دَفَعَ^(٢) الْبَسَاطَ
بِرِجْلِهِ وَجَلَسَ دُونَهُ ، فَالْتَفَتَ إِلَى عُمَارَةَ فَقَالَ : لَا تَزَالِ / بَصَرْتُكُمْ تَرْمِينَا مِنْهَا بِأَحْمَقٍ ؛
فَمَا فَصَلَ كَلَامَهُ مِنْ فِيهِ حَتَّى خَرَجَ الرَّبِيعُ وَهُوَ يَقُولُ : أَبُو عَثْمَانَ عَمْرٍو بْنُ عَبِيدٍ ! قَالَ : ١٠
فَوَاللَّهِ مَا دَلَّ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى أُرْشِدَ إِلَيْهِ ، فَأَتَيْتُكَأَهُ^(٣) يَدَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
جُعِلَتْ فِدَاكَ ! فَمَرَّ مَتَوَكَّنًا^(٤) عَلَيْهِ ؛ فَالْتَفَتَ إِلَى عُمَارَةَ فَقُلْتُ : إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي اسْتَحْمَقَتْ^(٥)

(١) هو عمارة بن حمزة بن ميمون ، من ولد عكرمة مولى عبد الله بن العباس ؛ أحد الكتاب
البلغاء ، وكان سخيا جوادا ، وله أخبار مأثورة في الكرم والجود والتب ، قلده أبو العباس السفاح ضياع
آل مروان ، وقلده أبو جعفر المنصور ديوان خراج البصرة ونواحيها . (وانظر ترجمته وأخباره في كتاب
الوزراء والكتاب للجهمياري : ٩٠ ، ١١٠ ، ١٢٥ ، ١٣٣ ، ١٤٧ ، وتاريخ بغداد ١٢ : ٢٨٠ -
٢٨٠) .

(٢) ش ، وحاشية ت (من نسخة) : « رفح » .

(٣) حواشي الأصل ، ت ، ف : « أتكأه يده ؛ كأنه جعله متكئا عليها ، وأصل التاء في هذه
الكلمة بالواو ؛ يقال : أو كأت فلانا إذا جعلت له متكئا » .

(٤) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « متكئا » .

(٥) ف ، وحاشية ت (من نسخة) : « استحمقته » .

قد أدخل وتركنا ، فقال : كثيراً ما يكون ذلك ، فأطال اللبث ، ثم خرج الربيع وهو متوكئ عليه . والربيع يقول : يا غلام ، حمار أبي عثمان ، فما برح حتى أتى بالحمار ، فأقره على سرجه ؛ وضم إليه نشر^(١) ثوبه ، واستودعه الله .

فأقبل عمارة على الربيع فقال : لقد فعاتم اليوم بهذا الرجل ما لو فعاتموه بولي عهدكم لتقتيم ذمامه . قال : فما غاب عنك مما فعل به أكثر وأعجب ، قال عمارة : فإن اتسع لك الحديث فحدثنا .

فقال الربيع : ما هو إلا أن سمع الخليفة بمكانه ، فما أمهل حتى أمر بمجلس ففرش لبوداً ، ثم انتقل إليه والمهدى معه عليه سواده وسيفه ؛ ثم أذن له ، فلما دخل عليه سلم بالخلافة ، فرد عليه وما زال يُدنيه حتى أتكأه فخذاه وتحفَى به ، ثم سأله عن نفسه وعن عياله ،

١٠ يُسميهم رجلاً رجلاً ، وامرأة امرأة ، ثم قال : يا أبا عثمان ، عظنا فقال : أعود بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم^(٢) بسم الله الرحمن الرحيم^(٣) : ﴿ وَالْفَجْرِ . وَلَيَالٍ عَشْرٍ . وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝ ﴾

[الفجر : ١-٣] ، ومرفها إلى آخرها ، وقال : إن ربك يا أبا جعفر بالمرصاد ، قال : فسكى بكاءً شديداً ؛ كأنه لم يسمع تلك الآيات إلا تلك الساعة ، ثم قال : زدني ، فقال : إن الله أعطاك الدنيا بأسرها

فاشتر نفسك منه ببعضها ، واعلم أن هذا الأمر الذي صار إليك إنما كان في يد من كان قبلك ، ثم أفضى إليك ، وكذلك يخرج منك إلى من هو بعدك ، وإني أحذرك ليلة

١٥ تمخض^(٣) صبيحتها عن يوم القيامة . قال : فسكى أشد من بكائه الأول حتى رجف جنباه .

وفي رواية أخرى أنه لما انتهى إلى آخر السورة قال : إن ربك بالمرصاد لمن عمل مثل عملهم ، أن يُنزَل به مثل ما نزل بهم ، فاتق الله ، فإن من وراء بابك نيراناً تأجج من الجور

(١) النشر ، بالتحريك : المنتشر من كل شيء .

(٢-٢) ساقط من ط ، ف ، م .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « تمخض » .

ما يُعمل فيها بكتاب الله ولا بسنة رسول الله^(١) . فقال : يا أبا عثمان ؛ إنا لنكتب إليهم في الطوامير^(٢) ، / نأمرهم بالعمل بالكتاب والسنة ، فإن لم يفعلوا فما عسى أن نصنع ! فقال له : [٥٦]
مثل أذن الفأرة يُجزيك من الطوامير ، آله تكتب إليهم في حاجة نفسك فينفذونها ،
وتكتب إليهم في حاجة الله فلا ينفذونها ؛ إنك والله لو لم ترض من عمالك إلا بالعدل إذا
لتقرب إليك به من لا نية له فيه .

قال سيدنا أدام الله علوه : رجعنا إلى نسق الحديث ، فقال له سليمان بن مجالد : رفقا بأمر
المؤمنين ، فقد أتعبتهم منذ اليوم ، فقال له : بمثلك ضاع الامر وانتشر ، لا أبالك ! وماذا خفت
على أمير المؤمنين أن بكى من خشية الله ! .

وفي رواية أخرى أن سليمان بن مجالد لما قال له ذلك رفع عمرو رأسه فقال له : من أنت ؟
فقال أبو جعفر : أو لا تعرفه يا أبا عثمان ؟ قال : لا ، ولا أبالي ألا أعرفه ! فقال : هذا أخوك
سليمان بن مجالد ، فقال : هذا أخو الشيطان ، وبلك يابن أم مجالد ! خزنت نصيحتك عن أمير
المؤمنين ، ثم أردت أن تحول بينه وبين من أراد نصيحتته ! يا أمير المؤمنين ؛ إن هؤلاء آخذوك
سلمات لشهواتهم ، فانت كالأخذ بالقرنين وغيرك يجلب ، فاتق الله فإنك ميت وحدك ، ومحاسب
وحدك ، ومبعوث وحدك ، ولن يغني عنك هؤلاء من ربك شيئاً ! فقال له المنصور : يا أبا عثمان ؛
أغني بأصحابك أستعين بهم ، فقال له : أظهر الحق يتبعك أهله ، قال : بلغني أن محمد بن عبدالله
ابن الحسن^(٣) كتب إليك كتاباً ، قال : قد جاءني كتاب يشبه أن يكون كتابه ، قال : فماذا
أجبتة ؟ قال : أو لست قد عرفت رأيي في السيف أيام كنت تختلف إلينا ؟ وإني لا أراه ،
قال : أجل ! ولكن تحلف لي ليطمئن قلبي ! قال : لئن كذبتك تقيّة لأحلفن لك تقيّة ،
قال له : أنت الصادق البار ، وقد أمرت لك بمشرة آلاف درهم ، تستعين بها على زمانك ؛

(١) م : « رسوله » . (٢) الطوامير : جمع طومار ؛ وهو الصحيفة .

(٣) هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ؛ الملقب بالنفس الزكية ؛ وكان من
أفضل أهل بيته ؛ علما وفقها وشجاعة وجودا ؛ قتله أبو جعفر المنصور سنة ١٤٥ ؛ (وانظر ترجمته وأخباره
في مقاتل الطالبين ٢٣٢-٢٩٩) .

فقال : لا حاجة لى فيها ، قال المنصور والله لتأخذنَّها ، قال : والله لا أخذنَّها ، فقال له المهدي : يحلف أمير المؤمنين وتحلف ! فترك المهدي وأقبل على المنصور وقال : من هذا الفتى ؟ فقال : هذا ابني محمد ، وهو المهدي وهو ولي العهد ، فقال : ^(١) والله لقد سميتَه أسماء ما استحقها بعمل ^[٥٦] ^ظ ^٥ ، وألبسته لبوساً ماهو من لبوس الأبرار / ولقد مهَّدت له أمراً أمتع ما يكون به أشغل ^(٢) ما تكون عنه ! ثم التفت إلى المهدي فقال : نعم يا ابن أخي ، إذا حلف أبوك حلف عمك ؛ لأن أباك أقدر على الكفارة من عمك ؛ قال المنصور : يا أبا عثمان ، هل من حاجة ؟ قال : نعم ، قال ما هي ؟ قال : ألا تبعث إليّ حتى آتيك ؛ قال : إذا ^(٣) لا ناتقي ، قال : عن حاجتي سألتني ، ثم ودَّعه ونهض ؛ فلما ولى أتبعه بصره وأنشأ يقول :

كَلُّكُمْ طَالِبُ صَيْدٍ كَلُّكُمْ مَاشٍ رُوَيْدٌ ^(٤)

غَيْرَ عَمْرٍو بْنِ عُبَيْدٍ

١٠

وروي أن هشام بن الحكم قدم البصرة فأتى حاتمة عمرو بن عبيد فجلس فيها وعمرو لا يعرفه ، فقال لعمرو : أليس قد جعل الله لك عينين ؟ قال : بلى ، قال : ولم ؟ قال : لأنظر بهما في ملكوت السموات والأرض فأعتبر ، قال : وجعل لك فماً ؟ قال : نعم ، قال : ولم ؟ قال : لأذوق الطعوم ^(٥) ، وأجيب الداعي ؛ ثم عدَّد عليه الحواس كلها ، ثم قال : وجعل لك قلباً ؟ قال : نعم : قال : ولم ؟ قال : لتؤدي إليه الحواس ما أدركته ، فيميز بينها ، قال :

١٥

(١-١) ت : « والله لقد سميتَه اسماً ما استحقه بعمل » .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ت : « قوله : « أمتع » مبتدأ ، و « أشغل » نصب على الحال ؛ وهو

ساد مسد خبر المبتدأ كقولك : أخطب ما يكون الأمير قائماً » .

(٣) في حاشيتي الأصل ، ت : « إذا انتصب « إذا » لم يكن الفعل الذي بعدها معتمداً على ما قبلها ؛ يقول

لك الفائل : أنا أكرمك ؛ فنقول : إذا أحبك ؛ فإن قلت : أنا إذا أحبك رفعت ؛ لاعتمادها على الابتداء التي

هو أنا ؛ وكذلك : إن تكرمني [بالجزم] إذا أكرمك ، وإذا وقعت على فعل الحال أنميت أيضاً ؛ يقول

لمن يتحدث بحديث : إذا أظنك كاذباً ؛ فنخبر عن حال الظن » .

(٤) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « يمشى رويد » .

(٥) حاشية ت (من نسخة) : « المظوم » .

فَأَنْتَ لَمْ يَرْضَ لَكَ رَبُّكَ تَعَالَى إِذْ خَلَقَ لَكَ خَمْسَ حَوَاسٍ حَتَّى جَعَلَ لَهَا إِمَامًا تَرْجِعُ إِلَيْهِ ؛
أَتَرْضَى ^(١) لِهَذَا الْخَلْقِ الَّذِينَ ^(٢) جَسَّابُهُمُ الْعَالَمَ إِلَّا يَجْعَلُ لَهُمْ إِمَامًا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ ؟ فَقَالَ لَهُ عَمْرُو :
ارْتَفِعْ حَتَّى نَنْظُرَ فِي مَسْأَلَتِكَ ، وَعَرَفَهُ ؛ ثُمَّ دَارَ هَشَامٌ فِي حَقِّ الْبَصْرَةِ فَمَا أَمْسَى حَتَّى
اِخْتَلَفُوا .

وروى أبو عبيدة قال : دخل عمرو بن عبيد على سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس
بالبصرة فقال له سليمان : أَخْبِرْنِي عَنْ صَاحِبِكَ - يَعْنِي الْحَسَنَ - حِينَ يَزْعُمُ أَنْ عَلِيًّا عَلَيْهِ
السَّلَامُ قَالَ : « إِنِّي وَدِدْتُ أَنْ كُنْتُ آكُلُ الْحَشَفَ بِالْمَدِينَةِ وَلَمْ أَشْهَدْ مَشْهَدِي هَذَا » يَعْنِي :
يَوْمَ صِفِّينَ ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ : لَمْ يَقُلْ هَذَا ؛ لِأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَكَّ ،
وَلَكِنَّهُ يَقُولُ : وَدَّ أَنْ كَانَ يَأْكُلُ الْحَشَفَ بِالْمَدِينَةِ ، وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْفِتْنَةُ ؛ فَقَالَ : فَقَوْلُهُ فِي
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ : « يُفْتِنَانَا فِي الْقَمَلَةِ وَالْقَمِيلَةِ ، وَطَارَ بِأَمْوَالِنَا فِي لَيْلَةٍ » ؟ فَقَالَ لَهُ : وَكَيْفَ
يَقُولُ هَذَا ، وَإِبْنُ عَبَّاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمَا لَمْ يَفَارِقْ عَلِيًّا حَتَّى قُتِلَ وَشَهِدَ صَلَاحَ الْحَسَنِ ؟ وَأَيُّ مَالٍ
يَجْتَمِعُ فِي بَيْتِ الْمَالِ بِالْبَصْرَةِ مَعَ حَاجَةِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْأَمْوَالِ / وَهُوَ يَفْرُغُ بَيْتَ مَالٍ [٥٧]
الْكُوفَةِ فِي كُلِّ خَمِيسٍ وَيَرُشُّهُ ؟ قَالُوا : إِنَّهُ كَانَ يَقِيلُ فِيهِ ، فَكَيْفَ يَتْرَكُ الْمَالَ يَجْتَمِعُ بِالْبَصْرَةِ ؟
وَهَذَا بَاطِلٌ .

قال الجاحظ : نازع رجل عمرو بن عبيد في القدر فقال له عمرو : إن الله تعالى قال في كتابه ١٥
ما يزيل الشكَّ عن قلوب المؤمنين في القضاء والقدر قال تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلُنَّهُمْ أَجْمَعِينَ
عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الخجر : ٩٢ - ٩٣] ، ولم يقل : لنسألنهم عما قضيت عليهم أو قدرته
فيهم ، أو أردته منهم ، أو شئتته لهم ؛ وليس بعد هذا الأمر إلا الإقرار بالعدل أو السكوت عن
الجور الذي لا يجوز على الله تعالى .

(١) ت : « فكيف يرضى ... » . (٢) ت : « ولدى »

قال خلاد الأرقط : حدثني زميلُ عمرو بن عبيد قال : سمعتهُ في الليلة التي مات (١) فيها يقول : اللهم إن كنتَ تعلمَ أنه لم يعرض لي أمران قطُّ؛ أحدهما لك فيه رضا، والآخر لي فيه هوَى إلاّ قدّمتُ رضاك على هوأى فاغفر لي .

ومرَّ أبو جعفر المنصور على قبره بمَرَّان - وهو موضع على ليال من مكة على طريق البصرة -

فأنشأ يقول :

صَلَّى الْإِلَهَ عَلَيْكَ مِنْ مُتَوَسِّدٍ قَبْرًا مَرَرْتُ بِهِ عَلَى مَرَّانِ
قَبْرًا تَضَمَّنَ مُؤْمِنًا مُتَخَشِّعًا عَبْدَ الْإِلَهِ وَدَانَ بِالْفُرْقَانِ (٢)
وَإِذَا الرِّجَالُ تَنَازَعُوا فِي شُبُهَةٍ فَصَلَّ الْخِطَابَ بِحِكْمَةٍ وَبَيَانِ
فَلَوْ أَنَّ هَذَا الدَّهْرَ أَبْقَى صَالِحًا أَبْقَى لَنَا عَمْرًا أبا عُثْمَانَ

١٠ فأما أبو الهذيل العلاف فهو محمد بن الهذيل بن عبيد (٣) الله بن مكحول العبديّ

وقال أبو القاسم البلخيّ : هو من موالى عبد القيس ، وولد في سنة أربع وثلاثين ومائة ،

وقال أبو الحسين الخياط : ولد سنة إحدى وثلاثين ومائة ، وقيل : إنه توفي في أول أيام المتوكل سنة خمس وثلاثين ومائتين وسنة مائة سنة .

قال البرذعيّ : لحق أبو الهذيل في آخر عمره خَرَفٌ ؛ إلاّ أنه لم يكن يذهب عليه معرفة

١٥ المذهب والقيام (٤) بحجته ، وكُفَّ بصره قبل وفاته ؛ وأخذ أبو الهذيل الكلام عن عثمان

الطويل صاحب واصل بن عطاء .

[٥٧] وقيل إنّ أبا الهذيل في حدائته بلّغه أن / رجلا يهودياً قدم البصرة ، وقطع جماعةً من
ظ متكلميها ، فقال لعمه : يا عمّ ، امض بي إلى هذا اليهوديّ حتى أُكلمه ، فقال له عمه : يا بنيّ ،

(١) توفي عمرو بن عبيد سنة ١٤٤ ، وانظر ترجمته أيضاً في (ابن خلكان ١ : ٣٨٤-٣٨٥)

والعارف ٢١٢ ، وتاريخ بغداد ١٢ : ١٦٦-١٨٨) .

(٢) من نسخة مجاشيتي الأصل ، ت : « بالقرآن » .

(٣) ت : « ابن عبد الله » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « ولا القيام » .

كيف تكلمه وقد عرفت خبره ، وأنه قطع مشايخ التكلمين ! فقال : لا بدّ من أن تمضى بي إليه ، فضى به قال : فوجدته يقرّر الناس على نبوة موسى عليه السلام ، فإذا اعترفوا له بها قال : نحن على ما اتفقنا عليه إلى أن نجتمع على ما تدعونه ؛ فتقدّمت إليه ، فقلت : أسألك أم تسألني؟ فقال : بل أسألك ، فقلت : ذاك إليك ، فقال لي : أتعترف بأن موسى نبيّ صادق ، أم تنكر ذلك فتخالف صاحبك ؟ فقلت له : إن كان موسى الذي تسألني عنه هو الذي بشرّ بنبيّ عليه السلام ، وشهد بنبوته ، وصدّقه فهو نبيّ صادق ، وإن كان غير من وصفته ؛ فذلك شيطان لأعترف بنبوته ؛ فورد عليه ما لم يكن في حسابه . ثم قال لي : أتقول إن التوراة حق ؟ فقلت : هذه السألة تجرى مجرى الأولى ، إن كانت هذه التوراة التي تسألني عنها هي التي تتضمن البشارة بنبيّ عليه السلام فتلك حق ، وإن لم تكن كذلك فليست بحق ، ولا أقرّ بها . فبُهِتَ وأفجِمَ ولم يدِرْ ما يقول ، ثم قال لي : أحتاج أن أقول لك شيئاً بيني وبينك ، فظننتُ ١٠ أنه يقول شيئاً من الخير ، فتقدّمتُ إليه فسارّني فقال لي : أمك كذا وكذا ، وأمّ من علمك لا يكتفي ، وقدّر أني أثبُّ به ، فيقول : وتبوا بي ، وشغبوا عليّ ، فأقبلتُ على من كان في المجلس فقلت : أعزكم الله ! أستمّ قد وقفتم على سؤاله (١) إياي ، وعلى جوابي إياه ؟ قالوا : بلى ! قلت : أفليس عليه أن يرَدَّ جوابي أيضاً ؟ قالوا : بلى ، قلت لهم : فإنه لما سارّني شتمني بالشم الذي يوجب الحدّ ، وشتم من علمني ، وإنما قدّر أني أثب عليه ، فیدعی أننا واثبناه ، ١٥ وشغبنا عليه ، وقد عرفتمكم شأنه بعد الانقطاع ، فانصروني ، فأخذته الأيدي من كل جهة ، فخرج هارباً من البصرة .

وعن أبي العيناء قال : قال لي أبو الهذيل : ما معنى الحسّف ؟ فقلت : أن تنقلب الأرض ؛ أعلاها أسفلها ، فقال : إلا يكنّ هذا اليوم بالأرض فإنه لبي الناس .

وقال أبو الهذيل : قال لي المذلل بن غيلان العبديّ ، وكان من سادات عبد القيس ، ٢٠ وكان يجتمع إليه أهل النظر : يا أبا الهذيل ، إن في نفسي شيئاً من قول القوم في الاستطاعة ،

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « مسألته » .

[٥٨] فَبَيَّنَ لِي / مَا يَذْهَبُ بِالرَّيْبِ عَنِّي ، فَقَالَ : خَبَّرَنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَسَيَجْزِيهِمْ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [التوبة: ٩] ، هل يَخْلُو من أن يكونَ أَكْذَبَهُمْ لِأَنَّهُمْ مُسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ (١) وَهُمْ تَارِكُونَ لَهُ ، فَاسْتَطَاعَةَ الخُرُوجِ فِيهِمْ وَليْسَ يَخْرُجُونَ ، فَقَالَ : ﴿ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ أَي هُمُ يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ (٢) وَهُمْ يَكْذِبُونَ فَيَقُولُونَ : لَسْنَا نَسْتَطِيعُ ، وَلَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا ، فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ عَلَى هَذَا الوَجْهِ ، أَوْ يَكُونُ عَلَى وَجْهِ آخَرَ : يَقُولُ : ﴿ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ أَي إِنْ أُعْطِيَهُمُ الاسْتَطَاعَةَ لَمْ يَخْرُجُوا ؛ فَتَكُونُ مَعَهُمُ الاسْتَطَاعَةُ عَلَى الخُرُوجِ وَلَا يَخْرُجُونَ ؛ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ ؛ قَدْ كَانَتِ الاسْتَطَاعَةُ عَلَى الخُرُوجِ وَلَا يَكُونُ الخُرُوجُ ، وَلَا يُعْقَلُ لِلآيَةِ مَعْنَى ثَلَاثَ غَيْرِ الوَجْهِينَ الَّذِينَ وَصَفْنَا (٣) .

١٠ وحكى سليمان الرقي أن أبا الهذيل لما ورد سرّاً من رأى نزل في غرفة إلى أن يطلب له داراً تصالح له ، قال : فررت به فقلت له : يا أبا الهذيل ، أنزل في مثل هذا المنزل ! فأشدني : يَقُولُونَ زَيْنُ الرَّءِ يَا مَيُّ رَحْلُهُ أَلَا إِنَّ زَيْنَ الرَّحْلِ يَا مَيُّ رَاكِبُهُ

وعن مجالد (٤) قال : رأيت رجلاً ، وقد سأل أبا الهذيل وهو في الوراقين بقصر وضاح فقال له : مَنْ جَمَعَ بَيْنَ الزَّانِيَيْنِ ؟ فقال له : يابن أخى ، أما بالبصرة فإنهم يقولون : ١٥ القوادون ؛ وَلَا أَحْسِبُ أَهْلَ بَغْدَادٍ يَخَالِفُونَهُمْ عَلَى هَذَا القَوْلِ ، فَمَا تَقُولُ أَنْتَ ! قال : نَحْجِلُ الرَّجْلُ وَسَكَتَ .

وقال أبو الهذيل : قلتُ لرجلٍ مِمَّنْ يَنْفِي الحُرْكَةَ - وَلَمْ يَسْمَعْهُ ، وَزَعَمَ قَوْمٌ أَنَّهُ الْأَصَمُّ - : خَبَّرَنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [النور: ٢] ، وَذَكَرَ القَاضِي فَقَالَ : فَاجْلِدُوهُ ثَمَانِينَ جَلْدَةً (٥) ، فَأَيُّهُمَا أَكْثَرُ ؟ فَقَالَ : حَدُّ (٦)

(١) ت : « للخروج » (٢-٢) ساقط من م . (٣) ت ، ج ، ش : « الذين ذكرنا » .

(٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « عن أبي مجالد » .

(٥) يشير إلى قوله تعالى « وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ » (٦) حاشية ت (من نسخة) : « جلد الزاني » .

فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ؛ [النور: ٤] .

الزَّائِي ، قلت : بَكَمَ ، قال : بعشرين ، قلت : فحَدَّثَنِي ^(١) عن الجلد ، أهُوَ يَدُ الْجِلْدِ؟ قال : لا ، قلت : أَفَهُوَ السَّوْطُ؟ قال : لا ، قلت : فَهُوَ ظَهْرُ الْمَجْلُودِ؟ قال : لا ، قلت : أَفَهُوَ الْإِنْفِرَاجُ الَّذِي بَيْنَ السَّوْطِ وَظَهْرِ الْمَجْلُودِ؟ قال : لا ، قلت : أَفَشَمَّ شَيْءٌ غَيْرَ هَذَا هُوَ الْجِلْدُ؟ قال : لا ، قلت : فَإِنَّمَا تَقُولُ أَنَّ لَاشَيْءَ أَكْثَرُ مِنْ لَاشَيْءٍ بِعَشْرِينَ! فَانْقَطِع .

وقال أبو الهذيل : قلت لجوسى : ما تقول في النار؟ قال : بنت الله ، قلت : فالبقر؟ قال : هـ
ملائكة الله ؛ قَصَّ أَجْنَحَتَهَا ، وَحَطَّهَا / إِلَى الْأَرْضِ يُبْحَثُ عَلَيْهَا ، فَقَات : فاللاء ، قال : نُورٌ [٥٨]
الله ، قلت : فَمَا الْجَوْعُ وَالْمَطْشُ؟ قال : فَتَقَرَّ الشَّيْطَانُ وَفَاقَتُهُ ، قلت : فَمَنْ يَحْمِلُ الْأَرْضَ؟
قال : بَهْمَنُ الْمَلِكِ ، قلت : فَمَا فِي الدُّنْيَا شَرٌّ مِنَ الْجَوْسِ ، أَخَذُوا مَلَائِكَةَ اللَّهِ فَذَبَحُوهَا ، ثُمَّ
غَسَلُوهَا بِنُورِ اللَّهِ ، ثُمَّ شَوَّوهَا بِنَتِ اللَّهِ ، ثُمَّ دَفَعُوهَا إِلَى قَتَرِ الشَّيْطَانِ وَفَاتَهُ ، ثُمَّ سَاحَوهَا
عَلَى رَأْسِ بَهْمَنِ الْمَلِكِ أَعَزَّ مَلَائِكَةَ اللَّهِ! فَانْقَطِعَ الْجَوْسِيُّ ، وَخِجِلَ مِمَّا لَزِمَهُ . ١٠

ودخل أبو الهذيل يوماً على الحسن بن سهل بفم الصَّلْحِ ^(٢) ، وعنده فتى قد رفع مجلسه ،
فقال أبو الهذيل : مَنْ هَذَا الْفَتَى الَّذِي قَدْ رَفَعَهُ الْأَمِيرُ ، لِنُوفِيَّتِهِ بِمَعْرِفَتِهِ حَقَّهُ؟ قال : رجل
من أهل النجوم ، قال : مِنْ أَهْلِ صِنَاعَةِ الْحِسَابِ أَمْ الْأَحْكَامِ؟ قال : الْأَحْكَامِ ، قال : ذَلِكَ
عَمَلٌ يَبْطُلُ ، أَفَأَسْأَلُهُ؟ قال : سَلْ فَأَخَذَ أَبُو الْهَذِيلِ تَفَاحَةً مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَقَالَ : آكُلُ هَذِهِ
التفاحة أم لا؟ قال : تَأْكُلُهَا ، فَوَضَعَهَا أَبُو الْهَذِيلِ وَقَالَ : لَسْتُ آكُلُهَا ، قال : فَتَعِيدُهَا إِلَى ١٥
يدك وأعيد النظر ، فَوَضَعَهَا وَأَخَذَ غَيْرَهَا ، فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ : لِمَ أَخَذْتَ غَيْرَهَا؟ قال : لِثَلَا
يَقُولَ لِي : لَا تَأْكُلُهَا فَآكُلُهَا خِلَافًا عَلَيْهِ فَيَقُولُ لِي : قَدْ أَصَبْتُ فِي الْمَسْأَلَةِ الْأُولَى .

وقال النعمان المناني يوماً لأبي الهذيل : دُلَّ عَلَى حَدُوثِ الْعَالَمِ بِغَيْرِ الْحَرَكَةِ وَالسَّكُونِ ،
فقال له أبو الهذيل : مِثْلُكَ مِثْلُ رَجُلٍ قَالَ لِحُصْمِيهِ : احْضُرْ مَعِيَ إِلَى الْقَاضِيِ وَلَا تَحْضُرْ
بَيْنَتِكَ .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « نخبرني » . (٢) في حاشيتي الأصل ، ت : « فم الصلح :

موضع قريب من واسط » .

وذكر محمد بن الجهم^(١) صاحب الفراء قال : رأيت أبا الهذيل وقد جاء إلى الديوان في أيام المأمون فسأل سهل بن هرون بن راهيئون أن يكتب له كتابا في حاجة له إلى حفصويه صاحب الجيش ، ونهض أبو الهذيل ؛ فأملى على سهل بن هرون :

٥
 إِنْ الضَّمِيرَ إِذَا سَأَلْتِكَ حَاجَةً لِأَبِي الْهُذَيْلِ خِلَافُ مَا أُبْدِي
 فَإِذَا أَتَاكَ لِحَاجَةٍ فَاْمُدُّ لَهُ حَبْلَ الرَّجَاءِ بِمُخَلَفِ الْوَعْدِ
 وَأَلِنْ لَهُ كَنْفًا لِيَحْسُنَ ظَنُّهُ فِي غَيْرِ مَنْفَعَةٍ وَلَا رِفْدِ
 حَتَّى إِذَا طَالَتْ شَقَاوَةٌ جَدِّهِ وَرَجَا الْغِنَى فَاجْبَهُ بِالرَّدِّ
 وَإِنْ اسْتَطَعْتَ لَهُ الْمَضْرَّةَ فَاجْتَهِدْ فِيمَا يَضُرُّ بِأَبْلَغِ الْجَهْدِ
 / وَانظُرْ كَلَامِي فِيهِ فَارْمِ بِهِ خَلْفَ الثَّرِيَّا مِنْكَ فِي الْبُعْدِ^(٢)
 وَكَذَلِكَ فَافْعَلْ غَيْرَ مُحْتَشِمٍ إِنْ جِئْتُ أَسْأَلُ فِي أَبِي الْهِنْدِيِّ^(٣)
 ١٠

قال سيدنا المرتضى أدام الله تأييده : ويشبه هذا المعنى ما أخبرنا به أبو عبيد الله المرزباني قال : حدثني محمد بن أبي الأزهر قال : حدثنا أبو العيناء قال : كان لي صديق فجاءني يوماً فقال لي : أريد الخروج إلى فلان العامل ، وأحببت أن تكون معي إليه وسيلة ، وقد سألت من صديقه ، فقيل لي : أبو عثمان الجاحظ ، وهو صديقك ، فأحب أن تأخذ لي كتابه إليه ١٥ بالعناية ، قال : فصرت إلى الجاحظ ، فقال لي : في أي شيء جاء أبو عبدالله ؟ فقلت : مُسَلِّمًا وقاضياً الحق ، وفي حاجة لبعض أصدقائي وهي كذا وكذا ، فقال : لا تشغلنا الساعة عن المحادثة ، فإني في غد أوجه إليك بالكتاب ، فلما كان من الغد وجهت إلى بالكتاب محتوماً فقلت لابني : وجه هذا الكتاب إلى فلان ، ففيه حاجته ، فقال لي : إن أبا عثمان بعيد الغور فينبغي أن تفضّه وتنظر مافيه ، ففعل فإذا في الكتاب : « كتابي إليك مع من لا أعرفه ،

(١) حاشية الأصل : « محمد بن الجهم السمرى » .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ت : « أي أخف كلامي هذا » .

(٣) حاشية ت : « أبو الهندي اسم رجل كان خاصا به وملازما له » .

وقد كلني فيه من لا أوجب حقه ، فإن قضيت حاجته لم أحمدك ، وإن رددته لم أذمك » .
 فلما قرأت الكتاب مضيت من فوري إلى الجاحظ ، فقال : يا أبا عبد الله ، قد علمت أنك
 أنكرت ما في الكتاب ، فقلت : أو ليس موضع نكرة ! فقال : لا ، هذه علامة بيني
 وبين الرجل فيمن أعتنى به ، فقلت : لا والله ، ما رأيت رجلاً أعلم بطبعك وما جُبلت عليه من
 هذا الرجل ! - أعنى صاحب الحاجة - أعلمت أنه لما قرأ الكتاب قال : أم الجاحظ عشرة ٥
 آلاف ، وأم من يسأله... فقلت : يا هذا ؟ أتستح صدقتنا ؟ فقال : هذه علامتي فيمن أشكره !
 وفي رواية أخرى أن أبا العيناء سلم الكتاب إلى صاحب الحاجة وقال له : فضّر
 الكتاب ، فقال : إنه محتومٌ فقال : طينةٌ أهون من ظنة .

قال سيدنا المرتضى أدام الله علوه : وأظن أن أبا العيناء تنبّه على فضّ الكتاب وقراءته
 بخبر طرفة بن العبد والمتلمّس الصّبعي^(١) ، وذلك أنهما وفّدا على عمرو بن هند ونادماه ، ١٠
 واحتظيا به ، ثم أفضى الأمر إلى أن هجاه كلُّ واحد منهما وعرض به بالشعر
 المشهور^(٢) فحنق عليهما ، وهمّ بقتلهما ، ثم أشفق من ذلك ، وأراد قتلها بيد غيره ،
 وكان على طرفة أحنق ، فعلم أنه إن قتله هجاه المتلمّس : فكتب لها كتاباً إلى البحرين ،
 وقال لها : إني قد كتبت لكما بصلة ، فاشخصاً لقبضها ؛ فخرجا من عنده ، والكتابان في
 أيديهما ، فمرّاً بشيخ جالس على ظهر الطريق ، متكشفاً يتبرز ، ومعه كسرة خبز يأكل ١٥
 منها ، ويتناول القمل من ثيابه فيقصمه ، فقال أحدهما لصاحبه : ما رأيت أعجب من هذا
 الشيخ ! فسمع الشيخ مقالته فقال : وما ترى من عجب^(٣) ! أدخل طيباً ، وأخرج خبيثاً ،
 وأقتل عدواً ، وإن أعجب مني لمن يحمل حنفته بيده ، وهو لا يدرى ! فأوجس المتلمّس في

(١) في حاشيتي الأصل ، ت : « هو من بني ضبيعة بن ربيعة ، واسمه جرير بن عبد الغزى ، وقيل
 ابن عبد المسيح » . (٢) انظر تفصيل الخبر وأبيات الهجاء في (الأغاني ٢١ : ١٢٧ ، والشعر
 والشراء ١٣١ - ١٣٢ ، و ١٣٧ - ١٣٨ ، ومعجم البلدان ٧ : ٢٠٨ ، والخزائفة ١ : ٤١٢ - ٤١٧ .
 ٤٤٦ ، و ٣ : ٧٣ وجمع الأمثال ١ : ٣٥٠ - ٣٥٢ وديوان طرفة : ٥ - ٦ ، وديوان المتلمّس ١٧٢ -
 (١٧٦) . (٣) م : « عجب » .

نفسه خيفة ، وارتاب بكتابه ، ولقيه غلام من أهل الحيرة ، فقال له : أنقرأ يا غلام ؟ قال : نعم ، ففضّ خاتم كتابه ، ودفعه إلى الغلام فقرأه ، فإذا فيه : « إذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه ، واصلبه حياً » .

فأقبل على طرفه فقال له : تمنن^(١) والله لقد كتب فيك بمثل هذا ، فادفع كتابك إلى الغلام يقرؤه عليك ، فقال : كلاً ، ما كان ليحسّر على قومي بمثل هذا ، ولم ياتفت إلى قول المتلمس ، فألقى المتلمس كتابه في نهر الحيرة ، وقال :

قَذَفْتُ بِهَا بِالثَّنَى مِنْ جَنْبِ كَافِرٍ كَذَلِكَ أَفْنُو كُلِّ قِطِّ مُضَلِّلٍ^(٢)
رَضِيَتْ لَهَا بِالمَاءِ لَمَّا رَأَيْتُهَا يَجُولُ بِهَا التَّيَّارُ فِي كُلِّ جَدْوَلٍ
كافر : نهر بالحيرة ، وأفنو : أفتنى ، والقط : الكتاب : والتيار : معظم الماء وكثرته .
وقال المتلمس أيضاً :

مَنْ مُبْلَغُ الشُّعْرَاءِ عَنْ أَخْوَابِهِمْ نَبَأٌ فَتَصَدَّقْتُهُمْ بِذَلِكَ الْأَنْفُسِ^(٣)
أَوْدَى الَّذِي عَلِقَ الصَّحِيفَةَ مِنْهَا وَنَجَا حِذَارَ حِبَائِهِ التَّلْمَسِ
أَلْقَى صَحِيفَتَهُ وَنَجَّتْ كُورَهُ وَجَنَاهُ مُجْمَرَةٌ المُنَاسِمِ عِرْمَسِ^(٤)
عَيْرَانَةٌ طَبَخَ المَوَاجِرُ لِحَمَاهَا فَكَنَّ نَقَبَهَا أَدِيمٌ أَمْسِ^(٥)
أَطْرِيفَةُ بِنِ العَبِيدِ إِنَّكَ حَائِنٌ أِبْسَاحَةِ المَلِكِ المَهْمَامِ تَمْرَسِ !
أَلْقَى الصَّحِيفَةَ لِأَبَاكَ إِنَّهُ يُخْشَى عَلَيْكَ مِنَ الحِبَاءِ النَّقْرَسِ

(١) من نسخة مجاشي الأصل ، ت ، ف : « تعلم » .

(٢) ديوانه : ١٧٦ . (٣) الأبيات في ديوانه ١٩١-١٩٢ ، والخزاعة ٣ : ٧٣ والأغاني

٢١ : ١٢٧ وأخوام : طرفه والمسدس . (٤) الوجناء : الناقة الصلبة ؛ مشتقة من الوجين ؛

وهي الأرض الصلبة ، ومجرة : بمنعة ، والمناسم : جمع منسم ، ومنسما خف البعير كالظفرين في مقدمة ؛

بهما يستبان أثر البعير الضال . والعرمس في الأصل : الصخرة ؛ شبهت بها الناقة ؛ ورواية الديوان :

أَلْقَى صَحِيفَتَهُ وَنَجَّتْ كُورَهُ عَنَسُ مَدَاخِلَةِ الفَقَّارَةِ عِرْمَسِ

(٥) العيرانة : الناقة الصلبة التي تشبه غير الوحش لقوتها ، والنقبة هاهنا : اللون .

النقرس هاهنا : الداهية ، ومضى طرفه بكتابه إلى البحرين ، فأمر به المعلّى بن حنّش^(١) العبدىّ فقتل ؛ فقال المتلمس^(٢) :

عَصَانَا^(٣) فَمَا لَاقَى رَشَادًا وَإِنَّمَا تَبَيَّنَ^(٤) فِي أَمْرِ الْعَوِيّ عَوَاقِبُهُ
فَأَصْبَحَ مَحْمُولًا عَلَى ظَهْرِ آلَةٍ تَمُجُّ نَجِيعَ الْجَوْفِ مِنْهُ تَرَائِبُهُ
فَالَا تَجَلَّلَهَا يُعَالُوكَ فَوْقَهَا وَكَيْفَ تُوَقِّي^(٥) ظَهَرَ مَا أَنْتَ رَاكِبُهُ ! ٥

ولحقّ المتلمس ببلاد الشام ، وهجا عمراً ، وبلغه أن عمراً يقول : لئن وجدته بالعراق ليقتلنّه ، فقال :

أَلَيْتُ حَبَّ الْعِرَاقِ الدَّهْرَ أَطَعَمَهُ وَالْحَبُّ يَا كُفْلُهُ بِالْقَرِيَةِ الشُّوسُ^(٦)
وجرى المثل بصحيفة المتلمس ، فقال الفرزدق يذكر الشعراء الذين أورتوه أشعارهم^(٧) :

١٠ وَهَبَ الْقَصَائِدَ لِي النَّوَابِغُ إِذْ^(٨) مَضَوْا وَأَبُو يَزِيدَ وَذُو الْقُرُوحِ وَجَرُولُ
وَأَخُو بَنِي قَيْسٍ وَهَنَّ قَتْلَنَهُ وَمُهَاطِلُ الشُّعْرَاءِ ذَاكَ الْأَوَّلُ

يعنى بالنوابغ : النابغة الذبياني والجمعدى ، ونابغة بنى شيبان ، ويعنى : بأبى يزيد الحبلى السعدى ، وجرول هو الخطيئة ، وذوالقروح امرؤ القيس ، وأخو بنى قيس هو طرفة . ومعنى قوله : « وهن قتلنه » ، يعنى : القصائد التى هجا بها عمرو بن هند ، ويقال إن صاحب المتلمس وطرفة فى هذه القصة هو النعمان بن المنذر ، وذلك أشبه بقول طرفة :

١٥ أبا مُنْذِرٍ كَانَتْ غُرُورًا صَحِيفَتِي وَلَمْ أُعْطِكُمْ فِي الطَّوْعِ مَالِي وَلَا عِرْضِي^(٩)
أبا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقَ بَعْضُنَا حَمَانِيكَ^(١٠) بَعْضُ الشُّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

وأبو منذر هو النعمان بن المنذر ، وكان النعمان بمد عمرو بن هند ، وقد مدح طرفة النعمان فلا يجوز أن يكون عمرو قتله ، فيشبهه أن تكون القصة مع النعمان .

(١) من نسخة بجواشى الأصل ، ت ، ف : « حنيش . (٢) ديوانه : ١٩٣-١٩٤ .
(٣) حاشية ت (من نسخة) : « عصاني » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « بين » .
(٥) ش : « توقى » ، بكسر القاف المشددة . (٦) ديوانه : ١٨٠ ؛ و « حب » ،
متنصوب على نزع الخائض ؛ والبيت من شواهد (الكتاب ١ : ١٧) ، ومن نسخة بجواشى الأصل :
« فى القرية » . (٧) ديوانه ٢ : ٧٢٠ . (٨) حاشية الأصل : « من نسخة » : « كلم » .
(٩) ديوانه : ٤٨ . (١٠) حاشية الأصل : « حنانيك ؛ أى تخننا بعد تخنن » .

مجلس آخر

وكان أبو سهل بشر^(١) بن المعتز من وجوه أهل الكلام ، ويقال إن جميع معتزلة

بعد ٦٠] / من مستجيبيه .

وقال أبو القاسم البلخي : إنه من أهل بغداد ، وقيل : من أهل الكوفة ، وذكر الجاحظ أنه كان أبرص .

٥ وحكي أنه كان يوماً في مجلسه ، وعنده أصحابه ومعه مجبر يسألهم ويقول: أنتم تحمدون الله على إيمانكم؟ وهم يقولون: نعم ، فيقول لهم : فكأنه يحب أن يُحمد على ما لم يفعل ، وقد ذم ذلك في كتابه ، فيقولون له : إنما ذم من أحب أن يُحمد على ما لم يفعل ؛ ممن لم يعن عليه ، ولم يدعُ إليه ؛ وهو يشغب إذ أقبل ثمامة^(٢) بن أشرس ، فقال بشر للمجبر: قد سألت القوم وأجابوك ، وهذا أبو معن فأسأله عن المسألة فقال له : هل يجب عليك أن تحمد الله على الإيمان؟ قال: لا ، بل هو يحمدني عليه ، لأنه أمرني به ففعلته ، وأنا أحمده على الأمر به ، والتقوية عليه ، والدعاء إليه ؛ فانقطع المجبر . فقال بشر : شنعت فسهلت .

قال الجاحظ : وكان بشر يقع في أبي الهذيل ، وينسبُه إلى النفاق ، فقال وهو يصفه : أبو الهذيل لأن يكون لا يعلم ، وهو عند الناس يعلم أحب إليه من أن يعلم ، ويكون عند الناس لا يعلم ، ولأن يكون من السفلة ، وهو عند الناس من العلية أحب إليه من أن يكون من العلية ، وهو عند الناس من السفلة ، ولأن يكون نبيل المنظر ، سخيّف الخبر أحب إليه من أن يكون نبيل الخبر ، سخيّف المنظر ؛ وهو بالنفاق أشدُّ عُجباً منه بالإخلاص ، ولباطل مقبول أحب إليه من حق مدفوع .

(١) بشر بن المعتز؛ انتهت إليه رئاسة المعتزلة ببغداد؛ وتوفي سنة ٢١٠ . (لسان الميزان ٢ : ٣٣) .

(٢) ثمامة بن الأشرس النخعي ؛ مولى بني نمير ؛ كان زعيم القدرية في زمن المأمون والعتصم والواقع ، وهو الذي دعا المأمون إلى الاعتزال ؛ توفي سنة ٢١٣ ؛ (لسان الميزان ٢ : ٨٣ ، والفرق بين الفرق ١٥٧) .

ولبشر أشعار كثيرة ، يحتج فيها على أهل المقالات . وذكر الجاحظ أنه لم ير أحداً
أقوى^(١) على الحمس والمزدوج^(٢) على ما قوی عليه بشر ، وإنه كان أكثر في ذلك
وأقدر من أبان اللاحق^(٣) ، وهو القائل :

إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا أَقْوَى لَوْ مَا تَقُولُ فَأَنْتَ عَالِمٌ
أَوْ كُنْتَ تَجْهَلُ ذَا وَذَا لَكُ فَكُنْ لِأَهْلِ الْعِلْمِ لَازِمٌ
أَهْلُ الرِّيَاسَةِ مَنْ يَنْدُ أَرْعَاهُمْ رِيَاسَتَهُمْ فَظَالِمٌ
سَهَرَتْ عِيُونُهُمْ وَأَنْدُ تَ عَنْ الَّذِي قَاسَوْهُ حَالِمٌ
لَا تَطْلُبَنَّ رِيَاسَةً بِالْجَهْلِ أَنْتَ لَهَا مُخَاصِمٌ
/ لَوْ لَا مَقَامُهُمْ رَأْيُ تَ الدِّينِ مُضْطَرِبَ الدَّعَائِمِ

[٦١]

فأما أبو إسحق إبراهيم بن سيار النظم ؛ فإنه كان مقدماً في العلم بالكلام ، حسن
الخط ، شديد التدقيق والغوص على المعاني ؛ وإنما أداه إلى المذاهب الباطلة التي تفرّد بها
واستشيعت منه تديقه وتغلغله . وقيل : إنه مولى الزياديين من ولد العبيد ، وإن الرقّ جرى
على أحد آبائه .

وقيل للنظام : ما الاختصار ؟ فقال : الذي اختصاره فساد . وقال لرجل : أتعرف فلاناً
المجوسى ؟ فقال : نعم ، ذلك الذي حلق وسط رأسه ، كما يفعل اليهودى ، فقال النظام :
لا مجوسى عرفت ، ولا يهودى وصفت .

قال الجاحظ وذكر عبد الوهاب الثقفي فقال : هو أحلى من أمنٍ بعد خوفٍ ، وبرئ بعد سقمٍ ،

(١) حاشية الأصل : « من نسخة » : « قوى » .

(٢) حاشية الأصل : « الخمس من الشعر : ما كان خمسة مصارع مقفاه ، يخالفها الخامس أو يوافقها ،

والمزدوج : هو الثنوي » . (٣) هو أبان بن عبد الحميد بن لاحق ؛ شاعر مكثر ؛ وأكثر شعره

مزدوج ومسمط ؛ (وانظر الفهرست ١٦٣) . (٤) هو أبو إسحاق بن سيار النظام البصرى ،

شيخ الجاحظ ، وأحد رموس المعتزلة ؛ وإليه تنسب الفرقة النظامية ؛ (وانظر آراءه في الفرق بين الفرق

وَحِصْبٍ بَعْدَ جَدْبٍ ، وَغَنَى بَعْدَ فَقْرٍ ، وَطَاعَةَ الْمَهْبُوبِ ، وَفِرْجَ الْمَسْكُورِ ، وَمِنَ الْوَصْلِ (١)

الدائم ، مع الشباب الناعم ؛ وللنظام شعر كثير صالح ، فمنه :

يَا تَارِكِي جَسَدًا بِغَيْرِ فُؤَادٍ أَسْرَفْتَ فِي الْهُجْرَانِ وَالْإِبْعَادِ
 إِنْ كَانَ يَمْنَعُكَ الزِّيَارَةَ أَعْيُنُ فَادْخُلِي عَلَيَّ بِعِلَّةِ الْعَوَادِ
 كَيْمَا أُرَاكَ وَتِلْكَ أَعْظَمُ نِعْمَةٍ مَلَكَتْ يَدَاكَ بِهَا مَنِيْعَ قِيَادِي
 إِنْ الْعَيُونَ عَلَى الْقُلُوبِ إِذَا جَنَّتْ كَانَتْ بَلِيَّتَهَا عَلَى الْأَجْسَادِ

وله :

تَوَهَّمَهُ (٢) طَرْفِي فَآلَمَ خَدَّهُ فَكَانَ (٣) مَكَانَ الْوَهْمِ مِنْ نَظْرِي أَثْرُ
 وَصَافِحُهُ قَلْبِي فَآلَمَ كَفَّهُ فَمِنْ صَفْحِ قَلْبِي فِي أَنَامِلِهِ عَثْرُ
 وَمَرَّ بِقَلْبِي خَاطِرًا فَجَرَحْتُهُ وَلَمْ أَرَ خَلْقًا (٤) قَطُّ يَجْرَحُهُ الْفِكْرُ
 يَمُرُّ فَمِنْ لَيْنٍ وَحُسْنِ تَعَطُّفٍ يُقَالُ بِهِ سُكْرٌ وَلَيْسَ بِهِ سُكْرُ

ويقال إن أبا العتاهية ، قال : أنشدت النظام شعراً :

إِذَا هَمَّ النَّدِيمُ لَهُ بِالْحِظِّ تَمَشَّتْ فِي مَحَاسِنِهِ الْكُلُومُ

فقال : ينبغي أن ينادم هذا أعمى .

١٥ قال سيدنا المرتضى أدام الله علوه : وأبيات النظام تتضمن معنى بيت أبي العتاهية ،
 [٦١] ولسنا ندرى أيهما أخذ من صاحبه ، والنظام يكرر هذا المعنى / كثيراً في شعره ، فمن ذلك
 ط قوله :

رَقَّ فُلُوهُ بَزَّتْ سَرَائِيلُهُ عَلَّقَهُ الْجَوْءُ مِنَ اللَّطْفِ (٥)
 يَجْرَحُهُ اللَّحْظُ بِتَكَرُّرِهِ وَيَشْتَكِي الْإِيْمَاءَ بِالطَّرْفِ

(١) حاشية ت (من نسخة) : « الوصال » . (٢) ف ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ت

« تأمله » . (٣) من نسخة بحاشية ت : « فصار » . (٤) من نسخة بحاشية الأصل

« جسما » . (٥) حاشية ت : « يعني أن في سراييله نفلا واعتمادا باقيا ، فلو بزت لعلقه الجو » .

وحكى أن أبا النظام^(١) جاء به وهو حدث إلى الخليل بن أحمد ، ليعلمه ، فقال له الخليل يوماً يمتحنه ، وفي يده قَدَحٌ زجاج : يا بني ، صف لي هذه الزجاجية ، فقال : أمدح أم بدم ؟ قال : بمدح ، قال : نعم ، تريك القَدَى ، لا تقبل الأذى ، ولا تستر ماورا ؛ قال : فذمها ، قال : سريع كسرُها ، بطي جبرُها^(٢) ، قال : فصِفْ هذه النخلة ، وأومأ إلى نخلة في داره ، فقال : أمدح أم بدم ؟ قال : بمدح ، قال : هي حُلُوٌ مجتناها ، باسقٍ منهاها ، ناضر^٥ أعلاها ؛ قال : فذمها قال : هي صَعْبَةُ المرتقى ، بعيدةُ المجتنى ، محفوفةٌ بالأذى ؛ فقال الخليل : يا بني ، نحن إلى التعلم منك أحوج .

قال سيدنا المرتضى أدام الله علوه : وهذه بلاغة من النظام حسنة ، لأن البلاغة هي وصف الشيء ذمًا أو مدحًا بأقصى ما يقال فيه .

وشبه بهذا المعنى خبر لبيد^(٣) المشهور في هجائه^(٤) البقلة ، التي امتحنَ بهجائها ، ١٠ واختبر بدمها ، فقال فيها أبلغ ما يقال في مثلها ، وذلك أن عمارة وأنسا وقيسًا والربيع بن زياد العباسيين وفدوا على النعمان بن المنذر ، ووفد عليه العامريون بنو أم البنين^(٥) ، وعليهم أبو البراء عامر بن مالك جعفر بن كلاب ، وهو ملاعبُ الأسنّة ، وكان العامريون ثلاثين رجلاً ،

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « كان النظام شاعرا فصار متكلمًا ، وبالعكس منه أبو نواس » .
(٢) من نسخة بحاشية ت : « بعيد » . (٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « كان لبيد صحابيا مخضرا ، وبق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله زمانا ، وكان مستبصرا حسن الطريقة ، وكان لا يقول الشعر بعد إسلامه . ويقول : عوضني الله البقرة وآل عمران والمخضرم : الذي أدرك الجاهلية والإسلام » .
وانظر الخبر ضمن ترجمة لبيد وذكر نسبه وأخباره في (الأغاني ١٤-٩٠-٩٨ ، والخزانة ٤ : ١١٧ ، ومجالس ثعلب ٤٤٩-٤٥٠ ، وشعراء النصرانية ٧٩٠ ، والعمدة ١ : ٢٧ ، والحيوان ٥ : ١٧٣) .

(٤) من نسخة بحاشية ت : « وهجائه » . (٥) هي فاطمة بنت الخرشب الأمازية ؛ إحدى المنجيات من العرب ؛ وكان يقال لبيها الكملة ؛ روى أن عبد الله بن جدطان لقيها وهي تطوف بالكعبة ؛ فقال لها : نشدتك الله برب هذه البنية ! أي ببنيك أفضل ؟ قالت : الربيع ؛ لابل عمارة ؛ لابل أنس ؛ شكلتهم إن كنت أدرى أيهم أفضل » ، (وانظر الأغاني ١٦ : ١٩) .

وفيهم لبيدُ بنُ ربيعةَ بن مالك بن جعفر بن كلاب ، وهو يومئذ غلام له ذُوابة ، وكان الربيعُ ابن زياد العبسي ينادم النعمان ، ويكثرُ عنده ، ويتقدم على مَنْ سواه ، وكان يُدعى السكامل ، لشطاطه^(١) وبياضه وكأله .

فضرب النعمان قُبَّةً على أبي براء ، وأجرى عليه وعلى مَنْ كان معه الثُّرْل ، فكانوا يحضرون النعمان لحاجتهم ، فافتخروا يوماً بحضرتة ، فكاد العبسيون يغلبون العامريين ، وكان الربيع إذا خلا بالنعمان طعن فيهم ، وذكر معايبهم ؛ ففعل ذلك مراراً لمداوته لبني جعفر ؛ لأنهم كانوا أسروه ، فصدَّ النعمانُ عنهم حتى نزع القبة عن أبي براء ، [٦٢] وقطع / الثُّرْل ، ودخلوا عليه يوماً فأروا منه جفاءً ، وقد كان قبل ذلك يكرمهم ، ويقدم مجاسمهم ، فخرجوا من عنده غضاباً ، وهمَّوا بالانصراف ، ولبيد في رحالهم يحفظُ أمتعتهم ، ويغدو بإبلهم فيرعها ، فإذا أمسى انصرف بها .

فأتاهم تلك الليلة وهم يتنذاكرون أمر الربيع ، فقال لهم : ما كنتم^(٢) تتناجون؟ فكتموه ، وقالوا له : إليك عنا ، فقال : أخبروني ، فاعلَّ لكم عندي فرجاً ، فزجروه ، فقال : والله لا أحفظ لكم متاعاً ، ولا أسرح لكم بغيراً^(٣) أو تُخبروني ؟ وكانت أم لبيد عبسية في حجر الربيع ، فقالوا له : خالك قد غلبنا على الملك ، وصدَّ^(٤) عنا وجهه ، فقال : هل تقدرين أن تجمعوا بيني وبينه غدا حين يقعد الملك فأرجز به رجزاً مُحصّاً مؤلماً ، لا يلتفت إليه النعمان بعده أبداً؟ قالوا له : وهل عندك ذلك؟ قال : نعم ، قالوا : فإننا نبلوك بشتم^(٥) هذه البقلة . وقدامهم بقلة دقيقة القضبان ، قليلة الورق ، لاصقة فروعها بالأرض ، تدعى التربة . فاقتلعها من الأرض وأخذها بيده ، وقال : « هذه البقلة التربة الثقيلة الرذلة ، التي لاتذكي ناراً ، ولاتؤهل داراً ، ولا تستر جارا ، عودها ضئيل ، وفروعها ذليل ، وخيرها قليل ، بلدها شاسع ونبتها خاشع ، وآكلها

(١) حاشية الأصل : « الشطاط هو استواء الفامة وحسنها ، والشطط : الخلاف والجدل » .

(٢) حاشية الأصل : « مالكم » . (٣) من نسخة مجاشيتي ت : « إبلا » .

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « وأصدعنا » . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « فاشتم »

جائع ، والمقيم عليها قانع ؛ أقصر البقول فرعاً ، وأخبثها مرعى وأشدّها قلعاً ، فحجرُ بآ^(١) لجارها وجدعا ! القوابي^(٢) أخا بني عبس ، أرجعه عنكم بتعس ونكس ، وأتركه من أمره في لبس . فقالوا له : نصبح ونرى فيك رأينا .

فقال لهم عامر : انظروا إلى غلامكم هذا ، فإن رأيتموه نائماً فليس أمره بشيء ، وإنما تكلم بما جرى على لسانه ، وإن رأيتموه ساهراً فهو صاحبكم ، فرمقوه بأبصارهم ، فوجدوه قد ركب رحلاً يكدم واسطته ؛ حتى أصبح فلما أصبحوا ، قالوا : أنت والله صاحبه ، فحلقوا رأسه ، وتركوا له ذؤابتين ، وألبسوه حُلّة ، وغدوا به معهم ، فدخلوا على النعمان فوجدوه يتغدى ومعه الربيع ، ليس معه غيره ، والدار والمجالس مملوءة ، بالوفد فلما فرغ من الغداء أذن للجعفرين فدخلوا عليه ، والربيع إلى جانبه ، فذكروا للنعمان حاجتهم ، فاعترض الربيع في كلامهم ، فقام ليبيد : وقد دهن أحد شقّي رأسه ، وأرخى إزاره ، وانتعل نملا واحدة . وكذلك [٦٢] كانت الشعراء تفعل في الجاهلية إذا أرادت الهجاء - فمثل بين يديه ، ثم قال :

يَارُبُّ هَيْجَاهِي خَيْرٌ مِنْ دَعَةٍ^(٣) إِذْ لَا تَزَالُ هَامَتِي مُتَقَرَّعَةً
نَحْنُ بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ الْأَرْبَعَةَ وَنَحْنُ خَيْرُ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ
الطُّعْمُونَ الْجَفْنَةَ الْمُدَّعَةَ^(٤) وَالضَّارِبُونَ الْهَامَ تَحْتَ الْخَيْضَمَةَ

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « غربا » [بفتح الراء] ، وفي حاشية ت (من نسخة) : « غزريا » .
(٢) حاشية ت (من نسخة) : « فألقوا » . (٣) الأرجوزة في ديوانه ١ : ٧-٨ ، وقبل هذا البيت في رواية تلميذ :

* لَا تَزَجِرِ الْفِتْيَانَ عَنْ سُوءِ الرَّعَةِ *

والرعة : حالة الأحمق التي رضى بها . (٤) كذا في ت ، وفي الأصل ، دف : « المددعة » بالذال المعجمة . وفي حاشية الأصل : « حقه » المددعة » بالذال غير المعجمة ؛ وهي المملوءة ، والمددعة تحريك السكياي ونحوه ليسم الشيء ، ودعدت الشيء ملأته ، وجفنة مددعة أي مملوءة ، قال ليبيد أيضا يصف ماء بين القيا من السيل :

فَدَدَعَا سُرَّةَ الرِّكَاءِ كَمَا دَدَعَعَ سَاقِي الْأَعَاجِمِ الْغَرَبَا

- والركاء : واد معروف ، أما المددعة ؛ فهو التفريق ؛ ولم يسم في معنى اللره بالذال ، والله أعلم .

مَهْلًا أَيْتَ اللَّعْنِ لَا تَأْكُلْ مَعَهُ إِنَّ اسْتَهَ مِنْ بَرَصٍ مُلْتَمَعٍ
وَإِنَّهُ يُدْخِلُ فِيهَا إصْبَعَهُ يُدْخِلُهَا حَتَّى يُوَارِيَ أَشْجَعَهُ
كَأَنَّهُ يُطَلِّبُ شَيْئًا ضَيْعَهُ

فَلَمَّا فَرِغَ لِبَيْدِ النَّعْمَانِ إِلَى الرَّبِيعِ يَرْمِقُهُ شَرًّا ، وَقَالَ : كَذَلِكَ أَنْتَ ؟ قَالَ : كَذِبٌ
• وَاللَّهُ ابْنُ الْحَيِّقِ اللَّيْمِ ! فَقَالَ النَّعْمَانُ : أَفَ لِهَذَا الطَّعَامِ ، لَقَدْ خَبَثَ عَلَيَّ طَعَامِي ! فَقَالَ
الرَّبِيعُ : أَيْتَ اللَّعْنِ ! أَمَا إِنِّي قَدْ فَعَلْتُ بِأُمِّهِ - لَا يَكْفِي ، وَكَانَتْ فِي حِجْرِهِ - فَقَالَ لِبَيْدِ : أَنْتَ
لِهَذَا السَّكَّامِ أَهْلٌ ، أَمَا إِنَّهَا مِنْ نِسْوَةٍ غَيْرِ فُعَلٍ ، وَأَنْتَ الْمَرْءُ قَالَ هَذَا فِي يَتِيمَتِهِ (١) .

قَالَ سَيِّدُنَا أَدَامُ اللَّهُ عَالُوهُ : وَجَدْتُ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : أَمَا إِنَّهَا مِنْ نِسْوَةٍ فُعَلٍ ، وَإِنَّمَا قَالَ
ذَلِكَ لِأَنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ الرَّبِيعِ ، فَنَسَبَهَا إِلَى الْقَبِيلِ ، وَصَدَّقَهُ عَلَيْهِ تَهْجِينًا لَهُ وَلِقَوْمِهِ .

١٠ فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِهِمْ جَمِيعًا فَأَخْرَجُوا ، وَأَعَادَ عَلَى أَبِي بَرَاءِ الْقُبَّةَ ، وَانصَرَفَ الرَّبِيعُ إِلَى مَنْزَلِهِ ،
فَبَعَثَ إِلَيْهِ النَّعْمَانُ بَضْعِيفٍ مَا كَانَ يُحْبَوهُ بِهِ ، وَأَمَرَهُ بِالْانصِرَافِ إِلَى أَهْلِهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : إِنِّي
قَدْ تَخَوَّفْتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ وَقَعَ فِي صَدْرِكَ مَا قَالَ لِبَيْدِ ، وَلَسْتُ بِرَأْمٍ حَتَّى تَبْعَثَ إِلَيَّ مَنْ
يَجْرِدُنِي ، لِيَعْلَمَ مَنْ حَضَرَكَ مِنَ النَّاسِ إِنِّي لَسْتُ كَمَا قَالَ ، فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ : إِنَّكَ لَسْتَ صَانِعًا
بِاتِّفَاقِكَ مِمَّا قَالَ لِبَيْدِ شَيْئًا ، وَلَا قَادِرًا عَلَى رَدِّ مَا زَلَّتْ بِهِ الْأَلْسُنُ ، فَالْحَقُّ بِأَهْلِكَ ؛ ثُمَّ كَتَبَ

١٥ إِلَيْهِ النَّعْمَانُ فِي جُمْلَةِ أَبِياتٍ جَوَابًا عَنْ أَبِياتٍ (٢) كَتَبَهَا إِلَيْهِ الرَّبِيعُ مَشْهُورَةٌ :

(١) مِنْ نَسْخَةِ بِحَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ت : « رَبِيبَتِهِ » .

(٢) الْأَبِيَاتُ بِرِوَايَةِ صَاحِبِ الْأَغَانِي :

لَمَّا رَحَلْتُ جِمَالِي إِنَّ لِي سَعَةً	مَامَثُهَا سَعَةً عَرَضًا وَلَا طُولًا
بِحَيْثُ لَوْ وَزَنْتُ نَحْمًا بِأَجْمَعِهَا	لَمْ يَعْدِلُوا رِيْشَةً مِنْ رِيْشِ سَمُوِيَلًا
تَرَعَى الرِّوَائِمُ أَحْرَارَ الْبِقُولِ بِهَا	لَا مِثْلَ رَعِيْكُمْ مَلْحًا وَغَسُوِيَلًا
فَابْرُقْ بِأَرْضِكَ يَا نَعْمَانُ مُتَكِنًا	مَعَ النَّظَّاسِيِّ يَوْمًا وَابْنَ تَوْفِيَلًا

قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إِنْ حَقًّا وَإِنْ كَذِبًا فَمَا اعْتَدَارُكَ مِنْ شَيْءٍ إِذَا قِيلًا! (١)

وأخبرنا بهذا الخبر أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا / [٦٣]
أبو حاتم عن أبي عبيدة ، وأخبرنا به أيضا المرزباني قال حدثني محمد بن أحمد الكاتب قال :
حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح النحوي قال : أخبرنا محمد بن زياد بن زبَّان عن الكلابي عن
عبدالله بن مسلم البكاوي (٢) - وكان قد أدرك الجاهلية - وفي حديث كل واحد زيادة على الآخر ،
ولم نأت بجميع الخبر على وجهه ، بل أسقطنا منه ما لم نحتج إليه ، وأوردنا ما أوردنا منه
بألفاظه .

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : أما قوله : « نَحْنُ بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ » فإنه نَصَبٌ

على المدح ، والعرب تنصب على المدح والذم جميعاً . وأم البنين هي بنت عمرو بن عامر بن ربيعة
ابن صَعْمَةَ ، وكانت تحت مالك بن جعفر بن كلاب ، فولدت له منه عامر بن مالك مُلَاعِب ١٠
الأسنَّة ، وطُفَيْل بن مالك فارس قُرْزُل ، وهو أبو عامر بن الطُفَيْل ، وقُرْزُل فارس كانت له ،
وربيعة بن مالك أبا لبيد ، وهو ربيع المقتريين ، ومعاوية بن مالك معوّد الحكام ، وإنما سمي
معوّد الحكام بقوله :

أَعُوذُ مِثْلَهَا الْحُكَّامَ بَعْدِي إِذَا مَا الْحَقُّ فِي الْأَشْيَاءِ نَابَا

(١) البيت من مقطوعة ذكرها صاحب الأغاني ؛ وهي :

شَرُّدَ بِرَحْلِكَ عَنِّي حَيْثُ شِئْتَ وَلَا تُكْثِرْ عَلَيَّ وَدَعَّ عَنْكَ الْأَبَاطِيلَا
فَقَدْ ذُكِرْتَ بِشَيْءٍ لَسْتُ نَاسِيَهُ مَا جَاوَرَتْ مَعْرَ أَهْلَ الشَّامِ وَالنِّيْلَا
فَمَا اتَّقَاؤُكَ مِنْهُ بَعْدَ مَا جَرَعْتَ هَوَجُ الْمَطِيِّ بِهِ نَحْوُ ابْنِ سَمُوِيَلَا
قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إِنْ حَقًّا وَإِنْ كَذِبًا فَمَا اعْتَدَارُكَ مِنْ قَوْلٍ إِذَا قِيلًا!
فَالْحَقُّ بِحَيْثُ رَأَيْتَ الْأَرْضَ وَاسْمَةً وَانْشَرِبَهَا الطَّرْفَ إِنْ عَرَضَا وَإِنْ طَوَّلَا

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « البكاوي »

وولدتُ عُبيدَةَ الوضّاحِ ؛ فهؤلاء خمسة ، وقال لبيد : « أربعة » ، لأن الشعر لم يمكنه من ذلك ^(١) .

وأما الجفنة المدّعة ^(٢) فهي المملوءة . وأما الخيضة ، فإن الأصمعيّ يذكر أن لبيداً قال : « تحت الخضة » ؛ يعني الجلبة ، فسوّته الرواة . وقيل : إن الخيضة أصوات وقع السيوف ، والخيضة أيضاً البيضة التي تلبس على الرأس ، والخيضة الغبار ، والقول يحتمل كلّ ذلك .
وأما : « أبيت اللعن » ، فإن أبا حاتم قال : سألتُ الأصمعيّ عنه فقال : معناه أبيت أن تأتي من الأمور ما تلعن عليه .

وأما : « الأشاجع » ؛ فهي العروق والمصب الذي على ظهر الكفّ .

وقد روى : * أكل يوم هامتي مقرّعة *

١٠ والقزاع : تساقط بعض الشعر والصوف وبقاء بعضه ، يقال : كبش أقزاع ونمجة قزاع .

فأما الجاحظ فهو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب ، مولّى لأبي التماس عمرو بن قلع الكِنانيّ ثمّ الفُقَيْمِيّ . وذكر المبرّد أنه ما رأى أحراً على العلم من ثلاثة : الجاحظ ، والفتح بن خاقان ، وإسماعيل بن إسحاق القاضي ؛ فأما الجاحظ فإنه كان إذا وقع في يده كتاب قرأه من أوله إلى آخره ، أمّ كتاب كان . وأما الفتح / بن خاقان ^(٣) فإنه كان يحمل الكتاب في خفه ، فإذا قام بين يدي المتوكل للبول أو للصلاة أخرج الكتاب فنظر فيه وهو يمشي حتى يبانح الموضع الذي يريد ، ثم يصنع مثل ذلك في رجوعه إلى أن يأخذ

(١) قال صاحب الخزانة (٤ : ١٧٤) : قول السيد المرتضى : إن لبيداً إنما قال أربعة وهم خمسة

أضرورة الشعر ؛ هذا قول انفراد ؛ وهو قول دارغ ؛ والصواب كما قال ابن عصفور في الضرائر : لم يقل إلا أربعة وهم خمسة على جهة الغلط ؛ وإنما قال ذلك لأن أباه كان قد مات وبقى أعمامه وهم أربعة .

(٢) في الأصل : « المدّعة » ، وصوابه من ت ؛ وانظر الحاشية رقم ٢ ص ١٩١ ، من هذا الجزء .

(٣) هو الفتح بن خاقان وزير المتوكل ؛ قتل معه سنة ٢٧٤ ؛ (النجوم الزاهرة ٢ : ٣٢٥) ؛

مجلسه . وأما إسماعيل بن (١) إسحاق فإني مادخلتُ عليه قطُّ إلا وفي يده كتاب ينظر فيه ، أو يقبَل الكتبَ لطلب كتاب ينظر فيه .

قال البَکْحِيّ : تفرّد الجاحظ بالقول بأن المعرفة طِبَاع ، وهي مع ذلك فعل للعباد على الحقيقة ، وكان يقول في سائر الأفعال إنها تنسب إلى العباد على أنها وقعت منهم طباعاً ، وأنها وجبت بإرادتهم ، وليس بجائز أن يبلغ أحدهُ فلا يعرف الله تعالى ؛ والكفار عنده بين معانيدٍ ، وبين عارفٍ قد استغرقه حُبُّه لمذهبه وشفغفه به وإلفه وعصبيته ؛ فهو لا يشعر بما عنده من المعرفة بخلافه .

وكان الجاحظ ملازماً لمحمد بن عبد الملك الزيات (٢) ، وكان منحرفاً عن أحمد بن أبي دؤاد ، للعداوة التي كانت بين أحمد ومحمد ، فلما قبض على محمد بن عبد الملك الزيات هرب الجاحظ ، فقيل له : لم هربت ؟ فقال : خِفْتُ أن أكون ثانياً اثنين إذ هما في التنوُّر ! يريد : ما صنَع ١٠ بمحمد بن عبد الملك من إدخاله تنوراً فيه مسامير ، كان هو صنَعه ليعذب الناس فيه ، فعذب به حتى مات .

وروى أنه أتى بالجاحظ بعد موت ابن الزيات وفي عنقه سلسلة ، وهو مقيد في قيص سمَل ، فلما نظر إليه ابن أبي دؤاد قال : والله ما علمتُك إلا متناسياً للنعمة ، كفورا للصنعة ، معدناً للمساوى ، وما فُتِنني باستصلاحي (٣) لك ، ولكنَّ الأيام لا تُصلح منك ١٥ لفساد طويبتك ، ورداءة دَخيلتك (٤) ، وسوء اختيارك ، وغالب طبعك ؛ فقال الجاحظ : خَفِضْ عليك أيدك الله ! فوالله لأنَّ يكونَ لك الأمر على خيرٍ من أن يكون لي عليك ، ولأنَّ أسيء وتُحسن أحسنُ في الأحداثِة عنك من أن أحسن قُتسيء ، ولأنَّ تعفوَ عني في حال قُدُرتك

(١) هو إسماعيل بن إسحاق القاضي البصري الفقيه المالكي ؛ صنف في الفراءات والفقهِ ؛ وكان إماماً في العربية ؛ قال المبرد ؛ هو أعلم بالتصريف مني ؛ وتوفي سنة ٢٨٢ ؛ (شذرات الذهب ٢ : ١٧٨) .

(٢) هو محمد بن عبد الملك بن أبان ، المعروف بابن الزيات ؛ كان وزير المعتصم ، وله شعر سائر جيد ، وديوان رسائل ، وتوفي سنة ٢٣٣ ؛ (ابن خلكان ٢ : ٥٤) . (٣) حاشية الأصل : « أي ما فوتني استصلاحيك ، والباء للتمدية » . (٤) ت : « داخلك » .

أَجْمَلُ بكَ مِنَ الْإِنْتِقَامِ مِنِّي ، فَقَالَ ابْنُ أَبِي دُوَادٍ : قَبِحَكَ اللَّهُ ! فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكَ إِلَّا كَثِيرًا تَرْوِيقَ اللِّسَانِ ، وَقَدْ جَمَلْتَ بَيَانَكَ أَمَامَ قَلْبِكَ ، ثُمَّ اضْطَمْنَتْ فِيهِ النِّفَاقَ وَالْكَفْرَ ؛ يَا غِلَامَ صِرْ بِهِ إِلَى الْحَمَامِ ، وَأَمِطْ عَنْهُ الْأَذَى . فَأَخَذَتْ عِنْدَ السَّلْسَلَةِ / وَالْقَيْدِ ، وَأَدْخَلَ الْحَمَامَ ، وَأَمِطَ عَنْهُ الْأَذَى ، [٦٤] وَحَمَلَ إِلَيْهِ تَحْتَ مِنْ ثِيَابٍ وَطَوِيلَةٍ وَخَفَّ ، فَلَبَسَ ذَلِكَ ، ثُمَّ أَتَاهُ فَصَدَّرَهُ فِي مَجْلِسِهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : هَاتِ الْآنَ حَدِيثَكَ يَا أَبَا عَثْمَانَ !

وقال المبرّد: سمعت الجاحظ يقول: احذر مَنْ تَأْمَنُ؛ فإنك على حذرٍ ممن تحاف.
وقال الجاحظ: قلت لأبي يعقوب الخُرَيْمِيُّ الشاعر: مَنْ خَلَقَ الْمَعَاصِيَ؟ قال: الله، قلت: فمن عذّب عليها؟ قال: الله، قلت: فلم؟ قال: لا أدري والله!
وكان الجاحظ يقول: ينبغي للكاتب أن يكون رقيقَ حواشي الكلام، عذّب يبايعه،
١٠ إذا حاور سدّد سهم الصواب إلى غرض المعنى.

وقال: لا تكلم العامة بكلام الخاصة، ولا الخاصة بكلام العامة.
وقال سَوَّارُ بْنُ أَبِي سُرَاعَةَ: كُنْتُ عِنْدَ الْجَاحِظِ، فَرَأَيْتُ أَنْ أُكْتُبَ خَطًّا رَدِيئًا فِي وَرْقٍ رَدِيءٍ مُتَقَارِبِ السُّطُورِ، فَقَالَ لِي: مَا أَحْسَبُكَ تَحِبُّ وَرَثَتَكَ، فَقُلْتُ: وَكَيْفَ ذَاكَ؟ قَالَ: لِأَنِّي أُرَاكَ تُسِيءُ بِهِمْ فِيمَا تَخْلُقُهُ!

١٥ وذكّر أبو العباس المبرّد قال: سمعت الجاحظ يقول لرجل آذاه: أنت والله أحوجُّ إلى هوان من كريمٍ إلى إكرام، ومن علمٍ إلى عمل، ومن قدرةٍ إلى عفو، ومن نعمةٍ إلى شكر.

وقال المبرّد قال لي الجاحظ يوما: أتعرف مثل قول إسماعيل بن القاسم .
ولا خيرَ فيمنْ لا يُوطِّنُ نَفْسَهُ عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنُوبُ
٢٠ فقلت: نعم، قول كثير، ومنه أخذ:
فقلتُ لَهَا يَا عَزُّ كُلُّ مُصِيبَةٍ إِذَا وُطِّتْ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ

وروى يموتُ بن المزرع نخاله عمرو بن بحر الجاحظ في الجَمَاز^(١) بهجوه :

نَسَبُ الْجَمَازِ مَقْصُورٌ إِلَيْهِ مُنْتَهَاهُ
تَنْتَهَى الْأَحْسَابُ بِالنَّاسِ وَلَا تَمْدُو قَقَاةَ
يَتَحَاجِي مَنْ أَبُو الْجَمَّازِ فِيهِ كَاتِبَاهُ
ليس يدري مَنْ أَبُو الْجَمَّازِ إِلَّا مَنْ يَرَاهُ

٥

/ أخبرنا المرزباني قال: أخبرنا علي بن هرون قال أنشدني وكيع قال أنشدني أبو العيناء [٦٤]

قال أنشدني الجاحظ لنفسه في الخضب :

زُرْتُ فَتَاةَ مِنْ بَنِي هِلَالٍ فَاسْتَمَعَجَلَتْ إِلَيَّ بِالسُّوَالِ
مَالِي أَرَاكَ قَانِيَّ السَّبَالِ كَأَنَّمَا كَرَعْتَ فِي جِرْيَالِ^(٢)
مَا يَبْتَغِي مِثْلَكَ مِنْ أُمَّثَالِي تَنَحَّ قُدَامِي وَمِنْ حِيَالِي

١٠

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه: قوله : « كَأَنَّمَا كَرَعْتَ فِي جِرْيَالِ » مليح

قوي، ولا يشبه شعر الجاحظ لئنه وضعف كلامه .

وذكر أبو العيناء قال حدثني إبراهيم بن رباح قال أنشدني الجاحظ يمدحني :

بَدَا حِينَ أَثْرَى بِإِخْوَانِهِ فَفَلَّلَ عَنْهُمْ شَبَابَةَ الْعَدَمِ
وَذَكَرَهُ الْحَزْمُ رَيْبَ الزَّمَانِ فَبَادَرَ بِالْعُرْفِ قَبْلَ النَّدَمِ

١٥

قال إبراهيم : فذا كرتُ بهما أحمد بن أبي دؤاد فقال : قد أنشدنيهما يمدحني بهما ، ثم

لقيت محمد بن الجهم فقال : قد أنشدنيهما يمدحني بهما ، وقال يموت بن المزرع : سمعت خالي

الجاحظ يقول : لا أعرف شعراً يفضلُ قول أبي نواس :

(١) الجَمَاز ؛ لقب له ؛ ومعناه الرناب ؛ واسمه محمد بن عمرو بن عطاء ؛ شاعر أديب

بصري ؛ وكان ماجنا خبيث اللسان ذا نادرة ؛ وكان أكبر سن من أبي نواس ؛ دخل بغداد في أيام المتوكل ؛ وقد أعجب به المتوكل يوماً فأمر له بمشرة آلاف درهم ؛ فأخذها وانحدر ، فأت فرحاً بها ؛ (تاريخ بغداد ٣ : ١٢٥-١٢٦) . (٢) السكرع : أن يشرب الرجل بفيه من الزهر ، والجريال : صفة الخمر .

وَدَارِ نَدَامَى عَطَّلَوْهَا وَأَذَلَّجُوا
 مَسَاحِيبُ مِنْ جَرِّ الزَّقَاقِقِ عَلَى الثَّرَى
 حَبَسْتُ بِهَا صَحْبِي فُجِدَّتْ عَهْدَهُمْ
 وَلَمْ أُدْرِ مَنْ هُمْ غَيْرَ مَا شَهِدَتْ بِهِ
 أَقَمْنَا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَثَالِثًا
 تُدَارُ عَلَيْنَا الرَّاحُ فِي عَسَجِدِيَّةِ
 قَرَارَتِهَا كِسْرَى وَفِي جَنَابَتِهَا
 / فَلَخْمِرٍ مَا زَرَّتْ عَلَيْهِ جُيُوبُهَا [٦٥]
 قَالَ الْجَاهِظُ : فَأَنْشَدْتُهَا أَبَاشَعِيبَ الْقَلَّالَ (٤) فَقَالَ : يَا أَبَا عَثْمَانَ ، لَوْ نَقَرْنَا هَذَا الشَّعْرَ لَطَنَّ !
 ١٥ قلت : ويلك ! ما تفارق الجرار والخزف حيث كنت !

قال سيدنا أيده الله : أخذ أبو نواس قوله :

وَلَمْ أُدْرِ مَنْ هُمْ غَيْرَ مَا شَهِدَتْ بِهِ
 بَشْرُقِي سَابِطَ الدِّيَارِ الْبَسَابِسُ
 مِنْ قَوْلِ أَبِي خِرَاشِ الْهُدَلِيِّ :

وَلَمْ أُدْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ سَيَوَى (٥) أَنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ مَا جَدَّ مَحْضُ
 ١٥ وَيُقَالُ إِنَّ أَبَا خِرَاشٍ أَوَّلَ مَنْ مَدَحَ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ ، وَذَلِكَ أَنَّ خِرَاشَ بْنَ أَبِي خِرَاشٍ أُسِرَ
 هُوَ وَعُرْوَةُ بْنُ مَرَّةٍ ، فَطَرَحَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ رِدَاءَهُ عَلَى خِرَاشٍ حِينَ سَخِلَ الْقَوْمُ بِقَتْلِ عُرْوَةَ
 وَنَجَّاهُ . فَلَمَّا تَفَرَّغُوا لَهُ قَالَ : أَفَاتَ مِنِّي ، وَيُقَالُ : بَلَ رَأَى فِي الْأُسْرِ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَمِّهِ ،
 فَأَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ لِيُجِيرَهُ بِهِ ، وَقَالَ لَهُ : النِّجَاءُ وَيْلَكَ ! فَقَالَ أَبُو خِرَاشٍ فِي ذَلِكَ :
 حَمِدْتُ الْإِلَهَ (٦) بَعْدَ عُرْوَةَ إِذْ نَجَّاهُ خِرَاشٌ وَبَعْضُ الشُّرَّاهُونَ مِنْ بَعْضِ

(١) ديوانه : ٢٩٥ ، والكامل - بشرح المرصفي ٢ : ٥٤ . (٢) البسابس : الخوالب ، وساباط : موضع
 ببلاد فارس . (٣) تدرجها : تختلها . (٤) حاشية ت : « أبو شعيب هذا صقر بن عبد الرحمن القلال » .
 (٥) ت : « ولكنه » . (٦) الأبيات من قصيدة في (ديوان الهذليين ٢ : ١٥٧-١٥٨) .
 وأمالى الفعلى ١ : ٢٧١ ، ديوان الحماسة ٢ : ٢٨٠-٢٨٤ ، والشعر والشعراء ٦٤٧-٦٤٨) .
 (٧) من نسخة بحاشية ت : « إلهي » .

فَأَقْسَمْتُ لَا أَنْسَى قَتِيلًا رُزِئْتُهُ بِجَانِبِ قَوْسِي (١) مَا مَشَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ
عَلَى أَنَّهَا تَعْفُو الْكَلُومُ وَإِنَّمَا نُؤَكِّدُ بِالْأَذْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي
وَلَمْ أُدْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ سِوَى أَنَّهُ قَدْ سُئِلَ عَنْ مَا جِدَّ مَحْضٍ

وأخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثني إبراهيم بن محمد بن شهاب قال
حدثنا أبو الحسن أحمد بن عمر البردعي المتكلم قال : صرْتُ إلى منزل الجاحظ في أول
ما قدِمْتُ من بلدي ، وقد اعتل علته التي فُلِجَ فيها ، فاستأذنتُ عليه ، فخرج إلى خارج من
منزله ، فقال لي : يقول لك : وما تصنعُ بشِقِّ مائل ، ولعاب سائل ! فانصرفت عنه .

وذكر يموت بن المزرع قال : وجّه المتوكل في السنة التي قُتِلَ فيها أن يُجْمَلَ إليه الجاحظ
من البصرة ، وسأله الفتحُ ذلك ، فوجدَه لافضل فيه (٢) ، فقال لمن أراد حملَه : وما تصنعُ بامرئ
ليس بطائل ، ذى شِقِّ / مائل ، ولعاب سائل ، وفرج بائِل ، وعقل زائل ، ولون حائل ! . [٦٥]
ط

وذكر المبرد قال : سمعت الجاحظ يقول : أنا من جانبي الأيسر مفلوج ، فلو قرِض
بالمقاريض ما علمتُ ، ومن جانبي الأيمن مُنْقَرَسٌ ، فلو مرَّ به الذباب لَأَلَمْتُ ، وبي حصاة
لا ينسرح لي البول معها ، وأشد ما على ست وتسعون !

وقال يوماً لمتطبب يشكو إليه عاتته : قد اصطلحت الأضداد إلى جسدي ، إن أكلت
بارداً أخذ برجلي ، وإن أكلت حاراً أخذ برأسي . وتوفي في سنة خمس وخمسين ومائتين . ١٥

(١) كذا ضبط في ت ؛ بضم القاف وفتح السين ؛ وضبط في معجم البلدان بفتح القاف وسكون
الواو ؛ وزان « سكري » ، وهي بلد بالسراة .
(٢) حاشية الأصل : « من نسخة » : « لافضل عنده » .

مَجْلِسُ آخِرِ تَأْوِيلِ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ، وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا، وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ؛ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾؛ [البقرة: ١٧٧].

فقال: كيف ينبغي كَوْنُ تَوَلِيَةِ الْوُجُوهِ إِلَى الْجِهَاتِ مِنَ الْبِرِّ، وَإِنَّمَا يُفْعَلُ ذَلِكَ فِي الصَّلَاةِ، وَهِيَ بَرٌّ لِمَحَالَةٍ؟ وَكَيْفَ خَبَّرَ عَنِ الْبِرِّ «بِمَنْ» وَالْبِرُّ كَالْمَصْدَرِ، وَ«مَنْ» اسْمٌ مَحْضٌ؟ وَعَنْ أَيِّ شَيْءٍ كُنِيَ بِالْهَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾؟ وَمَا الْمَخْصُوصُ بِأَنَّهَا كُنْيَاةٌ عَنْهُ وَقَدْ تَقَدَّمَ أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ؟ وَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ ارْتَفَعَ ﴿الْمُوفُونَ﴾؟ وَكَيْفَ نَصَبَ ﴿الصَّابِرِينَ﴾، وَهَمَّ مَعْطُوفُونَ عَلَى الْوَفِيِّينَ؟ وَكَيْفَ وَحَدَّ الْكُنْيَاةَ فِي مَوَاضِعَ وَجَمَعَهَا فِي أُخْرٍ؟ فَقَالَ: ﴿مَنْ آمَنَ﴾ وَ﴿وَآتَى الْمَالَ﴾ وَ﴿أَقَامَ الصَّلَاةَ﴾، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَالْمُوفُونَ﴾، وَ﴿الصَّابِرِينَ﴾؟.

يقال له: فيما ذكرته أولاً جوابان:

أحدهما أنه أراد تعالى: ليس الصلاة هي البر كله؛ لكنه ما عُدِّدُ فِي الْآيَةِ مِنْ ضُرُوبِ الطَّاعَاتِ وَصُنُوفِ الْوَاجِبَاتِ، فَلَا تَنْظَنُوا أَنْكُمْ إِذَا تَوَجَّهْتُمْ إِلَى الْجِهَاتِ بِصَلَاتِكُمْ، فَقَدْ أَحْرَزْتُمْ الْبِرَّ بِأَسْرِهِ، وَحَزَنْتُمُوهُ بِكَمَالِهِ، بَلْ يَبْقَى عَلَيْكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مَعْظَمُهُ وَأَكْثَرُهُ.

والجواب الثاني أن النصارى لما توجَّهوا إلى المشرق، واليهود إلى بيت المقدس، واتخذوا

هاتين الجهتين قباتين ، واعتقدوا في الصلاة إليهما أنهما / برئ وطاعة خلافاً على الرسول صلى [٦٦]
الله عليه وآله أكَذَّبَهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ ، وَبَيَّنَّ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ ، إِذْ كَانَ مَنْسُوخًا
بشريعة النبي صلى الله عليه وآله؛ التي تلزم الأسود والأبيض ، والعربي والعجمي ، وأن البرَّ
هو ما تضمنته الآية .

٥ فأما إخباره «بمن» ففيه وجوه ثلاثة :

أولها أن يكون معنى «البرِّ» ههنا البارَّ وذا البرِّ ، وجعل أحدهما في مكان الآخر؛ والتقدير:
ولكن البارَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ؛ ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ
غَوْرًا ﴾ ؛ [الملك : ٣٠] ، يريد غأراً ، ومثل قول الشاعر :

تَرَ تَعْمَارَ تَعَتْ حَتَّى إِذَا دَا دَّ كَرَّتْ فإِعْمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ^(١)

١٠ أراد أنها مقبلة مدبرة ، ومثله :

تَظَلُّ جِيَادُهُمْ نَوْحًا عَلَيْهِمْ مُقَلَّدَةٌ أَعْتَمَّتْهَا صُفُونَا^(٢)

أراد نائحة عليهم ، ومثله قول الشاعر :

هَرَبِيحِي مِنْ دَمُوعِهَا سِجَامًا ضُبَاعَ^(٣) وَجَاوِبِي نَوْحًا قِيَامًا

والوجه الثاني أن العرب قد تُخبر عن الاسم بالمصدر والفعل ، وعن المصدر بالاسم ،

فأما إخبارهم عن المصدر بالاسم فقوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ ، وقول
العرب : إنما البرُّ الذي يصل الرحمَ ويفعل كذا وكذا ، وأما إخبارهم عن الاسم بالمصدر
والفعل فمثل قول الشاعر :

لَعَمْرُكَ مَا الْفِتْيَانُ أَنْ تَنْبَتَ اللَّحَى وَلَكِنَّمَا الْفِتْيَانُ كُلُّ فَتَى نَدٍ^(٤)

(١) البيت للخنساء ؛ ديوانها : ٧٨ ، والكامل - بشرح المرصفي ٨ : ١٧٦ ، واللسان ١٩ :

١٣٥ ، وتاج العروس ٨ : ٧٣ ، وخزانة الأدب ١ : ١٣٨ ، وهو في وصف بقرة وحشية ، وقبلة :

فَمَا عَجُولٌ عَلَى بَوِّ تَطْيِيفُ بِهِ لَهَا حَنِينَانُ إِصْغَارُهُ وَإِكْبَارُهُ

(٢) البيت لعمر بن كلثوم ؛ من المنقة - بشرح التبريزي : ٢١٧ ؛ وانظر ص ١٠٥ من هذا الجزء .

(٣) ضباع : اسم امرأة ؛ وأصله : « ضباعة » . (٤) في حاشيتي الأصل ، ف : « مقرر =

فجعل « أن تنبت » وهو مصدر خبراً عن الفتیان .

والوجه الثالث أن يكون المعنى : ولكن البرُّ برٌّ من آمن ؛ فحذف البرَّ الثاني ، وأقام « من » مقامه ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ ؛ [البقرة : ٩٣] ، أراد : حبَّ العجل ، قال الشاعر :

وكيفَ تُوَاصِلُ مَنْ أَصْبَحَتْ خَلَالَتُهُ كَأَبِي مَرْحَبٍ (١)

أراد : كخلالة أبي مرَّحَبٍ ؛ وقال النابغة :

[٦٦] / وَقَدْ خِفْتُ حَتَّى مَا تَزِيدُ مَخَافَتِي عَلَى وَعِلِّ فِي ذِي الْمَطَارَةِ عَاقِلٍ (٢)

أراد على مخافة وعِلِّ . وتقولُ العرب : بنو فلان يطوُّهم الطريق ، أى أهل الطريق . وحكى عن بعضهم : أطيبُ الناس الزُّبْدُ ، أى أطيبُ ما يأكلُ (٣) الناس الزُّبْدُ ، وكذلك قولهم : حَسِبْتُ صَبَاحِي زَيْدًا ، أى صَبَاحَ زَيْدٍ ، وروى عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ﴾ ؛ [النور : ٦١] ، أى ليس على مَنْ أكل مع الأعمى حرج ، وفي قوله تعالى : ﴿ رَأَيْبُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ ، [الكهف : ٢٢] ، وذكروا أنه كان راعياً تَبِعَهُمْ . فأما مَنْ كنى عنه بالهاء في قوله تعالى : ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى ﴾ ففيه وجوه أربعة :

== في الصناعة أن يكون المبتدأ والخبر هو هو ؛ أو مايقوم مقام ذلك ويجرى مجراه ؛ وهو احتراز من قولك مثلاً : أبو يوسف أبو حنيفة ؛ يعنى يقوم مقامه ؛ فإذا كان كذلك فالواجب أن يكون الجزء من المبتدأ والخبر جنتين أو حدثين ؛ حتى لاينخرم هذا الأصل الذى أصلوه ؛ فإذا وجدت شيئاً من ذلك قد اختلف فإنما هو على ضرب من الاحتمال والمجاز ؛ كقولك : الهلال الليلة ؛ لأن التقدير حدوث الهلال الليلة ؛ كأن التقدير : حدوث الهلال وقع الليلة ؛ فالواقع هو الحدث ، والحدث هو الواقع . والبيت المستشهد به ، التقدير فيه : لعمرك ما فتوة الفتیان ، فحذف المضاف وأقام المضاف مقامه ، والتقدير : ما فتوة الفتیان نبتة الاحى . (١) خللته : مودته ، وأبو مرحب كناية عن الضل ، والبيت للنابغة الجعدى ، وقبله :

وبعضُ الأَخْلَاءِ عِنْدَ الْبَلَاءِ وَالرُّزْءُ أَرْوَعُ مِنْ تَعَلَّبِ

وانظر اللسان (رحب) . (٢) ديوانه : ٦٤ ، ومعجم البلدان ٨ : ٨٤ . وذو المطارة :

اسم جبل ؛ وعاقل : متحصن ، وفي حواشى الأصل ، ت ، ف : « يمكن أن تجعل « ما » في البيت زيادة ، والتقدير : حتى تزيد : ويمكن أن يكون على القلب ؛ أى ما تزيد مخافة وعل على مخافتي ؛ وهو كثير ، والوعل : الضأن الوحشى . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « ما أكل الناس » .

أولها: أن تكون الهاء راجعةً على المال الذي تقدم ذكره ، ويكون المعنى : وآتى المال على حبّ المال ، وأضيف الحب إلى المفعول ، ولم يذكر الفاعل : كما يقول للقائل : اشتريت طعامي كاشتراء طعامك ، والمعنى كاشتراكك طعامك .

والوجه الثاني أن تكون الهاء راجعةً إلى ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ ، فيكون المصدر مضافاً إلى الفاعل ، ولم يذكر المفعول لظهور المعنى ووضوحه .

والوجه الثالث أن ترجع الهاء إلى الإيتاء الذي دلّ ﴿ آتَى ﴾ عليه ، والمعنى : وأعطى المال على حبّ الإعطاء ، ويجرى ذلك مجرى قول القمامي :

هُمُ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاؤُ الْمُلُوكِ لَهُمْ (١) وَالْآخِذُونَ بِهِ وَالسَّاسَةُ الْأُولُ (٢)

فكّنى بالهاء عن الملك ، لدلالة قوله : « الملوك » عليه ، ومثله قول الشاعر :

١٠ إِذَا نُهِى السَّفِيهُ جَرَى إِلَيْهِ وَخَالَفَ وَالسَّفِيهُ إِلَى خِلَافِ (٣)

أراد : جرى إلى السّفه الذي دلّ ذكرُ السّفه عليه .

والوجه الرابع : أن تكون الهاء ترجع إلى الله تعالى ؛ لأن ذكره تعالى قد تقدم ، فيكون

المعنى : وآتى المال على حبّ الله ذوى القربى واليتامى . فإن قيل : فأى فائدة في ذلك ، وقد علمنا الفائدة في إيتاء المال مع محبته والضمّ به ، وأن العطية تكون أشرف وأمدح ، فما الفائدة

فيما ذكرتموه ؟ وما معنى محبة الله ، والمحبة عندكم هي الإرادة ، والتقديم تعالى لا يصح أن يراد ؟ .

قلنا : أما المحبة عندنا فهي الإرادة ، إلا أنهم يستعملونها كثيراً مع حذف متملقها مجازاً

[٦٧]

و توسماً ، فيقولون : فلان يحب زيدا ، إذا أراد منافقته ، ولا يقولون : زيد / يريد عمراً ؛ بمعنى

(١) حاشية ت (من نسخة) : « هم » . (٢) جهرة الأسماء : ٣١٦ ؛ وهو آخر قصيدته

التي مطلعها :

إِنَّا حَيُّوكُ فَاسْلَمْ أَشْبَاهُ الطَّلَلِ وَإِنْ بَلِيَتْ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطَّوْلُ

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « الخلاف » . وحاشية الأصل (من نسخة) : « اختلاف » .

أنه يريد منافعه ، لأن التعارف جرى في استعمال الحذف والاختصار في المحبة دون الإرادة ، وإن كان المعنى واحداً .

وقد ذكر أن لقولهم: زيد يجب عمراً مزيةً على قولهم: يريد منافعه، لأن اللفظ الأول ينبيء عن أنه لا يريد إلا منافعه ، وأنه لا يريد شيئاً من مضاره ، والثاني لا يدلُّ على ذلك ، فخصت له مزيةً ؛ وعلى هذا المعنى نصَّفُ الله تعالى بأنه يحب أوليائه والمؤمنين من عباده ؛ والمعنى فيه أنه يريد لهم ضروب الخير ، من التعميم والإجلال والنعم ؛ فأما وصف أحدنا بأنه يجب الله تعالى فالمعنى فيه أنه يريد تعظيمه وعبادته والقيام بطاعته ، ولا يصحَّ المعنى الذي ذكرناه في محبة العباد بعضهم بعضاً ؛ لاستحالة المنافع عليه . ومن جوز عليه تعالى الانتفاع لا يصحُّ أيضاً أن يكون محباً له على هذا المعنى ، لأنه باعتقاده ذلك قد خرج من أن يكون عارفاً به ، فمحبتته في الحقيقة لا تتعلق به ولا تتوجه إليه ؛ كما تقول في أصحاب التشبيه: إنهم إذا عبدوا من اعتقدوه إلها فقد عبدوا غير الله تعالى .

فأما الفائدة في إعطاء المال مع محبة الله تعالى فهي ظاهرة ؛ لأن إعطاء المال متى قارنته إرادة وجه الله وعبادته وطاعته استحقَّ به الثواب ، ومتى لم يقترن به ذلك لم يستحقَّ الفاعل به ثواباً ، وكان ضائماً . وتأثير ما ذكرناه أبلغ من تأثير حبِّ المال والظنِّ به ؛ لأنَّ المحبَّ للمال / الضنين به متى بذله وأعطاه ، ولم يقصد به الطاعة والعبادة والقربة لم يستحقَّ به شيئاً من الثواب ؛ وإنما يُؤثِّر حُبُّه للمال في زيادة الثواب؛ متى حصل ما ذكرناه من قصد القربة والعبادة ، ولو تقرب بالعطية ، وهو غيرُ ضنينٍ بالمال ، ولا محبِّ له لاستحقَّ الثواب . وهذا الوجه لم يُسبق^(١) إليه في هذه الآية ، وهو أحسن ما قيل فيها .

وقد ذكر وجه آخر ؛ وهو أن تكون الهاء راجعةً إلى ﴿ مَنْ آمَنَ ﴾ أيضاً ، وينتصب ذوى القربى بالمحبِّ ، ولا يجعل « لآتى » منصوباً لوضوح المعنى ، ويكون تقدير الكلام : وأعطى المال في حال^(٢) حبه ذوى القربى واليتامى ، على محبته أيامهم ؛ وهذا الوجه ليس فيه

(١) حاشية ت (من نسخة) : « لم يسبق » . (٢) ت « على حبه » ، وفي حاشية ت أيضاً

(من نسخة) : « على حال حبه » .

مزية في باب رجوع الهاء التي وقع عنها^(١) السؤال ، وإنما يتبين مما تقدم بتقدير انتصاب ذوى القربى بالحب ، وذلك غير ما وقع السؤال عنه ؛ والأجوبة الأولى أقوى وأولى .

فأما قوله: ﴿ وَالْمُؤْفُونَ ﴾ ، ففي رفعه وجهان :
أحدهما أن يكون مرفوعاً على المدح ؛ لأنَّ النعت إذا طال وكثر رُفِعَ بعضُهُ ، ونُصِبَ بعضُهُ على المدح ؛ ويكون المعنى : وهم الموفون بهمهم ، قال الزجاج : وهذا أجود الوجهين . ٥
والوجه الآخر أن يكون معطوفاً على ﴿ مَنْ آمَنَ ﴾ ، ويكون المعنى : ولكن ذا البرِّ وذوى البرِّ المؤمنون والموفون بهمهم .

فأما نصب ﴿ الصَّابِرِينَ ﴾ ففيه وجهان :
أحدهما المدح ، لأن مذهبهم في الصفات والنعوت إذا طالت أن يعترضوا بينها^(٢) بالمدح أو الذم ، لتميُّزِها الممدوح أو المذموم ويفردوه ، فيكون غير متبع لأول الكلام ؛ من ذلك ١٠ قول الخرنق بنت بدر بن هفان :

لَا يَبْعَدُنْ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ سَمُّ الْمَدَائِدِ وَأَفَةُ الْجُزْرِ^(٣)
النَّازِلِينَ بِكُلِّ مُعْتَرِكٍ وَالطَّيِّبِينَ مَعَاقِدَ الْأُزْرِ

فنصبت ذلك على المدح ، وربما رفعوها جميعاً ، على أن يتبع آخر الكلام أوله ؛ ومنهم من ينصب « النازلين » ويرفع « الطيبين » ، وآخرون يرفعون « النازلين » وينصبون ١٥ « الطيبين » ؛ والوجه في النصب والرفع ما ذكرناه ، ومن ذلك قول الشاعر ، أنشده الفراء :

إِلَى الْمَلِكِ الْقَرَمِ وَابْنِ الْهَمَامِ وَلَيْتَ الْكَتِيبَةَ فِي الْمُزْدَحَمِ
وَذَا الرَّأْيِ حِينَ تَنْعَمُ الْأُمُورُ بِنَدَاتِ الصَّلِيلِ وَذَاتِ اللَّجْمِ

فنصب « ليث الكتبية وذا الرأي » على المدح . وأنشد الفراء أيضاً :

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « عنها » .

(٢) ش ، حاشية ت (من نسخة) : « فيها » . (٣) ديوانها : ١٢ ، والآلي : ٨ : ٥ ،

وفوادر أبي زيد ١٠٨ ، والكامل - بشرح المرصفي ٦ : ١٥٨ .

فَلَيْتَ التّي فِيهَا النّجُومُ تَوَاضَعَتْ
عَلَى كُلِّ نَعْتٍ مِنْهُمْ وَسَمِينِ
غُيُوثُ الْحَيَا فِي كُلِّ تَحَلٍّ وَلَزِيْبَةٍ
أَسْوَدُ الشَّرَى يَحْمِينُ كُلَّ عَرَبِيٍّ (١)
ومما نصب على الذم قوله :
سَقَوْنِي الْخَمْرَ ثُمَّ تَكَنَّفُونِي
عُدَاةَ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ (٢)

ووجه الآخر في نصب : ﴿الصَّابِرِينَ﴾ أن يكون معطوفاً على ذوى القربى ، ويكون
[٦٨] المعنى : وآتى المال على / حبه ذوى القربى والصابرين ؛ قال الزجاج : وهذا لا يصلح إلا أن
يكون ﴿والموفون﴾ رفيع (٣) على المدح لهضمين ، لأن ما في الصلة لا يعطف عليه بعد العطف
على الموصول ، وكان يقوى الوجه الأول .

وأما توحيد الذكّر في موضع وجمعه في آخر ؛ فلأن ﴿مَنْ آمَنَ﴾ لفظه لفظ
١٠ الوَحْدَةِ ، وإن كان في المعنى للجميع (٤) فالذكّر الذي أتى بعده موحّداً أُجْرِيَ على اللفظ ،
وما جاء من الوصف بعد ذلك على سبيل الجمع مثل قوله تعالى : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ ، ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾
فعلّى المعنى .

وقد اختلفت قراءة القراء (٥) السبعة في رفع الرأ ونصبها من قوله تعالى : ﴿لَيْسَ
الْبِرُّ﴾ ، فقرأ حمزة وعاصم في رواية حفص ﴿لَيْسَ الْبِرُّ﴾ بنصب الرأ ، وروى هبيرة عن
١٥ حفص عن عاصم أنه كان يقرأ بالنصب والرفع ، وقرأ الباقر بالرفع ، والوجهان جميعاً
حسنان ؛ لأن كل واحد من الاسمين : اسم ليس وخبرها معرفة ، فإذا اجتمعا في التعريف

(١) اللزبة : الشدة ، والشرى : مأسدة بناحية الفرات . (٢) البيت لعروة بن الورد ،
ديوانه : ٤٨ ؛ وهو في (الكتاب ١ : ٢٥٢) ؛ من أبيات يصف فيها ما كان من فعل قوم امرأته
حين احتالوا عليه وسقوه الخمر ؛ حتى أجابهم إلى مفاداتها ؛ وكانت سبية عنده ؛ (وانظر الخبر والأبيات
في الأغاني ٣ : ٧٥-٧٧ - طبعة دار الكتب المصرية) . (٣) ش ، وحاشية ت (من نسخة)
« رفعا » . (٤) من نسخة بحاشيتي ت ، الأصل : « للجمع » .
(٥) ت : « القراءة » .

تكافأ في جواز كون أحدهما اسماً والآخر خبراً؛ كما تتكافأ النكرات (١).
وحجة من رفع «البر» أنه: لأن يكون «البر» (٢) الفاعل أولى؛ لأنه ليس يشبه الفعل،
وكون الفاعل بعد الفعل أولى من كون المفعول بعده؛ ألا ترى أنك إذا قلت: قام زيد، فإن
الاسم يلي الفعل. وتقول: ضرب غلامه زيد، فيكون التقدير في الغلام التأخير، فلولا أن
الفاعل أخص بهذا الموضع لم يجوز هذا؛ كما لم يجوز في الفاعل: ضرب غلامه زيدا، حيث لم يجوز
في الفاعل تقدير التأخير؛ كما جاز في المفعول به، لوقوع الفاعل موقعه المختص به.

وحجة من نصب «البر» أن يقول: كون الاسم أن وصلتها أولى لشبهها بالضمير في أنها
لا توصف، كما لا يوصف الضمير؛ فكأنه اجتمع ضمير ومظهر؛ والأولى إذا اجتمعا أن
يكون الضمير الاسم من حيث كان أذهب في الاختصاص من المظهر.

حدثنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا الدقاق قال أخبرنا أبو عبد الله
محمد بن أحد الحكيمي الكاتب قراءة عليه قال أمل علينا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي
ثعلب قال أخبرنا ابن الأعرابي قال قال ابن الكلبي: لما كان بعد يوم الهباءة جاوز قيس
ابن زهير النمر بن قاسط فقال لهم: إني / قد جاورتكم واخترتكم، فزوجوني امرأة قد [٦٨]
أدبها الغنى، وأدلتها الفقر، في حسب وجمال؛ فزوجوه ظبية بنت الكيس النمرى. وقال
لهم: إن في خلافاً ثلاثاً؛ إني غيور، وإني فخور، وإني أنف، ولست أفخر حتى أبداً،
ولا أغار حتى أرى، ولا أنف حتى أظلم.

فأقام فيهم حتى ولد له، فلما أراد الرحيل عنهم قال: إني موصيكم بخصال، وناهيكم
عن خصال؛ عليكم بالأناة، فإن بها تنال الفرصة، وتسويد من لاتعابون بتسويده، وعليكم
بالوفاء؛ فإن به يعيش الناس، وبإعطاء من تريدون إعطاءه قبل المسألة، ومنع من تريدون

(١) حاشية ت: «لا يجوز أن يكون اسم ليس وخبرها نكرتين؛ فلا أدري كيف يتكافأان!
ولعله يريد التكافؤ في غير هذا الموضع». (٢) ت: «الاسم».

منعه قبل الإلحاح ، وإجازة الجار على الدهر ، وتنقيس المنازل عن بيوت الأياشي^(١) ، وخلط
الضيف بالعيال ؛ وأنها كم عن الرّهان؛ فإن^(٢) به شككت مالكا أخى ، والبغى ، فإنه قتل
زهيراً أبى ، وعن الإعطاء فى الفضول فتمجزوا عن الحقوق ، وعن الإسراف فى الدماء ،
فإن يوم الهباءة الزمنى العارحقة ، ومنع^(٣) الحرم إلا من الأ كفاء ؛ فإن لم تصيبوا لها^(٤)
• الأ كفاء فإن خير منأكلها القبور ، أو خير منأزلها؛ واعلموا إنى كنت ظالماً مظلوماً ؛ ظلمنى
بنو بدر بقتلهم مالكا أخى ، وظلمتهم بأن قتلت من لا ذنب له .

قال سيدنا المرتضى أدام الله علوه : أما قوله : « أنها كم عن الرّهان » فأراد المراهنة
فى سباق الخيل ، وذلك أن قيس بن زهير راهن حذيفة بن بدر الفزارى على فرسيه : داحس
والغبراء ، وفرسى حذيفة : الخطار والحنفاء - وقال بعض بنى فزارة : بل قرزل والحنفاء -
١٠ وكان قيس كارهاً لذلك ؛ وإنما هاجه بينهما بعض بنى عبد الله بن غطفان - وقيل : بل رجل
من بنى عيس - والخبر فى شرح ذلك مشهور^(٥)؛ ثم وقع الانفاق على السباق ، وجعلوا الغاية
من واردات^(٦) إلى ذات الإصا^(٧) ، وجعلوا التصبية^(٨) فى يد رجل من بنى ثعلبة بن سعد ،
يقال له حصين ، ويبد رجل من بنى المشراء من بنى فزارة ، وملثوا الركة ماء ، وجعلوا
السابق أول الخيل بكرع فيها . ثم إن حذيفة بن بدر وقيس بن زهير أتيا المدى الذى أرسلت
١٥ الخيل منه^(٩) ينظران إليها وإلى خروجها ؛ فلما أرسلت عارضها ، فقال حذيفة : خدعتك

(١) حاشية ت (من نسخة) : « اليتامى » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « فإنى » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « وعليكم بمنع الحرم » . (٤) حاشية ت (من نسخة)

« لهن » . (٥) هو خبر الحرب المعروفة بحرب داحس والغبراء ؛ وهى تشمل يوم المريقب ، ويوم

ذى حسا ، ويوم اليمرية ، ويوم الهباءة ، ويوم الفروق ، ويوم قطن ، ويوم غدیر قاهى ، وانظر تفصيل

الخبر وما قيل فيه من الشعر فى (العقد ٥ : ١٥٠-١٦٠ ، والأغانى ١٦ : ٢٣-٣٢ ، وسيرة ابن هشام

١ : ٣٠٦-٣٠٨ ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزى ١-٣٩٧-٣٩٨ ، ٣ : ٣٤-٤٢ ، وابن الأثير ١ :

٣٤٣-٣٥٥ ، وجمع الأمثال ٢ : ٥١-٦١ ، وشرح العيون ٨٩-٩١ ، ومعجم البلدان - إصا ، هباءة ،

وشرح القائض ٨٣-١٠٨) . (٦) واردات : موضع عن يسار طريق مكة . (٧) ذات الإصا : ردهة فى

ديار عيس . (٨) حاشية ت (من نسخة) : « الفضية » وهو تحريف (١) حاشية الأصل (من نسخة) : « فيه » .

ياقيس ، فقال قيس : « تَرَكَ الخِدَاعَ مَنْ أَجْرَى مِنْ مائة » ؛ يعنى من مائة غلوة ، فأرسلها
مثلا ، ثم / ركضا ساعة ، فجعات خيلٌ حذيفةَ تمتدُّمُ خيلَ قيس ، فقال حذيفة : سُبِّقَتْ [٦٩]
يا قيس ؛ فقال قيس : « جَرَى المذَكِّيَاتِ غِلاب » ، فأرسلها مثلا - والمذَكِّيَاتِ : اللسانُ
من الخيل (١) - وروى : « غِلاب » كما يتغالى (٢) بالقبيل . ثم ركضا ساعة ، فقال حذيفة : إناك
لا تَرَكُضُ مَرَكُضًا ، سُبِّقَتْ خَيْلُكَ ؛ فقال قيس : « رُوِيَ يَعْلُونَ الجَدَد » ، فأرسلها مثلا ٥
ووروى : « يَعْمُدُونَ الجَدَد » ، أى يتعدُّون الجَدَد إلى الوعث (٣) .

وقد كان بنو فزارة أكرموا بالثبئية كميناً لينظروا ؛ فإن جاء داحسٌ سابقاً أمسكوه
وصدّوه عن الغاية ؛ فجاء داحسٌ سابقاً ، فأمسكوه ، ولم يعرفوا الغبراء ، وهى خلفه مُصليةٌ
حتى مضت الخيلُ ، وأسهبّت من الثبئية ، ثم أرسلوه فتمطّر (٤) فى آثارها ، فجعل يندرها (٥)
فرساً فرساً ، حتى انتهى إلى الغاية مصلياً (٦) ، وقد طرّح الخيلَ غيرَ الغبراء ، ولو تباعدت ١٠
الغايةُ سبقها (٧) . فاستقبلتها بنو فزارة فاطمئوها ، ثم حلّوها (٨) عن البركة ، ثم لطموا
داحساً ، وقد جاء متواليين ، ثم جاء حذيفة وقيس فى آخر الناس ، وقد دفعتمهم بنو فزارة
عن سبقهم ، ولطموا فرسيهم (٩) ، وجرى من الخلف فى أخذ السبق ماقد شرحتة الرواة .
وقد قيل فى بعض الروايات : إن الرهان والسبق (١٠) كان بين حمل بن بدر وبين قيس ،
وفى ذلك يقول قيس :

(١) أى أن المذكى يغالب مجاربه فيغلبه لغوته ، وفى بجم الأمثال (١ : ١٤٤) : « يجوز أن يراد أن ثانى
جره أبداً أكثر من بديه وثالثه أكثر من ثانيه ؛ فسكانه يغالب بالثانى الأول والثالث الثانى ؛ فجره
أبدأ غلاب » . (٢) حاشية الأصل : « المالملة : الرمى فى الهواء » .
(٣) الجدد : الأرض الصلبة ، والوعث : السهلة . (٤) يقال : تمطرت الخيل إذا ذهبت مسرعة .
(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « يندرها » ، أى يسقطها .
(٦) المصلى من الخيل : النال للسابق . (٧) ت : « لسبقها » .
(٨) حلّوها عن البركة ؛ أى منعوها من ورد الماء . (٩) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت :
« فرسيهما » . (١٠) ش ، ونسخة بحاشية الأصل : « السابق » .

كَمَا لاقَيْتُ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ وإخوته على ذات الإصَادِ
 هُمُ فخرُوا على بغيرِ فخرٍ وردُّوا دُونَ غايتهِ جَوَادِي
 وقد دَلَفُوا إلى بفعلِ سَوْءٍ فألقوني لهم صَمْبَ القِيَادِ (١)
 وكنتُ إذا مُنيتُ بِمُخَصِمِ سَوْءٍ دَلَفْتُ لهُ بداهيةً نَادٍ (٢)

ثم إن قيساً أغارَ على عوف بن بدر فقتله وأخذ إبله ، فبلغ ذلك بني فزارة فهموا بالقتال ،
 فحمل الربيع بن زياد العبسي دية عوف ، مائة عُشْرَاءِ مُنْتَلِيَةٍ (٣) .

ويقال إن قيساً قتل ابناً لحذيفة ، يقال له مالك ، وأن حذيفة كان أرسله إليه يطلب منه السَّبَقِ (٤) ،
 فطمعته فدقَّ صُلْبَهُ ، وإن الربيع بن زياد حمل ديتته مائة عُشْرَاءِ ، فسكن الناس عن القتال .

[٦٩] ثم إن مالك بن زهير نزل موضعاً يقال له اللقَّاطة (٥) / قريباً من الحاجر ، ونكح امرأة يقال
 لها مُلَيْكَةُ بنت حارثة ، من بني غراب من فزارة ، فبلغ ذلك حذيفة بن بدر ، فدسَّ إليه
 ١٠ فُرساناً فقتلوه ، وكان الربيع بن زياد العبسي مجاوراً لحذيفة بن بدر ، وكانت تحت الربيع مُعَاذَةُ
 بنت بدر ، فلما وقف على الخبر قال :

نَامَ الخَلِيٌّ وما أغمضُ (٦) حَارِ مِنْ سَيِّئِ النَّبَأِ الجَلِيلِ السَّارِي
 مِنْ مِثْلِهِ تُمَسِّي النِّسَاءَ حَوَاسِرًا وتقومُ مُعْمَلَةٌ معَ الأَسْحَارِ (٧)

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : « الدلوف : تقارب الخطو ؛ مثل مشى الشيوخ ؛ ولا يستعمل إلا في
 الذم » . (٢) نَادٍ: صعبة . (٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « العشراء : الناقة التي يأتي على

حملها عشرة أشهر ؛ فتكون أقوى بولدها ؛ وجمعها : عشار . ومثلية ؛ أي تتلوها أولادها » .

(٤) السبق : المال المخاطر عليه . (٥) اللقَّاطة : موضع قريب من الحاجر ؛ من منازل بني فزارة

ذكره ياقوت ؛ وقال إنه قتل فيه مالك بن زهير .

(٦) رواية الحماسة : « لم أغمض » ، والغماض : النوم بعينه .

(٧) م : « تمسى » ؛ قال التبريزي : « وتمسى أجرد ؛ لأن طبعه : « وتقوم معولة مع الأسحار » ،

فكانه قال : « تمسى حواسر وتصبح بواكي » ، « وحواسرا » ؛ أي يأتي عليهن المساء وقد طرحن خرهن ؛

فعل النساء يصبن بكبار قومهن .

مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فَمَيَاتٍ نَسَوْنَا بَوَجْهِ نَهَارٍ (١)
يَجِدِ النِّسَاءَ حَوَاسِرًا يَنْدُبْنَهُ يَضْرِبْنَ أَوْجُهَهُنَّ بِالْأَحْجَارِ (٢)
قَدْ كُنَّ يَخْبَأْنَ الْوُجُوهَ تَسْتَرًا فَالْيَوْمَ حِينَ بَدُونَ لِلنَّظَّارِ (٣)
أَفْبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ (٤)
مَا إِنْ أَرَى فِي قَتْلِهِ لِدَوِي الْحِجَبِيِّ إِلَّا الْمَطَى تُشَدُّ بِالْأَكْوَارِ (٥)
وَمُجَنَّبَاتٍ مَا يَذُقْنَ عَذُوفَةً يَفْذُقْنَ بِالْمَهْرَاتِ وَالْأَمْهَارِ (٦)
وَمَسَاعِرًا صَدَأَ الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّمَا طَلَى الْوُجُوهَ بِقَارِ (٧)

فأما مقتل زهير بن جزيمة العبسي أبي قيس ، فاختلفت الرواة في سببه ، فيقال إن هوازن

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « قد عليه ذكر الإتيان مع النسوة » ؛ ورواية المرزوقي في الحماسة : « فليأت ساحتنا » ، قال : وأكثر من رأيناه يروى : « فليأت نسوتنا » ؛ ورأيت الأستاذ الرئيس أبا الفضل بن العميد يقول : « لاني لأتمجب من أبي تمام مع تكلفه رم جوانب ما يختاره من الأبيات ، وغسله من درن الألفاظ ، كيف ترك تأمل قوله : « فليأت نسوتنا » ؛ وهذه لفظة شنيعة » ؛ ووجه النهار : صدره . (٢) ت : « بالأسجار » ، وهي رواية الحماسة ، وفي نسخة بمحاشية الأصل : « بالأسيار » . (٣) ف ، ونسخة بمحاشيتي الأصل ، ت : « برزن » ؛ وهي رواية الحماسة . ت : « قدأبرزن » .

(٤) المراد بعواقب الأطهار مراجعة الأزواج لى أزواجهن بمقب أطهارهن ؛ وفي حواشي الأصل ، ت ، ف ، تعليقا على قوله : « زهير » ، بإسكان الياء : « جعل عروض الضرب الثاني من الكامل مقطوعة ، وردها من متفاعلين إلى فعلاتن » ؛ وهذا الحذف يسميه المتأخرون القطع ، وسماه الخليل الإقعاد ؛ وسماه ابن قتيبة الإقواء ؛ لأنه نقص من عروضه قوة ، (وانظر العمدة ١ : ٩٤ ، والشعر والشعراء ٤٣ ، وشروح سقط الزند ١١٤٦) . (٥) رواية الحماسة — بشرح التبريزي : « لذوى النهى » . وتشد بالأكوار ، أى تشد عليها الأكوار . (٦) المجنبات هنا : الخيل تجنب إلى الإبل في الغزو . والعذوف والعذوفة أدنى ما يؤكل ، ورواية الحماسة : « عذوفا » ، والمهرات : جمع مهرة ؛ قال التبريزي في معنى البيتين : « ما أرى في قتل مالك بن زهير رأيا لذوى العقول ؛ إلا أن تركب الإبل وتجنب الخيل ، ويسار بها سيرا عنيفا ؛ حتى ترى أجنحتها ، فتبلغ بنا إلى عدونا ، فنغير عليهم ، ونسفك دماهم » .

(٧) المساعر : جمع مسعر ، والمسعر : هو الشجاع ؛ كأنه آلة في إسماعار الحرب وإيقادها ؛ وصدأ الحديد آت من اتصاله بالدرع ولبسها .

ابن منصور كانت تؤتى الإناوة زهير بن جزيمة ، ولم تكثر عامر بن صعصعة بعد ، فهم أذل من يد في رحم ، فأنت عجوز من هوازن زهير بن جزيمة بسمن في نجي ، واعتذرت إليه ، وشكت السنين اللواتي تابعت على الناس ، فذاقه فلم يرض طعمه ، فدعها - أي دفعها - بقوس في يده عطل^(١) ، في صدرها ، فسقطت فبدت عورتها ، ففضبت من ذلك هوازن ، وحقته إلى ما كان في صدرها^(٢) من الفيض ، وكانت يومئذ قد أمرت بنو عامر بن صعصعة - أي كثرت - فألى جعفر بن كلاب قتال : والله لأجمعن ذراعي هذه وراء عنقه^(٣) حتى أقتل أو يقتل^(٤) ؛

وفي ذلك يقول خالد بن جعفر :

أرِينُونِي إِرَاغَتَكُمُ فَإِنِي وَحَذْفَةَ كَالشَّجِي تَحْتِ الْوَرِيدِ^(٥)
 / مَقْرَبَةٌ أَوْاسِيهَا بِنَفْسِي وَالْحِفْهَ رِدَائِي فِي الْجَاهِدِ [٧٠]
 لَمَلَّ اللَّهُ يُمَكِّنِي عَلَيْهَا جِهَارًا مِنْ زُهَيْرٍ أَوْ أُسَيْدِ
 فَأَمَّا تَتَمَفُونِي فَاقْتَلُونِي فَمَنْ أُنْتَفَ فَلَيسَ إِلَى خَالِدِ^(٦) ١٠

ويقال بل كان السبب في ذلك أن زهير بن جزيمة لما قتل في غنى من قتل بابنه شأس وإفنى عكاظ ، فلقبه خالد بن جعفر بن كلاب - وكان حدثاً - قتال : يا زهير ، أما أن لك أن تشتفي وتكف ! - يعني مما قتل بشأس - فأغلظ له زهير وحقره ، فقال خالد : اللهم أمكن^{١٥} يدي هذه الشعراء القصيرة من عنق زهير بن جزيمة ، ثم أعنى عليه ، فقال زهير : اللهم أمكن يدي هذه البيضاء^(٧) الطويلة من عنق خالد ، ثم خل بيننا ، فقالت قريش : هلك

(١) قوس عطل : لاوتر عايها . (٢) حاشية ت : (من نسخة) : « صدورها » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « من وراء » .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « أو أقتله » . (٥) أرِينُونِي ؛ أي اطلبوا إلي ، والشجا :

ما عترض في الخلق من عظم وغيره . وفي حاشيتي ، ف : « حذفة : اسم فرس خالد ؛ وذكره الجوهري

في صحاح اللغة ، ويتخيل للناظر فيه أن يكون معنى حذفة حذيفة بن بدر وقوله : « كالشجات تحت الوريد »

شبه نفسه بالشجا ، وجعل حذفة كالوريد ؛ و « مقربة » في البيت الثاني مفعول « أرِينُونِي » فرسا مقربة

والله أعلم » . (٦) إما تَمَفُونِي ؛ أي إما تصادفوني ؛ وفي اللسان : تَمَفْتُهُ تَمَفًا ؛ أي صادفته ؛ وأنشد

فَأَمَّا تَتَمَفُونِي فَاقْتَلُونِي فَإِنِ أُنْتَفَ فَسَوْفَ تَرَوْنَ بِالِي

(٧) ت : « السماء » .

والله يزهير ، قال : أنتم والله الذين لا علم لكم . ثم أجمع خالد بن جعفر على قصد زهير وقتله .
 واتفق نزول زهير بالقرب من أرض بني عامر ، وكانت تماضر بنت عمرو بن الشريد
 امرأة زهير بن جذيمة وأم ولده ، فررَّ به أخوها الحارث بن عمرو بن الشريد ، فقال زهير لبنيته : إن
 هذا الحارث أطمعنا عليك فآوئوه ، فقالت أخته لبنيته : أيزوركم خالكم فتؤثقونه ؟ وقالت تماضر
 لأخيها الحارث بن عمرو بن الشريد : إنه ^(١) ليريدني اكيدناك وقروتك - والا كيدنان الغم ،
 والقروت ^(٢) السكوت - فلا يأخذن فيك ما قال زهير ، فإنه رجل بيذار غيذار سنوءة .
 - قال الأثرم : البيذار : الكثير الكلام ، والغيذار : السبي الخلق - ثم حاجوا له وطباً ،
 وأخذوا عليه يمينا ألا يجير ^(٣) عليهم ، ولا يُنذر بهم أحداً ؛ فخرج الحارث حتى أتى
 بني عامر ، فعمد إلى شجرة يجتمع إليها بنو عامر ، وألقى الوطب تحتهما والقوم ينظرون ، ثم
 قال : أيتها الشجرة الذليلة ، اشربني من هذا اللبن ، وانظري ما طعمه . فقال قوم : هذا رجل
 مأخوذ عليه . وهو يخبركم خبراً ، فذاقوا اللبن فإذا هو حاو لم يقرب بعد ، فقالوا : إنه يخبرنا
 أن مطلبنا قريب ، فركب خالد بن جعفر بن كلاب ومعه جماعة ، وكان راكباً فرسه حذفة ،
 فلقوا زهيراً ، فاعتنق خالد زهيراً ، وخرَّ عن فرسيهما ، ووقع خالد فوق زهير ونادى :
 يا بني عامر ، اقتلوني والرجل ، واستغاث زهير ببنيته ، فأقبل إليه ورفأه بن زهير يشد ^(٤) بسيفه ،
 فضرب خالداً ثلاث ضربات ، فلم تُغن شيئاً ، وكان على خالد درعان قد ظاهر بينهما ، ثم ١٥
 ضرب خنجر رأس زهير فقتله ، ففي ذلك يقول ورفأه بن زهير :

رأيت زهيراً تحت كلِّ خالدٍ فأقبأتُ أسعى كالمجولِ أبادر ^(٥)

[إلى بطليْنِ ينهضانِ كلاهما يريدان نصل السيفِ والسيفِ دار] ^(٦) [٧٠]

(١) ت : « إلى » . (٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : « قرت الدم يقرت قروتا إذا مات

تحت الجلد ؛ وقرت إذا تغير من حزن يصيبه ، والقروت : السكون » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « ألا يخبر عنهم » . (٤) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) :

« يشد » . (٥) المجول من النساء والإبل : الواله التي فقدت ولدها .

(٦) تسكئة من ت ، والأغاني ، والمقد .

فَشَلَّتْ يَمِينِي يَوْمَ أَضْرِبُ خَالِدًا وَيَسْتُرُهُ مِنِّي الْحَدِيدُ الْمُظَاهِرُ^(١)
فِيَالَيْتَ أَنِي قَبْلُ^(٢) ضَرْبَةَ خَالِدٍ وَيَوْمَ زُهَيْرٍ لَمْ تَلِدْنِي مُنْأَصِرًا!

فأما خبر الهبأة فإن بنى عبس وبنى فزارة لما التقوا إلى جنب جفر الهبأة^(٣) في يوم قائلًا ، فاقتتلوا - ولخبرهم شرح طويل معروف - استجار حذيفة ومن معه بجفر الهبأة ليتبرد^(٤) فيه ، فهجم عليه القوم ، فقال حذيفة يا بنى عبس ، فأين العود^(٥) ؟ وأين الأحلام ؟ فضرب حمّل بن بدر بين كتفيه وقال : « اتق ما تور القول بعد اليوم » ، فأرسلها مثلاً ، وقتل قر وواش ابن هبي حذيفة بن بدر ، وقتل الحارث بن زهير حملاً ، وأخذ منه ذا النون ، سيف مالك بن زهير أخيه ، وكان حمل بن بدر أخذه من مالك بن زهير يوم قتل ، فقال قيس في ذلك :

تَعَلَّمَ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَيِّتٌ عَلَى جَفْرِ الْهَبَاءَةِ لَا يَرِيمُ
وَلَوْ لَا ظَلَمَهُ مَا زِلْتُ أَبْكِي عَلَيْهِ الدَّهْرَ مَا طَلَعَ النُّجُومُ
وَلَكِنَّ النَّفْيَ حَمَلُ بْنُ بَدْرِ بَغَى وَالْبَغْيُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ^(٦)
أَطْنُ الْحِلْمِ دَلَّ عَلَى قَوْمِي وَقَدْ يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْحَلِيمُ
وَمَارَسْتُ الرَّجَالَ وَمَارَسُونِي فَمُعْوجٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ

وقال قيس أيضاً :

شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ وَسِيفِي مِنْ حُدَيْفَةَ قَدْ شَفَانِي
فَإِنْ أَكُ قَدْ بَرَدْتُ بِهِمْ غَالِي فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا بَنَانِي^(٧)

- (١) المقد ، ونسخة بجواشي الأصل ، ت ، ف ، : « ويعنه » . ويراد بالحديد هنا الدرع ؛ ويقال :
ظاهر الدرع ؛ إذا لم بعضها على بعض . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « يوم ضربة خالد » .
(٣) الهبأة : أرض في بلاد عطفان ؛ وجفر الهبأة : مستنقع فيها .
(٤) حاشية ت (من نسخة) : « ليتبرد » .
(٥) حاشية الأصل : « يقال سودد عود ، أى قديم » . (٦) حاشية الأصل (من نسخة) :
« مصرعه خيم » . (٧) حاشية ت من نسخة : « شفيت بهم » ، وروى ياقوت بعد هذا البيت :
فلا كانت الغبرا ولا كان داحس ولا كان ذاك اليوم يوم دهاني

مَجِيسِرْ آخِرُ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً/ صُمُّ بُكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْتَلُونَ﴾؛ [البقرة: ١٧١]. [٧١] و

فقال: أي وجه تشبيه الذين كفروا بالصائح^(١) بالغنم، والكلام يدل على ذمهم ووصفهم بالغفلة وقلة التأمل والتمييز، والناعق بالغنم قد يكون مميزاً متأملاً محصلاً؟

يقال له في هذه الآية خمسة أجوبة:

أولها أن يكون المعنى: مثل واعظ الذين كفروا والداعي لهم إلى الإيمان والطاعة كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم وهي لا تعقل معنى دعائه، وإنما تسمع صوته ولا تفهم غرضه؛ والذين كفروا بهذه الصفة لأنهم يسمعون وعظ النبي صلى الله عليه وآله ودعائه وإنذاره فينصرفون^(٢) عن قبول ذلك، ويغرضون عن تأمله، فيكونون بمنزلة من لم يبقاه ولم يفهمه؛ لا اشتراكهما في عدم الانتفاع به. وجاز أن يقوم قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ١٠ مقام الواعظ والداعي لهم؛ كما تقول العرب: فلان يخافك خوف الأسد؛ والمعنى نخوفه^(٣)

الأسد، فأضاف الخوف إلى الأسد وهو في المعنى مضاف إلى الرجل، قال الشاعر:

فَلَسْتُ مُسَلِّمًا مَا دُمْتُ حَيًّا عَلَى زَيْدٍ بِتَسْلِيمِ الْأَمِيرِ

أراد بتسليمي على الأمير، ونظائر ذلك كثيرة.

والجواب الثاني أن يكون المعنى: ومثل الذين كفروا كمثل الغنم التي لا تفهم نداء الناعق، فأضاف الله تعالى المثل الثاني إلى الناعق؛ وهو في المعنى مضاف إلى المنعوق به،

(١) حاشية الأصل (من نسخة) «الناعق»، وفي ت: «الصائح: الناعق»

(٢) حاشية ت (من نسخة): «فيضربون». (٣) م: «كخوفه من الأسد».

على مذهب العرب في قولها : طلعتِ الشَّمْرَى ، وانتصب العُود على الحِرْبَاءِ (١) ، والمعنى وانتصب الحِرْبَاءِ على العُود ؛ وجاز التقديم والتأخير لوضوح المعنى ؛ وأنشد الفراء :

إِنَّ سِرَاجًا لَكَرِيمٍ مَفْخَرُهُ تَحَلَّى بِهِ الْعَيْنُ إِذَا مَا تَجَهَّرَهُ (٢)
معناه يَحَلَّى بِالْمَعِينِ ؛ فَقَدَّمَ وَأَخَّرَ . وأنشد الفراء أيضاً :

كَانَتْ فَرِيضَةٌ مَا تَقُولُ كَمَا كَانَ الزَّنَاءُ فَرِيضَةَ الرَّجْمِ

المعنى كما كان الرَّجْمُ فَرِيضَةَ الزَّنَاءِ ، وأنشد أيضاً :

وَقَدْ خَفْتُ حَتَّى مَا تَزِيدُ مَخَافَتِي عَلَى وَعَلٍ فِي ذِي الْمَطَارَةِ عَاقِلٍ (٣)

/أراد ما تزيد مخافة وَعَلٍ على مخافتى ، ومثله :

[٧١]
ط

* كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاوُهُ (٤) *

أراد كَأَنَّ لَوْنَ سَمَائِهِ أَرْضُهُ ، ومثله :

تَرَى الثَّوْرَ فِيهَا مُدْخِلَ الظِّلِّ رَأْسَهُ وَسَائِرُهُ بَادٍ إِلَى الشَّمْسِ أَجْمَعِ (٥)

أراد مُدْخِلَ رَأْسِهِ الظِّلِّ ، وقال الراعي :

فَصَبَّحَتْهُ كِلَابُ الْعَوْتِ يُوسِدُهَا مُسْتَوْضِحُونَ يَرَوْنَ الْعَيْنَ كَالْأَثَرِ (٦)

يريد أنهم يرون الأثر كالعين ؛ وقال أبو النجم :

(١) الحِرْبَاءُ : حيوان كالعظاءة ؛ يدور مع الشمس . (٢) يقال حلَّى فلان بعيني وفي عيني إذا

أعجبك ؛ والبيتان في اللسان (حلا) ، وفي م : « تجلَّى » ، تصحيف .

(٣) البيت للباغية ، وقد مر ذكره ص ٢٠٢ ، وانظر ما سبق في تفسيره . (٤) الرجز لرؤبة ، وقوله :

* ومهمه مقبرة أرجاؤه * (٥) البيت من شواهد (الكتاب ١ : ٩٢) ؛ قال

الأعلم : « الشاهد فيه إضافة مدخل إلى الظل ، ونصب الرأس به على الاتساع والقلب ، وكان الوجه أن

يقول : مدخل رأسه الظل ؛ لأن الرأس هو الداخل في الظل ، والظل المدخل فيه ؛ وهو وصف هاجرة

قد أُنْبِأت الثيران إلى كنفها ، فترى نورا مدخلا لرأسه في ظل كنفه لما يجد من شدة الحر ، وسائر

بارز للشمس » . (٦) يذكرونورا ، والغوت : قبيلة من طيء ، ويوسدها : يفرها ؛ ومستوضحون :

صيادون ينظرون : هل يرون شيئا ؛ يقال استوضح الرجل ، إذا نظر ليرى شيئا أو أثرا ، يريد أن أثر

الصيد عندهم إذا رآه يكون بمنزلة الصيد نفسه لا يخفى عليهم . (وانظر معاني الشعر لابن قتيبة ٧٤٢)

* قَبْلَ دُنُوِّ الْأَفُقِ مِنْ جَوَازِئِهِ *

فَقَلَبَ ، وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ :

فَدَيْتُ بِنَفْسِي نَفْسِي وَمَالِي وَلَا أَلُوهُ إِلَّا مَا يُطِيقُ

أَرَادَ فَدَيْتُ بِنَفْسِي نَفْسَهُ ، وَقَالَ ابْنُ مِقْبَلٍ :

وَلَا تَهَيَّبُنِي الْمَوْمَاةُ أُرْكَبُهَا إِذَا تَجَاوَبَتِ الْأَصْدَاءُ بِالسَّحَرِ (١)

أَرَادَ لَا أَتَهَيَّبُ الْمَوْمَاةَ ؛ وَهَذَا كَثِيرٌ جَدًّا (٢) .

وَالْجَوَابُ الثَّلَاثُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : وَمِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمِثْلُنَا ، أَوْ مِثْلَهُمْ وَمِثْلِكَ يَا مُحَمَّدٌ

كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ ؛ أَيْ مِثْلَهُمْ فِي الْإِعْرَاضِ وَمِثْلُنَا (٣) فِي الدَّعَاءِ وَالتَّنْبِيهِ وَالْإِرْشَادِ كَمَثَلِ النَّاعِقِ

بِالْفَنَمِ ، فَحُذِفَ الْمِثْلُ الثَّانِي اكْتِفَاءً بِالْأَوَّلِ ؛ وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَائِيلَ

تَقِيمُكُمْ الْحَرَّ ﴾ [النحل : ٨١] ، أَرَادَ الْحَرَّ وَالْبَرْدَ ، فَكَتَفَى بِذِكْرِ الْحَرِّ مِنَ الْبَرْدِ ، وَقَالَ ٩٠

أَبُو ذُوَيْبٍ :

عَصَيْتُ إِلَيْهَا الْقَلْبَ إِنْ لَأَمَّرَهَا مُطِيعٌ فَمَا أُدْرِي أُرْشِدُ طِلَابُهَا (٤)

أَرَادَ أُرْشِدُ أَمْ غَيٌّ ، فَكَتَفَى بِذِكْرِ الرُّشْدِ لَوْضُوحِ الْأَمْرِ .

وَالْجَوَابُ الرَّابِعُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ : وَمِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي دَعْوَتِهِمْ لِلْأَصْنَامِ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا

مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهِيَ لَا تَعْقِلُ وَلَا تَفْهَمُ ، وَلَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ دَعَاءً وَنِدَاءً بِمَا ١٥

(١) معاني ابن قتيبة ١٢٦٤ ، واللسان - هيب ؛ يقال : تهيبني الشيء بمعنى تهيبته أنا ؛ كذا ذكره

صاحب اللسان واستشهد بالبيت . والموماة : المفازة ؛ والأصداء : جمع صدى ؛ وهو البوم .

(٢) حاشية ت : « ومن المألوف قوله تعالى : ﴿ مَا إِنْ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوَّهُ بِالْمُصْبَةِ ﴾ ، وإنما هو :

تنوه المصبة بها ، وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفًا وَعَمْدِهِ رُسُلُهُ ﴾ ؛ يريد مخلف رسله

وعده ؛ وإنما جرى المألوف في كلام العرب انشاءً في الظاهر ؛ لأن المعنى فيه لا يشكك .

(٣) د ، حاشية ت (من نسخة) : « ومثلك » . (٤) ديوان الهذليين ١ : ٧١ ؛

والرواية فيه :

عَصَانِي إِلَيْهَا الْقَلْبُ إِنْ لَأَمَّرَهُ سَمِيعٌ فَمَا أُدْرِي أُرْشِدُ طِلَابُهَا

لا يسمع صوته جملة ، والدعاء والنداء على هذا الجواب ينتصبان ينعق ، وإلا توكد لكلام ؛
ومعناها الإلغاء ؛ قال الفرزدق :

[٧٢]
و
/ هُمُ الْقَوْمُ إِلَّا حَيْثُ سَلُّوا سِيُوفَهُمْ وَضَحَّوْا بِلَحْمٍ مِنْ مُجَلٍّ وَمُحْرِمٍ^(١)
والمعنى : هم القوم حيث سلُّوا سيوفهم .

و الجواب الخامس أن يكون المعنى : ومثل الذين كفروا في دعائهم الأصنام^(٢)
وعبادتهم لها واسترزاقيهم إياها كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم ويناديها ؛ فهي تسمع
دعائه ونداءه ولا تفهم معنى كلامه ، فشبه من يدعو الكفار من العبودات دون الله جلَّ
اسمه بالغنم ، من حيث لا تعقل الخطاب ولا تفهمه ، ولا نفع عندها فيه ولا مضرة .

وهذا الجواب يقارب الذي قبله ، وإن كانت بينهما مزية ظاهرة ؛ لأن الأول يقتضى
ضرب المثل بما لا يسمع الدعاء ولا النداء جملة ، ويجب أن يكون مصروفاً إلى غير الغنم
وما أشبهها مما يسمع وإن لم يفهم . وهذا الجواب يقتضى ضرب المثل بما يسمع الدعاء والنداء
وإن لم يفهمهما ، والأصنام من حيث كانت لا تسمع النداء^(٣) جملة يجب أن يكون داعيها
ومناديها أسوأ حالاً من منادى الغنم . ويصح أن يصرف إلى الغنم وما أشبهها مما يشارك
في السماع ، ويخالف في الفهم والتمييز .

١٥ وقد اختلف الناس في ﴿ يَنْعِقُ ﴾ فقال أكثرهم : لا يقال نَعَقَ ينعق إلا في الصباح
بالغنم وحدها ؛ وقال بعضهم نَعَقَ ينعق بالغنم والإبل والبقر ؛ والأول أظهر في كلام العرب ؛
قال الأخطل :

فَانعِقْ بِضَانِكَ يَا جَرِيرُ فَإِنَّمَا مَنَّتَكَ نَفْسُكَ فِي الْخَلَاءِ ضَلَّالًا^(٤)

(١) ديوانه ٢ : ٧٦٠ ، وفي ت ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « حين » ، وفي حاشية الأصل

أيضا : « نظير هذا في مورد « إلا » للتوكيد دون الاستثناء قولهم : « أسألك إلا غفرت لى » .

(٢) م : « للأصنام » . (٣) ت : « الدعاء والنداء » ، ف : « الدعاء » .

(٤) ديوانه : ٥٠ .

ويقال أيضاً: نَعَقَ الغراب ونَعَقَ؛ بالفين المعجمة؛ إذا صاح من غير أن يمدّ عنقه ويحركها؛ فإذا مدها وحركها ثم صاح قيل: نَعَبَ، ويقال أيضاً: نَعَبَ الفرس ينمب وينعب نعباً ونعبياً ونعباناً، وهو صوته؛ ويقال: فرسٌ منعبٌ، أى جواد، وناقاة نعباة؛ إذا كانت سريعة.

تَأْوِيلُ خَبَرِ

رَوَى أَن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خَرَجَ مَعَ أَحْبَابِهِ إِلَى طَعَامٍ دُعُوا إِلَيْهِ^(١)؛ فَإِذَا^(٢) بِالْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ صَبِيٌّ يَلْعَبُ مَعَ صَبِيَّةٍ فِي السَّكَّةِ، فَاسْتَنْتَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَمَامَ الْقَوْمِ، فَطَفِقَ الصَّبِيُّ يَفِرُّ مَرَّةً هَاهُنَا، وَمَرَّةً هَاهُنَا، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يُضَاحِكُهُ،^(٣) ثُمَّ أَخَذَهُ^(٤)، فَجَمَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ تَحْتَ ذَقْنِهِ، وَالْأُخْرَى / تَحْتَ فَأْسِ رَأْسِهِ، [٧٢] وَأَقْنَعَهُ قَبْلَهُ، وَقَالَ: «أَنَا مِنْ حُسَيْنٍ وَحُسَيْنٌ مِنِّي، أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا، حُسَيْنٌ سَبَطَ مِنَ الْأَسْبَاطِ».

قال الشريف أدام الله علوه: معنى استنتل تقدم، يقال: استنتل الرجل استنتلاً،^{١٠} وابتثا ابتثاء^(٤)، وابتذع ابتذاعاً؛ إذا تقدم، هكذا ذكره ابن الأباري.

ووجدت بعض المتقدمين في علم اللغة يحكي في كتاب له قال: تقول: "استنتلت الأمر استنتلاً إذا استعدت له، واستنتل الرجل تفرّد من القوم، ويقال: استنتل أشرف". والمعاني تقارب، والخبر يليق بكل واحد منها. وحكى هذا الرجل الذي ذكرناه في كتابه في ابتثاء وابتذع أيضاً أنه من الاستعداد.

١٥

فأما السكّة، فهي المنازل المصطفة، والنخل المصطف.

(١) ت، د: «له». (٢) في حاشيتي الأصل، ف: «تقول خرجت فإذا زيد على الطريق؛ إذا همى الوقت؛ والتقدير: خرجت والوقت وقت حضور زيد على الطريق؛ وكذلك أكرمك إذ أنت صديقي؛ ليست إذ لا مضى من الزمان؛ بل هي تعليلية، والتقدير: أكرمك لأنك صديقي». (٣-٢) ساقط من م. (٤) ص: «ابتثاء».

ومعنى طَفِقَ ما زال ، قال الشاعر :

طَفِقَتْ تَبْكِي وَأُسْعِدُهَا فَكَلَانَا ظَاهِرُ الْكَمَدِ (١)

وفأس الرأس : طَرَفَ الْقَمَحْدُ وَوَع (٢) الشرف على القفا .

ومعنى «أقنعه» رفعه ، هكذا ذكر ابن الأنباري . وقال غيره : يقال أقنعه ظهره إقناعاً إذا

طأطأه ثم رفعه برفق .

فأما الأسباط فأصلها في ولد إسحاق عليه السلام كلقبائل في بني إسماعيل عليه السلام

وقال ابن الأنباري : هم الصَّبِيَّةُ والصَّبَوَةُ ، بالياء والواو معاً .

حدثنا أبو القاسم عبد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيبة قال أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن أحمد

الحكيمي قراءة عليه قال أُمِّي عَلِينَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَعْلَبِي قَالَ أَخْبَرَنَا ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ

١٠ أَنَّهُ قِيلَ لِابْنَةِ الْخُسِّ : مَا مِائَةٌ مِنَ الْعِزِّ ؟ قَالَتْ : « مَوَيْلٌ يَشْفُ الْعَقْرُ مِنْ وَرَائِهِ ، مَالٌ

الضَّعِيفِ ، وَحِرْفَةٌ الْعَاجِزِ » . قِيلَ لَهَا : فَمَا مِائَةٌ مِنَ الضَّانِّ ؟ قَالَتْ : « قَرْيَةٌ لَا حِمَى بِهَا » ،

قِيلَ : فَمَا مِائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ ؟ قَالَتْ : « بَيْخٌ (٣) ! كَجَمَالٍ وَمَالٍ ، وَمُنَى الرَّجَالِ » ، قِيلَ لَهَا : فَمَا مِائَةٌ مِنَ

الْحَيْلِ ؟ قَالَتْ : « طَعْنِي عِنْدَ مَنْ كَانَتْ ، وَلَا تَوْجِدْ » . قِيلَ : فَمَا مِائَةٌ مِنَ الْيَحْمَرِ ؟ قَالَتْ : « عَازِبَةٌ

اللَّيْلِ ، وَخَزْمِي الْمَجْلِسِ ، لَا لَيْنٌ فَيُحْلَبُ ، وَلَا صَوْفٌ فَيُجْتَرُّ (٤) ، إِنْ رُبُّ يَطْرِئُ عَيْرُهُ دَلِّي (٥) ، وَلَا

١٥ أُرْسِلُ وَلِّي (٦) » .

وبهذا الإسناد عن ابن الأعرابي قال : قيل لابنة الخُسِّ - والخُصِّ والخُصْفِ ، قال : كل ذلك

يقال : ما أحسنُ شيء ؟ قالت : « غادية ، في أثر سارية ، في نبخاء قاوية » - قال : / بنخاء .

أرض مرتفعة ، لأن النبات في موضع مشرف أحسن - وقالوا أيضاً : « نَفَخَاء » ، أي رابية

(١) ت : « الجلد » . (٢) القمحدوة : الهنة الناشرة فوق القفا وأعلى القذال خلف الأذنين

(٣) د ، ج : « بخ بخ » ، بتنوين الحاء . (٤) د : « فيجز » . (٥) من نسخة بمولته

الأصل ، ت ، ف : « أدل » . (٦) ت : « وإن أرسلته » ، والخبر في المره ٢ : ٤٥٠ .

ليس بها رمل ولا حجارة ، قال : والجمع التفاحي^(١) ، ونبت الرايبة أحسن من نبت الأودية ، لأن السيل يصرع الشجر فيتمدفه في الأودية ، ثم يُلقى عليه الدمن^(٢) .

قال الشريف أدام الله علوه : ومما يدل أن نبت الرايبة أحسن قول الأعشى :

مَارَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحَزَنِ مُعْشِبَةٌ خَضْرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطْلٌ^(٣)

وقال كثير :

فَمَارَوْضَةٌ بِالْحَزَنِ طَيِّبَةُ النَّوَى يَمِجُّ النَّدَى جَنَجَانُهَا وَعَرَارُهَا^(٤)

(١) في حاشيتي ت ، ف : « قال الجوهري : النبخاء : الأكمة ، والنبخاء من الأرض مثل النبخاء ، وأبوت النار وقويت ؛ أي خلت » . (٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « الدمن : جمع دمنة ؛ وهو ما يلبد من التراب والقش وكسار العيدان ؛ والخبر في (مجالس ثلث ٣٤٣ ، والمخصص ١٠ : ١٤٣ ، واللسان - نبخ ، نفتح) . (٣) حواشي الأصل ، ت ، ف : « بعده :

يُضَاحِكُ الشَّمْسَ مِنْهَا كَوَكَبٌ شَرِقٌ مُؤَزَّرٌ بِمَعْمِرِ النَّبْتِ مُكْتَهِلٌ
يَوْمًا بِأَطْيَبَ مِنْهَا نَشْرَ رَائِحَةٍ وَلَا بِأَحْسَنَ مِنْهَا إِذَا دَنَا الْأَصْلُ

— كوكب النوى : معضمه ، والنبت إذا عم وكثر قيل اكتهل ، وقوله : « إذا دنا الأصل » ، يعني أن الزهر إذا كان في الأصل كان أحسن للبعد عن برد الغداة » . والأبيات في ديوانه : ٤٣ : (٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « الجنجات والعرار : نباتان ، ومنه :

بِأَطْيَبَ مِنْ أَرْدَانَ عَزَّةَ مَوْهِنًا وَقَدْ أُوقِدَتْ بِالْمَنْدَلِ الرَّطْبِ نَارُهَا

ولابيض قصة ؛ وهي أن كثيرا أقبل ذات يوم راكبا ، فاعترضت له في الطريق عجوز قد أوقدت في روثه ، فنضجر عليها كثير ، وتأفف في وجهها ؛ فقالت : أنت القائل :

فَمَا رَوْضَةٌ بِالْحَزَنِ طَيِّبَةُ النَّوَى يَمِجُّ النَّدَى جَنَجَانُهَا وَعَرَارُهَا

بِأَطْيَبَ مِنْ أَرْدَانَ عَزَّةَ مَوْهِنًا وَقَدْ أُوقِدَتْ بِالْمَنْدَلِ الرَّطْبِ نَارُهَا

قال : نعم ؛ قالت : والله لو أوقد بالمندل على هذه الروثة لطابت ! هلاقت كما قال سيدك ومولاك
أمرؤ القيس :

أَلَمْ تَرَيَانِي كَمَا جِئْتُ طَارِقًا وَجَدْتُ بِهَا طَيِّبًا وَإِنْ لَمْ تَطْيَبِ !

فانسكسر كثير وخجل . وقيل إنه أعضاها مطرفا كان معه وقال : « استرته على » ؛ (وانظر ديوان
أمرؤ القيس ٧٣ ، وديوان كثير ١ : ٩٣) .

فخصاً الحزن للمعنى الذى ذكرنا .

وبهذا الإسناد عن ابن الأعرابي قال : العرب تقول جاءنا بطعام لا يُنادى وليدُه ؛ إذا جاء بطعامٍ كثير لا يُراد فيه زيادة ، ووقع في أمر لا يُنادى وليدُه ؛ يقول لا يُدعى إليه الصبيان ؛ ولا يستعان إلا بكبار الرجال فيه .

٥ قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : وفي ذلك قولان آخران ؛ أحدهما عن الأصمى قال : أصله من الشدة تصيب القوم حتى تُذهل المرأة عن ولدها فلا تُناديه لما هى فيه ، ثم صار مثلاً لكل شدة ، ولكل أمرٍ عظيم . والقول الآخر عن الكلّابي قال : أصله من الكثرة والسعة ، فإذا أهوى الوليدُ إلى شيء لم يُزجر عنه حذر الإفساد ، لسعة ما هم فيه ، ثم صار مثلاً لكل كثرة ؛ قال الفراء : وهذا القول يُستعان به في كل موضع يراد به الغاية ، وأنشد :

لقد شرعتُ كفوًّا يزيدَ بنَ مزَيدٍ شرائعَ جودٍ لا يُنادى وليدُها

وبالإسناد الذى تقدم عن ابن الأعرابي قال : دخل ودفة^(١) الأسدى على معن بن زائدة الشيبانى فقال : إن رأيت أكرمك الله أن تضعنى من نفسك بحيث وضعتُ نفسى من رجائك ؛ فإنك قد بلغتَ حالاً لو أعتقنى الله فيها بكرمك من تنصف^(٢) الرجال بعدك لم يكن كثيراً ، وإني قد قدّمتُ الرجاء ، وأحسنتُ الثناء ، ولزمتُ الحِفاظ ، ثم أنشأ يقول :

يا مَنُ إنكَ لم تُنعمْ على أحدٍ فشابَ نَمَأكَ تَنغيصٌ ولا كَدَرُ
/ فانظرُ إلى بطرفٍ غيرِ ذى مَرَضٍ فرُبَّما صَحَّ لى مِن طَرَفِكَ النَّظَرُ
أَيَّامَ وَجْهَكَ لى طَلَقٌ يُخَبِّرُنى إذا سَكَتَ بما تُخْفى وتَضَطَّمُ
وَمِنْ هَوَاكَ شَفِيعٌ لىس يُغْفِلُنى وإن نَأيتُ وإن قَلتُ بى الذِّكْرُ

[٧٣]
ظ

(١) ودفة ؛ بالفاء ، وضبط فى الأصل ، ت بفتح الدال وإسكانها معاً .

(٢) حاشية ت ، ف : « التنصف : الخدمة ؛ يقال تنصفه إذا خدمه ، والتنصيف : الخادم » .

قَدْ كُنْتَ أَثَرْتَ عِنْدِي مَرَّةً أَثَرًا قَدْ تَقَارَبَ يَعْفُو ذَلِكَ الْأَثَرُ
 فَاجْبُرْ بِفَضْلِكَ عَظْمًا كُنْتَ تَجْبُرُهُ وَاجْمَعْ بِفَعْلِكَ مَا قَدْ كَادَ يَنْتَشِرُ^(١)
 مَا نَازَعَ الْعُسْرُ فِي الْيُسْرِ مُذْ عَلِقَتْ كَفَى بِحَبْلِكَ إِلَّا ظَفَرَ الْيُسْرِ
 وَقَدْ خَشِيتُ وَهَذَا الدَّهْرُ ذُو غَيْرِ بَأْنُ يُدَالِ لِطُولِ الْجَفْوَةِ الْعُسْرِ^(٢)
 وَأَيَّمَا^(٣) كَانَ مِنْ عُسْرٍ وَمَيْسَرَةٍ فَإِنَّ حَظَّكَ فِيهِ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ ٥

فقال معن : أو ما كئنا أعطيناك شيئاً؟ قال : لا ، قال : أما الذهبُ والفضةُ فليسا عندنا، ولكن هات تخمناً^(٤) من ثيابي يا غلام؛ فدفعه إليه، وقد كان تحمل عليه^(٥) بابت عيَّاش وحبیب بن بُدیل، فأعطاها معه تخمين، وقال : غرمتني يا ودفة تختني ثياب!

قال سيدنا الشريف أدام الله علوه : وكان معن بن زائدة جواداً شجاعاً شاعراً، ويكنى أبا الوليد، وهو معن بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن مطر بن شريك بن عمرو بن مطر، ١٠ وهو أخو الحوفزان بن شريك، وكان معن من أصحاب ابن هُبيرة^(٦)، فلما قُتِلَ رثاه معن فقال:

أَلَا إِنَّ عَيْنًا لَمْ تَجِدْ يَوْمَ وَاسِطٍ عَلَيْكَ بِجَارِي دَمِهَا لَجَمُودُ^(٧)
 عَشِيَّةَ قَامَ النَّاحَاتِ وَشُقَّتْ جُيُوبٌ بِأَيْدِي مَأْتَمٍ وَخُدُودُ^(٨)
 فَإِنَّ تَمْسَ مَهْجُورِ الْفِنَاءِ فَطَالَمَا^(٩) أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الْوُفُودِ وَفُودُ
 فَإِنَّكَ لَمْ تَبْعُدْ عَلَى مُتَمَهِّدٍ بَلَى كَلُّ مَنْ تَحْتَ التَّرَابِ بَعِيدُ^(١٠) ١٥

(١) ت : « بفضلك » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « بظول الجفوة » .

(٣) م : « وإن ما » . (٤) التخت : وعاء تصان فيه الثياب :

(٥) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « إليه » ، وتحمل إليه ؛ أي تشفع .

(٦) حواشي الأصل ، ت ف : « قتل ابن هبيرة السفاح » . (٧) حواشي الأصل ، ت ، ف :

« روى أبو تمام هذه القطعة في الحماسة لأبي عطاء السندی » . (و انظر ديوان الحماسة - بشرح التبريزي

٢ : ٢٩٥ - ٢٩٦) . (٨) حاشية الأصل : « المأتم : جماعة النساء للعرء » .

(٩-٩) م : « مهجور الجناب فطالما » ، ورواية الحماسة : « مهجور الجناب فرجما » ؛ قال التبريزي :

والرواية المختارة : « ورجما » بالواو ؛ وذلك أن جواب الشرط من قوله : « فإن تمس مهجور الفناء »

« فإنك لم تبعد على متعهد » ، وبصير : « رجما أقام » بيان الحال فيما تقدم من رياسته .

(١٠) أي على متعهد يتعهدك بالذكر والبكاء .

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني يوسف بن يحيى المنجم عن أبيه قال حدثني محمد بن القاسم بن مَرْوَيْه قال حدثني أبو زيد بن الحكم بن موسى قال حدثني أبي قال : كان معن بن زائدة / من أصحاب يزيد بن عمرو بن هبيرة ، وكان مستتراً ، حتى كان يوم الهاشمية^(١) ، فإنه حضر وهو معهم متلهم ، فلما نظر إلى القوم وقد وثبوا على المنصور تقدم فأخذ يلجم بقلته ، ثم جعل يضربهم بالسيف قدماه ، فلما أفرجوا له وتفرقوا عنه قال له : مَنْ أَنْتَ وَيَحْك ! قال : أنا طليبتك معن بن زائدة . فلما انصرف المنصور حباه وكساه ورتبه ، ثم قلده اليمن ، فلما قدم عليه من اليمن قال له : هيه يامعن ! تعطي مروان بن أبي حفصة مائة ألف درهم على أن قال لك :

مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ الَّذِي زِيدَتْ بِهِ شَرْفًا عَلَى شَرَفِ بَنِي شَيْبَانَ
إِنْ عُدَّ أَيَّامُ الْفَعَالِ فَإِنَّمَا يَوْمًا : يَوْمُ نَدَى وَيَوْمُ طِعْمَانِ

فقال : كلاً يا أمير المؤمنين ، ولكن أعطيته على قوله :

مَا زِلْتَ يَوْمَ الْهَاشِمِيَّةِ مُعَلِّناً بِالسَّيْفِ دُونَ خَلِيفَةِ الرَّحْمَنِ
فَمَنْعْتَ حَوَزَتَهُ ، وَكُنْتَ وَقَاهُ مِنْ وَقَعِ كُلِّ مُهَنْدٍ وَسِنَانِ

فقال له : أحسنت يامعن !

١٥ وفي خبر آخر أنه دخل على المنصور ، فقال له : وبيك^(٢) ! ما أظن ما يقال فيك من ظلمك لأهل اليمن واعتسافك إياهم إلا حقاً ! قال : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : بلغني أنك أعطيت شاعراً كان يلزمك ألفي دينار ، وهذا من السرف الذي لا شيء مثله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنما أعطيته من فضول مالي وغلات ضياعي وفضلات^(٣) رزقي ، وكففته عن عرضي ، وقضيت الواجب من حقه علي وقصده إلي وملازمته لي ، قال : ٢٠ فجعل أبو جعفر ينكت بقضيب في يده الأرض ولم يماوده القول .

(١) الهاشمية : مدينة بناها السفاح بالقرب من الكوفة ، والحبري (ابن خلدكان ٢ : ١٠٩)

(٢) ت : « وبيك يامعن ! » . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « وفضلات » .

وأخبرنا المرزباني قال أخبرني علي بن يحيى عن عبد الله بن أبي سعد الوراق عن خالد ابن يزيد بن وهب بن جرير عن عبد الله^(١) بن محمد المعروف بمنقار من أهل خراسان - وكان من ولاية الرشيد - قال : حدثني معن بن زائدة قال : كنا في الصحابة سبعمائة رجل ، فكنا ندخل على المنصور في كل يوم ، قال : فقلت للربيع : اجعاني في آخر من يدخل عليه ، فقال لي : لست بأشرفهم فتكون في أولهم ، ولا بأخسهم نسبا فتكون في آخرهم ، وإن مرتبتك [٧٤]^ظ لتسبه^(٢) نسبك . قال : فدخلت على المنصور ذات يوم ، وعلى دراعة فضفاضة ، وسيف حنفي^(٣) أقرع بنعله الأرض ، وعمامة قد أسدلها من قدامي وخلقى ، فسلمت عليه وخرجت ، فلما حسرت عند الستر صاح بي : يا معن ! صيحة أنكرتها ، فلبيته فقال : إلى ، فدنوت منه ، فإذا به قد نزل عن فراشه إلى الأرض ، وجثا على ركبتيه ، واستل عموداً من بين فراشين ، واستحال لونه ، ودرت أوداجه ، وقال : إناك لصاحب يوم واسط ، لا نجوت إن نجوت مني ! قال : ١٠ قلت : يا أمير المؤمنين ، تلك نصرتي لباطلهم ، فكيف نصرتي لحقك ؟ قال : فقال لي : كيف قلت ؟ فأعدت عليه القول ، فما زال يستعيدني حتى رد العمود إلى مستقره ، واستوى متربعاً ، وأسفر لونه وقال : يا معن ، إن باليمن هنأت ، قات : يا أمير المؤمنين ، « ليس لمكتوم رأى » - وهو أول من أرسلها مثلاً - فقال : أنت صاحبى ، فاجلس ، قال : فجلست ، وأمر الربيع بإخراج كل من كان في الدار ، وخرج الربيع ، فقال لي : إن صاحب اليمن قد همّ بالمعصية ، وإنى أريد أن ١٥ آخذه أسيراً ، ولا يفوتني شيء من ماله ، قلت : ولنى اليمن وأظهر أنك قد ضممتني إليه ، ومُر الربيع أن يريح عنتي في كل ما أحتاج إليه ، ويخرجني في يومى هذا لئلا ينتشر الخبر ، قال : فاستل عهداً من بين فراشين ، فوقع فيه اسمى وناولنيه ، ثم دعا الربيع فقال : يا ربيع ، إنا قد ضممننا معنًا إلى صاحب اليمن ، فأزح عنته فيما يحتاج إليه من السلاح

(١) حاشية ت (من نسخة) : « عبيد الله » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) :

« كغسبة نسبك » . (٣) السيف الحنفي : نوع منها ينسب إلى الأحنف بن قيس ؛ لأنه أول من أمر باتخاذها ، والقياس أحنفية ؛ (القاموس) .

والكرع، ولا يُمسي إلا وهو راحل، قال: ثم ودعني فودعته، وخرجت إلى الدهليز، فلقيني أبو الوالي فقال: يامعن؛ أعزز علي أن تضمَّ إلى ابن أخيك! قال: فقلت له: إنَّه لا غضاضة على الرجل يضمُّه سلطانه إلى ابن أخيه. وخرجت إلى اليمن، فأتيت الرجل، فأخذته أسيراً، وقرأت عليه العهد، وقعدت في مجلسه.

• وروى عمر بن شبة قال: اجتمع عند من بن زائدة ابن أبي عاصية وابن أبي حفصة والضمرى، فقال: لِينْشِدْنِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ أَمْدَحَ بَيْتِ قَالِهِ فِي، فَأَنْشِدُهُ ابْنَ أَبِي حَفْصَةَ: مَسَحَتْ رَيْبَةً وَجَهَ مَعْنٍ سَابِقًا لِمَا جَرَى وَجَرَى ذَوُو الْأَحْسَابِ / فقال له من: الجواد يعثر فيمسح وجهه من العثار والغبار وغيرها. وأنشده الضمرى:

[٧٠]

أنت امرؤ همك المآلى ودلؤ معروفك الربيع

١٠

- وروى: « ودون معروفك الربيع » -

وشأنك الحمدُ تشتريه يُشيعهُ عنك ما يُشيع^(١)

فقال له: ما أحسن ما قلت! إلا أنك لم تسمني ولم تذكرني، فمن شاء انتحله. وأنشده ابن أبي عاصية:

١٥ إن زال مَعْنُ بَنِي زِيَادٍ^(٢) لَمْ يَزُلْ لِنْدَى إِلَى بَلَدٍ بَعِيرٍ مُسَافِرٍ^(٣)

ففضله عليهم.

وروى أنه أتى من بن زائدة بثلاثمائة أسير، فأمر بضرب أعناقهم، فقال له شاب منهم: يا أخا شيبان^(٤)، نناشدك الله أن تقتلنا عطاشا! فقال: اسقوهم ماء، فلما

(١) من نسخة بحواشي الأصل، ت، ف: « من يشيع ».

(٢) حاشية ت (من نسخة): « شريك ». (٣) في حاشيتي الأصل، ف: « التقدير:

إن زال مَعْنُ بَنِي زِيَادٍ لَمْ يَزُلْ لِنْدَى بَعِيرٍ مُسَافِرٍ إِلَيْهِ؛ بَعْنِي أَنْ عَفَاتِهِ بَعْدَ زَوَالِهِ يَتَوَدَّعُونَ وَلَا يَسَافِرُونَ لَعْدَمِهِ مِنْ يَقْصَدُ ». (٤) حاشية ت (من نسخة): « يا أخا بني شيبان ».

شربوا قال : يا أخا شيبان ، نناشدك الله أن تقتل أضيائك ! فقال : أطلقوهم .

وذكر أحمد بن كامل أن الخوارج قتلت معن بن زائدة بسجستان في سنة إحدى وخمسين ومائة (١) .

وروى أن عبد الله بن طاهر كان يوما عند المأمون ، فقال له : يا أبا العباس ، من أشعر من قال الشعر في خلافة بني هاشم ؟ قال : أمير المؤمنين أعرف بهذا مني ، قال : قل علي كل حال ، قال عبد الله : أشعرهم الذي يقول في معن بن زائدة :

أيا قبر معن كنت أول حفرة
أيا قبر معن كيف وارت جوده
من الأرض خطت لسمحة مضجعا (٢)
وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى قد وسمت الجود والجود ميت
ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا

والآيات للحسين بن مطير الأسدي ، وهي تزيد على هذا المقدار ، وأولها :
ألمأ بمعن (٣) ثم قولاً لقبره
سقتك الغواذي مر بعا ثم مر بعا
وفيها :

فتى عيش في معروفه بعد موته
ولما مضى معن مضى الجود وانقضى
كما كان بعد السيل مجراه مر بعا
وأصبح عرين المكارم أجدا

(١) وانظر ترجمة معن وأخباره في (تاريخ بغداد ١٣ : ٢٣٥-٢٤٤ ، وابن خلكان ٢ : ١٠٨)
(٢) الأبيات في (ديوان الحماسة - بشرح التبريزي ٢ : ٣٩٠-٣٩٢) ، وهي أيضا في تاريخ بغداد وابن خلكان .
(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « ألمأ على معن » .

مَجْلِسُ آخِرٍ تَأْوِيلُ آيَةٍ

[٧٥] قال سيدنا الشريف الأجلّ ذوالمجدين / أطال الله بقاءه : إن سأل سائلٌ فقال : مالوجهُ
ظ
في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ ؛
[آل عمران : ٢١] ، وفي موضع آخر : ﴿ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ ؛ [آل عمران : ١٨١] ؛
وظاهرُ هذا القول يقتضى أن قتلهم قد يكون بحق . وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُدْعُ مَعَ اللَّهِ
إِنهَا آخِرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾ ؛ [المؤمنون : ١١٧] . وقوله : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ
بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ ؛ [الرعد : ٢] ، وقوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا
بِآيَاتِي تَمَنَّا قَلِيلًا ﴾ ؛ [البقرة : ٤١] ، وقوله تعالى : ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْصَاءَ ﴾ ؛ [البقرة : ٢٧٣] ؛
والسؤالُ عن هذه الآيات كلها من وجهٍ واحدٍ وهو الذى تقدم .

الجواب ، أن للعربِ فيما جَرَى هذا المجرى من الكلام عادةٌ معروفةٌ ، ومذهباً
١٠ مشهوراً ، عند مَنْ تَصَفَّحَ كلامهم وفَهِمَ عنهم . ومرادهم بذلك المبالغة في النفي وتأكيدُه ؛
فمن ذلك قولهم : فلان لا يُرْجى خيره ؛ ليس يُريدون أن فيه خيراً لا يُرْجى ، وإنما غرضهم
أنه لا خيرَ عنده على وجه من الوجوه ؛ ومثله : قلما رأيتُ مثلَ هذا الرجل ، وإنما يُريدون
أن مثله لم يُرْ لا قليلاً ولا كثيراً ؛ وقال امرؤ القيس :

على لاجِبٍ لا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ ^(١) إِذَا سَافَهُ الْعَوْدُ الدِّيَافِي جَرَّ جَرًّا ^(٢)

١٥ يصف طريقاً ؛ وأراد بقوله : « لا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ » أنه لا منارَ له فَيُهْتَدَى بها .

(١) من نسخة بمحاضية الأصل : « منارة » . (٢) ديوانه : ١٠١ ، واللاحب : الطريق

المنقاد الذى لا ينقطع . والمنار : جمع منارة ؛ وهى العلامة التى تجعل بين الحدين ؛ ورواية الديوان : « النباطى »

والعوذ: المسنُّ من الإبل ، والدِّيافيّ: منسوبٌ إلى دِياف ، قرية بالشام معروفة^(١) .
وسافه: شمه^(٢) ، والجرجرة مثل المدير ؛ وإنما أراد أن العوذ إذا شمه عرفه فاستبعده ،
وذكر ما يلحقه فيه من المشقة ، فجر جَر لذلك ؛ وقال ابن أحر :

لا تَفْزِعُ الأَرْنَبا أَهْوالُها ولا تَرى الضَّبَّ بها يَنْجَحِرُ

أراد : ليست بها أهوال فتفزع الأرنب ؛ وقال النابغة :

يَحْفَهُ جانِباً نَيْقٍ وتُدْبِمُهُ مِثْلَ الرُّجاجةِ لم تُكْحَلْ مِنَ الرَّمَدِ^(٣)

أراد : ليس بها رمد فتكحل له ؛ وقال امرؤ القيس أيضاً^(٤) :

وَصُمُّ حَوامٍ ما يَقيَنَ مِنَ الوَجى كَأَنَّ مَكَانَ الرَّدْفِ مِنْهُ على رِمالِ

/ يصف حوافر فرسه . وقوله : « ما يقين من الوجى » فالوجى هو الحفا ، و « يقين » ؛ [٧٦]

أى يتوقن ، يقال : وقى الفرس إذا هاب المشى ، فأراد أنه لا وجى بحوافره فيتمهين^١ .
الأرض من أجله ، والرأل : فرخ النعام ، وشبهه إشراف عجزه بعجز الرأل ؛ وقال الآخر^(٥) :

(١) ت : « وهى قرية » ، وفى معجم البلدان : د وقيل من قرى الجزيرة ، وأهلها نبط الشام .

(٢) م : « شمه وعرفه » . (٣) حاشية ت : « الهاء فى يحفه للحمام ، والنيق : أرفع موضع

الجبل ، ومثل الزجاجية عين المرأة التى وصفها » ، وفى حاشية الأصل : « وقيله :

واحْكُمْ كَحْكُمِ فتاة الحى إذ نظرت إلى حمامٍ سراعٍ واردِ الثمدِ

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا ونصفه قد

— والثمد : الماء القليل .

وفتاة الحى : هى بنت الحس ، عن الأصمى ، وعن أبي عبيدة : زرقاء اليمامة . وذكر أبو حاتم أنه كان

لها قضاة ، ومر بها سرب من القضا بين جبلين ؛ فقالت : ليت هذا الحمام لى ، ونصفه لى حمامتى فيتم لى مائة ؛

فنظروا فإذا هى كما قالت ، وأرادت بالحمام القضا ، وكانت جملة الحمام ستا وستين . وانظر الأبيات وشرحها

فى ديوان النابغة — بشرح البطلبوسى ٢٣ ، ٢٤ . (٤) ت ، وحاشيتى الأصل ، ف « يصف

فرسا ، وقيله :

سَلِيمُ الشَّظَا عَيْلُ الشَّوَى شَنِجُ النَّسَا لَهُ حَجَبَاتٌ مَشْرِفَاتٌ على الفألى

— الشظا : عظم مستدق لاصق بعظم الذراع . والحجبة على الورك ، وهما حجبتان مشرفتان على الحاصرتين

فجمعهما بما حوا اليهما . والفألى يعنى به الفائل ؛ فقلبه ، والفائل : لحم على خربة الورك ؛ وانظر الديوان : ٦٥ .

(٥) هو أعشى باهالة ؛ من قصيدة يرى بها المنتشر بن وهب .

لَا يَغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا يَعْصُ عَلَى شُرْسُوفِهِ الصَّفْرُ (١)
أرادَ : ليس بساقه أين ولا وصب فيغمزها من أجلهما ؛ وقال سويد بن أبي كاهل :
مِنْ أَناسٍ لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ عَاجِلُ الْفُحْشِ وَلَا سُوءُ الْجَزَعِ (٢)

ولم يرد أن في أخلاقهم فحشا آجلا (٣) ولا جزعا (٤) ؛ وإنما أراد نفي الفحش
والجزع عن أخلاقهم . ومثل ذلك قولهم : فلان غير سريع إلى الخنا ، وهم يريدون أنه
لا يقرب الخنا ، لا نفى الإسراع حسب . وقال الفرزدق وهو يهجو ابنتي جعفر بن كلاب ،
ويمتريهم بقتلى منهم أصيبوا في حروبهم ، فحمت النساء هؤلاء القتلى حتى آتين بهم الحى (٥) :
وَلَمْ تَأْتِ عَيْرٌ أَهْلَهَا بِالذِّي (٦) أَنْتَ بِهِ جَعْفَرًا يَوْمَ الْهَضَيْبَاتِ عَيْرُهَا (٧)
أَتَتْهُمْ يَدِيرٍ لَمْ تَكُنْ هَجْرِيَّةً وَلَا حِنْطَةَ الشَّامِ الْمَزِيَّتَ خَيْرُهَا

١٠ . يعنى أن العير إنما تحمل التمر أو الطعام إلى الحى ، فحمت عير هؤلاء القوم القتلى ، وقوله :
« لم تكن هجريّة » ؛ أى لم تحمل التمر ، وذلك لكثرة التمر بهجر ، ثم قال : « ولا حنطة
الشام المزيت خيرها » ، ولم يرد أن هناك حنطة ليس في خيرها زيت ؛ لكنه أراد أنها لم
تحمل تمرا ولا حنطة ، ثم وصف الحنطة وما يجعل في خيرها من الزيت .

(١) كذا في جميع الأصول ؛ وهو يوافق ما في اللآلئ : ٧٥ ، والكمال - بشرح المرصفي ٨ : ٢١٢ ؛
ورواية جهرة الأشعار ٢٨٢ ؛ وفي ملحقات ديوان الأعشى ٢٦٨ :

لَا يَتَّارِي لِمَا فِي الْقَدْرِ بَرَقْبُهُ وَلَا يَعْصُ عَلَى شُرْسُوفِهِ الصَّفْرُ

لَا يَغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا يَزَالُ أَمَامَ الْقَوْمِ يَقْتَفِرُ

وهى توافق رواية المؤلف فيما بعد . والتأري : التبغس والمكت ، والصفر : حية في البطن تعض
الشرسوف إذا جاع صاحبه . ولا يغمز الساق : لا ينجبها والافتقار : أن يؤكل الحبز قفارا .

(٢) الفضليات : ١٩٥ . (٣) ت ، د : « فحشا عاجلا ولا آجلا » .

(٤) ت ، د ، ف : « ولا جزعا غير سى » . (٥) ديوانه ٢ : ٤٥٩ .

(٦) ت ، د ، د ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « كالذى » . (٧) المضيبات : موضع كان فيه يوم
من أيام العرب ؛ هو يوم طخفة ؛ ذكره البكري في معجم ما استعجم : ١٣٥٤ ، وأورد البيت .

وعلى هذا يقع تأويل^(١) الآيات التي وقع السؤال عنها ، لأنه تعالى لما قال : ﴿ وَيَقْتُلُونَ
النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ دلّ على أن قتلهم لا يكون إلا بغير حق ، ثم وصف^(٢) القتل بما لا بد
أن يكون عليه من الصفة ، وهي وقوعه على خلاف الحق ؛ وكذلك : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ
إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾ ، إنما^(٣) هو وصف لهذا الدعاء ، وأنه لا يكون إلا عن غير
برهان^(٣) ، وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ وجهه أيضا أنه لو
كان هناك عمدة / رأيتموه ، فإذا نفى رؤية العمدة نفى وجود العمدة ؛ كما قال : « لَا يَهْتَدِي [٧٦]
بِمَنَارِهِ » ، أي لا منار له من حيث علم أنه لو كان له منار لا هتدى به ، فصار نفى الاهتداء بالمنار
نفيا لوجود المنار . وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰئِكَ كَفَرُوا بِهِ ﴾ تغليظ وتأكيد في
تحذيرهم الكفر ، وهو أبلغ من أن يقول : « ولا تكفروا به » ، ويجرى مجرى قولهم :
فلان لا يسرع إلى الخفا ؛ وقاما رأيت مثله إذا أرادوا به تأكيد نفى الخفا ونفى رؤية مثل ١٠
الذكور . وكذلك قوله : ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا ﴾ ، معناه لا مسألة تقع منهم ، ومثل
الأول : ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ ؛ والفائدة أن كل ثمن لها لا يكون إلا قليلا ،
فصار نفى الثمن القليل نفيا لكل ثمن ، وهذا واضح بحمد الله ومّنه .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « وتأويل » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « وإنما وصف » .

(٣-٣) ساقط من م .

بَابُ

في ذكر شيء من أخبار المعمرين وأشعارهم ومستحسن كلامهم

أحد المعمرين الحارث بن كعب بن عمرو بن وعلة بن خالد^(١) بن مالك بن أدد^(٢) المذحجي، ومذحج^(٣) هي أم مالك بن أدد، نسب ولد مالك إليها، وإنما سُميتْ مَذْحِجًا^(٤) لأنها ولدتْ على أكمة تسمى مَذْحِجًا، واسمها مُدَلَّة بنت ذى مَنَجَّشَان^(٥).

قال أبو حاتم السجستاني: جمع الحارث^(٦) بن كعب بنيه لما حضرته الوفاة فقال:

«يا بني، قد أتى على ستون ومائة سنة، ما صاغت يميني^(٧) يمين غادر، ولا قنمت^(٨) نفسي بخلة فاجر، ولا صبوتُ بابتة عمٍّ ولا كنة، ولا طرحتُ عندي مُوسمة قناعها، ولا بحتُ لصديقٍ بسرٍّ، وإني لعلى دين شعيب النبي عليه السلام، وما عليه أحد من العرب غيري، وغير أسد بن خزيمة، وتميم بن مُرَّة، فاحفظوا وصيتي، وموتوا على شريعتي: إلهكم فاتقوه يكفكم المهمة من أموركم، ويُصلح لكم أعمالكم؛ وإياكم ومعصيته^(٩)، لا يُحِلَّ بكم الدمار، ويوحشُ منكم الديار. يا بني، كونوا جميعا ولا تفرقوا فتكونوا شيعة، وإن موتًا في عزٍّ خيرٌ من حياةٍ في ذلٍّ وعجزٍ، وكلُّ ما هو كائن كائن، وكلُّ شيءٍ جميع إلى تباين. الدهر^(١٠) صرْفان: فصرْف رخاء، وصرْفُ بلاء^(١١)، واليوم يومان: فيومٌ حَبْرَةٌ، ويوم

(١) كذا في جميع الأصول، وفي حاشية الأصل: «ذكر س: هذا سهو، وهو كعب بن عمرو

ابن علبة بن جلد بن مالك. ووعلة وخالد تصحيف وغلط».

(٢) في حاشية الأصل، ت: «صرفت العرب «أددا»، ولم يجعلوه من باب عمر وزفر».

(٣) حاشية الأصل: «ذكر س: قال أبو جعفر محمد بن حبيب: مذحج هي أخت مدلة، واسمها

مدلة بنت منجشان بن كلة بن زدمان. من حمير». (٤) حاشية ت: «بخط ش: الصواب ألا تصرف

مذحج للتأنيث والتعريف». (٥) س: «منجشان»، ت: «همنجشان».

(٦) لم يذكر فيما طبع من أخبار المعمرين لأبي حاتم. (٧) حاشية ت (من نسخة):

«ما صاغت يميني». (٨) حاشية ت (من نسخة): «قنمت»، بإسكان التاء.

(٩) ت: «ومعصية الله». (١٠-١١) ش: «والدهر ضربان: فصرْب رخاء، وضرْب بلاء».

عَبْرَةَ ، والناس رجالان : فرجل مَعَكَ ورجل عَلَيْكَ ، وتزَوَّجُوا الأَكْفَاءَ ، وليستَعْمِلَنَّ فِي
 فِي طَيْبِنِ الْمَاءِ ، وَتَجَنَّبُوا / الْحَمَقَاءَ ؛ فَإِنْ وَلَدَهَا إِلَى أَفْنٍ مَا يَكُونُ ، لِأَنَّهُ لَارَاحَةَ لِقَاطِعِ الْقِرَابَةِ ، [٧٧]
 وَإِذَا اخْتَلَفَ الْقَوْمُ أَمَكَّنُوا عَدُوَّهُمْ مِنْهُمْ ، وَأَفَى الْعَدَدِ اخْتِلَافُ الْكَلِمَةِ ؛ وَالتَّفَضُّلُ بِالْحَسَنَةِ يَبْقَى
 السَّيِّئَةَ ، وَالْكَافَأَةُ بِالسَّيِّئَةِ الدَّخُولُ فِيهَا . الْعَمَلُ السَّوِيُّ يُزِيلُ التَّعْمَاءَ ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ تُورِثُ
 الْهَمَّ ، وَانْتِهَاكَ الْحَرَمَةُ يُزِيلُ النِّعْمَةَ ، وَعَقُوقُ الْوَالِدَيْنِ يَمَقِّبُ النَّسَكُ ، وَيَحِقُّ الْعَدَدُ ، وَيُخْرِبُ
 الْبَلَدَ ، وَالنَّصِيحَةُ تَجْرُ الْفَضِيحَةَ ، وَالْحَقْدُ يَمْنَعُ الرَّفْدَ ، وَلِزُومِ الْخَطِيئَةِ يَمَقِّبُ الْبَلِيَّةَ ، وَسُوءُ الرَّعَّةِ
 يَقْطَعُ أَسْبَابَ الْمَنْفَعَةِ ، وَالضَّغَائِنُ تَدْعُو إِلَى التَّبَايُنِ « ؛ ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَكَّاتُ شِبَابِي فَأَفْنَيْتُهُ وَأَفْنَيْتُ بَعْدَ دُهُورِ دُهُورًا
 ثَلَاثَةُ أَهْلِينَ صَاحِبَتُهُمْ فَبَادُوا وَأَصْبَحَتْ شَيْخًا كَبِيرًا
 قَلِيلَ الطَّعَامِ عَسِيرَ الْقِيَامِ قَدْ تَرَكَ الدَّهْرُ خَطْوِي قَصِيرًا
 أَيْبْتُ أُرَاعِي نُجُومَ السَّمَاءِ أَقْلَبُ أَمْرِي بُطُونًا ظُهُورًا

١٠ قوله: « ولا صبوت بآبنة عم ولا كنة » ، الصَّبَوَةُ هِيَ رِقَّةُ الْحُبِّ ، (١) وَالْكِنَةُ . أَمْرَأَةُ
 أَخِي الرَّجُلِ وَأَمْرَأَةُ ابْنِ أَخِيهِ (٢) .

فَأَمَّا الْمَوْمَسَةُ ، فَهِيَ الْفَاجِرَةُ الْبَغِيَّةُ ، وَأَرَادَ بِقَوْلِهِ : « إِنَّمَا لَمْ تَطْرَحْ عِنْدَهُ قِنَاعَهَا » أَيْ لَمْ
 تَتَبَدَّلْ (٣) عِنْدَهُ وَتَتَبَسَّطْ ، كَمَا تَفْعَلُ مَعَ مَنْ يَرِيدُ الْفَيْجُورَ بِهَا . ١٥

وقوله : « فَيَوْمَ حَبْرَةَ وَيَوْمَ عَبْرَةَ » ، فَالْحَبْرَةُ : الْفَرَحُ وَالسَّرُورُ ، وَالْعَبْرَةُ تَكُونُ مِنْ
 صِدِّ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ الْعَبْرَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ أَمْرٍ مَحْزَنٍ مَوْءَلُمٍ .

وَأَمَّا الْأَفْنُ ، فَهِيَ الْحَقْمُ ؛ يُقَالُ : رَجُلٌ أَفْنٌ ؛ إِذَا كَانَ أَحْمَقَ ؛ وَمِثْلُ مَنْ أَمَثَلَهُمْ :
 « وَجِدَانُ الرَّقِينِ ؛ يُغَطِّي عَلَى أَفْنِ الْأَفِينِ » ، أَيْ وَجِدَانُ الْمَالِ يَنْطِي عَلَى مُحْمَقِ الْأَحْمَقِ ،
 وَوَأَحَدُ الرَّقِينِ رِقَّةٌ ، وَهِيَ الْفِضَّةُ . ٢٠

(١-١) حاشية الأصل (من نسخة) « والسكنة هي امرأة ابن الرجل وامرأة أخيه » .

(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « لم تبدل » .

فأما قوله : « النصيحة تَجْرُ الفضيحة » ، فيشبهه أن يكون معناه أن النَّصِيحَ إِذَا نَصَحَ لمن لا يقبل نصيحتَه ، ولا يُصْغِي إلى موعظتِه فقد افتضحَ عنده ؛ لأنه أفضى إليه بسرّه وباح بمكنون صدره .

فأما « سوء الرّعة » ، فإنه يقال : فلان حَسَنُ الرّعة والتورّع ، أى حَسَنُ الطريفة .

٥ ومن المعمرين المستوغرُ ، وهو عمرو بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ابن مرّ بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر .

وإنما سمى المستوغرَ بيوتَ قاله ، وهو :

[٧٧] / يَنْشُ الْمَاءُ فِي الرَّبَلَاتِ مِنْهَا نَشِيصَ الرَّضْفِ فِي اللَّبَنِ الْوَاغِيْرِ (١) ط

الرّبَلَاتُ : واحدها ، رَبَلَةٌ ، ورَبَلَةٌ ، بفتح الباء وإسكانها ، وهى كلّ لُحْمَةٍ غليظة ؛

١٠ هكذا ذكر ابن دريد .

والرّضْفُ : الحجارة المحماة ، وفى الحديث : « كأنه على الرّضْفِ » ؛ واللبن الوغير : لبن تُلْقَى فيه حجارةٌ مُحماةٌ ثم يشرب ، أخذَ من وَغْرَةِ الظهيرة ، وهى أشدُّ ما يكون من الحرِّ ؛ ومنه : وَغْرَ صدرِ فلانِ يَوْغَرُ وَغْرًا ، إذا التهب من غضبٍ أو حقد .

وقال أصحابُ الأنساب : عاش المستوغرُ ثلاثمائة سنة وعشرين ، وأدرك الإسلام أو كاد

١٥ يدرك أوله .

وقال ابن سلام : " كان (٢) المستوغرُ قديمًا ، وبقي بقاءً طويلاً حتى قال :

ولقد سَمِئْتُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطُولِهَا وَعَمَرْتُ (٣) مِنْ عَدَدِ السَّنِينَ مِثْلِينَا
مائةٌ أَتَتْ مِنْ بَعْدِهَا مِائَتَانِ لِي وَازْدَدْتُ مِنْ عَدَدِ الشُّهُورِ سِنِينَا
هَلْ مَا نَقَى (٤) إِلَّا كَمَا قَدْ فَاتَنَا يَوْمٌ يَكُرُّ وَلَيْلَةٌ تَحْدُونَا

(١) ت : « ذى الربلات » ، د : « بالربلات » والبيت فى اللسان (وغر) ، والمعمرين ٩-١٠

(٢) طبقات الشعراء : ٢٩٠-٣٠٠ . (٣) فى الطبقات : « وازددت » .

(٤) نقى ؛ بالألف ، يريد نقى ، بالياء : لغة طائفة .

وهو القائل :

إِذَا^(١) مَا الْمَرْءُ صَمَّ فَلَمْ يُكَلِّمْ^(٢) وَأُودَى سَمْعُهُ إِلَّا نِدَايَا^(٣)
وَلَاعِبَ بِالْعَشِيِّ بَنَى بَنِيهِ كَفَعَلَ الْهَرَّ يَحْتَرِشُ الْعِظَايَا
يَلَاعِبُهُمْ وَوَدَّوْا لَوْ سَقَوْهُ مِنْ الذَّبَّانِ مُتْرَعَةً مَلَايَا^(٤)
فَلَا ذَاقَ النَّعِيمَ وَلَا شَرَّابًا وَلَا يُشْفَى مِنَ الْمَرَضِ الشَّفَايَا ٥

أراد بقوله : « صَمَّ فَلَمْ يُكَلِّمْ » ، أى لم يسمع ما يكلم به ، فاختصر ؛ ويجوز أن يريد أنه لم يكلم لليأس من استماعه فأعرض عن خطابه لذلك . وقوله : « وَأُودَى سَمْعُهُ إِلَّا نِدَايَا » أراد أن سمعه هلك ؛ إلا أنه يسمع الصوت العالى الذى ينادى به .

وأما قوله : « وَلَاعِبَ بِالْعَشِيِّ بَنَى بَنِيهِ » ، فإنه مبالغة فى وصفه بالهرم والحرف ، وأنه قد تهاهى إلى ملاعبة الصبيان وأنسهم به . ويشبه أن يكون خصَّ العشيَّ بذلك لأنه وقت رواح الصبيان إلى بيوتهم واستقرارهم فيها .

وقوله : « يَحْتَرِشُ الْعِظَايَا » / أى يصيدها ، والاحتراش أن يقصد الرجل إلى جُحْر [٧٨] الضَّبِّ فيضربه بكفه ليحسبه الضب أفعى ، فيخرج إليه فيأخذه ، يقال : حَرَشْتُ الضَّبَّ ، واحترشته ؛ ومن أمثالهم : « هَذَا أَجْلٌ مِنَ الْحَرَشِ » ، يضرب عند الأمر يُستعظم ، ويتكلم بذلك على لسان الضب . قال ابن دريد : قال الضب لابنه : اتَّقِ الْحَرَشَ ، قال : ١٥ وما الحرش ؟ قال : إذا سمعت حركة يباب الجُحْرِ فلا تخرج ؛ فسمع يوماً وقع الحفار فقال : يَا أَبَتُ ، أَهَذَا الْحَرَشُ ؟ فقال : « هَذَا أَجْلٌ مِنَ الْحَرَشِ » ؛ فجعل مثلاً للرجل إذا سمع الشئ الذى هو أشدُّ مما كان يتوقَّعه .

(١) الأبيات فى طبقات الشعراء : ٣٠ ، وحلاسة البحترى ٣٢٤ (ورواها همزية) ، ومعجم الشعراء : ٢١٣ ، وفى حاشية الأصل : « ذكر سرق قال : « قرأت س قال : قرأت بخط عبد السلام البصرى رحمه الله أن هذه القطعة : إذا ما المرء ... لمسكلان بن ذى كواهن الحميرى » . (٢) فى الطبقات ومعجم الشعراء « فلم ياجى » . (٣) فى حاشية الأصل ، ت : « إنما قلب الهمزة فى ندايا وشفايا وغيرها ياء لأنه لو قال : شفاءا اسكانت تحصل همزة يكتنفها ألفان ، والألف قريب من الهمزة ، فإذا اجتمع ألفان مع همزة صار كأنه قد حصل قريب من الهمزتين ؛ فلما كان كذلك أبدل من الهمزة ياء » .

والذَّيْفَان: السَّم . والمعظايا : جمع عَظَايَة ، وهى دَوِّيَّة صغيرة معروفة^(١) .

وأحد المعمرين دُوَيْد بن زيد بن نَهْد بن زيد بن ليث بن سُود^(٢) بن أسلم^(٣) بن الخاف^(٤) ابن قضاة بن مالك بن مرة بن مالك بن حَمِير .

قال أبو حاتم : " عاش دُوَيْد بن زيد أربعاً مائة سنة وستاً وخمسين سنة " قال ابن دُرَيْد : لما حضرت دُوَيْد بن زيد الوفاة وكان من المعمرين ، قال : ولا تمدُّ العرب معمرّاً إلا من عاش مائة وعشرين^(٥) سنة فصاعداً - قال لبيد : « أوصيكم بالناس شراً ، لا ترحموا لهم عبرة ؛ ولا تُقبِلوهم^(٦) عَثْرَةً ، قَصْرُوا الأَعْنَةَ ، وطولوا^(٧) الأسنّة ، واطمئنا^(٨) شزراً ، واضربوا هبراً ؛ وإذا أردتم المحاجزة ، فقبل المناجزة ، والمرء يعجز لا المحالة ، بالجُدِّ لا بالكَدِّ . التجلُّدُ ولا التبلُّدُ ، والمنية ولا الدَّنية . لا تأسوا على فائت وإن عزَّ فقده ، ولا تحنوا إلى ظاعن ١٠ وإن أَلِفَ قُرْبُهُ ، ولا تطعموا فتطمعوا ، ولا تمنوا فتخرعوا ، ولا يكون^(٩) لكم المثلُ السوء ؛ إنَّ الموصينَ بنو سَهْوان . إذا مِتُّ فأرحبوا^(١٠) خطَّ مضجعي ، ولا تَضنُّوا على برُحبي الأرض ، وما ذلك بمؤدِّ إلى رَوْحاً^(١١) ؛ ولكن راحةً نفيس^(١٢) خامرها الإشفاق . " ثم مات

قال أبو بكر بن دريد في حديث آخر إنه قال :

- (١) وانظر أخبار المستوفى في العمرين : ٩ ، وطبقات الشعراء : ٢٩ - ٣٠ ، ومعجم الشعراء : ٢١٣ - ٢١٤ .
 (٢) حاشية ت (من نسخة) : « سويد » . (٣) حاشية الأصل : « بضم اللام » .
 (٤) حاشية الأصل : « الخاف ، بقطع الألف كأنه جمع خف ؛ كذا وجدته مضبوطاً في النسخة المقروءة على ابن خروزاذ الجبيري ؛ وهو الصحيح ، والخاف موصولاً أيضاً يقال » .
 (٥) حاشية ت (من نسخة) : « مائة وستين وعشرين » . (٦) ت : « ولا تقبلوا لهم » .
 (٧) ت : « وأطولوا » . (٨) حاشية ت : طعن بالرمح يطعن [بضم العين] ، وباللسان يطعن [بفتح العين] . (٩) ش : « ولا يكن » . (١٠) حاشية ت : « بخط ش : « فأرحبوا » .
 بالقطع وكسر الحاء . (١١) حاشية ت (من نسخة) : « نفما » . (١٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « حاجة نفس » .

اليَوْمَ يُبْنَى (١) لِدَوِيدَ بَيْتَهُ يَارُبَّ مَهَبٍ (٢) صَالِحِ حَوَيْتَهُ
وَرُبَّ قَرْنٍ (٣) بَطَلَ أَرْدَبَتَهُ وَرُبَّ غَيْلٍ حَسَنٍ لَوَيْتَهُ
وَمِعْصَمٍ مُخَضَّبٍ ثَنَيْتَهُ لَوْ كَانَ لِلدَّهْرِ بِلَى أَبْلَيْتَهُ
أَوْ كَانَ قَرْنِي وَاحِدًا كَفَيْتَهُ

ومن قوله أيضا :

[٧٨]
ظ

/ ألقى على الدهر رجلاً ويدا والدهر ما أصلح يوماً أفسداً
يُفسدُ ما أصلحه اليوم غداً

قوله : « اطعنوا شزرأ ، واضربوا هبرأ » ، معنى الشزر أن يطعمه من إحدى ناحيتيه ،
يقال: قتل الجبل شزرأ إذا قتل على الشمال، والنظر الشزر: نظر بمؤخر العين؛ وقال الأصمى:

نظر إلى شزرأ إذا نظر إليه من عن يمينه وشماله ، وطعمه شزرأ كذلك .

وقوله : « هبرأ » ، قال ابن دريد : يقال هبرت اللحم أهبره هبراً إذا قطعتة قطعاً
كباراً ، والاسم الهبرة والهبرة ، وسيف هبار وهابر ، واللحم هبير ومهبور . والمُحالة :
الحيلة (٤)

وقوله : « بالجدا بالكسد » ؛ أي يدرك الرجل حاجته وطيبته بالجدا ، وهو الحظ
والبخت ، ومنه رجل مجدود ، فإذا كسرت الجيم فهو الانكاش في الأمر والمبالغة فيه .

وقوله : « التجلد ولا التبلد » ؛ أي تجلدوا ولا تبدلوا .

وقوله : « فتطبعوا » ، أي تدنسوا ، والطبع الدنس ، ويقال طبع السيف يطبع
طبعاً ، إذا ركب الصدا ؛ قال ثابت قطنة (٥) العتكي :

لا خير في طمع يَدُنِي إِلَى طَبَعٍ وَغُفَّةٍ مِنْ قَوَامِ الْعَيْشِ تَكْفِينِي (٦)

(١) حاشية ف (من نسخة) : « يدني » . (٢) النهب : الغنيمة تنهب .
(٣) القرن : الذي يلقاك ليقاومك . (٤) في حاشيتي الأصل ، ت : « قد قيل إن المحالة يبي

بها الآلة التي يستقي عليها ، وهي مثل البكرة » . (٥) حاشية ت : « ويقال : قطبة » .

(٦) الغفة : البلغة من العيش ؛ كذا ذكره صاحب اللسان واستشهد بالبيت .

وقوله : « ولا تهنوا فتخرعوا »؛ فالوهن الضعف ، والخراع وانخراعة: اللين ، ومنه سميت الشجرة الخروع للينها، وقوله : « إنَّ الموصين بنو سهوان »؛ فالموصون جمع موصي، وبنو سهوان ضربه مثلاً ، أى لا تكونوا ممن تُقدم إليهم فسّهوا وأعرضوا عن الوصية ، وقالوا : إنه يُضرب هذا المثل للرجل الموثوق به ذمة؛ ومعناه أن الذين يحتاجون أن يوصوا بحوائج إخوانهم هم الذين يسهون عنه لقلة عنايتهم ؛ وأنت غير غافل ولا ساه عن حاجتى .
وقوله : « فارحبوا »؛ أى أوسموا، والرَّحِبُ السمة ، والرَّوْحُ : الراحة .
وقوله فى الشعر : « ورب غَيْل »؛ فالغَيْل الساعدُ الممتلئ . والمعصم : موضع السوار من اليد^(١) .

ومن المعمرين زهير بن جناب بن هُبَل بن عبد الله بن كِنانة بن بكر بن عوف بن
عُدرة بن زيد اللات بن رُفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن
أحلاف بن قضاة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير .

[٧٩] قال أبو حاتم : " عاش زهيرُ بن جناب مائتي سنة وعشرين سنة ، وأوقع مائتي وقعة ،
وكان سيداً مطاعاً شريفاً فى قومه ، ويقال : كانت فيه عَشْرُ خِصال لم يجتمعن فى غيره من أهل
زمانه ، كان سيداً قومه ، وشريفهم ، وخطيبهم ، وشاعرهم ، ووافدهم إلى الملوك ، وطبيبهم
١٥ - والطَّبُّ فى ذلك الزمان شرف - وحازى قومه - والحِزاة الكُهَّان - وكان فارسَ قومه ، وله
البيت فيهم ، والمدد منهم " .

وأوصى بنيه فقال : « يابنى ، قد كبرت سنّى ، وبلغتُ حَرَسَ آمن دهرى ، فأحكمتنى
التجارب ، والأمورُ تجربةٌ واحتيالٌ ؛ فاحفظوا عني ما أقول وعُوه ، إياكم والخور عند المصائب ؛
والتواكل عند النوائب ، فإنَّ ذلك داعيةٌ للائم ، وشماتةٌ للمدو ، وسوء ظن بالرب

(١) وانظر ترجمة دويد وأشعاره فى (طبقات الشعراء ٢٧-٢٨ ، والمعمرين ٢٠-٢١ ، والمختلفة
والمؤتلف من الشعراء ١١٤-١١٥ ، والاشتقاق ٣٢١ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٥١ ، والقاموس - دويد)

وإياكم أن تكونوا بالأحداث مغترين ، ولها آمنين ، ومنها ساخرين ، فإنه ماسخِر قومٍ قطُّ
إلا ابتلوا ، ولكن توقّعوها ، فإنما الإنسان في الدنيا غرض تماوره الرّماة ، فمقصرٌ دونه
ومجاوِزٌ لموضعه ، وواقعٌ عن يمينه وشماله ؛ ثم لا بدّ أنّه مصيبه .

قوله : « حرساً من دهرى » ، يريد طويلاً منه ، والحرس من الدهر : الطويل ،

قال الراجز :

* في سنبة عشنا بذاك حرساً *

السنبة : المدة من الدهر . والتواكل : أن يكِل القومُ أمرهم إلى غيرهم ، من قولهم :
رجلٌ وِكِلٌ ، إذا كان لا يكتفى بنفسه ، ويكِلُ أمره إلى غيره ؛ ويقال : رجلٌ وُكَلَّةٌ تُكَلَّةُ .
والغرض : كلُّ ما نصبته للرمى . وتماوره ، أى تداوله .

قال سيدنا الشريف أدام الله علوه : وقد ضمّن ابن الرومى^(١) معنى قول زهير بن جناب : ١٠
« الإنسان في الدهر غرض تماوره الرماة ، فمقصرٌ دونه ومجاوِزٌ له ، وواقعٌ عن يمينه
وشماله ، ولا بدّ أن يصيبه » أبياتاً ، فأحسن كلَّ الإحسان ؛ والأبيات :

كفَى بِسِرَاجِ الشَّيْبِ فِي الرَّأْسِ هَادِيَا لِمَنْ قَدْ أَضَلَّتْهُ^(٢) الْمَنَايَا لِيَايَا
أَمِنْ بَعْدِ إِبْدَاءِ الْمَشِيبِ مَقَاتِلِي لِرَايِ الْمَنَايَا تَحْسَبِينِي نَاجِيَا
غَدَاً الدَّهْرُ يَرْمِينِي فَتَدْنُو سِهَامُهُ لِشَخْصِي^(٣) أَنْ يُصِيبَنَ سَوَادِيَا ١٥
وَكَانَ كَرَامِي اللَّيْلِ يَرْمِي وَلَا يُرَى فَلَمَّا أَضَاءَ الشَّيْبُ شَخْصِي رَمَانِيَا

أما البيت الأخير ، فإنه أبدع فيه وغرب^(٤) ، وما علمتُ أنه سبق إلى معناه ؛ لأنه [٧٩]
جمل الشباب كالليل السائر على الإنسان ، الحاجز بينه وبين مَنْ أراد رميه لظلمته

(١) حاشية الأصل : « كان ابن الرومى متشيعاً ، وكان مقلقاً الشعر واللغة ؛ بحيث يقول لتلامذته :
اهروضوا شعري على ثعلب ، فأنكر من نحوه فخذوه ، وما أنكر من لفته فلا تلقوا إليه ؛ فإن أعلم منه
اللغة » . (٢) ش : « إلى من أضلته » . حاشية ت (من نسخة) : « له من أضله » .

(٣) ت ، ونسخة بحاشية الأصل : « لشخصي وأخلق » . (٤) ت : « وأغرب » .

والشيبَ مبدئاً لمقاتله، هادياً إلى إصابته لضوئه وبياضه ، وهذا في نهاية حسن المعنى .

وأراد بقوله : « رماني » أى أصابني ؛ ومثله قول الشاعر :

فَلَمَّا رَمَى شَخْصِي رَمَيْتُ سَوَادَهُ وَلَا بَدَّ أَنْ يُرْمَى سَوَادُ الَّذِي يَرْمَى

وكان زهيرُ بن جَنَابٍ على عهدِ كُأَيْبٍ وائل ، ولم يكن في العرب أنطقُ من ز
• ولا أوجهُ عند الملوك ، وكان لسداد رأيه يسمى كاهناً، ولم تُجمَع قُضَاعَةٌ إلا عليه وعلى ر
ابن ربيعة .

وسمع زهيرٌ بعضَ نسائه تتكلم بما لا ينبغي لمرأةٍ تتكلم^(١) به عند زوجها ، فم
فقلت له : اسكتْ عني وإلا ضربتُك بهذا العمود ، فوالله ما كنت أراك تسمع شيئاً ولا ت
فقال عند ذلك :

١٠ أَلَا لَقَوْمٍ لَا أَرَى النَّجْمَ طَالِمًا وَلَا الشَّمْسَ إِلَّا حَاجَتِي بِيَمِينِي
مُعزِّبَتِي عِنْدَ القَفَا بَعْمُودِهَا يَكُونُ نَكِيرِي أَنْ أَقُولَ ذَرِينِي
أَمِينًا عَلَى سِرِّ النِّسَاءِ وَرُبَّمَا أَكُونُ عَلَى الأَسْرَارِ غَيْرَ أَمِينِ
فَلَلَمُوتُ خَيْرٌ مِنْ حِدَاجٍ^(٢) مُوَطِّأٍ مَعَ الظَّمْنِ لَا يَأْتِي المَحَلَّ لِجِينِي

وهو القائل :

١٥ أُنْبَىٰ إِنْ أَهْلِكَ فَقَدْ أَوْرَثْتِكُمْ مَجْدًا بَنِيَّةً
وَتَرَ كِتَابَكُمْ أَرْبَابَ سَا دَاتٍ زِنَادِكُمْ وَرِيَّةً
مِنْ كُلِّ مَا نَالَ الفَتَى قَدْ نَلْتَهُ إِلَّا التَّحِيَّةُ
وَلَقَدْ رَحَلْتُ البَاذِلَ ال كَوْمَاءَ لَيْسَ لَهَا وَليَّةُ
وَخَطَبْتُ خُطْبَةَ حَازِمٍ غَيْرِ الضَّعِيفِ^(٣) وَلَا العِيَّةِ

(١) ت : « أن تتكلمه » . (٢) في حاشيتي الأصل ، ت : « الحدج : مركب من مرا

النساء ؛ كالخفة ؛ وجمعه أحداج وحدوج ؛ والحداجة لغة فيه ؛ عن يعقوب ، والجمع الحدائج » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « لا بالضعيف » .

فَأَلَمْتُ خَيْرٌ لِلْفَتَى
فَلَيْسَ كَنْ وَبِهِ بَتِيَّةٌ
لِ وَقَدْ يُهَادَى بِالْمَشِيَّةِ

/وهو القائل :

[٨٠]

و

لَيْتَ شِعْرِي وَالدهرُ ذُو حَدَثَانِ
أَيَّ حِينٍ مَدَيْتِي تَلْقَانِي!
أَسْبَاتٌ عَلَى الْفِرَاشِ خُفَاتٌ
أَمْ بَكَفَى مُفْجَعِ حَرَآنِ (١)!

وقال حين مضت له مائتا سنة من عمره :

لَقَدْ عُمِّرْتُ حَتَّى مَا أُبَالِي
أَحْتَفِي فِي صَبَاحِي أَمْ مَسَائِي!
وَحُقَّ لِمَنْ أَنْتَ مَائَتَانِ عَامًا
عَلَيْهِ أَنْ يَمَلَّ مِنَ التَّوَاءِ

قوله : « مُعزيتي » يعني امرأته ، يقال : معزبة الرجل وظلمته وحنثته ؛ كل ذلك امرأته .

١٠

وقوله : « أمينا على سر النساء » ، السر : خلاف العلانية ، والسر أيضا : النكاح ، قال الحطيئة :

وَيَحْرُمُ سِرُّ جَارِهِمْ عَلَيْهِمْ
وَيَأْكُلُ جَارُهُمْ أَنْفَ الْقِصَاعِ (٢)

وقال امرؤ القيس :

أَلَا زَعَمْتَ بِسَبَاسَةِ الْيَوْمِ أَنِي
كَبِيرَةٌ وَالْأَلَا يُحْسِنُ السَّرَّ أَمْثَالِي (٣)

١٥

(١) حاشية الأصل : « السبات ، أصله النوم ، ويريد به الموت ، وقد قيل : النوم موت خفيف ، والموت نوم ثقيل ؛ يقول : ليت شعري : أ. موت حثف أنتي على فراشي ، أم يفتاني متأثر عطشان إلى دمي ! » .
(٢) ديوانه : ٩٣ ؛ وفي حاشية الأصل : « أنف الفصاع أول ما يعرف من الفدر فيكون أدم » ، وفي شرح الديوان : « يقول : يؤثرون جارهم بالطمع على أنفسهم ، فيأكل كل صفوة طعامهم قبلهم ، وأنف كل شيء أوله . (٣) ديوانه : ٣ ، وقد ضبط قوله : « لا يحسن » ، بالضممة والفتحة معا ، في الأصل ، وفي حاشيتهما : « الرفع على إضمار الهاء ، والنصب على الالفاظ » ، وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « وألا يشهد » .

وكلام زعيم يحتفل الوجوه جميعاً ، لأنه إذا كبر وهريم لم تهيبه النساء أن ^(١) يتحدثن بحضرتيه بأسرارهن ^(٢) ، تهاوناً به ، أو تعويلاً على ثقل سمعه ، وكذلك هريمه وكبره يوجبان كونه أميناً على نكاح النساء لمجزه عنه .

وقوله : « حداج موطأ » ، الحداج ^(٣) : مركب من مراكب النساء ، والجمع أحجاج

٥ وحُدوج .

والظُّمُنُ والأظمان : الموارج ، والظعينة المرأة في الموارج ؛ ولا تُسمى ظعينة حتى تكون في هودج ، والجمع ظلعان ؛ وإنما خبر عن هريمه ، وأن موته خير من كونه مع الظمن في جملة النساء .

وقوله : « زنادكم وريه » : الزناد : جمع زندي وزندة ، وهما عودان يُقدحُ بهما النار ، وفي

١٠ أحدهما فروض ، وهي تُقَبُّ ؛ فالتى فيها الفروض هي الأنثى ، والذي يُقدحُ بطرفه هو الذكركه ،

ويسمى الزند الأب ، والزندة الأم . وكنتى « بزنادكم وريه » عن بلوغهم مأربهم ؛ تقول

العرب : وريت بك زنادى ؛ أى نلتُ بك ما أحب من النجج والنجاة ، ويقال للرجل

الكريم : وارى الزناد .

[٨٠] / فأما التحية ، فهي المُلك ، فكأنه قال : من كل ما نال الفتى قد نلتُه إلا المُلك ؛ وقيل

١٥ التحية هاهنا : الخلود والبقاء .

والبازل : الذئقة التى بلغت تسع سنين ، فهي أشدُّ ما تكون ، ولفظُ البازل فى الناقة

والجمل سواء .

والكُوماء : العظيمة السنام . والوالية : برذعة تُطرح على ظهر البعير تلى جلده .

والبجال : الذى يبجله قومه ويمظّمونه . وقوله : « يهادى بالمشية » ، أى يمشيه الرجال

٢٠ فيُسندونه لضعفه . والتهادى : المشى الضعيف .

(١-١) ت : « تتحدث بحضرتيه بأسرارها » (٢) فى حاشيتى الأصل ، ت : « القياس

حدج [بضمين] فى جمع حداج ؛ إلا أن يكون نادراً ؛ كظروف فى جمع ظريب .

وقوله: «أسبأتُ»، فالسُّبَاتُ: سكون الحركة، ورجل مسبوت، والخُفَاتُ: الضعف
أيضاً، يقال: خَفَّتْ (١) الرجل إذا أصابه ضَمَفٌ من مرض أو جوع.
والمفجَّعُ: الذي يجمع بولده أو قرابة. والحِرَّانُ: العطشان اللثيب (٢)، وهو هاهنا
المحزون على قتلاه.

ومما يروى لزهير بن جناب:

إِذَا مَا شِئْتَ أَنْ تَسَلِّيَ حَبِيبًا فَأَكْثَرَ دُونَهُ عَدَدَ اللَّيَالِي
فَمَا سَلَّى حَبِيبَكَ مِثْلُ نَأْيِ وَمَا أَبْلَى جَدِيدَكَ كَأَبْتَدَالِ (٣)



(١) ش: «خفت»؛ بالبناء للمجهول. (٢) ش: «المحترق».

(٣) وانظر ترجمة زهير بن جناب وأشعاره وأخباره في (أخبار المعربين ٢٤-٢٩، والأوثان والخلف

من أسماء الشعراء ١٣٠، وطبقات الشعراء: ٣٠، والأغاني ٢١: ٦٣-٦٨، والشعر والشعراء ٣٣٩-٣٤٢،

وتاريخ ابن الأثير ١: ٢٩٩-٣٠١).

مجلد ۱۷

ومن المعمرين ذو الإصبع العدواني ، واسمه حُرثان بن مُحَرَّث بن الحارث بن ربيعة ابن وَهَب بن ثعلبة بن ظَرِب بن عمرو بن عِيَاد^(١) بن يَشْكُر بن عدوان . وهو الحارث بن عمرو بن قَيْس بن عِيلان بن مضر^(٢) .

وإنما سُمي الحارث عدوان ، لأنه عدَا على أخيه؛ فهِمَّ^(٣) بقتله ، وقيل : بل فَقَأ عينه ، وقيل : إن اسمَ ذو الإصبع مُحَرَّث بن حُرثان، وقيل : حُرثان بن حَوْبَرث، وقيل : حُرثان ابن حارثة، ويكسَى أباعدوان .

وسبب لقبه بندي الإصْبَع أن حية نهشته على إصبعه فَشَّتْ ، فسمى بذلك . ويقال : إنه عاش مائة وسبعين سنة . وقال أبو حاتم: إنه عاش ثلاثمائة سنة .

وهو أحد حكام العرب في الجاهلية . وذكر الجاحظ أنه كان أترَم^(٤) وروى عنه :

لَا يَبْعَدُنْ عَهْدُ الشَّبَابِ وَلَا لَدَائِهِ وَنَبَاتُهُ النَّضْرُ^(٥)
لَوْلَا أَوْلَاكَ مَا حَقَلْتُ مَتَى عَوْلَيْتُ فِي حَرَجٍ^(٦) إِلَى قَبْرِى

(١) ش : « عباد بن يشكر » . (٢) حاشية الأصل : « قال ش : هو قيس عيلان؛ وليس بـقيس بن عيلان ، وهو لقب للناس بن مضر ، والناس أخو إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وقيل : عيلان اسم فرسه فنسب إليه ، وقيل : بل عيلان لقب مضر بن نزار ، لأنه يقال قيس بن عيلان ؛ قال زفر بن الحارث :

أَلَا إِنَّمَا قَيْسُ بْنُ عَيْلَانَ بَقَّةٌ إِذَا وَجَدَتْ رِيحَ الْمُصِيرِ تَغَنَّتْ

(٣) ش : « فهم فقتله » . (٤) حاشية الأصل : « الأترم : الذى سقطت مقادير أسنانه » .

(٥) فى حاشية الأصل ، ت : « إن جررت النضر بدلا من الماء فى « نباته » تخلصت من الإقواء ؛ ولك

أن تقول : « النضرى » مندوبا كقول : « والدهر بالإنسان دوارى » ، ويجوز أن يعطف على الشباب » .

(٦) حاشية ت (من نسخة) : « حرجى » والخرج : سرير الموتى .

[٨١] / هَزَيْتُ أَثِيَابَهُ أَنْ رَأَتْ هَرَمِي وَأَنْ انْحَنَى لِتَقَادُمِ ظَهْرِي

وكان^(١) لدى الإصمع بنات أربع ، فعرض عليهن أن يزوجهن فأبين وقلن : خِدْمَتِكَ وقربك أحبُّ إلينا . ثم أشرف عليهن يوماً من حيث لا يرينه ، فقلن : لِتَقُلْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَّا مَا فِي نَفْسِهَا ، فقالت الكبرى :

أَلَا هَلْ أَرَاهَا مَرَّةً وَضَجِيْعُهَا أَثَمُّ كَنْصَلِ السِّيفِ عَيْنُ مُهَنْدٍ^(٢)
عَلِيمٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ وَأَصْلُهُ إِذَا مَا اتَّمَى مِنْ سِرِّ أَهْلِي وَمَحْتَدِي^(٣)
ويروى « من أهل سري ، ومن أصل سري ومحتدي » .

فقلن لها : أنت تريدين ذا قرابة قد عرفته . ثم قالت الثانية :

أَلَا لَيْتَ زَوْجِي مِنْ أَنَاسٍ أُرِدِي عَدْيِي^(٤) حَدِيثُ الشَّبَابِ طَيْبُ الثَّوْبِ^(٥) وَالْعِطْرِ
ويروى : « أولى غنى » .

لَصُوقُ بَأْكِبَادِ النِّسَاءِ كَأَنَّهُ خَلِيفَةُ جَانٍ لَا يَنَامُ عَلَيَّ وَتَرِي^(٦)
ويروى : « لا ينام على هجري » .

فقلن لها : أنت تريدين فتى ليس من أهلك . ثم قالت الثالثة :

(١) الخبر في الأغاني ٣ : ٩٤-٩٦ (طبع دار الكتب المصرية) ، ومع شرحه في الكامل - بشرح
الرصني ٥ : ٩٤-١١١ ، مع اختلاف في الرواية ونسبة الأبيات .
(٢) حاشية ت (من نسخة) :

أَلَا هَلْ أَرَاهَا لَيْلَةً وَضَجِيْعُهَا أَغْرُ كَنْصَلِ السِّيفِ غَيْرُ الْمُهَنْدِ
ورواية الأغاني :

أَلَا هَلْ أَرَاهَا لَيْلَةً وَضَجِيْعُهَا أَثَمُّ كَنْصَلِ السِّيفِ غَيْرُ مُبَدِّ
(٣) رواية الأغاني : « طيب بأدواء النساء » ، ورواية الكامل : « بأدواء النساء كأنه » .

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « ذوى غنى » ، وهى رواية الأغاني والكامل .

(٥) رواية الكامل : « طيب الثمر » ، ورواية الأغاني : « طيب الربيع » .

(٦) حاشية ت (من نسخة) : « خليفة جان » .

أَلَا لَيْتَهُ يُكْسَى الْجَمَالَ نَدِيهِ^(١) لَهُ جَفْنَةٌ تَشْقَى بِهَا الْمَعْرُ^(٢) وَالْجُزْرُ
لَهُ حَكَمَاتُ الدَّهْرِ مِنْ غَيْرِ كِبَرَةٍ تَشِينُ؛ فَلَا فَانَ وَلَا ضَرَغُ غَمْرُ
فَقَلْنَ لَهَا: أَنْتِ تَرِيدِينَ سَيِّدًا شَرِيفًا.

وقلن للرابعة: قولي، فقالت: لا أقول شيئاً، فقلن لها: يا عدوة الله، علمت ما في أنفسنا ولا

٥ تعلميننا ما في نفسك! فقالت: «زوج من عود خير من قعود»؛ فمضت مثلاً.

فزوجهن أربعهن، وتركهن حولاً، ثم أتى الكبرى فقال: يا بنية، كيف ترين زوجك؟
قالت: خير زوج، يكرم الحليلة، ويعطى الوسيلة. قال: فما مالكم؟ قالت: خير مال،
الإبل نشرب ألبانها جزعاً ويروى: «جرعاً»، بالراء غير المعجمة. ونا كل أجهانها مزرعاً،
وتحملنا وضعيفنا^(٣) معاً؛ فقال: يا بنية، زوج كريم، ومال عميم.

١٠ ثم أتى الثانية فقال: يا بنية، كيف زوجك؟ قالت: خير زوج؛ يكرم أهله، وينسى
فضله، قال: وما مالكم؟ قالت: البقر تألف الفناء، وتملأ الإناء، وتودك^(٤) السقاء،
ونساء مع النساء^(٥)، فقال لها: حظيت وبظيت^(٦).

ثم أتى الثالثة فقال: يا بنية، كيف زوجك؟ قالت: لا سمح بذر^(٧)، ولا بخيل حكر^(٨)

(١) رواية الأغاني:

* أَلَا لَيْتَهُ يَمْلَأُ الْجَفَانَ لَضِيفِهِ *

ورواية الكامل:

* أَلَا لَيْتَهُ يَعْطَى الْجَمَالَ بِدَيْئَةٍ *

(٢) في الأغاني: «البيب».

(٣) حاشية ت (من نسخة): «وضفتنا». (٤) حاشية ت (من نسخة): «تودك»،

بتشديد الدال مكسورة؛ وكذا ضبطت بالفلم في الكامل. (٥) ش: «مع نساء»، وهي رواية

الأغاني والكامل. (٦) حاشية ت (من نسخة): «رضيت».

(٧) بذر: يبسط ماله بالبذر؛ وهو وصف للمباغمة. (٨) حكر: هو الذي لا يزال يجبس

سلعته حتى يبيع بالكثير من شدة حكره.

قال: فإمالكم؟ قالت: المعزى، قال: وماهى؟ قالت: لو كنا نولدّها فطماً، ونسلخها
أدماً - وروى: «أدماً» بالفتح - لم تَبخِ بها نعماً. فقال لها: جذوة^(١) مغنية - وروى:
جذوى^(٢) مغنية.

ثم أتى الصغرى فقال: كيف زوجك؟ قالت: شرُّ زوج؛ يكرّم نفسه، ويهين عرسه؛
قال: فإمالكم؟ قالت: شرُّ مال، قال: وماهو؟ قالت: الضأن، جوف لا يشبعن، وهيم^٥
لا ينقمن، وصم لا يسمن، وأمر مغويتهن يتبعن. فقال أبوها: «أشبه امرؤ^(٣) بعض
بزء»، فضت مثلاً.

أما قول إحدى بناته في الشعر: «أشم»، فالشم هو ارتفاع أرنبة الأنف وورودها؛
يقال: رجل أشم، وامرأة شماء، وقوم شم، قال حسان بن ثابت:
١٠ بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهُمْ شُمُّ الأنوفِ مِنَ الطَّرَازِ الأوَّلِ^(٤)
والشم: الارتفاع في كل شيء؛ فيحتمل أن يكون حسان أراد بشم الأنوف ما ذكرناه
من ورود الأرنبة؛ لأن ذلك عندهم دليل العتق والنجاة. ويجوز أن يريد بذلك الكناية عن
زاهتهم وتباعدهم عن دنيا الأمور ورذائلها؛ وخص الأنوف بذلك؛ لأن الحمية والغضب
والأنف^(٥) فيها؛ ولم يرد طول أنفهم؛ وهذا أشبه بأن يكون مراده؛ لأنه قال: «بيض الوجوه»
ولم يرد بياض اللون في الحقيقة، وإنما كنى بذلك عن نقاء أعراضهم، وجميل أخلاقهم وأفعالهم؛
١٥ كما يقول القائل: جاءنى فلان بوجه أبيض، وقد بيض فلان وجهه بكذا وكذا، وإنما يعنى
ما ذكرناه. وقول المرأة: «أشم كفضل السيف» يحتمل الوجهين أيضاً. وقول حسان «من
الطراز الأول»، أى أفعالهم أفعال آبائهم وسلفهم، وأنهم لم يحدثوا أخلاقاً مذمومة لا تشبه
نجارهم وأصولهم. وقولها: «عين مهند»؛ أى هو المهند بعينه، كما يقال: هذا هو بعينه، وعين

(١) حاشية ت (من نسخة): «جذوة».

(٢) حاشية ت (من نسخة): «جذوى».

(٣) حاشية ت (من نسخة): «أشبه

امرأ بعض بزء»، والبرز فى الأصل: مناع البيت من الثياب خاصة؛ كنى به عن الضأن؛ وهى متاع؛
والمثل يضرب للمتشابهين أخلاقاً. (٤) ديوانه: ٨٠. (٥) حاشية ت (من نسخة): «والأنفة».

الشيء نفسه . وعلى الرواية الأخرى : « غير مهني » أى ليس هو السيف المنسوب إلى الهند فى الحقيقة ، وإنما هو يُشبهه فى مضائه . وقولها : « من سرّ أهلى » ، أى من أكرمهم وأخلصهم ، يقال : فلان فى سرّ قومه ، أى فى صميمهم وشرفهم ، وسرّ الوادى : أطيئه تراباً . والمحتد : الأصل .

[٨٢] وقول الثانية : « أولى عدى » / فإتما معناه أن يكون لهم أعداء ، لأنّ من لا عدوّ له هو الفسّل الرذل الذى لا خيرَ عنده ، والكريمُ الفاضلُ من الناس هو المحسّدُ المعادى ^(١) .

وقولها : « لصوقٌ بأكباد النساء » تعنى فى المضاجعة ، ويحتمل أن تكون أرادت فى المحبة والمردّة ، وكنتُ بذلك عن شدّة محبتن له ، وميلن إليه ، وهو أشبه . وقولها : « كأنه خليفةُ جانٍ » أى كأنه حيّةٌ للصوقه ، والجان : جنس من الحيات ^(٢) ، تخففت ١٠ لضرورة الشعر .

وقول الثالثة : « يُكسى الجمالَ نديّه » فالندى هو المجاس . وقولها : « له حكايات الدهر » تقول : قد أحكمته التجاربُ ، وجعلته حكيماً . فأما الضرع فهو الضعيف . والنمر : الذى لم يجرب الأمور .

وقول الكبرى : « ويكرم الحليّة ، ويعطى الوسيلة » ، فالحليّة هى امرأة الرجل ، والوسيلة الحاجة . وقولها : « نَشْرَبُ ألبانها جُزَعاً » فالجُزَع جمع جُزعة ، وهو الماء القليل يبقى فى الإناء ، وقولها : « مُزَعاً » ، المُزعة : البقية من دَسَم ، ويقال : ماله جُزعة ولا مُزعة ، هكذا ذكر ابنُ دريد ، الضمُّ فى جُزعة ، ووجدت غيره يكسرها فيقول جِرْزعة ، وإذا كسرت فينبغى

(١) حاشية ت : « الأولى أن يكون العدى هاهنا الفراء ؛ لما تقدم من : استدلأهن ؛ وهو قولهن « فتى ليس من أحلك » . (٢) فى حاشيتى الأصل ، ت : « لأن يكون من الجناية أحسن وأقرب إلى الصواب ، ويكون من باب قوله :

أن يكون « نشرب ألبانها جزعاً » وتكسر المِزْعَةُ أيضا ليزدوج الكلام ، فقول :
« ونأكل لُجْجَها مِزْعاً » ، قال : المِزْعَةُ ، بالكسر : هي القطعة من الشحم ، والمِزْعَةُ
بالكسر أيضا من الرِّيش والقطن وغير ذلك ، كالمِزْقَةِ من الخِرق ، والتمزيغ : التقطيع
والتشقيق ؛ يقال إنه ليكاد يتمزَع من النِيط ، ومَزَع الطَّيْبُ في عَدْوِه يَمَزَع مَزْعاً ؛ إذا
أسرع ، وقوله : « مال عميم » : ، أي كثير .

وقول الثمانية : « تُودِكُ السَّقاء » ، من الوَدَكُ الذي هو ^(١) الدَّسَم .

وقول الثالثة : « نُوكِدُها فَطْمًا » ، الفَطْمُ : جمع فَطِيم ، وهو المقطوع من الرِّضَاع . وقولها :
« نسلخها أَدَمًا » ، فالأدُمُ : جمع إدام ، وهو الذي يؤكل ؛ تقول : لو أنا فطمناها عند الولادة
وسلخناها للأدُم من الحاجة لم نُبغ بها نَعْمًا . وعلى الرواية الأخرى : أَدَمًا ، من الأديم .
وقوله : « جِذْرَةٌ مُغْنِيَةٌ » ، فالجِذْوَةُ : القطعة .

وقول الصغرى : « جُوفٌ لَا يَشْبَعْنَ » ، الجُوفُ : جمع جَوْفَاء ، وهي العظيمة الجوف .
والهيم : المطاش ، ولا يشبعن ؛ أي لا يروين ، ومعنى قولها : « وأمر مُغَوْرِيهِنَّ يَتْبَعْنَ » ، لأنَّ
القطيع من الضأن يمر على قنطرة فتزِل واحدة فتقع في الماء ، فيقمن كَأَنَّهِنَّ إتباعا لها ،
والضأن يوصف بالبلادة .

[٨٢]
ظ

أخبرنا أبو الحسن عني بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دُرَيْد قال أخبرنا أبو حاتم عن ١٥
أبي عُبَيْدَةَ عن يونس . قال ابن دريد وأخبرنا به العُكَيْلِيُّ عن أبي خالد ^(٢) عن الهَيْمِ بن عَدِيٍّ
عن مِسْعَرِ بن كِدَام قال حدثني سعيد بن خالد الجدلي قال : لما ^(٣) قدم عبدُ الملك
ابن مروان الكوفة بعد قتل مُصْعَب ، دعا الناسَ على فرائضهم ^(٤) ، فأُتِيَنَاهُ فقال :

(١) حاشية الأصل : « بخط ابن الشجري على الحاشية : وجدت في بعض الروايات : « تودل السقاء »

باللام مأخوذ من الأدل ؛ وهو ابن الحامض . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « عن أبي خالد . »

(٣) الخبر في الأتاني ٣-٩١-٩٢ ؛ (طبع دار الكتب المصرية) .

(٤) ت : « إلى فرائضهم » ، والفرائض : العطايا .

(١) «مَنْ الْقَوْمُ؟ فقلنا: جَدِيلَةٌ»^(١) ، فقال: جَدِيلَةٌ عَدَوَانٌ؟ قلنا: نعم ، فتمثلَّ عبد الملك:

عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدَوَا نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ^(٢)

بَغَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَلَمْ يُرْعُوا عَلَى بَعْضِ

وَمِنْهُمْ كَانَتِ السَّادَاتُ وَالْوُفُونَ بِالْقَرَضِ

وَمِنْهُمْ حَكَمٌ يَقْضِي فَلَا يُنْقَضُ مَا يَقْضِي

وَمِنْهُمْ مَنْ يُجِيزُ النَّاسَ فِي السُّنَّةِ وَالْقَرَضِ^(٣)

ثم أقبل على رجلٍ كُنَّا قَدَّمْنَاهُ أَمَامَنَا جَسِيمٌ وَسِيمٌ ، فقال: أَيُّكُمْ يقول هذا الشعر؟ فقال: لا أدري ، فقلت أنا من خلفه: يقوله ذو الإصبع ، فتركني وأقبل على ذاك الجسيم فقال: وما كان اسمُ ذِي الإصْبَعِ؟ فقال: لا أدري ، فقلت أنا من خلفه: حُرْثَانٌ ، فأقبل عليه وتركني ، فقال: لِمَ سَمَّيْتَ ذَا الإصْبَعِ؟ فقال: لا أدري ، فقلت: أنا من خلفه نَهَشْتَهُ حَيَّةٌ فِي إصْبَعِهِ ، فأقبل عليه وتركني فقال: مِنْ أَيُّكُمْ كَانَ؟ فقال: لا أدري ، فقلت أنا من خلفه من بنى نَاجٍ ، فأقبل على الجسيم فقال: كَمْ عَطَاؤُكَ؟ قال: سبعمائة^(٤) ، ثم أقبل على فقال: كَمْ عَطَاؤُكَ؟ قلت: أربعمائة^(٥) فقال: يا بن الزُّعَيْرَةِ ، حَطَّ مِنْ عَطَاءِ هَذَا ثَلَاثُمِائَةٍ ، وزدها في عطاء هذا ، فَرُحْتُ وَعَطَاؤِي سَبْعُمِائَةٍ وَعَطَاؤُهُ أَرْبَعُمِائَةٍ .

١٥ وفي رواية أخرى أنه قال له: مِنْ أَيُّكُمْ كَانَ؟ فقال: لا أدري ، فقلت أنا من خلفه:

من بنى نَاجٍ ، الذى يقول فيهم الشاعر:

وَأَمَّا بَنُو نَاجٍ فَلَا تَدْرُكُ رُكْبَتَهُمْ

لَا تُتَبِعَنَّ عَيْنِكَ مَنْ كَانَ هَالِكًا

يَقُولُ وَهُيْبٌ لَا أَسْأَلُ^(٧) ذَاكَ

(١-١) ت: «مَنْ الْقَوْمُ؟ فقلنا: من جديلة». (٢) حاشية الأصل: «عذير: مصدر يقوم مقام الاستفهام؛ والتقدير: من يعذرهم؟». (٣) قال أبو الفرج: «قوله «ومِنْهُمْ مَنْ يُجِيزُ النَّاسَ»؛ فإن إجازة الحج كانت الحزاعة ، فأخذتها منهم عدوان» ، وانظر القصيدة في الأغاني مع اختلاف الرواية وعدد الآيات. (٤) حاشية ت (من نسخة): «سبعمائة درهم». (٥) حاشية ت (من نسخة): «أربعمائة درهم». (٦-٦) حاشية ت: «إذا قلت معروفًا لأصاح بينهم»، وهى توافق رواية الأغاني. (٧) م: «لأسلم».

ويروى « لا أحاول ذلكا » .

[٨٣] فأضحى كظهر العود^(١) جب سنامهُ تَحُومُ عَلَيْهِ الطيرُ أُحَدَبَ بَارِكًا

وقد رُويت هذه الأبيات لذي الإصبع أيضا :

ومن أبيات ذى الإصبع السائرة قوله :

أكثرُ ذَا الضُّغْنِ الْمُبَيَّنِ مِنْهُمْ وَأُضْحِكُ حَتَّى يَبْدُوَ النَّابُ أَجْمَعُ^(٢)
وَأَهْدِنُهُ بِالْقَوْلِ هَدْنًا وَلَوْ يَرَى سَرِيرَةً مَا أَخْفَى لَبَاتَ يُفَزَّغُ
ومعنى « أهدنه » أسكنه .

ومن قوله أيضا :

إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أَنَاسٍ شَرَّاشِرُهُ أَنَاخَ بَاخِرِينَا^(٣)

١٠ قُلُّ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا سَيْلِقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا

ومعنى « الشراشر » هاهنا الثقل ، يقال ألقى عليه شراشره وجراميزه ، أى ثقله .

ومن قوله :

ذَهَبَ الَّذِينَ إِذَا رَأَوْنِي مُقْبِلًا هَشُوا إِلَىَّ وَرَحَبُوا بِالْمُقْبِلِ

وَهُمُ الَّذِينَ إِذَا حَمَلْتُ حَمَلَةً^(٤) وَلَقِيَهُمْ فَكَأَنِّي لَمْ أَحْمِلِ

١٥ ومن قوله وهى مشهورة^(٥) :

(١) العود هنا : السن من الإبل ، ورواية للأغانى : « الفحل » . ورواية أخرى : « فأضحوا كظهر

العود » ، وبعده :

فَإِنْ تَكُ عَدُوَانُ بِنِ عَمْرٍو تَفَرَّقَتْ فَقَدْ غَنَيْتِ دَهْرًا مُلُوكًا هُنَالِكَ

(٢) البيتان فى حماسة البجترى ١٤٠ ، ونسبهما إلى معن بن أوس .

(٣) نسب البيتان فى الشعر والشعراء : ٥٠ ، والحماسة ٣ : ١٩١ ، وعيون الأخبار ٣ : ١١٤ ،

للفرزديق ؛ وفى حماسة البجترى : ١٤٩ نسبا إلى مالك بن عمرو الأسدى .

(٤) الحمالة : الدية . (٥) القميدة فى الفضليات — بشرح ابن الأنبارى ٣٢١-٣٢٢ ، والأمالى

٢٥٤ : ٢٥٧ ، والحزانة ٣ : ٢٢٦-٢٢٨ ، وشرح شواهد التنفى : ١٤٧-١٤٨ ، وأبيات منهاى

الشعر والشعراء ٦٨٩ ؛ بم اختلاف فى الرواية وعددا لأبيات .

لِي ابْنِ عَمِّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ
أَزْرَى بِنَا أَنَّا شَأَلْتُ نِعَامَتَنَا
لَا إِبْنَ عَمِّكَ لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبٍ
إِنِّي لَسَمْرُكٌ مَا بَابِي بِذِي غَاقٍ
وَلَا لِسَانِي عَلَى الْأَذْنَى بِمُنْطَلَقٍ
مَاذَا عَلَى وَإِنْ كُنْتُمْ ذَوِي رَحْمِي (٥)
يَا سَمْرُؤُ! إِلَّا تَدَعُ (٧) شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي
وَأَنْتُمْ مَعْشَرٌ زَيْدٌ (٩) عَلَى مِائَةٍ
لَا يُخْرِجُ الْقَسْرُ مِنِّي غَيْرَ مَأْبِيَةٍ
/ قوله « شَأَلْتُ نِعَامَتَنَا »، معناه تماقرنا (١١)، فَضَرَبَ النِّعَامَ مَثَلًا؛ أَي لَا أَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ (١١)،
وَلَا يَطْمَئِنُّ إِلَيَّ، يُقَالُ: شَأَلْتُ نِعَامَةَ الْقَوْمِ إِذَا جَلَّوْا (١٢) عَنِ الْمَوْضِعِ.

وقوله: « لا إِبْنَ عَمِّكَ »؛ قال قوم: أَرَادَ لِلَّهِ ابْنُ عَمِّكَ. وَقَالَ ابْنُ دَرِيدٍ: أَقْسَمُ وَأَرَادَ
اللَّهُ ابْنَ عَمِّكَ. وَقَوْلُهُ: « عَنِّي » أَي عَلَى (١٣)، وَالِدَيْتَانِ: الَّذِي يَلِي أَمْرَهُ. وَمَعْنَى: « فَتَخَزُونِي »
أَي تَسُوسُونِي. وَالْمُحَوَّنُ: الْحَوَّانُ.

- (١) حاشية الأصل: «أَي نَحْنُ مَخْتَلِفَانِ». (٢) ت، حاشية الأصل (من نسخة): «وخلته»؛
وهي رواية الأمامي وأزرى بنا: قصر بنا. (٣) لا أفضلت؛ أي ما جئت بفضل.
(٤) من نسخة بحاشيتي الأصل، ت: «عن الصديق»، و«ممنون»: منقطع؛ أي لا أقطع عنه فضلي.
(٥) حاشية ت (من نسخة): «رحم». (٦) ش: «إن»
(٧) حاشية الأصل (من نسخة): «إن لم تدع». (٨) م: «حتى».
(٩) زيد: زيادة. (١٠) حاشية الأصل (من نسخة): بعد هذا البيت:

كُلُّ أَمْرِي صَائِرٌ يَوْمًا لِشَيْمَتِهِ
وَإِنْ تَحَنَّقَ أَخْلَاقًا إِلَى حِينِ

- (١١-١١) ت: «فصرت لأطمئن إليه». (١٢) حاشية ت (من نسخة): «و أجلوا».
(١٣) في حاشيتي الأصل، ت: «الأحسن أن يقدر هاهنا فعل يتعلق «عن» به؛ هكذا هو عند

وقوله : « أَضْرَبَكَ حَيْثُ تَقُولُ الْهَامَةَ اسْقُونِي » ، قال الأصمعيّ : العطشُ في الهامة ، فأراد أضربك في ذلك الموضع ، أي على الهامة حتى تعطش . وقال آخرون : العرب تقول : إن الرجل إذا قُتِلَ خرجت من رأسه هامة ندورٌ حول قبره ، وتقول : اسقوني ، اسقوني ! فلا تزال كذلك حتى يؤخذ بثأره ؛ وهذا باطلٌ ؛ ويجوز أن يعنيه ذو الإصبع على مذاهب العرب .
وقوله : « لَا يُخْرِجُ الْقَمَرُ مَنَى غَيْرَ مَائِيَّةٍ » ، فالقمر : التهر ، أي إن أخذت قمرًا لم أزد إلا إباءً^(١) .

ومن المعمرين معدى كرب الحميريّ ؛ من آل ذى رعين « قال ابن سلام : ” وقال
معدى كرب^(٢) الحميريّ - وقد طال عمره :

أراني كلما أفنيت يوماً أتاني بعده يومٌ جديدٌ
يَعْمُودُ بِيَاضُهُ^(٣) فِي كُلِّ وَجْرٍ وَيَأْبَى لِي شَبَابِي مَا يَمْرُدُ

ومن المعمرين الربيع بن ضبع^(٤) الفزاريّ ، ويقال إنه بقي إلى أيام بني أمية . ورؤى
أنه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له : ياربيع ، أخبرني عمّا أدركت من العمر والمدى ،
ورأيت من الخطوب الماضية ، قال : أنا الذي أقول :

هأنذا آمِلُ الْخُلُودَ وَقَدْ أَدْرَكَ عَتَلِي وَمَوْلِدِي حُجْرًا^(٥)

فقال عبد الملك : قد رويت هذا من شعرك وأنا صبي ، قال : وأنا القائل :

(١) وانظر ترجمة ذى الإصبع وأخباره وأشماره في (الاشتقاق ١٦٣ ، والمعمرين ٩٠ ، والأغانى

٣ : ١١ - ٢ ، والنلالي ٢٨٩ - ٢٩٠ ، والخزانة ٢ : ٤٠٦ - ٤٠٩ والشعر والشعراء ٦٨٨ - ٦٩٠) .

(٢) حاشية الأصل : « معدى كرب ، بافتح ، ويكون معدى مضافاً إلى كرب » .

(٣) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « ضياؤه » . (٤) ت : « ضبع ، التنوين ، وفي

حاشية الأصل : « في نسخة مقروءة من كتاب سيديويه - وقد قرئ على أبي علي الفارسي رحمه الله - وفي

أخرى مقروءة على ابن أخته أبي الحسين : الربيع بن ضبع ، منونا بآخره » . (٥) حاشية الأصل :

« حجر أبو امرئ القيس » .

إِذَا عَاشَ الْفَتَى مِائَتَيْنِ عَامًا فَقَدْ ذَهَبَ اللَّذَازَةُ وَالْفَتَاءُ^(١)
قال: قد رويت هذا من شعرك وأنا غلام ، وأبيك يا ربيع ، لقد طلبك^(٢) جد غير غار ،
ففضل لي عمرك ، قال: عشت مائتي سنة في فترة عيسى عليه السلام ، وعشرين ومائة في الجاهلية ،
[٨٤] وستين سنة / في الإسلام . قال : أخبرني عن فتية من قريش متواطئ الأسماء ، قال : سل
عن أيهم شئت ، قال : أخبرني عن عبد الله بن العباس ، قال : فهم وعلم ، وعطاء جدم^(٣) ،
ومقرى ضخم . قال : فأخبرني عن عبد الله بن عمر قال : حلم وعلم ، وطول كظم ، وبعث
من الظلم . قال : فأخبرني عن عبد الله بن جعفر ، قال : ريحانة طيب ريحها ، لين مشها ، قليل
على المسلمين ضررها . قال : فأخبرني عن عبد الله بن الزبير ، قال : جبل وعمر ، ينحدر^(٤)
منه الصخر . قال : لله درك يا ربيع ! ما أعرفك بهم ! قال : قرب جوارى ، وكثر
١٠ استخبارى .

قال سيدنا الشريف الأجل المرتضى أدام الله علوه : إن كان هذا الخبر صحيحاً فيشبهه أن يكون
سؤال عبد الملك له إنما كان في أيام معاوية ، لافي أيام ولايته ، لأن الربيع يقول في الخبر :
«عشت في الإسلام ستين سنة»^(٥) ، وعبد الملك ولى في سنة خمس وستين من الهجرة ، فإن
كان صحيحاً فلا بد مما ذكرناه؛ فقد روى أن الربيع أدرك أيام معاوية ؛ ويقال: إن الربيع لما
١٥ بلغ مائتي سنة قال :

(١) البيت من شواهد الرضى على السكانية ، وهو في (الخرزاة ٣ : ٣٠٦) ، وأورده شاهداً
على أنه قد يفرد ميم المائة وينصب ؛ وأورده سيوري في موضعين : الأول في باب العفة المشبهة بالفاعل وذكر
أسماء العدد وعملها في الأسماء ؛ (الكتاب ١ : ١٠٦) ، والثاني في باب كم (١ : ٣٠٦) .
وأورده ابن قتيبة في (أدب الكاتب : ٢٩٥) ، في باب «أسماء يتفق أفعالها وتختلف معانيها» ، قال :
«والفتاء من السن ممدود ، وروى البيت ، وذكره البطلبوسى في الانضاب : ٣٦٩ ، وأورد بيتين بعده .
(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : «لقد طار بك» .
(٣) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : «حدم» ، بالخاء ، وأصل الحدم الإسراع .
(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : «ينحدر منه» ، وفي حاشية ت (من نسخة) : «ينحدر عنه» .
(٥) ت : «حجة» .

أَلَا أَبْلُغُ بَنِيَّ بَنِيَّ رَيْبِحَ
بَأْتِي قَدْ كَبُرَتْ وَدَقَّ عَظْمِي
وَإِنَّ كِنَانِي لِنِسَاءِ صِدْقِي
إِذَا كَانَ (٣) الشَّتَاءُ فَأَدْفِنُونِي
وَأَمَّا حِينَ يَذْهَبُ كُلُّ قُرَى
إِذَا عَاشَ الْفَتَى مِائَتَيْنِ عَامًا

فَأَشْرَارُ الْبَنِينَ لَكُمْ فِدَاءَهُ (١)
فَلَا تَشْغَلْكُمْ عَنِّي النِّسَاءُ
وَمَا آلِي بَنِيَّ وَلَا أَسَاءُوا (٢)
فَإِنَّ الشَّيْخَ يَهْدِمُهُ الشَّتَاءُ
فَسِرْبَالٌ خَفِيفٌ أَوْ رِدَاءُ
فَقَدْ زَهَبَ اللَّذَّازَةُ (٤) وَالْفَتَاءُ

وَقَالَ حِينَ بَلَغَ مِائَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً :

أَصْبَحَ مِنِّي الشَّبَابُ قَدْ حَسَرَ (٥)
وَدَعَانَا قَبْلَ أَنْ نُودَعَهُ
هَا أَنَا ذَا آمَلُ الْخُلُودِ وَقَدْ
أَبَا امْرِئِ الْقَيْسِ هَلْ سَمِعْتَ بِهِ !
/ أَصْبَحْتُ لَا أَحْمِلُ السَّلَاحَ وَلَا
إِنْ يَنَا (٦) عَنِّي فَقَدْ تَوَى عُصْرًا
لَمَّا قَضَى مِنْ جِمَاعِنَا وَطَرَا
أَدْرَكَ عَقْلِي (٧) وَمَوْلِدِي حُجْرًا
هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ طَالَ ذَا عُمْرًا
أَمَلِكُ رَأْسِ الْبَعِيرِ إِنْ نَفَرَا

[٨٤]
ظ

(١) المقطوعة في (شرح أدب الكاتب للجوالقي ٢٦٦، والمعمرين ٦-٧، وذيل الأملاني : ٢١٤،
والخزانة ٣ : ٣٠٦) . قال الجوالقي : « قوله : « فأشرار البنين لكم فداء » ، وصفهم بالبر » ،
وفي الخزانة : « أنذار البنين » . (٢) السكتان : جمع كنة ؛ بالفتح والتشديد ؛
وهي امرأة الابن والأخ ؛ يريد أنهن نعم النساء ، وفي حاشية ت (من نسخة) : « آلى » ، بتشديد اللام
قال : « وهو الصحيح ؛ ومعنى « آلى » ، قصر في قول بعضهم ، واللغة الأخرى « ألا » ، مخففا ؛ يقال : ألا
الرجل بألو ؛ إذا قصر ونتر ؛ فأما « آلى » في البيت فلا وجه له ؛ لأنه بمعنى حلف ، ولا معنى له هاهنا .
وفي المعمرين لأبي حاتم : « ويروى : « وما آلى » ، والمألية : القصير ، ومن قال : « وما آلى » فالمدني
ما أقسموا ألا يبروني » ، وروى عن أبي عمرو الشيباني قال : سألتني القاسم بن معن عن قوله :

* وما آلى بنيَّ وما أساءوا *

قلت : أبطئوا ، قال : ماتدع شيئا ! وانظر اللسان (ألا) . (٣) كان هاهنا تامة ، لاسم لها ولا
خبر ، وفي المعمرين : « جاء » . (٤) في الاقتصاب : « النخيل » ، وقال في شرحه : النخيل :
الحيلاء ، ويروى : « المسرة » ، ويروى : « المروة » ، (٥) في حاشيتي الأصل ، ت : « يقال :
حسر البعير يحسر إذا أعبا ، وتحسر واستحسر كذلك ، وحسرتة أنا ، يتعدى ولا يتعدى » .
(٦) ت : « بان عني » . (٧) ش : « سني » ، وفي م : « عقلي » .

وَالذَّبَّ أَخْشَاهُ إِنْ مَرَّرْتُ بِهِ وَحَدِي وَأَخْشَى الرِّيحَ وَالطَّرَا
مِنْ بَعْدِ مَا قُوَّةُ أُسْرٍ^(١) بِهَا أَصْبَحْتُ شَيْخًا أَعْلَجُ الْكِبَرِ^(٢)
قوله : « عطاء جَدْم » أى سريبع ، وكلّ شئ . تَمَرَّعْتُ فِيهِ فَقَدْ جَدَمْتَهُ ، وفي الحديث :
« إِذَا أَذْنَتْ فَرَسًا ، وَإِذَا أَقْت فَاجْدِم » ، أى أسرع . والمقري : الإناء الذى يُقَرَى فِيهِ .
وقوله : « فما إلى بنى ولا نساءوا » ، أى لم يقصروا ، والآلى : المقصر^(٣) .

(١) حاشية ت من نسخة : « أنوء » . (٢) وردت هذه الأبيات فى حماسة البحرى : ٣٢٢ ،
ونوادى أبى زيد ١٤٨ ؛ ونقل صاحب الخزانة (٣ : ٣٠٩) عن ابن السيد فى شرح الجمل قال : « روى
الرواه أن الربيع بن ضبع عاش حتى أدرك الإسلام ، وأنه قدم الشام على معاوية بن أبى سفيان ومعه حفدته ،
ودخل حفيده على معاوية فقال له : أقدم ناشيج ؟ فقال له : وكيف يقعد من جده بالباب ؟ فقال له معاوية :
لملك من ولد الربيع بن ضبع ، فقال : أجل ؟ فأمره بالدخول ، فلما دخل سأله معاوية عن سنه فقال :
أَفْقَرُ مِنْ مِيَةِ الْجَرِيْبِ إِلَى الزُّجَيْنِ إِلَّا الطَّبَاءَ وَالْبَمْرَا
كَلَّمَهَا دُرَّةٌ مُنَمَّمَةٌ مِنْ نِسْوَةٍ كُنَّ قَبْلَهَا دُرَّرًا
أَصْبَحَ مِنِّي الشَّبَابُ مَبْتَكِرًا إِنْ يَنَّا عَنِّي فَقَدْ تَوَى عُصْرًا
إلى آخر الأبيات المتقدمة ؛ فقرأ معاوية ، ﴿ وَمَنْ نَعْمَهُ نُنَكِّسُهُ فِي الْخَلْقِ ﴾ .

(٢) وانظر ترجمة الربيع بن ضبع وأخباره وأشعاره فى (المعمرين ٦-٧ ، والآلى ٨٠٢ ، والخزانة
٣٠٦-٣٠٩ ، والإصابة ، ٢ : ٢٠٩) .

مَجْلِسُ آخِرِ

ومن المَعْمَرِينَ أَبُو الطَّمَّحَانِ الْقَيْنِيَّ ، واسمُه حنظلةُ بنِ الشَّرْقِيِّ ، من بني كِنَانَةَ
ابنِ التَّيْنِ ؛ قال أبو حاتم : ” عاش مائتي سنة ، فقال في ذلك :

حَنَنْتِي حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى كَأَنِّي خَاتِلٌ^(٢) أَدْنُو لِيصِيدِ
قَصِيرُ الخَطْوِ يَحْسِبُ مَنْ رَأَى - وَلَسْتُ مُقَيِّدًا - أُنِّي بِقَيْدِ “

ويروى : « قريب الخطو » .

قال أبو حاتم : ” حدثني عِدَّةٌ من أصحابنا أنهم سمعوا يونس بن حبيب يُنشد هذين
البيتين ، ويُنشد أيضاً :

تَقَارَبَ خَطْوُ رَجُلِكَ يَا سُوَيْدٌ^(٣) وَقَيِّدَكَ الزَّمَانَ بِبَشْرٍ قَيْدِ “
وهو القائل :

وَأُنِّي مِنَ القَوْمِ الَّذِينَ هُمُ هُمُ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ مَيِّتٌ قَامَ صَاحِبُهُ^(٤) ١٠
نَجُومُ سَمَاءٍ كَلَّمَا غَابَ كَوَكَبٌ بَدَا كَوَكَبٌ تَأْوَى إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجِيَ اللَّيْلُ حَتَّى نَظَّمَ الجَزَعُ نَاقِبَهُ
وَمَا زَالَ مِنْهُمْ حَيْثُ كَانَ مُسَوِّدٌ^(٥) تَسِيرُ المَنَايَا حَيْثُ سَارَتْ كِتَابَتُهُ^(٦)

ومعنى البيتين الأولين يشبه قولَ أَوْسِ بنِ حَجْرٍ :

(١) حاشية (من نسخة) : « من كِنَانَةَ » . (٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « حابل » .

(٣) ت ، ش : « يادويد » . (٤) ش : « منهم سيد » .

(٥) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « حيث كانوا متوج » . (٦) من نسخة بحاشيتي

الأصل ، ت : « ركايبه » .

إِذَا مُقَرَّمٌ مِّنَّا ذَرَا حَدُّ نَابِهِ / وَلَطْفِيلِ الْعَنَوِيِّ مِثْلَ هَذَا ، وَهُوَ : [٨٠]
 تَحْمَطُ فِينَا نَابُ آخِرِ مُقَرَّمٍ (١)
 كَوَا كَبُ دَجْنٍ كُلَّمَا انْقَضَ كَوَكَبٌ
 وَقَدْ أَخَذَ الْخُرَيْمِيُّ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ :
 إِذَا قَمَرٌ مِّنَّا تَغَوَّرَ أَوْ خَبَا ٥
 بَدَا قَمَرٌ فِي جَانِبِ الْأَفْقِ يَلْمَعُ

ومثل ذلك :

خِلَافَةُ أَهْلِ الْأَرْضِ فِينَا وَرِاثَةٌ
 إِذَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ
 وَمِثْلُهُ :

إِذَا سَيِّدٌ مِّنَّا مَضَى لِسَبِيلِهِ
 أَقَامَ عَمُودَ الْمَلِكِ (٣) آخِرُ سَيِّدٍ
 وَكَانَ مَزَاحِمًا الْعَمِيلِيَّ نَظَرَ إِلَى قَوْلِ أَبِي الطَّمْحَانِ : ١٠

* أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ *
 فِي قَوْلِهِ :

وُجُوهٌ لَوْ أَنَّ الْمُدْلِجِينَ اعْتَشَوْا بِهَا
 صَدَعْنَ الدُّجَى حَتَّى تَرَى اللَّيْلَ يَنْجَلِي (٤)
 وَيُقَارَبُ ذَلِكَ قَوْلَ حُجَيْبِ بْنِ الْمَضْرَبِ الْكِنْدِيِّ :

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ فَتَضَاءَلَتْ
 لِنُورِهِمُ الشَّمْسُ الْمُضِيئَةُ وَالْبَدْرُ (٥)
 وَأَنشَدَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصَّوَلِيُّ فِي مَعْنَى بَيْتِ أَبِي الطَّمْحَانِ :

(١) ديوانه : ٢٧ ، واللسان (خط) وفي حاشيتي الأصل ، ت : ذرا الشيء : سقط ، وذروته : طيرته . وتحمط الفحل ؛ إذا انفجح عند الهيام . (٢) ديوانه : ١٩ (٣) حاشية ت (من نسخة) « الدين » . (٤) ديوانه : ٦ ، مجالس تملب : ٢٧٧ . (٥) من أبيات ذكرها الغالي في (الأمالي ١ : ٥٣-٥٤) ، وقال : « يمدح فيها يعفر بن زرعة ، أحد الأملاك أملاك ردمان » ؛ وأولها :

إِذَا كُنْتَ سَائِلًا عَنِ الْمَجْدِ وَالْعُلَا
 وَأَيْنَ الْعَطَاءِ الْجَزَلُ وَالنَّائِلُ الْعَمْرُ
 فَتَقَبُّ عَنِ الْأَمْوَالِكِ وَاهْتِفْ لِحَمِيرِ
 وَعِشْ جَارَ ظِلِّ لَا يُغَالِبُهُ الدَّهْرُ
 وَالْأَمْوَالِكُ : قَبِيلَةٌ مِنْ حَمِيرٍ ، وَرَدْمَانُ : مَدِينَةٌ بِالْحِمْيَرِ .

مِنَ الْمِيضِ الْوَجُودِ بَنِي سِنَانٍ لَوْ أَنَّكَ تَسْتَضِيُّ بِهِمْ أَضَاءُ (١)
هُمْ حَلُّوا مِنَ الشَّرَفِ الْمُعَلَّى وَمِنْ كَرَمِ الْعَشِيرَةِ حَيْثُ شَاءُ (٢)
فَلَوْ أَنَّ السَّمَاءَ دَنَتْ لَمَجِدِّ وَمَكْرُمَةٍ دَنَتْ لَهُمُ السَّمَاءُ (٣)
وأبو الطمجان القائل:

إِذَا كَانَ فِي صَدْرِ ابْنِ عَمِّكَ إِخْنَةٌ فَلَا تَسْتَبْرِهَا سَوْفَ يَبْدُو دَفِينَهَا (٤)
وهو القائل:

إِذَا شَاءَ رَاعِيهَا اسْتَقَى مِنْ وَقِيمَةٍ كَمَا يَنْبَغِي الْغُرَابِ صَفْوُهَا لَمْ يُكَدِّرْ (٥)
ويروى: «صفية لم يكدر»، والوقيمة: المستنقع في الصخرة للماء، ويقال للماء إذا

زل (٦) من صخرة فوق / في بطن أخرى ماء الوقائع، وأنشدوا لذي الرثمة:

وَنِلْنَا سِقَاطًا مِنْ حَدِيثٍ كَأَنَّهُ جَسَنِي النَّحْلِ مَمزُوجًا بِمَاءِ الْوَقَائِعِ (٧)
ويقال للماء الذي يجري على الصخر ماء الحشرج، وللماء الذي يجري بين الحصى والرمل
ماء المفاصل، وأنشدوا لأبي ذؤيب:

(١) من أبيات ثمانية، نسبها أبو تمام إلى أبي البرج القاسم بن حنبل المري؛ يقولها في زفر بن أبي هاشم
ابن مسعود بن سنان؛ وأولها:

أَرَى الْخِلَانَ بَعْدَ أَبِي حَبِيبٍ وَحُجْرٍ فِي جَنَابِهِمْ جَفَاءَ

وهي في الحماسة - بشرح التبريزي ١: ١٩٧-١٩٨، وأبيات منها في الحيوان ٢: ١-٢،
والمؤتلف والمختلف ٦٢، ومعجم الرزباني ٣٢٣. (٢) في الحماسة: «حسب العشيرة».

(٣) في الحماسة: «لكم السماء». (٤) البيت في اللسان (أحن)، نسبه إلى الأقبيل القيني؛
وذكر قبله:

مَتَى مَا يَسُوْ ظَنُّ امْرِئٍ بِصَدِيقِهِ يُصَدِّقُ بَلَاغَاتٍ يَجِيئُهُ يَقِينًا

وهو أيضا بهذه النسبة في المؤتلف والمختلف: ٢٣؛ وفي الفائق ١: ١٦؛ من غير عزو.

(٥) ت: «كعين العذاب»، قال؛ وذكر فوقها: «وهو اسم موضع» وعين الغراب يضرب بها المثل

في الصفاء. (٦) ت: «عن صخرة». (٧) ديوانه: ٣٥٨.

مُطَافِيلَ أَبْكَارٍ حَدِيثٍ نِتَاجُهَا يُشَابُ بِمَاءٍ مِثْلَ مَاءِ الْمَفَاصِلِ (١)
وَأُنشِدُ أَبُو مَحَلَّمٍ السَّمْعَدِيُّ لِأَبِي الطَّمْحَانَ :
بُنَى إِذَا مَا سَامَكَ الذُّلُّ قَاهِرًا عَزِيزًا فَبِعَمَضِ الذُّلِّ أُبْقَى وَأَحْرَزُ (٢)
وَلَا تَحَمُّ (٣) مِنْ بَعْضِ الْأُمُورِ تَعَزُّزًا فَقَدْ يُورِثُ الذُّلُّ الطَّوِيلَ التَّعَزُّزُ
وَهَذَا الْبَيْتَانِ يَرْوِيَانِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعَاوِيَةَ الْجَعْفَرِيِّ .

وَرَوَى لِأَبِي الطَّمْحَانَ أَيْضًا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَعْنَى :

يَارُبَّ مَظْلَمَةٍ (٤) يَوْمًا لَطَيْتُ لَهَا تَمْضَى عَلَيَّ إِذَا مَا غَابَ نُصَارِي (٥)
حَتَّى إِذَا مَا انْجَبَتْ عَنِّي غَيَابَتِهَا وَتَبَّتْ فِيهَا وَتُوبَ الْمُخْدِرِ الضَّارِي (٦)

وَمِنَ الْمُعَمَّرِينَ عَبْدُ الْمَسِيحِ بْنِ بُقَيْلَةَ النَّسَّانِيَّ ، وَهُوَ عَبْدُ الْمَسِيحِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ قَيْسِ
١٠ ابْنِ حِيَانَ بْنِ بُقَيْلَةَ ، وَبُقَيْلَةَ اسْمُهُ تَعْلَبَةُ ، وَقِيلَ الْحَارِثُ ؛ وَإِنَّمَا سُمِّيَ بُقَيْلَةَ لِأَنَّهُ خَرَجَ فِي بُرْدَيْنِ
أَخْضَرَيْنِ عَلَى قَوْمِهِ ، فَقَالُوا لَهُ : مَا أَنْتَ إِلَّا بُقَيْلَةَ ، فَسُمِّيَ لِذَلِكَ .

وَذَكَرَ السَّكَبِيُّ وَأَبُو مِخْنَفٍ وَغَيْرُهُمَا أَنَّهُ عَاشَ ثَلَاثِمِائَةَ سَنَةً وَخَمْسِينَ سَنَةً ، وَأَدْرَكَ الْإِسْلَامَ
فَلَمْ يُسَلِّمْ ، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا .

وَرَوَى أَنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ لَمَّا نَزَلَ عَلَى الْحَيْرَةِ ، وَتَحَصَّنَ مِنْهُ أَهْلُهَا أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ : ابْعَثُوا إِلَيَّ
١٥ رَجُلًا مِنْ عَقْلَائِكُمْ ، وَذَوِي أَسْنَانِكُمْ (٧) . فَبِعَثُوا إِلَيْهِ بَعْدَ الْمَسِيحِ بْنِ بُقَيْلَةَ ، فَأَقْبَلَ يَمْشِي

(١) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ : « قَبْلَهُ :

وَإِنَّ حَدِيثًا مِنْكَ لَوْ تَبَدَّلْتَهُ جَنَى النَّجْلِ فِي أَلْبَانِ عُودِ مُطَافِلٍ

« مُطَافِيلُ أَبْكَارٍ » ، بَدَلَ مِنْ قَوْلِهِ : « عُودُ مُطَافِلٍ » ، وَمُطَافِلٌ : جَمْعُ مُطْفَلٍ ؛ وَهِيَ الَّتِي مَعَهَا وَلَدُهَا .
وَانظُرْ دِيوَانَ الْهَذَا لِي ١ : ١٤٠ . (٢) حَاشِيَةُ ت (مِنْ نَسْخَةٍ) : « أَتَى وَأَحْرَزَ » .

(٣) مِنْ نَسْخَةِ بَحَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ت : « وَلَا تَجْنِ » . (٤) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ (مِنْ نَسْخَةٍ) :

« مَظْلَمَةٌ » ، بِضَمِّ الْمِيمِ . (٥) ش : « أَنْصَارِي » . (٦) الْغِيَابَةُ : كُلُّ مَا أَظَلَ الْإِنْسَانَ فَوْقَ

رَأْسِهِ . وَاظُنْ تَرْجَمَةَ أَبِي الطَّمْحَانَ وَأَخْبَارَهُ وَأَشْعَارَهُ فِي (الشعر والشعراء ٣٤٨ - ٣٤٩ ، والمعمرين

٥٧ ، والاشتقاق ٣١٧ ، والمؤتلف والمختلف ١٤٩ - ١٥٠ ، والأغاني ١١ : ١٢٥ - ١٢٨ ، والآل

٣٣٢ ، والإصابة ٢ : ٦٦ ، والخزانة ٣ : ٤٢٦) . (٧) مِنْ نَسْخَةِ بَحَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ت : « أَنْسَابِكُمْ » .

حتى دنا من خالد ، فقال له : اِنْعَمْ صباحاً أيها الملك ! قال : قد أغنانا الله عن تحميتك هذه ، فمن أين أقصَى أثرِك أيها الشيخ ؟ قال : مِنْ ظَهْر أَبِي ، قال : فمن أين خرجت ؟ قال من بطن أمي ، قال : فعلام أنت ؟ قال : على الأرض ، قال : ففيم أنت ؟ قال : في ثيابي ، قال : أتعمل - لاعتقلت ؟ قال : إي والله / وأقيّد ، قال : ابنُ كم أنت ؟ قال : ابنُ رجلٍ واحدٍ ، قال [٨٦] خالد : ما رأيت كاليوم قطُّ ، إني أسأله عن الشيء ^(١) وينجو في غيره ^(١) ، قال : ما أجبتك إلاَّ ٥ عما سألتَ ، فسَلَّ عمّا بدا لك .

قال : أعربُ أنتم أم نبيط ^(٢) ؟ قال : عرب استنبطنا ، ونبيط استعربنا ، قال : أخربُ أنتم أم سلِّم ؟ قال : بل سلِّم ، قال : فما هذي الحصونُ ؟ قال : بنيناها للسَّفيه ^(٣) نحذر منه حتى يجيء الحلِيم فينهاه ، قال : كم أنى لك ؟ قال : ستون وثلاثمائة سنة ، قال : فما أدركت ؟ قال : أدركت سفن البحر ترُفأ ^(٤) في هذا الجرف ، ورأيت المرأة تخرج من الحيرة ، وتضع ١٠ مسكناً على رأسها ، لا ترُود إلاَّ رغيفاً واحداً حتى تأتي الشام ، ثم قد أصبحت خراباً يباباً ، وذلك دأب الله في البلاد والعباد .

قال - ومعه سمٌ ساعة يقبّبه في كفه - : فقال له خالد : ما هذا في كفك ؟ قال : هذا السمُّ ، قال : ما تصنع به ؟ قال : إن كان عندك ما يُوافق قومي وأهل بلدي حمِدَت الله وقبَلتته ، وإن كانت الأخرى لم أكن أولَ مَنْ ساق إليهم ذلاًّ وبلاءً ، أشربه فأستريح من الدنيا ، فإنما ١٥ بقي من عمرى اليسير ، قال خالد : هاته ، فأخذه ثم قال : بسم الله وبالله رب الأرض والسماء ، الذي لا يضر مع اسمه شيء ، ثم أكله ، فتجلتته غشية ، ثم ضرب بدقنه في صدره طويلاً ، ثم عَرِقَ فأفاق ، كأنما أنشطَ من عقال .

فرجع ابن بُقيلة إلى قومه فقال : جئتكم من عند شيطان ، أكل سمّاً ساعة فلم يضره ،

(١-١) حاشية ت (من نسخة) : « وينجو بي إلى غيره » .

(٢) ش : « نبط » ، وهو بمعنى النبيط : « وفي حاشية الأصل : « أصل النبط قوم كانوا

يستنبطون الماء ويجتفرون الآبار للعرب ؛ فقبل لأهل السواد النبيط » . (٣) حاشية ت (من نسخة) :

« لسفيه » . (٤) في حاشية الأصل ، ت : « أرفأت السفينة : قربتها من الشط ، وذلك الموضع مرفأ » .

صانعو القوم وأخرجوهم عنكم ، فإن هذا أمر مصنوع^(١) لهم ، فصالحوهم^(٢) على مائة ألف درهم ، وأنشأ ابن بُقَيْلَةَ يقول :

أَبَعَدَ الْمُنْدَرِينَ أَرَى سَوَامًا تَرَوَّحُ بِالْحَوْرَنْقِ وَالسَّدِيرِ!^(٣)
[أَبَعَدَ فَوَارِسَ النَّمَانِ أَرعى مَرَاعَى نَهْرٍ مُرَّةً فَالْخَفِيرِ!^(٤)
تَحَامَاةُ فَوَارِسُ كُلِّ قَوْمٍ مَخَافَةَ ضَيْغَمٍ عَالِي الزَّئِيرِ
وَصَرْنَا بَعْدَ هُلَاكِ أَبِي قُبَيْسٍ كَمِثْلِ الشَّاءِ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ

- يريد أبا قابوس ، فصغر ، ويروى « كمثل المِعز » -

تَقَسَّمْنَا الْقِبَائِلُ مِنْ مَعَدِّ عَلَانِيَةً كَأَيْسَارِ الْجَزُورِ!^(٥)
نُودَى الْخَرْجَ بَعْدَ خَرَاكِ كَسْرَى وَخَرَجَ مِنْ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ
كَذَلِكَ الدَّهْرُ دَوْلَتُهُ سِجَالًا فَيَوْمًا مِنْ مَسَاءِ^(٦) أَوْ سُرُورِ

١٠

[٨٦]
ظ

/ويقال إن عبد المسيح لما بنى بالحيرة قصره المعروف بقصر بني بُقَيْلَةَ قال :

لَقَدْ بَنَيْتُ لِلْحَدَثَانِ حِصْنًا لَوَ أَنَّ الْمَرْءَ تَنَفَّهَ الْحُصُونُ
طَوِيلَ الرَّأْسِ أَقْعَسَ مُشْمَخِرًا لِأَنْوَاعِ الرِّيَّاحِ بِهِ حَنِينُ^(٧)
ومما يروى لعبد المسيح بن بُقَيْلَةَ :

وَالنَّاسُ أَبْنَاءُ عِلَاتٍ فَمَنْ عَلَمُوا أَنْ قَدْ أَقْلَ فَمَجْفُورٌ وَمَهْجُورُ^(٨)
وَهُمْ بَنُونَ لِأُمَّمٍ إِنْ رَأَوْا نَشَبًا فَذَلِكَ بِالْغَيْبِ مَحْفُوظٌ وَمَخْفُورُ

١٥

وهذا يشبه قول أوس بن حجر :

(١) حاشية الأصل : « أي كأن الله صنعه لهم » . (٢) ت ، د : « فصانعوهم » .

(٣) الأبيات في معجم البلدان ٣ : ٤٨٥ ، وفي حاشية ت (من نسخة) « تروح » ، بفتح الحاء ؛ والخورنق والسدير : موضعان بالحيرة . (٤) تكملة من ت . (٥) معجم البلدان : « كأنا ؛ بعض أجزاء الجزور » . (٦) حاشية الأصل (من نسخة) : « من مساءة أو سرور » .

(٧) م : « أنين » . (٨) قال في اللسان (علل) : « أبناء علات ، يستعمل في الجماعة المختلفين » ؛ واستشهد بالبئتين ؛ وأصله في الأولاد تختاب أمهاتهن . وفي حاشية الأصل : « بنو العلات : بنو الضرائر » ؛ وفي م : « فمجفؤ ومخفور » ؛ وهي رواية اللسان .

بَنَى أُمَّ ذِي الْمَالِ الْكَثِيرِ يَرَوْنَهُ - وَإِنْ كَانَ مَبْدَأَ - سَيِّدِ الْأَمْرِ جَعْفَلًا^(١)
وَهُمْ لِمَقِلِّ الْمَالِ أَوْلَادُ عِلَّةٍ وَإِنْ كَانَ مَحْضًا فِي الْعُمُومَةِ مُخُولًا

وَذُكْرَانٌ بَعْضُ مَشَايِخِ أَهْلِ الْحَيْرَةِ خَرَجَ إِلَى ظَهْرِهَا يَخْتَطُّ دِيرًا^(٢) ، فَلَمَّا احْتَفَرَ مَوْضِعَ
الْأَسَاسِ ، وَأَمَعَنَ فِي الْاِحْتِفَارِ أَصَابَ كَهَيْئَةَ الْبَيْتِ^(٣) ، فَدَخَلَهُ فَإِذَا رَجُلٌ عَلَى سُرِيرٍ مِنْ
رِخَامٍ^(٤) ، وَعِنْدَ رَأْسِهِ كِتَابَةٌ : «أَنَا عَبْدُ الْمَسِيحِ بْنِ بَقِيَّةَ

حَنَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ حَيَاتِي وَنِلْتُ مِنَ الْمَسْنَى بُنْعَ الْمَزِيدِ^(٥)
وَكَافَحْتُ الْأُمُورَ وَكَافَحْتَنِي فَلَمْ أَحْفَلْ بِمَعْضِلَةِ كَثُودِ
وَكَدْتُ أَنْالُ فِي الشَّرَفِ الثَّرِيًّا وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْخُلُودِ^(٦)

وَمِنَ الْمُعَمَّرِينَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيَّةُ ، وَاسْمُهُ قَيْسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُدَّسِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ
جَعْدَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ ، وَيَكْنَى أَبُو لَيْلَى .
وَرَوَى أَبُو حَاتِمٍ السَّجِسْتَانِيُّ قَالَ : " كَانَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيَّةُ أَسْنَنًا مِنَ النَّابِغَةِ الدَّيَّانِيَّةِ ،
وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ :

تَذَكَّرْتُ وَالذُّكْرَى مَهِيحٌ عَلَى الْهَوَى وَمِنْ حَاجَةِ الْمَحْزُونِ أَنْ تَتَذَكَّرَ^(٧)
نَدَامَايَ عِنْدَ الْمُنْدِرِ بْنِ مُحَرَّرِي أَرَى الْيَوْمَ مِنْهُمْ مَا رَضِ أَقْفَرَا
/ كَهُولٌ وَفَتِيَانٌ كَيْانٌ وَجُوهَهُمْ دَنَايِرٌ مِمَّا شَيْفَ فِي أَرْضِ قَيْصِرَا^{٨٧}
و

(١) ديوانه: ٢٢ ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « سيد الملك » . ويقال : رجل جعفل ؛ أي
سيد عظيم القدر ؛ ذكره صاحب اللسان ، واستشهد بالبيت . وفي حاشيتي الأصل ، ت : « قبله »
وَإِنِّي وَجَدْتُ النَّاسَ إِلَّا أَقْلَهُمْ خِفَافَ الْعَهْدِ يَكْتَرُونَ التَّنْقِلًا
(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « داراً » . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « الكهف » .
(٤) ش : « زجاج » . (٥) حاشية الأصل : « أي البلع من اللزبد » .
(٦) وانظر ترجمة عبد المسيح بن ببيعة أيضا في المعمرين ٣٧-٣٨ .
(٧) من قصيدة طويلة ، ٧٦ بيتا ، ذكرها صاحب جمهرة الأشعار في ٣٠١-٣٠٧ .

فهذا يدلُّ على أنه كان مع المنذر بن محرق ، والنابعة الذُّبيانيّ كان مع النعمان بن المنذر ابن محرق .

قوله : « سيف » يعني جُلِّي ، والمشوف المجلو .

ويقال : إن النابعة غبَر ثلاثين سنة لا يتكلم^(١) ، ثم تكلم بالشعر ومات وهو ابن عشرين و مائة سنة بأصهبان ، وكان ديوانه بها ، وهو الذي يقول :

فَمَنْ يَكُ سَائِلًا عَنِّي فَإِنِّي مِنْ الْفَتِيَانِ أَيَامَ الْخُنَانِ

— وأيام الخنّان : أيام كانت للعرب قديمة ، هاج بها فيهم مرض في أنوفهم وحلوقهم —

مَضَتْ مِائَةٌ لِعَامٍ وُلِدْتُ فِيهِ وَعَشْرٌ بَعْدَ ذَاكَ وَحِجَّتَانِ^(٢)
فَأَبَقِيَ الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ مِنِّي كَمَا أَبَقِيَ مِنَ السَّيْفِ الْيَمَانِي
تَفَلَّلَ وَهُوَ مَأْتُورٌ جُرَّازٌ إِذَا جُمِعَتْ بِقَائِمِهِ الْيَدَانِ^(٣)

وقال أيضا في طول عمره :

لَيْسْتُ أَنَسًا فَأَفْتَيْتُهُمْ وَأَفْتَيْتُ بَعْدَ أَنَسٍ أَنَسًا
ثَلَاثَةَ أَهْلِينَ أَفْتَيْتُهُمْ وَكَانَ الْإِلَهُ هُوَ الْمُسْتَسَا

(١) حاشية الأصل : « أي لا يتكلم بالشعر ، وسميت القصيدة كلمة » .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ت : « ذكر المرء في قول النابعة :

عَلَى حِينٍ عَاتِبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصَّبَا وَقَاتُ أَلْمَا أَصْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعُ

أنه يجوز في « حين » النصب والجر . وذكر بعض المتأخرين أنه إذا أضيف الظرف إلى المبنى لم يجوز

فيه إلا النصب ، وإنما يجوز الجر إذا أضيف إلى المرب ؛ كقوله تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ

صِدْقُهُمْ ﴾ ، و ﴿ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴾ ، وقول النابعة : « لعام ولدت فيه » لا يحتاج إلى « فيه »

بل هو كالزيادة المستغنى عنها ؛ لأنه إذا أضيف « العام » إلى « ولدت » كان المضاف إليه مع المضاف في

حكم الشيء الواحد ؛ فلا يحتاج إلى المائد ؛ بخلاف أن تكون الجملة صفة ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَأَتَقُوا

يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ ؛ وكأنه للبيان والتحقيق ، على تقدير : « لعام ولدت » ، ثم أضمر :

« ولدت » ، أخرى ، والجار والمجرور يتعلق بولدت الكامل . وانظر الكامل — بشرح المرفص ٢ : ٢٢٠

(٣) مأثور : باق أثره . والجرّاز : الماضي النائد في الضريبة ، وانظر طبقات الشعراء : ١٠٤

معنى المستعاض : المتعاض^(١) .

وروى عن هشام بن محمد الكلبي أنه عاش مائة وثمانين سنة .

وروى ابن دريد عن أبي حاتم في موضع آخر أن النابغة الجعدي عاش مائتي سنة، وأدرك

الإسلام، وروى له:

قالت أمانة كم عمّرتَ زمانةً وذبحتَ مِن عِترِ على الأوثانِ !
— العتيرة^(٢) : شاة تذبح لأصنامهم في رجب في الجاهلية —

ولقد شهدتُ عكاظَ قبلَ محامها عنها وكنْتُ أعدى مِلِّ فتيانِ^(٣)
والمنذرَ بنَ مُحَرَّقٍ في مُنكهِ وشهدتُ يومَ هَجانِ النعمانِ^(٤)

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « المستعاض » ، وهو من العوض .

(٢) حاشية الأصل : « العترة والعتيرة كالذبح والذبيحة » . (٣) ش : « فيها » ، وفي حاشية

الأصل : « محلها فيها ؛ أي نزولها في عكاظ ، ومحلها عنها ، أي نزولها فيما عدا عكاظ ، و « عن »
لما عدا الشيء وجاوزه » (٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « هو المنذر بن امرئ القيس بن عمرو
ابن عدى بن ربيعة بن نصر اللخمي . وعمرو بن عدى هو ابن أخت جذيمة بن مالك الأبرش ؛ وقيل له
الأبرش والوضاح لبرص به ؛ وكان يقال لامرئ القيس أبي المنذر محرق ؛ وفيهم يقول الأسود بن يعفر :

ماذا أوئل بعد آل مُحَرَّقٍ — تركوا منازِلَهُمْ — وَبَعْدَ إِيَادِ

والنعمان بن امرئ القيس هو النعمان الأكبر ؛ ويقال إن أنوشروان بن قباذ هو الذي ملكه ؛
وقيل ملكه قباذ . والنعمان هنا هو الذي بنى الخورنق ؛ وهو الذي لبس المسوح وتزهد وساح في الأرض ،
ثم ملك أخوه المنذر بن امرئ القيس ؛ ملكه أنوشروان ، وأمه من النمر بن قاسط ؛ ويقال لها ماء السماء
لجأها ، وأبوها عوف بن جشم . ومن الأزد رجل يقال له ماء السماء أيضا ؛ وهو عامر أبو عمرو بن عامر ،
وعمر هو الذي يقال له مزريقاء ثم ملك المنذر بن المنذر بن امرئ القيس ، ثم ملك عمرو بن هند مضرط
الحجارة ؛ وهو محرق أيضا لأنه أحرق من بني دارم ثمانية وتسعين رجلا ، وكلهم مائة برجل من البراجم
وبامرأة نهشلية ؛ ولذلك قيل : « إن الشقي واند البراجم » . ثم ملك بعده النعمان بن المنذر بن المنذر
ابن امرئ القيس ؛ وكان يكنى أبا قابوس ؛ وهو صاحب النابغة الذبياني ؛ وكان له يومان : يوم نعيم ويوم
بؤس ، ومحرق أيضا لقب الحارث بن عمرو ، ملك الشام من آل جفنة ؛ وهو أول من حرق العرب في
ديارهم وامرأة هجان ؛ أي حرة كريمة لم يعرفها الإماء ، من نسوة هجان ؛ قال أبو زيد : والهجان من
الإبل : البيض ؛ يوصف به الواحد والجمع ؛ فإذا كان واحدا فهو مثل كتاب ، وإذا كان جمعا فهو مثل
كلاب ؛ ويقال ناقة هجان وبغير هجان ، والجمع على هجان أيضا . وهجان النعمان معروفة ؛ وهي نجائبه ؛ =

وَعَمِرَتْ حَتَّى جَاءَ أَحْمَدُ بِالْهَدَى وَقَوَارِعِ تُمَلَّى مِنَ الْقُرْآنِ (١)
/ وَلَبِيتُ مِلَّ إِسْلَامِ ثُوبًا وَاسْمًا مِنْ سَيْبٍ لَا حَرِيمٍ وَلَا مَنَانٍ (٢)

[٨٧]
ط

وله أيضاً في طول عمره :

المرءُ يهوى أن يعيش وطولُ عيشٍ ما يضرُّه (٣)
تَفَنَى بِشَاشْتُهُ وَيَبْقَى بَعْدَ خُلُوعِ الْعَيْشِ مُرَّةً
وَتَتَابِعُ الْأَيَّامِ حَتَّى لَا يَرَى شَيْئًا يَمْرُهُ
كَمْ شَامِتٍ بِي إِنْ هَلَكْتُ وَقَائِلٍ لِلَّهِ دَرُّهُ !

ويروى أن النابغة الجعدى كان يفتخر ويقول : أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأنشدته :

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَجُدُودُنَا وَإِنَّا لَنَرَجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرَا

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « أين المظهر يا أبا ليلى ؟ » قلت : الجنة يا رسول الله ،

فقال : « أجل إن شاء الله » ، ثم أنشدته :

فَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكْدَرَا
وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيمٌ إِذَا مَا أُوْرِدَ الْأَمْرَ أُصْدَرَا

فقال صلى الله عليه وآله : « لا يفضض الله فاك ! » ، وفي رواية أخرى : « لا يفضض

١٥ فوك ! » فيقال : إن النابغة عاش عشرين ومائة سنة ، لم تسقط له سن ولا ضرس . وفي رواية

أخرى عن بعضهم قال : فرأيته وقد بلغ الثمانين ترف غروبها ، وكان كما سقطت له ثنية نبتت

له أخرى مكانها ، وهو أحسن الناس نفرا .

معنى ترف تبرق ، وكان الماء يقطر منها .

== وكان يقال لها عصفير النعمان حتمها في سيرها . وفي كلام حسان بن ثابت : فاحسدت أحدا حسدى
النابغة حين أمر له النعمان بن المنذر بمائة ناقة بريشها من نوق عصفيره ، وجام وآنية من فضة ، وكانوا
إذا حبا الملك بعضهم بنوق يغمزون في أسنمتها ريش النعام ؛ ليعلم أنها حبا الملك .

(١) القوارع من القرآن : آيات الوعد والوعيد .

(٢) الرجل الحرم : المانع . (٣) ش : « قد يضره » .

قال المرتضى أدام الله علوه : ومما يشاكل قوله : « إلى الجنة » في جواب قول النبي صلى الله عليه وآله : « أين المظهر يا أبا ليلى » - وإن كان يتضمن العكس من معناه - ما روي من دخول الأخطل على عبد الملك بن مروان ، مستغيباً من فعل الجحاف السامى ، وأنه أنشده :

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعةً إلى الله منها المشتكى والموعول (١)
/ فإن لم تغيّر قريش بملكها يكن عن قريش مستماز ومزحل (٢)

فقال عبد الملك له : إلى أين يا بن الأحناء ؟ فقال : إلى النار ، قال : لو قلت غيرها لقطعت لسانك .

فقوله : « النار » تلخص مليح على البديهة ، كما تلخص الجعدى بقوله : « إلى الجنة » .
وأول قصيدة الجعدى الذى ذكرنا منها الأبيات :

١٠ خليلي غضا ساعةً وتهجرًا (٣)
ولا تسألا ، إن الحياة قصيرة
وإن كان أمرًا لا تطيقان دفعه
الم تعلم أن السلامة نفعها
لوى الله علم الغيب عمّن سواه
وفيها يقول :

١٥

وجاهدت حتى ما أحسّ ومن معي سهيلاً إذا ما لاح ثم تفوراً
- يريد : إلى كنت بالشام ، وسهيل لا يكاد يرى هناك ، وهذا بيت معنى - وفيها يقول :
ونحن أناس لا نعود خيلنا إذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا

(١) ديوانه : ١٠ والطبقات : ٤١٢ ، والبشر : جبل بالجزيرة ، يمتد من عرض الفرات إلى أرض الشام ، وهو الجحاف بن حكيم السامى ، وانظر خبره وقصة يوم البشرى الأغانى ١١ : ٥٥ - ٦٠ .

(٢) يقال : امتاز القوم إذا تنحى عصابة منهم ناحية ، وكذلك استماز ؛ ذكره صاحب اللسان واستشهد بالبيت . والمزحل : الموضع الذى يترحل إليه ؛ أى يتنحى ويتباعد . وانظر اللسان (ميز - زحل) .

(٣) التهجر : السير فى الهاجرة . (٤) حاشية ت : بعده :

يهيئ الحياء والملامة ثم ما يقرب منا غير ما كان قدراً

وَنفَكِرُ^(١) يَوْمَ الرَّوْعِ أَلْوَانَ خِيَانِنَا
مِنَ الطَّعْنِ حَتَّى تَحْسِبَ^(٢) الْجُونَ أَشْقَرَا
وَلَيْسَ بِمَعْرُوفٍ لَنَا أَنْ نَرُدَّهَا
صِحَاحًا وَلَا مُسْتَنْكَرًا^(٣) أَنْ تُعْمَرَآ

وأخبرنا المرزباني قال أنشدنا علي بن سليمان الأخفش قال أنشدنا أحمد بن يحيى قال :
أنشدنا محمد بن سلام وغيره للناطقة الجمعدى :

٥ تَلُومُ عَلَى هُلَاكِ البَعِيرِ ظَعِينَتِي
وَكُنْتُ عَلَى لَوْمِ العَوَازِلِ زَارِيَا^(٤)
أَلَمْ تَعَلَّمِي أَنِّي رُزِيتُ مُجَارِبًا^(٥)
فَمَا لِكَ مِنْهُ اليَوْمِ شَيْءٌ وَلَا لِيَا
وَمَنْ قَبْلَهُ مَا قَدْ رُزِيتُ بِوَحُوحٍ^(٦)
وَكَانَ ابْنَ أُمِّي وَالخَالِيلَ المُصَافِيَا
فَتَّى كَمَلْتُ أَخْلَاقَهُ غَيْرَ أَنَّهُ
جَوَادٌ فَسَائِبِي مِنَ المَالِ بَاقِيَا^(٧)
فَتَّى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ
عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوءُ الأَعَادِيَا

١٠ - ويروى : « فتى كان فيه ما يسر » -

أَشْمُ طَوِيلٍ^(٨) السَّاعِدِينَ سَمِيدَعٍ
إِذَا لَمْ يَرُحْ لِلْمَجْدِ أَصْبَحَ غَادِيَا
السَّمِيدَعُ : السَّيْدُ .

ومما يروى للناطقة الجمعدى :

عُقَيْبِيَّةٌ أَوْ مِنْ هِلَالِ بنِ عَامِرٍ
إِذَا ابْتَسَمْتُ فِي اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ دُونَهَا
بَذَى الرُّمَثِ مِنْ وَادِي المَنَارِ خِيَامُهَا^(٩)
أَضَاءَ دُجَى اللَّيْلِ البَهِيمِ ابْتِسَامُهَا
١٥

(١) حاشية ت (من نسخة) : « وتنسكر » ، بالبناء للمجهول . (٢) حاشية ت (من نسخة)
« وبحسب الجون » ، بالبناء للمجهول . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « ولا مستنكرا »
بالعطف على المعنى . (٤) من أبيات يرثي فيها أخاه لأمه ، وقد ذكرت متفرقة في ديوان الحماسة ٣ : ١٩ ،
والخزائفة ٢ : ١٢-١٣ ، وشرح شواهد المعنى : ٢٠٩ والأمالى ٢ : ٢ ، والآلى : ٦٣٧ .

(٥) هو محارب بن قيس بن عدس ؛ كان من أشراف قومه . (٦) هو ووح بن عبد الله ؛ قال
أبو عبيد البكري : « هو أخو الناطقة لأمه » .
(٧) رواية البيت في ت :

فَتَّى كَمَلْتُ أَخْلَاقَهُ غَيْرَ أَنَّهُ
جَوَادٌ فَسَائِبِي مِنَ المَالِ بَاقِيَا

(٨) حاشية ت (من نسخة) : « طوال الساعدين » . (٩) ش : « وادى المياه » .

وذكر الأصمعيّ عن أبي عمرو بن العلاء قال: سئل الفرزدق بن غالب عن الجمديّ فقال: صاحب خُلُقَان؛ يكون عنده مُطْرَف بألف دينار، وخمار بوافٍ (١).

قال الأصمعيّ: وصدق الفرزدق ، بينا (٢) النابغة في كلام أسهل من الزلال وأشد من الصخر إذ لان فذهب، ثم أنشد له :

سَمَّا لَكَ هَمٌّ وَلَمْ تَطْرَبِ وَبَتَّ بَيْتٌ وَلَمْ تَنْصَبِ
وَقَالَتِ سُلَيْمَى أَرَى رَأْسَهُ كِنَاصِيَةِ الْفَرَسِ الْأَشْهَبِ
وَذَلِكَ مِنْ وَقَعَاتِ الْمَنُونِ فَفَيْئِي إِلَيْكَ وَلَا تَعْجَبِي
أَتَيْنَ عَلَى إِخْوَتِي سَبْعَةَ (٣) وَعُدْنَ عَلَى رَبْعِي الْأَقْرَبِ

ثم يقول فيها بعدها :

فَأَدْخَلَكَ اللَّهُ بَرَدَ الْجِنَا نِ جَدْلَانِ فِي مَدْخَلٍ طَيِّبٍ

فلان كلامه ؛ حتى لو كان أبا الشمقمق قال هذا البيت كان رديئاً ضعيفاً .

قال الأصمعيّ: وطريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان ، ألا ترى أن حسان بن

ثابت كان علا في الجاهلية والإسلام ، فلما أدخل شعره في باب الخير من مرثي النبي صلى الله عليه وآله وحمزة وجعفر (٥) عليهما السلام / وغيرهما لان شعره (٤) !

[٨٩]
و

(١) حاشية ت (من نسخة) : « من كلامهم : مطرف بألف ، وخار بواف ؛ أي بدرهم واف » .
(٢) حاشية ت : « بينا وبينما يتلقيان بالفعل ؛ ولا يتلقيان بإذا ؛ هذا هو الفصيح العالي ، كقوله :

* فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلَهُ قَالَ قَائِلٌ *

وكقوله :

بَيْنَا نَحْنُ بِالْبَلَاكِثِ فَالْقَا عِ سِرَاعًا وَالْعَيْسُ تَهْوَى هُوِيًّا
خَطَرْتُ خَطْرَةَ عَلَى الْقَلْبِ مِنْ ذِكْرِكَ وَهَنَّا فَمَا اسْتَطَعْتُ مُضِيًّا

(٣) ش : « إخوة سبعة » ، بالجر والتنوين فيهما . (٤) ش : « فيها » . (٥) وانظر ترجمة

النابغة الجمدي وأخباره وأشعاره في (الشعر والشعراء ٢٤٧-٢٥٥ ، والاستيعاب ٣٢٠-٣٢٥ ، وأسد النابغة ٥ : ٢-٤ ، والإصابة ٦ : ٢١٨-٢٢١ ، والمعمرين ٦٤-٦٦ ، والأغانى ٤ : ١٢٧-١٣٩ ، والخزانة ١ : ٥٩-٥١٥ ، والمؤتلف والمختلف : ١٩١ ، ومعجم الشعراء : ٣٢١ ، واللائق : ٢٤٧).

مَجْلِسُ آخِرُ

مَسْأَلَةٌ

تتعلق بما ذكرناه . إن سأل سائلٌ فقال : كيف يصحُّ ما أوردتموه ، من تطاولِ الأعمار وامتدادِها ، وقد علمتم أنَّ كثيراً من الناس ينكر ذلك ويُحيله ويقول : إنه لاقدرةَ عليه ، ولا سبيلَ إليه؛ وفيهم^(١) مَنْ ينزل في إنكاره درجة فيقول : إنه - وإن كان جائزاً من طريق القدرة والإمكان - فإنه مما يُقَطَّع على انتفائه ؛ لكونه خارقاً للعادات ؛ وإنَّ العادات^(٢) إذا وثِّقَ الدليلُ بأنَّها لا تنخرقُ إلَّا على سبيلِ الآيَةِ^(٣) والدِّلالةِ على صدقِ نبيِّ من الأنبياء عليهم السلامُ علمُ أن ما رُوِيَ من زيادة الأعمار على العادة باطل مصنوع لا يُلتفتُ إلى مثله .

الجواب، قيل له : أما مَنْ أبطلَ تطاولَ الأعمار من حيث الإحالة ، أو أخرجَه عن^(٥) بابِ الإمكانِ فقوله ظاهرُ الفساد ، لأنه لو علم ما العمرُ في الحقيقة ، وما المقتضى لدوامه إذا دام ، وانقطاعه إذا^(٦) انقطع لعلم من جواز امتداده ما علمناه . والعمر هو استمرار كون مَنْ يجوز أن يكون حياً وغير حياً . وإن شئتَ أن تقول : هو استمرار كون الحى الذى لكونه على هذه الصفة^(٧) ابتداءً حياً .

وإنما شرطنا الاستمرار ؛ لأنه يبعد أن يوصفَ مَنْ كان حالةً واحدةً حياً بأنَّ له عمراً ؛ بل لا بدَّ من أن يُراعوا في ذلك ضرباً من الامتداد والاستمرار ، وإن قلَّ .

وشرطنا أن يكونَ مَنْ يجوز أن يكون غير حياً ، أو يكون لكونه حياً ابتداءً لثلاثاً^(٨) ١٥ يلزم عليه القديم^(٨) تعالى ؛ لأنه تعالى جاتَّ عظمتُهُ من لا يُوصَفُ بالعمر ؛ وإن استمرَّ كونه

(١) ت : « منهم » . (٢) ت : « ولأنَّ العادات » . (٣) ت ، وحاشية الأصل

(من نسخة) : « الإبانة » ، (٤) ت : « جميع ما روى » . (٥) م : « من باب الإمكان » .

(٦) ت : « متى انقطع » . (٧) م : « الصفات » . (٨-٨) حاشية ت (من نسخة) :

« احترازاً من أن يلزم عليه القديم تعالى » .

حيًّا؛ وقد علمنا أن المختصَّ بفعل الحياة هو القديم تعالى، وفيما تحتاج إليه الحياة من البنية والمعاني ما يختص به عز وجل، ولا يدخل إلاَّ تحت مقدوره؛ كالرطوبة وما يجري مجراها؛ فمتى فعل القديم تعالى الحياة وما تحتاج إليه من البنية - وهي مما يجوز عليه البقاء - وكذلك ما تحتاج إليه فليست^(١) تنتفي إلا بضد يطراً عليها، أو بضدٍ ينفي ما تحتاج إليه؛ والأقوى أنه لا ضدَّ لها في الحقيقة^(٢)؛ وإنما ادعى قوم أنه ما يحتاج إليه، ولو كان للحياة ضدَّ على الحقيقة لم يُخجل^٥ بما تقصده / في هذا الباب .

[٨٩]
ط

فهما لم يفعل القديم تعالى ضدَّها، أو ضدَّ ما تحتاج إليه، ولا تقض ناقض بنية الحى استمرَّ كون الحى حيا . ولو كانت الحياة لا تبقى على مذهب من رأى ذلك لكان ما قصدناه صحيحاً، لأنه تعالى قادر على أن يفعلها حالا فحالا، ويوالى بين فعلها وفعل ما تحتاج إليه، فيستمرُّ كون الحى حياً .

١٠

فأما ما يمرض من الهرم بامتداد الزمان وعُلو السن وتناقص بنية الإنسان، فليس مما لا بد منه، وإنما أجرى الله تعالى العادة بأن يفعل ذلك عند تطاول الزمان ولا إيجاب هناك، ولا تأثير للزمان على وجه من الوجوه، وهو تعالى قادر على أن يفعل ما أجرى العادة بفعله، وإذا ثبتت هذه الجملة ثبت أن تطاول العمر ممكِن غير مستحيل، وإنما أتى من أحال ذلك من حيث اعتقد أن استمرار كون الحى حياً موجب عن طبيعة وقوة لها مبلغ من المادة، ١٥ متى انتهتا إليه^(٣) انقطعتا، واستحال أن تدوما^(٤). ولو أضافوا ذلك إلى فاعل مختار متصرف لخرج عندهم من باب الإحالة .

١٥

فأما الكلام في^(٥) دخول ذلك في العادة أو خروجه عنها، فلا شك في أن العادة قد جرت في الأعمار بأقدارٍ متقاربة يُعدُّ الزائد عليها خارقاً للعادة؛ إلا أنه قد ثبت أن العادة قد تختلف في الأوقات وفي الأماكن أيضاً، ويجب أن يُراعى في العادة إضافتها إلى مَنْ هي ٢٠ عادة له في المكان والوقت .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « فليس ينتفي » . (٢) ت : « وربما » .

(٣-٣) ت : « بطل واستحال أن تدوما » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « على ذلك » .

وليس يمتنع أن يقلَّ ما كانتِ العادةُ جاريةً به على تدريجٍ؛ حتى يصير حدوثُهُ خارقاً للعادةِ بغير خلافٍ، ولا يكثر^(١) الخارق للعادةِ، حتى يصيرَ حدوثُهُ غير خارق لها على خلاف فيه. وإذا صح ذلك لم يمتنع أن تكونَ العاداتُ في الزمانِ الغابرِ كانت جاريةً بتطاوُل الأعمارِ وامتدادِها، ثم تناقصَ ذلك على تدريجٍ، حتى صارت عادتنا الآن جاريةً بخلافه، وصار ما بلغَ ٥ مبلغَ تلك الأعمارِ خارقاً للعادةِ؛ وهذه جملةٌ فيما أردناه كافيةً .



(١) ش : « وأن يكثر » .

بَاب

في الجوابات الحاضرة المستحسنة التي يُسمِّيها قوم المسكتة

/ اعلم أن أجوبة المحاور والمناظرة إنما تُستحسن وتُؤثر إذا جمعت مع الصوابِ سرعةً [٩٠] و
الحضور؛ فكلم من جواب أنى بعد لأي، وورد بعد تقاعس، فلم يكن له في النفوس وقع،
ولا حل من القلوب محل الحاضر السريع؛ وإن كان المتناقل أعرق في نسب الإصابة، وآخذ
بأطراف الحجّة، ولهذا قيل: أحسنُ الناس جواباً وأحضرهم قريش، ثم العرب، وإن
المولى تأتي أجوبتها بعد فكرة وروية.

وقد مُدِح الجوابُ الحاضر بكل لسان، فقال صحّارُ العبدى لما واية بن أبي سفيان -
وقد سأله عن البلاغة - فقال: أن تُصيبَ فلا تخطئ، وتُسرعَ ولا تبطل، ثم اختصر ذلك
فقال: لا تخطئ ولا تبطل.

ولطول الفكرة والإغراق في الروية مذهب وأوان لا يُحمد فيهما^(١) التسرع والتعجل،
كما لا يُحمد في أوان السرعة التثاقل والتأيد؛ وإنما تحمد السرعة في أجوبة المحاور والمناظرة،
وتراد الفكرة والروية للآراء المستخرجة والأمور المستنبطة؛ التي على الإنسان فيها مهلة،
وله في تأملها فسحة، ولا عيب عليه معها في إطالة التأمل، وإعادة التصفح؛ ولهذا قال الأحنف
ابن قيس بصفين: أغبوا الرأي، فإن ذلك يكشف لكم عن محضه.

وقال عبد الله بن وهب الراسبيّ لما أراه الخوارج على الكلام حين عقدوا له: لا خير
في الرأي الفطير، والكلام القضيبي.

وشوور ابن التوءم الرقائمي^(٢) فأمسك عن الجواب وقال: ما أحبّ الخبز إلا بائنا.

(١) حاشية ت (من نسخة): وفيه. (٢) حاشية ت (من نسخة): «الرؤاسي».

فأما قولهم : ثلاثٌ يُعْرَفَنَّ في الأحمق : سرعةُ الجواب ، وكثرةُ الالتفات ، والثقةُ بكل أحد ؛ فمحمولٌ على إسراعه بالجواب عند الرأي والمشاورة ، والأحوال التي يستحب فيها التأيد والتثبت ، أو على الإسراع من غير تحصيلٍ ولا ضبط ؛ وذلك مذمومٌ لا إشكال فيه . ثم نعود إلى ما قصدناه .

٥ روى أن بعضَ أزواجِ النبي صلى الله عليه وآله سألته : متى يعرف الإنسان ربه فقال : « إذا عَرَفَ نَفْسَهُ » . وقال له صلى الله عليه وآله رجلٌ : إني أكره الموت ، فقال : « ألك مال ؟ » ، قال : نعم ، قال : « قدّم مالك ؛ فإن قلب كلِّ امرئٍ عند ماله » .

وقال يهودىٌّ لأمير المؤمنين عليه السلام : ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه ، فقال عليه السلام : إنا اختلفنا عنه ، لا فيه ^(١) ؛ ولكنكم ماجتُم أقدامكم من البحر حتى قلتم لنبيكم : اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة ، قال : إنكم قوم تجهلون .

وروى أنه لما فرغ عليه السلام من دفن الرسول صلوات الله عليه وآله ، سأل عن خبر السقيفة فقيل له : إن الأنصار قالت : منا أميرٌ ومنكم أمير ، فقال عليه السلام : فهلا ذكرت الأنصار قولَ النبي صلى الله عليه وآله : « نَقَبِلُ من مُحْسِنِهِمْ ، وتجاوز عن مسيئِهِمْ » ! فكيف يكون الأمرُ فيهم والوصاةُ بهم !

١٥ وقال له عليه السلام ابنُ الكوّاء : يا أميرَ المؤمنين ، كم بين السماء والأرض ؟ فقال : دعوةٌ مستجابة . وقيل له : ما طعمُ الماء ؟ فقال : طعمُ الحياة . وقيل له : كم بين المشرق والمغرب ؟ فقال : مسيرةُ يومٍ للشمس . وأثنى عليه رجلٌ - وكان له مَهْمَما - فقال : أنا دون ما تقول ، وفوق ما في نفسك . وكان عليه السلام إذا أطراه رجلٌ قال : اللهم إنك أعلمُ بي منه ، وأنا أعلمُ منه بنفسى ، فاغفر لي ما لا يعلم .

٢٠ أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال : حدّثني عبدُ الواحد بن محمد الخصبى قال : حدّثني

(١) حاشية ت (من نسخة) « ولم نختلف فيه » .

أبو عليّ أحمد بن إسماعيل قال : حدثني أبو بوب بن الحسين الهاشمي قال : قدِم على الرشيد رجلاً من الأنصار ، يقال له نَفِيعٌ - وكان عَرِيضاً - قال : فحَضَرَ بابَ الرشيد ، ومعه عبدُ العزيز ابن عمر بن عبد العزيز ، وحضَرَ موسى بن جعفر عليهما السلام على حمارٍ له ، فتلَقَّاه الحاجب بالبر^(١) والإكرام ، وأعظمه مَنْ كان هناك ، وعَجَّلَ له الإذن ، فقال نَفِيعٌ لعبد العزيز : مَنْ هذا الشيخ ؟ قال : أو ما تعرفُه ؟ قال : لا ، قال : هذا شيخ آل أبي طالب ، هذا موسى بن جعفر ، قال : ما رأيت أعجَزَ مِنْ هؤلاء القوم ! يفعلون هذا برجل^(٢) يَقْدَرُ أَنْ يُزِيلَهُمْ^(٣) عن السَّرِير ! أَمَا لَيْنَ خَرَجَ لَأَسُوءَ نَهٍّ ، فقال له عبد العزيز : لا تفعل ، فإن هؤلاء أهلُ بيت قَلَّمَا تعرَّضَ لهم أحدٌ في خطابٍ إلَّا وَسَّوَهُ بالجواب^(٤) سَمَةً يَبْقَى عَارُهَا^(٥) عليه مدى الدهر .

قال : وخرج موسى بن جعفر عليهما السلام ، فقام إليه نَفِيعُ الأنصاري ، فأخذ بِإِجَامِ

حمارِه ثم قال له : مَنْ أَنْتَ ؟ فقال له : يا هذا ، إن كنتَ تريدُ النَّسَبَ فأنا ابنُ محمد حبيبِ الله ١٠
ابن إسماعيلَ ذبيحِ الله بن إبراهيم خليلِ الله ، وإن كنتَ تريدُ البلدَ ، فهو الذي فرَضَ اللهُ على المسلمين وعليك - إن كنتَ منهم - الحج إليه ، وإن كنتَ تريدُ المفاخرة ، فوالله مارضِيَ مشركو قومي^(٦) / مسلمِي قوميك أ كفاءَ لهم حتى قالوا : يا محمد ، أخرج إلينا [٩١]
أ كفاءَنا من قريش^(٧) ؛ خَلَّ عن الحمار ، قال : نَفَخَ عنه ويدهُ تُرَعَدُ ، وانصرف بخزْمِي ،
١٥ فقال له عبد العزيز : أُمُّ أَقْلٍ لَكَ ! .

ويقال إن معاوية استشارَ الأحنفَ بن قيس في عَقْدِ البَيْعَةِ لابنه يزيد ، فقال له : أنت

أعلمُ بليله ونهاره .

وقال أحمد بن يوسف لأبي يعقوب الخَرَمِيّ : مَدْحُكَ لِمُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورٍ أَجُودُ مِنْ مَرَاتِيكَ

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « بالبشر » . (٢-٢) حاشية ت (من نسخة) : يقدر أن

يزيلهم . (٣-٣) حاشية ت (من نسخة) : « وسما يبق عاره » . (٤) حاشية ط : « يعني

بقوله : « مشركو قومي » شعبة وعتبة وعمرو بن عبدود (٥) ورد بعد هذه العبارة في م ، ومن

نسخة بحاشيتي ت ، ف : « وإن كنت تريد الصيت والاسم فنحن الذين أمر الله تعالى بالصلاة علينا في الصلوات

المفروضة بقوله : اللهم صل على محمد وآل محمد ، فنحن آل محمد » .

فيه ، فقال : كُنَّا نعمل للرجاء ، واليوم للوفاء ، وبينهما بون .

ودخل مُطِيع بن إلياس على الهادي في حياة المهديّ فدَهِش وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقيل له : مه ! فقال : بعد أمير المؤمنين .

وقال معاوية لعقيل بن أبي طالب - وكان جيّد الجواب حاضره - : أنا خيرٌ لك من أخيك ، فقال عقيل : إن أخى آثر دينه على دنياه ، وأنت آثرت دنيك على دينك ؛ فأخى خيرٌ لنفسه منك ، وأنت خيرٌ لي منه . وقال له يوماً : إن فيكم لشبَعاً يا بني هاشم ، فقال : هو منّا في الرجال ، ومنكم في النساء . وقال له يوماً وقد دخل عليه : هذا عقيل ، عمّه أبو لهب ، فقال عقيل : هذا معاوية ، عمته حمالة الحطب . وعمّة معاوية أم جميل ^(١) بنت حرب بن أمية ، وكانت امرأة أبي لهب . وقال له يوماً : يا أبا يزيد ، أين ترى عمّك أبا لهب ؟ فقال له عقيل : إذا دخلت النار فانظر عن يسارك تجدّه مفترساً عمّتك ، فانظر أيّهما أسوأ حالاً ، الناكح أم المنكوح ! وقال له ليلة الهريز بصيفين : يا أبا يزيد ، أنت معنا الليلة ، قال : ويوم بدرٍ كنت معكم .

وقيل لسعيد بن المسيّب - وقد كفّ بصره - : ألا تتدخ ^(٢) عينك ؟ قال : حتى أفتحها على من !

١٥ ودخل معن بن زائدة على المنصور فقال له : كبرت يا معن ، قال : في طاعتك ، قال : وإنك لتتجدد ، قال : على أعدائك ، قال : وإن فيك لبقية ، قال : هي لك .

وقال عبيد الله بن زياد لمسلم بن عقيل : والله لأقتلنك قتيلاً يُتحدّث بها بعدك ، فقال مسلم : أشهد أنك لا تدعُ سوء القتيلة ولو لم القدرة لأحد أولى بهما منك .

وقال رجل لعمر بن العاص : لأتفرغن لك ، قال : إذا وقعت ^(٣) في الشغل .

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « أم جميل هي ابنة حرب ، أخت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « ألا تفتح عينك ؟ » . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « إذا وقع » .

وقال معاوية لعمر بن سعيد بن العاص الملقب بالأشدق : إلى من أوصى بك أبوك؟
فقال : إن أبي أوصى إليّ ولم يُوصِ بي .

وقال عبید الله بن زياد بن ظبيان لابنه وقد حضرته / الوفاة : قد أوصيتُ بك فلاناً [٩١]
فألقه بعمدى ، فقال : يا أبة ، إذا لم يكن للحى إلا وصية الميت ، فالحي هو الميت .

وقال الوليد بن يزيد لابن الرِّقَاع العامليّ : أنشدني بعض قولك في الخمر ، فأنشده :
كُميتُ إذا شُجَّتْ وفي الكأسِ وَرَدَّةٌ لها في عِظامِ الشَّارِبِينَ دَيْبُ
فقال له : شربتها ورب الكعبة ! فقال ابن الرِّقَاع : لئن كان نعمتي لها بذلك رأيتُ ،
لقد رأيتُ معرفتك بها .

ولما أتى معاوية نعي الحسن بن عليّ عليهما السلام بعث إلى ابن عباس رضي الله عنه -
وهو لا يعلم الخبر - فقال له : هل عندك خبر من المدينة^(١)؟ قال : لا ، قال : أنا ناعى^(٢) نعيّ .
الحسن - وأظهر سروراً - فقال ابن عباس : إذا لا يُنسأ^(٣) في أجلك ، ولا تُسدُّ حفرتك ،
قال : أحسبه قد ترك صببية صغاراً ، قال : كلنا كان صغيراً وكبيراً ، قال : وأحسبه قد كان
بلغ سنّاً ، قال : مثل مولده لا يُجهل ، قال معاوية : وقال قائل إنك أصبحت سيّد قومك ،
قال : أما وأبو عبد الله الحسين بن عليّ حتى فلا ؛ فلما كان من غدٍ أتى يزيد بن معاوية
ابن عباس ، وهو في المسجد يعزّي^(٤) ، فجلس بين يديه جلسة العزّي ، وأظهر حزناً^(٥)
وغمّاً ، فلما انصرف أتبعه ابن عباس بصره وقال : إذا ذهب آل حرب ذهب حلم قريش .

وروي أن وفوداً دخلت على عمر بن عبد العزيز ، فأراد فتى منهم الكلام ، فقال عمر :
ليتكلم أ كبركم ، فقال الفتى : إن قريشاً لترى فيها من هو أسن منك ، فقال له :
تكلّم يا فتى .

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « ماجاءك من المدينة خبر ؟ » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « أتى ناعى الحسن » . (٣) حاشية ت (من نسخة) :

« إذا لا ينسى أجلك » . (٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « كان ذلك بالشام ؛ وروي أن ابن عباس

رضي الله عنه عقد بالشام عزاء على الحسن صلوات الله عليه » . (٥) ت : « تحزنا » .

وروى محمد بن سلام الجُمحى قال: " أنشد^(١) كثير عبد الملك بن مروان شعراً :
 علي ابن أبي العاصي دِلاصَ حَصِينَةً أَجَادَ المُسَدِّي نَسَجَهَا فَأَذَاهَا^(٢)
 فقال له: هَلَا قَلتِ كما قال الأعشى :
 وإذا تكونُ كَتِيبَةٌ مَلْمُومَةٌ شَبِهاهُ يَخْشَى الذَّائِدُونَ نِهاها^(٣)
 كُنْتَ المُقَدَّمِ غَيْرَ لَابَسِ جُنَّةٍ بِالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعَلِمًا أَبْطالها^(٤)
 فقال له : إِنَّهُ وَصَفَهُ بِالخُرْقِ وَوَصَفْتِكَ بِالْحَزْمِ^(٥) .

ويُشَبِّه ذلك ما رُوِيَ^(٦) عن أبي عمرو بن العلاء أنه لقي ذا الرُّمَّة ، فقال له : أنشدني
 قصيدتك :

* ما بالُ عَيْنِكَ مِنْها المائِ يَنْسَكِبُ^(٧) *

(١) طبقات الشعراء ٤٥٨-٤٥٩ ؛ ورواه المرزباني في الموشح: ١٤٥ ؛ مع اختلاف في الرواية .
 (٢) ابن أبي العاصي هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية ، ودلاس : وصف
 للدرع اللينة . والحصينة : المحكمة المتدانية الخلق ؛ يكون صاحبها في حصن مما يصيبه . وسدى الدرع :
 نسجها . ويقال أذال الدرع ؛ إذا أطال ذيلها وأطرافها .
 (٣) ديوانه : ٢٧ . السكتبية : القطعة العظيمة من الجيش ، وكتيبة معلومة : مجتمعة مضموم بعضها
 إلى بعض . وشهباء : بيضاء صافية الحديد . والذائد : الذي يحمي الحرم ويزود عنها ، والنهال : العطاش .
 (٤) المقدم : شديد الإقدام على العدو . والجنة هنا : الدرع تستر لابسها . والمعلم : من يعلم مكانه
 في الحرب بعلامة أعلم بها نفسه . (٥) رواية المرزباني : « فقال : يا أمير المؤمنين ؛ وصف الأعشى صاحبه
 بالظيش والخرق والتفجير ؛ ووصفتك بالحزم والعزم ، فأرضاء » ؛ وقدفاضل المرزباني بين هذين الشعرين
 فقال : « رأيت أهل العلم بالشعر يفضلون قول الأعشى في هذا المعنى على قول كثير ؛ لأن المبالغة أحسن عندهم
 من الاقتصار على الأمر الأوسط ؛ والأعشى بالغ في وصف الشجاعة حتى جعل الشجاع شديد الإقدام بغير جنة ؛
 على أنه وإن كان لبس الجنة أولى بالحزم وأحق بالصواب ؛ ففي وصف الأعشى دليل قوى على شدة شجاعته
 صاحبه » . (٦) الخبر في الموشح ١٧٤-١٧٥ ، والشعر والشعراء ٥١٧-٥١٨ ، والأغانى ١٦: ١١٨ ؛
 واللائي : ٨٩٨ ؛ مع اختلاف في الرواية والشعر . (٧) بقيته :

* كَأَنَّهُ مِنْ كُلى مَفْرِيَّةٍ سَرِبُ *

والسكى : جمع كلية ؛ وهى رقعة تكون في أصل عروة المزادة . ومفريية : مقطوعة . وسرب
 سائل ؛ والقصيدة في ديوانه ١ - ٣٥ .

[٩٢]

فأنشده إياها ، فلما بلغ إلى قوله :
تُصْنِي إِذَا شَدَّهَا بِالْكُورِ جَانِحَةً حَتَّى إِذَا مَا اسْتَوَى فِي غَرْزِهَا تَثِبُ

فقال له أبو عمرو بن العلاء : قول الراعي أحسن مما قلت

تَرَاهَا إِذَا قَامَ فِي غَرْزِهَا كَمِثْلِ السَّفِينَةِ أَوْ أَوْقَرُ
وَلَا تُعْجِلُ الْمَرْءَ عِنْدَ الْوُرُو كِ وَهِيَ بِرِ كَيْتِهِ أَبْصَرُ (١)

فقال ذو الرُّمَّةِ : إنَّ الراعيَ وَصَفَ نَاقَةَ مَلِكٍ ، وَأَنَا وَصَفْتُ نَاقَةَ سَوَاقَةٍ .

وحكى الصُّولِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ أَعْرَابِيًّا يُنْشِدُ بَيْتَهُ الَّذِي حَكَمِيئُهُ ، فَقَالَ : سَقَطَ وَاللَّهِ الرَّجُلُ .

فأما الغرْزُ فهو للناقة مثل الرَّكَبِ للدابة ، وهو نِسْعٌ مَضْفُورٌ . وقوله : « تُصْنِي »

يريد تُمِيلُ رَأْسَهَا ، كَأَنَّهَا تَسْمَعُ ، لِأَنَّهَا لَيْسَتْ بِمَضْفُورٍ ، بَلْ مُؤَدَّبَةٌ مَقْوَمَةٌ . والكور: الرجل .

وقد أخذ هذا المعنى أبو نواس فأحسن نهاية الإحسان ، فقال يصف الناقة في مدحه

الخصيبَ بن عبد الحميد :

فكَأَنَّهَا مُصْنَعٌ لِتُسْمِعَهُ بَعْضَ الْحَدِيثِ ، بِأُذُنِهِ وَقَرُّ

فأم يرضَ بَأَنْ وَصَفَهَا بِالْإِصْغَاءِ حَتَّى وَصَفَهَا بِالْوَقْرِ ، وَهُوَ الثَّقَلُ فِي الْأُذُنِ ، لِأَنَّ الثَّقِيلَ

السَّمْعَ يَكُونُ إِصْغَاؤُهُ وَمِثْلُهُ إِلَى جِهَةِ الْحَدِيثِ أَشَدَّ وَأَكْدَ (٢) .

قال سيدنا الشريف أدام الله علوه : وإني لأستحسن القصيدة التي من جُمَلَتِهَا الْبَيْتُ ١٥

الذي أوردناه لأبي نواس ؛ لأنها دون العشرين بيتاً ، وقد نسب في أولها ، ثم وَصَفَ النَّاقَةَ

بأحسن وصف ، ثم مدح الرجلَ الذي قصد مدحه واقتضاه حاجته ؛ كلُّ ذلك بطبع يتدفق ،

ورونقٍ يترقق ، وسهولة مع جزالة ؛ والقصيدة (٣) :

(١) البيتان في الآتي : ٨٩٨ . الوروك : أن يثنى الرجل لإحدى وركيه لينزل من فوق السرج ، والبيت

الثاني في اللسان (ورك) ، وفق ت : « الركوب » ، ومن نسخة بمحاشيتي الأصل ، ت : « النزول » .

(٢) من نسخة بمحاشية ت : « وأوكد » . (٣) ديوانه : ١٠١ .

يَا مِنَّةً اِمْتَنَّا السُّكْرُ مَا يَنْقُضِي مِنِّي لَهَا الشُّكْرُ
 اَعْطَتْكَ فَوْقَ مُنَاكَ مِنْ قَبْلِ قَدْ كُنَّ قَبْلُ، مَرَامُهَا وَعَرُ
 يَثْنِي إِلَيْكَ بِهَا سَوَالِفَهُ رَشَاءُ صِنَاعَةٌ عَيْنِهِ السَّجْرُ
 ظَلَّتْ مُحِيًّا الْكَأْسِ تَبْسُطُنَا (١) حَتَّى تَهْتِكَ بَيْنَنَا السُّتْرُ
 / فِي مَجْلِسِ ضِحْكَ السُّرُورِ بِهِ عَنْ نَاجِذِيهِ وَحَلَّتِ الْخَمْرُ

[٩٢]
ظ

أما قوله : « حَلَّتِ الْخَمْرُ » فيحتمل أن يُريد به أن ما وصفه من طيب الموضع وتكامل السرور به وحضور (٢) المأمول فيه صار مقتضياً لشرب الخمر ، ومُدْجِئاً إلى تناولها ، ورافعاً للخرج فيها ؛ على مذهب الشعراء في المبالغة ؛ وتكون فائدة وصفها بأنها « حَلَّتِ » المبالغة في وصف الحال بالحسن والطيب . ويحتمل أن يكون عقده على نفسه ، وآلى ألا يتناول الخمر إلا بعد الاجتماع مع محبوبه ، وكان الاجتماع معه مُخْرِجاً له عن يمينه ، على مذهب العرب في تحريم الخمر على نفوسهم ، إلى أن يأخذوا بشأهم ؛ ويجرى ذلك مجرى قول الشنفرى :
 حَلَّتِ الْخَمْرُ وَكَانَتْ حَرَامًا وَبِلَايٍ مَا أَلَمَّتْ تَحِلُّ (٣)

ويحتمل أن يريد « بَحَلَّتْ » نزلت وأقامت ؛ من الحلول الذي هو المقام ؛ لا من الحلال ؛ فكأنه وصف بلوغ جميع آرايه وحضور فنون لذاته ، وأنها تكاملت بحلول الخمر ؛ التي فيها جميع اللذات ؛ وهذا الوجه وإن لم يُشِرْ إليه أحدٌ ممن تقدم في تفسير هذا البيت ؛ فالقول يحتمله ، ولا مانع من أن يكون مراداً . وقد قيل إنه أراد استحلالنا الخمر لسكرنا ، وفقدنا العقول التي كنا نمتنع لها من الحرام ؛ والوجه المتقدمه أشبه وأقرب إلى الصواب

(١) د : « تنشطنا » . (٢) د ، ف : « وحصول » . (٣) من قصيدة مضمها :

إِنَّ بِالشُّعْبِ الَّذِي دُونَ سَلْعٍ لِقْتِيلاً دَمُهُ مَا يُطَلُّ

وفي نسبتها خلاف كبير ؛ نسبها أبو تمام في الحماسة ٢ : ٣١٣-٣١٩ إلى تابطشرا ، وقال التبريزي : « إنها خلف الأحمر ؛ وقيل إنها لابن أخت تابطشرا » ؛ ونسبها ابن قتيبة في الشعر والشعراء إلى خلف ؛ وقال : « إنه لخلف ابن أخت تابطشرا ؛ وكان يقول الشعر وينحله المتقدمين » ، ومن نسبها إلى الشنفرى صاحب الأغاني (٥ : ١٦٢) .

ولقد تجوبُ بي الفلاة إذا صامَ النهارُ وقالتِ العُفْرُ
أراد «بصام» ، وقف ، وذلك وصف له بالامتداد والطول . والعُفْرُ : الظباء اللواتي (١)
في ألوانهنَّ حمرةٌ يخالطها كُدْرَةٌ (٢) . و «قالت» من القائلة ، وهي وقتُ نصفِ النهارِ ؛
لا من القول .

٥ شَدَنِيَّةٌ رَعَتِ الحِمَى فَأَتَتْ مِرَاءَ الجِبَالِ كَأَنَّهَا قَصَرُ
شَدَنِيَّةٌ: منسوبة إلى شَدَن ، وهو موضع باليمن ؛ يقال لِمَا كِه: ذو شَدَن .

تَثْنَى عَلَى الحَاذِينَ ذَا حُصَلٍ تَعْمَلُهُ الشَّدَرَانُ وَالخَطْرُ
الحَاذُ: مؤخَّر الفخذ . والشَّدَرَانُ: رفع الناقة ذَنبها من المَرَح (٣) . وَالخَطْرَانُ، معروف
من خَطَرَ يَخْطِرُ / . وتَعْمَلُهُ ، أى عمله .
[٩٣]
و

١٠ أَمَّا إِذَا رَفَعَتْهُ شَامِدَةٌ فَتَقُولُ رَنَقَ فَوْقَهَا نَسْرُ
يعنى بشامدة ، أى مبالغة في رفع ذَنبها . ويقال ، رَنَقَ الطائرُ ؛ إِذَا نَشَرَ جَنَاحَهُ (٤)
طائرًا من غير تحريك .

أَمَّا إِذَا وَضَعَتْهُ خَافِضَةٌ فَتَقُولُ أَرْخِيَ خَلْفَهَا سِتْرُ
وتَسِفُ أحيانًا فَتَحْسِبُهَا مُتْرَسِمًا يَقْتَادُهُ أَثْرُ (٥)

معنى «تسِف» ، أى تُدْنِي رأسها من الأرض . والمترسِّمُ: الذى يتتبع الرِّسْمَ ويتأمله ؛ ١٥
ومعنى «يقْتَادُهُ أَثْرُ» ، أى هو مَعْنَى بَطْلِب الأثرَ وموَكَّلٌ بَتَبْعِهِ . ويقال: أَثْرُهُ وَأَثْرُهُ وَإِثْرُهُ؛

(١) حاشية ت (من نسخة) : « التى » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « كدورة » .
(٣) فى حواشى الأصل ، ت ، ف : « فى كتاب ابن فارس : تشذرت الناقة إذا رفعت رأسها من
النشاط » . (٤) ت ، ش ، ف : « جناحيه » . (٥) فى حاشيتى الأصل ، ت : « الأثر
[بضم الهمزة والناء] ، والأثر [بفتح الهمزة والناء] سواء ؛ قال امرؤ القيس :

وإن أدبرت قلت أنفيةً مملمةً ليس فيها أثرُ

ثلاث لغات ؛ وقد وهم الصُّوليّ في تفسير هذا البيت ؛ لأنّه قال : إن أبا نُوَاس جمع الأثرَ
آثارًا ، ثم جمع الآثارَ أُثْرًا ، ثم خَفَّفَ فقال : « أُثْر » . وليس يحتاج إلى ما ذكره مع
ما أوردناه ؛ وإنما ذهب عليه أنه يقال في الأثر: أُثْر .

فإِذَا قَصَرْتَ لَهَا الزَّمَامَ سَمَا فَوْقَ الْمَقَادِمِ مِلْطَمٌ حُرٌّ^(١)
فَكَأَنَّهَا مُصْنَعٌ لِتُسْمِعَهُ بَعْضَ الْحَدِيثِ ، بِأُذُنِهِ وَقَرُّ
تَبْرِيٍّ لِأَنْقَاضٍ أَضْرَّ بِهَا جَذْبُ الْبُرَى فَيُخَذُ وَذُهَا صُعْرُ

معنى تَبْرِيٍّ ، تَبْرِيٍّ ، أى تعرض لهذه الأناقض ، والأناقض : جمع نقض ؛ وهو البعير
الذى قد هزله السفرُ والكبدُ . والْبُرَى : جمع بُرّة ؛ وهى الحلقة التى تكون فى أنف البعير
يُذَلَّلُ بِهَا .

يَرْمِي إِلَيْكَ بِهَا بَنُو أَمَلٍ عَتَبُوا فَأَعْتَبَهُمْ^(٢) بِكَ الدَّهْرُ
أَنْتَ الْخَصِيبُ وَهَذِهِ مِعْرُ فَتَدَقَّتَا فَسَكَدَا كَمَا بَجْرُ
لَا تَقْعُدَانِي عَنْ مَدَى أَمَلِي شَيْئًا فَمَا لَكُمَا بِهِ عَذْرُ
وَيَحِقُّ لِي إِذْ صِرْتُ بَيْنَكُمَا أَلَّا يَحِلَّ بِسَاحَتِي قَقْرُ^(٣)

مَجْلِسٌ آخِرٌ

قال سيدنا أدام الله علوه: ثم نعود إلى ما كننا آخذين فيه من ذكر مُسْتَحْسَنِ الجوابات.
رُوي أن رجلاً نظر إلى كُثَيِّرِ الشاعر راكبا / وأبو جعفر محمد بن عليّ عليهما السلام يمشي ، [٩٣]
فقال له : أتركبُ وأبو جعفر يمشي ! فقال : هو أمرني بذلك ، وأنا بطاعته في الركوب
أفضلُ مني في عصياني إياه بالمشي (١) .

وَرُوي أن دعاةَ خُرَاسان صاروا إلى أبي عبد الله الصادق عليه (٢) السلام فقالوا له : أردنا
ولد محمد بن عليّ (٣) ، فقال : أولئك بالسَّراة ولست بصاحبكم ، فقالوا له : لو أراد الله بنا خيراً
كنت صاحبنا ، فقال المنصور بعد ذلك لأبي عبد الله : أردت الخروج علينا ، فقال : نحن ندلُّ
عليكم في دولة غيركم ، فكيف نخرج عليكم في دولتكم !

وقال عبد الملك بن مروان لنصيب : هل لك في الشراب؟ فقال له نصيب : الشعر مفلقلٌ ،

واللون مرمّد (٤) ، وإنما قرَّبني إليك عقلي ، فهبه لي .

وقال مروان الملقَّب بالحِمَار لحاجبه - وقد ولى منهزماً - : كَرَّ عليهم بالسيف ، فقال :

لا طاقةَ لي بذلك ، فقال : والله لئن لم تفعل لأسوءَ نَك ، فقال : ودِدت أنك تقدر على ذلك .

وقال يحيى بن خالد لشرِّيك : علِّمنا مما علِّمك الله يا أبا عبد الله ، فقال له شريك : إذا

علِّمتم بما تعلِّمون ، علِّمناكم ما تتجهلون .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « في المشي » . (٢) ت : « أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق

عليه السلام » . (٣) هو محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ؛ جد الخلفاء العباسيين ؛ وهو الذي

ابتدأت الدعوة على يديه ؛ وكان ذلك في حياة أبيه ؛ (وانظر تاريخ ابن الأثير حوادث سنة ١١٨) .

(٤) الرمدة : لون إلى الغبرة ؛ ومن نسخة بحاشيتي ت ، ف : « مريد » .

وقال المأمون لمحمد بن عمران : بلغني أنك بخيل ، فقال : ما أجد في حقّ ، ولا أذوب في باطل (١).

وقيل لأبي دؤاد الإيادي - ونظر إلى بنته تسوس فرسه : أهنتها يا أبا دؤاد ! فقال : أهنتها بكرامتي ، كما أكرمتها بهواني ؛ ومثل ذلك قول أعرابيٍ ليحقه ذلك على باب السلطان :
أهين لهم نفسي لأكرمها بهم ولن تكريم النفس التي لا تهينها

ودخل عمارة بن حمزة على المنصور ، فجلس مجلسه الذي كان يجلس فيه ، فقام رجلٌ إلى المنصور فقال : مظلوم يا أمير المؤمنين ، فقال : من ظلمك ؟ فقال : عمارة غصبني ضيعتي ، فقال المنصور : قم يا عمارة ، فاقدم مع خصمك ، فقال عمارة : ما هو لي بخصم ؟ فقال له : كيف ؟ قال : إن كانت الضيعة له فلست أنارعه فيها ؛ وإن كانت لي فهي له ، ولا أقوم من مجلس شرفني به أمير المؤمنين لأقدم في أدنى منه بسبب ضيعة .

وقال هشام بن عبد الملك لرجل في الكعبة : سألني حاجتك ، فقال : لا أسأل في بيت الله غير الله .

[١٤] وهرَبَ سليمان بن عبد الملك من الطّاعون فقيل له : إن الله تعالى / يقول : ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ؛
١٥ [الأحزاب : ١٦] ، فقال : ذلك القليل نطلب .

وقيل إن الجعد بن درهم جعل في قارورة تراباً وماءً ، فاستحال دوداً وهواماً ، فقال لأصحابه : أنا خلقت ذلك ، لأنني كنتُ سبب كونه . فبلغ ذلك جعفر بن محمد عليهما السلام ، فقال : إن كان خلقه فايقل : كم هو ؟ وكم الذُّكران منه والإناث ؟ وكم وزن كل واحدة منهن ؟ وليأمر الذي يسمي إلى هذا الوجه أن يرجع إلى غيره . فانقطع وهرب .

وقال المأمون للفضل بن سهل: إني أخافُ عليك أقواماً يمادونك، فلا تركب إليَّ إلّا في جيش، فقال الفضل: ما أخاف غيرك، فإن أمنتني من^(١) نفسك لم يضرّني إنسان.

وقيل لأبي ثور: ما تقولُ في حمّاد بن زيد بن درهم، وحمّاد بن سلّمة بن دينار؟ فقال: بينهما في العلم كقيمة ما بين أبيهما في الصرف.

وأراد المأمون تقبيلَ السّواد^(٢)، وجلس يناظر العمّال على ذلك، فقام إليه رجلٌ من الدّهّاقين فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله عز وجل ولّاك علينا بالأمانة، فلا تقبلنا، فأضرب عن ذلك.

وقال رجل لابن عباس: زوجني من فلانة^(٣) - وكانت يتيمة في حجره - فقال: لا أرضاها لك، لأنها تتشرّف، فقال الرجل: قد رضيت أنا، فقال ابن عباس: الآن لا أرضاك لها.

١٠

^(٤) ويشبه هذا الخبر من وجه ما رواه^(٤) المدائنيّ قال: أرسل عمر بن عبد العزيز رجلاً من أهل الشام وأمره أن يجمع بين إياس بن معاوية المرّي^(٥) وبين القاسم بن ربيعة الحَوْشِي^(٦) من بني عبد الله بن غطفان، فيولّي القضاء أقدمهما^(٧)، فقدم الرجل البصرة، فجمع بينهما، فقال إياس للشامي: أيها الرجل، سل عني وعن القاسم فقيهي المِصر: الحسن وابن سيرين، فمن أشارا عليك

(١) من نسخة بحاشيتي ت، ف: « فإن أمنتني نفسك »

(٢) السواد؛ يراد به رستان العراق وضياعتها مما افتتجه المسلمون؛ سمي بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار والتقبيل؛ من القبالة؛ وهي الكفالة، قال في اللسان: « يقال قبلت العامل تقبيلاً؛ والاسم القبالة؛ وفي حديث ابن عباس: « إياكم والقبالات؛ فإنها صفار وفضلها ربا؛ وهو أن يتقبل بخراج أو جباية أكثر مما أعطى؛ فذلك الفضل ربا؛ فإن تقبل وزرع فلا بأس »

(٣) ت، وحاشية الأصل (من نسخة): « زوجني فلانة ». (٤-٤) من نسخة بحاشيتي الأصل،

ت: « ويشبه هذا الخبر من وجه بخبر رواه ». (٥) من نسخة بحواشي الأصل، ت، ف: « المزني » وفي حاشية الأصل أيضاً: « وهم، هو إياس بن معاوية بن قرّة المزني ».

(٦) من نسخة بحاشيتي الأصل، ت: « الجوشني ». (٧) حاشية ت (من نسخة):

بتوليته فولته ؛ وكان القاسم يأتي الحسن وابن سيرين، ولم يكن إياس يأتيهما ، فعلم القاسم أنه إن سألهما أشارا به ، فقال للشاميّ : لا تَسَلْ عَنِّي ولا عنه ، فوالذي لا إله إلا هو إن إياساً أفضلُ مني وأفقه ، وأعلم بالقضاء ، فإن كنتُ عندكِ مِمَّنْ يَصَدِّقُ إنه كَيَبغِي أن تقبل مني ، وإن كنتِ كاذباً فما محلُّ لك أن توليَّني وأنا كاذبٌ؛ فقال إياس للشاميّ : إنك جئتَ برجلٍ ٥ فأقمتَه على شفير جهنم ، فافتدى نفسه من النار^(١) أن تقدِّفه فيها بيمين حلفها كذب فيها، يستغفر [٩٤] الله منها، وينجو مما يخاف / . فقال الشاميّ : أما إذُ فِطِنْتَ لهذا ، فإنِّي أوليِّك ، فاستقضاه . ط

ولما أمضى معاوية بيعة يزيد جعل الناس يقرّظونه، فقال يزيد لأبيه : ما ندرى أنخدع الناس أم يخذعوننا ؟ فقال معاوية : يا بنيّ ، مَنْ خدعته فتخدع لك ليخدعك فقد خدعته .
وسُمِعَ عبد الملك بن مروان ليلة قبض وهو يجود بنفسه - وقد سمع صوت قصّار - يقول :
١٠ ليتني كنتُ غسلاً أعيش بما أ كسب يوماً بيوم ، فبلغ ذلك أبا حازمٍ فقال : الحمد لله الذي جمّعهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه، ولا تتمنّى في الحياة ما هم فيه .

وقال الواثق للجاحظ: يامناني^(٢)، فقال: لو كان الذي أضقتني إليه عبدك ما قدرتُ على بيعه لكثرة عيوبه ؛ فكيف أكون على دينه^(٣) ! .

وقال ابن عباس رضي الله عنه للخوارج - وقد أرسله أمير المؤمنين عليه السلام إليهم :
١٥ نَشَدُكُمْ اللهُ ، أَيُّمَّا أَعْلَمُ بالتَنْزِيلِ والتَأْوِيلِ : على أمّ أئمتهم؟ قالوا : على ، قال : أليس تدرّون ، لعلّ الذي حكّم به فيكم بفضل علمه على ما تعلمون! فرجع أكثرهم .

(١) حاشية ف : « بدل اشتمال من « نفسه » ، أي افتدى قذف نفسه » .

(٢) من نسخة بجواشي الأصل ، ت ، ف : « يامناني » ؛ وما ناني : منسوب إلى ماني ؛ وهو ماني ابن فاتك الحكيم ؛ وأتباعه يعرفون بالمانوية ؛ وهم يزعمون أن العالم مركب من أصلين قديمين : نور وظلمة ؛ وهما أزيلان ، (وانظر تفصيل مذهبهم في الملل والنحل للشهرستاني ١٤٣-١٤٦) .

(٣) ت : « على ذلك » .

وقال عتبة بن أبي سفيان لعبد الله بن عباس : ما منع علي بن أبي طالب أن يجعلك أحد الحكمين ؟ فقال : أما والله لو بعثني لاعترضت مدارج^(١) أنفاسه ، أظير إذا أسف وأسف^(٢) إذا طار ، ولعمدته له عقدا لا تنتقض مريرته ، ولا يدرك طرفاه ؛ ولكنه سبق قدر ، ومضى أجل ، والآخرة خير لأمر المؤمنين من الدنيا .

وقال أبو جعفر محمد بن عليّ عليهما السلام لكثير : امتدحت عبد الملك بن مروان ؟ ه فقال : لم أقل له يا إمام الهدى ، إنما قلت : يا شجاع ، والشجاع حيّة ، ويا أسد ، والأسد كلب ، ويا غيث ، والغيث موات ! فتبسم أبو جعفر عليه السلام .

وقالت بنت عبد الله بن مطيع لزوجها يحيى بن طاحنة : ما رأيت الأم من أصحابك ، إذا أيسرت لزيموك ، وإذا أعسرت تركوك ! فقال : هذا من كرمهم ؛ يأتوننا في حال القوة منا عليهم ، ويفارقوننا في حال الضعف منا عنهم .

١٠

وقيل لإبراهيم النخعي : متى كنت ؟ قال : حيث احتيج إلى .

ورؤي رجل يصلي صلاة خفيفة ، فقيل له : ماهذه الصلاة ؟ فقال : صلاة ليس فيها رياء .

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن أبي الأزهر قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال : تزعم الرواة أن قتيبة بن مسلم لما فتح سمرقند^(٣) أفضى إلى أثاث لم ير مثله ، وآلات لم يُسمع بمثلمها ، فأراد أن يرى الناس عظيم ما فتح ، ويعرفهم أقدار^(٤) القوم الذين ظهر عليهم ، فأمر بدار ففرشت ، وفي صحتها قدور يرتقى إليها بسلايم ، وإذا الحصين بن المنذر بن الحارث^(٥) بن وعلة الرقشي قد أقبل ، والناس جلوس على مراتبهم ، والحصين شيخ كبير ، فلما رآه عبد الله بن مسلم أخو قتيبة قال لقتيبة : أئاذن لي في معاتبته؟

(١) المدارج هنا : جمع مدرجة ؛ وهي ممر النفس .

(٢) يقال : أسف الطائر ؛ إذا دنا من الأرض في طيرانه .

(٣) سمرقند : من أكبر مدن ماوراء

(٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ؛ ف :

(٥) ت : « المنذر بن الحباب » .

قال : لا تردّه ، فإنه خبيثُ الجواب ، فأبى عبدُ الله إلا أن يأذن له — وكان عبد الله يُضعفُ — وكان قد تسوّر حائطا إلى امرأة قبل ذلك — فأقبل على الحصين وقال : أمِنَ الباب دخلت يا أباساسان ؟ فقال : أجل ، أسنَّ عمّك عن تسوّر الحيطان ، قال : رأيت هذه القدور ؟ قال : هي أعظم من الأثري ، قال : ما أحسب بكر بن وائل رأى مثلها ، قال : أجل ، ولا عيلان^(١) ، ولو رآها سُمّي شبعان ، ولم يسمّ عيلان ، فقال له : يا أباساسان ، أتعرف الذي يقول^(٢) :

عَزَلْنَا وَأَمَّرْنَا وَبَكْرُ بْنُ وَائِلٍ تَجَرُّ حُصَاها تَبْتَغِي مَن تَحَالِفُ
قال : أعرفه وأعرف الذي يقول :

وَخَيْبَةٌ مِنْ يَحْيَبُ عَلَى غَنِيٍّ وَبَاهِلَةٌ مِنْ يَعْصُرَ وَالرَّبَابِ
قال : أتعرف الذي يقول^(٢) :

كَأَنَّ قِقَاحَ الْأَزْدِ حَوْلَ ابْنِ مِسْمَعٍ وَقَدْ عَرِقَتْ أَفْوَاهُ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ^(٣)
قال : أعرفه ، وأعرف الذي يقول :

قَوْمٌ قُتَيْبَةٌ أَثْمَهُمْ وَأَبُوهُمْ لَوْلَا قُتَيْبَةٌ أَصْبَحُوا فِي جَهْلٍ

قال : أمّا الشعر ، فأراك ترويه ، ولكن هل تقرأ من القرآن شيئا ؟ قال : نعم ، أقرأ منه الكثير الطيب : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ أَنَّ هَلْ أُنَبِّئُكَ أَنَّ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَدَّ كُورًا ۝ ﴾ [الإنسان : ٤١] ، فأغضبه فقال : والله لقد بلغني أن امرأة الحصين حملت إليه وهي حبلى من غيره ، قال : فما تحرك الشيخ من هيئته الأولى . ثم قال على رسّله : وما يكون ؟ تلدُ غلاما على فراشي فيقال : ابن الحصين ، كما يقال عبد الله بن مسلم ؛ فأقبل قُتَيْبَةَ على عبد الله فقال . لا يبعدُ [٩٥] ظ
اللهُ غيرك .

(١) حاشية ف : « عيلان ، بانرفع على أن يكون مبتدأ ؛ أي ولا عيلان أدركها ؛ والنصب على أن يكون عطفًا على بكر بن وائل . وفي حاشية الأصل : « عيلان : قبيلة عبد الله بن مسلم » .
(٢) ف : « من الذي يقول ؟ » . (٣) حاشية ف : « قوله : « وقد عرفت » ، الواو لالحال ؛ شبه أدبار الأزد في حال ما عرقت بأفواه بكر بن وائل » .

ولقى شريك^(١) النُمَيْرِيَّ رجلاً من بني تميم ، فقال له التَّمِيمِيّ : يَمِجِبْنِي مِنَ الْجَوَارِحِ الْبَازِيّ ، فقال له شريك : وَخَاصَّةً إِذَا صَادَ الْقَطَا ؛ أَرَادَ التَّمِيمِيّ بِقَوْلِ الْبَازِيّ قَوْلَ جَرِيرِ :

أَنَا الْبَازِيّ الْمُطَلِّ عَلَى نُمَيْرٍ أُتِيحَ مِنَ السَّمَاءِ لَهَا أَنْصَابَا^(٢)

وأراد شريك بقوله : « إِذَا صَادَ الْقَطَا » قَوْلَ الطَّرِمَاحِ :

تَمِيمٌ بِطُرُقِ الْهُومِ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا وَلَوْ سَلَكَتْ سُبُلَ الْمَسْكَارِمِ ضَلَّتْ^(٣)

وساير^(٤) شريك النُمَيْرِيَّ عُمَرَ بْنَ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيَّ عَلَى بَغْلَةٍ ، فَجَاوَزَتْ بِغَلَّتَهُ بَرْدُونَ عُمَرَ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَغْضُضُ مِنْ لِحَامِهَا ، فَقَالَ شَرِيكُ : إِنَّهَا مَكْتُوبَةٌ ، فَقَالَ عُمَرُ : مَا أَرَدْتُ ذَلِكَ ، قَالَ شَرِيكُ وَلَا أَنَا أَرَدْتُهُ ؛ ظَنَّ شَرِيكُ أَنَّ عُمَرَ أَرَادَ بِقَوْلِهِ : « أَغْضُضُ مِنْ لِحَامِهَا » قَوْلَ جَرِيرِ :

فُغِضَ الطَّرْفُ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْبًا بَنَغْتَ وَلَا كِلَابًا^(٥)

وعنى شريك بقوله : « مَكْتُوبَةٌ » قَوْلَهُ^(٦) :

لَا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيًّا خَاوَتْ بِهِ عَلَى قَلْوَصِكَ وَاكَتُبَهَا^(٧) بِأَسْيَارٍ

يعنى : بـ « اكَتُبَهَا » شُدَّهَا .

وأُشْدَّ أَبُو تَمَامٍ الطَّائِيَّ أَحْمَدَ بْنَ الْمُعْتَصِمِ قَصِيدَتَهُ^(٨) السَّيْنِيَّةَ الَّتِي يَمْدَحُهُ فِيهَا ، فَلَمَّا بَلَغَ

إِلَى قَوْلِهِ :

١٥

(١) الخبر في اللآلي ٨٦٢-٨٦٣ ؛ مع اختلاف في الرواية . (٢) ديوانه : ٧٢ ، وروايته : « اللد على نمير » . (٣) ديوانه : ١٣٢ ، وفي حاشية ت (من نسخة) : « طرق المسكارم » . (٤) الخبر في الفاضل والفاضل : ٥٠ ، واللاكي : ٨٦١-٨٦٢ ، والاقتضاب : ٥٠ ، وكنائيات المرجاني : ٧٤ . (٥) ديوانه : ٧٥ . (٦) هو سالم بن داره ، من قصيدة هجاها زميل ابن أبي الفزاري ، وأبيات منها في الخزانة ١ : ٥٥٧ . (٧) ت : « معنى اكتبها : اشددها » . (٨) القصيدة في ديوانه ١٧٣-١٧٥ ، ومطلعها :

مافي وقوفك ساعةً من باسٍ تقضى ذمام الأربيع الأدراسِ

في حلمٍ أحنفَ في شجاعةِ عامرٍ في جودِ حاتمٍ في ذكاءِ إياسٍ^(١)

فقال له الكنديّ - وكان حاضراً - : ما صنعتَ شيئاً ، قال : وكيف ؟ قال : لأنَّ شعراءَ دهرنا قد تجاوزوا بالمدوح مَنْ كان قبله ، ألا ترى إلى قول أبي العكوك^(٢) في أبي ذلف :

رَجُلٌ أْبْرَءُ عَلَى شَجَاعَةِ عَامِرٍ بِأَسَا وَغَبْرٍ فِي مُحْيَا حَاتِمٍ
فَأَطْرَقَ الطَّائِي ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَأَنْشَدَ :

لَا تُنْكَرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ
فَاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَّ لِنُورِهِ
مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ
مَثَلًا مِنْ الْمَشْكَاتِ وَالنَّبْرَاسِ

وقال ابن هبيرة لأبي ذلامة - وكان مولى لبني أمية لما ظهرت المسودة^(٣) : لا تأخذنَّ لك منهم عبداً صالحاً يخدمك ، فلما علتْ كلمتهم ، وفشتْ دعوتهم قال أبو ذلامة : ليت الله [٩٦] قيض لي / منهم مولى صالحاً أخدمه .
و

وقال يحيى بن خالد لعبد الملك بن صالح الهاشمي : إنَّ خصالك كاملة سوى حقدٍ فيك ، فقال : أنا خزانة تحفظ الخيرَ والشر . وقد نظر ابن الرومي إلى هذا المعنى في قوله :

وَمَا الْحِقْدُ إِلَّا تَوَهُمُ الشُّكْرِ فِي الْفَتَى
فَحَيْثُ تَرَى حِقْدًا عَلَى زِي إِسَاءَةٍ
وَبَعْضُ السَّجَايَا يَنْتَسِبْنَ إِلَى بَعْضِ^(٤)
فَتَمَّ تَرَى شُكْرًا عَلَى حَسَنِ الْقَرَضِ
إِذَا الْأَرْضُ أَدَّتْ رَيْعَ مَا أَنْتَ زَارِعٌ ١٥
مِنْ الْبَدْرِ فِيهَا فَهِيَ نَاهِيكَ مِنْ أَرْضِ

وقال الحجاج للخَطِيطِ الخارجيِّ : ما تقول في عبد الملك بن مروان ؟ قال : ما أقول في رجل أنت خطيئةٌ من خطاياها ! قال : فهل هممتَ بي قطاً ! قال : نعم ، ولكن حال بيننا

(١) رواية الديوان :

إِقْدَامُ عَمْرٍو فِي سَمَّاحَةِ حَاتِمٍ فِي حِلْمِ أَحْنَفَ فِي ذِكَاءِ إِيَّاسِ

(٢) كذا في الأصول ؛ وفي الأغانى ونسكت الهميان وابن خلكان : « العكوك » ؛ وفي حاشيتي

الأصل ، ت : « العكوك في الأصل : الفصير السمين مع صلابة » ، وهو على بن جبلة الضرير ، توفي سنة ٢١٣ . (٣) حاشية الأصل : « المسودة ؛ يعني بني العباس أصحاب الرايات السود » .

(٤) ديوانه : الورقة ١٥٤

بَيْنُ وَقَدَرٍ ، وَقَدْ أَعْطَيْتُ اللَّهَ عَهْدًا إِنْ سَأَلْتَنِي لِأُصَدِّقَكَ ، وَلَئِنْ خُلِّيتَ عَنِّي لِأُطْلِبَنَّكَ ،
وَلَئِنْ عَذَّبْتَنِي لِأُصْبِرَنَّ لَكَ؛ فَأَمْرٌ بِقَتْلِهِ .

وأما « البين » فهي الأرض الواسعة ، قال ابن مقبل (١) :

بَسْرُو حَمِيرَ أَبْوَالِ الْبِغَالِ بِهِ أَنِّي تَسَدَّيْتُ وَهَنَا ذَلِكَ الْبَيْنَا (٢)

وقيل لأبي المتاهية لما قال :

عُتِبْتُ (٣) مَا لِلْخِيَالِ خَبَّرْتَنِي وَمَالِي

خرجت من العروض ، فقال : أنا أكبر من العروض (٤) .

وقال عبد الملك بن مروان للهميم بن الأسود : ما مالك ؟ قال : قوامٌ من العيش ، وغنيٌّ
من الناس . فقيل له : لمَ لمَ تُخْبِرْ به ؟ فقال : إن كان كثيراً حسدني ، وإن كان قليلاً
ازدراني .

واغتاب الأعمش رجلاً من أصحابه ، فطلع الرجل على هيئة ذلك ، فقال له رجل من أصحابه :
قُلْ له ما قتلته حتى لا يكون غيبية ؛ فقال له : قل له أنت حتى لا تكون نميمة .

وقال معاوية لعمر بن العاص : هل غششتني منذ نصحتني ؟ قال : لا ، قال : بلى يوم
أشرت على بمبارزة علي ، وأنت تعلم من هو ! فقال عمرو : دعاك رجلٌ عظيم الخطر إلى المبارزة ،
فكنت من مبارزته على إحدى الحسينين ؛ إما إن قتلته فقد قتلت الأقران ، وازددت
شرفاً إلى شرفك ، وخلصت بملكك ، وإما إن قتلك فتمتجّل مرافقة الشهداء والصدّيقين

(١) من قصيدة في جمهرة الأشعار : ٣٣١-٣٣٥ ، مطلعها :

طاف الخيالُ بنا ركباً يمانينا ودون ليلى عوادٍ لو تعدّينا

(٢) سرو حمير ؛ من منازلهم باليمن . وأبوال البغال يريدون به السراب ؛ قال الأصمعي : يقال لنطف
البغال أبوال البغال ؛ ومنه قيل للسراب أبوال البغال على التشبيه ؛ وإنما شبه بأبوال البغال ؛ لأن بول البغال
كاذب لا يلقح ، والسراب كذلك . وتسدّيت ؛ يخاطب الطيف ، ويجوز أن يقرأ : « تسديت » بكسر التاء
يخاطب الحبية (وانظر المقاييس ١ : ١ ، ٣ ، واللسان - بين) . (٣) على الترخيم .

(٤) حاشية ت : « يريد أن عمل الشعر قبل عمل الخليل للعروض » .

والصالحين ؛ قال معاوية : لهذه أشد على من الأولى ، فقال عمرو : أفكنت من جهادك
[٩٦] في شك فتكون منه الساعة ! / قال : دغى منك الآن .
ظ

وقيل للأحنف بن قيس - وقد رأى مُسَيْلِمَةَ الكذاب : كيف هو ؟ فقال : ماهو بنى
صادق ، ولا يمتنبي حاذق .

٥ وروى المبرّد قال : قال زياد لأبي الأسود الدؤليّ : لولا أنك قد كبرت لاستمعنا بك
في بعض أمورنا ، قال : إن كنت تريدني للصراع فليس عندي ، وإن كنت تريد عقلي
ورأي فهما أوفر ما كانا .

وكان أبو الأسود حاضرَ الجواب جيّد الكلام مليح النادرة . وروى عن الشعبيّ أنّه
قال : قاتل الله أبا الأسود ! ما كان أعفّ أطرافه ، وأحضر جوابه ! دخل على معاوية بالثخيلة ،
١٠ فقال له معاوية : أكنت ذكرت للحكومة ؟ قال : نعم ، قال : فماذا كنت صانعا ؟ قال :
كنت أجمع ألقاب المهاجرين وأبنائهم ، وألقاب الأنصار وأبنائهم ، ثم أقول : يا معشر
من حضر ؛ أرجل من المهاجرين أحقّ أم رجل من الطلقاء ؟ فلعنه معاوية ، وقال : الحمد
لله الذي كفاناك .

وقد روى أن أبا الأسود طلب بأن يكون في الحكومة ، وقال لأمير المؤمنين عليه
١٥ السلام في وقت الحكمين : يا أمير المؤمنين ، لا ترض بأبي موسى ، فإنني قد عجمت الرجل
وبلوته ، فخلبت أسطره ؛ فوجدته قريب القعر ، مع أنه يمان ، وما أدري ما يبلغ نصحه !
فابتنى فإنه لا يحلّ عقدة إلاّ عقدت له أشدّ منها ، وإنهم قد رموك بحجر الأرض ، فإن
قيل : إنه لا صحبة لي ، فاجماني ثانی اثنين ، فليس صاحبهم إلاّ من تقرّب ، وكان في الخلاف
عليهم كالنجم ؛ فأبى عليه السلام .

٢٠ وروى محمد بن يزيد النحويّ أن أبا الأسود كان ^(١) نازلاً في بني قشير ؛ وكانوا يخالفونه
في المذهب لأن أبا الأسود كان ^(١) شيعياً ، فكانوا يرمونه بالليل ، فإذا أصبح شكوا ذلك .

فشكامةً ، فقالوا : ما نحن نرميك ؛ ولكن الله يرميك ، فقال : كذبتُم ، لو كان الله يرميني ما أخطأني .

وقال لهم يوماً : يابني ^(١) قشِيرٌ ، ما في العرب أحدٌ أحبُّ إلىَّ طولَ بقاءِ منكم ، قالوا : ولمَ ذاك ؟ قال : لأنكم إذا ركبتُم أمراً علمت أنه غيٌّ فأجتنبه ، وإذا اجتنبتُم أمراً علمت أنه رشد ، فاتبعته فنازعه الكلام ، فأنشأ يقول :

يُقُولُ الأَرْدَلُونَ بَنُو قُشَيْرٍ طَوَالَ الدَّهْرِ لا تَنْسَى عَلِيًّا
أَحِبُّ مُحَمَّدًا حُبًّا شَدِيدًا وَعَبَّاسًا وَحَمْرَةَ وَالْوَصِيًّا
/ أَحِبُّهُمْ لِحُبِّ اللّهِ حَتَّى أَجَى إِذَا بُعِثْتُ عَلَى هَوِيًّا
فَإِنْ يَكُ حُبُّهُمْ رُشْدًا أَصِيبُهُ وَلَسْتُ بِمُخْطِئٍ إِنْ كَانَ غِيًّا

[٩٧]
و

فقالوا له : أشككت يا أبا الأسود ، فقال : أم تسمعوا الله تعالى يقول : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ، أفترون الله شكاً !
أما قوله : « هَوِيًّا » فإنه لغة هذيل ؛ يقولون ذلك في كل مقصور ^(٢) ؛ مثل الهوى والعصا والتقى والتقا . قال أبو ذؤيب الهذلي :

سَبَقُوا هَوَىَّ وَأَعْتَقُوا لِسَبِيلِهِمْ فَتُخَرِّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعٌ ^(٣)

وروى أن أبا الأسود دخل على معاوية فقال له : أصبحت جميلًا يا أبا الأسود ؛ فلو علقَّت نَمِيمَةً تدفع العين عنك ! فقال أبو الأسود :

أَفْنَى الشَّبَابِ الَّذِي وَلَّى وَبِهِجَّتَهُ ^(٤) كَرُّ الجَدِيدِينَ مِنْ آتٍ وَمُنْطَلِقِ
لَمْ يَتْرُكْ كَالِي فِي طَوْلِ اخْتِلَافِهِمَا شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْهِ لَذَعَةَ الحَدَقِ

(١) الخبر مع الأبيات ورد في الأغاني ١١: ١١٣ ، ونزهة الألباء ٦-٧ ، وأخبار النحويين للسرياني ١٤-٢١٥ ، وإنباه الرواة ١: ١٧ ، يزيد وينقص في بعض الروايات ، ويختلف في بعض الألفاظ وترتيب الأبيات . (٢) وذلك إذا أضيف إلى ياء التكلم ؛ فيقولون : هوى ؛ أي هوى ، وعصى ؛ أي عصا ؛ وهكذا . (٣) ديوان الهذليين ١: ٢ ، والرواية فيه : « لهوام » . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « فارقت بهجته » .

وروى أنه دخل يوماً السوق يشتري ثوباً فقال له رجل : هلمّ أقاربك في هذا الثوب ؛ فقال : إن لم تقاربني باعدتك ، ثم قال له : بكيم هو ؟ قال : قد أعطيت به كذا كذا ، قال : إنما تحببني عما فاتك .

وروى أنه كان ماشياً في طريق ، فقال له راكب : الطريق الطريق ، فقال له : عن الطريق
٥ تَعَدُّ لَنِي !

ومرض أبو الأسود فقيل له : هو أمر الله ، فقال : ذاك أشدُّ له !

وقيل إن امرأة أبي الأسود خاصمته إلى زياد في ولدها ، فقالت : أيها الأمير ، إن هذا يغلبني على ولدي ، وقد كان بطني له وعاء ، وثدي له سقاء ، وحجري له فناء ، فقال أبو الأسود :
(١) أبهذ تريد أن تغلبيني على ابني (١) ! فوالله لقد حملته قبل أن تحمليه ، ووضعتُه قبل أن تضعيه ، فقالت : ولا سواء ، إنك حملته خفياً ، وحملته ثقلاً ، ووضعتُه شهوة ، ووضعتُه كرهاً ، فقال له زياد : إنها امرأة عاقلة يا أبا الأسود ، فاذفع ابنها إليها ، فأخلق أن تحسن أدبه .

وقال رجل لأبي الأسود : أنت والله ظريف لفظ ، وظرف (٢) علم ، ووعاء حلم ، غير أنك بخيل ؛ فقال : وما خيرُ ظرفٍ لا يمسك ما فيه !

وسلم عليه أعرابيُّ يوماً ، فقال أبو الأسود : كلمة مقولة ، فقال : أتأذن في الدخول ؟ [٩٧] قال : / وراءك أوسعُ لك ! قال : فهل عندك شيء ؟ قال : نعم ، قال : أطعمني ، قال : عيالي أحقُّ منك ، قال : ما رأيت ألامَ منك ، قال : نسيتَ نفسك .

وسأله رجل شيئاً فمنعه قال : ما أصبحت حاتماً (٣) قال : بلى ، قد أصبحت حاتمكم من حيث لا تدري ، أليس حاتم الذي يقول :

أماويِّ إمّا مانعٌ فسيِّئٌ وإمّا عطاءٌ لا يُبهنِّههُ الرِّجْرُ (٤)

(١-١) ت : « إنها تريد أن تغلبني على ابني » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « ظريف » ،
بالبناء للجهول . (٣) ت : « حاتمنا » . (٤) ديوانه : ١١٨

مَجْلِسُ آخِرٍ

أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال: أخبرنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي قال: لما ولي سليمان بن عبد الملك أبا يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج في جامعة - وكان رجلاً دميماً تقصمته^(١) العين - فلما رآه سليمان قال: لعن الله من أجرَكَ رَسَنَكَ، وولّى مثلك! فقال: يا أمير المؤمنين، رأيتني والأمرُ عنى مدير، ولو رأيتني وهو عليّ مُقبل لاستمظمت ما استصغرت، ولا استجذلت ما استحققت، فقال له سليمان: أين تُرى الحجاج؟^٥ أي هو في النار، أم قد استقر؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لا تقل كذا، فإن الحجاج قمع لكم الأعداء، ووطأ لكم المنابر، وزرع لكم الحمية في قلوب الناس، وبعداً، فإنه يأتي يوم القيامة عن يمين أبيك عبد الملك، وشمال أخيك الوليد، فضعه حيث شئت.

وروي أن خالد بن صفوان فخر رجلاً من بني عبد الدار، الذين يسكنون البليمة، فقال له العبدري: من أنت؟ فقال: أنا خالد بن صفوان بن الأهم، فقال له العبدري: أنت خالد ١٠ ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾؛ [محمد: ١٥]، وأنت ابن صفوان، وقال الله عز وجل ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾؛ [البقرة: ٢٦٤]، وأنت ابن الأهم، والصحيح خير من الأهم. فقال له خالد بن صفوان يا أخا بني عبد الدار، أتتكلّم وقد هسّمتك هاشم، وأمتك بنو أمية، وخزمتك بنو مخزوم، وجمحتك^(٢) بنو مجح، فأنت عبد دارهم؛ تفتح إذا دخلوا، وتغلق إذا خرجوا؛ فقام العبدري محموراً.

١٥

وتقدم الأشعث بن قيس إلى شريح فقال له الأشعث: أتعلّمني بك يا بن أم شريح! لقد

(١) حاشية (من نسخة): «تدرية». (٢) حواشي الأصل، ت، ف: «يجوز أن يكون

أصله: «جمعت بك»؛ حذف حرف الجر، وأوصل الفعل؛ ذكره ابن دريد في كتاب الاشتقاق، ويجوز أن يكون من جامعته فجمحته.»

عهدتك وإن شأنتك لشؤوني ، فقال له شريح : أنت امرؤ تعرف النعمة في غيرك ، وتنساها في نفسك .

وروى أبو العيناء عن العتبي قال : دخل الفرزدق إلى سعيد بن العاص ، وعنده الحطيئة ، فلما مثل بين يديه قال :

[٩٨]
و
إليك فررت منك ومن زياد / ولم أحسب دمي لكما حلالاً^(١)
فإن يكن الهجاء أحلّ قتلي / فقد قلنا لشاعركم وقالاً^(٢)
ترى الغرّ الجحاجيح من قريش / إذا مال الأمر في الحدانِ عالاً^(٣)
قياماً ينظرون إلى سعيد / كأئهم يرون به هلالاً^(٤)

فقال له الحطيئة : هذا والله أيها الأمير الشعر ، لا ما كنتما نعال^(٥) به منذ اليوم ، يا غلام

١٠ أقدمت أمك الحجاز ؟ فقال : لا ، ولكن قدمه أبي .

أراد الحطيئة بقوله : إن كانت قدمت أمك الحجاز ، فقد وقعت بها^(٦) ، وكنت مني ، وأراد الفرزدق بقوله : « ولكن قدمه أبي » أي وقع بأمك فكنت أنت^(٧) .

ويشبه ذلك ما روى أن الفرزدق كان ينشد شعره يوماً ، والناس حوله ، إذ مرّ به الكُميت بن

زيد ، فقال له الفرزدق : كيف ترى شعري ؟ فقال الكُميت : حسن بسن ، فقال له الفرزدق :

١٥ أيسرُّك أني أبوك ، قال : أمّا أبي فلا أريد به بدلاً^(٨) ، ولكن يسرُّني أن لو كنت أُمي ! فقال له

(١) ديوانه : ٦١٧ ، وبعده :

ولكنني هجوت وقد هجبتني
معاشرٌ قد رضخت لهم سجّالاً

(٢) بعده :

وإن تك في الهجاء تريد قتلي
فلم تدرك لمتنصرٍ مقالاً

(٣) عال : فذح وأنقل ؛ وبعده :

بني عم الرسول ورهط عمرو
وعثمان الذين علوا فعلاً

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « الهلالا » . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « ما كنت

تعلم » . (٦) حاشية ت (من نسخة) : « وقعت عليها » . (٧) ابن الشجري : « فكت

أنت أخي » . (٨) حاشية ت (من نسخة) : « بديلاً » .

الفرزدق : اكتبتم هذه على عمك يابن أخي فما مرّ بي مثلها .

وقيل إنَّ عبد الملك بن مروان ظفّر برجل من بني مخزوم زبيرى الراى ، فقال له لما حضر مجلسه : أليس قد ردّك الله على عقبيك ! فقال الرجل : أو من ردّ عليك يا أمير المؤمنين فقد ردّ على عقبيّه ! فوجّه عبد الملك ،

وقال موسى بن عيسى بن موسى لشريك : يا أبا عبد الله ، عزلوك عن القضاء ، وما رأيانا قاضيا عزل ! فقال شريك : هم الملوك يعزلون ويخلعون - يعرض أن أباه خلع من ولاية العهد .

وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن المفضل الضبيّ الراوية وهب لبعض جبرانه أيام الأضحى أضحيةً ، فلما لقيّه قال : كيف وجدت أضحيتك ؟ قال : ما وجدت لها دماً ، يعرض بقول الشاعر :

١٠

ولو ذبح الضبيّ بالسيف لم تجد
من الأوم للضبّيّ لهما ولا دماً

وروى عن المأمون أنه قال : ما أعينى جواب أحد قطّ مثل جواب ثلاثة : أحدهم أمّ الفضل بن سهل ، فإني عزّيتها عن ابنها وقلت : لئن جرّعت على الفضل لأنه والدك ، فهاأنذا ابنك مكانه / ، فقالت : وكيف لا أجزع على من جعل مثلك لى ولدًا . والثاني رجل [٩٨]
أحضرته يزعم أنه نبي الله موسى عليه السلام ، فقلت له : إن الله تعالى أخبرنا عن موسى ١٥ أنه يدخلُ يده في جيبه فيخرجها بيضاء من غير سوء ، فقال : متى فعل ذلك موسى ؟ أليس بعد أن لقي فرعون ! فاعمل كما عمل فرعون ، حتى تعمل كما عمل موسى . والثالث أن جماعة من أهل الكوفة اجتمعوا إلى يشكون عاملها ، فقلت : ارضوا بواحد أسمع منه ، فرضوا برجل منهم ، فقال في العامل وأكثر ؛ فقلت له : كذبت ! بل هو العفيف الورع العدل ؛ فذهب أصحابه يتكلمون فسكتهم ثم قال : صدقت يا أمير المؤمنين ، هو كما ذكرت ، ٢٠ فواس بين رعيتك في العدل ، فصرفتّه عنهم .

ودخل عدى بن حاتم بن عبدالله الطائى على معاوية ، فقال له معاوية : ما فعل الطّرفات؟

يعنى طَرِيفاً^(١) وطَرِيفاً وطَرَفَةً ، قال : قُتِلُوا مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقال له : ما أنصفك ابنُ أبي طالب ، قدّم بنيك ، وأخّر بنيّه ، فقال عدِيّ : ما أنصفته^(٢) أنا ، أن قُتِلَ^(٣) وبقيت .

وكتب رجلٌ إلى صديق له يقترض منه شيئاً ، فأجابّه يشكو ضيقَ حاله ، فكتب إليه : « إن كنتَ كاذباً فجعلك اللهُ صادقاً ، وإن كنتَ صادقاً فجعلك اللهُ كاذباً ، وإن كنتَ معذوراً فجعلك اللهُ ملوماً ، وإن كنتَ ملوماً فجعلك اللهُ معذوراً » .

وسمِعَ الأحنفَ رجلاً يقول : ما أحلمَ معاوية ! فقال : لو كان حليماً ما سفّه الحقّ .
ووصفه رجلٌ عند الشعبيّ بالحلم ، فقال الشعبيّ : ويحك ! وهل أغمَدَ سيفه وفي قلبه على أحدٍ شيء !

١٠ وقال زياد لرجلٍ حضره : أين منزلك ؟ فقال : وسطَ البصرة ، قال : فما لك من الولد ؟ قال : تسعة ، فقيل لزياد إن داره أخصى البصرة عند المقابر ، وله ابن واحد ، فقال الرجل : دارى بين أهل الدنيا والآخرة ، فهي وسطُ البصرة ، وكان لى عشر بنين فقدّمت تسعة ، فهم لى ، وبقى واحد لا أدرى ؛ أهو لى أم أنا له !

وقال رجلٌ لابن سيرين : إنى وقعتُ فيك فاجعلنى فى حلٍّ ، فقال : ما أحبُّ أن أحلك
١٥ مِمَّ حرّم اللهُ عليك .

وخطب الحجاج يوم الجمعة فأطال ، فقال له رجل : إن الصلاة لا تنتظرُك ، وإن الله لا يمدرك ، فأمر به فحبس ، فجاءه أهله فشهدوا أنه مجنون ، فقال : إن أقرّ بالجنون [٩٩] أطلقته ، فقيل له : اعترف بذلك وتخاصّ ، فقال : والله لا أقول / إنّه ابتلانى وقد عافانى .

وحدّث الحسن البصرىّ بحديث فقال له رجل : يا أبا سعيد ، عمّن ؟ فقال : وما تصنع
٢٠ بـ « عمّن » ؟ أما أنت فقد نالتك عظمتُه ، وقامتْ عليك حجته .

(١) من نسخة بمحاشبي الأصل ، ت : « طرفاً » ، بفتح أوله وكسر ثانيه .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « بل ما أنصفته » . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « إذ قتل »

وقيل لعبد الله بن جعفر - ونظر إليه بما كس في درهم - فقيل له : أما كس في درهم وأنت تجود بما تجود به ! فقال : ذلك ما لي جُدْتُ به ، وهذا عقلي بَخِيتُ به .

وروي أن أبا العيناء محمد بن القاسم اليمامي حدثت بعض الزبيريين^(١) بفضائل أهله^(٢) فقال له : الزبيرى^(٣) : أتجلب التمر إلى هجر^(٤) ! فقال له أبو العيناء : نعم ، إذا أجذبت أرضها ، وعاروم^(٥) نخلها ؛ وكان أبو العيناء من أحضِر الناس جواباً ، وأجودهم بديهية ، وأملحهم نادرة .

وروي^(٦) الصولى عن أبي العيناء قال : لما دخلت^(٧) على المتوكل دعوت له ، وكلمته ، فاستحسن خطابي ، وقال لى : يا محمد ، بلغنى أن فيك شراً ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن يكن الشرُّ ذكر المحسن بإحسانه ، والسيء بإساءته ، فقد زكى الله تعالى وذم ، فقال فى التزكية : ﴿ نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ؛ [س : ٣٠ - ٤٤] ، وقال فى الذم : ﴿ هَمَّازٍ مَشَاءٌ ۝ ١٠ نِنْمِيحٍ . مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أُتِيمٍ . عُتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾ ؛ [الفلم : ١١ - ١٣] ، فذمه الله تعالى حتى قذفه^(٨) ، وقد قال الشاعر :

إِذَا أَنَا بِالْمَعْرُوفِ لَمْ أَتُنْ دَائِبًا وَلَمْ أَذُمَّمُ الْجِلْسَ اللَّثِيمَ الْمُدَّيْمًا^(٩)
فَقِيمَ عَرَفْتُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ بِاسْمِهِ وَشَقَّ لِي اللَّهُ الْمَسَامِعَ وَالْفَمَا!

وإن كان الشرُّ كفعل العقرب يكسعُ النبيَّ والذمى يطبّعُ لا يتميز ؛ فقد صان الله ١٥ عبدك عن ذلك .

- (١) حاشية ت (من نسخة) : « الزهريين » . (٢) ت : « بحديث فى فضائل أهله .
(٣) حاشية ت (من نسخة) : « الزهري » . (٤) هجر : مدينة واقعة على جبال العارض ببلاد العرب ؛ وكانت قاعدة البحرين . (٥) المعاومة : أن تحمل النخلة سنة ولا تحمل أخرى .
(٦) ت : « تخكى عن الصولى » . (٧) حاشية (من نسخة) : « أدخلت » .
(٨) ت : « قرفه » ، والقذف والفرف : ذكر المرء بالسوء .
(٩) البيتان فى أملى العالى ٢ : ١٥٩ ؛ رواهما عن أبى العالية الرياحى .

(١) ورؤي أنه قال له يوماً: إلى كم تمدح الناس وتذمهم؟ فقال: ما أحسنوا وأساءوا^(١).

ورؤي أن المتوكل قال له يوماً: إني لأفرق من لسانك، فقال له: إن الشريف فرقة ذو إحجام، وإن اللئيم ذو أمانة وإقدام.

وقال له يوماً: وقد دخل عليه: اشتقتك والله يا أبا العيناء، فقال له يا سيدي؛ إنما يشتد الشوق على العبد لأنه لا يصل إلى مولاه، فأما السيد فمتى أراد عبده دعاه.

وروي أنه قال له يوماً: ما بقي أحد في مجلسي إلا اغتابك وذمك— عند ماجري من^(٢) ذكرك— غيري، فقال أبو العيناء:

[٩٩]
/ إِذَا رَضِيْتُ عَنْ كِرَامِ عَشِيرَتِي فَلَا زَالَ غَضَبَانَا عَلَى لِثَامِهَا
ظ

وذكر أبو العيناء قال: قال لي المتوكل: كيف ترى داري هذه؟ فقلت: رأيت الناس بنوا دورهم في الدنيا، وأمير المؤمنين جعل الدنيا في داره.

وقال أبو العيناء: قال لي المتوكل: من أسخى من رأيت؟ ومن أبخل من رأيت؟

فقلت: ما رأيت أسخى من أحمد بن أبي دؤاد، ولا أبخل من موسى بن عبد الملك؛

قال: وكيف وقفت على بخله؟ فقلت: رأيت يحرّم القريب كما يحرم البعيد، ويعتذر من

الإحسان^(٣)؛ كما يعتذر من الإساءة؛ فقال: أجمت إلى من أطرحته فسخيته، وإلى

من أمسكته فبخلته! فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الصدق ما هو في موضع من المواضع

أنفق منه بحضرتك، والناس يفاطون فيمن ينسبونه إلى السخاء؛ فإذا نسب الناس

السخاء إلى البرامكة، فإنما ذاك من سخاء أمير المؤمنين الرشيد، وإذا نسب الناس الحسن

ابن سهل، والفضل بن سهل إلى السخاء، فإنما ذاك سخاء أمير المؤمنين المأمون، وإذا نسبوا

أحمد بن أبي دؤاد إلى السخاء فذاك سخاء أمير المؤمنين المعتصم، وإذا نسبوا الفتح بن خاقان

(١) ساقط من م . (٢) ف: « عندما جرى ذكرك » .

(٣) حاشية ت: « يعني أن إحسانه يكون سائطاً يحتاج إلى العذر » .

وعُبِّدَ اللهُ بن يحيى إلى السخاءِ فإِذَا هُوَ سَخَاؤُكَ؛ وَإِلَّا فإِذَا هُوَ لَمْ يَنْسَبُوا إِلَى السخاءِ
قَبْلَ صَحْبَتِهِمُ الْخُلَفَاءَ (١) ! فَقَالَ لِي : صَدَقْتَ ، وَسَرَّيْ (٢) عَنْهُ .

وَقَالَ لَهُ التَّوَكُّلُ : مَا أَشَدُّ عَلَيْكَ مِنْ ذَهَابِ الْبَصَرِ ؟ فَقَالَ لَهُ : فَقَدْ رَأَيْتَكَ ؛ مَعَ إِجْمَاعِ
النَّاسِ عَلَى جَمَالِكَ .

وَقَالَ لَهُ يَوْمًا : أَرِيدُكَ لِجَالِسَتِي ، قَالَ : لَا أَطِيقُ ذَلِكَ ، وَمَا أَقُولُ هَذَا جَهْلًا بِنَا لِي فِي هَذَا الْمَجْلِسِ ه
مِنَ الشَّرَفِ ، وَلَسْكَنَ أَنَا رَجُلٌ مَحْجُوبٌ ، وَالْمَحْجُوبُ تَخْتَلِفُ إِشَارَتُهُ ، وَيَخْفَى عَلَيْهِ إِيمَاؤُهُ ،
وَيَجُوزُ عَلَى أَنَّا تَسَلَّمْنَا بِكَلَامِ غَضْبَانٍ وَوَجْهِكَ رَاضٍ ، وَبِكَلَامِ رَاضٍ وَوَجْهِكَ غَضْبَانٍ ، وَمَتَى
لَمْ أَمِيزْ بَيْنَ هَاتَيْنِ (٣) هَلَكْتَ ؛ فَقَالَ : صَدَقْتَ .

وَرَوَى أَنَّهُ قَالَ لَهُ : لَوْلَا أَنَّكَ ضَرِيرٌ لِنَادَمْتُكَ ، فَقَالَ : إِنْ أَعْفَيْتَنِي مِنْ رُؤْيَةِ الْأَهْلَةِ ،
وَقَرَاءَةِ نَقْشِ الْخَوَاتِيمِ فَإِنِّي أَصَاح .

١٠

وَقَالَ التَّوَكُّلُ : مَا تَقُولُ فِي ابْنِ مَكْرَمٍ وَالْعَبَّاسِ بْنِ رَسْتَمٍ ؟ فَقَالَ : هَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ،
وَإِيْمَهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ، فَقَالَ : بَلْغَنِي أَنَّكَ تَوَدُّهُمَا ، فَقَالَ : لَقَدْ ابْتَعْتُ الضَّلَالَ بِالْهَدَى ،
وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفَرَةِ .

وَقَالَ لَهُ يَوْمًا : بَلْغَنِي أَنَّ سَمِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ يَضْحَكُ مِنْكَ ، فَقَالَ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا
كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾ [الْمُطَفِّفِينَ : ٢٩] وَقَالَ أَبُو الْعَيْنَاءِ : قَالَ لِي الْمَنْصُورُ :
مَا أَحْسَنُ (٤) الْجَوَابِ ؟ فَقُلْتُ : مَا أَسْكَتَ الْبَطْلُ ، وَحَيَّرَ الْحَقِيقُ .

وَقِيلَ لِأَبِي الْعَيْنَاءِ : إِبْرَاهِيمُ بْنُ نُوحٍ النَّصْرَانِيَّ عَلَيْكَ عَاتِبٌ ، فَقَالَ : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ [١٠٠]
الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [الْبَقَرَةُ : ٢٢] . وَرَأَى زُرْقَانَ وَهُوَ يَضْحَكُ

(١) حاشية ت (من نسخة) : « للخلفاء » . (٢) حاشية ف : « قوله : سرى عنه ؛ من

قولهم : سروت عنى الدرع ، أى كشفتها ، وسرى عنه الثوب : كشفه ، وانسرى عنه الهم ، وسرى عنه

الهم . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « هذين » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « خير الجواب »

نصرانياً فقال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾؛ [المائدة: ٥١] ،
فقال أبو العيناء ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾؛ [المتحنة: ٢٩] .

وأخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال أخبرنا
أبو العيناء قال : كان سبب اتصالي بأحمد بن أبي دؤاد أن قوماً من أهل البصرة عادوني
وَادَعَوْا عَلِيَّ دَعَاوَى كَثِيرَةً ؛ مِنْهَا أَنِّي رَافِضِيٌّ ، فَاحْتَجَجْتُ إِلَى أَنْ خَرَجْتُ عَنْ الْبَصْرَةِ إِلَى
سُرَّ مَن رَأَى ، وَأَلْقَيْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ أَبِي دَعْوَادٍ - وَكُنْتُ نَازِلًا فِي دَارِهِ ، أَجَالِسُهُ كُلَّ يَوْمٍ -
وَبَلَغَ الْقَوْمُ خَبْرِي ، فَشَخَّصُوا نَحْوِي إِلَى سُرَّ مَن رَأَى ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ الْقَوْمَ قَدِ قَدِمُوا مِنْ الْبَصْرَةِ
يَدًّا عَلَيَّ ، فَقَالَ : ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ ، فَقُلْتُ : إِنَّ لَهُمْ مَكْرًا ، فَقَالَ : ﴿وَيَمَكُرُونَ
وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ ؛ [الأفقال: ٣٠] ، فَقُلْتُ : هُمْ كَثِيرُونَ قَالَ :
١٠ ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ؛ [البقرة: ٣٤٩] ، فَقُلْتُ : اللَّهُ
دَرُّ الْقَاضِي ! هُوَ وَاللَّهُ كَمَا قَالَ الصَّمَوْتُ الْكِلَابِيُّ :

لِللَّهِ دَرُّكَ أَيُّ جُنَّةٍ خَائِفٍ	وَمَتَاعُ دُنْيَا أَنْتَ لِلْحَدَثَانِ ^(١)
مُتَخَمِّمٌ تَطَأُ الرَّجَالَ غَلْبَةً	وَطَاءُ الْفَنَيْقِ دَوَارِجَ الْقَرْدَانِ ^(٢)
وَتَرَكْتَهُمْ حَتَّى كَانَ رُؤُسَهُمْ	مَأْمُومَةً تَنْحَطُّ لِلْغُرْبَانِ ^(٣)
وَتُفَرِّجُ الْبَابَ الشَّدِيدَ رِتَاجُهُ	حَتَّى يَصِيرَ كَأَنَّهُ بَابَانِ

وقال لابنه الوليد : اكتب هذه الأبيات ، فكتبها بين يديه .

- قال الصوليّ : حفظني من أبي العيناء الصَّمَوْتُ الْكِلَابِيُّ عَلَى أَنَّهُ رَجُلٌ ، وَقَالَ وَكَيْعٌ :
حفظني أنها للصَّمَوْتُ الْكِلَابِيَّةِ عَلَى أَنَّهَا امْرَأَةٌ -

ودخل أبو العيناء على الحسن بن سهل ، فأثنى عليه ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وقال :

(١) ديوان المعاني ١ : ٦٨ . (٢) التخمط : الأخذ والقهر بغلبة ؛ وغلبة مصدر غلب كثيرين
الغلبة ، والفنيق الجمل الفجل ، ودوارج : جمع دارج . (٣) د ، ف حاشية ت (من نسخة) :
« ونسكهم » والمأومة : المشجومة .

والله ما أستكثر كثيرك أيها الأمير ، ولا أستقل قليلك ، قال : وكيف ذاك ؟ قال : لا أستكثر كثيرك لأنك أكثر منه ، ولا أستقل قليلك لأنه أكبر من كثير غيرك^(١) .

وقال له عبيد الله بن يحيى بن خاقان يوماً : اعذرني فإني مشغول^(٢) ، فقال : إذا فرغت لم أحتج إليك . وقال له يوماً : قد تبينت / فيك الغضب يا أبا عبد الله ، فقال له : قد أجل^[١٠٠] الله قدرك من غضبي ، إنما يغضب الرجل على من دونه ؛ فأما من فوّه فلا ، ولكن أحزني تقصيرك ؛ فسميت حزني غضباً .

ويقال إن صاعد بن مخلد كان من أحسن من أسلم ديناً ، وأكثروهم صلاةً وصدقةً ، فصار إلى بابه أبو العيناء مرات كثيرة بعقب إسلامه فحُجِبَ وقيل له : هو مشغول في صلاته ، فقال أبو العيناء : لكل جديد لذة .

ودخل يوماً إلى أبي إسماعيل الصقر بن بلبل في وزارته ، فقال له : يا أبا عبد الله ،^(٣) ما أخرك عنّا^(٤) ؟ فقال : سُرقَ حماري ، فقال : وكيف سُرق ؟ قال : لم أكن مع الذي سرقه فأخبر بما كان ، قال له : هلاً اكرتت أو استعرت أو اشتريت ؟ قال : قعد بي عن الشراء نَشَبِي^(٥) ، وكرّهت منّة العواري ، وذلة المكارى ، فوهب له حمارا ووصله . وأدناه أبو الصقر يوماً ورّفه فقال : تُدِنِنِي حَتَّى كَأَنِّي بَمَضُك ، وَتُبْعِدُنِي حَتَّى كَأَنِّي ضَدُّكَ .

وقال يوماً لعبيد الله بن سليمان أيضاً - وقد رفعه : إلى كم ترفّعتي ولا ترفع بي رأساً !^{١٥} وقال له يوماً - وقد سأله عن حاله : أنا معك^(٥) مغبوط الظاهر ، محروم الباطن .

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « نظم البحتري هذا المعنى فقال

كثيْرُ نَوَالِكٍ فِي جَنْبِ مَا جُبِيتَ عَلَيْهِ مِنَ الْجُودِ نَزْرُ
وَنَزْرُ نَوَالِكٍ فِي جَنْبِ مَا يَجُودُ بِهِ سَائِرُ النَّاسِ عَمْرُ

(٢) ت : « فإني عنك مشغول » . (٣-٣) حاشية ت (من نسخة) : « يا أبا عيناء ما أخرك

بالله ؟ » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « عدى » . (٥) ت : « أنا بك » .

ويقال : إن أبا عليّ البصير قال لأبي العيناء - وكانت بينهما ملاحاةً معروفة : في أيّ وقتٍ ولِدْتَ ؟ فقال له : قبل طلوع الشمس ، فقال أبو عليّ : لذلك خرجت شحاذاً سائلاً ، لأنه الوقت الذي يَنْتشر فيه السوّال .

وأخبرنا أبو عُبَيْد الله المرزبانيّ قال أخبرني محمد بن يحيى الصولىّ قال حدثني أبو العيناء • قال : مارأيت قطاً أحسنَ شاهداً عند حاجة من ابن عائشة ! قالت له : يوماً كان أبو عمرو الخزوميّ يقصدك ثم جفاك ، فقال :

فإن تَنَأَ عَنَّا لَا تَصْرُنَا وَإِنْ تَعُدُّ تَجِدُنَا عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي كُنْتَ تَعْلَمُ

وقال : والله لا أدري لمن هذا البيت ، فقالت : إن ابن سلامٍ روى عن يونس ابن الفرزدق لما قال :

١٠ تَصَرَّمَ مِنِّي وَدُّ بَكْرٍ بِنِ وائِلٍ وَمَا خِلْتُ دَهْرِي وَدَّهْمُ يَتَصَرَّمُ^(١)

قَوَارِصُ تَأْتِينِي فَيَحْتَقِرُونَهَا وَقَدْ يَمَلُّ الْقَطْرُ الْإِنَاءَ فَيُقَعِّمُ^(٢)

وكان قد نزل عليهم حين هرب من زياد ، فقال جرير بن خرقاء العجليّ^(٣) يحميه :

[١٠١] / لَقَدْ بَوَّأْتُكَ الدَّارَ بِكَرٍ بِنِ وائِلٍ وَرَدَّتْ لَكَ الْأَحْشَاءُ إِذْ أَنْتَ مُجْرِمُ^(٤)

(١) ديوانه : ٧٥٦ ، وطبقات الشعراء ٣٠٢ ، والكمال - بشرح المرصفي ، ١ : ١٢٧ ،
والمؤتلف والمختلف : ٧١ وتصرم الشيء : تقطع . (٢) قوارص : جمع قارصة ؛ وهي الكلمة المؤذية .
فعم الإناء يفعمه فعما : ملاءم وبائع في مثله . (٣) ذكره ابن سلام في ص ٢٥٩ بنسبة « البكري » ،
وفي ص ٣٠٣ بكنية « أبي العطف » . (٤) في الطبقات : « لقد وسطتك » ، وقبيله :

لَعَمْرِي لَئِنْ كَانَ الْفِرْزَدِقُ عَاتِبًا وَأَخَذْتَ صَرَمًا ، لِلْفِرْزَدِقِ أَظْلَمُ

وفي حاشية الأصل : « يعني كنت خائفا غاية الخوف فأمنوك » ، ورواية الطبقات :

لَقَدْ وَسَّطْتُكَ الدَّارَ بِكَرٍ بِنِ وائِلٍ وَضَمَّتْكَ لِلْأَحْشَاءِ إِذْ أَنْتَ مُجْرِمُ

لِيَالٍ تَمَنَّى أَنْ تَكُونَ سَحَابَةً بِمَكَّةَ يَنْفِشَاهَا السَّتَارُ الْحَرَمُ (١)
فَإِنْ تَنَاءً عَنَّا لَا تَضُرُّنَا وَإِنْ تَعُدُّ تَجِدُنَا عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي كُنْتَ تَعْلَمُ
فَقَالَ ابْنُ عَائِشَةَ: أَنْتَ وَاللَّهِ يَا بَنِيَّ مَنْ سَتَّصَدَّقَ فِي الْعَالَمِ مَخَائِلُهُ ، وَتَكَثَّرَ عَلَيْهِ دَلَالَتُهُ .

وقال أبو العيناء يوماً لأبي الصقر بن ببليل وهو زائر : أنت والله تقرب منا إذا احتجنا إليك ، وتبعد منا إذا احتجت إلينا .

قال سيدنا الشريف أدام الله علوه : وهذا يشبه قول إبراهيم بن العباس الصولي :

ولكنَّ الجَّوَادَ أَبَا هِشَامٍ وَفِي الْعَهْدِ مَأْمُونُ الْمَغِيبِ (٢)
بطيءٌ عَنكَ مَا اسْتَعْنَيْتَ عَنْهُ وَطَلَّاعٌ عَلَيْكَ مَعَ الْخُطُوبِ

ولعله مأخوذ منه ، فليس يُفَكِّرُ ذلك ، لأنَّهما وإن اجتمعا في زمان واحد في بعض الأوقات ؛ فإنَّ أبا العيناء بقيَ بعد إبراهيم زماناً طويلاً ؛ لأنَّ إبراهيم توفِّيَ في سنة ثلاث ١٠ وأربعين ومائتين ، وأبا العيناء سنة اثنتين أو ثلاث وثمانين ومائتين ، وما حكيناه عنه من الكلام قاله لأبي الصقر في وزارته ، وكانت بعد وفاة إبراهيم بن العباس الصولي بزمان طويل .

ويوشك بيتا إبراهيم أن يكونا مأخوذين من قول أوس بن حَجَر :

وليسَ أخوكَ الدَّائِمُ الْعَهْدِ بِالَّذِي يَذُمُّكَ إِنْ وُلِّيَ وَيُرْضِيكَ مُقْبِلًا (٣)
ولسكنه النَّائِي إِذَا كُنْتَ آمِنًا وصاحبك الأذنى إِذَا الْخُطْبُ أَعْضَلًا ١٥

ولإبراهيم بن العباس ما يقارب هذا المعنى أيضاً ، وهو :

أَسَدٌ سَمَارٍ إِذَا هَيَّجَتْهُ وَأَبٌ بَرٍّ إِذَا مَا قَدَّرَا (٤)
يَعْلَمُ الْأَبْعَدُ إِنْ أَثْرَى وَلَا يَعْلَمُ الْأَذْنَى إِذَا مَا أَقْتَرَا (٥)

(١) الستار المحرم : هو ستار الكعبة . (٢) ديوانه : ١٢٩ (ضمن مجموعة الطرائف) .

(٣) ديوانه : ٢٢ (٤) ديوانه : ١٣٣ (ضمن مجموعة الطرائف) .

(٥) ت : « افتقرا » ؛ وهي رواية الديوان .

ويشبهه أن يكون هذا مأخوذاً من قول المرّار الفقمسيّ :

[١٠١] / إِذَا افْتَقَرَ الْمَرَّارُ لَمْ يَرْ قَقْرُهُ وَإِنْ أَيْسَرَ الْمَرَّارُ أَيْسَرَ صَاحِبُهُ (١) ظ

ومما يشبهه قول المرّار بعينه قول إبراهيم بن العباس أيضاً :

فَتَى غَيْرُ مَحْجُوبٍ عَنِ الْعَيْنِ عَرَضُهُ وَلَا مُظْهِرٍ الْبَلْوَى إِذَا النَّعْلُ زَلَّتْ (٢)
رَأَى خَلَّةً مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانَهَا فَكَانَتْ قَدَى عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّتْ

أو من قول المتنخل الهذليّ :

أَبُو مَالِكٍ قَاصِرٌ فَقْرُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَمُشْبِعٌ غِنَاهُ (٣)

وهذا البيت الذي رويناها للهذليّ من جملة أبيات يرثيها المتنخل أباه - وقيل يرثي أخاه، وأولها

لَعَمْرُكَ مَا إِنْ أَبُو مَالِكٍ بَوَّانٍ وَلَا بَضْعِيفٍ قُوَاهُ (٤)

وَلَا بِاللَّدِّ لَهُ نَازِعٌ يُغَارِي أَخَاهُ إِذَا مَا نَبَاهُ (٥)

- فمعنى « له نازع » أي خلق سوء ينزعه . ويفاري ، أي يلاحي ويشارّ - .

وَلَكِنَّهُ هَيْنٌ لَيْنٌ كَعَالِيَةِ الرَّمَحِ عَرْدٌ نَسَاهُ

- العرد : الشديد ؛ يقال : وترّ عرْدٌ وعرْدٌ ، وعرْدٌ بالنون ، أي شديد . والنساء

عرق معروف -

إِذَا سُدَّتْهُ سُدَّتْ مِطْوَاعَةٌ وَمَهْمًا وَكَكَلَتْ إِلَيْهِ كَفَاهُ

معنى « سُدَّتْهُ » من المساودة ، التي هي المسارّة ، والسواد هو السرار أيضاً ، كأنه قال :

(١) معجم الشعراء : ٤٠٨ . (٢) ديوانه : ١٣٠ ؛ وانظر تخرّج البيتين في الحواشي .

(٣) ديوان الهذليين ٢ : ٢٩-٣٩ . (٤) شرح ديوان الهذليين : « و يروي : بواه

ولا بضعيف » ، وهو الأجود عند أبي العباس . (٥) ألد : شديد الخصومة ، وفي حواشي الأصل :

ت ، ف : « غاريت بين الشيين ؛ إذا والبت بينهما ، قال كثير :

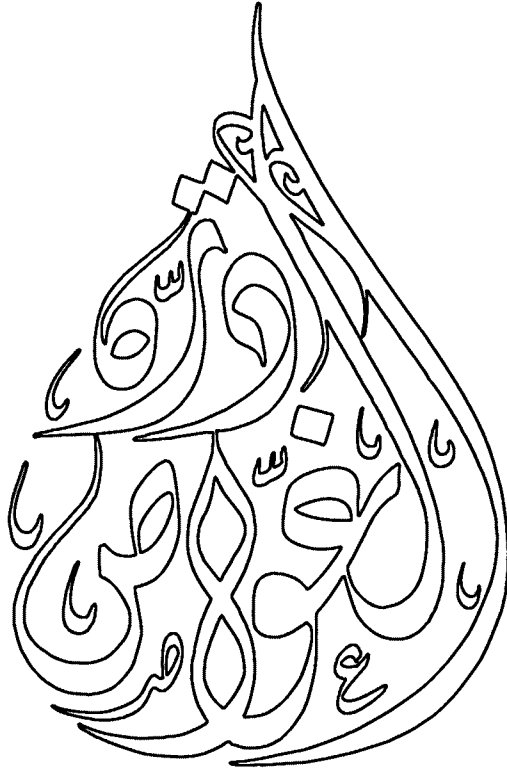
إِذَا قَلْتُ أَسْلُوفَاضَتِ الْعَيْنُ بِالْبِكَاءِ غِرَاءٌ وَمَدَّتْهَا مَدَامِخُ حُفَلٍ

قال أبو عبيد : هو من غرى بالشيء يفرى به « .

إذا ساررتَه طواعك وساعدك . وقال قوم : إنه من السيادة ، وكأنه أراد : إذا كنتَ
فوقه سيداً له أطاعك ولم يحسدك ، وإن وَكَلتَ إليه شيئاً كفاك ، وقوم يُنشدونه :
* إذا سُنَّتهُ سُنَّتْ مَطْوَاعَةٌ *

— ولم أجد ذلك في رواية —

- الأَمَنُ يُنادِي أبا مالِكٍ أفي أمرنا هُوَ أَمُّ في سِوَاهُ ؟
أبو مالِكٍ قاصِرٌ فَقْرُهُ على نَفْسِهِ ومُشِيعٌ غِنَاهُ



مَجْلِسُ آخِرٍ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

[١٠٢] / إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا؛ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

• فقال: ما تأويل هذه الآية على ما يطابق المدل؟ فإن ظاهرها كأنه مخالف له.

الجواب، قيل له: في هذه الآية وجوه؛ منها ما ابتدأناه فيها، ومنها ما سبقنا به فحررناه واحترزنا فيه من الطاعن، وأجبنا عما لعله يعترض^(١) فيه من الشبهة.

أولها أن يكون تعالى عني بذلك صرفهم عن ثواب النظر في الآيات، وعن العز والكرامة اللذين يستحقهما من أدى الواجب عليه في آيات الله تعالى وأدلته، وتمسك بها. ١٠ والآيات على هذا التأويل يحتمل أن تكون سائر الأدلة، ويحتمل أن تكون معجزات الأنبياء عليهم السلام خاصة؛ وهذا التأويل يطابقه الظاهر؛ لأنه تعالى قال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾؛ فبين أن صرفهم عن الآيات مستحق^(٢) بتكذيبهم؛ ولا يليق ذلك إلا بما ذكرناه.

وثانيها أن يصرفهم^(٣) تعالى عن زيادة المعجزات التي يُظهرها^(٤) الأنبياء عليهم السلام

(١) حاشية ت (من نسخة) « يعرض » . (٢) ف : « يستحق » .

(٣) ت : « أنه أراد صرفهم » . (٤) ت ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « يظهرها » .

على الأنبياء » .

بعد قيام الحجة بما تقدم من آياتهم ومعجزاتهم ؛ لأنه تعالى إنما يُظهِرُ هذا الضرب من المعجزات إذا عِلِمَ أنه يؤمن عنده مَنْ لم يُؤْمِنَ بما تقدم من الآيات ، فإذا عِلِمَ خلاف ذلك لم يُظهِرها ، وصرف الذين عِلِمَ من حالهم أنهم لا يؤمنون عنها ، ويكون الصرف على أحد وجهين : إمَّا بآلا يظهرها جملة ، أو بأن يصرفهم عن مشاهدتها ، ويظهرها بحيث ينتفع بها غيرهم .

فإذا قيل : وما الفرق فيما ذكرتموه بين ابتداء المعجزات ، وبين زيادتها ؟ قلنا : الفرق بينهما أن المعجز الأول يجب إظهاره لإزاحة العلة في التكليف ؛ ولأننا به نعلم صدق الرسول المؤدّي إلينا ما فيه لطفنا ومصاحتنا .

فإذا كان التكليف يُوجبُ تعريف^(١) المصالح والألطف لتنزاح العلة ، وكان لا سبيلَ

إلى معرفتها على الوجه الذي تكون عليه لطفًا إلا من قبل الرسول ، وكان لا سبيلَ إلى العلم بكونه رسولًا إلا من جهة / المعجز وجبت بعثة الرسول وتحميله ما فيه . صلحتنا [١٠٢] من الشرائع ، وإظهار المعجز على يده لتعلق هذه الأمور بعضها ببعض ، ولا فرق في هذا الوضع بين أن يُعلم أن المبعوث إليهم الرسول ، أو بعضهم يطيعون ويؤمنون ، وبين ألا يعلم ذلك في وجوب البعثة ، وما يجب بوجوبها ، لأن تعريف المصالح مما يقتضيه التكليف العقلي الذي لا فرق في حسنه بين أن يقع عنده الإيمان أو لا يقع ؛ وليس هذه سبيل ما يظهر من المعجزات بعد قيام الحجة بما تقدم منها ؛ لأنه متى لم ينتفع بها منتفع ، ويؤمن عندها من لم يؤمن لم يكن في إظهارها فائدة ، وكانت عبثًا ؛ فافترق الأمران .

فإن قيل : كيف يطابق هذا التأويل قوله : ﴿ ذَلِكَ بآيَاتِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ ، ومن المعلوم أن صرفهم عن الآيات لا يكون مستحقًا بذلك ؟ قلنا : يمكن أن يكون قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بآيَاتِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ لم يُرد به تعليل قوله : ﴿ سَأَصْرِفُ ﴾ ، بل يكون كالتعليل لما هو أقرب إليه في ترتيب الكلام ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا

(١) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « تعريفنا » .

أَيُّهَا لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴿١﴾ ، لَأَنَّ مَنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ جُلَّ وَعَزَّ ؛ وَغَفَلَ عَنْ تَأْمُلِهَا وَالِاهْتِدَاءِ بِنُورِهَا رَكِبَ الغَىَّ ، وَاتَّخَذَهُ سَبِيلًا ، وَحَادَ عَنِ الرُّشْدِ وَضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا . وَرَجُوعَ لَفْظَةِ ﴿ذَلِكَ﴾ إِلَى مَا ذَكَرْنَاهُ أَشْبَهُ بِالظَّاهِرِ مِنْ رَجُوعِهَا إِلَى قَوْلِهِ : ﴿سَأَصْرِفُ﴾ ؛ لَأَنَّ رَجُوعَ اللَّفْظِ (١) فِي اللُّغَةِ إِلَى أَقْرَبِ الْمَذْكُورِينَ إِلَيْهِ أَوْلَى .

وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿كَذَّبُوا﴾ وَإِنْ كَانَ بِالْفِظِ الْمَاضِي الْمُرَادُ بِهِ الْاسْتِقْبَالُ ، وَيَكُونُ وَجْهُهُ أَنَّ التَّكْذِيبَ لِمَا كَانَ مَعْلُومًا مِنْهُمْ لَوْ أَظْهَرَتْ لَهُمُ الْآيَاتُ جُمِعَ ذَلِكَ كَأَنَّهُ (٢) وَقَعَ ، فَجَبْنِي الْخَطَابَ عَلَيْهِ ؛ وَلِهَذَا نَظَأْتُ فِي اللُّغَةِ كَثِيرَةً . أَوْ يَكُونُ جَوَابًا لِلْمَحْذُوفِ ؛ كَأَنَّهُ (٣) قَالَ : ذَلِكَ بَأَنَّهُ مَتَى مَا أَظْهَرْنَا لَهُمْ آيَاتِنَا كَذَّبُوا بِهَا . وَيَجْرِي مَا ذَكَرْنَاهُ (٤) أَوْلَىَّ بِمَجْرَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ فِي أَنَّهُ بِلَفْظِ الْمَاضِي وَالْمَعْنَى الْاسْتِقْبَالِ .

وَنَالِهَا أَنْ يَكُونَ مَعْنَى ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ﴾ ، أَيْ لَا أُوْتِيهَا (٥) مِنْ هَذِهِ صِفَتُهُ ، وَإِذَا (٦) صَرَفَهُمْ عَنْهَا فَقَدْ صَرَفَهَا عَنْهُمْ (٧) ، وَكَلَامُ اللَّفْظِينَ (٨) يَفِيدُ مَعْنَى وَاحِدًا . وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ هَلَّا قَالَ : «سَأَصْرِفُ آيَاتِي عَنِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ» ؛ وَالْآيَاتُ هَاهُنَا هِيَ الْمَعْجَزَاتُ الَّتِي تَخْتَصُّ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ .

/ فَإِنْ قِيلَ : فَأَيَّ فَائِدَةٍ فِي قَوْلِهِ عَلَى سَبِيلِ التَّمْلِيلِ (٩) : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [١٠٣] وَأَيُّ مَعْنَى لِتَخْصِيصِهِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَهُوَ لَا يُؤْتَى الْآيَاتُ وَالْمَعْجَزَاتُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءَ دُونَ غَيْرِهِمْ ، وَإِنْ كَانَ مَنْ لَا يَتَكَبَّرُ ؟ قُلْنَا : نَخْرُجُ الْكَلَامَ مَخْرَجَ التَّمْلِيلِ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ وَجْهٌ عَجِيبٌ ؛ لَأَنَّ مَنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يُؤْتَى مَعْجَزَاتِهِ (١٠) لِتَكْذِيبِهِ وَكُفْرِهِ ،

(١) ت ، وَحَاشِيَةٌ ف (مِنْ نَسْخَةٍ) : « اللَّفْظَةُ » . (٢-٣) سَاقَطَ مِنْ م .

(٤) ت : « وَيَجْرِي ذَلِكَ » . (٥) مِنْ نَسْخَةٍ بِحَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ت : « لَا أُرِيهَا » .

(٥-٥) مِنْ نَسْخَةٍ بِحَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ف : « وَإِذَا صَرَفْتَهُمْ عَنْهَا فَقَدْ صَرَفْتَهُمْ عَنْهُمْ » .

(٦) مِنْ نَسْخَةٍ بِحَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ت : ف : « كَلَامُ اللَّفْظِيَيْنِ » .

(٧) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ (مِنْ نَسْخَةٍ) : « التَّخْصِيصُ » . (٨) ت ، ف : « لَا يُؤْتَى آيَاتِهِ وَمَعْجَزَاتِهِ » .

وإن كان قد يكون غير مكذّب، ويمنع من إتيانه الآيات علّة أخرى^(١)؛ فالتكبر والبغى بغير الحق مانع من إتياء الآيات، وإن منع غيره. ويجرى هذا مجرى قول القائل: أنا لا أودُّ فلاناً لقدره، ولا يلزم إذا لم يكن قادراً أن يودّه، لأنه ربما خلا من القدر وحصل على صفة أخرى تمنع من مودته. ويجوز أيضاً أن تكون الآية خرجت على ما يجرى مجرى السبب، وأن يكون بعض الجهال في ذلك العصر اعتقد جواز ظهور المعجزات على يد الكفار المتكبرين^(٢)، فأكذبهم الله تعالى بذلك.

ورابها أن يكون المراد بالآيات العلامات التي يجعلها الله تعالى في قلوب المؤمنين؛ ليدلّ بها الملائكة على الفرق بين المؤمن والكافر، فيفعلوا بكل واحدٍ منهما ما يستحقه من التعظيم أو الاستخفاف، كما تناول أهل الحق الطبيع والختم اللذين ورد بهما القرآن على أن المراد بهما العلامة المميّزة بين الكافر والمؤمن؛ فيكون معنى سأصرفهم عنها، أي أعدل بها عنهم^(٣)، وأخصّ بها المؤمنين المصدقين بآياتي وأنبيائي^(٤). وهذا التأويل يشهد له أيضاً قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾؛ لأنّ صرفهم عن هذه الآيات كالمستحقّ لتكذيبهم وإعراضهم عن آياته تعالى.

وخامسها أن يريد تعالى: أني أضرف من رام المنع من أداء آياتي وتبليغها؛ لأنّ من الواجب على الله تعالى أن يحول من بين رام ذلك وبينه؛ ولا يمكن منه؛ لأنه ينقض الغرض^{١٥} في البعثة. ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾؛ فتكون الآيات هاهنا القرآن وما جرى مجراه من كتب الله تعالى التي تحمّلتها^(٥) الرسل.

والصرف وإن كان متعلقاً في الآية بنفس الآيات فقد يجوز أن يكون المعنى متعلقاً^(٦) في الآية / بنفس الآيات، فقد يجوز أن يكون المعنى متعلقاً بغيرها^(٦) مما هو متعلق بها. فإذا ساغ [١٠٣] ط

(١) في حاشيتي ت، ف: « يعني وإن كان غير التكذيب أيضاً مانعاً ».

(٢) ت: « المذكورين »، ومن نسخة بحاشية ت: « المكذبين ».

(٣) ف، ونسخة بحاشية ت: « أي أعدل بهم عنها ». (٤) من نسخة بحاشيتي الأصل، ت:

« وبينائي ». (٥) ت، وحاشية ف (من نسخة): « تحملها ». (٦-٦) ساقط من م.

أن نعلقه بالثواب والكرامة المستحقين على التمسك بالآيات ساغ أن نعلقه بما يمنع من تبليغها وأدائها وإقامة الحججة بها . وعلى هذا التأويل لا نجمل قوله تعالى : ﴿ ذَلِكِ بَأْسُهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ راجعاً إلى ﴿ سَأَصْرِفُ ﴾ بل نرُدّه إلى ما هو قبله بلا فصل ؛ من قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ على ما بيناه في الوجه الثاني ، من تأويل هذه الآية .

وسادسها أن يكون الصرف شاهنا الحُكْمَ والتسمية والشهادة ، ومعلوم أن من شهد على غيره بالانصراف عن شيء جازم^(١) أن يقال : صرفه عنه ، كما يقال : ﴿ أ كْفَرَهُ وَكَذَّبَهُ وَفَسَقَهُ ﴾ ؛ وكما قال جلّ من قائل : ﴿ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللّٰهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ ؛ أى شهد عليها بالانصراف عن الحق والهدى ، وكقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللّٰهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ ؛ وهذا التأويل طابقه قوله تعالى : ﴿ ذَلِكِ بَأْسُهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ ؛ لأن الحكم عليهم^(٢) بما ذكرنا من التسمية موجب تكذيبهم وغفلتهم^(٣) عن آيات الله وإعراضهم عنها .

وسابعها أنه تعالى لما علم أن الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق سينصرفون عن النظر في آياته ، والإيمان بها إذا أظهرها على أيدي رسله عليهم السلام جاز أن يقول : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ ﴾ فيريد سأظهر ما ينصرفون بسوء اختيارهم عنه . ويجرى ذلك مجرى قولهم : سأبخّل فلاناً وأخطئته ، أى أسأله ما يبخل ، يبذله وأمتحنه بما يُخطئ فيه ، ولا يكون المعنى : سأفعل^(٤) فيه البخل والخطأ . والآيات على هذا الوجه جاز أن تكون المعجزات دون سائر الأدلة الدالة على الله تعالى ، وجاز أن تكون جميع الأدلة ؛ ويجب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى : ﴿ ذَلِكِ بَأْسُهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ غير راجع إلى قوله تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ ﴾ ؛ بل إلى ما قدمنا ذكره لتصح الفائدة .

(١) ف : « جاز » . (٢-٢) ت : « كفره وكذبه وفسقه » ؛ بالتحديد .

(٣-٣) ت ، ف : « والتسمية من موجب تكذيبهم وغفلتهم » .

(٤) ت ، وحاشية ف (من نسخة) : « أنى أفعل فيه » .

وثانمها أن يكون الصَّرف هاهنا معناه المنع من إبطال الآيات والحجج، والقَدْحُ فيها بما يُخرجها عن أن تكون أدلةً وحُججاً، فيكون تقدير الكلام: إني بما أؤيده من حُججِي، وأحكمه من آياتي وبيناتي؛ صارفٌ للمبطلين والـمكذبين عن القَدْحِ في الآيات والدلالات، ومانعٌ لهم ممَّا كانوا لولا / هذا الإحكام والتأييد يفترضونه ويغتمونه من تميمهم الحق ولبسه [١٠٤] بالباطل. ويجرى هذا مجرى قول أحدنا^(١): قدمع فلانٌ أعداءه بأفعاله الكريمة،^(٢) وطرائقه المهذَّبة، وصرَّفهم عن ذمِّه^(٣)، وأخرسَ ألسنتهم عن الطعن عليه؛ وإنما يريد المعنى الذي ذكرناه.

فإن قيل: أليس في المبطلين من طعن على آيات الله تعالى وأورد الشبهة فيها مع ذلك؟ قلنا: لم يرِ الله تعالى الصرف عن الطعن الذي لا يؤثر ولا يشتهه على من أحسن النظر، وإنما أراد ما قدمناه، وقد يكون الشيء في نفسه مطعوناً عليه، وإن لم يطعن عليه طاعنٌ؛ كما قد يكون بريئاً من الطعن، وإن طعن فيه بما لم يؤثر؛ ألا ترى أن قولهم: فلانٌ قد أخرسَ أعداءه عن ذمِّه ليس يراد به أنه ممنوعهم عن التلفظ بالذم، وإنما المعنى فيه أنه لم يجعل للذم عليه طريقاً ومجالاً؛ ويجب على هذا الوجه^(٣) أن يكون قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا﴾ يرجع إلى ما قبله بلا فصل، ولا يرجع إلى قوله: ﴿سَاءَ صَرِفٌ﴾^(٤).

وتاسمها أن الله تعالى لما وعد موسى عليه السلام وأُمَّته إهلاكَ عدوهم قال: ﴿سَاءَ صَرِفٌ ۝١٥ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾، وأراد جل وعزّ أنه يهلكهم ويصطلمهم ويحتاجهم على طريق العقوبة لهم؛ بما كان منهم من التكذيب بآيات الله تعالى، والردِّ لِحُججِهِ، والمُروقِ عن طاعته، وبشَّرَ مَنْ وعدَه بهذه الحال من المؤمنين بالوفاء

(١) ت: «الغائل». (٢-٢) ت، ش: «وطرائقه الممدوحة، وأخلاقه المهذَّبة من عييه،

وصرفهم عن ذمِّه». (٣) حاشية ت (من نسخة): «الأوئل».

(٤) حواشي الأصل، ت، ف: «قريب منه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْعَالِبُونَ﴾؛

ويعترض الآية بأن الحسين عليه السلام جند الله ومع ذلك فقد غابوا؛ والجواب: لأنهم وإن غلبوا في صورة فإنهم الغالبون حقيقة».

بها ، وهو تعالى إذا أهلك هؤلاء الجبارين المتكبرين ، واصطلمهم فقد صرفهم عن آياته ، من حيث اقتطعهم عن مشاهدتها ، والنظر فيها بانقطاع التكليف عنهم ، وخروجهم عن صفات أهله .

وهذا الوجه يمكن أن يقال فيه : إن العقوبة لا تكون إلا مضافة للاستخفاف والإهانة ، كما أن الثواب لا بد أن يكون مقترنا بالتعظيم والتبجيل والإجلال^(١) ؛ وإمارة الله تعالى الأمم وما يفعله من بوارٍ وإهلاك لا يفتقرن إليه ما لا بد أن يكون مقترنا إلى العقاب من الاستخفاف ، ولا يخالف ما يفعله تعالى بأوليائه على سبيل الامتحان والاختبار؛ فكيف يصح ما ذكرتموه ! .

ويمكن أن يجاب عن ذلك بأن يقال : لا يمتنع أن يضم الله تعالى إلى ما يفعله بهؤلاء الكفار المكذبين^(٢) من الإهلاك والبوار اللعن والذم والاستخفاف^(٣) ، ويأمرنا^(٤) أن نفعل [١٠٤] ذلك بهم ، فيكون / ما يقع بهم من الإيلام على وجه العقوبة وبشرطها ، ولا يمتنع أن يكون الله تعالى يتعمد ويأمر بإهلاكهم^(٥) ، وقتلهم على وجه الاستخفاف والنكال ، ويضيف الله تعالى ذلك إليه من حيث وقع بأمره وعن أذنه .

فإن قيل : ما معنى قوله تعالى : ﴿ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ ؛ كأن في ١٥ التكبر ما يكون بالحق !

قلنا في هذا وجهان : أحدهما أن يكون ذلك على سبيل التأكيد والتغليظ والبيان عن أن التكبر لا يكون إلا بغير الحق ، وأن هذه صفة له لازمة غير مفارقة؛ ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾ ؛ [المؤمنون : ١١٧] ، وقوله تعالى : ﴿ فَبِمَا نَفْسِهِمْ مِثْقَلِهَا كُفِّرَهُمْ آلِهَاتِهِمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ؛ [النساء : ١٥٥] ، ولم يرد تعالى إلا المعنى الذي ذكرناه . ومثله قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ ؛ [البقرة : ٤١] ، ولم يرد النهي عن الثمن القليل دون الكثير ، بل

(١) ساقطة من ت . (٢) ت ، حاشيتي الأصل ، ف : « المكذبين المستحقين للبورار

اللعن والذم » . (٣-٣) ساقط من م .

أراد تأكيد القول بأن كلَّ ثمن يؤخذ عنها يكون قليلاً بالإضافة إليها ، ويكون المتعوض به عنها مغبوطاً مخصوصاً خاسراً الصفة .

والوجه الآخر أن في التكبر ما يكون ممدوحاً لأنَّ مَنْ تكبر وتنزّه عن الفواحش والدنايا وتباعد من فعلها ، وتجنب أهلها يكون مستحقاً للمدح ، سالكا لطريق الحق ؛ وإنما التكبر المذموم هو الواقع على وجه النخوة والبني والاستطالة على ذوى الضعف والفخر عليهم ، والمباهاة لهم ، ومن كان بهذه الصفة فهو مجانب للتواضع الذى ندب الله تعالى إليه ، وأرشد إلى الثواب المستحقّ عليه ، ويستحقّ بذلك الذمّ والمقت ، فلهذا شرط تعالى أن يكون التكبر بغير الحق . وقوله تعالى في هذه السورة : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [الأعراب : ٣٣] ، يحتمل أيضاً هذين الوجهين اللذين ذكرناهما .

١٠

فإن أريد به البغى المكروه الذى هو الظلم وما أشبهه ، كان قوله : ﴿ بَغْيِ الْحَقِّ ﴾ تأكيداً وإخباراً عن أن هذه صفة ، وإن أريد بالبغى الطلب - وذلك هو أصله في اللغة - كان الشرط في موضعه ؛ لأنَّ الطلب قد يكون بالحقّ وبغير الحقّ .

فإن قيل فما معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ / وهل الرؤية هاهنا العلم والإدراك بالبصر ؟ وهب [١٠٥] أنها يمكن أن تكون في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾ محمولة على رؤية البصر ، لأن الآيات والأدلة مما يشاهد كيف تحمل الرؤية الثانية على العلم ، وسبيل الرشد إنما هي طريقته ، ولا يصحّ أن يرجع بها إلى المذاهب والاعتقادات التي لا تجوز عليها رؤية البصر ، فلا بد إذاً من أن يكون المراد به رؤية العلم ؛ ومن علم طريق الرشد لا يجوز أن ينصرف عنه إلى طريق الغى ؛ لأن العقلاء لا يختارون مثل ذلك .

٣٠

قلنا: الجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه: أحدها أن يكون المراد بالرؤية الثانية رؤية البصر، ويكون السبيل المذكورة في الآية هي الأدلة؛ لأنها مما يدرك بالبصر، وتسمى بأنها سبيل إلى

الرشد ، من حيث كانت وُصَلَةً إلى الرُّشد ، وذريعةً إلى حصوله ، ويكون سبيلَ الغيِّ هي الشبهات والمخاريق التي ينصبها المبطلون والمدغولون في الدين ؛ ليوقعوا بها الشبهة على أهل الإيمان ، وتسمّى سبيلَ الغيِّ ، وإن كان النظرُ فيها لا يوجب حصولَ الغيِّ من حيث كان المعلوم ممّن تشاغل بها ، واغترَّ بأهلها أنه يصير إلى الغيِّ .

ووجه الثاني أن يكون المراد بالرؤية العلم ؛ إلا أن العلم لم يتناول كونها سبيلاً للرشد ، وكونها سبيلاً للغيِّ ؛ بل يتناولها لا من هذا الوجه ؛ ألا ترى أن كثيراً من المبطلين يعلمون مذاهب أهل الحق واعتقاداتهم وحججهم ؛ إلا أنهم يجهلون كونها صحيحة مُفضية إلى الحق ، فيجتنبونها ؛ وكذلك يعلمون مذاهب المبطلين واعتقاداتهم الباطلة الفاسدة ، إلا أنهم يجهلون كونها باطلة ، ويمتقدون صحتها بالشبهة فيصيرون إليها ؟ وعلى هذا الوجه لا يجب أن يكون تعالى وصفهم بالعناد وترك الحق مع العلم به .

والوجه الثالث أن يكونوا عالين بسبيل الرشد والغىِّ ، ومميزين بينهما ؛ إلا أنهم للميل إلى أعراض الدنيا ، والدَّهَاب مع الهوى والشهوات يعدلون عن الرشد إلى الغيِّ ، ويجحدون ما يعلمون ، كما أخبر بها عن كثير من أهل الكتاب بأنهم يجحدون الحق وهم يعلمونه ويستيقنونه .

١٥ فإن قيل : فما معنى قوله تعالى : ﴿ ذَلِكِ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ ،

[١٠٥] / والتكذيبُ لا يكون في الحقيقة إلا في الأخبار دون غيرها ؟

قلنا : التكذيب قد يُطلق في الأخبار وغيرها ؛ ألا ترى أنهم يقولون : فلان يكذب بكذا إذا كان يمتدُّ بطلانه ، كما يقولون : يصدِّق بكذا إذا كان يمتدُّ صحته ؟ ولو صرفنا التكذيب هاهنا إلى أخبار الله تعالى التي تضمنتها كتبه الواردة على أيدي رسوله عليهم السلام

٢٥ جاز ؛ وتكون الآيات هاهنا هي الكتب المنزلة دون سائر المعجزات .

فإن قيل : فما معنى ذمه تعالى لهم بأنهم كانوا عن الآيات غافلين ، والغفلة على مذاهبكم

من فعله ، لأنها السهو أو ما جرى مجراه مما يناق العلم الضرورية ، ولا تكايف على الساهى فكيف يذم بذلك ؟ .

قلنا: المرادها هنا بالغفلة التشبيه لالحقيقة ، ووجه التشبيه أنهم للأعرضوا عن تأمل آيات الله تعالى ، والانتفاع بها أشبهت حالهم حال من كان ساهيا غافلاً عنها ، فأطلق عليهم هذا القول كما قال تعالى : ﴿ صُمُّ بُكْمٌ عُمى ﴾ ؛ [البقرة : ١٨] ، على هذا المعنى ، وكما يقول ٥ أحدنا لمن يستبطئه ويصفه بالإعراض عن التأمل والتبش : أنت ميت وراقد ، ولا تسمع ، ولا تبصر ، وما أشبه ذلك ، وكل هذا واضح بحمد الله .

مكتبة
التورث والارن الوطية



تَأْوِيلُ خَبَرِ

إن سأل سائل عن الخبر المروي عن عبد الله بن عمر أنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول : « إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن ، يصرفها كيف شاء » (١) ثم يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله عند ذلك : « اللهم مصرف القلوب ، صرف قلوبنا إلى طاعتك » . وعمّا يرويه أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « ما من قلب آدمي إلا وهو بين إصبعين من أصابع الله تعالى ، فإذا شاء أن يُثبته ثبته ، وإن شاء أن يقلبه قلبه » . وعمّا يرويه ابن حوشب قال : قيل (٢) لأم سامة زوج النبي صلى الله عليه وآله : ما كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وآله ؟ قالت : كان أكثر دعائه : « يا مقلب القلوب ، ثبت قلبي على دينك » ، قالت : قلت : يارسول الله ، ما أكثر دعائك (٣) : « يا مقلب القلوب ، ثبت قلبي على دينك » ! فقال : « يا أم سامة ، ليس من آدمي إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله ، ما شاء أقام ، وما شاء أزاع » .

[١٠٦] فقال : ما تأويل هذه الأخبار على ما يطابق التوحيد وينفي التشبيه ؟ أو ليس من مذهبكم أن الأخبار التي يخالف ظاهرها الأصول ، ولا تطابق العقول لا يجب ردّها ، والقطع على كذب روايتها (٥) إلاّ بعداً لا يكون لها في اللغة مخرج ولا تأويل ؟ وإن كان لها ذلك فباستكراه أو تمسّف ، ولستم ممن يقول ذلك في مثل هذه الأخبار ، فما تأويلها ؟ .

١٥ الجواب ، إن الذي يعول عليه من تكلم في تأويل هذه الأخبار هو أن يقول : إن الإصبع في كلام العرب وإن كانت الجارحة المخصوصة فهي أيضاً الأثر الحسن ؛ يقال : لفلان على ماله وإبله إصبع حسنة ؛ أي قيام وأثر حسن ؛ قال الراعي يصف راعياً حسن القيام على إبله :

(١) ف ، حاشية ت (من نسخة) : « يشاء » . (٢) ت ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة)

« اصرف » . (٣) ت ، ف : « قلت لأم سامة » . (٤) ت ، د ، ف : « أكثر دعائك » .

(٥) ج ، ش : « كذب روايتها » ، ت ، ف « كذبها » .

ضَعِيفُ الْعَصَا بِإِدْيِ الْعُرُوقِ تَرَى لَهُ
وَقَالَ طَفِيلُ الْغَنَوِيِّ يَصِفُ فَحْلًا :

كَمَيْتٌ كَرُّ كُنِّ الْبَابِ أَحْيَا بَنَاتِهِ
وَقَالَ لَبِيدُ بْنُ رَيْبَةَ :

٥ مَنْ يَبْسُطِ اللَّهُ عَلَيْهِ إِصْبَعًا (٣)
بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ بَأْيٍ أَوْلَمَا
يَمْلَأُ لَهُ مِنْهُ ذَنُوبًا مُتْرَعًا

وَقَالَ حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ :

أَغْرُ كُلُّونِ الْبَدْرِ فِي كُلِّ مَنْكِبٍ
وَقَالَ آخَرُ :

١٠ وَأَرْزَنَاتٍ لَيْسَ فِيهِنَّ أَبْنُ
ذُو إِصْبَعٍ فِي مَسِّهَا وَذُوفِطَنُ
وَقَالَ آخَرُ :

أَكْرَمُ نِزَارًا وَسَمِعَهُ الْمُشْعَمَاءَ
حَدًّا وَجُودًا وَتَدَى وَإِصْبَعًا (٤)

وَالِإِصْبَعُ فِي كُلِّ مَا أوردناه المراد بها الأثرُ الحسنُ والتَّعَمَّةُ ، فيكون المعنى : ما من

١٥ آدميٍّ إلا وقلبه بين نعمتين لله جليلتين حسنيتين .

فإن قيل : هذا قد ذكر كما حكيم ؟ إلا أنه لم يفصل : ما نعمتان ؟ وما وجه التثنية ؟

هاهنا ونعم الله تعالى على عباده كثيرة لا تحصى ؟

(١) البيت في اللآلئ ٥٠ ، ٧٦٤ ، والاسان (عصا) ؛ وضعيف العصا كناية عن الرفق بما يرعاه ،

والعرب تعيب الرعاء بضرب الإبل ؛ لأن ذلك عنف بها وقلة رفق . (٢) ديوانه : ٥٢ ، وفي حاشية ت

(من نسخة) : « واستحشمتهن » ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف أيضا : « الحش : الجمع ، وقد

شمس [بفتحين] ؛ فيمكن أن يكون « استحش » في البيت من هذا ، واستحشش ، أي غضب ، غير

متعد « وفي حاشية الأصل أيضا : « استحشمتهن : أصلحتهن ؛ من قولهم : حمشت الدابة إذا صلحت ؛

عن النضر بن شميل » . (٣) ديوانه : ٨ : ٢ . (٤) حاشية ف : « قوله : « حدًّا » ، قيل

به أراد البأس ، وقيل : المنع » ، وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « جدًّا » .

[١٠٦] / قلنا : يحتمل أن يكون الوجه في ذلك نِعَم الدنيا ونِعَم الآخرة ، وثناهما لأنهما كالجنسين أو كالتوعين ، وإن كان كل قبيل منهما في نفسه ذا عدد كثير ؛ لأن الله تعالى قد أنعم على عباده بأن عرفهم بأدلته وبراهينه ما أنعم به عليهم ، من نعم الدنيا والآخرة ، وعرفهم ما لهم في الاعتراف بذلك والشكر عليه والثناء به من الثواب الجزيل ، والبقاء في النعيم الطويل .

ويمكن أن يكون الوجه في تسميتهم للأثر الحسن بالإصبع هو من حيث يشار إليه بالإصبع إعجاباً به ، وتنبها عليه ؛ وهذه عادتهم في تسمية الشيء بما يقع عنده ، وبما له به عُقْلَةٌ ، وقد قال قوم في بيتي طفيلٍ والراعي : إنهما أرادا أن يقولوا «يداً» في مكان «إصبع» ؛ لأن اليد النعمة ، فلم يمكنهما ، فعدلا عن اليد إلى الإصبع ، لأنها من اليد .

١٠ وفي الإصبع الجارحة ثمان لغات : أَصْبَع بفتح الألف والباء ، وَأَصْبَع ، بفتح الألف وكسر الباء ، وَأَصْبَع بضم الألف والباء ، وَأَصْبَع بضم الألف وفتح الباء ، وَأَصْبوع ، بضم الألف مع الواو ، وإصْبِع ، بكسر الألف والباء ، وإصْبَع ، بكسر الألف وفتح الباء ، وإصْبَع بكسر الألف وضم الباء .

وفي هذه الأخبار وجه آخر ؛ هو أوضح مما ذكر ، وأشبه بمذاهب العرب في ملاحن كلامها ، وتصرف كناياتها ؛ وهو أن يكون المعنى في ذكر الأصابع الإخبار عن تيسر تصريف القلوب وتقليبها ، والفعل فيها عليه جلت عظمتها ، ودخول ذلك تحت قدرته . ألا ترى أنهم يقولون : هذا الشيء في خنصرى وإصبعى ، وفي يدي وقبضتي ؛ كل ذلك إذا أرادوا تسهله وتيسره وارتفاع المشقة فيه ، والمؤنة^(١) .

وعلى هذا المعنى يتأول المحققون قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ ، [الزمر : ٦٨] ؛ فكأنه صلى الله عليه وآله لما أراد المبالغة

(١) ت : «المؤنة» .

في وصفه بالقدرة على تقلب القلوب وتصريفها بغير مشقة ولا كلفة - وإن كان غيره تعالى يعجز عن ذلك، ولا يَتَمَكَّنُ منه - قال: إنها بين أصابعه؛ كنايةً عن هذا المعنى، واختصاراً للفظ الطويل، وجرياً على مذهب العرب في إخبارهم عن مثل هذا المعنى بمثل هذا اللفظ؛ وهذا الوجه يجب أن يكون مقدماً على الوجه الأول ومعمداً؛ لأنه واضح جلي.

ويمكن أن يكون في الخبر وجه آخر على تسليم ما يقترحه المخالفون، / من أن [١٠٧] الإصبعين هما المخلوقتان من اللحم والدم؛ استظهاراً في الحجّة، وإقامة لها على كل وجه؛ وهو أنه لا ينكر أن يكون القلب يشتمل عليه جسمان على شكل الإصبعين، يحركه الله تعالى بهما، ويقام بهما بالفعل فيهما؛ ويكون وجه تسميتهما بالأصابع من حيث كانا^(١) على شكلهما. والوجه في إضافتهما إلى الله تعالى - وإن كانت جميع أفعاله تُضاف إليه بمعنى الملك والقدرة - أنه^(٢) لا يقدر على الفعل فيهما وتحريكهما منفردين عما^(٣) جاورها غيره تعالى؛ فليل إصبعان له؛ من حيث اختصّ بالفعل فيهما على هذا الوجه؛ لأن غيره إنما يقدر على تحريك القلب، وما هو مجاوز للقلب من الأعضاء بتحريك جملة الجسم، ولا يقدر على تحريكه وتصريفه منفرداً مما يجاوره غيره تعالى؛ فمن أين للمبطلين المتأولين هذه الأخبار بأهوائهم وضعف آرائهم أن الأصابع هاهنا إذا كانت لحمًا ودمًا فهي جوارح لله تعالى! وما هذا الوجه الذي ذكرناه ببعيد؛ وعلى التأول أن يورد كل ما يحتمله الكلام؛ ١٥ مما لا تدفعه حجة، وإن ترتب بفضله على بعض في القوة والوضوح.

ونحن نعود إلى تفسير ما لعله أن يشتهيه من الأبيات التي استشهدنا بها.
أما قوله:

* حَدًّا^(٤) وَجُودًا وَنَدَى وَإِصْبَعًا *

٢٠

فمعنى الحد: المضاء والنفاذ.

(١) ت: «من حيث كانتا». (٢) ت: «فإنه». (٣) ف، حاشية (من نسخة): «مما».

(٤) حاشية ت (من نسخة): «جدا».

وقول الآخر :

* وَأَرْزَنَاتٍ لَيْسَ فِيهِنَّ أُبْنٌ *

فالأرزانات المصبي ، والأبن العقْد .

فأما قول حميد بن ثور: « في كل منكبٍ من الناس » ، فالمنكب: الجماعة ، والمنكب:

٥ الناحية .

وأما معنى أبيات^(١) لبديد، فإنه أراد : مَنْ يَسْتَقِ اللهُ إِلَيْهِ خَيْرًا ، أَوْ يَصْرِفُ عَنْهُ شَرًّا
يُهِمَا فَعَلَ ذَلِكَ بِهِ أَسْبَغَ لَهُ حَتَّى يَنْتَهَى مِنْهَا .

فأما بيت طفيل الغنوي ، فمعناه أن هذا الفحل الذي وصفه بأنه كميث ، وأنه
كرُّ كُنِ الباب لتمامه وشدته لما ضرب في الإبل التي وصفها عاشت أولادها التي هي بناته
١٠ بعد أن كُنَّ مقاتلت ، والمقاتل : التي لا يعيش لهنّ ولد ، فكان هذا منه أثرًا جميلًا عليها .

فأما بيت الراعي فمعنى قوله : « ضعيف العصا » يريد أنه قليل الضرب لها ؛ إما لأنهن

لا يُجَوِّجَنَّهُ سَدَادًا وَتَادِبًا ، أَوْ لشفقته عليهن ؛ وهذه كناية في نهاية الحسن ، واختصارًا

[١٠٧] شديد ؛ لأنه قد يجوز أن يكون ضعيف العصا على الحقيقة من حيث لا يحتاج إلى استمالتها /
ط

في الضرب ، فيختارها قوية ، ويجوز أن يكون حذف ، وأراد ضعيف فعل العصا .

١٥ وقوله : « بادي العروق » يعني عروق رجله لفسادها من السعى في أثر هذه الإبل . وأراد

« بالإضبع » أن له عليها في جذب الناس أثرًا جميلًا لحسن قيامه وتمهده .

وقد قيل إنه إنما سُمِّيَ الراعي لبيت قاله في هذه القصيدة بعد بيتين من البيت الذي

أنشدناه ، وهو :

لَهَا أَمْرُهَا حَتَّى إِذَا مَا تَبَوَّأَتْ بِأَخْفَافِهَا مَأْوَى تَبَوَّأَ مَضْجَعًا^(٢)

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « بيت لبديد » . (٢) اللآلي : ٧٦٤ ؛ والرواية هناك :

« لأخفافها » .

وهذا قول الأصمعي . وقال السكري : سُمِّيَ بذلك لقوله في هذه القصيدة أيضا :
هَدَانُ أَخُو وَطْبٍ وَصَاحِبُ عُلبَةٍ يَرَى الْمَجْدَ أَنْ يَلْتَقَى خَلَاءَ وَمَرْتَعًا (١)

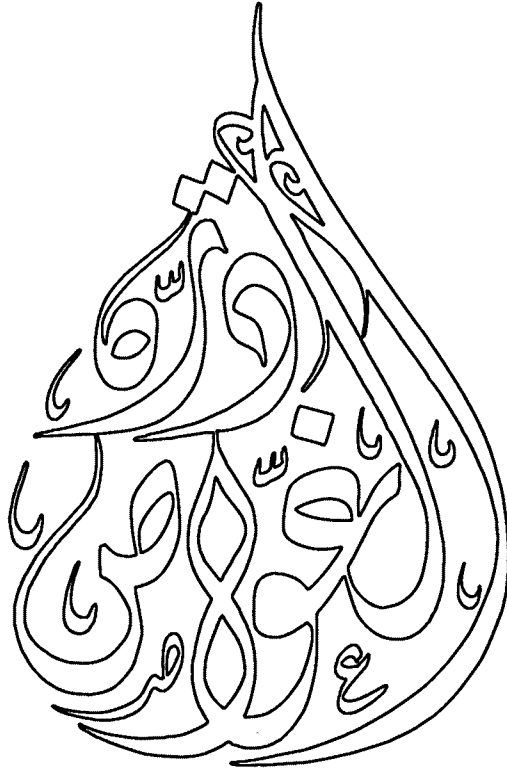
وروي عن بعض بني نُمَيْرٍ أنه قال : إنما سُمِّيَ بذلك لقوله :

بُنَيْتَ مَرَاقِفَهُنَّ فَوْقَ مَزَلَّةٍ لَا يَسْتَطِيعُ بِهَا الْقُرَادُ مَقِيلًا (٢)

فقال بعض بني نُمَيْرٍ لَمَّا سَمِعَ هَذَا الْبَيْتَ : وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا رَاعِي إِبِلٍ ، فَبَقِيَتْ عَلَيْهِ . هـ

وقال محمد بن سلام : ” إنما (٣) سُمِّيَ الرَّاعِي لِكثْرَةِ وَصْفِهِ الْإِبِلَ وَحَسَنِ نَعْتِهِ لَهَا “ ؛ وَاسْمُهُ عُبَيْدٌ

ابن حُصَيْنٍ بن جَنْدَلٍ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو جَنْدَلٍ ، وَقِيلَ أَبُو نُوحٍ .



(١) الهدان : الأحق الثقيل ، والعلبة : حلب من جلد . (٢) جمهرة الأشعار : ٣٥٣ ،

واللسان (زل) ، والزرلة : موضع الزلل والانزلاق . (٣) طبقات الشعراء : ٢٥٠ .

مَجْلِسُ آخِرٍ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

بن سأل سائل^١ عن قوله تعالى : ﴿ تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ ؛
[المائدة : ١١٦] .

فقال : ما المرادُ بالنفس في هذه الآية ؟ وهل المعنى فيها كالعنى في قوله : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ ؛ [آل عمران : ٢٨] أو يخالفه ؟ وهل يطابق معنى الآيتين والمراد بالنفس فيهما
٥ ما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : قال الله تعالى : « إِذَا أَحَبَّ الْعَبْدُ لِقَائِي أَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ ، وَإِذَا ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِذَا ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُ ، وَإِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَيْئًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا » ، أو لا يطابقه ؟

الجواب ، قلنا : النفس في اللغة لها معانٍ مختلفة ، ووجوه في التصرف متباينة ؛
١٠ فالنفس نفس الإنسان وغيره من الحيوان ، وهي التي إذا فقدتها خرج عن كونه حيًّا ،
ومنه قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ ؛ [آل عمران : ١٨٥] .

[١٠٨] والنفس ذات الشيء الذي يخبر / عنه كقولهم : فعل ذلك فلان نفسه ؛ إذا تولى فعله .
ووالنفس : الأنفة ، من قولهم ليس لفلان نفس ، أي لا أنفة له .

والنفس الإرادة ، من قولهم نفس فلان في كذا ، أي إرادته ؛ قال الشاعر :
١٥ فنفساي نفس قالت ايت ابن بجدل تجيد فرجا من كل غمي تهابها (١)
ونفس تقول اجهد نجاك لا تكن نخاضية لم يغن شيئاً خضابها (٢)

(١) البتآن في اللسان (نفس) . . (٢) ت : « عنها خضابها » ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ،
ف : « لم يغن يوما » .

ومنه أن رجلاً قال للحسن: يا أبا سعيد، لم أحجج قط، فنفس تقول لي: حج، ونفس تقول لي: تزوج، فقال الحسن: إنما النفس واحدة، ولكن لك هم يقول حج، وهم يقول: تزوج، وأمره بالحج.

وقال المزيق^(١) العبدى - وتروى لمعمر بن حمار البارقي:

• الأمان لعين قد نأها حميمها وأرقني بعد المنام همومها
فباتت لها نفسان شتى همومها فنفس تعزيها ونفس تلومها

وقال النمر بن تولب العكلى:

أما خليلي فإني لست معجله حتى يؤامر نفسه كما زعم
نفس له من نفوس القوم صالحة تعطى الجزيل ونفس ترضع الغما^(٢)

أراد أنه بين نفسيين: نفس تأمره بالجد، وأخرى تأمره بالبخل، وكنى برضاع الغنم ١٠ عن البخل، لأن اللثيم يرضع اللبن من الشاة ولا يحلبها؛ لئلا يسمع الضيف صوت الشخب فيهدى إليه، ومنه قيل: لثيم راضع؛ وقال كثير:

فأصبحت ذا نفسيين نفس مريضة من اليأس ما ينفك هم يودها^(٣)
ونفس ترجى وصلها بعد صرمها تجمل كي يزداد غيظاً حسودها

والنفس العين التي تصيب الإنسان، يقال: أصابت فلاناً نفس، أي عين. ورؤى ١٥

(١) حواشى الأصل، ت، ف: «المزيق»، بكسر الزاى وفتحها، كلاهما جائز؛ الكسر لأنه أتى بذكر التزيق في شعره، والمزيق بالفتح؛ لأنه قال: «لما أمزق»، وقال أبو القاسم الأمدى: المزيق، بفتح الزاى هو شأس بن نهار العبدى، الذى قال: «ولما أمزق»، والمزيق، بكسرها هو المزيق الحضرمي، متأخر، وولده المزيق بن المزيق، ذكره في المختلف والمؤتلف.

وانظر ص ١٨٥-١٨٦؛ والبيت الذى يشير إليه هو بتمامه:

فإن كنت ما كولا فكن خير آكل وإلا فأدر كنى ولما أمزق

من قصيدة يخاطب فيها عمرو بن المنذر بن عمرو بن النعمان، وكان هم بغزو عبد القيس.

(٢) البيتان في الأغاني ١٩: ١٦١. (٣) ديوانه: ١: ٧٥.

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يَرُقِّي فَيَقُولُ : « بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ ، وَاللَّهُ يَشْفِيكَ ، مِنْ كُلِّ دَاءٍ هُوَ فِيكَ ؛ مِنْ عَيْنِ عَائِنٍ ، وَنَفْسِ نَافَسٍ ، وَحَسَدِ حَاسِدٍ » .

[١٠٨] وقال ابن الأعرابي : النَّفُوسُ الَّتِي يُصِيبُ النَّاسَ بِالْمَعِينِ / وَذَكَرَ رَجُلًا فَقَالَ : كَانَ وَاللَّهِ حَسُودًا نَفُوسًا كَذُوبًا . وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسِ الرَّقِيَّاتِ (١) :

يَتَقَى أَهْلَهَا النَّفُوسَ عَلَيْهَا فَعَلِيَ نَحْرَهَا الرَّقِيَّ وَالتَّمِيمُ ٥

وقال مضر بن ربيعة الفقعسي :

وَإِذَا تَمَوْا ضَعُودًا فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ مِنْهَا الْخَبَالُ وَلَا نَفُوسُ الْخُسَدِ (٢)

وقال ابن هرمة يمدح عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك :

فاسلم سَلِمَتَ مِنَ الْمَكَارِهِ وَالرَّدَى وَعِثَارِهَا وَوُوقِتَ نَفْسَ الْخُسَدِ

١٠ والنفس أيضا من الدِّبَاغِ بِمَقْدَارِ الدَّبْعَةِ ؛ تقول : أُعْطِنِي نَفْسًا مِنْ دِبَاغٍ ، أَيْ قَدَرَ مَا أُدْبِغُ بِهِ مَرَّةً .

والنفسُ الغيبُ ، يقول القائل : إِنِّي لِأَعْلَمُ نَفْسَ فُلَانٍ ، أَيْ غَيْبَهُ ؛ وَعَلَى هَذَا تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ ، أَيْ تَعَلَّمَ غَيْبِي وَمَا عِنْدِي ، وَلَا أَعْلَمُ غَيْبِكَ .

١٥ وقيل : إِنَّ النَّفْسَ أَيْضًا الْعُقُوبَةَ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : أَحْذَرَكَ نَفْسِي ؛ أَيْ عَقُوبَتِي ؛ وَبَعْضُ الْمَفْسَّرِينَ حَمَلَ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ وَيُحْذِرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى ؛ كَأَنَّهُ يَحْذِرُكُمْ عَقُوبَتَهُ . وَرَوَى ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ وَآخَرُونَ ؛ قَالُوا : مَعْنَى الْآيَةِ وَيَحْذِرُكُمْ اللَّهُ إِيَّاهُ . وَقَدْ رَوَى عَنِ الْحَسَنِ وَمُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ التَّأْوِيلِ بِعَيْنِهِ .

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : « قيل له ابن قيس الرقيات ؛ لأنه كان يشبب بجماعة كل واحدة منهن

اسمه رقية ؛ وقيل : كانت له جدات ؛ اسم كل واحدة منهن رقية » .

(٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : « يقال هذا نبات ينمى صعدا ؛ أي يزداد طولاً » .

فإن قيل : ما وجهُ تسمية الغيب بأنه نفس ؟ قلنا : لا يمتنع أن يكون الوجه في ذلك أن نفس الإنسان لما كانت خفيّة الموضع نُزِّلَ ما يكتمه ويجهد في ستره منزلتها ، وسمّي باسمها ، فقيل فيه إنه نفسه ، مبالغةً في وصفه بالكتمان والخفاء ؛ وإنما حَسُنَ أن يقول تعالى مخبراً عن نبيه: ﴿ وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ من حيث تقدم قوله : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي ﴾ ؛ ليزدوج الكلام ، ولهذا لا يحسن ابتداءً أن يقول : أنا لا أعلم ما في نفس الله تعالى ، وإن حَسُنَ على الوجه الأول ؛ ولهذا نظائر في الاستعمال مشهورة مذكورة .

فأما الخبر الذي ذكره السائل فتأويله ظاهر ، وهو خارج على مذهب للعرب في مثل هذا الباب معروف ؛ ومعناه أن مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ جَازِيَتُهُ عَلَى ذِكْرِهِ لِي ، وَإِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا جَازِيَتُهُ عَلَى تَقَرُّبِهِ إِلَيَّ ؛ وكذلك الخبر إلى آخره ، / فسمّي المجازاة على الشيء باسمه [١٠٩] اتساعاً ، كما قال تعالى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ ، [الشورى : ٤٠] ؛ ﴿ وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ ﴾ ؛ [الأنفال : ٤٠] ، ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ ، [البقرة : ١٥] ؛ وكما قال الشاعر^(١) :

أَلَا لَا يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا

ونظائر هذا كثيرة في كلام العرب . ولما أراد تعالى المبالغة في وصف ما يفعله به من الثواب والمجازاة على تقرُّبه بالكثرة والزيادة ؛ كُنِيَ عن ذلك بذكر المسافة المتضاعفة فقال : « باعاً ١٥ وذرأعاً » ، إشارة إلى المعنى من أبلغ الوجوه وأحسنها .

(١) هو عمرو بن كلثوم ؛ والبيت من المعلقة ص ٢٣٨ - بشرح التبريزي .

مَجْلِسٌ آخِرٌ تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل فقال: ما تأويل قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ، وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ، وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا ﴾ ؛ [الأحزاب : ١٠] .

وكيف يجوز أن تبلغ القلوب الحناجر مع كونهم أحياء ، ومعلوم أن القلب إذا زال عن موضعه المخلوق فيه مات صاحبه ؟ وعن أى شيء زاغت الأبصار ؟ وبأى شيء تعامت ظنونهم بالله تعالى ؟ .

الجواب ، قيل له في هذه الآية وجوه :

منها أن يكون المراد بذلك أنهم جبنوا وفزع أكثرهم لما أشرف المشركون عليهم ، وخافوا من بوائقهم وبوادهم ، ومن شأن الجبان عند العرب إذا اشتد خوفه أن تنتفخ رئته ، ولهذا يقولون للجبان : انتفخ سحره ، أى رئته ، وليس يمتنع أن تكون الرئة إذا انتفخت رفعت القلب ، ونهضت به إلى نحو الحنجرة . وهذا التأويل قد ذكره الفراء وغيره ، ورواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس .

ومنها أن القلوب توصف بالوجيب والاضطراب في أحوال الجزع والهلع ؛ قال الشاعر:

كَأَنَّ قُلُوبَ أَدْلَائِيَا مُعَامَّةٌ بِقُرُونِ الطَّبَّاءِ (١)

(١) الأدلاء : جمع دليل ؛ والبيت في وصف فلاة مخيفة ، ذكره ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ص ٤٨٨ ، ونسبه إلى المرار ، وقال في شرحه : « يريد أن القلوب تنزو وتجب ؛ فكأنها معلقة بقرون الطباء ؛ لأن الطباء لا تستقر ؛ وما كان على قرونها فهو كذلك » .

وقال امرؤ القيس :

وَلَا مِثْلَ يَوْمٍ فِي قُدَارَانَ ظَلَّمْتُهُ كَأَنِّي وَأَصْحَابِي عَلَى قَرْنِ أَعْفَرَا^(١)

ويروى : « في قُدَارَ ظَلَّمْتُهُ »؛ أراد المبالغة في وصف نفسه وأصحابه بالقلق والاضطراب ومفارقة/السكون والاستقرار ؛ وإنما خصَّ الظبي ؛ لأن قرنه أكثرُ تحركاً واضطراباً ؛ [١٠٩] ظ
لنشاطه ومَرَّحه وسُرْعته .

وقد قال بعض الناس : إن امرأ القيس لم يصف شدةً أصابته في هذا البيت فيليق قوله :
« على قرنِ أعفرا » بالتأويل المذكور؛ بل ووصف أما كنَ كان فيها مسرورا متنعماً؛ ألا ترى إلى
قوله قبل هذا البيت بلا فصل :

أَلَا رَبَّ يَوْمٍ صَالِحٍ قَدْ شَهِدْتُهُ بِتَأْدِيفِ ذَاتِ التَّلِّ مِنْ فَوْقِ طَرَطْرَا^(٢)

فيكون معنى قوله : « على قرنِ أعفرا » على هذا الوجه أنه كان على مكان عال مُشرف؛ ١٠
شبهه لارتفاعه وطوله بقرنِ الظبي ؛ وهذا القول لابن الأعرابي والأول^(٣) للأصمعي ؛ فأما
قول الآخر :

أَلَا قَلَّ خَيْرُ الشَّامِ^(٤) كَيْفَ تَغَيَّرَا فَأَصْبَحَ يَرْمِي النَّاسَ عَنِ قَرْنِ أَعْفَرَا

فلا يحتمل إلا الشدة والحال المذمومة ، ويجوز أن يريد أن الناس فيه غير مطمئنين بل
هم منزعمون قلقون ؛ كأنهم على قرن ظبي ، ويحتمل أنه يريد أن يطعنهم بقرن ظبي ، كقولك : ١٥
رماه بداهية ، ويكون معنى « عن » هاهنا معنى الباء ، فقال : « عَنِ قَرْنِ أَعْفَرَا » وهو
يريد بقرنِ أعفرا ، وقد ذكر في هذا البيت الوجهان معاً ، فيكون معنى الآية على هذا التأويل
أن القلوب لما اتصل وجيبتها واضطرابها بلغت الحناجر لشدة القلق .

(١) ديوانه : ١٠٦ . قداران : قرية بالشام ؛ وأعفر ؛ أراد قرن ظبي أعفر . وفي حواشي الأصل ،
ت ، ف : « في نسخة الوزير الكامل أبي القاسم المغربي رحمه الله : « قداران » ، بالنال المعجمة وفتح
القاف ، وضب عليه . (٢) في حاشية ت : « طرطر : قرية بالشام بمنبج ، ولها نهر يقال له نهر
طرطر » . وفي شرح الديوان : ناذف وطرطر : موضعان فيهما أوقع بعدوه .
(٣) حاشية ت (من نسخة) : « والآخر » . (٤) ت ، ف : « الشان » .

ومنها أن يكون المعنى: كادت القلوب من شدة الرعب والخوف تبلغ الحناجر، وإن لم تبلغ في الحقيقة، فألغى ذكر «كادت» لوضوح الأمر فيها، ولفظة «كادت» هاهنا للمقاربة؛ مثل قول قيس بن الخطيم:

أَتَعْرِفُ رَسْمًا كَأَطْرَادِ الْمَذَاهِبِ لِعَمْرَةٍ وَخَشَاءٍ غَيْرِ مَوْقِفٍ رَاكِبٍ (١)

ديار التي كادت ونحن على منى تحل بنا لولا نجاء الركائب

معناه: قاربت أن تحل بنا، وإن لم تحل في الحقيقة.

وقوله: «غير موقف راكب» فيه وجهان: أحدهما أنه ليس بموضع يقف فيه راكب لخلوه من الناس ووحشته، والآخر أن يكون أراد أنه وحش؛ إلا أن راكباً واقف به؛ يعني نفسه. وقال نصيب:

[١١٠] /وقد كدت يوم الحزن لما ترنمت
أموت لمبكاها أسى إن لوعتي (٢)

هتوف الضحى محزونة بالترنم
ووجدى بسعدى شجوه غير منجم (٣)

معنى المنجم: المقلع.

وقال ذو الرمة:

وقفت على ربيع ليمية ناقتي
وأستقيه حتى كاد مما أبته (٥)

فازلت أبكى عنده وأخطبه (٤)
تكلمني أحجاره وملاعبه

(١) ديوانه: ١٠٠، والرسم: ماشخص من آثار الديار بعد البلى، والمذاهب: جمع مذهب؛ وهى جلود تجعل فيها خطوط فيرى بعضها في أثر بعض، وأطرادها: تتابعها.
(٢) ف، حاشية ت (من نسخة): «لوعتي». (٣) فى حواشى الأصل، ت، ف: «فى ديوانه»

* وَوَجِدَى بِسَعْدَى قَاتِلٍ لى فاعلى *

وبعده:

ولو قبل مبكاها بكيت صباية
ولكن بكت قبل فهيج لى البكا

بسعدى شفيت النفس قبل التندم
بكاها، فقلت: الفضل للمتقدم

(٤) ديوانه: ٣٥. (٥) فى حواشى الأصل، ت، ف: «يقال بئته السر وأبئته».

وكل هذا معنى « كاد » فيه المقاربة.

ومتى أدخلت العرب على « كاد » جحداء، فقالوا: ما كاد عبد الله يقوم، ولم يكّد عبد الله يقوم؛ كان فيه وجهان:

أجودها: قام عبد الله بعد إبطاء ولأى، ومثله قوله تعالى: ﴿فَدَبَّحُوا بِخُوْهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾؛ [البقرة: ٧١]، أى ذبحوها بعد إبطاء وتأخير، لأن وجدان البقرة عسر عليهم. ٥
وروى أنهم أصابوها ليتيم لا مال له غيرها، فاشترىوها من وليه بملء جلدتها ذهباً، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾، إما لأنهم لم يقفوا عليها، أو لفلاؤها وكثرة ثمنها.

والوجه الآخر في قولهم: ما يكاد عبد الله يقوم، أى ما يقوم عبد الله، وتكون لفظه يكاد على هذا المعنى مُطَرَّحَةً لَا حُكْمَ لَهَا، وعلى هذا يحتمل أكثر المفسرين قوله تعالى: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا﴾، أى لم يرها أصلاً؛ لأنه جل وعز لما قال: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾؛ [النور: ٤٠]، كأن بعض هذه الظلمات يحول بين العين وبين النظر إلى اليد وسائر المناظر؛ ﴿يَكِدْ﴾ على هذا التأويل زيدت للتوكيد، والمعنى: إذا أخرج يده لم يرها. وقال قوم: معنى الآية: إذا أخرج يده رآها بعد إبطاء وعسر؛ لتكاثف الظلمة^(١)، وترادف الموانع من الرؤية؛ ﴿يَكِدْ﴾ على هذا الجواب ليست بزائدة.

١٥ وقال آخرون: معنى الآية إذا أخرج يده لم يرد أن يراها، لأن الذى شاهده من تكاثف الظلمات أياسه^(٢) من تأمل يده، وقرّر في نفسه أنه لا يدركها ببصره. وحكى عن العرب: أولئك أصحابي الذين أكاذ أنزل عليهم، أى أريد أن أنزل عليهم؛ قال الشاعر:
كادت وكادت وتلك خير إرادة لو عاد من لهو الصبابة ما مضى^(٣)
/ أى أرادت وأردت، وقال الأفوه الأودي:

[١١٠]
ظ

(١) ف: «الظلمات»، حاشية ت (من نسخة): «الظلم». (٢) ت، حاشية ف (من نسخة): «آيسه». (٣) ديوانه: ١٠ (ضمن مجموعة الطرائف). (٤) البيت في اللسان (كيد).

فَإِنْ تَجْمَعُ أوتَادٌ وَأَعْمِدَةٌ وَسَاكِرٌ بَلَّغُوا الأَمْرَ الَّذِي كَادُوا
أى أرادوا .

وقال بعضهم : معنى قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾ ؛ [يوسف : ٧٦] ،
أى أردنا ليوسف .

٥ وقال السكبي عن أبي صالح عن ابن عباس : معناه كذلك صنعنا ليوسف .

ومما يشهد لمن جعل لفظة ﴿ يَكْدُ ﴾ زائدة في الآية قول الشاعر :
سَرِيعٌ إِلَى الهَيْجَاءِ شَاكٍ سِلَاحُهُ فَمَا إِنْ يَكَادُ قِرْنُهُ يَتَنَفَّسُ
أى فَمَا إِنْ يَتَنَفَّسُ قِرْنُهُ ، و« يكاد » مزيدة للتوكيد ، وقال حسان :
وَتَكَادُ تَكْسَلُ أَنْ تَجِيَّ فِرَاشَهَا فِي جِسْمِ خَرَعَبَةٍ وَحُسْنِ قَوَامِ
معناه وتكسل أن تجيئ فراشها ، وقال الآخر :

١٠ وَأَلَّا أَلُومُ النَّفْسِ فِيمَا أَصَابَنِي وَأَلَّا أَكَادُ بِالَّذِي نَلْتُ أَنْجِحُ
أى لا أنجح بالذى نلت ؛ ولو لم يكن الأمر على هذا لم يكن البيت مدحاً .

وروى عبد الصمد بن المنذر بن غيلان عن أبيه عن جدّه غيلان^(١) قال : قدم علينا
ذوالرّمة الكوفة ، فأنشدنا بالكُناسة - وهو على راحلته - قصيدته الحائية؛ التي يقول فيها :

١٥ إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ يَكْدُ رَسِيسُ الهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ
فقال له عبد الله بن شبرمة^(٢) : قد برح ياذا الرّمة ، ففكر ساعة ثم قال :

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ أُجِدْ رَسِيسَ الهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ

قال : فأخبرت أبا بما كان من قول ذى الرّمة واعتراض ابن شبرمة عليه ، فقال :

(١) حاشية ت (من نسخة) : « عيلان » ، وفيها : « وفي نسختين صحيحتين من ديوانه : غيلان »

(٢) ديوانه : ٧٨ . (٣) حواشي الأصل ، ت ، ف : « هو شبرمة بن الطفيل » بكسر الطاء

وسكون الفاء ، الذى يقول :

ويومٍ كظلل الرّيحِ قَصَرَ طَوْلَهُ دَمُ الزَّقِّ عَنَّا وَاصْطَفَاقُ المَزَاهِرِ

والبيت من أبيات ثلاثة ، ذكرها أبو تمام في الحماسة - بشرح التبريزي ٣ : ٢٣٦ .

أخطأ ذوالرثمة في رجوعه عن قوله الأول ، وأخطأ ابن شبرمة في اعتراضه عليه ؛ هذا كقوله عز وجل : ﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا ﴾ ، أى لم يرها .

فأما قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا ﴾ ؛ [طه : ١٥ -] ، فيحتمل أن يكون المعنى : أريد أخفيها لكي تجزى كل نفس بما تسعى . ويجوز أن تكون زائدة ويكون / المعنى إن الساعة آتية أخفيها لتجزى كل نفس . وقد قيل فيه وجه آخر ؛ وهو [١١١] أن يتم الكلام عند قوله تعالى : ﴿ آتِيَةٌ أَكَادُ ﴾ ، ويكون المعنى : أكاد آتى بها ، ويقع الابتداء بقوله ﴿ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ ﴾ ؛ ومما يشهد لهذا الوجه قول ضابي البرمجي :
هَمَمْتُ ولم أفعَلْ وكِدْتُ وليتني
تَرَكَتْ على عُثْمَانَ تَبْكِي حَالَهُ (١)
أراد : وكدت أقتله ، فحذف الفعل لبيان معناه .

وروى عن سعيد بن جبير أنه كان يقرأ : ﴿ أَكَادُ أَخْفِيهَا ﴾ ، فمعنى أخفيها على هذا الوجه ١٠. أظهرها ؛ قال عبدة بن الطبيب يصف ثوراً :

يَخْفِي التُّرَابَ بِأُظْلَافٍ ثَمَانِيَةٍ فِي أَرْبَعِ مَسْهِنٍ الْأَرْضَ تَحْلِيلُ (٢)

أراد أنه يظهر التراب ويستخرجه بأظلافه ، وقال امرؤ القيس :

فَإِنْ تَدَفِنُوا الدَّاءَ لَا نَخِفْهُ وَإِنْ تَبْعَثُوا الْحَرْبَ لَا تَقْعُدِ (٣)

أى لا نظيره ؛ وقال النابغة :

تَخْفِي بِأُظْلَافِهَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ يُبْسَ الْكَئِيبِ تَدَاعَى التُّرْبُ فَاهْدَمَا (٤)

(١) الشعر والشراء : ٣١٠ . (٢) من قصيدة مفضلية ٢٦٨-٢٩٣ بشرح ابن الأنباري .

وفي حاشية الأصل : « يصف شدة عدو الثور ، وأنه يير الغبار بأظلاف ثمانية وأربع قوائم ؛ مقدار مسهن الأرض تحليل ، أى قول الرجل في يمينه إن شاء الله . وفي حواشي ، ت ، ف أيضا : « التحليل ضد التحريم ؛ يقال : حللته تحليلا وتحلة ؛ ونقول : لم أعمل ذلك إلا تحلة القسم ؛ أى القدر الذي لأحدث معه ، ولم أبالغ فيه ؛ ثم توسع فيه ؛ فقليل السكلى شيء لم يبالغ فيه تحليل ؛ يقال : ضربته تحليلا . »

(٣) مخازن الشعر الجاهلي : ١٣١ . (٤) البيت ليس في ديوانه ، وفي حاشية ت : « ولا يرى القيس

يصف فرساً أخرج البرابيع من حجرتها بعدوه :

خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ كَأَنَّمَا
خَفَاهُنَّ وَدَّقَ مِنْ سَحَابِ مُرْكَبِ

وانظر ديوانه ٨٦ .

وقد روى أهل العربية: أخفيتُ الشيءَ يعني^(١) سترته ، وأخفيته بمعنى أظهرته ، وكانَّ القراءةَ بالضم تحتمل الأمرين : الإظهارَ والسترَ ، والقراءة بالفتح لا تحتمل غيرَ الإظهار ؛ وإذا كانت بمعنى الإظهار كان الكلام في «كاد» واحتمالها للوجه الثلاثة التي ذكرناها كالكلام فيها إذا كانت بمعنى الستر والتغطية .

٥ فإن قيل : فأى معنى لقوله : إني أسترها لتُجزى كلُّ نفس بما تسعى ، أو أظهرها على الوجهين جميعاً ؟ وأي فائدة في ذلك ؟

قلنا : الوجهُ في هذا ظاهر ، لأنه تعالى إذا سترَ عنا وقت الساعة كانت دواعينا إلى فعل الحسنِ والتبسيح مترددة ، وإذا عرَّفنا وقتها بعينه كنا ملجئين إلى التوبة ، بعد مقارفة الذنوب ونقض ذلك الغرض بالتكليف واستحقاق الثواب به ، فصار ما أريد من المجازاة للمكلفين بسعيهم ، وإيصال ثواب أعمالهم بمنع من اطلاعهم على وقت انقطاع التكليف عنهم .
١٠ فأما إذا كانت لفظة ﴿أخفيها﴾ بمعنى الإظهار فوجهه أيضاً واضح ؛ لأنه تعالى إنما يقيم القيامة ، ويقطع التكليف ليجازى كلاً باستحقاقه ، ويوفى مستحقَّ الثواب ثوابه ، ويعاقب المسيء باستحقاقه ، فوضح وجهُ قوله تعالى : ﴿أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ على المعنيين جميعاً .

١٥ قال سيدنا الشريف الأجل المرتضى أطال الله بقاءه : وجدتُ أبا بكر محمد بن القاسم الأنباري يطعن على جواب مَنْ أجاب في قوله : ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ بأن معناه كادت تبلغ الحناجر ، ويقول : «كاد» لا تضمر ، ولا بدَّ من أن يكون منطوقاً بها ، ولو جاز ضميرها لجاز : قام عبدُ الله بمعنى كاد عبد الله يقوم ، فيكون تأويل قام عبد الله لم يقم عبد الله ؛ لأن معنى كاد عبد الله يقوم لم يقم ، وهذا الذي ذكره غير صحيح . ونظنُّ أن الذي حمله على الطعن في هذا الوجه حكايته له عن ابن قتيبة ، لأنَّ من شأنه أن يردَّ كل ما يأتي به ابن

(١) حاشية ت : « أخفيته إذا كان بمعنى أظهرته كانت الألف للسلب ، والمعنى : سلبته الحفاء ؛ مثل شكاني فأشكيتة » .

قتيبة، وإن تصف في الطمن عليه . والذي استبعده غير بعيد ؛ لأن « كاد » قد تضمير في مواضع يقتضيتها بعض الكلام وإن لم تكن في صريحه ؛ ألا ترى أنهم يقولون: أوردت على فلان من العتاب والتوبيخ والتقريع مامات عنده ، وخرجت نفسه ، ولما رأى فلان فلاناً لم يبق فيه روح ، وما أشبه ذلك . ومعنى جميع ما ذكرناه المقاربة ، ولا بد من إضمار « كاد » فيه ، وقال جرير :

إِنَّ الْعِيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا^(١)
 وإنما المعنى أنهم كدوا يقتلنا؛ وهذا أكثر في الشعر والكلام من أن نذكره .

فأما قوله : « يُحْيِينَا قَتْلَانَا » فالأظهر في معناه أنهم لم يُزَلْنِ ما قاربنا عنده الموت والقتل من الصدود والهجر وما أشبه ذلك ، وسمي هذه الأمور حياة كما سمي أضدادها قتلاً ، وقد قيل إن معنى « يُحْيِينَا قَتْلَانَا » أنهم لم يدينا قتلنا ، من الدية ، لأن دية القتل عند العرب كالحياة له ، وقد روى : « ثم لم يُحْيِينَا قَتْلَانَا » ، وهذه رواية شاذة لم تسمع من عالم ولا محصل ومعناها ركيك ضعيف ؛ وإذا كان الأمر على ما ذكرناه لم يمتنع أن يقال : قام فلان بمعنى كاد يقوم ، إذا دلت الحال على ذلك ؛ كما يقال : مات بمعنى كاد يموت .

فأما قوله : « فيكون تأويل قوله : قام عبد الله ، لم يقم عبد الله » خطأ ؛ لأنه ليس معنى كاد يقوم إنه لم يقم / كما ظن بل معنا . أنه قارب القيام ودنا منه ، فمن قال : قام عبد الله وأراد كاد يقوم ؛ فقد أفاد ما لا يفيد لم يقم .

(١) ديوانه: ٥٩٥ ؛ وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « روى أنه وقع الخلاف بين هارون الرشيد وزبيدة في هذا البيت ؛ فكان هارون يقول : « يحيين » ، وزبيدة تقول : هو : « يحين » ، بالجيم والنون ؛ فتخاطرا على ذلك بأني دينار ، ودعوا مسرورا الخادم ، وأعطياه على أن يخرج فيسأل أفضل من بغداد من أهل العلم ؛ فإن صوب قول هارون أعطاه ألفا ، وإن صوب قول زبيدة فألفها ، فخرج مسرور بالشموع يطلب من يفتيه في ذلك ؛ فدل على الكسائي ؛ وكان قريب عهد القدوم من الكوفة إلى بغداد ؛ وكان يأوى إلى مسجد ؛ فدخل مسرورا عليه بخيله وحشمه ؛ فتحفز له الكسائي ؛ فقال : لا بأس ؛ إنه بيت قد أشكل علينا ، واستفتاه في الكلمتين فصوبهما جميعا ؛ فأعطاه الألفين ؛ فأصبح وقد استفاد بكلمة أوضحها ما أغناه ؛ وهذا دليل على حسن تأتبه وإطافة أدبه . »

وأما قوله تعالى : ﴿ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ ﴾ فعناه زاغت عن النظر إلى كل شيء فلم تلتفت إلا إلى عدوها ، ويجوز أن يكون المراد بـ ﴿ زَاغَتْ ﴾ ، أي جارت ^(١) ومالت عن القصد في النظر دهشا وتحيراً .

فأما قوله تعالى : ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ ، معناه أنكم تظنون مرة أنكم تُفصرون وتظهرون على عدوكم ، ومرة أنكم تبتلون وتمتحنون بالتخلية بينكم وبينهم .
ويجوز أيضاً أن يريد الله تعالى أن ظنونكم اختلفت ، فظن المنافقون منكم خلاف ما وعدكم الله تعالى به من النصر ، وشكوا في خبره عز وجل كما قال تعالى حكاية عنهم : ﴿ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ ، فظن المؤمنون ما طبق وعده الله تعالى لهم كما حكى عز وجل عنهم في قوله : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ .
١٠ وكل ما ذكرناه واضح في تأويل الآية وما تعلق بها .

(١) ت وحاشية الأصل (من نسخة) : « حادت » ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف :

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ [النبا: ٩] .
فقال: إذا كان السُّبَات هو النوم ؛ فكأنه قال: وجعلنا نومكم نوماً ، وهذا مالم لا فائدة فيه .
الجواب ، قيل له في هذه الآية وجوه :

منها أن يكون المراد بالسُّبَات الراحة والدَّعة ، وقد قال قوم : إنَّ اجتماع الخلق كان في
يوم الجمعة ، والفراغ منه في يوم السبت ، فسُمِّيَ اليوم بالسبت للفراغ الذي كان فيه ؛ ولأن الله
تعالى أمر بني إسرائيل فيه بالاستراحة من الأعمال ؛ قيل : وأصل السُّبَات التمدُّد ؛ يقال :
سَبَّتَ المرأةُ شعرَها إذا حَلَّتْه من العُقْص وأرسلته ، قال الشاعر :
وإنَّ سَبَّتَهُ مالَ جَثَلًا كأنَّهُ سَدَى واهلَاتٍ مِن نِوَسِجٍ خَشَمًا^(١)
أراد : إن أرسلته .

ومنها أن يكون المراد بذلك القَطْع ؛ لأن السبَّت القَطْع ، والسبَّتُ أيضا الحَلْق ؛ يقال : ١٠
سَبَّتَ شعره سَبْتًا إذا حَلَقَه ، وهو يرجع إلى معنى القَطْع ، والنعال السَّبَّيَّة التي لا شعر
عليها ؛ قال عنتره :

بَطَلٍ كَانَ ثِيَابَهُ فِي سَرْحَةٍ ، يُحْدَى نَعَالَ السَّبَّتِ ، لَيْسَ بِتَوْءَمٍ^(٢)

(١) الجنل من الشعر : ما كثف واسود ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « شبه شعرها في وقت
الإرسال بسدى ثياب مسترخيات مرسلات . والنواسج : جمع ناسجة ، وخنم : قبيلة » .

(٢) المعلقة : ١٩٩ - بشرح التبريزي ، وفي حاشيتي الأصل ، ف : « السرحة : شجرة طويلة ، يصفه
بالطول . وأراد بقوله : « يحذى نعال السبت » أنه من الملوك ؛ لأن نعال السبت نعال الملوك . والسبت :
شيء يشبه القرظ ، تدبغ به النعال ؛ ووصفه بالشدة والقوة في قوله : « ليس بتوءم » ، لأنه إذا لم يكن معه توءم
كان أقوى وأتم خلقه » .

[١١٢]

ط

/ ويقال لسكل أرض مرتفعة منقطعة ممّا حولها : سَبْتَاء ، وجمعها سَبَاتِي ، فيكون المعنى على هذا الجواب : حماننا نومكم سُبَاتًا ، أى قَطْعًا لأعمالكم وتصرفكم . ومَنْ أَجَابَ بهذا الجواب يقول : إنما سمى يوم السبت بذلك لأنّ بدء الخلق كان يوم الأحد ؛ وُجِعَ يومَ الجُمعة ، وقُطِعَ يوم السبت ، فترجع التسمية إلى معنى القطع .

• وقد اختلف الناس في ابتداء الخلق فقال أهل التوراة : إنّ الله تعالى ابتدأه في يوم الأحد ، فكان الخلق في يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة ، ثم فرغ في يوم السبت ؛ وهذا قول أهل التوراة .

وقال آخرون : إن الابتداء كان في يوم الاثنين إلى السبت ، وفرغ في يوم الأحد ؛ وهذا قول أهل الإنجيل .

١٠ فأما قول أهل الإسلام فهو أن ابتداء الخلق كان في يوم السبت ، وانصل إلى الخميس ، وجُمِلت الجمعة عيداً ؛ فعلى هذا القول الأخير يمكن أن يُسمّى اليوم بالسبت ، من حيث قُطِعَ فيه بعضُ خلق الأرض ، فقد روى أبو هريرة عن النبي عليه السلام أنه قال : « إنّ الله تعالى خلق التُّرْبَةَ ^(١) في يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد » .

ومنها أن يكون المراد بذلك أنّا جعلنا نومكم سُبَاتًا ليس بموت ؛ لأن النائم قد يفقد من علومه وقصوده وأحواله أشياء كثيرة يفقدها الميت ؛ فأراد تعالى أن يمتنّ علينا بأن جعل نومنا الذى تضاهى فيه بعض أحوالنا أحوال الميت ليس بموت على الحقيقة ، ولا بمخرج لنا عن الحياة والإدراك ؛ فجعل التأكيّد بذكر المصدر قائماً مقام نفى الموت ، وساداً مسدّ قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ ﴾ ليس بموت .

ويمكن أن يكون في الآية وجه آخر لم يُذكر فيها ، وهو أن السبات ليس هو كل نوم ؛ وإنما هو من صفات النوم إذا وقع على بعض الوجوه ، و السبات هو النوم الممتد الطويل

(١) من نسخة بحاشيتي ت ، ف : « البرية » .

السكون^(١)، ولهذا يقال فيمن وُصِفَ بكثرة النوم إنه مَسْبُوت ، وبه سُبَات ؛ ولا يقال ذلك في كلِّ نائم ، وإذا كان الأمر على هذا لم يجر قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُباتًا ﴾ بجرى أن يقول: وجعلنا نومكم نوماً .

والوجه في الامتنان علينا بأن جعل نومنا ممتداً طويلاً - ظاهراً ، وهو لما في ذلك لنا من المنفعة والراحة ؛ لأن التهويم والنوم الغرار لا يَكْسِبَان^(٢) شيئاً من الراحة ؛ بل يصحبهما ٥ في الأكثر التقات والازعاج ، والمهموم / هي التي تقلل النوم وتزّره ، وفراغ القلب ورخاء [١١٣] البال يكون معهما غزارة النوم وامتداده ؛ وهذا واضح .

قال سيدنا الشريف الأجل المرتضى أدام الله علوه : وجدت أبا بكر محمد بن القاسم الأنباري يطعن على الجواب الذي ذكرناه أولاً ، ويقول: إن ابن قتيبة أخطأ في اعتماده ؛ لأنَّ الراحة لا يقال لها: سُبَاتٌ ، ولا يقال : سَبَتَ^(٣) الرجل بمعنى استراح وأراح ، ويعتمد على ١٠ الجواب الذي ثنينا بذكره ، ويقول فيما استشهد به ابن قتيبة من قولهم سَبَتِ المرأةُ شعرها: إن معناه أيضاً القطع ، لأن ذلك إنما يكون بإزالة الشداد الذي كان مجموعاً به وقطعه . والمقدار الذي ذكره ابن الأنباري لا يَقْدَحُ في جواب ابن قتيبة ؛ لأنه لا يُنكَرُ أن يكون السباتُ هو الراحة والدعة إذا كانتا عن نومٍ ، وإن لم توصف كل راحة بأنها سُبَاتٌ ، ويكون هذا الاسم يخص^(٤) الراحة إذا كانت على هذا الوجه ؛ ولهذا نظائر كثيرة في الأسماء ، ١٥ وإذا أمكن ذلك لم يكن في امتناع قولهم: سَبَتَ الرجل بمعنى استراح في كل موضع دلالةً على أنَّ السُبَاتَ لا يكون اسماً للراحة عند النوم ؛ والذي يَبْقَى على ابن قتيبة أن يبين أن السبات هو الراحة والدعة ، ويستشهد على ذلك بشعريٍّ أو لُغَةٍ ، فإن البيت الذي ذكره يمكن أن يكون المراد به القطع دون التمدد والاسترسال .

(١) حاشية (من نسخة) : « السكوت » . (٢) ت ، ف : « لا يكسبان » ، بضم الياء .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « سبت » ، بالبناء للمجهول .

(٤) من نسخة بمحاشيتي ت ، ف : « يختص بالراحة » .

فإن قيل : فما الفرقُ بين جواب ابن قتيبة وجوابكم الذي ذكرتموه أخيراً ؟ قلنا : الفرق بينهما بين ، لأن ابن قتيبة جعل السُّبَاتَ نفسَه راحةً ، وجعله عبارةً عنها ، وأخذ يستشهد على ذلك بالتمدد وغيره ، ونحن جعلنا السُّبَاتَ من صفات النوم ، والراحة واقعةً عنده للامتداد وطول السكون فيه ؛ فلا يلزمنا أن يقال : سَبَّتَ الرجل بمعنى استراح ؛ لأنَّ الشيء لا يسمَّى بما يقع عنده حقيقة ، والاستراحة تقع على جوابنا عند السُّبَاتِ^(١) ، وليس السبات إياها بعينها ؛ على أن في الجواب الذي اختاره ابن الأنباري ضرباً من الكلام ؛ لأنَّ السَّبَّتَ وإن كان القطع على ما ذكره فلم يُسَمَّع فيه البناء الذي ذكره وهو السُّبَاتَ ، ويحتاج في إثبات مثل هذا البناء إلى سَمْعٍ^(٢) عن أهل اللغة ، وقد كان يجب أن يورد من أي وجه ؛ إذا كان [١١٣] السبب هو القطعُ جاز أن يقال سُبَات على هذا المعنى ؛ ولم نره فعل / ذلك .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

١٠ إن قال قائل : ما تأويل الخبر الذي روى عن النبي صلى الله عليه وآله : « إن الميت ليعذب ببكاء الحمى عليه » ، وفي رواية أخرى : « إن الميت يعذب في قبره بالنياحة عليه » ، وقد روى هذا المعنى المغيرة بن شعبة أيضاً فقال : سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول : « مَنْ نِيحَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَعَذَّبُ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ » .

الجواب ، إننا إذا كنا قد علمنا بأدلة العقل التي لا يدخلها الاحتمال ولا الاتساع والمجاز قبْحَ مؤاخذة أحد بذنب غيره ، وعلمنا أيضاً ذلك بأدلة السمع مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [الأنعام : ١٦٤] ، فلا بد أن نصرف ما ظاهره بخلاف هذه الأدلة إلى ما يطابقها .

والمعنى في الأخبار التي سئلنا عنها - إن حجت روايتها - أنه إذا أوصى موصٍ بأن ينوح

(١) في حواشي الأصل ، ت ، ف : « قال ابن دريد : السبات : السكون ؛ والرجل مسبوت ؛ وقال الجوهري : السبب والسبات : السكون والراحة ؛ وقد سبت يسبت ، بالضم . »
(٢) ت ، د ، حاشية ف (من نسخة) : « سماع . »

عليه ففعل ذلك بأمره وعن إذنه فإنه يعذب بالنياحه عليه؛ وليس معنى يعذب بها أنه يؤخذ بفعل النوح ، وإنما معناه أن يؤخذ بأمره بها ووصيته بفعالها ، وإنما قال صلى الله عليه وآله ذلك لأن الجاهلية كانوا يرون البكاء عليهم والنوح فيأمرون به ، ويؤكدون الوصية بفعله وهذا مشهور عنهم ؛ قال طرفة بن العبد :

فإن مُتْ فأنعيني بما أنا أهلهُ وشُقِّيَ علىَّ الجيبَ يا أمَّ معبدٍ (١)

وقال بشر بن أبي خازم لابنته عميرة (٢) :

فمن يك سائلاً عن بيتِ بشرٍ فإنَّ له يجنبُ الرِّدَّهَ باباً (٣)
ثوى في مُلجِدٍ لا بدَّ منهُ كَفَى بالموتِ نأياً وأغتراباً (٤)
رَهينُ بليٍّ وكلُّ فتى سبيلي فأذري الدَّمعَ وانتحبي انتحاباً

وقد روى عن ابن عباس في هذا الخبر أنه قال : وهَلْ (٥) ابنُ عمر ، إنما مرَّ رسولُ الله ١٠ صلى الله عليه وآله على يهودى فقال : « إنَّكُمْ لتبكون عليه ، وإنه ليعذب في قبره » . وقد روى إنكار هذا الخبر أيضا عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وآله ، وأنها قالت لما أخبرت بروايته : وهَلْ أبو عبد الرحمن كما وهَلْ يوم قليب بدر ، إنما قال عليه السلام : « إن أهل الملت ليبكون عليه ، وإنه ليعذب بجُرْمه » /

[١١٤]
و

(١) المعلقة ٩٦ - بشرح التبريزي . والرواية فيها :

* وشُقِّيَ علىَّ الجيبَ يا ابنةَ معبدٍ *

(٢) مختارات ابن السجري ٢ : ٣٢ ؛ من قصيدة قالها وهو يجود بنفسه بعد أن طعنه غلام من بني وائلة

بسهم فأثخنه ، ومطلمها :

أَسْأَلُكَ عُمَيْرَةَ عَنْ أَبِيهَا خِلالَ الجَيْشِ تَعْتَرِفُ الرَّكَّابَا

(٣) الردة : جمع ردهة ؛ وهى نقرة فى صخرة يستنقع فيها الماء . (٤) فى مختارات ابن السجري :

« هوى فى ملجد » . (٥) فى حواشى الأصل ، ت ، ف ، قال أبو زيد : وهلت [بكسر الهاء]

فى الشئ وعنه أوهل وهلا [بفتحين] إذا غلظت فيه ، وهلت [بفتح الهاء] إلى الشئ أهل وهلا

[بسكون الهاء] إذا ذهب وهمك إليه ، وهلت [بكسر الهاء] أوهل وهلا [بفتحين] : فرعت .

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : معنى « وَهَلَ » أى ذهب وهمه إلى غير الصواب ، يقال وَهَتْ إلى الشئ ، فأنا أَهْلٌ وَهَلًا إذا ذهب وهمك إليه ، وَوَهَّاتُ عنه أَهْلٌ وَهَلًا ، أى نسيته وغلِطت فيه ، وَوَهَّلَ الرجل بَوَهْلٍ وَهَلًا إذا فَرَعَ . والنَّوَهْلُ : الفزع .

فأما « الْقَلِيبُ » فهى البئر ، والجمع القلوب ، قال حسان بن ثابت يذكر قتلى بدر من

المشركين :

يُنَادِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا
أَلَمْ تَجِدُوا حَدِيثِي كَانَ حَقًّا
قَدْ فَتَاهُمْ كِبَا كَبٌ فِي الْقَلِيبِ^(١)
وَأَمْرُ اللَّهِ يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ

وقال آخر يبكى على قتلى بدر من المشركين :

فَمَاذَا بِالْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ
وَمَاذَا بِالْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ
مِنَ الْقَيْمَاتِ وَالشَّرْبِ الْكِرَامِ^(٢)
مِنَ الشِّيزَى يُكَلَّلُ بِالسَّنَامِ^(٣)

١٠

ومعنى وَهَلِهِ فى ذكر الْقَلِيبِ أنه روى أن النبي صلى الله عليه وآله وقف على قَلِيبِ بدر فقال : « هل وجدتم ما وعد ربكم حقًا ؟ » ثم قال : « إنهم ليسمعون ما أقول ، » فأنكر ذلك عليه ؛ وقيل إنما قال عليه السلام : « إنهم الآن ليعلمون أن الذى كنت أقول لهم هو الحق ، » واستشهد بقول الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ ؛ [النمل : ٨٠] . وأهل الْقَلِيبِ جماعة من قريش ؛ منهم عُتْبَةُ وشَيْبَةُ ابنا ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وغيرهم .

١٥

وروى عن عبد الله بن مسعود أنه قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم قائمًا يصلى بمكة وأناس من قريش فى حلقة ، فيهم أبو جهل بن هشام ، فقال : ما يمنع أحدكم أن يأتى الجزور التى نحرها آل فلان ، فيأخذ سلاعا ثم يأتى به حتى إذا سجد وضعه على ظهره ؟ قال عبد الله : فأنبت أشقى القوم - وأنا أنظر إليه - فجاوبه حتى وضعه على ظهره ، قال عبد الله : فلو كانت لى يومئذ منعة لمنعته . وجاءت فاطمة عليها السلام عليه ، وهى يومئذ صببة حتى أماطته عن ظهر أبيها ثم جاءت حتى قامت على رءوسهم فأوسعهم شتمًا ، قال : فوالله لقد رأيت بعضهم يضحك ، حتى إنه ليطرح نفسه على صاحبه من الضحك ، فلما

٢٠

(١) ديوانه : ١١-١٢ . الكباكب : الجماعات . (٢) ت ، د ، حاشية ب (من نسخة) :

• من الفتيان • . (٣) الشيزى : شجر عظيم يتخذ منه الجفان ، وهو الأبنوس .

سَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بَفْلَانٍ وَفِلَانٍ » ، فَلَمَّا رَأَوْا [١١٤] النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدِ دَعَا عَلَيْهِمْ أَسْقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا سَمَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَوْمَئِذٍ أَحَدًا إِلَّا وَقَدِ رَأَيْتُهُ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَقَدِ أَخَذَ بَرَجْلَهُ يُجَرُّ إِلَى الْقَلْبِ مَقْتُولًا .

وقوله : « فَيَأْخُذُ سَلَاهَا » أَيْ جَلَدْتَهَا الَّتِي فِيهَا وَلَدُهَا مَا دَامَ فِي بَطْنِهَا ، وَالْجَمِيعُ (١) .
 الأَسْلَاءُ ؛ وَقَالَ ابْنُ حَبِيبٍ (٢) : الأَسْلَاءُ الَّتِي فِيهَا الأَوْلَادُ ، قَالَ الأَخْطَلُ :
 وَيَطْرَحُنَ بِالثَغْرِ السَّخَالَ كَأَنَّمَا يُشَقِّقُنَ بِالأَسْلَاءِ أُرْدِيَةَ العَصَبِ (٣)
 وَقَالَ الشَّامِيُّ :

وَالعَيْسُ دَامِيَةُ الْمَنَاسِمِ ضَمْرًا يَقْدِفُنَ بِالأَسْلَاءِ تَحْتَ الأَرْكَبِ (٤)
 قَالَ الْفَرَّاءُ . سَقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ النَّدَامَةِ ، وَأَسْقَطِ لَفْتَانِ ، وَهِيَ بَغِيرُ أَلْفٍ كَثِيرٍ وَأَجُودٌ . ١٠
 وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِي قَوْلِهِ : « يَمْدَبُ بِيكَا ، أَهْلُهُ عَلَيْهِ » وَجِهٌ آخَرٌ ؛ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَعْلَمَهُ بِيكَا ، أَهْلُهُ وَأَعَزَّائِهِ عَلَيْهِ وَمَا لِحَقْمِهِمْ بَعْدَهُ مِنَ الْحُزْنِ وَالْهَمِّ تَأَلَّمَ بِذَلِكَ ؛ فَكَانَ عَذَابًا لَهُ ؛ وَالْعَذَابُ لَيْسَ بِجَارٍ جَارِي الْعِقَابِ الَّذِي لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى ذَنْبٍ مُتَقَدِّمٍ ؛ بَلْ قَدْ يُسْتَعْمَلُ كَثِيرًا بِحَيْثُ يُسْتَعْمَلُ الأَلَمُ وَالضَّرَرُ ؛ أَلَا تَرَى أَنَّ الْقَائِلَ قَدْ يَقُولُ لِمَنْ ابْتَدَأَ بِالضَّرَرِ وَالْأَلَمِ : قَدْ عَذَّبْتَنِي بِكَذَا وَكَذَا ؛ كَمَا يَقُولُ : أَضْرَرْتَ بِي وَآلَتَنِي ؛ وَإِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ ١٥ الْعِقَابُ حَقِيقَةً فِي الأَلَامِ الْمُبْتَدَأَةِ مِنْ حَيْثُ كَانَ اشْتِقَاقُ لَفْظِهِ مِنَ الْمَعَابَةِ ، الَّتِي لَا بَدَّ مِنْ تَقْدِيمِ سَبَبِ لَهَا ، وَلَيْسَ هَذَا فِي الْعَذَابِ .

(١) ف : « الجمع » . (٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : « محمد بن حبيب القنوي » ، وحبیب أمه ؛ وكان ولد ملاءنة فلا يندب إلى أبيه » . (٣) ديوانه : ٢٠ ، وفي حاشيتي الأصل ، ف : الثغر : موضع الخفاة ؛ ويمكن أن يريد به هاهنا موضعا بعينه ؛ يصف الإبل بالسكد والجهد ؛ حتى طرحت أولادها وأسلأها مشقوفة ؛ وشبهه الأسلأ في حال انشقاقها عن السخال بأرديه من برود اليمن » .
 (٤) لم يرد البيت في ديوانه وفي حاشيتي الأصل ، ف : « العيس : الإبل البيض . والناسم : مقدمة الحنف . والأركب : جمه ركب ، والركب : جمه ركبة ؛ ويمكن أن تكون الأركب بمعنى الركبان » .

تَأْوِيلُ خَبَرِ آخِرِ

إن سأل سائل عن الخبر الذي يرويه أبو هريرة عن النبي عليه السلام أنه قال : « ما من أحد يدخله عمله الجنة ، ويُنجيه من النار » ، قيل : ولا أنت يارسول الله ؟ قال : « ولا أنا ؛ إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل » ، يقولها ثلاثا .

فقال : أو ليس في هذا دلالة على أن الله تعالى يتفضل بالثواب ، وأنه غير مستحق عليه ؟
 ٥ ومذهبكم بخلاف ذلك .

الجواب ، قلنا : فائدة الخبر ومعناه بيانُ قَرَرِ السَّكَّانِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَحَاجَتِهِمْ إِلَى أُلْطَافِهِ وَتَوْفِيقَاتِهِ وَمَعُونَاتِهِ ، وَأَنَّ الْعَبْدَ لَوْ أَخْرَجَ إِلَى نَفْسِهِ ، وَقَطَعَ اللَّهُ تَعَالَى مَوَادَّ الْمَعُونَةِ . [١١٥] وَاللُّطْفَ عَنْهُ لَمْ يَدْخُلْ / بِعَمَلِهِ الْجَنَّةَ ، وَلَا نَجَا مِنَ النَّارِ ؛ فَكَأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَادَ أَنْ أَحْدَا لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ الَّذِي لَمْ يُعْمَلْهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ ، وَلَا لَطْفَ لَهُ فِيهِ ، وَلَا أَرْشَدَهُ إِلَيْهِ ؛ وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لِاشْبَهَةِ فِيهِ ؛ فَأَمَّا الثَّوَابُ فَمَا نَأْبَى الْقَوْلَ بِأَنَّهُ تَفَضَّلَ ؛ بِمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَفَضَّلَ بِسَبَبِهِ الَّذِي هُوَ التَّكْلِيفُ ، وَلِهَذَا نَقُولُ : إِنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى شَيْءٌ ابْتِدَاءً ، وَإِنَّمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مَا أَوْجِبَهُ عَلَى نَفْسِهِ ، فَالثَّوَابُ مِمَّا كَانَ أَوْجِبَهُ عَلَى نَفْسِهِ بِالتَّكْلِيفِ ؛ وَكَذَلِكَ التَّمَكِينُ وَالْإِلْطَافُ ، وَكُلُّ مَا يَجْلِبُهُ وَيُوجِبُهُ التَّكْلِيفُ ، وَلَوْلَا إِجْبَابُهُ لَهُ عَلَى نَفْسِهِ بِالتَّكْلِيفِ لَمَا وَجِبَ . فَإِنْ قِيلَ : فَقَدْ سَمِيَ الرَّسُولُ مَا يُفَعَّلُ بِهِ فَضْلاً فَقَالَ : « إِلَّا أَنْ يَتَّغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ » ، قَلْنَا هَذَا يَطْبُقُ مَا ذَكَرْنَاهُ ، لِأَنَّ الرَّحْمَةَ النِّعْمَةَ وَالثَّوَابَ نِعْمَةٌ ، وَهُوَ يُفَضَّلُ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ ، وَإِنْ حَمَلْنَا قَوْلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ » عَلَى مَا يُفَعَّلُ بِهِ مِنَ الْأُلْطَافِ وَالْمَعُونَاتِ فَهِيَ أَيْضاً فَضْلٌ وَتَفَضُّلٌ لِأَنَّ سَبَبَهَا غَيْرٌ وَاجِبٌ .

فَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « يَتَّغَمَّدَنِي » فَمَعْنَاهُ يَسْتَرِنِي ، يُقَالُ غَمَدْتُ السِّيفَ فِي غِمْدِهِ إِذَا سَتَرْتُهُ ، قَالَ الشَّاعِرُ : هَوْرَانُ بَعْدَ كَمَا فِي الْمَعَادِي الْكَبِيرِ ١١٠٢ / ٢ رَدِيوَانَهُ

٢٠ نَصَبْنَا رِمَاحاً فَوْقَهَا جَدُّ عَامِرٍ كَظَلِّ السَّمَاءِ ، كُلَّ أَرْضٍ تَغْمَدًا

فالجَدَّ هاهنا : الحظ ، وشبَّه ما قَسَمَ لعاصر من الغَابَةِ والظفر بظلِّ السماء الذي يَسْتُرُ كُلَّ شَيْءٍ ، ويظهر عليه .

أخبرنا أبو القاسم عُبَيْدُ اللَّهِ بنِ عُمَانَ بنِ يَحْيَى بنِ جَنَيْقًا قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الحَكِيمِيُّ قراءة عليه قال أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب النحويّ قال أخبرنا ابن الأعرابي قال : يقال للقوم إذا دعوت عليهم : بَهْرَهُمُ اللَّهُ ، والمبهور هو المكروب ، وأنشدنا :

أَبْرُزُوهَا مِثْلَ الْمَهَادِ تَهَادَى بَيْنَ خَمْسِ كَوَاعِبِ أُنْرَابِ (١)
 مُمَّ قَالُوا : تَحِبُّهَا ؟ قُلْتُ : بَهْرًا عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ (٢)

قال سيدنا أدام الله أيامه : وقد قيل في معنى قوله : « بَهْرًا » غير هذا الوجه .

أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال حدثنا القاسم بن ١٠ إسماعيل / قال حدثنا التّوزيُّ عن أبي عمرو الأسديّ قال سمعت أبا عمرو بن الملاء يقول : عمر [١١٥] ابن إِبْرِيْمَةَ حَجَّةً فِي الْمَرْبِيَةِ ، وَمَا أَخَذَ عَلَيْهِ شَيْءٌ إِلَّا قَوْلَهُ :

* مُمَّ قَالُوا : تَحِبُّهَا ؟ قُلْتُ : بَهْرًا *

وله فيه عذر إن أراد الخبر لا الاستفهام ، كأنهم قالوا : أنت تحبها ؛ على وجه الإخبار منهم لا الاستفهام ، فوكّد هو إخبارهم بجوابه ، فهذا حسن . و « بَهْرًا » يجوز أن يكون أراد : ١٥ نعم حبًّا بَهْرَنِي بَهْرًا ، ويكون أيضًا بمعنى « عَقْرًا وَتَعَسًّا » ، دعاء عليهم إذ جهلوا من حبه لها مالا يُجْهَلُ مثله ، وأنشد أبو عمرو :

(١) من قصيدة في الديوان ، مظهرها :

قال لي صاحبي لِيَعْلَمَ ما بي : أَتُحِبُّ الْقَتُولَ أُخْتِ الرِّبَابِ ؟

(٢) ف ، ومن نسخة بجا شيتي الأصل ، ت : « عدد القطر » ، وفي الديوان : « عدد النجم » . و « بهرا » : مصدر بمعنى الغلبة ؛ وكأنه قال : غلبني حبها واستولى عليّ .

لِحَا اللهُ قَوْمِي إِذْ يَبْعُونَ مُهْجَتِي بِجَارِيَةٍ ، بَهْرًا لَهْمُ بَعْدَهَا بَهْرًا^(١)
قال أبو عمرو: ويكون « بهراً » بمعنى « ظاهراً »؛ يريد حباً ظاهراً، من قولهم: قمرٌ باهرٌ،
وقد روى بعض الرواة أنه قال :

* قيل لي: هل تحبها؟ قلت: بهراً *

و الرواية الأولى هي المشهورة ، ولعلَّ مَنْ روى ذلك فرَّبَهذه الرواية من اللحن .
وهذان البيتان لعمر بن أبي ربيعة الخزومي ، من جملة أبيات منها :

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَّاءِ بَأْنِي ضِيقُ ذُرْعًا بِهَجْرِهَا وَالكِتَابِ^(٢)
وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تَحْيِرُ مِنْهَا فِي أَدِيمِ الخَدَّيْنِ مَاءُ الشَّبَابِ
سَلَبْتَنِي مُجَاغَةُ المِسْكِ عَقْلِي فَسَأَوْهَا بِمَا يَحْمِلُ اغْتِصَابِي
أَرْهَقْتُ^(٣) أُمَّ نَوْفَلٍ إِذْ دَعَّيْتُهَا مُهْجَتِي ، مَا لِقَانِي مِنْ مَتَابِ
حِينَ قَالَتْ لَهَا : أَحِبِّي ، فَقَالَتْ : مَنْ دَعَانِي ؟ قَالَتْ : أَبُو الخَطَّابِ
أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الهَامَةِ تَهَادَى بَيْنَ خَمْسِ كَوَاعِبِ أَثْرَابِ
ثُمَّ قَالُوا : نُحِبُّهَا ؟ قَالَتْ : بَهْرًا عَدَدَ القَطْرِ والحَصَى وَالثَّرَابِ

والثرياء هي التي عنها عُمرُ أموية ، وقد اختلف في نسبها ، فقيل : إنها الثرياء بنت عبد
الله بن الحارث بن أمية الأصغر . أبو عبد شمس ، وقيل : إنها الثرياء بنت علي بن عبد الله بن
الحارث بن أمية الأصغر . وذكر الزبير بن بكار أن الثريا هي بنت عبد الله بن محمد

(١) البيت لابن ميادة ، وهو في اللسان (بهر) ، والرواية فيه :

* تَفَاقَدَ قَوْمِي إِذْ يَبْعُونَ مُهْجَتِي *

وفي حواشي الأصل ، ت ، ب : « قوله : « بهراً لهم بعدها بهراً » يجوز أن يكون الضمير في
« بعدها » للجارية ؛ ويكون قد كرر « بهراً » ، ويجوز أن يكون الضمير « لبهراً » الأولى ؛ أي بهراً
لهم بعدها بهراً ؛ وإنما أنت لأنها كلمة ، ونسكون الجملة التي هي « بعدها بهراً » في موضع الصفة لبهراً
الأولى ، ويجوز أن يكون الضمير للفتلة ؛ أي البيعة . (٢) في حاشيتي ت ، ب : « أي امتناعها من
الكتاب إلى ، وقيل : هو يخلف بالصحف » . (٣) ت ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ب : « أرهقت » .

ابن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر ، وأنها أخت محمد بن عبد الله المعروف بأبي جراب العبلي^(١) الذي قتله داود بن علي .

وأخبرنا أبو عبيد الله / قال حدثني محمد بن عبد الله^(٢) قال حدثنا أحمد بن يحيى [١١٦] و
عن الزبير بن بكار قال حدثني موسى بن عمر بن الأفلح قال : أخبرني بلال ، مولى ابن أبي عتيق في
حديث طويل لعمر بن أبي ربيعة مع الثريّا اختصرناه وأوردنا بعضه قال : لما سمع ابن أبي
عتيق قول عمر :

* من رسولى إلى الثريّا بأنى *

قال : إياى أراد : وبى نوءه ، لا جرم ! والله لا أذوق أكلا حتى أشخص إليه لأصلح
بينهما ، فهض ونهضت معه ، فجاء قوماً من بنى الدليل بن بكر ، لم تكن الفجائب تفارقهم
يكرونها فاكترى منهم راحلتين ، وأعلى لهم بهما ، فقلت له : استوضعم شيئاً ، أو دعنى
أما كدبهم فقد اشتطوا ، فقال لى : ويحك ! أما علمت أن المكاس ليس من خلق الكرام !
وركب إحدهما ، وركبت الأخرى ، فسار سيراً شديداً ، فقلت له . ارفق على نفسك ، فإن
ما تريد لا يفوتك ، فقال : ويحك !

* أبادر حبل الودان يتقضبا *

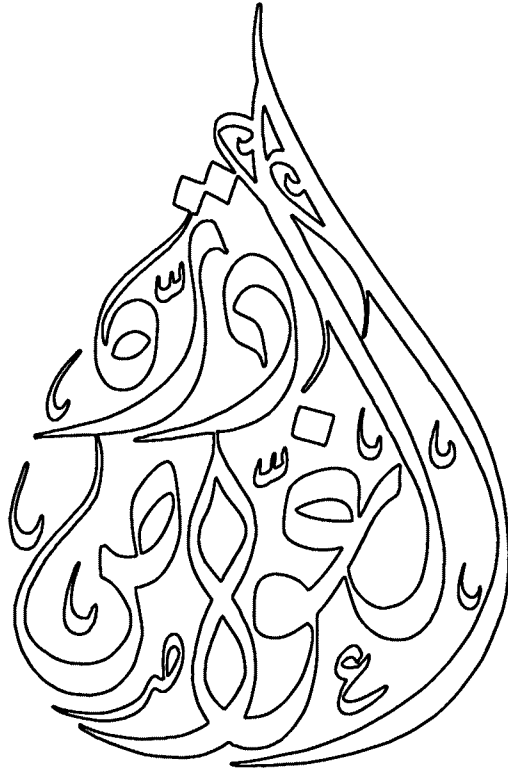
وما ملح الدنيا إن ييم الصدع بين عمر والثريا ! فقدمنا مكة ليلا غير محرمين ، فدق على
عمر باب ، فخرج إليه فسأتم عليه ، فأنزل ابن أبي عتيق عن راحلته ، وقال لعمر : اركب أصلح
بينك وبين الثريّا ، فأنا رسولك الذى سألت عنه ، فركب معه ، فقدمنا الطائف ، فقال ابن
أبي عتيق للثريّا : هذا عمر ، قد جشمتنى إليك سفر المدينة ، فحنتك به ، معترفاً بذنب لم يجنبه ،
معتذراً من إساءتك إليه ، فدعيتنى من التمداد والترداد ، فإنه من الشعراء الذين يقولون مالا
يفعلون ؛ فصالحته أحسن صالح ، وكررت ارجعين إلى المدينة ، ولم يقم ابن أبي عتيق بمكة ساعة واحدة .

(١) فى حاشيتى ت ، ف : « عبلة : اسم جارية ؛ وأمىة الصغرى ، وهم حى من قريش ؛ يقال لهم :
العبلات ؛ بالتحريك ، والنسبة لإيهم عبلى [بسكون الباء] رداً إلى الواحد لأن أهم عبلة .
(٢) ت : « محمد بن إبراهيم » ؛ وهو من رواة المرزبانى أيضاً ، وانظر الموشح : ٤٥ .

وفي الثريا يقول عمر أيضاً لما تزوّجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف؛ المكتنى بأبي

الأبيض، وقيل بل تزوّجها سهيل بن عبد العزيز بن مروان :

أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلًا عَمَّرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ! (١)
هِيَ شَامِيَةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِي



مَجْلِسُ آخِرٍ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾؛ [طه : ٧٨] .
فقال: ما الفائدة في قوله: ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾، وقوله: ﴿غَشِيَهُمْ﴾ يدل عليه ، ويُستغنى به
عنه ، لأن ﴿غَشِيَهُمْ﴾ لا يكون إلا الذي غشيهم ، وما الوجه في ذلك ؟

قلنا : قد ذكر / في هذا أجوبة :

[١١٦]

أحدها أن يكون المعنى : فغشيهم من اليمِّ البعض الذي غشيهم ، لأنه لم يغشهم جميع ماءه ، بل غشيهم بعضه ، فقال تعالى: ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ ؛ ليبدل على أن الذي غرقهم بعض الماء ، وأنهم لم يغرقوا بجميعة ؛ وهذا الوجه حكي عن الفراء ، وذكره أبو بكر الأنباري ، واعتمده ، وغيره أوضح منه .

واليم هو البحر ، قال الشاعر :

١٠ وبنى تبّع على اليمِّ قصراً
عالياً مُشرفاً على البُنْيَانِ

وثانيها أن يكون المعنى : فغشيهم من اليمِّ ما غشى موسى وأصحابه ؛ وذلك أن موسى عليه السلام وأصحابه ، وفرعون وأصحابه سلكوا جميعاً البحر ، وغشيهم كلهم ؛ إلا أن فرعون وقومه لما غشيهم غرقهم ، وموسى عليه السلام وقومه جعل لهم في البحر طريق يبس ، فقال تعالى :
فَغَشِيَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ مِنْ مَاءِ الْيَمِّ مَا غَشِيَ مُوسَى وَقَوْمَهُ ، فَفَجَا هَوْلًا ، وَهَلَكَ هَوْلًا .

١٥ وعلى هذا الوجه والتأويل تكون الهماء في قوله: ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ كناية عن غير من كنى عنه بقوله: ﴿فَغَشِيَهُمْ﴾ ؛ لأن الأولى كناية عن فرعون وقومه ، والثانية كناية عن موسى وقومه .

وثالثها أنه غشيهم من عذاب اليمِّ وإهلاكهم ما غشى الأمم السالفة من العذاب

والهلاك عند تكذيبهم أنبياءهم ، وإقامتهم على رد أقوالهم والعدول عن إرشادهم ، والأمم السالفة؛ وإن لم يفشهم العذاب والإهلاك من قبل البحر، فقد غشيتهم عذاب وإهلاك استحققهما بكفرهم وتكذيبهم أنبياءهم ، فشبّه بينه وبين هؤلاء من حيث اشتغال العذاب على جميعهم عقوبةً على التكذيب .

٥ ورايمها أن يكون المعنى: فغشيتهم من قبل اليم ما غشيتهم من المطب والهلاك؛ فتكون لفظة ﴿غَشِيَتْهُمْ﴾ الأولى للبحر والثانية للهلاك والمطب اللذين لحقاهم من قبل البحر .

ويمكن في الآية وجه آخر لم يذكر فيها، يليق بمذاهب العرب في استعمال مثل هذا اللفظ، وهو أن تكون الفائدة في قوله تعالى: ﴿مَا غَشِيَتْهُمْ﴾ تعظيم الأمر وتفخيمه؛ كما يقول القائل: فعل فلان ما فعل ، وأقدم على ما أقدم ، إذا أراد التفخيم وكما قال تعالى: ﴿وَفَعَلَتْ فَعَلَّتَكَ [١١٧] الَّتِي فَعَلَتْ﴾ ؛ [الشعراء: ١٩] ، وما يجرى / هذا المجرى ؛ ويدخل في هذا الباب قولهم للرجل: هذا هذا، وأنت أنت . وفي القوم: هم هم ؛ قال الهذلي^(١):

رَفَوْنِي وَقَالُوا: يَا خُوَيْلِدُ لَا تُرْعَ فَقُلْتُ، وَأُنْكَرْتُ الْوُجُوهُ: هُمُ هُمُ^(٢)
وقال أبو النجم:

* أَنَا أَبُو النَّجْمِ، وَسِمْرِي شِعْرِي^(٣) *

١٥ كل ذلك أرادوا تعظيم الأمر وتكبيره :

(١) هو أبو خراش الهذلي . (٢) ديوان الهذليين ٢ : ١٤٤ . ورفونى : سكنونى ، وأصلها :

« رفونى » ، بالهمز . (٣) معاهد التنصيص ، وبعده :

* لِلَّهِ دَرِّي مَا يُجِينُ صَدْرِي *

تَأْوِيلُ آيَةِ أُخْرَى

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾؛ [النحل: ٢٦] فَقَالَ: مَا الْفَائِدَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾؟ وَهُوَ لَا يَفِيدُ إِلَّا مَا يَفِيدُهُ قَوْلُهُ: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ﴾؛ لِأَنَّ مَعَ الْاِقْتِصَارِ عَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ لَا يَذْهَبُ وَهْمٌ أَحَدٍ إِلَى أَنَّ السَّقْفَ يَخِرُّ مِنْ تَحْتِهِمْ؟

الجواب ، قيل له في ذلك أجوبة :

أولها : أن يكون « على » بمعنى « عن » ، فيكون المعنى : فخر عنهم السقف من فوقهم ؛ أي خر عن كفرهم وجحودهم بالله تعالى وآياته ، كما يقول القائل : اشتكى فلان عن دواء شربه ، وعلى دواء شربه ، فيكون « على » و « عن » بمعنى من أجل الدواء ؛ كذلك يكون معنى الآية فخر من أجل كفرهم السقف من فوقهم ؛ قال الشاعر :

١٠ أَرْمِي عَلَيْهَا وَهِيَ فَرْعٌ أَجْمَعُ وَهِيَ ثَلَاثُ أَذْرُعٍ وَإِصْبَعُ

أراد : أرمي عنها ؛ لأن كلام العرب : رميت عن القوس ، فأقام « على » مقام « عن » ، ولو أنه قال تعالى على هذا المعنى : ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ﴾ ، ولم يقل ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ جاز أن يتوهم متوهم أن السقف خر وليس هم تحته .

وثانيها : أن يكون « على » بمعنى اللام ؛ والمراد : فخر لهم السقف ؛ فإن « على » قد تقام

١٥ مقام اللام ؛ وحكى عن العرب : ما أغيظك على ! وما أغمك على ! يريدون : ما أغيظك ، وما أغمك لي ! ، قال الطرّمّاح يصف ناقة :

كَأَنَّ مُخَوَّأَهَا عَلَى تَفْنَانِهَا مُعْرَسُ خَمْسٍ وَقَعَتْ لِلْجِنَانِ (١)

(١) ديوانه : ١٦٨ . يقال : خوى البعير ؛ إذا تجافى في بروكه . ويمكن لتفنانه ، وانثفات : جمع ثفنة ؛ وهو من البعير ركبته ، وماس الأرض من كركرته وأصول أفضاخه ، والمعيس : محل التعريس ، وهو النزول :-

أراد: وُقِعَتْ على الجنانين ؛ وهى عظام الصدر ، فأقام اللام مقام «على» .

وقد يقول القائل أيضا : تداعتْ على فلان داره ، واستهدم عليه حائطه ، ولا يريد أنه كان تحته ؛ فأخبر تعالى بقوله : ﴿ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ عن فائدة ؛ لولاه ما فهمت . ولا جاز أن يتوهم متوهم في قوله تعالى : ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ ﴾ ما يتوهمه من قوله : خرب عليه ربه ، ووقفت عليه دابته ، وأشبه ذلك .

[١١٧] وللعرب في هذا مذهب ظريف لطيف ؛ / لأنهم لا يستعملون لفظه «على» في مثل هذا ^ط الموضوع إلا في الشرّ والأمر المكروه الضارّ ، ويستعملون اللام وغيرها في خلاف ذلك ؛ ألا ترى أنهم لا يقولون : عمّرتْ على فلان ضيعته ، بدلا من قولهم : خربت عليه ضيعته ، ولا ولدت عليه جاريتَه ؛ بل يقولون : عمّرتْ له ضيعته ، وولدت له جاريتَه ؛ وهكذا من شأنهم إذا قالوا : «قال على» ؛ و «روى على» ؛ فإنه يقال في الشرّ والكذب ، وفي الخير والحق ؛ يقولون : «قال عنى» و «روى عنى» ؛ ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا نَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ عَلَىٰ مَلَكٍ سَلِيمٍ ﴾ ؛ [البقرة : ١٠٢] ، لأنهم لما أضافوا الشرّ والكفر إلى ملك سليمان حسن أن يقال : «يتلون عليه» ، ولو كان خيرا ل قيل عنه ، ومثله ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَىٰ اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ؛ [آل عمران : ٧٥] ، وقوله : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ مَا آتَاكُمْ مِنْهُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ؛ [يونس : ٦٨] ؛ وقال الشاعر (١) :

عَرَضْتُ نَصِيحَةً مَنِي لِيَجِيَّ فقال : غَشَشْتَنِي ، وَالنَّصِيحُ (٢) مُرٌّ
وَمَا بِي أَنْ أَكُونَ أَعِيبُ يَجِيَّ وَيَجِيَّ طَاهِرُ الْأَخْلَاقِ بَرٌّ

= آخر الليل . وفي حاشية الأصل : «بمعنى كأن تجاوزت أعضائها التجافية عند البروك معرس خمس أنوق» ؛
والبيت برواية القائل (الأمالى ٣ : ١٦٥) :

لَهَا زَفِرَاتٌ تَحْتَهَا وَقَصَارَهَا عَلَىٰ مَشْرَةٍ لَمْ تَعْتَلِقْ بِالْمُحَاجِنِ

(١) في حواشى الأصل ، ت ، ف : «كان رجل من بني حنيفة يقال له يحيى ، يحيى إلى امرأة يقال لها بقاء في قرية من قرى اليمامة ، فنهاه ابن أرواة الأعرجى عنها ، فلم يقبل إلى أن رصد لجرح ، فقال الأعرجى : عرضت ... الأبيات .» (٢) الأبيات في السكامل ١ : ١٥٨ - بشرح المرصنى .

ولكن قد أتاني أن يحيى يقال عليه في بقاء شره^(١)
 فقلت له : تجنب كل شيء يُعاب عليك ، إن الحرَّ حُرٌّ
 ومثله قول الفرزدق في عنبسة بن معدان المعروف بعنيسة الفيل - وقد كان يتتبع شعره
 ويخطئه ويلجئه :

لقد كان في معدان والفيل زاجرٌ لعنيسة الراوي على القصائد
 فقال : « علي » ولم يقل : « عنى » للمعنى الذي ذكرناه .

وثالث الوجوه أن يكون ﴿ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ تاء كيداً للكلام وزيادة في البيان ، كما قال تعالى :
 ﴿ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ ؛ [الحج : ٦ :] ، والقلب لا يكون إلا في
 الصدر ؛ ونظائر ذلك في الكتاب وكلام العرب كثيرة^(٢) .

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « بقاء في البيت : اسم امرأة . وبقاء : ماء بالبادية ، قالت
 امرأة من العرب :

وَمَنْ يَهْدِي مِنْ مَاءٍ بَقَاءَ شَرِبَةٌ فَإِنَّ لَهُ مِنْ مَاءِ لَيْنَةٍ أَرْبَعًا
 لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِبَقَاءِ أَنْبِي رَأَيْتُ مَطَايَا بَلِينَةَ ظُلَمًا
 فَمَنْ مُبْلِغٌ أُخْتِي بِالرَّمْلِ أَنْبِي بَكَيتُ فَلَمْ أَتْرُكْ بَمِينِي مَدَمَعًا !

- بقاء ماؤها زعاق ، وماء لينة عذب ، وإنما تشكو لينة؛ لأن زوجها حملها إليها وهو عين ،
 فذلك قولها :

* رَأَيْتُ مَطَايَا بَلِينَةَ ظُلَمًا *

ومثله :

تَظَلَّ الْمَطَايَا حَائِدَاتٍ عَنِ الْهَدْيِ إِذَا مَا الْمَطَايَا لَمْ تَجِدْ مَنْ يُقِيمُهَا

(٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : « من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَمَاحِهِ ﴾ ،
 وقوله عز من قائل : ﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ، تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

إن سأل سائل عن الخبر الذي يرويه نافع عن أبي إسحاق الهجري عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: « إن هذا القرآن مأدبة الله، فتعلموا مأدبته ما استطعتم؛ وإن أصفر البيوت لجوف»^(١) أصفر من كتاب الله تعالى» فقال: ما تأويله؟ وكيف بيان غريبه؟

[١١٨] الجواب؛ قلنا: المأدبة في كلام العرب هي الطعام، يصنعه^(٢) الرجل ويدعو الناس إليه؛ فشبّه النبي صلى الله عليه وآله ما يكتبه الإنسان من خير القرآن ونفعه وعائده عليه إذا قرأه وحفظه؛ بما يناله الدعوى من طعام الداعي وانتفاعه به؛ يقال: قد أدب الرجل يأدب فهو أدب؛ إذا دعا الناس إلى طعامه. ويقال للمأدبة المدعاة؛ وذكر الأحمر أنه يقال فيها أيضاً: مأدبة، بفتح الدال؛ قال طرفة:

١٠ نحنُ في المَشْتَاةِ ندعو الجفلى لا تترى الأدبَ فينا ينتقر^(٣)

ومعنى «الجفلى» أنه عمّ بدعوته ولم يخصّ بها قوماً دون قوم، والنقري إذا خصّ بها بعضاً دون بعض، ومعنى «ينتقر» من النقري؛ قال بعض هذيل:

وليلة يصطلي بالفرث جازرها يختصّ بالنقري المثرين داعيها^(٤)

لا ينبحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ عند الصّباحِ ولا تسرى أفاعيها

١٥ معنى «يصطلي بالفرث جازرها» أن الجازر إذا شقّ فيها الكرش أدخل يده لشدة البرد في الفرث مستدفئاً به. ومعنى: «يختصّ بالنقري المثرين داعيها»؛ أنه يخصّ بدعائه إلى طعامه الأغنياء الذين يطعم من جهتهم في الكفاة، وقال الآخر:

(١) حاشية ت (من نسخة): «بيت». (٢) ت: «يصنعه».

(٣) ديوانه: ٦٨: ٤) البيتان من مقطوعة في (ديوان الهدلين ٣: ١٢٦)، منسوبة إلى جنوب

في رثاء أخيها عمرو ذي الكلاب.

قَالُوا ثَلَاثَاوُهُ خِصْبٌ وَمَأْدُبَةٌ فَكَلُّ أَيَّامِهِ يَوْمُ الثَّلَاثَاءِ

وقال الهذلي^(١) يصف عُقَابًا :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ فِي جَوْفِ وَكِرْهَا نَوَى الْقَسْبِ يُلْقَى عِنْدَ بَعْضِ الْمَادِبِ^(٢)
أراد جمع مأدبة .

وقدرُوى هذا الحديث بفتح الدال «مأدبة»، وقال الأحرر : المراد بهذه اللفظة مع الفتح هو

المرادبها مع الضم .

وقال غيره : المأدبة ، بفتح الدال « مَفْعَلَةٌ » من الأَدَب ؛ معناه أن الله تعالى أنزل القرآن

أدباً للخلق ، وتقويماً لهم ، وإنما دخلت الهاء في مأدبة ومأدبة ، والقرآن مذكراً ، لمعنى المبالغة ؛
كما قالوا : هذا شراب مطيِّبةٌ للنفس ؛ وكما قال عنتره :

* وَالْكَفْرُ مَحْبِثَةٌ لِنَفْسِ الْمُنْعِمِ^(٣) *

١٠

وجرى ذلك مجرى قولهم : رجلٌ علامةٌ ونسابةٌ / في باب المدح على جهة التشبيه بالداهية ، [١١٨]

ورجل هلباجة^(٤) في باب الذم على جهة التشبيه بالبهيمة . ويقال لطعام الإملاك : وليمة ،

ولطعام الخِتان : العذيرة ، ولطعام الزفاف : العرس ، ولطعام بناء الدار : الوكيرة ، ولطعام

حَلْقُ^(٥) الشعر : العقيقة ، ولطعام القادم من السفر : النقيمة ، ولطعام النفاس : الخرسُ ،

١٥

والذى تُطعمه النفساء : الخرسة ، قال الشاعر :

إِذَا النَّفْسَاءُ لَمْ تُخْرَسْ يَبْكُرْهَا غَلَامًا وَلَمْ يُسْكِتْ بِحِثْرِ فَطِيمُهَا^(٦)

الحِثْرُ : الشيء القليل ، وقال آخر :

(١) هو صخر النقى . (٢) ديوان الهذليين ٢ : ٥٥ ، والقسب : التمر اليابس يتفنت في الفم .

(٣) من المعلقة ، ص ٢٠١ - بشرح التبريزي ؛ وصدده :

* نَبِثْتُ عَمْرًا غَيْرَ شَأْ كِرٍ نِعْمَتِي *

(٤) الهلباجة : القدم الضخم الأكل . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « حلق الرأس » .

(٦) ت : « بنحتر » والبيت للأعلم الهذلي ؛ كما في اللسان (خرس - حتر) ، وهو أيضاً في المقابيس

٢ : ١٦٧ ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « كأنه يصف سنة ، وأن النفساء النفوسة بالبكر الغلام

لاخرس ، ولا يسكت فطيمها بأذن شيء » .

كَلَّ الطَّعَامِ تَشْتَهَى رَبِيعَهُ الخُرْسُ وَالْإِعْدَارُ وَالنَّقِيعَةُ (١)

ويروى: «العُرْس». ويُشَدُّ أَيْضًا فِي النَّقِيعَةِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

إِنَّا لَنَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ رُءُوسَهُمْ ضَرَبَ الْقُدَارِ نَقِيعَةَ الْقَدَامِ (٢)

والقدار: الجزار. والقُدَام: جمع قادم.

وقال أبو زيد: يقال لطعام الإملاك: النَّقِيعَةُ ، ولطعام بناء الدار: الْوَكِيرَةُ ، ولطعام

الْخِتَانِ: الْإِعْدَارُ وَالْعَدِيرَةُ .

وقال الفراء: الشُّنْدُخِيُّ (٣): طعام الإملاك ، والوليمة: طعام العُرْسِ .

وقال أبو زيد: يقال من النَّقِيعَةِ نَقَعْتُ . وقال الفراء: مِنْهَا أَنْقَعْتُ .

وقال ابن السُّكَيْتِ: يقال للطعام الذي يُتَمَلَّلُ بِهِ قُدَامَ الْغَدَاءِ؛ السَّافَةُ وَاللُّهْنَةُ؛ يقال:

١٠ الْأَصْمَى: فُلَانٌ لَهْنَوَاضِيفِكُمْ ، أَيْ أَطْعَمُوهُ اللَّهْنَةَ ، قال الشاعر:

عُجِيزٌ عَارِضُهَا مُنْقَلٌ طَعَامُهَا اللَّهْنَةُ أَوْ أَقْلٌ (٤)

وقال ابن السُّكَيْتِ: يقال فلان يأكل الْوَزْمَةَ إِذَا كَانَ يَأْكُلُ أَكْلَةً فِي الْيَوْمِ . وقال

يَأْكُلُ الْوَجِبَةَ ، إِذَا كَانَ يَأْكُلُ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَكْلَةً ، قال بشار:

فَاسْتَفَنَ بِالْوَجَبَاتِ عَنْ ذَهَبٍ لَمْ يَبْقَ فِيهِ لِأَمْرِي ذَهَبُهُ

وقال ابن السُّكَيْتِ: قال الأصمعيُّ لرجل أسرع في سيره: كيف كان سيرك؟ فقال:

١٥

(١) البيان في اللسان (خرس) .

(٢) البيت في اللسان (قدر) ، ونسبه إلى المهمل ، وفي حاشية الأصل: « هذا من باب تسميا

الشيء بما يؤول إليه ؛ أي اللحم الذي يصير نقيعا ؛ كقوله تعالى: ﴿ إِنِّي أَرَأَيْتُ أَغْصِرُ خَمْرًا ﴾ .

(٣) ت: « الشنْدُخِيُّ » ، بضم الشين وفتح الدال ، وفي د ، وحاشية ت (من نسخة) :

« الشنْدُخِيُّ » ، بضم الشين مع الألف المقصورة ، وفي ج ، ش: الشنْدُخِيُّ » ، بفتح الشين

وضم الدال . وفي حواشي الأصل ، ت ، ف: « رواه الأزهرى الهروى عن الفراء « الشنْدُخِيُّ » ؛

وهو الصحيح ، وقال: هو طعام البناء . (٤) البتان في اللسان (فلل) ؛ والثاني في اللسان أيضا

(لهن) ، ونسبه إلى عطية الديبى . العارض: السن التي في عرض الفم ، وانقل: تكسر .

كنت آكلُ الوجبة، وأنجو الوَقعة، وأعرّسُ إذا أفجرتُ، وأرتحل إذا أسفرت، وأسير
الوضع، واجتنب / المَلْع، فجتتكم لِمُسَى سَبْع .

[١١٩]
و

قوله: « أنجو الوَقعة »، معناه أفضى حاجتي مرة في اليوم، وهو من النَّجْو.

وقوله: « أسير الوضع »، فالوضع: سيرٌ فيه بعض الإسراع، والمَلْع: سيرٌ أشد منه،

فأراد أنه يجتنب الشديد من السير؛ كراهة أن يقف ظهره قبل أن يبلغ الأرض التي
يقصد لها؛ ويقال: شرُّ السيرِ الحَقِّقَة، أي السيرُ الحديد^(١) الذي يقطع صاحبه عن بلوغ
بُغيته، قال الشاعر:

إِذَا مَا أَرَدْتَ الْأَرْضَ نَمَّ تَبَاعَدَتْ عَلَيْكَ فَضَعُ رَحْلِ الْمَطِيَّةِ وَانزِلِ

أي استرح حتى تقوى على السير، فإن جهدت نفسك لم تقطع أرضاً، ولم تُبقِ ظهراً؛

وهذا من أبيات المعاني التي يُسأل عنها، والذي قيل فيه ما ذكرناه . ويمكن أن يكون معنى
البيت: إذا بعدت عليك أرضٌ فدعها واسأل عنها؛ كما يقال: دواءٌ ما عزَّ مطلبه الصبر؛
وما جرى مجرى ذلك من ألفاظ التسلية؛ والأمر بالعدول عن تتبُّع ما صعب من الأمور^(٢).

وقال الآخر في معنى البيت الأول:

نُقَطَّعُ بِالْتُرُؤْلِ الْأَرْضَ عَنَّا وَبُعْدُ الْأَرْضِ يَقَطِّعُهُ التُّرُؤْلُ

١٥

وقوله: « لِمُسَى سَبْع »، معناه ل مساء سبع ليال .

ويقال للذي يحضر طعام القوم من غير أن يدعوه إليه: الوارِش والورُوش .

وقول العامة: طَفِيلٌ مولد لا يوجد في العتيق من كلام العرب، وأصل ذلك أن رجلاً يقال

له طَفِيلٌ، كان بالكوفة لا يُفقد من وليمة من غير أن يدعى إليها، فقيل للوارش: طَفِيلِي؛ تشبيهاً
بطفيل هذا في وقته .

(١) ت، د، ف، حاشية الأصل (من نسخة): « الشديد » .

(٢) حواشي الأصل، ت، ف: « مثله: أرخص ما يكون النفط إذا غلا؛ يعني أنه لا يشرى فيكون

ويقال للذي يحضر شراب القوم من غير أن يدعى إليه واغْلُ؛ قال امرؤ القيس :

فاليومَ فاشربَ غيرَ مُسْتَحَقِّبٍ إِمَّا من اللهِ ولا واغِلِّ (١)

ويقال لما يشربه الواغِلُ: الوغْلُ ، قال الشاعر :

إِنْ أَكُّ مِسْكِيرَ أَفْلا أَشْرَبُ الوَغْلَ وَلَا يَسْلَمُ مَنِّي البَعِيرُ (٢)

وقوله صلى الله عليه وآله: «إِنَّ أَصْفَرَ البَيْوتِ لَجَوْفُ أَصْفَرُ من كِتَابِ الله»، معناه :

أَخْلَى البَيْوتِ/؛ والصَّفْرُ عند العرب: الخالى؛ من الآنية وغيرها. ويمكن في قوله: «مأذبة» وجهٌ ١١٩

آخر؛ وهو أن يكون وجه التشبيه للقرآن بالمأذبة وتسميته بها من حيث دعا الخلق إليه ،

وأمرهم بالاجتماع عليه ، فسماه عليه السلام «مأذبة» لهذا الوجه ، لأن المأذبة هي التي

يدعى الناس إليها ، ويحتمون عليها ؛ وهذا الوجه يخالف الأول ، لأن الأول تضمن أن

وجه التشبيه من حيث النفع العائد على الحافظ للقرآن كما ينتفع المدعو إلى المأذبة بما يصيبه ١٠

من الطعام . وهذا الوجه الآخر تضمن أن التشبيه وقع لاجتماع الناس في الدعاء إليه، والإرشاد

إلى إصابته . وليس يبعد أن يريد عليه السلام بالخبر المعنيين معاً ، فلا تنافى بينهما (٣).

أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال :

(١) ديوانه : ١٥٠ ، والرواية فيه :

* فاليومَ أُسْقَى غيرَ مُسْتَحَقِّبٍ *

وفي حاشية ت (من نسخة) :

* فاليومَ أَشْرَبُ غيرَ مُسْتَحَقِّبٍ *

(٢) اللسان (وغل) ، ونسبه لعمرو بن قتيبة . (٣) في حاشيتي الأصل ، ف : د ويمكن

أن يكون في معنى الخبر وجه آخر ، وهو أنه عليه السلام إنما شبه القرآن بالمأذبة لما اشتملت عليه الأدبية

من أنواع الأطعمة ، من الخلو والحامض والمالح وغير ذلك مما لا يكون في غير المآذب ، فكذلك القرآن

يشتمل على أنواع من العلوم لا توجد في غيره ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي

كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ ، وهذا وجه عن الشيخ الإمام جمال الدين أبي الفتح الرازي رحمه الله في أثناء الدرس ،

وهو أقرب وأشبه من الوجهين المذكورين .

كُتِبَ فِي مَجْلِسِ الْأَصْمَعِيِّ إِذْ أَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : أَيْنَ عَمِيدُكُمْ ؟ فَأَشْرَفْنَا إِلَى الْأَصْمَعِيِّ ، فَقَالَ لَهُ :
مَا مَعْنَى قَوْلِ الشَّاعِرِ :

لَا مَالَ إِلَّا الْعِطَافُ تُؤْزِرُهُ أُمُّ ثَلَاثِينَ وَابْنَةُ الْجَبَلِ (١)
لَا يَرْتَقِي النَّزُّ فِي ذَلَاذِلِهِ وَلَا يُعَدِّي نَعْلِيهِ مِنْ بَلَلِ (٢)

٥

فَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ :

عُصْرَتُهُ نُظْفَةٌ تَضْمَنُهَا لِيَصِبَ تَلْقَى مَوَاضِعَ السَّبَلِ
أَوْ وَجِبَةً مِنْ جِنَاةٍ أَشْكَلَةٍ إِنْ لَمْ يَرُغِبْهَا بِالْقَوْسِ لَمْ تُتَلَّ (٣)

قَالَ : فَادْبُرِ الْأَعْرَابِيُّ وَهُوَ يَقُولُ : لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ عُضْلَةً (٤).

قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ : إِنَّمَا وَصَفَ رَجُلًا خَائِفًا فِي رَأْسِ جَبَلٍ ؛ يَقُولُ : لَا مَالَ لَهُ إِلَّا الْعِطَافُ -

١٠ وَهُوَ السَّيْفُ - تُؤْزِرُهُ أُمُّ ثَلَاثِينَ ؛ يَعْنِي كِنَانَةً فِيهَا ثَلَاثُونَ سَهْمًا . وَابْنَةُ الْجَبَلِ ؛ يَعْنِي الْقَوْسَ ، لِأَنَّهَا تَعْمَلُ مِنْ شَجَرِ الْجِبَالِ مِثْلَ النَّبْعِ وَغَيْرِهِ .

وَقَوْلُهُ : « لَا يَرْتَقِي النَّزُّ فِي ذَلَاذِلِهِ » ، لِأَنَّهُ فِي رَأْسِ جَبَلٍ ؛ فَلَا نَزَّ هُنَاكَ يَتَعَلَّقُ بِمَا يَفْضَلُ

مِنْ ثِيَابِهِ ، وَلَا بَلَلٌ يُعَدِّي نَعْلِيهِ عَنْهَا .

وَالْعُصْرَةُ : الْمَلْحَجَا . وَالنُّظْفَةُ : الْمَاءُ الْمَجْتَمِعُ فِي صَخْرٍ أَوْ غَيْرِهِ مِنْ بَقِيَّةِ مَاءِ الْمَطَرِ . وَاللَّصْبُ :

١٥ الشَّقُّ فِي الْجَبَلِ أَضْيِقُ مِنَ اللَّهَبِ (٥) وَأَوْسَعُ مِنَ الشَّعْبِ . وَالسَّبَلُ : الْمَطَرُ .

وَالْوَجِبَةُ : أَنْ يَأْكُلَ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّةً . وَالْأَشْكَلَةُ : السِّدْرُ الْجَبَلِيُّ ، وَاحِدُهُ أَشْكَلَةٌ ؛ يَقُولُ :

(١) الْأَبْيَاتُ فِي اللِّسَانِ (عُطِفَ) ، وَرَوَى عَنْ ثَعْلَبٍ أَنَّهَا فِي وَصْفِ صَمَاوِكَ . وَفِي حَوَاشِي الْأَصْلِ ،

ت ، ف : « أَصْلُ الْعِطَافِ الرِّدَاءُ ؛ فَسَبَّهَ بِهِ السَّيْفُ » ، وَتُؤْزِرُهُ : تَعِينُهُ .

(٢) النَّزُّ : الْمَاءُ الَّذِي يَتَحَلَّبُ مِنَ الْأَرْضِ وَالذَّلَاذِلُ : أَسَافِلُ الْفَمِيصِ الطَّوِيلِ . (٣) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ

(مِنْ نَسْخَةٍ) : « يَرُغِبُهَا » بَفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّ الرَّاءِ ، وَفِيهَا : « أَرَاغُ مَعْنَاهُ طَلَبٌ ، وَرَاغٌ : مَالٌ ؛ يُقَالُ :

رَاغٌ إِلَيْهِ ؛ غَذَفَ حَرْفَ الْجُرِّ ، وَأَوْصَلَ الْفِعْلَ ؛ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ ﴾ .

(٤) الْعُضْلَةُ : الدَّاهِيَةُ ؛ يُقَالُ : فَلَانَ عُضْلَةً وَعُضِلَ ، أَيْ شَدِيدَ دَاهِيَةً .

(٥) اللَّهَبُ : الطَّرِيقُ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ .

[١٢٠] فهذه النطفة والوجبة من الأشكلة/ عُصْرَتَاهُ . وقوله : « إن لم يُرغها بالقوس »؛ يعني أنها لا تُتَمَل باليد حتى تُحَرَّك بالقوس .

قال سيدنا أدام الله علوه : وإنما جعل الأصمعيّ إنشاد باقي الأبيات دلالة على معرفة معناها ؛ لأنه يبعد أن يعرفها ولا يعرف معناها، والأعرابيّ إنما سأل عن المعنى، فأقام إنشاده لها مقام تفسيرها ، واستغنى الأعرابيّ بذلك وعلم بإتمامه للأبيات معرفته بمعانيها .

وكان الأصمعيّ كثيرا إذا أنشد شيئا من الشعر يُنشد في معناه في الحال ، فمن ذلك أن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ أنشده يوما لنفسه :

إذا كانتِ الأحرارُ أصليّ ومَنْصِبِي وقامَ بِنَصْرِي خازِمٌ وابنِ خازِمِ
عَطَسْتُ بِأَنْفٍ شامِخٍ وتناولتُ يَدَايَ الثُّرَيَّا قاعِدًا غيرَ قائِمِ

قال : فلما فرغتُ من إنشادها أنشد بعقب ذلك :

ألا أيّها السائلِ جاهِلًا لِيَعْرِفَنِي ، أنا أنفُ الكَرَمِ
نَمَتُ فِي الكِرَامِ بنِي عامرِ^(١) فرُوعِي وأصلي قُرَيْشِ العِجَمِ^(٢)

قال : فجاء والله بالشعر الذي نحوته وعملت بيتي عليه .

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانيّ قال حدثنا محمد بن يحيى الصوليّ قال حدثنا عون بن محمد قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال : ما أنشدت الأصمعيّ شيئا قط إلا أنشدني مثله ؛ كأنه أعدّه لي ، فأنشدته يوما للأعشى :

عُلِّقْتُهَا عَرَضًا وَعُلِّقْتُ رَجُلًا غَيْرِي وَعُلِّقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ^(٣)

(١) حاشية الأصل (من نسخة) :

* نَمَتُ فِي الكِرَامِ بنُو عامرِ *

(٢) حاشية الأصل : « يقول : أصلي قریش الذين يسكنون بلاد العجم وفرعى بنو عامر ؛ كأن أباه قرشى وأمه عامرية . » (٣) ديوانه : ٤٣ ، وفي حاشية الأصل : « أى عشقتها اعتراضا لافصاحا واعتزاما ، ومثله :

جُنُنْتُ بِلَيْلِي وَهِيَ جُنَّتْ بغيرِنَا وأُخْرَى بنا مَجْنُونَةٌ لَأَنْرِيدُهَا

فأنشدني من وقته :

قَتَلْتِكَ أُخْتُ بَنِي لَوْمَى إِذْ رَمَتُ وَأَصَابَ نَبْلُكَ إِذْ رَمَيْتَ سِوَاهَا (١)
وَأَعَارَهَا الْخَدَّانُ مِنْكَ مَوَدَّةً وَأَعَارَ غَيْرَكَ وَدَّهَا وَهَوَاهَا

وذكر أبو العيناء قال: كان الأصمعيّ إذا سمع إنساناً يُنشد شعراً في معنى أنشد في ذلك

للمعنى من غير أن يُريه أنه أرادته ، فأنشده رجل قول التَّمْطَامِيّ :

٥
[١٢٠] / وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرًا قَاتِلُونَ لَهُ مَا يَشْتَهِي ، وَلَا مَّ الْمُخْطِيءِ الْهَبْلُ (٢)
فأنشد هو قول قَعْنَبِ الْفَرَارِيّ :

فَمَنْ يَلْقَى خَيْرًا يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَفْوَ لَا يَمْدَمُ عَلَى الْغَيِّ لِأَمَّا (٣)

وروى ميمون بن هارون قال : سمعت إسحاق بن إبراهيم يقول: أنشدت الأصمعيّ قول

١٠ الأعشى ، طلباً أن ينشدني مثله - وكان مع بخله بالعلم لا يضمن بمثل هذا :

إِنْ تَرَهُ كَبُورًا فَكُوبُ الْخَيْلِ عَادَتُنَا أَوْ تَنْزِلُونَ فَإِنَّا مَعَشْرَةٌ نُزُلُ (٤)
فأنشدني لربيعة بن مقروم الضبيّ .

وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْخَيْلَ يَوْمَ طَرَادِهَا بِسَلِيمٍ أَوْ ظَفَةِ الْقَوَائِمِ هَيْكَلِ (٥)
فَدَعَوْا نَزَالَ ، فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلِ وَعَلَامَ أَرُ كَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزَلِ !

١٥ وروى عن إسحاق بن إبراهيم أيضاً أنه قال : دخل يوماً إلى الأصمعيّ ، وعندى أخ

(١) البستان لعدي بن الرقاع ؛ وهما في مجموعة الطرائف ٩٢ ، ومعجم البلدان ٨ : ٢٠٤ .

(٢) جهرة الأشعار : ٣٠٣ ؛ وفي حاشية الأصل : « يقول : من أصاب مالا قيل له ما يشتهي ولا يخالف ، ومن تجارزه المال خولف في كل شيء ولعن » . (٣) كذا ذكره المؤلف ؛ ونسبه المفضل الضبي إلى المرقش الأصغر ، وانظر الفضليات : ٢٤٧ (طبعة المعارف) . (٤) ديوانه : ٤٨ ، وروايته :

* قَالُوا الرَّكُوبَ فَقَلْنَا تَلِكْ عَادَتُنَا *

(٥) خزانة الأدب ٣ : ٥٦٥ . الأوظمة : جمع وظيف ، وهو مستدق الذراع والساق من الخيل .

والهيكل : الضخم المشرف .

للعمانيّ الراجز، حافظٌ راويةً ، فلما دخل عبثَ به أخو العمانيّ^(١) ، فقال له: من هذا؟ قال: هو الباهليّ الذي يقول^(٢):

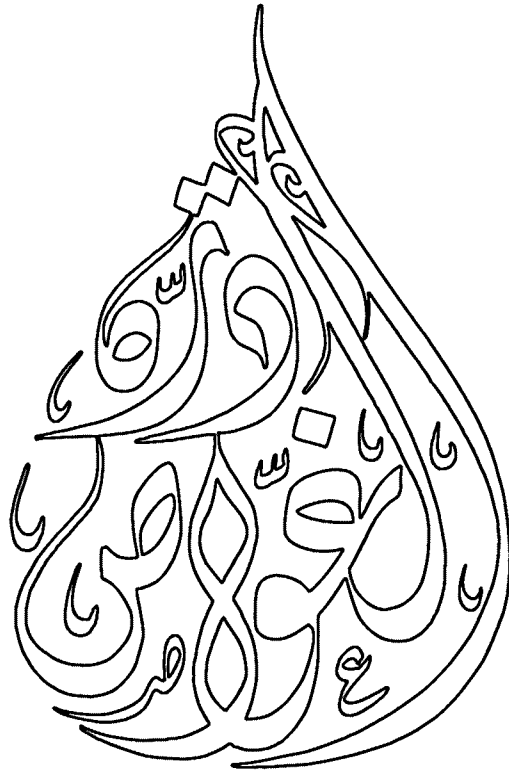
فما صحفةٌ مأدومةٌ بإهالةٍ بأطيبَ من فيها ولا أقطَ رطبٍ^(٣)

فقال له قبل أن يستتم كلامه: هو على كلِّ حال أصلح من قول أخيك العمانيّ:

ياربِّ جاريةٍ حوراءٍ ناعمةٍ كأنَّها عومةٌ في جوفِ راقودٍ^(٣)

قال إسحاق: فقات له: أكنتَ أعدتَ هذا الجواب؟ قال: لا، ولكن ما مرَّ بي

شيءٌ إلا وأنا أعرف منه طرفاً .



(١-١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « فقال : من هذا الباهلي الذي يقول » .

(٢) الصحفة : قصعة دون الجفنة . وإهالة : الشحم المذاب . والأقط : شيء يتخذ من الخيض الغنمي .

(٣) حواشي الأصل ، ت ، ف : « العومة : دوية تسبج في الماء ، كأنها فم أسود مدملك .

والعومة : ضرب من السمك معروف » . والراقود : دن كبير .

مَجْلِسُ آخِرٍ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إِن سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ [التوبة : ٣٠] .
فقال : أى معنى لقوله : ﴿ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ ومعلومٌ أنَّ القول لا يكون إلا بالأفواه ؟ .

الجواب ، قلنا : المَقُولُ يحتمل معنيين فى لغة العرب : أحدهما القول باللسان ، والآخر بالقلب ، فالقول الذى يضاف إلى القلب هو الظنُّ والاعتقاد ، ولهذا المعنى ذهب العربُ بالقول •
مذهبَ الظنِّ / فقالوا : أنقول عبد الله خارجاً ؟ ومتى تقول محمداً منطلقاً؟ يريدون : متى تظن ؟ [١٢١]
قال الشاعر :

أما الرَّحِيلُ فِدُونِ بَعْدِ غَدٍ فَمَتَى تَقُولُ الدَّارَ تَجْمَعُنَا! (١)

أراد : متى تظن الدار ! وقال الآخر :

١٠ أَجْهَالًا تَقُولُ بَنِي لَوْئِيٍّ لَعَمْرُؤُا بَيْكَ أُمِّ مُتَجَاهِلِينَا! (٢)

أراد : تظن بنى لؤيٍّ ، وقال توبة بن الحمير :

أَلَا يَا صَفِيَّ النَّفْسِ كَيْفَ تَقُولُهَا لَوْ أَنَّ طَرِيدًا خَائِفًا يَسْتَجِيرُهَا (٣)

(١) البيت لعمر بن أبى ربيعة ، ديوانه : ٣٩٤ . (٢) البيت للسكيت بن زيد الأسدى ؛ وهو من (شواهد ابن عقيل على الألفية ١ : ٣٩٧) ، وفى حاشية الأصل : « لا يجوز أن تنصب جهالا بقول إذا جعلته على معنى القول ، لأن القول لا يمتدى إلى ما كان مما لا يندرج تحت السمع ، والجهال جثت ، فلا يتأخر ذلك فيها ، فلا بد أن يكون قال بمعنى ظن ، ولهذا يصح أن تقول : سمعت زيدا يقرأ ويقول ويتكلم وبشعر ، ولا تقول : سمعت زيدا يضرب ؛ لأن السمع يعم على ما يسمع » .
(٣) : البيتان من قصيدة طويلة ؛ ذكرت بتمامها فى ترتيب الأسوانى ٩٦-٩٨ .

تُخَبِّرُ إِنْ شَطَّتْ بِهَا غُرْبَةُ النَّوَى سَتُنْعِمُ لِيَلِي أَوْ يَفَكُّ أَسِيرُهَا (١)

أراد: كيف تظنها؟ فلما كان القول يستعمل في الأمرين معاً أفاد قوله تعالى: ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾
قَصَرَ المعنى على ما يكون باللسان دون القلب، ولو أطلق القول، ولم يأت بذكر الأفواه
لجاز أن يُتوهم المعنى الآخر:

• وما يشهد لذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ
وَاللَّهُ يَمْلِكُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾؛ [المنافقون: ١] ،
فلم يكذب الله تعالى قول أسنتهم: لأنهم لم يخبروا بأفواههم إلا بالحق، بل كذب ما يرجع
إلى قلوبهم من الاعتقادات.

10 ووجه آخر وهو أن تكون الفائدة في قوله تعالى: ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ أن القول لا برهان
عليه، وأنه باطل كذب لا يرجع فيه إلا إلى مجرد القول باللسان؛ لأن الإنسان قد يقول
بلسانه الحق والباطل، وإنما يكون قوله حقاً إذا كان راجعاً إلى قلبه، فتكون إضافة القول
إلى اللسان تقتضي ما ذكرناه من الفائدة، وهذا كما يقول القائل لمن يشك في قوله أو يكذبه:
هكذا تقول بلسانك، وليس الشأن فيما تقوله وتنفوه به وتقلب به لسانك؛ فكأنهم أرادوا
أن يقولوا: هذا قول لا برهان عليه، فأقاموا قولهم: هكذا تقول بلسانك، وإنما يقولون
15 كذا بأفواههم مقام ذلك؛ والمعنى أنه قول لا تعضده حجة ولا برهان، ولا يرجع فيه إلا
إلى اللسان.

(١) حواشي الأصل، ت، ف: « في ديوانه: « تجير وإن شطت »، يخاطب الشاعر صديقاله
فيقول: يا صفي نفسي، كيف تظن ليلى الأخبيلية لو استجار بها مستجير! ثم استأنف فقال: هي تجير وإن
كانت قد عذبتنا بالفراق، ثم قال: ستعتم ليلى أو يفادي أسيرها، ويعنى بالأسير نفسه، أي ستجود يوماً
أو أفتدي نفسي منها، هذا إذا روى: « تجير وإن شطت »، وكذلك هو في ديوانه، وأما وجه مارواه
السيد: « تجير »، فعناه: تخبرني أنت يا صفي نفسي إن تناعت أنها ستعتم، وإن رويت: « أن شطت »
بالتعجب كان المعنى: لأن تناعت. وعلى ما ذكره السيد رضى الله عنه يمكن أن يذكر للبيت وجه آخر؛ وهو
أنه يقول ويخاطب صديقاً له: كيف تظنها لو أتى استجرت بها! كفى عن نفسه بالخائب المستجير ثم يقول:
تخبر يا خليلي، يعني أتى أعلم أنك تقول: هي إما أن تنعم بالوصول أو أنا أسلو؟ وهذا معنى: « يفك
أسيرها »، لأنه إذا سلا فقد فك أسره؛ وهذا الوجه الأخير مستفاد من ملك النجاة.

ووجه آخر ، وهو / أن تكون الفائدة في ذلك التأكيد ، فقد جرت به عادة العرب [١٢١] في كلامها ، وما تقدم من الوجهين أولى ؛ لأنَّ حَمَلَ كلامه تعالى على الفائدة أولى من حمله على ما تسقط معه الفائدة .

تَأْوِيلُ آيَةِ أُخْرَى

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿الْمَ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ [إبراهيم : ١٤] .

فقال : أى معنى لرد الأيدي في الأفواه ؟ وأى مدخل لذلك في التكذيب بالرسول عليهم السلام ؟

الجواب ، قلنا في ذلك وجوه :

أولها أن يكون إخباراً عن القوم بأنهم ردُّوا أيديهم في أفواههم ، عاضين عليها غيظاً ١٠ وحنقاً على الأنبياء ، كما يفعل المتوعدُّ لغيره ، المبالغ في معاندته ومكابذته ؛ وهذه عادة معروفة في المغيظ المحمق أنه يعضُّ على أصابعه ، ويفرك أنامله ، ويضرب بإحدى يديه على الأخرى ؛ وما شاكل ذلك من الأفعال .

وثانيها أن تكون الهاء في الأيدي للكفار المكذِّبين ، والهاء التي في الأفواه للرسول

عليهم السلام ؛ فكأنهم لما سمعوا وعظَّ الرسول ودعاهم وإنذارهم أشاروا بأيديهم إلى ١٤ أفواه الرسول ، مانعين لهم عن الكلام كما يفعل المسكَّتُ منَّا لصاحبه ، الرادُّ لقوله .

وثالثها أن تكون الهاء في الأيدي والتي في الأفواه معاً للرسول ؛ والمعنى أنهم كانوا

يأخذون أيدي الرسول فيضعونها على أفواههم ليسكتوهم ، ويقطعوا كلامهم .

ورابعها أن تكون الهاءان جميعاً يَرِجَعان إلى الكفار^(١) لا إلى الرسل ؛ فيكون المعنى أنهم إذا سمعوا وعظّمهم وإنذارهم وضعوا أيدي أنفسهم على أفواههم ؛ مشيرين لهم بذلك إلى الكفّ عن الكلام والإمساك عنه ؛ كما يفعل مَنْ يريد منّا أن يسكّت غيره ، ومنعه من الكلام ، من وضع إصبعه على في نفسه .

٥ وخامسها أن يكون المعنى : فردّوا القولَ بأيدي أنفسهم إلى أفواه الرّسل ، أي أنهم كذبوهم ، ولم يُصنَعوا إلى أقوالهم ، فالهاء الأولى للقوم ، والثانية للرسل ؛ والأيدى إنما ذُكرت مثلاً وتأكيداً ؛ كما يقول القائل : أهلكَ فلانَ نفسه بيده ، أي وقع الهلاك به من جهته ، لا من جهة غيره .

وسادسها أن المراد بالأيدى النعم ﴿ في ﴾ محمولة على الباء ، والهاء الثانية للقوم المكذبين ١٠ والتي قبلها للرّسل ، والتقدير : فردّوا بأفواههم نَعَمَ الرّسل ؛ أي ردّوا وعظّمهم وإنذارهم وتنبههم على مصالحهم الذي لو قبلوه لكان نعماً عليهم .

ويجوز أيضاً أن تكون الهاء التي في الأيدى للقوم الكفار ، لأنها نَعَم من الله تعالى عليهم ، فيجوز إضافتها إليهم وحمل لفظة ﴿ في ﴾ على معنى الباء جأز لقيام بعض الصّفات مقام بعض ؛ يقولون : رضيتُ عنك ، ورضيتُ عليك وحُكي في لغة طَيِّبٍ : أدخلك الله بالجنة ، يريدون في الجنة ، فيعبرون بالباء عن معنى « في » ؛ كذلك أيضاً يصح أن يعبروا بنى عن الباء ؛ قال الشاعر :

وأرغبُ فيها عن لقيطٍ ورهطِهِ ولكِنِّي عن سِنْبِسٍ لستُ أرغبُ

أراد : وأرغب بها فحمل « في » على الباء .

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : « يمكن أن يجعل الضميران جميعا للرسل عليهم السلام ، على معنى أنهم لما لم يقبلوا وعظّمهم وإنذارهم رد الرسل بأيديهم إلى أفواه أنفسهم ، إشارة إلى أنقاد سكتنا ، فافعلوا ما شئتم تهديداتهم ويلا . »

وسابمها - وهو جواب اختاره أبو مسلم بن بحر، وزعم أنه أولى من غيره - قال " المضمرون في قوله: ﴿ أَيْدِيَهُمْ ﴾ الرسل ، وكذلك المضمرون في ﴿ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ ، والمراد باليد هاهنا ما نطق به الرسل من الحجج والبيّنات التي ذكر الله تعالى أنهم جاءوا بها قومهم ؛ واليد في كلام العرب قد تقع على النعمة وعلى السلطان أيضا ، وعلى الملك ، وعلى العهد والعقد ؛ ولكل ذلك شاهد من كلامهم ؛ والذي أتى به الأنبياء قومهم هو الحجّة والسلطان ، وهو النعمة ، وهو العهد ، وكل ذلك يقع عليه اسم اليد . ولَمَّا كان ما يعظم به الأنبياء قومهم ويُندرونهم به إنما يخرج من أفواههم ، فردوه وكذبوه قيل : إنهم ردّوا أيديهم في أفواههم ، أي أنهم ردّوا القول من حيث جاء قال : ولا يجوز أن يكون الضمير في ذلك للمرسل إليهم كما تأوله بعض المفسرين ، وذكر أن معناه أنهم عضوا عليهم أناملهم غيظاً ؛ لأن رافع يده إلى فيه ، والماض عليها لا يسمّى راداً ليده إلى فيه ، إلا إذا كانت يده في فيه فيخرجها ثم يردّها " . ١٠

قال سيدنا الشريف أدام الله علوه : وليس ما استنكره أبو مسلم من رد الأيدي إلى الأفواه بمستنكر ولا بعيد ، لأنه قد يقال : ردّ يده إلى فيه ، وإلى وجهه ، وعاد فلان يقول كذا ، ورجع يفعل كذا ؛ وإن لم يتقدم ذلك الفعل منه . ولو لم يسغ هذا القول تحقيقاً ؛ لساغ تجوّزاً واتساعاً ؛ وليس يجب أن تؤخذ العرب بالتحقيق في كلامها ؛ فإن تجوّزها / واستعاراتها [١٢٢] أكثر ، على أنه يمكن أن يكون المراد بذلك أنهم فعلوا ذلك الفعل شيئاً بعد شيء ، وتكرّر منهم ، فلهاذا جاز أن يقول : ردّوا أيديهم في أفواههم ، لأنه قد تقدم منهم مثل هذا الفعل ، فلما تكرّر جازت العبارة عنه بالرد ، وهذا يبطل استضافته للجواب إذا صرنا إلى مراده .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

روى أن مسلماً الخزاعي ثم المصطفي قال : شهدت رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أنشده منشد قول سويد بن عامر المصطفي (١) :

لا تَأْمَنَنَّ وَإِنْ أُمْسَيْتَ فِي حَرَمٍ إِنَّ النَّبَا بِكَفَى كُلَّ إِنْسَانٍ (٢)
وَأَسْلُكَ طَرِيقَكَ تَمْشِي غَيْرَ مُخْتَشِعٍ (٣) حَتَّى تَبَيَّنَ مَا يَمْنِي لَكَ الْمَانِي
فَكَلُّ ذِي صَاحِبٍ يَوْمًا يُفَارِقُهُ (٤) وَكَلُّ زَادٍ وَإِنْ أَبْقَيْتَهُ فَاثَرُ
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ (٥) بَكَلُّ ذَلِكَ بِأُتَيْكَ الْجَدِيدَانِ

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لو أدركته لأسلم » ، فبكى مسلماً ، فقال له ابنه : يا أبه ، ما يبكيك من مشرك مات في الجاهلية ! فقال : يا بني ، لا تفعل ! فما رأيت مشركاً تلقفت من مشرك خيراً من سويد .

١٠ قوله : « ما يمني لك الماني » معناه ما يقدر لك القادر ؛ قال الفراء : يقال : مَنَى الله عليه الموت ؛ أي قدر الله عليه الموت . وقال يعقوب : مَنَاكَ اللهُ بما يسرك ، أي قدر الله لك ما يسرك ، وأنشد :

(١) نسب البيت الأول والثاني والرابع إلى أبي قلادة الهذلي ، من قصيدة أولها :

يَادَارُ أَعْرِفُهَا وَحَشًّا مَنَازِلُهَا بَيْنَ الْقَوَائِمِ مِنْ رَهْطِ فَالْبَانَ

مع اختلاف في روايتها وترتيبها ، وانظر ديوان الهذليين ٣ : ٣٦-٣٩ ، واللسان (٥) .
(٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : « المعروف » بجني ، هذا هو الصحيح ، وهي أيضاً رواية ديوان الهذليين ؛ يقول : لا تأمنن أن تأتيك منبتك وإن كنت بالحرم حيث يأمن الطير .
(٣) رواية اللسان :

* وَأَسْلُكَ طَرِيقَكَ فِيهَا غَيْرَ مُخْتَشِعٍ *

ورواية ديوان الهذليين :

* وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ سَوْفَ أَفْعَلُهُ *

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « مفارقه » . (٥) رواية ديوان الهذليين :

* إِنَّ الرَّشَادَ وَإِنَّ الْغَىَّ فِي قَرْنٍ *

لَعَمْرُ أَبِي عَمْرٍو وَ لَقَدْ سَاقَهُ الْأَمْنَى إِلَى جَدَثٍ يُوزَى لَهُ بِالْأَهَاضِبِ (١)

وقال ابن الأعرابي : ساقه الأمنى ، أى ساقه القدر ؛ وأنشد ابن الأعرابي :

مَنْتَ لَكَ أَنْ تُتْلَقَيْنِي الْمَنَايَا أَحَادَ أَحَادٍ فِي الشَّهْرِ الْحَلَالِ (٢)

معناه قدّرت لك .

وقال أبو عبيدة في قوله تعالى : ﴿ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴾ [النجم : ٤٦] ، معناه إذا تخلق وتقدّر .

وقال بعض أهل اللغة : إنما سمي « منى » لما يُمنى فيه من ثواب الله تعالى ؛ أى يقدر فيه ؛

وقيل أيضاً بما يُمنى فيه من الدّم (٣) ؛ وقيل : إنما سمي بذلك لأن إبراهيم عليه السلام لما انتهى

إليه قال له الملك : تمنّ ، قال : أتمنى الجنة ، فسمى منى لذلك . ومنى يذكر ويؤنث ،

والتذكير أجود ، قال الشاعر في التذكير :

سَقَى مِنِّي ثُمَّ رَوَّاهُ وَسَاكِنَهُ / وَمَنْ تَوَى فِيهِ وَاهِي الْوَدَقِ مُنْبَعِ (٤)

وقال آخر في التأنيث :

لَيَوْمِنَا بِمَنَى إِذْ نَحْنُ نَنْزِلُهَا أَسْرُّ مِنْ يَوْمِنَا بِالْعَرَجِ أَوْ مَلِّ (٥)

(١) البيت مطلع قصيدة لصخر الغي ، يرثي أخاه أبا عمرو بن عبد الله ، وقد نهشته حية فات ؛ (ديوان الهذليين

٢ : ٥١ - ٥٧) . وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « يؤزى ، من الإزاء ، والإزاء : مصب الماء في

الحوض ، يقال : أزيت الحوض [بالتضعيف] ، وآزيتته ، والإزاء للقبر في الحقيقة ؛ إلا أنه على الاستعارة .

ويجوز أن يكون الضمير في « له » للمرتى ؛ أى يهبأ له ؛ هذا إذا همزت « يؤزى » ؛ وهو قول الأصمعيّ ،

فأما إذا لم تهمزه فعنى يؤزى ينصب ويشخص ؛ يقال : أوزى ظهره إلى الخائض ؛ أى أسنده . ويقال : هضبة

وهضبات وهضاب وأهضاب وأهاضب وأهاضيب « . (٢) اللسان (منى) ، وفي حاشية الأصل :

« أى قدرت المنايا ملاقاتها إياي لأجلك » . (٣) المراد بيمنى هاهنا : يران .

(٤) الودق : المطر ، والواهي : المندفع بالماء ، وكذلك المنبعق ، وفي حاشيتي الأصل ، ف : « جعل

لسحاب سقاء ، ثم جملة واهي المقدر ، فهو أشد إرسالا ، وهذا مثل » .

(٥) العرج : موضع قريب من الطائف ، وإليه ينسب العرجيّ الشاعر ، وهو عبد الله بن عمرو بن

عثمان بن عفان . ومثل : موضع في طريق مكة .

فأما قوله :

* والخيرُ والشرُّ مقرونان في قرآنٍ *

فألقرآن الخبل ؛ وأراد أنهما مجموعان لا يفترقان ؛ من حيث لا يكاد يُصيب الإنسان في الدنيا خيرٌ صرفٌ لا شرٌّ فيه ؛ فلهذا قال إنهما مقرونان . ويجوز أيضاً أن يريد أن سرعةَ تقلُّب الدنيا وإبدالها الخيرَ بالشرِّ كأن الخيرَ والشرَّ مقرونان مجموعان معاً ، لتقارب ما بينهما .

فأما الجديدان ، فهما الليل والنهار ، وهما أيضاً الأجدان ، والملاوان ، والفتيان ، والرذفان ، والعصران ؛ قال الشاعر :

١٠ إنَّ الجديدَيْنِ في طُولِ اختِلافِهما لا يفسُدانِ ولكنَّ يفسُدُ النَّاسُ^(١) وقال آخر :

وأَمَطُّهُ العَصْرَيْنِ حَتَّى يَمَلَّنِي وَبِرَضَى بِنِصْفِ الدِّينِ وَالْأَنْفُ رَاغِمٌ^(٢)

وقال أبو عبيدة : ويقال الليل والنهار ابنا سُبَات ، وأنشد ابنُ الأعرابي :

وَكُنَّا وَهُمْ كَابْنِي سُبَاتٍ تَفَرَّقَا سِوَى نَمِّ كَانَا مُنْجِدًا وَتَهَامِيَا^(٣)

ويقال للغداة والعشي : القَرَّتَانِ^(٤) ، والبرَدَانِ ، والصرَّعَانِ^(٥) .

١٥ أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد

الحكيمي قال : أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب النحوي قال : أنشدنا ابن الأعرابي لرُفَيْعِ الوالبي :

كَذَبْتُكَ مَا وَعَدْتِكَ أَمْسٍ صَلاَحٍ وَعَسَى يَكُونُ لِمَا وَعِدْتَ نَجَاحٌ^(٦)

(١) البيت للخنساء ، ديوانها : ١٥٤ . (٢) الجوان ٣ : ٢٤٩ ، وإصلاح النطق : ٤٣٧ ، من

غير عزو . (٣) اللسان (سبت) ، ونسبه إلى ابن أحر ، وفيه عن ابن حبيب : « أن ابني سبات

رجلان ، رأى أحدهما صاحبه في المنام ثم انتبه ، وأحدهما بنجد والآخر بتهامة » (٤) ت : « القرآن » .

(٥) حاشية الأصل : « أصل الصرع الذي يصارعك » . (٦) صلاح : اسم امرأة ، وفي حاشية

الأصل : « كأنها وعدته بالوصول الذي يبرى سقمه » .

بُرْءٌ مِنْ السَّقَمِ الطَّوِيلِ ضَمَانُهُ
لَا يَسْتَوِي سَقَمٌ بِكُمْ وَصِحَاحٌ
أَصْلَاحُ إِنْكَ قَدْ رَمَيْتِ نَوَافِذًا
وَجَوَائِفًا لَيْسَتْ لَهْنٌ جِرَاحٌ^(١)
وَلَقَدْ رَأَيْتِكَ بِالْقَوَادِمِ لِحَّةً
وَعَلَى مِنْ سُدْفِ الْعَشَى رِيَّاحٌ^(٢)

معنى رياح هاهنا ، أى على وقت من العشى ، ومثله رواح ؛ وقوم يرؤونه بالكسر

وليس بشيء -

٥
[١٢٣] ما كَانَ أَبْصَرَني بِغِرَّاتِ الصَّبَا /
فَالْيَوْمَ قَدْ شَفَعْتُ لِي الْأَشْبَاحُ^(٣) ط
وَمَشَى بِجَنْبِ الشَّخِصِ شَخِصٌ مِثْلُهُ
وَالْأَرْضُ نَائِيَةٌ الشُّخُوصِ بَرَّاحٌ^(٤)
حَلَقَ الْحَوَادِثُ لِعَمَى قَتْرَ كَنْ لِي
رَأْسًا يَصِلُ كَأَنَّهُ جُمَّاحٌ
وَذَاكَ بِأَصْدَاغِي وَقَرْنِ ذُوَابِي
قَبَسُ الْمَشِيبِ كَأَنَّهُ مِصْبَاحٌ

قال : كأنه جمّاح من أملاسه ، وجمّاح : سهم أو قصبه يجعل عليه طين ، ثم يرعى به

الطير .

وبهذا الإسناد لبعضهم :

أَرَى النَّاسَ لِلصَّعْلُوكِ حَرَبًا وَلَا أَرَى
لذَى نَشَبٍ إِلَّا خَلِيلًا مُصَافِيَا
أَرَى الْمَالَ يَغْشَى ذَا الوُصُومِ فَلَا تُرَى
وَيُدْعَى مِنَ الْأَشْرَافِ مَنْ كَانَ غَانِيَا^(٥)

١٥ الصعلوك : الفقير ، وهو أيضاً القرضوب ، والشبوت . والوصوم : العيوب .

وبهذا الإسناد لعتميل بن علفة :

إِنِّي لِيَحْمَدُنِي الْخَلِيلُ إِذَا اجْتَدَى
مَالِي وَيَكْرَهُنِي ذَوُ الْأَضْغَانِ
وَأَيَّتُ تَخْلِجُنِي الْهُمُومُ كَأَنَّنِي
دَلُّ السُّقَاةِ تُمَدُّ بِالْأَشْطَانِ^(٦)

(١) نوافذ ؛ أى سهاماً نافذة ، وجوائف ، أى تيلج الجوف . (٢) البيت فى اللسان (روح) ،

ورواه : « رياح » بالكسر . والقوادم : أوائل النظر . والسدف : جمع سدفة ؛ وهى الظلمة .

(٣) شفعت : صارت شفعا ، أى أصبح يرى الشيء شيئين كما يراه الأحول ؛ يصف ضعف بصره .

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « نائية » . (٥) حاشية ت : « غانيا ؛ أى غنيا ؛ ومعناه

ذا غنى ، كلابن وتامر » . (٦) تخلصنى : تشغلنى ؛ كذا ذكره صاحب اللسان واستشهد

بالبيت . والأشطان الجبال .

وَأَعِيشُ بِالْبَلَلِ الْقَلِيلِ وَقَدْ أَرَى أَنَّ الرَّمُوسَ مَصَارِعَ الْفِتْيَانِ^(١)

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال: حدثني علي بن منصور قال: أخبرني محمد بن موسى عن دُعبل بن علي قال قال عَمِيلُ بن عُلفَةَ: - وذكر الأبيات الثلاثة ، وزاد فيها :
ولقد عَلِمْتُ لئنْ هَلَكْتُ لِيَذْكُرُنَّ قَوْمِي إِذَا عَانَ النَّجِيُّ مَكَانِي^(٢)

٥ قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله تأييده : وكان عَمِيلُ بن عُلفَةَ مع قوَّة شعره جيِّدَ الكلامِ حكيم الألفاظ . وروى المدائني قال: قال عبد الملك بن مروان لِعَمِيلِ بن عُلفَةَ المرِّي: ما أحسن^(٣) أموالكم ؟ فقال : ما ناله أحدنا عن أصحابه تفضُّلاً ، قال : ثم أيها ؟ قال : مواريتنا ، قال : فأيتها أشرف ؟ قال : ما استفدناه بوقعة خولتُ نعماً ، وأفادتُ عزاً ، قال : [١٢٤] فما مبلغُ عزِّكم ؟ قال : ما لم يُطْمَعُ فينا ، ولم / نُؤْمَنُ ، قال : فما مبلغُ جودكم ؟ قال : ما عقَدناه ١٠ مِنَّنَا ، وأبقينا به ذِكْرًا ، قال : فما مبلغُ حِفْظكم ؟ قال : يدفع كل رجلٍ منا عن المستجيرِ به كدفاعه عن نفسه ؛ قال عبدُ الملك : هكذا فليصفِ الرجلِ قومه .

وروى أنه قيل لِعَمِيلِ بن عُلفَةَ : قد عَنَسَتْ^(٤) بناتك ، أمّا تخشى عليهنَّ الفساد ؟ قال : كلا ، إني خلّفت عندهن الحافظين ، قيل : وما هما ؟ قال : الجُوعُ والعُرْمُ ، أجيمن فلا يَأْسَرُنَّ ، وأعرَّبهنَّ^(٥) فلا يَظْهَرُنَّ .

١٥ وقال له عبد الله يوماً : مالك تهجُّو قومك ؟ قال : لأنهم أشباه النعم ، إذا صيَّحَ بها رَفَعَتْ ، وإذا سُكِّتَ عنها رَنَعَتْ ، قال : إنما تقول البيتَ والبيتين ، قال : حسبي من القلادة ما أحاط بالعنق .

(١) البلل في الأصل : ما بل الخلق من ماء أولين أو غيره .

(٢) حاشية الأصل : « يصف نفسه بحفظ الأسرار ؛ يقول : إذا مت والناس يناجون غيري فيفشي أسرارهم ؛ يذكرونني عند ذلك ويذكرون مكاني » . (٣) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « ما أحسن » . (٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « عنست بناتك ؛ بتاء الحُضاب ؛ أي آخرتهن عن الترويح » . (٥) حواشي الأصل ، ت ، ف : « في معناه الحديث : (اعروا النساء يلزمن الرجال) » .

فأما معنى « علقمة » اسم أبيه ، فإن ابن الأعرابي قال : العلقمة مثل الباقلاء الرطبة تكون تحت الزهرة من البقل وغيره . وقال أبو سعيد الشكري : العلقمة ضرب من أوعية بزّر بمض النبات مثل قشرة الباقلاء . واللؤيا ؛ وهو الغلاف الذي يجمع عدّة حبّ .

وقيل : إن عقيلاً كان يُكنى بأبي الوليد ، وكان رجلاً غيوراً موصوفاً بشدة الغيرة ، وروى أبو عمرو بن العلاء أنه حمل يوماً ابنته له وأنشأ يقول :

إني وإن سيقَ إلى المهرُ ألفٌ وعبدانٍ وذوُدٌ عشرٌ^(١)
أحبُّ أصهارِي إلى القبرُ

وذكر الأصمعي أن عقيلاً كان لغيرته إذا رأى الرجل يتحدث إلى النساء أخذته ، ودَهَنَ أرفاغه^(٢) ومغابنه بزُّدٍ وربطه وطرحه في قرية النمل ، فلا يعود إلى محادثتهن .

وروى الأصمعي قال : كان^(٣) عقيلاً بن علقمة في بعض سفره ، ومعه ابنه العمّس وابنته ١٠ الجرباء ، فأنشأ يقول :

قَصَّتْ وَطَرًا مِنْ دَيْرٍ سَعْدٍ وَرُبَّمَا عَلَى عَجَلٍ نَاطِحَتُهُ بِالْجَمَاجِمِ^(٤)
ثم أقبل على ابنته فقال : أجز يا عمّس ، فقال :
وَأَصْبَحْنَ بِالْمَوَامَةِ بِحِمْلِنَ فِتْيَةً نَشَاوَى مِنَ الْإِدْلَاجِ مِيلَ الْعَامِ^(٥)

(١) الذود : القطيع من الإبل . (٢) الأرفاغ : جمع رفع ؛ وهو أصل الفخذ ، والمغابن : جمع مغبن ، كمنزل وهو الإبط . (٣) الخبر في الأغاني ١٢ : ٢٥٦-٢٥٧ (طبع دار الكتب المصرية) .

(٤) دير سعد : بين بلاد غطفان والشام ، وبعده في رواية الأغاني :

إِذَا هَبَطَتْ أَرْضًا يَمُوتُ غُرَابُهَا بِهَا عَطَشًا أَعْطَيْنَهُمْ بِالْخَزَائِمِ

والخزائم : جمع خزامة ، وهي حلقة من شعر تجعل في أحد جانبي البعير لينقاد بها .

(٥) المومة : المفازة الواسعة . نشاوى : سكارى . الإدلاج : السير من أول الليل ، وبعده في

رواية الأغاني :

إِذَا عِلْمٌ غَادَرْنَهُ بِنُوفَةٍ تَذَارَعْنَ بِالْأَيْدِي لِآخِرِ طَائِمِ

— والعلم : شيء ينصب في الفلوات تهتدى به الضالّة . الننوفة : المفازة . تذارعن : سرن ، وأصله أن

ينزع البعير بيديه في سيره ذرعاً إذا سار على قدر سعة خطوه . رسم طاسم : دارس .

ثم أقبل على ابنته ، فقال : أجزري يا جرباء ، فقالت :

كأن الكرى سقاهم صرّخديّةً عَقَارًا تَمَشَّتْ فِي الْمَطَا وَالْقَوَائِمِ (١)

[١٢٥] قال : / فأقبل على ابنته يضربها ويقول : والله ما وصفتها بهذه الصفة حتى شربتها ،

فوثب عليه إخوتها فقاتلوه دونها ، ثم رماه أحدهم بسهم فانتظم فخذيه ، فقال عقيل :

إِنَّ بَنِيَّ زَمَلُونِي بِالْدَمِّ (٢) مَنْ يَلْتَقِ أَبْطَالَ الرَّجَالِ يُكَلِّمُ (٣)

وَمَنْ يَكُنْ ذَا أَوْدٍ يُقَوِّمُ شَنْشِنَةَ أَعْرِفُهَا مِنْ أَعْزَمِ

الشنشنة : الطبيعة والسجية . وقيل الشبه ، وهذا مثل اجتابه عقيل (٤) ، وقد قيل قبله :

ولعقيل :

وَالِدِ الْدَّهْرِ أَثْوَابٌ فَكُنْ فِي لِبَاسِهِ كَيْدَيْسَتِهِ يَوْمًا أَجَدَّ وَأَخْلَقًا (٥)

وَكُنْ أَوْ كَيْسَ الْكَيْسَى إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ وَإِنْ كُنْتَ فِي الْحَمَى فَكُنْ أَنْتَ أَحَقًّا ١٠

(١) الصرخدية : منسوبة إلى صرخد ، وهو بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق . العقار : الخمر . المطا : الظهر . (٢) رواية الأغاني : « سربلوني » ، (٣) رواية اللسان (شت) : « آساد الرجال » . (٤) حاشية الأصل : « قال س : قرأت في أمالي ابن الجيان الأصبهاني : شنشنة [بالفتح] ، وشنشنة [بالكسر] ، وشنشنة [بالتحج] ، وشنشنة [بالكسر] ، قال : قد فسروها بالطبيعة وبالضفة من اللحم وبالجماعة . ضارب هذا المثل حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن أخزم الطائي حين نشأ حاتم ، وتقبل أخلاق جده أخزم في الجود فقال : « شنشنة أعرفها من أخزم » ، وتمثل به عقيل ابن علفة . وفي اللسان عن ابن برى : « كان أخزم عافا لأبيه ، فأتى وترك بنين عقوا جدهم وضربوه وأدموه ، فقال ذلك » .

وانظر ترجمة عقيل وأخباره وأشعاره في (الأغاني ١١ : ٨١-٨٩) .

(٥) حاشية ف : « المعنى : فالبس مع الدهر لبوسه ؛ إن لبس الجديد فالبس أيضا أنت الجديد »

وبالعكس » .

مَجْلِسُ آخِرِ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ ؛ [البقرة : ٢١٠]
فقال : كيف يصحُّ القولُ بأنَّها رجعتُ عليه وهي لم تخرج عن يده ؟ .

الجواب ، قلنا قد ذُكر في ذلك وجوه :

أولها أنَّ الناس في دار المحنة والتكليف قد يغترَّ بعضهم ببعض ، ويمتقدون فيهم أنهم
بملكون جرَّ المنافع إليهم وصرف المضار عنهم ، وقد تدخَّل عليهم الشبهة لتقصيرهم في
النظر ، وعدولهم عن وجهه وطريقه ، فيعبد قوم الأصنام وغيرها من المعبودات الجامدة الهامدة
التي لا تسمع ولا تبصر ، ويعبد آخرون البشر ، ويحملونهم شركاء لله تعالى في استحقاق
العبادة ؛ ويضيف كلُّ هؤلاء أفعال الله عز وجل فيهم إلى غيره ، فإذا جاءت الآخرة ،
وانكشف الغطاء واضطرُّوا إلى المعارف زال ما كانوا عليه في الدنيا من الضلال واعتقاد
الباطل ، وأيقن الكلُّ أنه لا خالقَ ولا رازقَ ولا ضارَّ ولا نافعَ غيرُ الله تعالى فردوا إليه
أمورهم ، وانقطعت آمالهم من غيره ، وعلموا أن الذي كانوا عليه من عبادة غيره ، وتأويله
للضرِّ والنفع غرورٌ وزور ، فقال الله تعالى : ﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ لهذا المعنى .

والوجه الثاني أن يكون معنى الآية في الأمور أن الأمور كلها لله تعالى ، وفي يده وقبضته

من غير خروج ورجوع حقيقٍ ؛ وقد تقول العرب : قدرجع على من فلان مكرهه ، بمعنى

صار إلى منه ؛ ولم يكن سبق إلى قبل هذا الوقت ، وكذلك يقولون : قد/عاد على من زيد

[١٢٥]

كذا وكذا وإن وقع منه على سبيل الابتداء قال الشاعر :

وإن تكن الأيام أحسن مرةً إلى فقد عادت لهن ذنوبُ

أى صارت لها ذنوبٌ لم تكن من قبل؛ بل كان قبلها إحسان فحمل الآية على هذا المعنى شائع جاز تشبهه اللغة .

والوجه الثالث أننا قد علمنا أن الله تعالى قد ملك العباد في دار التكليف أموراً تنقطع بانقطاع التكليف، وإفشاء الأمر إلى الدار الآخرة، مثل مملكته المولى من العبيد، وما ملكه الحكام من الحكم وغير ذلك؛ فيجوز أن يريد تعالى برجع الأمر إليه انتهاء ما ذكرناه من الأمور التي يملكها غيره بتمليكها إلى أن يكون هو وحده مالِكها ومُدبِّرَها .

ويمكن في الآية وجه آخر؛ وهو أن يكون المراد بها أن الأمر ينتهي إلى الآ يكون موجود قادر غيره، ويُفَضَى الأمر في الانتهاء إلى ما كان عليه في الابتداء، لأن قبل إنشام الخلق هكذا كانت الصورة، وبعد إنشائهم هكذا تصير وتكون الكناية برجع الأمر إليه عن هذا المعنى، وهو رجوع حقيق، لأنه عاد إلى ما كان عليه متقدماً .

ويحتمل أيضاً أن المراد بذلك أن إلى قدرته تعود المقدورات، لأن ما أفناه من مقدراته الباقية كالجواهر والأعراض ترجع إلى قدرته، ويصح منه تعالى إيجاد عوده إلى ما كان عليه، وإن كان ذلك لا يصح في مقدرات البشر، وإن كانت باقية لما دلَّ عليه الدليل، من اختصاص مقدر القدر باستحالة العود إليها، من حيث لم يجز فيها التقديم والتأخير .

١٥ وهذا أيضاً حكم، هو تعالى المتفرد به دون غيره من سائر القادرين، والله أعلم بما أراد .

تَأْوِيلُ آيَةِ أُخْرَى

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ ، [البقرة : ١٨٩] .

فقال : أى معنى لذكر البيوت وظهورها وأبوابها ؟ وهل المراد بذلك البيوت المسكونة

على الحقيقة ، أو كُنِّي بهذه اللفظة عن غيرها ؟ فإن كان الأول فما الفائدة في إتيانها من أبوابها دون ظهورها ؟ وإن كانت كنايةً فبينوا وجهها ومعناها .

الجواب قيل له في الآية وجوه .

- أولها ما ذكر من أن الرجل من العرب كان إذا قصد حاجةً فلم تُقَضَّ له ، ولم يُنْجِح فيها رَجَعَ فدخل من مؤخَّر البيت ، ولم يدخل من بابه تطيُّراً ، فدلَّهم الله تعالى على أن هذا ٥ من فعلهم لا بَرَّ فيه ، وأمرهم من التَّقَى بما ينفَعُهُم ويقرَّبُهُم إليه ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن التطيُّر وقال : « / لا عِدْوَى ولا طَيْرَةَ ولا هَامَةَ ولا صَفَرَ » ؛ أى لا يُعْدَى [١٢٥] ط شئٌ شيئاً . وقال عليه السلام : « لا يُورَدُ ذو عاهة على مُصَحِّحٍ » ؛ ومعنى هذا الكلام أن مَنْ لحقتْ إبِلُهُ آفةٌ أو مرضٌ فلا ينبغي أن يوردها على إبلٍ لغيره صحاح ، لأنه متى لحق الصحاح مثل هذه العاهة اتفاقاً ، لا لأجل العدوى لم يؤمن من صاحب الصحاح أن يقول ١٠ إنما لحق إبلى هذه الآفة من تلك الإبل ، وهى أعدت إبلى ، فنهى النبي صلى الله عليه وآله عن هذا ، ليزول المأثم بين الفريقين والظن القبيح .

- وثانيها أن العرب إلا قريشاً ومن ولدته قريش كانوا إذا أحرموا في غير الأشهر الحرم لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها ، ودخلوها من ظهورها إذا كانوا من أهل الوبر ، وإذا كانوا من أهل المدر نقبوا في بيوتهم ما يدخلون ويخرجون منه ، ولم يدخلوا ولم يخرجوا من أبواب ١٥ البيوت ؛ ففهم الله تعالى عن ذلك ، وأعلمهم أنه لا معنى له ، وأنه ليس من البر وأن البر غيرُه .

- وثالثها - وهو جواب أبي عُبَيْدة مَعْمَر بن المثنى - أن المعنى ليس البر بأن تطلبوا الخير من غير أهله ، وتلتمسوه من غير بابه ، وَأَتُوا البُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ، معناه : واطلبوا الخير من وجهه ، ومن عند أهله .

٢٠

ورابعها - وهو جواب أبي علي الجبائي - أن تكون الفائدة في هذا الكلام ضرب المثل ،

وأراد : ليس البرّ أن يأتي الرجل الشيء من خلاف جهته ؛ لأن إتيانه من خلاف جهته يُخرج الفعل عن حد الصواب والبرّ إلى الإثم والخطأ، وبين البرّ والتقوى ، وأمر بإتيان الأمور من وجوهها ، وأن تُفعل على الوجوه التي لها وجبت وحسنت ، وجعل تعالى ذكر البيوت وظهورها وأبوابها مثلاً ؛ لأن العادل في الأمر عن وجهه كالعادل في البيت عن بابه .

• وخامسها أن تكون البيوت كنايةً عن النساء ، ويكون المعنى : وأتوا النساء من حيث أمركم الله ، والعرب تسمي المرأة بيتاً ؛ قال الشاعر :

مالي إذا أنزعتها صأيتُ أ كَبْرًا غَيْرَ نِيْ أم يَبْتُ (١)

أراد بالبيت : المرأة .

ومما يمكن أن يكون شاهداً للجواب الذي حكيناه عن أبي عليّ الجُبائيّ ، والجواب عن

[١٢٦] أبي عبيدة أيضاً ما أخبرنا به أبو القاسم عبید الله عثمان بن يحيى قال : أخبرنا/ أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيمى قال : أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوى قال : أنشدنا ابن الأعرابي (٢) :

إني عَجِبْتُ لَأَمِّ العَمْرِ إِذْ هَزَيْتُ مِنْ شَيْبِ رَأْسِي وَمَا بِالشَّيْبِ مِنْ عَارٍ (٣)

مَا شِقْوَةُ المرءِ بِالِاقْتَارِ يُقْبِرُهُ وَلَا سَعَادَتُهُ يَوْمًا بِإِكْتَارِ

إِنَّ الشَّقِيَّ الَّذِي فِي النَّارِ مَنزِلُهُ وَالْفَوْزُ فَوْزُ الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَمْرِ زَيْبِنُ لِي شَمَّ العَشِيرَةَ أَوْ يُدْنِي مِنَ العَارِ

وَخَيْرِ دُنْيَا يُنْسَى أَمْرَ آخِرَةٍ وَسَوْفَ يُبْدِي لِي الجَبَّارُ أُسْرَارِي (٤)

(١) البيان في اللسان (صأى) وفي حاشية الأصل : • هذا مستق يستق الماء من البئر وينزع الدلو • وإذاء في قوله : « أنزعها » راجعة إلى الدلو ؛ وقيل الضمير للفوس ؛ يقال : « صأى بصأى ، مثل صعى يصعى ؛ إذا صوت » . (٢) أبيات منها في الكامل ٢ : ٥١-٥٢ - بشرح المرصفي ؛ عن ابن الأعرابي ، ونسبها إلى أحد ابني حبناء ، قال : « وأحسبه صخرًا » .

(٣) حاشية الأصل : « ويروى : « لأم الغمر - بالغين المعجمة » ، ورواية الكامل :

إِنِّي هَزَيْتُ مِنْ أَمِّ العَمْرِ إِذْ هَزَيْتُ شَيْبِ رَأْسِي ، وَمَا بِالشَّيْبِ مِنْ عَارٍ

(٤) د :

* وَسَوْفَ تَبْدُو إِلَى الجَبَّارِ أُسْرَارِي *

لا أدخلُ البيتَ أحبُّو من مؤخَّرِهِ ولا أكسِّرُ في ابنِ العمِّ أظفاري
فقوله :

* لا أدخلُ البيتَ أحبُّو من مؤخَّرِهِ *

يَحْتَمَلُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ : إِنِّي لَا آتِي الْأُمُورَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍهَا ، عَلَى أَحَدِ الْأَجُوبَةِ فِي الْآيَةِ ،
وَيَحْتَمَلُ أَيْضًا أَنْ لَا أُطَلِّبُ الْخَيْرَ إِلَّا مِنْ أَهْلِهِ عَلَى جَوَابِ أَبِي عُبَيْدَةَ ، وَيَحْتَمَلُ وَجْهًا آخَرَ^(١) ؛
وَهُوَ أَنْ يَرِيدَ أَنْ يَلْقَى أَقْصَدَ الْبَيْتِ لِلرَّبِيَّةِ وَالْفَسَادِ ، لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ مَنْ يَسْمَعُ إِلَى إِفْسَادِ الْحُرْمِ ،
وَيَقْصِدُ الْبَيْوتَ لِلرَّبِيَّةِ أَنْ يَعْمَلَ عَنْ أَبْوَابِهَا طَلْبًا لِإِخْفَاءِ أَمْرِهِ ، فَكَأَنَّهُ نَفَى عَنْ نَفْسِهِ هَذَا
الْقَوْلَ الْقَبِيحَ ، وَتَنَزَّهَ عَنْهُ ؛ كَمَا تَنَزَّهَ بِقَوْلِهِ :

* ولا أكسِّرُ في ابنِ العمِّ أظفاري *

عَنْ مِثْلِهِ ، وَأَرَادَ أَنَّهُ لَا يَبْدَى^(٢) ابْنَ الْعَمِّ مَنِ السُّوءِ ، وَلَا يَتَأَلَّمُ بِشَيْءٍ مِنْ جِهَتِي ، فَأَكُونُ ١٠
كَأَنِّي قَدْ جَرَحْتُهُ بِأُظْفَارِي ، وَكَسَرْتَهَا فِي لِحْمِهِ ؛ وَهَذِهِ كُنَايَاتٌ بَلِيغَةٌ مَشْهُورَةٌ لِلْعَرَبِ .

وَيَجْرِي وَيَجْرِي هَذِهِ الْأَبْيَاتُ وَيُقَارَبُهَا فِي الْمَعْنَى وَحَسَنِ الْكُنَايَةِ قَوْلُ هِلَالِ بْنِ خَشْمَمٍ :

وَإِنِّي كَعَفٍّ عَنْ زِيَارَةِ جَارَتِي وَإِنِّي كَمَشْنُوٍّ إِلَى اغْتِيَابِهَا
إِذَا غَابَ عَنْهَا بَعَاثًا لَمْ أَكُنْ لَهَا زَعُورًا وَلَمْ تَنْبَسِحْ عَلَيَّ كَلَابِئُهَا^(٣)
وَمَا أَنَا بِالذَّارِي أَحَادِيثَ بَيْتِهَا وَلَا عَالِمٌ مِنْ أَيِّ حَوْلِكَ ثِيَابِهَا ١٥
وَإِنَّ قُرَابَ الْبَطْنِ يَكْفِيكَ مَلُودٌ وَيَكْفِيكَ عَوْرَاتِ الْأُمُورِ اجْتِنَابِهَا^(٤)

(١) حاشية ت (من نسخة) : « ووجه آخر » . (٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : « من

حر كلامهم : ما يندك مني سوء ، أي ما يصيبك ، ويقال : ما نديت بهذا الأمر ولا نطقت به ، ولا بللت به ،
أي ما علمته ولا أصبته ، قال النابغة :

وَلَا نَدَيْتُ بِشَيْءٍ أَنْتَ تَكْرَهُهُ إِذَا فَلَا رَفَعْتُ سَوْطِي إِلَى يَدِي

(٣) يقال رجل زوار وزعور ، كذا ذكره صاحب اللسان واستشهد بالبيت .

(٤) حاشية الأصل : « القراب : مادون اللء أو قريب منه » .

قال سيدنا أدام الله علوه : وقد جمعت هذه الأبيات فقراً عجيبة ، وكنيات بليغة ، لأنه نفى عن نفسه زيارة جارته عند غيبة بعلمها ، وخصَّ حال الغيبة لأنها أدنى إلى الريبة [١٢٦] وأخصُّ بالهمة فقال / : « ولم تنبَحْ عليَّ كلابها » ، أراد : إني لا أطرقها ليلاً مستخفياً ^ظ متنكراً فتفكرتني كلابها ، وتنبحنى ، وهذه الكناية تجرى مجرى قول الشاعر المتقدم :

* لا أدخل البيت أحبو من مؤخره *

وقد روى : « ولم تأنس إلى كلابها » وهذا معنى آخر ، كأنه أراد أنه ليس يُكثر الطروق لها والغشيان لمنزلها ، فتأنس به كلابها لأن الأنس لا يكون إلا مع المواصل والمواترة .

وقوله :

* وما أنا بالدَّارِى أحاديث بيتها *

أراد به أيضاً التأكيد في نفي زيارتها وطروقتها عن نفسه ؛ لأنه إذا أدمن الزيارة عرف أحاديث بيتها ، فإذا لم يزرها وصارمها لم يعرف ، ويحتمل أن يريد : إني لأسأل عن أحوالها وأحاديثها كما يفعل أهل الفضول ؛ فنزه نفسه عن ذلك .

وقوله :

* ولا عالم من أىِّ حوكٍ ثيابها *

كنايةً مليحة عن أنه لا يجتمع معها ، ولا يقرب منها ؛ فيعرف صفة ثيابها .

وبالإسناد المتقدم لحارثة بن بدر الغداني^(١) .

إِذَا الِهْمُّ أَسَى وَهُوَ دَاؤُ فَامِضِهِ وَلَسْتُ بِمُضِيهِ وَأَنْتَ تُعَادِلُهُ
وَلَا تُنْزِلُنْ أَمْرَ الشَّدِيدَةِ بِأَمْرِي إِذَا هَمٌّ أَمْرًا عَوَّقْتَهُ عَوَاذِلُهُ^(٢)

(١) هو حارثة بن بدر بن حصين بن قطن بن غدانة ؛ من بني يربوع . كان من فرسان بني تميم ووجهها وسادتها ، ولم يكن معدوداً في خول الشعراء ، ولكنه كان يعارض نظراءه في الشعر . (وانظر أخباره وأشعاره في الأغاني ٢١ : ١٣-٣١) (٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : « سوفته عواذله » .

فما كلُّ ما حاوَلْتَهُ الموتُ دُونَهُ ، ولا دُونَهُ أرْصَادُهُ وَحَبَائِلُهُ
وما الفَتْكُ ما آمَرْتَ فِيهِ ولا الذِي تُحَدِّثُ مَنْ لاقَيْتَ أَنَّكَ فاعِلُهُ (١)
وما الفَتْكُ إِلَّا لامرِي ذِي حَفِيظَةٍ إذا صالَ لم تُرْعِدْهُ إليهِ خصائِلُهُ (٢)
ولا تجملَنَ سِرًّا إلى غيرِ أهلهِ فتَقَعِدُ إنْ أفشىَ عليكَ تُجادِلُهُ
ولا تَسألُ المسالَ البَخيلَ تَرى لَهُ غمِّي بَعْدَ ضُرِّهِ أَوْرَثَتْهُ أوائِلُهُ (٣) ٥
أرى المسالَ أفياءَ الظلالِ فتارةً يَثوبُ ، وأخرى يَحْتلُّ المَالَ خاتِلُهُ
معنى « آمرت » شاورت . والحصائل : كل لحم مجتمع .

وقد روينا في هذه الأبيات زيادة على القدر الذي ذكرناه :

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن العباس
قال حدثني الفضل بن محمد عن أبي المنهال المهدي قال : من الأبيات السائرة قولُ حارثة ١٠
ابن بدر الغداني :

لَمَمْرُكَ ما أَبقى لِي الدَّهْرُ مِنْ أَخٍ حَفِيٍّ ولا ذِي خُلَّةٍ لِي أواصِلُهُ (٤)
/ ولا مِنْ خَليلٍ لَيْسَ فِيهِ غَوائِلُ فشرُّ الأَخِلاءِ الكَثيرُ غَوائِلُهُ [١٢٧]
وقُلْ لِفؤادٍ إنْ نَزَا بِكَ نَزْوَةٌ مِنْ الرِّوعِ أَفْرِخُ ، أَكثَرُ الرِّوعِ باطِلُهُ (٥)
معنى « أفرخ » أى اسكن ، يقال : أفرخ رَوْعُهُ إذا سَكَنَ .

١٥

وما كلُّ ما حاوَلْتَهُ ، الموتُ دُونَهُ

(١) حاشية ت (من نسخة) : « ولا الفتك » . وآمرت : شاورت .

(٢) من نسخة بحاشية الأصل : « لم ترعد إليه » . وفيها : « الحصائل : جمع خصلة ، وهى كل لحم مجتمع ، مثل الساقين والغضنين » . (٣) حواشى الأصل ، ت ، ف : « يجوز أن يكون ضمير المَالَ أو البخل » . (٤) الحفي : الذى يكرم خليله ويبالغ فى إكرامه ، مع إظهار المسرة والفرح .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « إنما نكر الفؤاد على اعتبار أن له فؤادين ، أحدهما يشجعهُ والآخر يخبئه ، فقال : لا تطع الحبين ؛ وإنما جعل لنفسه فؤادين يتقسمان للخوف والأمن ، لكيلا يكون فى حال من الأحوال جبانًا مطلقًا ، بل يكون مترنحًا بينهما » . وفى حاشية ت (من نسخة) : « للفؤاد » .

وذکر البیتین اللذین بدمه ، وزاد :
وَكَانَ أَنْتَ تَرَعَى سِرَّ نَفْسِكَ وَأَعْلَمَنْ
إِذَا مَا قَتَلْتَ الشَّيْءَ عِلْمًا فَبُحِّ بِهِ (٢)
وَمَا يَسْتَحْسِنُ لِحَارِثَةَ بْنِ بَدْرِ قَوْلُهُ :
لَنَا نَبْعَةٌ كَانَتْ تَقِينَا فُرُوعُهَا
وَإِنَّا لَتَسْتَحِلُّ الْمَنَايَا نَفُوسَنَا
وَشَيْبَ رَأْسِي قَبْلَ حِينِ مَشِيبِهِ
وَقَدْ بَلَغَتْ إِلَّا قَلِيلًا عُرُوقُهَا (٣)
وَتَرَكْتُ أُخْرَى مُرَّةً لَا تَذُوقُهَا (٤)
رَعُودُ الْمَنَايَا بَيْنَنَا وَبُرُوقُهَا
قوله :

* لَنَا نَبْعَةٌ كَانَتْ تَقِينَا فُرُوعُهَا *

مَثَلٌ ضَرَبَهُ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ عَشِيرَتَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ .

وقد روى هذه الأبيات علي بن سليمان الأخفش عن أبي العباس ثعلب ، وزاد فيها :
رَأَيْتُ الْمَنَايَا بِأَدْيَاتٍ وَعُودًا إِلَى دَارِنَا سَهْلًا إِلَيْنَا طَرِيقُهَا
وَقَدْ قُسِمَتْ نَفْسِي فَرِيقَيْنِ مِنْهُمَا : فَرِيقٌ مَعَ الْمَوْتَى ، وَعِنْدِي فَرِيقُهَا
وَبَيْنَا نُرَجِّي النَّفْسُ مَا هُوَ نَارِخٌ مِنْ الْأَمْرِ لَاقَتْ دُونَهَا مَا يَمُوتُهَا

وروى أبو العيناء قال : أنشد الشعبي عبد الله بن جعفر الأبيات الثلاثة الأولى ،

(١) د : « لسر » ، وفي حاشية ت : « نسخة الشجری : « أقل الناس للسرحامله » ، كأنه أقلهم لجله . (٢) قلت الشيء علما ، أى علمته علما تاما ، ومن نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « فقل به . (٣) النبع : شجر ينبت فى قلة الجبل ، تتخذ منه العسى .

(٤) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « مرة لاندوقها » ، وفى حاشية ف : مثله « قول السمورل

ابن عاديا اليهودى :

يُقَرِّبُ حُبَّ الْمَوْتِ آجَالَنَا
وَتَكْرَهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ

أى حبنا الموت ؛ ويجوز أن يكون أضاف الحُب من قوله : « حب الموت » إلى الفاعل ؛ فيكون المعنى :

يقرب حب الموت لنا آجالنا ؛ ويكون هذا كقول طرفة :

أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَمُّ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيلَةَ
مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ

فقال عبد الله: لمن هذا يا شعبي؟ فقال: لحارثة بن بدر، فقال: نحن أحقّ بهذا، ثم أمر للشعبي بأربعمائة دينار.

ومن مستحسن قول حارثة:

ولقد وليت إمارَةً فرَجَعْتُهَا فِي الْمَالِ سَالِمَةً وَلَمْ أَمْوَلِ (١)
 ولقد منعتُ النُّصْحَ مِنْ مُتَقَبِّلٍ وَلَقَدْ رَفَدْتُ النُّصْحَ مَنْ لَمْ يَقْبَلِ
 / فَبَيَّأْتُ لِمَسَّةٍ لَامِسٍ لَمْ أَلْمَسْ وَبَأَى حِيلَةَ حَائِلٍ لَمْ أَحْتَلِ (٢)
 يَطَالِبِ الْحَاجَاتِ يَرْجُو نَجْحَهَا لَيْسَ النِّجَاحُ مَعَ الْأَخْفِ الْأَعْجَلِ
 فَاصْدُقْ إِذَا حَدَّثْتَ تُكْتَبُ صَادِقًا وَإِذَا حَافَتَ مُمَارِيًا فَتَحَالِلِ (٣)
 - معنى « تكتب صادقاً » ، أى تكون عند الله صادقاً . وقوله : « فتحالل »

١٠

أى استثنى -

وَإِذَا رَأَيْتَ الْبَاهِشِينَ إِلَى الْعُلَا غُبْرًا أَكْفُهُمْ بَرِيثٍ فَاعْجَلِ
 - معنى الباهشين: المادّين أيديهم إلى الشيء المشتهين (٤) له -

١٥

وَإِذَا نَبَا بِكَ مَنَزِلٌ فَتَحَوَّلِ وَاحْذَرِ مَكَانَ السُّوءِ لَا تَحُلْ بِهِ (٥)
 وَإِذَا ابْنُ عَمِّكَ لَجَّ بَعْضَ لِحَاجَةٍ فَانظُرْ بِهِ عِدَّةً وَلَا تَسْتَعْجَلِ
 وَإِذَا افْتَقَرْتَ فَلَا تَكُنْ مُتَخَشِّعًا تَرَجُو الْفَوَاضِلَ عِنْدَ غَيْرِ الْمُفْضِلِ
 وَاسْتَعْنِ مَا أَعْنَاكَ رَبُّكَ بِالْغِنَى وَإِذَا تَكُونُ خِصَاصَةً فَتَجَمَّلِ

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن أبي الأزهر قال حدثنا محمد بن يزيد

(١) عجز البيت الخامس والبيت ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ نسبت إلى عبد قيس بن خفاف البرجمي في

قصيدة مفضلية ٧٥٠-٧٥٣ مطالعها :

أَجْبِيلَ إِنْ أَبَاكَ كَارِبُ يَوْمِهِ فَإِذَا دُعِيْتَ إِلَى الْعِظَائِمِ فَاعْجَلِ

(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ف: « خَتَلَهُ خَائِلٍ لَمْ أَخْتَلِ ».

(٣) مमारيا: مجادلا . (٤) ف ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « المشتهين » .

(٥) حاشية ت (من نسخة) : « لا تنزل به » .

النحوى قال: كان^(١) حارثة بن بدر الغداني رجل تميم في وقته ، وكان قد غلب على زياد ، وكان الشرابُ قد غلب عليه ، فقبل زياد: إن هذا قد غاب عليك ، وهو مستهتر^(٢) بالشراب؛ فقال زياد: كيف باطراح رجل هو يسايرني مذ دخلت العراق، لم يصكك ركابي ركاباه^(٣) ، ولا تقدمني فنظرت إلى قفاه ، ولا تأخر عني فلويت عنقِي إليه ، ولا أخذ عليّ الشمس في شتاء قط ، ولا الروح^(٤) في صيف قط ، ولا سألتُه عن علمٍ إلا ظننتُه لا يحسنُ غيرَه ! فلما مات زياد جفاه ابنه عبيدالله ، فقال له حارثة : أيها الأمير ، ما هذا الجفاء مع معرفتك بالحال عند أبي المغيرة^(٥) ! فقال له عبيد الله : إن أبا المغيرة قد كان برّ ع برّوعاً لا يلحقه معه عيب ، وأنا حدث ، وإنما أنسب إلى من يغلب عليّ ، وأنت رجل تديمُ الشراب ، فمتى قرّبْتُك وظهرت منك رائحة الشراب لم آمن أن يظنّ بي ، فدعِ الشراب ، وكن أول داخل عليّ ، وآخر خارج ، فقال له حارثة : أنا لا أدعُه لمن يملك ضرّي ونفعي ، أفدعه للحال عندك ! قال: فاختر^{١٠} من عملي ما شئت . قال : توليني / رامهرمز^(٦) ، فإنها أرض عذاة^(٧) ، وسُرّق^(٨) ؛ فإن بها شراباً وُصِفَ لي . فولاه إياها ، فلما شيعه الناسُ قال أنس بن أبي أنيس^(٩) - وقيل : ابن أبي إلياس الدبليّ :

أحارِ بنَ بدرٍ قد وليتَ إمارةً فكن جرداً فيها تخونُ وتسرِقُ^(١٠)
ولا تحقّقونُ يا حارِ شيئاً وجدتهُ فحظّك من ملكِ العراقينِ سرِقَ ١٥

(١) الخبر في السكامل - بشرح المرصفي ٣-١٩١-١٩٢ .

(٢) مستهتر بالشراب : مولع به ؛ من استهتر بكذا ، مبنياً لما لم يسم فاعله : أولع به لا يفعل غيره ، ولا يتحدث إلا به . (٣) من نسخة بحاشيتي ف ، ت : « بصطك ركابي ركابه » .

(٤) الروح : برد النسيم . (٥) أبو المغيرة : كنية زياد .

(٦) رامهرمز : مدينة مشهورة بنواحي خوزستان من بلاد الفرس .

(٧) الأرض العذاة : الطيبة التربة ، البعيدة من الأنهار والنجود والديابح .

(٨) سرِق : إحدى كور الأهواز . (٩) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « ابن أبي

أنس » . وفي الشعر والشعراء : ٧١٤ : « أنس بن أبي أناس » ، من كنانة ، من الدؤل ، رهط أبي

الأسود الدؤلّي . (١٠) الأبيات في الشعر والشعراء : ٧١٥ .

وباء تميماً بالغنى إنَّ للغنى لساناً به العى الهَيُوبَةُ يُنطِقُ^(١)
 فإنَّ جميعَ النَّاسِ ؛ إمَّا مَكْدَبٌ يقول بما يَهْوَى ، وإمَّا مُصَدِّقٌ^(٢)
 يقولون أقوالاً ولا يعلمونها فإن قيل هاتوا حَقَّقُوا لم يحَقِّقُوا
 وهذه الأبيات تروى لأبي الأسود الدُّؤلى ، وأنه كتب بها إلى حارثة لما رُدَّت إليه سُرق ،

ويُزاد فيها :

وكن حازماً في اليوم إنَّ الذى به يحيى غدً يومٌ على الناسِ مُطْبِقٌ^(٣)
 ولا تَعَجَزَنَّ فالعَجْزُ أوطأ مَرَكَبٌ وما كلُّ مَنْ يدَعُو إلى الخَيْرِ يُرْزَقُ
 إذا ما دعاكَ القومُ عَدُوكَ آ كِلاَّ وكُلُّ حارٍ أوجِعُ ؛ لستَ مِمَّنْ يُحَمَّقُ

ويقال إن حارثة بن بدر أجاب عن هذه الأبيات بقوله :

جزاك إلهُ الناسِ خيرَ جزائه فقد قلتَ مَعروفًا وأوصيتَ كافياً
 أشرتَ بأمرٍ لو أشرتَ بغيرِهِ لألفيتنِي فيه لرأيك عاصياً^(٤)

ويقال إن حارثة بن بدر والأحنف بن قيس دخلا على ابن زياد ، فقال لحارثة : أىُّ
 الشرابِ أطيبُ ؟ وكان بينهم^(٥) ، فقال : بُرَّةٌ طاسارية ، وأقطة غنوية ، وسمنة عنبرية ، وسكرة
 سوسية ، ونظفة مسرقانية^(٦) . فقال للأحنف : يا أبا بحر ، ما أطيبُ الشرابِ ؟ قال :

(١) الهَيُوبَةُ : الذى يهاب الناس ؛ والهَاءُ فيه لتأكيد المبالغة . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) :
 « تهوى » . (٣) حاشية الأصل : « يقال غمام مطبق ؛ أى ذو طبق ؛ وقد أطبقت السماء » .
 (٤) البتآن في الأغاني ٢١ : ٢٣ ، وبعدهما :

سَتَلَقَى أَخًا يُصْفِيكَ بِالوُدِّ حَاضِرًا وَيُؤَلِّقُ حِفْظَ الغَيْبِ إِنْ كُنْتَ نَائِبًا
 (٥) ت ، ومن نسخة بحاشية الأصل : « وكان بينهم » . (٦) حواشئ الأصل ، ت ، ف : « ذكره
 يزيد بن مفرغ الحميرى :

سَقَى هَزِيمُ الأوساطِ مُتَبَجِّسُ العِراَّ منازِلها من مَسْرُقَانَ فسرَّقا
 - هزيم الأوساط ؛ أى مجالجل بالرعد ، وهزيم الرعد : صوته ، وأوساطه ؛ أى أوساط السحاب .

الجرُّ ، قال : وما يُدْرِيكَ ولست من أهلها ؟ قال : رأيتُ فيها خَصْلَتَيْنِ عَرَفْتُ أَنَّهُمَا أَطْيَبُ الشَّرَابِ بِهِمَا ، قال : وما هما ؟ قال : رأيتُ من أَحَلَّتْ لَهُ لَا يَتَعَدَّاهَا إِلَى غَيْرِهَا ، وَمَنْ حُرِّمَتْ عَلَيْهِ يَتَنَاوَلُهَا ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُمَا أَطْيَبُ الشَّرَابِ .

ولحارثة بن بدر يخاطب عبيد الله بن زياد لما تغيّر عليه بعد اختصاصه كان بأبيه (١) :

[١٢٨] ط
 / أَهَانُ وَأَقْصَى ثُمَّ تَنْتَصِحُونِي وَأَيُّ أَمْرِي يُعْطَى نَصِيحَتَهُ قَسْرًا!
 رَأَيْتُ الْأَكْفَّ الْمُصَلِّتَيْنِ عَلَيْكُمْ مِلَاءً ، وَكَفَى مِنْ عَطَايَاكُمْ صِفْرًا
 وَإِنِّي مَعَ السَّاعِي إِلَيْكُمْ بِسَيْفِهِ إِذَا أَحْدَثَ الْأَيَّامُ فِي عَظْمِكُمْ كَسْرًا
 مَتَى تَسْأَلُونِي مَا عَلَيَّ وَتَمَنَّوْا لَدَى لِي لِأَسْطِغَ عَلَى ذَلِكُمْ صَبْرًا

وقال يعاتبه :

١٠
 وَكَمْ مِنْ أَمِيرٍ قَدْ تَجَبَّرَ بَعْدَ مَا مَرَيْتُ لَهُ الدُّنْيَا بِسِنِّي فَدَرَّتِ
 إِذَا زَبَنَتْهُ عَنْ فُوقِ أَتَتْ بِهِ دَعَانِي وَلَا أُدْعَى إِذَا مَا أَقْرَتْ
 إِذَا مَا هِيَ أَحَلَّوْتَ مَحَاقِقَ مَقْسِمِي وَيَقْسِمُ لِي مِنْهَا إِذَا مَا أَمَرَتْ

زبنته : أى دفعته عن أن يحلبها . والفواق : اجتماع اللبن في الضرع بين الحلبتين ومعنى أقرت : تركته يحلبها .

١٥ ويشبه أبيات حارثة هذه قول عبدالله بن الزبير الأسدي يعاتب معاوية ومروان وأهل

بيته ؛ من جملة قصيدة ، وهى أبيات قوية جدًا :

عَطَاؤُكُمْ لِلضَّارِّبِينَ رِقَابِكُمْ وَنُدْعَى إِذَا مَا كَانَ حَزُّ السُّكْرَاكِ (٢)
 أَنْحَنُ أَخْوَاكُمْ فِي الْمَضِيقِ وَسَهْمُنَا إِذَا مَا قَسَمْتُمْ فِي الْخِطَاءِ الْأَصَاغِرِ

— الخطاء : سهام صفار — .

(١) الخبر مبسوط في (الأغانى ٢١ : ١٥) ، والأبيات فيه منسوبة إلى أنس بن زعيم البنى .

(٢) السكراكر : جمع كركرة ؛ وهى صدر البعير . وفى حاشية الأصل : • مثله :

وإذا تكون كريمة أدعى لها وإذا يحاس الحيس يدعى جندب

وَتَذِيكُمُ الْأَذَى إِذَا مَا سَأَلْتُمْ وَنُلْقَى بَشْدِي حِينَ نَسَأُلُ بِاسِرٍ^(١)
وَإِنْ كَانَ فِينَا الذَّنْبُ فِي النَّاسِ مِثْلَهُ أَخَذْنَا بِهِ مِنْ قَبْلِ نَاهٍ وَأَمِيرٍ^(٢)

— معنى «من قبل ناهٍ وأمر» ، أى من قبل أن ننهى عنه أو نؤمر به ، أى باجتنابه —

وَإِنْ جَاءَكُمْ مِنْ غَرِيبٍ بِأَرْضِكُمْ لَوَيْتُمْ لَهُ يَوْمًا جُنُوبَ الْمَنَاحِرِ
فَهَلْ يَفْعَلُ الْأَعْدَاءُ إِلَّا كَفِعْلِكُمْ هَوَانَ السَّرَاةِ وَابْتِغَاءِ الْعَوَارِثِ^(٣)
وغيرَ نفسى عنكم ما فعلتم وَذِكْرُ هَوَانٍ مِنْكُمْ مُتَظَاهِرٍ
جَفَاؤُكُمْ مِنْ عَالِجِ الْحَرْبِ عَنْكُمْ وَأَعْدَاؤُكُمْ مِنْ بَيْنِ جَابٍ وَعَاشِرٍ^(٤)
فَلَا تَسْأَلُونِي عَنْ هَوَايَ وَوُدِّكُمْ وَقُلْ فِي فَوَادٍ قَدْ تَوَجَّهَ نَافِرٍ^(٥)

ولحارث يرثى زياداً :

١٠ لَهْفَى عَلَيْكَ لِلْهَمْفَةِ مِنْ خَائِفٍ يَبْنَى جَوَارِكَ حِينَ لَيْسَ مُجِيرٌ
أَمَّا الْقُبُورُ فَإِنَّهُنَّ أَوَانِسٌ بِجَوَارِ قَبْرِكَ وَالذِّيَارُ قُبُورٌ
عَمَّتْ فَوَاضِلُهُ فَعَمَّ مُصَابُهُ فَالنَّاسُ فِيهِ كَلْهُمُ مَأْجُورٌ
رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنَشُورٌ

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : وأظن أبا تمام الطائى نظر إلى قول حارثة

١٥ ابن بدر « ردت صنائعه إليه حياته » في قوله :

ألم تمت يا شقيق النفس مذ زمن ؟ فقال لى : لم يمّت من لم يمّت كرمه^(٦)

وأخبرنا على بن محمد السكاتب قال : أخبرنا ابن دريد قال : أخبرنا عبد الرحمن — يعنى

ابن أخى الأصمعى عن عمه قال : مرّ حارثة بن بدر الغداني ، ومعه كعب مولاة ، فجعل لا يمرُّ

(١) باسر : قليل الابن . (٢) حاشية ت : « أى إن أذنبنا الذنب الذى يذنب الناس مثله أخذنا

به من قبل أن ننهى عنه أو نؤمر بالانكشاف عنه » . (٣) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « هوان »

بضم النون . (٤) الجابى : الذى يأخذ الجباية ، والعاشر الذى يأخذ العشر .

(٥) حاشية الأصل : « أى توجه إلى غيركم ونظر عنكم » . وفي حاشية الأصل (من نسخة) :

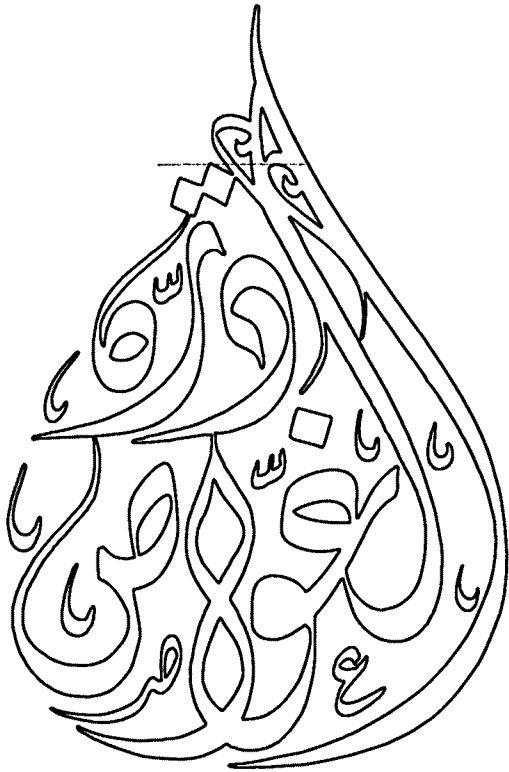
« قد توجد » . (٦) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « يا شقيق الجود » .

بمجلس من مجالس تميم إلا قالوا : مرحباً بسيدنا . فقال كعب : ما سمعت كلاماً قط هو أقرّ
لعيني ، وألذّ في سمعي مما سمعته اليوم ! فقال حارثة : ولكنني ما سمعت كلاماً قط هو أكره
إليّ منه ، ثم قال :

ذَهَبَ الرَّجَالُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مُدَافِعٍ وَمِنَ الشَّقَاءِ تَفَرَّدِي بِالسُّودِ (١)

٥ وهذا البيت يقال إنه لحارثة ، لا أنه تمثّل به .

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانيّ قال حدثني عبد الله بن جعفر قال حدثنا محمد بن يزيد
قال قال الكنانيّ : مرّ حارثة بن بدر بالأحنف بن قيس فقال : لولا أنك مستعجلٌ
لشاورتُك ، قال له : أجل ، كانوا يكرهون أن يشاورَ الجائع حتى يشبع ، والظمانَ حتى
ينقع ، والمُضِلَّ (٢) حتى يجيد ، والغضبانَ حتى يرضى ، والمحزونَ حتى يُفريق .



(١) من نسخة مجاشيعي الأصل ، ت : « غير مسودة » . (٢) المضل : الذي ذهب بعيره .

مَجْلِسُ آخِرِ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا / وَاللَّهُ سَرِيعٌ﴾ [١٢٩]
 الْحِسَابِ ﴿١﴾ ؛ [البقرة: ٢٠٢].

فقال : أى تَمُدِّحٍ في سرعة الحساب ، وليس بظاهرٍ وجهُ المدحة فيه ؟ .

الجواب ، قلنا في ذلك وجوه :

أولها أن يكون المعنى أنه سريع المجازاة^(١) للمباد على أعمالهم ، وأن وقتَ الجزاء ٥
 قريب وإن تأخر ، ويجري مجرى قوله تعالى : ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصِيرِ أَوْ هُوَ
 أَقْرَبُ﴾ ؛ [النحل : ٧٧] .

وإنما جاز أن يمتد عن المجازاة أو الجزاء بالحساب ؛ لأن ما يجازى به العبد هو كُفٌّ
 لفعله ولقدره ، فهو حساب له إذا كان مماثلاً مكافئاً .

ومما يشهد بأن في الحساب معنى الكفاية والمكافأة قوله تعالى : ﴿جَزَاءٌ مِنْ رَبِّكَ
 عَطَاءٌ حِسَابًا﴾ ؛ [النبا : ٣٦] ، أى عطاءً كافياً ، ويقال : أَحْسَبَنِي الطَّعَامُ يُحْسِبُنِي إِحْسَابًا
 إذا كفاني ، قال الشاعر :

وَإِذْ لَا تَرَى فِي النَّاسِ حُسْنَ يَفُوتُهَا وَفِي النَّاسِ حُسْنَ لَوْ تَأَمَّنْتَ مُحْسِبُ^(٢)
 معناه كافٍ .

(١) ت : « الحساب » .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « يصف امرأة بالحسن ويبالغ في وصفها ؛ يقول : مارأينا حسناً فات
 هذه المرأة وتمداها من أن مافي الناس كفاية حسن » .

وثانيها أن يكون المراد أنه عزّ وجل يحاسب الخلق جميعاً في أوقات يسيرة ، ويقال : إن مقدار ذلك مقدار حلب شاة ؛ لأنه تعالى لا يشغله محاسبة بعضهم عن محاسبة غيره (١) ؛ بل يكلمهم جميعاً ويحاسبهم كلهم على أعمالهم في وقت واحد ؛ وهذا أحد ما يدل على أنه تعالى ليس بجسم ، وأنه لا يحتاج في فعل الكلام إلى آلة ؛ لأنه لو كان بهذه الصفات - تعالى عنها - لما جاز أن يخاطب اثنين في وقت واحد بمخاطبتين مختلفتين ؛ ولما كان خطاب بعض الناس يشغله عن خطاب غيره ، ولكانت مدة محاسبته للخلق على أعمالهم طويلة غير قصيرة ؛ كما أن جميع ذلك واجب في المحدثين الذين يفتقرون في الكلام إلى الآلات .

وثالثها ما ذكره بعضهم من أن المراد بالآية أنه سريع العلم بكل محسوب ، وأنه لما كانت عادة بني الدنيا أن يستعملوا الحساب والإحصاء في أكثر أمورهم ؛ أعلمهم الله تعالى أنه يعلم ما يحسبون بغير حساب ؛ وإنما سُمي العلم حساباً لأن الحساب إنما يُراد به العلم ؛ وهذا جواب ضعيف ؛ لأن العلم بالحساب أو المحسوب لا يسمّى حساباً ، ولو سُمي بذلك لما جاز أيضاً أن يقال إنه سريع العلم بكذا ؛ لأن علمه بالأشياء مما لا يتجدد فيوصف بالسرعة .

ورابعها أن الله تعالى سريع القبول لدعاء عباده والإجابة لهم ؛ وذلك أنه يُسأل في وقت [١٣٠] واحدٍ سؤالاتٍ مختلفةٍ / من أمور الدنيا والآخرة ، فيجزى كلَّ عبدٍ بمقدار استحقاقه ومصالحته ، فيوصل إليه عند دعائه ومسألته ما يستوجبه بمقدار ؛ فلو كان الأمر على ما يتعارفه الناس لطلال العدد واتصل الحساب ، فأعلمنا تعالى أنه سريع الحساب ، أي سريع القبول للدعاء بغير إحساس وبحث عن المقدار الذي يستحقه الداعي ؛ كما يبحث المخلوقون للحساب والإحصاء ؛ وهذا الجواب مبني أيضاً على دعوى أن قبول الدعاء لا يسمّى حساباً في لغة ولا عرف ولا شرع . وقد كان يجب على من أجاب بهذا الجواب أن يستشهد ٢٠ على ذلك بما يكون حجة فيه ، وإلا فلا طائل فيما ذكره .

ويمكن في الآية وجه آخر ، وهو أن يكون المراد بالحساب محاسبة الخلق على أعمالهم يوم القيامة وموافقهم عليها ، وتكون الفائدة في الإخبار بسرعته الإخبار عن قرب الساعة ؛ كما قال تعالى : ﴿ سَرِيعُ الْعِقَابِ ﴾ .

وليس لأحد أن يقول : فهذا هو الجواب الأول الذي حكيموه ؛ وذلك أن بينهما فرقاً ؛ لأن الأول مبنى على أن الحساب في الآية هو الجزاء والمكافأة على الأعمال ، وفي هذا الجواب ه لم يخرج الحساب عن بابه وعن معنى المحاسبة ، والمقابلة بالأعمال وترجيحها ، وذلك غير الجزاء الذي يفضى الحساب إليه .

وقد طعن بعضهم في الجواب الثاني معترضاً على أبي عليّ الجُبَّائِيّ في اعتماده إياه ^(١) بأن قال ^(٢) : مخرج الكلام في الآية على وجه الوعيد ، وليس في خفة الحساب وسرعة زمانه ما يقتضى زجراً ، ولا هو مما يتوعد بمثله ؛ فيجب أن يكون المراد الإخبار عن قرب أمر الآخرة ١٠ والمجازاة على الأعمال .

وهذا الجواب ليس أبوعليّ هو المبتدئ به ، بل قدحكي عن الحسن البصريّ ، واعتمده أيضاً قُطْرُبُ بن المستنير النحويّ : وذكره الفضل بن سلمة ، وليس الطعن الذي حكيناه عن هذا الطاعن يبطل له ، لأنه اعتمد على أن مخرج الآية مخرج الوعيد ، وليس كذلك ، لأنه تعالى قال : ﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ . ١٥ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ . أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ ؛ [البقرة : ٢٠٠ - ٢٠٢] ، فالأشبه بالظاهر أن يكون الكلام وعداً بالثواب ، وراجعاً إلى الذين يقولون : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا [١٣٠] حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ ، أو يكون راجعاً إلى الجميع ، فيكون المعنى : إن للجميع نصيباً مما كسبوا ؛ فلا يكون وعيداً خالصاً ؛ بل إما أن يكون وعداً خالصاً أو وعداً ووعيداً ، على أنه لو كان وعيداً خالصاً على ما ذكر الطاعن لكان لقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ

سَرِيعُ الْحِسَابِ ، على تأويل من أراد قَصْرَ الزَّمان ، وسرعة الموافقة وجهٌ وتماقٌ بالوعد والوعيد ؛ لأن الكلام على كل حال متضمنٌ لوقوع المحاسبة على أعمال العباد ، والإحاطة بخيرها وشرِّها ؛ وإن وصف الحساب مع ذلك بالسرعة ؛ وفي هذا ترغيب وترهيب لا محالة ، لأن مَنْ علم أنه يحاسب بأعماله ، ويواقف^(١) على جميلها وقبيحها انزجر عن التبيح ورجب في فعل الواجب .

فهذا يُنصَّرُ الجواب ، وإن كنا لاندفع أن في حمل الحساب على قرب المجازاة ، أو قرب المحاسبة على الأعمال ترغيباً في الطاعات وزجراً عن القبائح ؛ فالتأويل الأول أشبه بالظاهر ونسق الآية ، إلا أن التأويل الآخر غير مدفوع أيضاً ولا مردول^(٢) .

تَأْوِيلُ آيَةِ أُخْرَى

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ؛ [البقرة : ٢١٢] .

١٠ فقال : أيُّ تمدُّح في الإعطاء بغير حساب ، وقد يكون المعطى بحساب أجزَلَ عطيةً من المعطى بغير حساب ؟ .

الجواب ، قلنا في هذه الآية وجوه :

أولها أن تكون الفائدة أنه تعالى يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بغير تقدير من المرزوق ولا احتساب

منه ، فالحساب هاهنا راجع إلى المرزوق لا إليه تعالى ؛ كما يقول القائل : ما كان كذاً وكذاً

١٥ في حسابي ، أي لم أوْملهُ ، ولم أقدر أنه يكون ؛ وهذا وصفٌ للرزق بأحسن الأوصاف ؛

لأن الرزق إذا لم يكن محتسباً كان أهناً له وأحلى ؛ وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنه في

تفسير هذه الآية أنه قال : عني بها أموال بني قُرَيْظَةَ والنَّضِيرِ ، وأنها تصير إليكم بغير

حساب ولا قتال ، على أسهل الأمور وأقربها وأيسرها .

وثانيها أن الله تعالى يرزق من يشاء رزقا غير مضميق ولا ممتتر؛ بل يزيد في السعة والكثرة على كل عطاء المخلوقين^(١)، فيكون نفي الحساب فيه نفيا^(٢) للتضييق، ومبالغة في وصفه بالسعة،

[١٣١]

والعرب تسمى العطاء القليل / محسوبا ، قال قيس بن الخطيم :

أَنْى سَرَيْتِ وَكُنْتِ غَيْرَ سَرُوبٍ ! وَتُقَرَّبُ الْأَحْلَامُ غَيْرَ قَرِيبٍ^(٣)

مَا تَمْنَعِي يَقْضَى فَقَدْ تَوَيْتِنَهُ فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرَّدٍ مَحْسُوبٍ^(٤)

وثالثها أن يكون المعنى أنه يرزق من يشاء ، أى من غير طاب للمكافأة أو إراغة لفائدة تعود إليه ، أو منفعة ترجع عليه ، لأن من شأن أهل الدنيا أن يُعطوا ليكافئوا ولينتفعوا ، ولهذا يقال فيمن يقصد بالمعطية إلى هذه الأمور : فلان يحاسب الناس فيما يعطيهم ، ويناقشهم فيما يوصله إليهم ، وما أشبه ذلك ، فلما انتفت هذه الأمور من عطايه سبحانه جاز أن يقول إنه يرزق بغير حساب .

ورابعها ما أجاب به قُطْرُبُ ، قال : معنى الآية يعطى العدد الكثير لا مما^(٥) يضبطه الحساب ، أو يأتي^(٦) عليه العدد ، لأن مقدوره تعالى لا يتناهى ، وما في خزائنه لا ينحصر ، ولا يصح عليه النفاذ ؛ وليس كالمعطى من الألف من الألفين ، والمشرة من المائة ؛ لأن مقدار ما يتبع له ويتمكن منه محدود متناهٍ ، ولا تنهى ولا انقطاع لما يقدر سبحانه عليه .

وخامسها أنه يعطى عباده فى الجنة من النعيم واللذات أكثر مما استحقوا ، وأزيد مما وجب لهم ، بحجاسبته إياهم على طاعتهم كما قال تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « عطاء للمخلوقين » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة)

« تقيضا » . (٣) ديوانه : ٥ ، وأمالى الدالى ٢ : ٢٧٣ ، وحاسة ابن الشجرى : ١٨٩ ،

واللآلى : ٥٢٤ . وفى حاشية الأصل : « يخاطب خيال امرأة رآها فى المنام ؛ يتعجب من سير خيالها إليه وكانت غير معتادة لسير ، والسروب : السارى ، وقيل : السرب سير النهار » . وفى حاشية ت :

« أنى سريت ... » . (٤) المراد : المقطع ؛ وفى حاشية ت : « وبعده :

كان المنى بلقائها فلقيتها فلهوت من لهو امرئ مكذوب

(٥) من نسخة بجواشى الأصل ، ت ، ف : « مما لا يضبطه الحساب » .

(٦) ت : « إذ يأتي عليه العدد » .

حَسَنًا فَيُضَاعَفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴿٢٤٥﴾ ؛ [البقرة : ٢٤٥] وكما قال عز وجل : ﴿ إِن تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ ؛ [التباين : ١٧] ، وكما قال تعالى : ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ؛ [فاطر : ٣٠] .

وسادسها أن يكون المعطى منّا غيرَه شيئًا والرازق سواء رزقا قديكون له ذلك، فيكون فعله حسنا لا يُسأل عنه ، ولا يؤاخذ به ، ولا يحاسب عليه؛ وربما لم يكن له ذلك، فيكون فعله قبيحا يؤاخذ به ، ويحاسب عليه ، فنفى الله تعالى عن نفسه أن يفعل من الرزق القبيح، وما ليس له أن يفعله بنفى الحساب عنه ، وأنبأ أنه لا يرزق ولا يُعطى إلا على أفضل الوجوه وأحسنها وأبعدها من الذمِّ ؛ وتجري الآية مجرى قوله تعالى : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ ؛ [الأنبياء : ٢٣] ، وإنما أراد أنه تعالى من حيث وقعت أفعاله كلها حسنة [١٣٠] غير قبيحة لم يجز أن يُسأل عنها / وإن سُئل العباد عن أفعالهم ، لأنهم يفعلون الحسن ^ظ والقبيح معاً .

وسابعها أن الله تعالى إذا رزق العبدَ وأعطاه من فضله كان الحسابُ عن العبد ساقطاً من جهة الناس ، فليس لأحد أن يقول له : لِمَ رَزَقْتَ؟ ولا يقول لربه : لِمَ رَزَقْتَهُ؟ ولا يسأله ربه عن الرزق ، وإنما يسأله عن إنفاقه في الوجوه التي يُنْفِقُ فيها ، فيسقط (١) الحساب من هذه الوجوه عمّا يرزقه الله تعالى ، ولذلك قال تعالى : ﴿ بَغْيِرِ حِسَابٍ ﴾ .

وثامنها أن يكون المرادُ بـ ﴿ مَنْ يَشَاءُ ﴾ أن يرزقه من أهل الجنة ، لأنه يرزقهم رزقاً لا يصح أن يتناول جميعه الحساب ، ولا العدد والإحصاء من حيث لا نهاية له ولا انقطاع للمستحق منه ؛ ويطابق هذه الآية قوله تعالى في موضع آخر : ﴿ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ؛ [غافر : ٤٠] .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

إن سأل سائلٌ عن الخبر الذي يُروى عن زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « تَوَضَّؤُوا مِمَّا غَيَّرَتِ النَّارُ » ، فقال : ما المرادُ بالوُضوءِ هاهنا ومذهبُكم أن مَسَّ ما غَيَّرَتْه النَّارُ لا يوجبُ وضوءًا ؟

الجواب ، إن معنى « تَوَضَّؤُوا » أى نظَّفُوا أيديكم من الزُّهومة ، لأنه رُوِيَ أن جماعة من الأعراب كانوا لا يفسِلون أيديهم من الزُّهومة ويقولون : فقدُّها أشدُّ علينا من رِيحها ، فأمر عليه السلام بتنظيف الأيدي لذلك ^(١) .

فإن قيل : كيف يصحَّ أن تحمِلوا الخبرَ على اللفظ اللغويِّ ، مع انتقاله بالعرف الشرعيِّ إلى الأفعال المخصوصة ، بدلالة أن مَنْ غسَلَ يده أو وجهه لا يقول بالإطلاق : « تَوَضَّأتُ » ، ومتى سلِمَ لكم أن الوضوء أصلُه من النظافة لم ينفعكم مع الانتقال الذى ذكرناه ، وكلامه عليه السلام أخصُّ بالعُرف الشرعيِّ ، وحمله عليه أولى من حمله على اللغة . ١٠

قلنا : ليس يُنكَّر ^(٢) أن يكون إطلاق الوُضوء هو المنتقل من اللغة إلى عُرف الشرع ، والمختصُّ بالأفعال المميَّنة ، وكذلك المضاف منه إلى الحدِّث أو الصلاة وما أشبههما ^(٣) . فأما المضافُ إلى الطعام وما جرى مجراه فباقٍ على أصله ؛ ألا ترى أنهم لو قالوا : تَوَضَّأتُ من الطعام ، ومن الغمَر ^(٤) ، أو تَوَضَّأتُ للطعام لم يفهم منه إلا الغسل والتنظيف ، وإذا قالوا : تَوَضَّأتُ إطلاقًا ، أو تَوَضَّأتُ من الحدِّث أو للصلاة فهم منه / الأفعال الشرعية ؛ فليس [١٣٢] يُنكَّر ما ذكرناه من اختصاص النقل ، لأنه كما يجوز انتقال اللفظة من فائدة فى اللغة إلى فائدة فى الشرع على كلِّ وجه ، كذلك يجوز أن تنتقل على وجهٍ دون وجه ، وتبقى من الوجه الذى لم تنتقل منه على ما كان عليه فى اللغة .

وقد ذهب كثير من الناس إلى أن إطلاق لفظة « مؤمن » منتقل من اللغة إلى عرف

(١) حاشية ت (من نسخة) : « عن ذلك » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « ليس نسكر »

(٣) فى حاشية ت (من نسخة) : « وما أشبهها » . (٤) الغمر ، بالتجريك : زنج اللحم .

الدين ومختصّ باستحقاق الثواب ، وإن كان مقيداً بها بافياً على ما كان عليه في اللغة .
 وبين ذلك أيضاً ما روى عن الحسن أنه قال: « الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر ، وبعده ينفي
 اللّم »؛ وإنما أراد غسل اليدين بغير شك . وروى عن قتادة أنه قال: « غَسَلُ اليدِ وضوءٌ »
 وروى عكرّاش^(١) أن رسول الله صلى الله عليه وآله أكل^(٢) وغسلَ يده ومسحَ ببلل يده
 وجهه^(٣) وذراعيه ورأسه^(٤) ، وقال: « هكذا الوضوء ممّا مسّت النار » ، على أنه لو كانت
 هذه اللفظة منتقلة على كلِّ حال إلى الأفعال الشرعية المخصوصة لصحَّ أن نحمله^(٥) في الخبر
 على خلاف ذلك ، وزدّها إلى أصلها بالأدلة ، وإن كان الأولى لولا الأدلة أن تحمل على
 مقتضى الشرع^(٥) .

فمن الأدلة على ما ذكرناه ما رواه ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله أكل كَتِفَ
 ١٠ شاةٍ ، وقام فصلي ولم يتوضأ . وروى عطاء عن أم سلمة قالت: قرّبتُ جنباً مشوياً إلى النبي صلى
 الله عليه وآله ، فأكل منه ، وصلي ولم يتوضأ . وروى محمد بن المنكدر عن جابر أنه قال : كان
 آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وآله ترك الوضوء ممّا مسّت النار^(٦) .

وكلُّ هذه الأخبار توجب العدول عن ظاهر الخبر الأول لو كان له ظاهر ، فكيف وقد
 بينّا أنه لا ظاهر له !

١٥ فأما اشتقاق الوضوء فهو من الوضأة التي هي الحسن ، فلما كان من غسل يده ونظفها
 قد حسنتها قيل وضأها ؛ ويقال : فلان وضىء الوجه وقومٌ وضاءٌ ، قال الشاعر :

(١) هو عكرّاش بن ذؤيب بن حرقوس ، وفي ت ، ف : « عكرمة عن أنس » .

(٢-٢) حاشية ت (من نسخة) : « وغسل يديه ، ومسح ببلل يديه » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « وبلل ذراعيه رأسه » . (٤) ت ، د ، ومن نسخة بحاشيتي

الأصل ، ف : « نحملها » .

(٥) حواشي الأصل ، ت ، ف : « إنما نحمل اللفظة على العرف الشرعي فيما يتعلق بالأحكام

الشرعية حسب » . (٦) في حاشيتي الأصل ، ف : « كان في الأول يتوضأ ممّا مسته النار ثم ترك » .

مَسَامِيحُ الْفَعَالِ ذُو أُنَاةٍ مَرَّاجِيحٍ وَأَوْجُهُمْ وِضَاءٌ^(١)

والوِضَاءُ، بضم الواو: المصدر، وكذلك أيضاً التَّوَضُّؤُ والوِضُوءُ، بفتح الواو: اسم ما يتوضأ به، وكذلك الوَقُودُ/الوَقُودُ اسم لما تُوقَدُ به النار: والوَقُودُ، بالضم: المصدر، ومثله التَّوَقُّدُ، [١٣٢] وقد يجوز أن يكون الوَقُودُ، بفتح الواو: المصدر، وكذلك الوِضُوءُ بفتح الواو؛ كما قالوا: حَسَنَ القَبُولِ، فُجِلُوا القَبُولَ مصدرًا، وهو مفتوح الأول، ولا يجوز في الوَقُودِ والوِضُوءِ ه بالضم إلا معنى المصدر وحده، قال جرير -

أَهْوَى أَرَاكَ بَرَامَتَيْنِ وَقُودًا أُمَّ الْجَنِينَةِ مِنْ مَدَافِعِ أودَا^(٢)

وقال آخر:

إِذَا سُهَيْلٌ لَاحَ كَالْوَقُودِ فَرَدَا كَشَاةَ البَقْرِ المَطْرُودِ

وقال آخر:

وَأَجَجْنَا بِكُلِّ يَفَاعٍ أَرْضِ وَقُودِ النَّارِ لِلمَتَنُورِينَا^(٣)

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن إبراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إبراهيم بن المنذر قال حدثني إبراهيم بن محمد عن عبد العزيز ابن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن ابن شهاب قال: أتيتُ عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود^(٤) يوماً في منزله، فإذا هو متغيظ^(٥) ينفخ، فقالت له: مالي أراك هكذا! ١٥ قال: دخل علي^(٦) عاملكم هذا - يعني عمر بن عبد العزيز - ومعه عبد الله بن عمرو بن عثمان (١) حاشية ف: « السمع: الأجواد والجمع سمحاء؛ ومساميح؛ كأنه جمع مسماح. والمراجيح: الخلاء ».

(٢) ديوانه ١٦٩. ورامة والجنينة وأود: مواضع والمدافع: جمع مدفع؛ وهو مسيل الماء إلى

الوادي وفي حاشيتي الأصل، ف: « يقول: الذي يريك وقود النار بهذه المواضع عشق هذا ».

(٣) اليفاع: المرتفع من الأرض؛ والمتنور: من ينظر إلى النار من بعيد؛ قال امرؤ القيس:

تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَدْرِعَاتِ وَأَهْلِهَا بِيَثْرَبَ أَدْنَى دَارِهَا نَظْرًا عَالٍ

(٤) أحد الفقهاء السبعة بالمدينة توفي سنة ٩٨؛ وكان ضريراً؛ ذكره الصفدي في نكت الهميان:

١٩٧-١٩٨، وانظر ترجمته وأشعاره في الأغاني ٨: ٨٨-٩٥. (٥) من نسخة بمواشي الأصل،

ت، ف: « متغيظ ». (٦) ت: « دخلت علي عاملكم ».

فسلمت، فلم يردّا علىّ السلامَ ، فقلت^(١) :
 ألا أبلغنا عنّي عراكَ بن مالكٍ
 فقد جمعتُ تبدؤَ شوا كِلْ مِنْكُمْ
 وطاوعتُمَا بي غادراً ذَا معاكَةٍ
 فإن أنت لم تفعلْ فأبلغْ أبا بكرٍ^(٢)
 فإنّكُمَا بي موقرانِ مِنَ الصّخرِ^(٣)
 لعمري لقد أوري وما مثله يُوري^(٤)
 - يقال : معك به وسدل به^(٥) إذا تعرض له بشر^(٥) -

فلولا اتقا الله اتقائي فيكما
 فمسا تراب الأرض، منها خلقتُمَا
 ولا تأنفا أن تُغشياً فتكلما
 ولو شئت أدلى فيكما غير واحد
 للمتكما لوماً أحرّ من الجمرِ^(٦)
 وفيها المأد والمقام إلى الحشرِ
 فما حُشي الأقومُ شراً من الكبرِ^(٧)
 علانيةً أو قال عندى في السرِّ^(٨)

/ - معناه : لو شئت اغتابكما عندى غير واحد -

فإن أنا لم أمر ولم أنه عنكما
 وكيف تريدان ابن سبعمين حجةً
 ضحكت له حتى يلبج ويستشري^(٩)
 على ما أتى وهو ابن عشرين أو عشرين^(١٠)

(١) الخبر بروايته عن ابن شهاب في (الأغانى ٨ : ٩١-٩٢)، وفيه رواية أخرى أيضاً ص ٩١ عن ابن اديس : « كان عراك بن مالك وأبو بكر بن حزم وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة يتجالسون بالمدينة زمانا ؛ ثم إن ابن حزم ولى لامرتها ، وولى عراك القضاء ، وكانا ييران بعبيد الله فلا يسلمان عليه ولا يقفان - وكان ضريراً - فأخبر بذلك فأنشأ يقول . . . » ، وأورد الأبيات (٢) حاشية ت (من نسخة) : « ألا أبلغنا »
 (٣) الشوا كل : جمع شاكلة ؛ وهى الخاصرة ، وأراد بها هاهنا أموراً ينكرها . وبن ؛ أى بمكانى
 (٤) فى حاشيتى الأصل ، ف : « قوله : « وطاوعتاني » فى حيز التشبيه ؛ يقول : كأنكما موقران ، وكأناكما إذ طاوعتاني طاوعتما غادراً عريضا . ثم قال : لعمري لقد أوري هذا الفعل منكما ؛ أى فسد ؛ من وري جوفه ؛ أو أوقد - يعنى شرا ، أى أثر وكنت لا أتأثر بمثل ذلك »
 (٥-٥) ت : « إذا تعرض به لشر » . (٦) حاشية ف : « أى لولا اتقائي بتقى الله للمتكما ؛ وهو مثل ؛ ويجوز أن يكون قوله : « اتقائي » مفعولاً له ؛ أى للاتقاء . (٧) ت ، حاشية الأصل (من نسخة) : « تكلمما » ، بكسر اللام المشددة وفى حاشية الأصل أيضاً (من نسخة) : « أن ترجما فتسلما » . (٨) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « عندى فى سر » . يقال : أدلى فلان فى فلان إذا قال فيه قولاً قبيحاً . (٩) الضمير فى « له » يعود إلى المغتاب ، واستشري فى الأمر : لج فيه ؛ أى يجترئ ويظهر ؛ وأصل الكلمة الاستخراج . (١٠) يريد أن يقول : كيف تريداننى على ما امتنعت عنه وأنا صبى !

تقد علفت دلوًا كما دلّو حولٍ من القوم لا رخو المراس ولا نزر^(١)
قال ابن شهاب : فقلت له : مثلك يرشحك الله مع نفسك وفضلك وفهمك^(٢) يقول
الشعر ! فقال : إن المصدور إذا نفث برى .

وإنما ذكر عراك بن مالك وأبا بكر بن عمرو بن حزم - وكانا صديقيه - كناية بذكرهما

عن ذكر غيرهما .

وقد جاءت رواية أخرى أن أبا بكر بن عمر^(٣) بن حزم وعراك بن مالك كانا يجتازان على
عبيد الله فلا يسلمان عليه، فقال الأبيات يخاطبهما بها .

وروى محمد بن سلام لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة :

إذا كان لي سرٌّ فحدّثته العدى وضاقَ به صدري ، فللنّاسُ أَعْدَرُ^(٤)

هو السرُّ ما استودعته وكتّمته وليسَ بسرٍّ حينَ يَفْشُو ويظهر^(٥)

وأشدّ مصعب الزبيرى لعبيد الله بن عتبة بن مسعود :

أواخي رجالاً لستُ مُطّلعٌ بعضهم على سرٍّ بعضٍ إن صدري واسعه

إذا هي حلتّ وسطَ عوذِ ابنِ غالبٍ فذلكَ وُدٌّ نازِحٌ لا أطلعه^(٦)

تلاقت حيازيمي على قلبِ حازمٍ كَتومٍ لِمَا ضَمّتَ عليه أضالعه^(٧)

بني لي عبدُ الله في سورةِ العلاءِ وعُتْبَةُ مجَدًّا لا تُنالُ مصانعه^(٨)

والبيت الأول يشبه قول مسكين الدارمي :

وفتيانٍ صدقي لستُ مُطّلعٌ بعضهم على سرٍّ بعضٍ غيرَ أني جماعها^(٩)

(١) حول : شديد الاحتيال ؛ أي أنكما ، وقتما على من لا تطيقان دفعه عن أنفسكما .

(٢) من نسخة بجواشي الأصل ، ت ، ف : « وفقك » . (٣) حاشية (من نسخة) :

« عمرو » . (٤) العدى بالكسر : الأجانب ، وباضم الأعداء . (٥) حاشية ت (من نسخة) :

« وحفظته » . (٦) الضمير يعود على المودة ، وعوذ : جمع عائد ، وهي الحديثة التناج من الإبل وغيرها .

(٧) في الأغاني : « شددت حيازيمي » . والحيزوم : وسط الصدر . ومن نسخة بجواشي الأصل ،

ت : « ضمت » ، بالبناء للمعالم (٨) المصانع : الأبنية . (٨) الحماسة - بشرح التبريزي ٣ : ١٢٦ .

ومما يستحسن لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة قوله :

تَعْلَغَلْ حُبُّ عَثْمَةَ فِي فُؤَادِي فَبَادِرِهِ مَعَ الْخَلْفَى يَسِيرُ^(١)
تَعْلَغَلْ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابُ وَلَا حُزْنَ وَلَمْ يَبْلُغْ سُورُ
/ شَقَقْتُ الْقَلْبَ ثُمَّ ذَرَرْتُ فِيهِ هَوَاكَ فَلَيْمَ فَالْتَامَ الْفُطُورُ^(٢)
أَكَادُ إِذَا ذَكَرْتُ الْعَهْدَ مِنْهَا أَطِيرُ لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا يَطِيرُ
غَنَى النَّفْسِ أَنْ أزدَادَ حُبًّا وَلَكِنِّي إِلَى وَصَلِ قَمِيرُ^(٣)
وأخذ هذا المعنى أبو نواس فقال :

[١٣٣]
ظ
٥

أَحَلَّتْ فِي قَلْبِي هَوَاكَ مَحَلَّةً مَا حَلَمَهَا الْمَشْرُوبُ وَالْمَأْكُولُ^(٤)
وأخذه المتنبي في قوله :

وَاللَّسْرُ مِنِّي مَوْضِعٌ لَا يَنَالُهُ نَدِيمٌ وَلَا يَفْضِي إِلَيْهِ شَرَابُ^(٥) ١٠
وَكأنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ الْأَحْنَفِ أَلَمَّ بِهِ فِي قَوْلِهِ :

لَوْ شَقَّ قَلْبِي قُرَى وَسَطَهُ اسْمُكَ وَالتَّوْحِيدُ فِي سَطْرِ
وقال الصاحب السماعيل بن عباد :

لَوْ شَقَّ قَلْبِي لَرَأَوْا وَسَطَهُ سَطْرَيْنِ قَدْ خُطَّ بِبَلَا كَاتِبِ
الْعَدْلُ وَالتَّوْحِيدُ فِي جَانِبِ وَحُبُّ أَهْلِ الْبَيْتِ فِي جَانِبِ ١٥

وقول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أحسن من الجميع وبعده بيت المتنبي .
ولعبيد الله بن عبد الله بن عتبة :

لَعَمْرُؤُ أَبِی الْمُحْصِنِ أَيَّامَ نَلْتَقِي لِمَا لَا نَلَاقِيهَا مِنَ الدَّهْرِ أَكْثَرُ

(١) الأبيات في أمالي القالي ٣ : ٢١٧ ، وذكر صاحب الأغاني أن عثمة زوجة .
(٢) الفطور : الشقوق . (٣) حاشية ت : • يعني أنه يستغنى عن ازدياد حب إلى حبه ، لأنه قد تنهى . وأن أزداد ، يعني : عن أن ازداد . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « المأكول المشروب » . (٥) ديوانه : ١٩٢ .

يَعُدُّونَ يَوْمًا وَاحِدًا إِنْ أَنْتَبَهْنَا
وَيَنْسَوْنَ مَا كَانَتْ عَلَى الدَّهْرِ تَهَجَّرُ
فَإِنْ يَكُنِ الْوَأَشُونَ أَغْرُوا بِهَجْرِنَا (١)

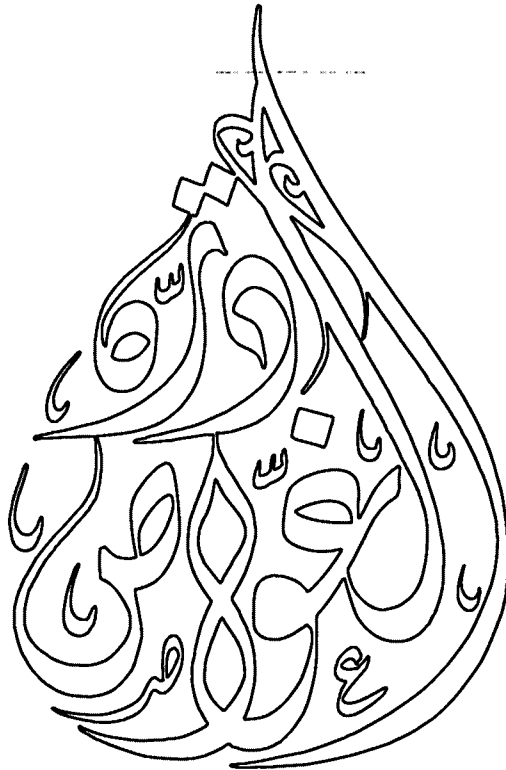
ومن مستحسن قوله :

لَعَمْرِي لَنْ شَطَّتْ بِعَثْمَةٍ دَارُهَا
أَرْوَحُ بِهِمْ ثُمَّ أَغْدُو بِمِثْلِهِ
لقد كنتُ في وَشَكِ الْفِرَاقِ أَلْبِيحُ (٢)

٥

أخذ هذا المعنى بشار، فقصر عنه في قوله :

يُصْبِحُ مَحْزُونًا وَيُمْسِي بِهِ
وَلَيْسَ يَدْرِي مَالَهُ عِنْدَكَ



(٢) ت ، وحاشية الأصل من نسخة : « من وشك الفراق » .

(١) م : « بهجرها » .

وألبيح : أشفق .

مَجْلِسِ آخِر

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى حاكياً عن شعيب عليه السلام : ﴿ قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ﴾ [الأعراف : ٨٩] .

[١٣٤] فقال : أليس هذا تصریحاً منه بأن الله تعالى يجوز أن يشاء الكفر والقيح ؛ لأن ملة /
قومه كانت كفراً وضلالاً ، وقد أخبر أنه لا يعود فيها إلا أن يشاء الله ؟

الجواب ، قيل له في هذه الآية وجوه :

أولها أن تكون الملة التي عنها الله إنما هي العبادات الشرعية ؛ التي كان قوم شعيب متمسكين بها ؛ وهي منسوخة عنهم ، ولم يعن بها ما يرجع إلى الاعتقادات في الله وصفاته ؛ مما لا يجوز أن تختلف (١) العبادة فيه ، والشرعيات يجوز فيها اختلاف العبادة ؛ من حيث تبعت (٢) المصالح والألطف والمعلوم من أحوال المكلفين ؛ فكأنه قال : إن ملتكم لا نعود فيها ؛ مع علمنا بأن الله تعالى قد نسخها وأزال حكمها ، إلا أن يشاء الله أن يتعبدنا بمثلها فنعود إليها ؛ وتلك الأفعال التي كانوا متمسكين بها ؛ مع نسخها عنهم ونهيم عنها - وإن كانت ضللاً وكفراً - فقد كان يجوز فيما هو مثلها أن يكون إيماناً وهدي ؛ بل فيها أنفسها قد كان يجوز ذلك ؛ وليس تجرى هذه الأفعال مجرى الجهل بالله تعالى ، الذي لا يجوز أن يكون إلا قبيحاً .

وقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقال : كيف يجوز أن يتعبد لهم الله تعالى بتلك الملة مع قوله : ﴿ قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا ﴾ ؟

(١) ت : « اختلاف العبادة . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « تتبع » .

فيقال له : لم ينفِ عَوْدَهُمْ إِلَيْهَا عَلَى كُلِّ وَجْهِ ؛ وَإِنَّمَا نَفَى الْعَوْدَ إِلَيْهَا مَعَ كَوْنِهَا مَنْسُوخَةً مِنْهَا ،
عِنْدَ ؛ وَالَّذِي عَلَّقَهُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْعَوْدِ إِلَيْهَا هُوَ بَشْرَطِ أَنْ يَأْمَرَ بِهَا ، وَيَتَعَبَّدَ بِمَثَلِهَا ،
وَالْجَوَابُ مُسْتَقِيمٌ لَا خَلَلَ فِيهِ .

وإثباتها أنه أراد أن ذلك لا يكون أبداً من حيث علّقه بمشيئة الله تعالى لما كان معلوماً
أنه لا يشاؤه ؛ وكلُّ أمرٍ علّقَ بما لا يكون فقد نفى كونه على أبعد الوجوه ؛ وتجري الآية
مجرى قوله تعالى : ﴿ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ ؛ [الأعراف : ٤٠] ؛
وكما يقول القائل : أنا لا أفعلُ كذا حتى يبيضَّ القار ؛ أو يشيبَ الغراب ؛ وكما قال الشاعر :
وحتى يثوبَ القارِظانِ كِلاهُمَا وَيُنْشَرَ فِي الْقَتْلِ كُليبٌ لوائلٍ (١)
والقارِظان لا يثوبان أبداً ، وكليب لا يُنْشَرُ أبداً ؛ فكأنه قال : إن هذا لا يكون أبداً .

وثالثها / ما ذكره قُطْرِبُ بنِ المُسْتَنيرِ من أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا ، وأن الاستثناء [١٣٤] ^ظ
من الكفار وقع لا من شعيب ؛ فكأنه تعالى قال حاكياً عن الكفار : ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ
يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا ﴾ ؛ [الأعراف : ٨٨] ، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ أَنْ
تَعُودَ فِي مِلَّتِنَا ؛ ثم قال تعالى حاكياً عن شعيب : ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا ﴾ على
كل حال .

ورابعها أن تعود الهاء التي في قوله : ﴿ فِيهَا ﴾ إلى القرية لا إلى الملة ؛ لأن ذكرَ ١٥
القرية قد تقدّم كما تقدم ذكرُ الملة ؛ ويكون تلخيص الكلام : إِنَّا سَنَخْرِجُ مِنْ قَرْيَتِكُمْ ،
وَلَا نَعُودُ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ بِمَا يُنِجِزُهُ لَنَا مِنَ الْوَعْدِ فِي الْإِظْهَارِ عَلَيْكُمْ ، وَالظَّفَرُ بِكُمْ ،
فنعود إليها .

وخامسها أن يكون المعنى : إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرُدَّكُمْ إِلَى الْحَقِّ ، فنكون جميعاً على

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي ، ديوان الهذليين ١ : ١٤٥ . والقارِظان هما رجلان من عنزة ؛ خرجا
ينتحيان القرظ ويحبتنيانه ، فلم يرجعا ؛ فضرب بهما المثل ؛ وانظر اللسان (قرظ) ، وشرح ديوان الهذليين .

ملة واحدة غير مختلفة ؛ لأنه لما قال تعالى حاكياً عنهم : ﴿ أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ كان معناه : أو لنكوننَّ على ملة واحدة غير مختلفة ، فحسُنَ أن يقول من بعد : إلا أن يشاء الله أن يجمعكم معنا على ملة واحدة .

فإن قيل : الاستثناء بالمشيئة إنما كان بعد قوله : ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُوذَ فِيهَا ﴾ ؛ فكأنه قال : ليس نعوذُ فيها إلا أن يشاء الله ، فكيف يصح هذا الجواب ؟

قلنا: هو كذلك ؛ إلا أنه لما كان معنى ﴿ أَنْ نَعُوذَ فِيهَا ﴾ ، هو أن تصير ملتنا واحدة غير مختلفة جاز أن يوقع الاستثناء على المعنى فيقول : ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ أن تتفق في الله بأن ترجعوا أنتم إلى الحق .

فإن قيل : فكأنَّ الله تعالى ما شاء أن يرجع الكفار إلى الحق !

قلنا : بل قد شاء ذلك ، إلا أنه ما شاءه على كل حال ، بل من وجهٍ دون وجه ، وهو

أن يؤمنوا وبصيروا إلى الحق مختارين ؛ ليستجيبوا الثواب الذي أجرى^(١) بالتكليف إليه ،

ولو شاءه على كل حال لما جاز ألا يقع منهم ؛ فكأن شعيباً عليه السلام قال : إن ملتنا

لا تكون واحدة أبداً ؛ إلا أن يشاء الله أن يُلجئكم إلى الاجتماع معنا على ديننا وموافقنا

في ماتنا ؛ والفائدة في ذلك واضحة ؛ لأنه لو أطلقنا لا نتفق أبداً ، ولا تصير ملتنا واحدة

لتوهم متوهم أن ذلك مما لا يمكن على حال من الأحوال ؛ فأفاد بتعليقه^(٢) له بالمشيئة

هذا الوجه ؛ ويجرى قوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ بجرى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ

لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً ﴾ ؛ [يونس : ٩٩] .

[١٣٥] وسادسها أن يكون المعنى : إلا أن يشاء الله أن يمكنكم من إكراهنا ، / ويجئني

بينكم وبينه ، فنعود إلى^(٣) إظهارها مكرهين ؛ ويقوى هذا الوجه قوله تعالى : ﴿ أَوْ لَوْ كُنَّا

كأبرهين ﴾ ؛ [الأعراف : ٨٨] .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « الذي أجرى » بالألف . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « فأفاد

تعليقه » . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « فنعود في إظهارها » .

وسابغها أن يكون المعنى إلا أن يشاء الله أن يتعبدنا بإظهار ملتكم مع الإكراه؛ لأن إظهار كلمة الكفر قد تحسن في بعض الأحوال إذا تعبد الله تعالى بإظهارها؛ وقوله: ﴿أَوْ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ يقوَّى هذا الوجه أيضاً.

فإن قيل: فكيف يجوز من نبي من أنبياء الله تعالى أن يتعبد بإظهار الكفر وخلاف ماجاء به من الشرع؟

قلنا: يجوز أن يكون لم يُرد بالاستثناء نفسه بل قومه؛ فكأنه قال: وما يكون لي ولا لأمتي أن نعود فيها إلا أن يشاء الله أن يتعبد أمتي بإظهار ملتكم على سبيل الإكراه؛ وهذا جائز غير ممتنع.

تَأْوِيلُ خَبَرِ

روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا أَبَقَتْ غِنَى، وَالْيَدُ الْعَالِيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ.»

١٠

وقد قيل في قوله: «خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا أَبَقَتْ غِنَى»: قولان:

أحدهما أن خير ما تصدقت به ما فضل عن^(١) قوت عيالك وكفائتهم، فإذا خرجت صدقتك عنك إلى من أعطيت خرجت عن استغناء منك ومن عيالك عنها؛ ومثله في الحديث الآخر: «إِنَّمَا الصَّدَقَةُ عَنْ ظَهْرِ غِنَى.» وقال ابن عباس رحمة الله عليه في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾؛ [البقرة: ٢١٩]؛ قال: ما فضل عن أهلك.

١٥

والجواب الآخر، أن يكون أراد: خير الصدقة ما أغنيت به من أعطيت عن المسألة، أي تجزئ له في العطيّة، فيستغنى بها ويكف عن المسألة؛ وذلك مثل أن يريد الرجل أن يتصدق بمائة درهم، فيدفعها إلى رجل واحد محتاج، فيستغنى بها ويكف عن المسألة، فذلك أفضل من أن يدفعها إلى مائة رجل لا تبين عليهم.

(١) حاشية ت (من نسخة): «ما فضل من قوت عيالك.»

والتأويلُ الأوَّلُ يشهد له آخِرُ الخبر وهو قوله : « وأبدأُ بَمَنْ تعولُ » ، ويشهدُ له الحديثُ الآخرُ أيضاً : « إنما الصدقةُ عن ظهرِ غنى » .

وقوله : « اليدُ العليا خيرٌ من اليدِ السفلى » ، قال قوم : يريدُ أن اليدَ المعطيةَ خيرُ من الآخذة ، وقال آخرون : إنَّ العليا هي الآخذة ، والسفلى هي المعطية .

٥ وقال ابنُ قتيبة : ولا أرى هؤلاء إلا قوماً استطابوا السؤالَ ؛ فهم يحتجُّون للدناءة ؛ ولو كان هذا يجوزُ ل قيل : إن المولى من فوق هو الذى أُعْتِقَ ، والمولى من أسفل هو الذى أُعْتِقَ ، والناسُ إنما يَعْلَمُونَ بالمطايا لا بالسؤال .

قال سيدنا أدام الله علوه : وعندى أن معنى قوله عليه السلام : « اليدُ العليا خيرٌ من اليدِ السفلى » غيرُ ما ذكر من الوجهين جميعاً ؛ وهو أن تكونَ اليدُ هاهنا هي العطية والنعمة ؛ لأنَّ النعمة قد تُسمَّى يداً في مذهب أهلِ اللسانِ بغيرِ شكٍّ ؛ فكأنه صلى الله عليه وآله أراد أن العطيةَ الجزيلةَ خيرٌ من العطيةِ القليلةِ . وهذا حث منه صلى الله عليه وآله على المكارم ، وتحضيضٍ على اصطناعِ المعروف بأوجزِ الكلامِ وأحسنِهِ مخرجاً .

ويشهدُ لهذا التأويلُ أحدُ التأويلين^(١) المتقدمين في قوله : « ما أبتُ غنى » ، وهذا أشبهُ وأولى من أن تُحْمَلَ اليدُ على الجارحة ؛ لأنَّ مَنْ ذهب إلى ذلك وجعل العطيةَ خيراً من الآخذة لا يستمرُّ قوله ؛ لأنَّ فيمن يأخذ مَنْ هو خيرٌ عند الله تعالى ممَّن يعطى ؛ ولفظة « خير » لا تُحْمَلُ إلا على الفضل في الدين واستحقاق الثواب ؛ فأما مَنْ جعلَ الآخذةَ خيراً من المعطية فيدخل عليه هذا الطعن أيضاً ؛ مع أنه قد قال قولاً شنيعاً^(٢) ، وعكس الأمرَ على ما ذكر^(٣) ابنُ قتيبة .

٢. فإن قيل : كيف يصحُّ تأويلكم مع قوله عليه السلام : « خيرُ الصدقة ما أبتُ غنى » وهي^(٤) لا تبقى غنى إلا بعد أن تنقصَ من غيرها ؛ وإذا كانت العطية التي هي أجزلُّ

(١) من نسخة مجاشيتي الأصل ، ف : « أحد الخبرين » . (٢) م : « شنيعاً » .

(٣) م : « ما قال » . (٤) ت : « فهي » .

أفضلُ فتلك لا تُبقي غِنَى ، والتي تبقى غِنَى ليست الجزيلة، وهذا تناقض .

قلنا : أماتأويلنا فمطابق^(١) للوجهين المذكورين في قوله: « ما بقت^(٢) غِنَى »؛ لأنَّ مَنْ تأوَّل ذلك على أنَّ المراد بها المعطى، وأنَّ خير العطية ما أغنته عن المسألة فالطابفة ظاهرة، ومَنْ تأوَّلَه على الوجه الآخر، وسَمَل ما بقتى الغنى على المعطى وأهله وأقاربه؛ فتأويلنا أيضاً مطابق له، لأنه قد يكون في العطايا التي يَبقى بعدها الغنى على الأهل والأقارب جزيلٌ وغير جزيل، فقال عليه السلام: « خير الصدقة ما بقت^(٢) غنى » بعد إخراجها؛ والعطية الجزيلة التي تُبقي بعدها غِنَى خير من القليلة، فمدح عليه السلام بعد إبقاء الغنى جزيلَ العطية، وحثَّ على الكرم والفضل.

أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا قال أخبرنا أبو عبيد الله الحكيمى قال أملى علينا أبو العباس / أحمد بن يحيى النحوى قال : أنشدنا ابن الأعرابيُّ لثابت قُطْنَةَ [١٣٦] العتكي^(٣):

يا هِنْدُ كيفَ بَنُصِبِ باتَ يُبْكيني وعائِرٍ في سَوادِ العَيْنِ يُؤذيني^(٤)
 كَأَنَّ لَيْلِي والأَصْداءَ ها جِدَّةُ لَيْلُ السَّليمِ وأَعْيَا مَنْ يُداوِيني
 لَمَّا حَسَى الدَّهْرُ مِنْ قَوسِي وَعَدَّرَنِي شَيْبِي وَقاسِيتُ أَمْرَ العَلِظِ واللائِنِ^(٥)

- (١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « فيضابق الوجهين » . (٢) ت : « ما بقت » .
 (٣) هو أبو العلاء ثابت بن كعب ، شاعر فارس ؛ من شعراء الدولة الأموية ، وكان في صحابة يزيد بن المهلب ، وثقب قطنه ؛ لأن سمها أصابه في عينه في بعض حروب الترك . وانظر ترجمته وأخباره وأشعاره في (الأغاني ١٣ : ٤٧-٤٤ ، والخزانة ٤ : ١٨٥-١٨٧ ، والشعر والشعراء ٦١٢-٦١٣) .
 (٤) القصيدة في رثاء الفضل بن المهلب ؛ وهند هي بنت الفضل ؛ دخل عليها ثابت ، والناس حولها جلوس يزونها ؛ فلما أنشدها هذه القصيدة قالت : ليست المصيبة في قتل من استشهد ذابا عن دينه ، مطيعا لربه ؛ وإنما المصيبة فيمن قلت بصيرته ، وخمل ذكره بعد موته ؛ وأرجو ألا يكون الفضل عند الله خاملا .
 والقصيدة في (أملى الزجاجي ١٣٠-١٣١ ، وأبيات منها في الأغاني ١٣ : ٥١-٥٢) . النصب : البلاء والعتاب . والعائِر : الغذى والرمد ، وكذلك العوار .
 (٥) عذرني شيبى ؛ أى شيبني من جانبي وجهي ؛ من العذارين .

إِذَا ذَكَرْتُ أَبَا غَسَّانَ أَرَقَّنِي إِذَا عَرَضَ السَّارُونَ يُشَجِّنِي (١)
 كَانَ الْمَفْضَلُ عِزًّا فِي ذَوَى يَمَنِ وَعِصْمَةٌ وَمَالًا لِلْمَسَاكِينِ (٢)
 غَيْثًا لَدَى أَزْمَةٍ غِبْرَاءَ شَاتِيَّةٍ مِنَ السَّنِينِ وَمَأْوَى كُلِّ مِسْكِينِ (٣)
 إِنِّي تَذَكَّرْتُ قَتْلَى لَوْ شَهِدْتُهُمْ فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ لَمْ يَصَلَوْا بِهَا دُونِي
 لِأَخِيرِ فِي الْعَيْشِ إِذْ لَمْ نَجْنِ بَعْدَهُمْ حَرْبًا تُنِي بِهِمْ قَتْلَى فَتَشْفِينِي
 لَا خَيْرَ فِي طَمَعٍ يُدْنِي إِلَى طَبَعٍ، وَعُقْفَةٌ مِنْ قِوَامِ الْعَيْشِ تَكْفِينِي (٤)
 [أَنْظُرُ فِي الْأَمْرِ يَعْينِي الْجَوَابُ بِهِ وَلا أَرْكَبُ الْأَمْرَ تُزْرِي بِي عَوَاقِبُهُ
 لَا يَغِيبُ الْجَهْلُ حَلْمِي عِنْدَ مَقْدَرَةٍ لَمْ يَأْخُذِ النَّصْفَ مِنِّي حِينَ يَرْمِينِي (٧)
 كَمْ مِنْ عَدُوٍّ رَمَانِي لَوْ قَصَدْتُ لَهُ]

قال سيدنا أدام الله علوه : وهذه الأبيات يروى بعضها لعروة بن أذينة (٨) وتداخل أبياتاً على هذا الوزن ؛ وهي التي يقول فيها :

لقد علمتُ وما الإشرافُ من خلقي أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
 أسمى له فيعنيني تطلبه ولو قعدت أتاني لا يعنيني

(١) ت : « إذاعرض » ، م : « إذاعرّس . (٢) في ذوى يمن ، أى في اليمانيين ، وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « في ذوى يمن » ، جمع ذروة . وثمال المساكين : غياث لهم ، من علمهم ثمالاً إذا أطعمهم وسقاهم وقام بأمرهم . (٣) من نسخة بمحاشي الأصل ، ت ، ف : « لدى أزمة » . والأزمة : القحط . ويقال : شتا القوم إذا أجذبوا في الشتاء خاصة ، وقال الأزهرى : العرب تسمى القحط شتاء ، لأن الجاعات أكثر ماتنصبيهم في الشتاء البارد . (٤) العقفة : البلغة من العيش . وفي أمالي لزجاجي : « من قليل العيش » . (٥) تكلمة من ت ، ف ، د ، وأمالي لزجاجي . ومن نسخة بمحاشيتي ت ، ف : « وانظر الأمر » (٦) المضية : الإنك والبهتان ، أى لأ أكبر إذا عضه ذوالضعن .

(٧) النصف : الاتصاف . (٨) هو عروة بن أذينة بن مالك ، من بني الليث . شاعر غزله مقدم من شعراء أهل المدينة ، وهو معدود أيضاً في الفقهاء والمحدثين . وانظر ترجمته وأشعاره وأخباره في (الأغانى ٢١ : ١٠٥-١١١ ، والشعر والشعراء ٥٦٠-٥٦٢) .

كَمْ قَدْ أَفَدْتُ وَكَمْ أَتَلَّفْتُ مِنْ نَسَبٍ
 وَمِنْ مَعَارِيضِ رِزْقٍ غَيْرِ مَمْنُونٍ
 فَمَا أَشْرَفْتُ عَلَى يَسِيرٍ وَمَا ضَرَعْتُ
 نَفْسِي لِخَلَاةٍ غُسِيرٍ جَاءَ يَبْلُونِي (١)
 خِيَمِي كَرِيمٌ وَنَفْسِي لَا تُجَدُّ لِي
 أَنْ الْإِلَهَ بِإِلَاءِ رِزْقِي يُجَاهِنِي
 / وَلَا أَشْتَرَيْتُ بِمَالِي قَطُّ مَكْرُمَةً
 إِلَّا تَبَقَّعْتُ أَنِّي غَيْرُ مَغْبُونٍ [١٣٧]
 وَلَا دُعَيْتُ إِلَى بَجْدٍ وَمَحْمَدَةٍ (٢)
 لَا أَبْتَغِي وَصَلَ مَنْ يَبْغِي مُفَارَقَتِي (٣)
 إِنْ سَيِّعِرُنِي مَنْ لَسْتُ أَعْرِفُهُ
 فَعَطَّنِي جَاهِدًا وَاجْهَدْ عَلَيَّ إِذَا
 سَوْقَوْمٌ يَخْطُونُ (٥) فَيَرَوُونَ قَوْلَهُ :

١٠ * لَقَدْ عَلِمْتُ وَمَا الْإِسْرَافُ مِنْ خُلُقِي *

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « يقال : ضرع بضرع [بالفتح] زراعة ، وضرع [بالكسر]
 بضرع ضرعاً [بالفتح] ، فهو ضارع . (٢) ت : « مكرمة » ، وفي حواشي الأصل ت ، ف :
 « يقال : محمداً ، بفتح الميم ، مثل مذمة ، والفصيح : المحمداً ، بكسر الميم ، وهو المسموع » .
 (٣) حاشية الأصل : (من نسخة) : « مصارعتي » . (٤) حواشي الأصل ، ت ، ف :
 « روى أن عروة هذا وفد على هشام بن عبد الملك في جماعة من الشعراء ، فلما دخلوا عليه عرف عروة
 فقال له : ألسنت القائل :

لَقَدْ عَلِمْتُ وَمَا الْإِسْرَافُ مِنْ خُلُقِي أَنْ الَّذِي هُوَ رِزْقِي سَوْفَ يَأْتِينِي
 أَسْعَى لَهُ فَيُعِينَنِي تَطَلُّبُهُ وَلَوْ قَعَدْتُ أَتَانِي لَا يُعِينَنِي

وأراك قد جئت تضرب من الحجاز إلى الشام في طلب الرزق ! فقال له : لقد وعظت يأمر المؤمنين
 وبالفت في الوعظ ، وأذكرت بما أنسانيه الدهر . وخرج من فوره إلى راحلته فركبها ، ثم نصها راجعاً نحو
 الحجاز ؛ فكث هشام يومه غافلاً عنه ، فلما كان في الليل تعار على فراشه فذكره وقال في نفسه : رجل
 من قريش قال حكمة ، ووفد إلى جبهته ورددته عن حاجته ، وهو مع هذا شاعر لا آمن ما يقول ! فلما
 أصبح سأل عنه فأخبر بانصرافه ، فقال : لا جرم ! ليعلمن أن الرزق سيأتيه ، ودعا مولى له وأعطاه ألفي
 دينار ، وقال له : الحق ابن أذينة ، فأعطه إياها ، قال : فلم أدركه إلا قد دخل بيته ، ففرعت الباب عليه ،
 فخرج فأعطيته المال ، فقال : أبلغ أمير المؤمنين السلام ؛ وقل له : كيف رأيت قولي ! سمعت فأكدت ،
 ورجعت إلى بيتي فأتاني فيه الرزق » . (٥) د ، ومن نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف « يخطون » .

بالسين غير معجمة^(١)، وذلك خطأ، وإنما أراد بالإشرف أنى لا أستشرف وأتطلع^(٢) إلى ما فاتنى من أمور الدنيا ومكاسبها، ولا تتبعمها نفسى^(٣).

قال سيدنا أدام الله تأييده: ولى أبيات فى معنى بعض أبيات ثابت قطنه، وغروة بن أذينة التى تقدمت، وهى من جملة قصيدة طويلة خرجت عنى منذ اثنتى عشرة سنة؛ والأبيات:

٥
تَمَّاقَبْنِي بُؤْسُ الزَّمَانِ وَخَفَضُهُ وَأَدَبْنِي حَرْبُ الزَّمَانِ وَسِلْمُهُ
وَقَدْ عَلِمَ الْمَغْرُورُ بِالذَّهْرِ أَنَّهُ وَرَاءَ سُرُورِ الْمَرْءِ فِي الدَّهْرِ غَمُّهُ
وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا نَهْبُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ تَحْبُّ بِهِ شُهْبُ الْفَنَاءِ وَدُهُمُهُ^(٤)
يَعْلَلُهُ بَرْدُ الْحَيَاةِ يَمْسُهُ وَيَنْتَرَهُ رَوْحُ النَّسِيمِ يَشْمُهُ^(٥)
وَكَانَ بَعِيداً عَنِ مُنَازَعَةِ الرَّدَى فَأَلْقَتْهُ فِي كَفِّ الْمَنِيَةِ أُمَّهُ^(٦)
أَلَا إِنَّ خَيْرَ الرَّادِ مَا سَدَّ فَاقَةً وَخَيْرُ تِلَادَى الَّذِي لَا أَجْمَهُ^(٧)
وَإِنَّ الطَّوَى بِالْعِزِّ أَحْسَنُ بِالْفَتَى إِذَا كَانَ مِنْ كَسْبِ الْمَذَلَّةِ طُعْمُهُ^(٨)
وَإِنِّي لِأَنْهَى النَّفْسَ عَنِ كُلِّ لَذَّةٍ إِذَا مَا ارْتَقَى مِنْهَا إِلَى الْعِرْضِ وَضْمُهُ
وَأُعْرِضُ عَنِ نَيْلِ الثَّرِيَّاتِ إِذَا بَدَأَ وَفِي نَيْلِهِ سُوءُ الْمَقَالِ وَذَمُّهُ
أَعْفُ وَمَا الْفَحْشَاءُ عَنِّي بَعِيدَةٌ وَحَسْبِي فِي صَدِّ عَنِ الْأَمْرِ إِئْمُهُ^(٩)

(١) حاشية ت (من نسخة): « المعجمة ». (٢) حاشية ت (من نسخة): « وأطلع ». (٣) حواشى الأصل، ت، ف: « العجب من تخطئة السيد رضى الله عنه رواية من روى بالسين المهملة؛ وهو أكثر الروايات، ومعناه واضح ».

(٤) حاشية الأصل: « دهمه؛ جمع أدم؛ وهو كناية عن الليل والنهار ».

(٥) من نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: « بردالنسيم ». (٦) ت، حاشية الأصل (من نسخة) « من منازعة الردى ». (٧) حواشى الأصل، ت، ف: « أى لأتركه يجم ويكثر، من جم الماء يجم جوما؛ إذا كثر واجتمع، ولا يبعد أن يكون من أجمت الفرس، أى أرحته ».

(٨) ت: « كسب المنية ». (٩) حاشية الأصل: « ذكر الفحشاء دليل على شبابه، وكناية عنه ».

وما لعف من ولي عن الضرب سيفه^١ ولكن من ولي عن الشؤ حزمه^٢

[١٣٧]

/ ولي في معنى قوله : « وما الإشراف من خلقي » :

ما خامر الرزق قلبي قبل فجأته^٣ ولا بسط له في النائبات يدي

كم قد ترادف لم أحفل زيادته^٤ ولو تجاوزني ما فت من عضدي

٥ إن أسخط الأمر أدرك عنه مضطرباً^٥ وإن أريد بدلاً من مذهب أجد^(١)

ومعنى « ما خامر الرزق قلبي » أى لم أتمنه^٦ ، ولا تطلعت إلى حضوره ، ولا خطر لي

بإل تنزهاً وتقمعاً؛ والوجه فى تخصيص نبي بسط اليد بالنوائب ، لأن النوائب^(٢) يضرع

عندها فى الأكثر التنزه ، ويطلب التعفف ؛ فمن لزم النزاهة مع الحاجة وشدة الضرورة

فهو الكامل المروءة .

١٠

ومعنى البيت الثانى ظاهر .

فأما الثالث فالمراد به أنى ممن إذا كره شيئاً تمكّن من مفارقتة والنزوع عنه ، ولست

ممن تضيق حيلته ، وتقصر قدرته عن استدراك ما يجب بما يكره . وفيه فائدة أخرى ، وهى

أنى ممن لا تملكه المادات ، وتقواده الأهواء ؛ بل متى أردت مفارقة خلق إلى غيره ، وعادة

إلى سواها لم يكن ذلك على متمذراً ؛ من حيث كان لرأى على هواى السلطان والرجحان .

١٥ أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى قال حدثنى محمد بن إبراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى النحوى

قال أخبرنا الزبير بن بكار قال حدثنى عروة بن عبيد الله بن عروة بن الزبير قال : كان عروة

ابن أذينة نازلاً مع أبى فى قصر عروة بالعقيق ، فسمته يُنشد لنفسه :

إِنَّ الَّتَى زَعَمَتْ فُوَادَكَ مَلَّهَا خُلِقَتْ هَوَاكَ كَمَا خُلِقَتْ هَوَى لَهَا^(٣)

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « إن أسخط الرزق » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « أن النوائب » . (٣) الأبيات فى زهر الآداب : ١٦٦

(طبعة الحلبي) ، وبعضها فى أمالى الفالى ١ : ١٥٦ ، والموشح : ٢٣٠ ، وحماسة أبى تمام - بشرح

البربرى ٣ : ٢١-٢١٣ . ونسب ابن قتيبة فى الشعراء : ٥٥٤ أبياتا منها للجنون . والهوى ، بمعنى المهوى .

فَبِكَ الَّذِي زَعَمْتُ لَهَا ، وَكَلَّا كَمَا
وَلَعَمْرُهَا لَوْ كَانَ حُبُّكَ فَوْقَهَا
وَإِذَا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةَ
بَيْضَاءُ بِأَكْرَهَا النَّعِيمُ فَصَاغَهَا
لَمَّا عَرَضْتُ مُسْلِمًا لِي حَاجَةٌ
/ مَنَعَتْ تَحِيَّتَهَا ، فَقُلْتُ لِصَاحِبِي :
فَدَنَا ، فَقَالَ : لَعَلَّهَا مَعْدُورَةٌ
أَبْدَى لِصَاحِبِهِ الصَّبَابَةَ كَلَّمَهَا
يَوْمًا وَقَدْ ضَحِيَتْ إِذَا لِأَظَاهِمَا
شَفَعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْفُؤَادِ فَسَلَّمَهَا
بِلِبَاقَةٍ فَأَدَقَّهَا وَأَجَلَّهَا (١)
أَخَشَى صُعُوبَتَهَا ، وَأَرْجُو ذُلَّهَا (٢)
مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقَلَّهَا !
فِي بَعْضِ رِقَبَتِنَا ، فَقُلْتُ : لَعَنَّهَا !

[١٣٧]
ظ

قال عمرو بن عبيد الله : فجاءني أبو السائب المخزومي يوماً فسلم وجلس إلي ، فقلت له بعد الرُّحْب به : ألك حاجة يا أبا السائب ؟ فقال : أو كما تكون الحاجة ! أبيات لعمرو
١٠ ابن أذينة ؛ بلغني أنك سمعتها منه ، قلت : أي أبيات ؟ قال : وهل يخفى القمر !
* إِنَّ أَلَّتِي زَعَمْتُ فُؤَادَكَ مَلَّمَهَا *

فأنشدته فقال : ما يروى هذا إلا أهل المعرفة والفضل ، وهذا والله الصادق الوعد ،
الدائم العهد ، لا الهذلي الذي يقول :

١٥ إِنَّ كَانَ أَهْلُكَ يَمْنَعُونَكَ رَغْبَةً
عَنِّي فَأَهْلِي بِي أَضَنُّ وَأَرْغَبُ
لقد عدا الأعرابي طوره ! وإني لأرجو أن يغفر الله لابن أذينة في حُسن الظنِّ بها ،
وطلب العذر لها . فدعوت له بطعام ، فقال : لا والله حتى أروى هذه الأبيات ، فلمَّا رواها
وثب ، فقلت له : كما أنت يغفر الله لك ، حتى تأكل ، فقال : والله ما كنت لأخلط بمحبتي
لها وأخذني إياها غيرها (٣) .

(١) حاشية الأصل : « أي أدق منها ما ينبغي أن يكون دقيقاً ، وأجل منها ما ينبغي أن يكون جليلاً »
وقال ابن الأعرابي : ومعنى قوله : « فأدقها وأجلها » دق منها حاجباها وأنها وخصرها ، وجل عضداها
وساقاها وبوصها ؛ وهذا كما قال آخر :

فَدَقَّتْ وَجَلَّتْ وَاسْبَكَرَّتْ وَأَكْمَلَتْ
فَلَوْ جُنَّ إِنْسَانٌ مِنَ الْحَسَنِ جُنَّتْ
(٢) الذل هنا ، بالضم ويكسر : ضد الصعوبة . (٣) وانظر الخبر أيضا في زهر الآداب
(طبعة الحلبي) : ١٦٧ ، والوشح : ٢٣٠ .

قال سيدنا أدام الله علوه : والهدلى الذى عابه وأنشد له هذا البيت هو عبد الله بن مسلم ابن جندب الهدلى .

وقول عروة : « باكرها النعيم » أراد أنها لم تعيش إلا فى النعيم ، ولم تعرف إلا الخفض ، وأنها لم تلاق بؤساً فتخشع وتضرع ، فيؤثر ذلك فى جمالها وتامها ، والبكور هو التقدم فى كل وقت .

وكان عروة بن أذينة مع تغزله يوصف بالمعاف والنزاهة ، ^(١) ورؤى أن سكينه بنت الحسين عليهما السلام مرت به فقالت : يا أبا عامر ، أنت الذى تقول :

إِذَا وَجَدْتُ أَوَارَ الْحُبِّ فِي كَبِدِي أَقْبَاتُ نَحْوَ سِقَاءِ الْقَوْمِ أَبْتَرِدُ
هَبْنِي بَرْدَتْ بَرْدِ الْمَاءِ ظَاهِرُهُ فَمَنْ لِنَارٍ عَلَى الْأَحْشَاءِ تَنْقَدُ !

وأنت القائل :

قالتُ وأبنتُها وَجَدِي فَبُحْتُ بِهِ قَد كُنْتُ عِنْدِي تُحِبُّ السُّتْرَ ، فَاسْتَتِرِ
/ أَلَسْتُ تَبْصِرُ مَنْ حَوْلِي؟ فَقُلْتُ لَهَا: غَطَّى هَوَاكِ وَمَا أَلْقَى عَلَى بَصْرِي ^(٢) [١٣٨]

قال : نعم ، قالت : هن حرائر - وأشارت إلى جواربها - إن كان هذا خرج من قلب

سليم !

وأنشد أبو الحسن أحمد بن يحيى ^(٣) لعروة :

كَانَ خَزَامَى طَلَّةَ صَابِهَا النَّدَى وَفَارَةَ مِسْكَ ضَمْنَهَا مِيَابِهَا ^(٤)
وَكَدْتُ لِدِكْرَاهَا أَطِيرُ صَبَابَةً وَغَالَبْتُ نَفْسًا زَادَ شَوْقًا غِلَابَهَا

(١) الخبر فى مصارع العشاق : ٣١٣-٣١٤ ، وابن خلكان ١ : ٢١١ .

(٢) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « بما ألقى على بصرى » .

(٣) كذا فى الأصول ، وفى حاشيتى الأصل ، ت (من نسخة) : « أبو الحسن على بن أحمد » ،

ومن نسخة أخرى : « أبو الحسن عن أحمد بن يحيى » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « صابها الندى » ؛

الجزامى : بنت زهره أطيبة الأزهار رائحة ، والطللة : الروضة بلها الظل ؛ وهو المطر الخفيف . وفارَةَ

المسك : وعائه ؛ ويريد به هنا المسك .

إِذَا اقْتَرَبَتْ سُمْدَى لَهَجَتْ بِهَجْرهَا وَإِنْ تَعْتَرِبْ يَوْمًا بِرُغْكَ اغْتَرِبْهَا
فَفِي أَيْ هَذَا رَاحَةٌ لَكَ عِنْدَهَا ! سِوَا لَعَمْرِي نَأْيُهَا وَاقْتِرَابُهَا
وَعَادَ الْهَوَى فِيهَا كِظْلٌ سَحَابَةٌ الْأَحْتُ بِرُقٍ نَمَّ مَرَّ سَحَابِهَا (١)

قال سيدنا أدام الله علوه : وهيئات هذا البيت الأخير من قول كثير :

وَإِنِّي وَتَهْيَأِي بَعْرَةَ بَعْدَمَا تَخَلَّيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَخَلَّتْ (٢)
لِكَالْمُرْتَجِي ظِلَّ الْعِمَامَةِ كَلَّمَا تَبَوَّأَ مِنْهَا لِلْمَقِيلِ اِضْمَحَلَّتْ
كَأَنِّي وَإِبَاهَا سَحَابَةٌ مُمَجَّلٍ رَجَاهَا فَلَمَّا جَاوَزْتَهُ اسْتَهَاتَتْ

وروى يحيى بن علي قال حدثنا أبو هيفان قال : أشعرُ أبيات قيلت في الحسدة والدعاء لهم بالكثرة أربعة ، فأولها قول الكُمَيْتِ بن زيد (٣) :

١٠ إِنْ يَحْسُدُونِي فَإِنِّي لَا أَلُومُهُمْ قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا (٤)
فَدَامَ بِي وَبِهِمْ مَالِي وَمَا لَهُمْ وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا بِمَا يَجِدُ
أَنَا الَّذِي يَجِدُونِي فِي خُلُوقِهِمْ لَا أُرْتَقِي صَدْرًا مِنْهَا وَلَا أَرُدُّ
لَا يُنْقِصُ اللَّهُ حُسَادِي فَإِنَّهُمْ أَسْرٌ عِنْدِي مِنَ اللَّائِي لَهُ الْوَدْدُ (٥)

وقال عروة بن أذينة :

١٥ لَا يُبْعِدُ اللَّهُ حُسَادِي وَزَادَهُمْ حَتَّى يَمُوتُوا بَدَاءً فِي مَكْنُونِ
/ إِنِّي رَأَيْتَهُمْ فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ أَجَلَ قَدْرًا مِنَ اللَّائِي يُجْبُونِي

وقال نصر بن سيار :

إِنْ يَحْسُدُونِي عَلَى مَا بِي وَمَا بِهِمْ فَمِثْلُ مَا بِي لَعَمْرِي جَرَّ لِي الْحَسَادُ

(١) ألاحت : لوحث . (٢) أمالي القالي ٢ : ١٠٩ .

(٣) في حاشيتي الأصل ، ت : « الكميت بن معروف الأسدي » .

(٤) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « غير لأئهم » ، والآيات الثلاثة الأول وردت في معجم

الشعراء : ٣٤٧ ، منسوبة إلى الكميت بن معروف ، ووردت في عيون الأخبار ٢ : ١٠-١١ ، وأمالي

القالي ٢ : ١٩٨ من غير عزو . (٥) ت : « هم الودد » ، ومن نسخة بحاشية الأصل : « لهم ودد » .

وقال معن بن زائدة :

إِنِّي حُسِدْتُ فَرَادَ اللَّهُ فِي حَسَدِي لَاعَاشَ مَنْ عَاشَ يَوْمًا غَيْرَ مَحْسُودٍ
مَا يُحْسَدُ الْمَرْءُ إِلَّا مِنْ فَضَائِلِهِ بِالْعِلْمِ وَالظَّرْفِ أَوْ بِالْبَاسِ وَالْجُودِ

قال سيدنا أدام الله علوه : وقد لحظ البُحْتَرِيُّ بهذا^(١) المعنى في قوله :

٥ مُحْسَدٌ بِجَلَالٍ فِيهِ فَاضِلَةٌ وَليْسَ تَفْتَرِقُ النَّعْمَاءُ وَالْحَسَدُ^(٢)
وَأظنُّ أبا العتاهية أخذ قوله :

كَمْ عَائِبٍ لَكَ لَمْ أَسْمَعْ مَقَالَتَهُ وَلَمْ يَزِدْكَ لَدَيْنَا غَيْرَ تَرْبِينِ
كَأَنَّ عَائِبِكُمْ يُبْدِي مُحَاسِنَكُمْ وَصَفَاءً فِيمَدَحِكُمْ عِنْدِي وَيُغْرِبُنِي
مَا فَوْقَ حُبِّكَ حُبًّا لَسْتُ أَعْلَمُهُ فَلَا يَضُرُّكَ إِلَّا تَسْتَرِيدُنِي

١٠ من قول عروة بن أذينة :

لَا بُمْدُ مُعَدَى مُرِيحِي مِنْ جَوَى سَقَمٍ يَوْمًا وَلَا قُرْبَهَا إِنْ حُمَّ يَشْفِينِي
إِذَا الْوُشَاءُ لَحُوا فِيهَا عَصِيَّتُهُمْ وَخِلْتُ أَنَّ بَسْمَدِي الْيَوْمَ يُغْرِبُنِي

وقد أخذ أبو نواس هذا المعنى في قوله :

١٥ مَا حَطَّكَ الْوَأَشُونَ مِنْ رُتْبَةٍ عِنْدِي وَلَا ضَرَّكَ مُعْتَابُ
كَأَنَّهُمْ أَتَنُوا وَلَمْ يَعْلَمُوا عَلَيْكَ عِنْدِي بِالذِّي عَابُوا

ولعمرو بن أذينة :

تُرُوِّعُنَا الْجَنَائِزُ مُقْبِلَاتٍ وَنَلَهُوْا حِينَ تَخْفَى ذَاهِبَاتٍ^(٣)
كِرْوَعَةٍ ثَلَاثَةٌ لِمَغَارِ ذِئْبٍ فَلَمَّا غَابَ عَادَتِ رَاتِمَاتٍ

[١٣٩]

الثَّلَاةُ : القطعة من الضأن ؛ وهذا المعنى قد سبق إليه بعض الأعراب فقال :

وَنُحْدِثُ رَوَعَاتٍ لَدَى كُلِّ فِرْعَةٍ وَنُسْرِعُ نِسْيَانًا وَمَا جَاءَنَا أَمْنُ

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « هذا » . (٢) ديوانه ١ : ١٤٠ ، وفي ت ، من

نسخة : « فيه ظاهرة » . (٣) من نسخة بجواشي الأصل ، ت ، ف : « ونسهر » . والشعر في الحيوان

٥٠٧ : ٦ وعيون الأخبار ٦٢٠٣ ، والبيان ٣٠١٣

وإنا - ولا كفرانَ لله ربَّنا - لكالبدنِ ، لا تدرى متى يومُها البُدنُ !

أخذه أبو العتاهية في قوله :

إذا ما رأيتم ميتينَ جزعتمُ
وإن غيبوا ملتمُ إلى صيواتها

وأخذ عروة قوله :

إنَّ الفتى مثلُ الهلالِ له

يبلى وتُفنيه الدهور كما

من قول لبعض شعراء طي :

أرى قمرَ الليلِ المُدبَّ كالفتى (٣)

وصورته حتى إذا ما هوى استوى

ويمصح حتى يستسرَّ فلا يرى (٤)

يعودُ إلى مثلِ الذي كان قد بدأ (٥)

مهما يكن ريبُ الزمانِ فإننى

يهلُّ صغيراً ، ثمَّ يعظمُ ضوءه

تقاربَ يحبو ضوءه وشماعة

كذلك زيدُ المرءِ ثمَّ انتقاصه

أخذه محمد بن يزيد الكاتب فقال :

يبدؤ ضئيلاً ضعيفاً ثمَّ يتسَّق (٦)

كرُّ الجديدينِ نقصاناً فيمتحق (٦)

المرءُ مثلُ هلالٍ عندَ مطالعه

يزدادُ حتى إذا ماتمَّ أعقبه

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « احق » ، وفيها : « يحق وامتحق واحق بمعنى » .

(٢) من نسخة بجواشى الأصل ، ت ، ف : « وينضى الحبرة » . وفي حاشية الأصل أيضا :

« أنضيت الثوب : أبليته وكذلك انتضيته ، وانضوته : خلطته » .

(٣) معجم البلدان ٤ : ١٣٤ ؛ من أبيات نسبها إلى حفظة بن أبي عفراء الطائي ؛ وكان قد نكح

في الجاهلية وتنصر ، وبني ديرا عرف باسمه . (٤) حاشية الأصل : « يقال : مصح النبات إذا ولى

لون زهره » . (٥) رواية عجز البيت في معجم البلدان :

* وتكراره في إثره بعد مامضى *

(٦) من نسخة بجواشى الأصل ، ت ، ف : « فيمحق » .

مَجْلِسُ آخِرِ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَجْنُ / فِتْنَةً فَلَا تَكْفُرْ [١٣٩] ﴾ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَمَا مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠٢] .

فقال : كيف ينزل الله السِّحْرَ على الملائكة ؟ أم كيف تعلم الملائكة الناس السِّحْرَ والتفريقَ بين المرء وزوجه ؟ وكيف نسب الضررَ الواقع عند ذلك إلى أنه بإذنه ، وهو تعالى قد نهى عنه ، وحذر من فعله ؟ وكيف أثبت العلمَ لهم ونفاه عنهم ، بقوله : ﴿ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنْ اشْتَرَاهُ ﴾ ، ثم قوله : ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ؟ .

الجواب ، قلنا : في الآية وجوه ؛ كلٌّ منها يُزيل الشبهة الداخلة على مَنْ لا ينعم النظر فيها :

أولها أن يكون ﴿ مَا ﴾ في قوله : ﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ ﴾ بمعنى الذي ، فكأنه تعالى أخبر عن طائفة من أهل الكتاب ، بأنهم اتبعوا ما تكذب فيه الشياطين على ملك سليمان ، وتضيفه إليه من السِّحْرِ ؛ فبرأه الله تعالى من قرفهم ، وأكذبهم في قلوبهم ، فقال : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ باستعمال السِّحْرِ والتمويه على الناس ، ١٥ ثم قال : ﴿ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ ﴾ ، وأراد أنهم يعلمونهم السِّحْرَ

والذى أنزل على الملكين، وإِنَّمَا أنزلَ على الملكين وصفُ السحر وماهيته وكيفية الاحتيال فيه؛ ليعرفا ذلك ويعرفاه للناس فيجتنبوه ويحذروا منه، كما أنه تعالى قد أعلمنا ضروب المعاصي، ووصف لنا أحوال القبائح لنجتنبها لا لنوقمها؛ لأنَّ الشياطين كانوا إذا علموا ذلك وعرفوه استعملوه، وأقدموا على فعله؛ وإن كان غيرهم من المؤمنين لما عرفه اجتنبه وحاذره ٥ وانتفع باطلاعه على كفيته، ثم قال: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ ﴾ بمعنى الملكين، ومعنى ﴿ يُعَلِّمَانِ ﴾ يُعَلِّمَانِ، والعرب تستعمل لفظة علمه بمعنى أعلمه، قال القطامي:

تَعَلَّمَ أَنْ بَعْدَ الْغَيِّ رُشْدًا وَأَنْ لِنَانِكَ الْغُبْرُ انْتِشَاعًا^(١)

وقال كعب بن زهير:

تَعَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ أَنْكَ مُدْرِكِي وَأَنْ وَعِيدًا مِنْكَ كَالْأَخْذِ بِالْيَدِ^(٢)

(١٤٠) ومعنى «تعلم» في البيتين / معنى «اعلم»^(٣)؛ والذي يدلُّ على أن المراد هاهنا الإعلام

لا التعليم قوله: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾، أى أنهما لا يعرفان صفات السحر وكفيته إلا بعد أن يقولوا إنما نحن محنة، لأن الفتنة بمعنى المحنة؛ وإنما كانا محنة، من حيث ألقيا إلى المكلفين أمراً لينزجروا عنه، وللمتنبهوا من مواقته، وهم إذا عرفوه أمكن أن يستعملوه ويرتكبوه، فقالا لمن يُطلِّعانه على ذلك: لا تكفروا باستعماله، ولا تعدل عن الغرض في إلقاء هذا إليك، فإنه إنما ألقى إليك، وأطلعت عليه لتجتنبه؛ لا لتفعله، ثم قال: ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾، أى فيعرفون من جهتهما ما يستعملونه في هذا الباب؛ وإن كان الملكان ما ألقياه إليهم لذلك؛ ولهذا قال: ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾؛ لأنهم

(١) ديوانه: ٤٠؛ ومن نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: ه هذه الغمر، وهى رواية الديوان

والغمر: جمع غمرة، وهى الشدة. (٢) ملحقات ديوانه: ٢٥٨ (عن الفرر).

(٣) حواشى الأصل، ت، ف: «قال ابن السكيت رحمه الله: يقال: تعلمت أن فلانا خارج يعنى

علمت، وإذا قال لك: اعلم أن زيدا خارج قلت: قد علمت، وإذا قال: تعلم أن زيدا خارج لم تقل:

قد تعلمت؛ يعنى أنه يقتصر على ماورد عنهم، ولا يتجاوز إلى غيره.

لَمَّا قَصَدُوا بِتَعَلُّمِهِ أَنْ يَفْعَلُوهُ وَيُرْتَكِبُوهُ، لَا أَنْ يَجْتَنِبُوهُ صَارَ ذَلِكَ لِسُوءِ اخْتِيَارِهِمْ ضَرَرًا عَلَيْهِمْ .
 وثانيها أَنْ يَكُونَ ﴿ مَا أُنزِلَ ﴾ مَوْضِعُهُ مَوْضِعَ جَرٍّ ؛ فَيَكُونُ مَعطُوفًا بِالْوَاوِ عَلَى ﴿ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ ؛ وَالْمَعْنَى : وَاتَّبَعُوا مَا كَذَبَ بِهِ الشَّيَاطِينُ عَلَى مَلِكِ سُلَيْمَانَ ، وَعَلَى مَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ؛ وَمَعْنَى ﴿ مَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ أَي مَعَهُمَا ، وَعَلَى أَلْسِنَتِهِمَا ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ ﴾ ؛ [آل عمران : ١٩٤] ، أَي عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ وَمَعَهُمْ .
 ٥ .
 وَلَيْسَ بِمَنْكَرٍ أَنْ يَكُونَ ﴿ مَا أُنزِلَ ﴾ مَعطُوفًا عَلَى ﴿ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ ؛ وَإِنْ اعْتَرَضَ بَيْنَهُمَا مِنْ الْكَلَامِ مَا اعْتَرَضَ ؛ لِأَنَّ رَدَّ الشَّيْءِ إِلَى نَظِيرِهِ ، وَعَطْفُهُ عَلَى مَا هُوَ أَوْلَى هُوَ الْوَاجِبُ ، وَإِنْ اعْتَرَضَ بَيْنَهُمَا مَا لَيْسَ مِنْهُمَا ؛ وَلِهَذَا نَظَّأْتُ فِي الْقُرْآنِ وَكَلَامِ الْعَرَبِ كَثِيرَةً ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا . قِيمًا ﴾ ؛ [الكهف : ٢٠١]
 ١٠ .
 وَ« قِيمٌ » مِنْ صِفَاتِ الْكِتَابِ حَالٌ مِنْهُ ، لَا مِنْ صِفَةِ « عِوَجٍ » ، وَإِنْ تَبَاعَدَ مَا بَيْنَهُمَا ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ ؛ [البقرة : ٢١٧] ، فَالْمَسْجِدُ هَاهُنَا مَعطُوفٌ بِهِ عَلَى الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، أَي يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَعَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ .

وَحُكِّيَ عَنْ بَعْضِ عُلَمَاءِ أَهْلِ اللُّغَةِ أَنَّهُ قَالَ : الْعَرَبُ تَلَفُّ الْخَبْرَيْنِ الْمُخْتَلِفَيْنِ ، ثُمَّ تَرْمِي بِتَفْسِيرِهَا جَمَلَةً ؛ نَقَّةً بِأَنَّ السَّامِعَ يَرُدُّ إِلَى كُلِّ خَبْرِهِ ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ؛ [يونس : ٦٧] ، وَهَذَا وَاضِحٌ فِي مَذْهَبِ الْعَرَبِ ، كَثِيرِ التَّطَايُرِ .

ثُمَّ قَالَ : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾ ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُمَا لَا يَمْلِكَانِ أَحَدًا ، بَلْ يَنْهِيَانِ عَنْهُ ، وَيَبْلُغُ مِنْ نَهْيِهِمَا عَنْهُ وَصَدِّهَا عَنْ فِعْلِهِ وَاسْتِعْمَالِهِ أَنْ يَقُولَا : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ بِاسْتِعْمَالِ السِّحْرِ وَالْإِقْدَامِ عَلَى فِعْلِهِ ، وَهَذَا كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ : مَا أَمَرْتُ فَلَا نَأْكُذًا ، وَلَقَدْ بَالِغَتْ فِي نَهْيِهِ حَتَّى قَالَتْ لَهُ : إِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَهُ أَصَابَكَ كَذَا وَكَذَا ؛ وَهَذَا

هو نهاية البلاغة في الكلام؛ والاختصار الدال مع اللفظ القليل على المعاني الكثيرة؛ لأنه استغنى بقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ عن بسط الكلام الذي ذكرناه؛ ولذلك نظر في القرآن، قال الله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾؛ [الزمنون: ٩١]، فلو لا الاختصار لكان مع شرح الكلام يقول: ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله، ولو كان معه إله إذا لذهب كل إله بما خلق؛ ومثله قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾؛ [آل عمران: ١٠٦]، أى: فيقال للذين اسودت وجوههم: ﴿أ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾؛ وأمثاله أكثر من أن تُورد.

١٠ ثم قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾، وليس يجوز أن يرجع الضمير على هذا الجواب إلى الملكين؛ وكيف يرجع إليهما وقد نفي عنهما التعليم! بل يرجع إلى الكفر والسحر، وقد تقدم ذكر السحر، وتقدم أيضاً ذكر ما يبدل على الكفر ويقتضيه في قوله: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾؛ فدل ﴿كَفَرُوا﴾ على الكفر، والعطف عليه مع السحر جاز، وإن كان التصريح قد وقع بذكر السحر دونه؛ ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿سَيِّدٌ كَرِيمٌ مِنَ يَحْشَى. وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾؛ [الأعلى: ١٠-١١]، أى يتجنب الذكرى الأشقى، ولم يتقدم تصريح بالذكورى، لكن دل عليها قوله: ﴿سَيِّدٌ كَرِيمٌ﴾.

ويجوز أيضاً أن يكون معنى ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾، أى بدلا مما علمهم الملكان، ويكون المعنى أنهم يعدلون عما علمهم ووقفهم عليه الملكان من النهى عن السحر إلى تعلمه واستعماله؛ كما يقول القائل: ليت لنا من كذا وكذا كذا^(١)! أى بدلا منه، وكما قال الشاعر:

(١) حواشى الأصل، ت، ف: و من هذا الباب قوله:

فليت لنا من ماء زمزم شربة مبردة باتت على الطهيان

— الطهيان: اسم جبل —

[١٤٠] جَمَعَتْ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَطَبَاً وَعُغْلِبَةً وَصَرَ الْأَخْلَافِ الْمَزْمَمَةَ الْبُزْلِ (١)
وَمِنْ كُلِّ أَخْلَاقِ الْكِرَامِ نَمِيمَةً وَسَعِيًّا عَلَى الْجَارِ الْمُجَاوِرِ بِالْمَحَلِّ (٢)

يريد جمعت مكان الخيرات، ومكان أخلاق الكرام هذه الخصال الذميمة .

وقوله : « مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما أن يكونوا يفرون أحد الزوجين ، ويحملونه على الكفر والشرك بالله تعالى ،
فيكون بذلك قد فارق زوجته الآخر المؤمن المقيم على دينه ، فيفترق بينهما اختلاف النحلة
والملة .

والوجه الآخر أن يسموا بين الزوجين بالنميمة والشاوية والإغراء والتموه بالباطل ؛
حتى يثوول أمرها إلى الفرقة والمباينة .

وثالث الوجوه في الآية أن يحمل ﴿ مَا ﴾ في قوله : ﴿ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ على الجحد
والنفى ، فكانه تعالى قال : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُّوا مِنَ الشَّيَاطِينِ عَلَى مَلِكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ﴾ ،
ولا أنزل الله السِّحْرَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ، ﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ
بِأَبْلِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾ ويكون قوله : ﴿ بِيَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾ من المؤخر الذي
معناه التقديم ، ويكون على هذا التأويل هاروت وماروت رجلين من جملة الناس ، هذان
اسماهما ؛ وإنما ذكرنا بعد ذكر الناس تمييزاً وتبييناً ، ويكون المَلَكَانِ المذكوران اللذان

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : « الوطب : زق اللبن ، والعلبة : ما يجلب فيه . والصر : شد الصرع .

والأخلاف : جمع خلف ؛ وهو لثافة كاللثدي للمرأة والمزمنة : النوق التي علفت الأزمة عليها ، والبزل :

جمع بزل ؛ وهي التامة السن . وفي د ، م : « المزهمة » ، وهي السمان الكثيرة الشحم .

(٢) المحل : الكذب والهداع .

نفى عنهما السحرَ جبرائيلُ وميكائيلُ عليهما السلام؛ ^(١) لأنَّ سَحْرَةَ الْيَهُودِ - فيما ذكر - كانت تدعى أن الله تعالى أنزل السحر على لسان جبرائيل وميكائيل ^(١) إلى سليمان بن داود عليهما السلام، فأكذبهما الله تعالى بذلك .

ويجوز أن يكون هاروت وماروت يرجعان إلى الشياطين ، كأنه قال: ولكن الشياطين: هاروت وماروت كفروا؛ ويسوغ ذلك كما ساغ في قوله تعالى: ﴿ وَكُنَّا إِحْكُمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾؛ [الأنبياء: ٧٨] ، يعني حكم داود وسليمان عليهما السلام .

ويكون قوله تعالى على هذا التأويل: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾ راجعاً إلى هاروت وماروت اللذين هما من الشياطين ، أو من الإنس المتعلمين للسحر من الشياطين والعاملين به . ومعنى قولهما : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ يكون على طريق الاستهزاء والتماجن والتخالُع ، كما يقول الماجن من الناس إذا فعل قبيحاً [١٤١] أو قال باطلاً: هذا فعل من لا يفلح ، وقول من لا يُنجب ، والله ما حصلتُ / إلا على الحسران؛ وليس ذلك منه على سبيل النصيح للناس وتحذيرهم من مثل فعله ، بل على وجه المجون والتهاك .

ويجوز أيضاً على هذا التأويل الذي يتضمَّن النفي والجحد أن يكون هاروت وماروت اسمين للملكين ، ونفى عنهما إزال السحر بقوله: ﴿ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بَيِّنَاتٍ ﴾ ويكون قوله: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ ﴾ يرجع إلى قبيلتين من الجنَّ أو إلى شياطين الجن والإنس ، فتحسن التثنية لهذا .

وقد روى هذا التأويل الأخير في حمل ﴿ مَا ﴾ على النفي عن ابن عباس وغيره من المفسرين . وروى عنه أيضاً أنه كان يقرأ: ﴿ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ بكسر اللام ، ويقول: متى كان المَلِجَانِ مَلِكَيْنِ! إنما كانا ملكين؛ ^(١) وعلى هذه القراءة لا ينفكر أن يرجع قوله: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ ﴾ إليهما ^(١) .

وعلى (١) هذه القراءة في الآية وجه آخر وإن لم يحمل قوله: ﴿ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ على الجحد والنفي ، وهو أن يكون هؤلاء الذين أخبر عنهم اتبعوا ما تتلوا الشياطين وتدعيه على ملك سليمان ، واتبعوا ما أنزل على هذين الملكين من السحر ، ولا يكون الإنزال مضافاً إلى الله تعالى ، وإن أطلق ؛ لأنه جَلَّ وعز لا يُنزل السحر ؛ بل يكون منزله إليهما بمض الضلال المصاة ، ويكون معنى ﴿ أَنْزَلَ ﴾ — وإن كان من الأرض — مُحمَل إليهما لا من السماء أنه أتى به ٥ به من نجوم الأرض وأعليها ؛ فإن من هبط من نجد البلاد إلى غورها يقال : نزل وهبط ، وما جرى هذا المجرى .

فأما قوله تعالى : ﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ فيحتمل وجوهاً :
منها أن يريد بالإذن العلم ، من قولهم : آذنت فلاناً بكذا إذا أعلمته ، وآذنت لكذا إذا استمعته وعلمته ، قال الشاعر :

١٠

فِي سَمَاعٍ يَأْذِنُ الشَّيْخُ لَهُ وَحَدِيثٍ مِثْلِ مَا ذِي مُشَارٍ (٢)

ومنها أن تكون ﴿ إِلَّا ﴾ زائدة ، فيكون المعنى : وما هم بضارين به من أحدٍ بإذن الله ، ويجرى مجرى قول أحدنا : لقيت زيدا إلا أني أكرمته ، أي لقيت زيدا فأكرمته .
ومنها أن يكون أراد بالإذن التخلية وترك المنع ، فكأنه أفاد بذلك أن العباد لن يُعجزوه ، وما هم بضارين أحداً إلا بأن يخلى الله تعالى بينهم وبينه ، ولو شاء لمنعهم بالقهر والقسر ، زائداً ١٥ على منعهم بالزجر والنهي .

[١٤١] ومنها أن يكون الضرر الذي عني أنه لا يكون إلا بإذنه ، وأضافه إليه هو ما يلحقُ المسحور من الأدوية والأغذية التي يُطعمه إياها السحرة ويدعون أنها موجبة لما يقصدونه فيه من الأمور ؛ ومعلوم أن الضرر الحاصل عن ذلك من فعل الله تعالى بالمادة ؛ لأن الأغذية لا توجب ضرراً ولا نفعاً ، وإن كان المرص للضرر من حيث كان كالفاعل له هو المستحق للدم ، وعليه يجب العوض .

(١) ت : « ويمكن على هذه القراءة ... » . (٢) البيت في اللسان (أذن) ، ونسبه إلى عدى ابن زيد الماذي : العسل الأبيض . والمشار : الحنبي ، ويقال : شرت العسل واشترته وأشرته ، إذاجنيتها .

ومنها أن يكون الضرر المذكور إنما هو ما يحصل عن التفريق بين الأزواج ؛ لأنه أقرب إليه في ترتيب الكلام ؛ والمعنى أنهم إذا أغواوا أحد الزوجين ، وكفر فبانت منه زوجته ، فاستضررت بذلك كانوا ضارين له بما حسنوه له من الكفر ، إلا أن الفرقة لم تكن إلا بإذن الله وحكمه ؛ لأنه تعالى هو الذي حكم وأمر بالتفريق بين المختلفين الأديان ؛ فلهذا قال : ﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ؛ والمعنى أنه لو لا حكم الله وإذنه في الفرقة بين هذين الزوجين باختلاف الملة لم يكونوا ضارين له هذا الضرب من الضرر الحاصل عند الفرقة ؛ ويقوى هذا الوجه ما روى أنه كان من دين سليمان ؛ أنه من (١) سحر بانته منه امرأته .

فأما قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَالَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾ ، ثم قال : ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ففيه وجوه :

١٠

أولها أن يكون الذين علموا غير الذين لم يعلموا ، ويكون الذين علموا الشياطين أو الذين خبر عنهم بأنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، كأنهم لا يعلمون ، واتبعوا ماتلوا الشياطين على ملك سليمان ، والذين لم يعلموا هم الذين تعلموا السحر ، وشروا به أنفسهم .

وثانيها أن يكون الذين علموا هم الذين لم يعلموا ؛ إلا أنهم علموا شيئا ولم يعلموا غيره ، فكانه تعالى وصفهم بأنهم عالمون بأنه لا نصيب لمن اشترى ذلك ورضيه لنفسه على الجملة ، ولم يعلموا كنه ما يصير إليه من عقاب الله الذي لا نفاذ له ولا انقطاع .

١٥

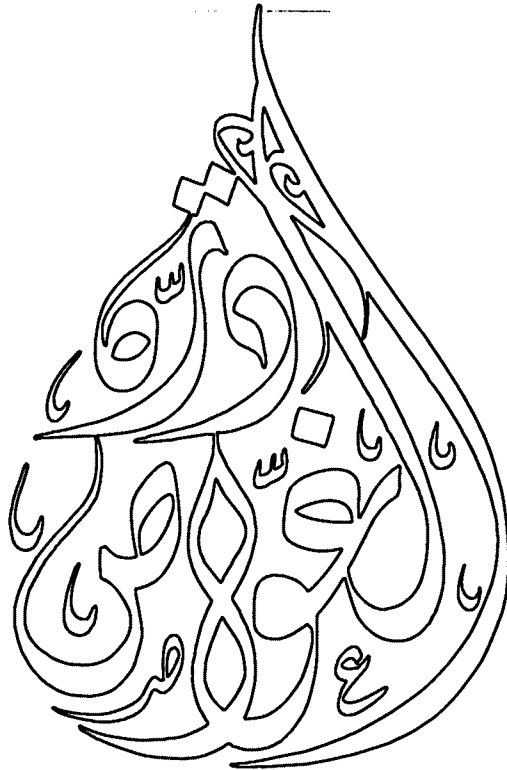
وثالثها أن تكون الفائدة في نفي العلم بعد إثباته أنهم لم يعملوا بما علموا ، فكانهم لم يعلموا ، وهذا كما يقول أحدنا لغيره : ما أدعوك إليه خير لك وأعود عليك ؛ لو كنت تعقل وتنظر في العواقب ، وهو يعقل وينظر في العواقب ، إلا أنه لا يعمل بموجب علمه ، فحسنت [١٤٢] أن يقال له / مثل هذا القول ؛ قال كعب بن زهير يصف ذئبا وغرابا تبعاه ؛ ليصيبا من زاده :

إِذَا حَضَرَ أُنِي قُلْتُ : لَوْ تَعَلَّمَانِهِ أَلَمْ تَعَلَّمَا أُنِي مِنَ الزَّادِ مُرْمِلٌ (٢)

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « أن من » . (٢) ديوانه : ٥١ . المرمل : الذي قدزاده .

فنفى عنهما العلم ، ثم أثبتته بقوله : « ألم تعلموا » ، وإنما المعنى في نفيه العلم عنهما أنهما لم يعملوا بما علماه فكأنهما لم يعملوا .

ورابمها أن يكون المعنى أن هؤلاء القوم الذين قد علموا أن الآخرة لا حظ لهم فيها مع عملهم القبيح ، إلا أنهم ارتكبوه طمعاً في حُطام الدنيا وزخرفها فقال تعالى : ﴿ وَكَلْبَسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ أن الذي آثروه وجمأوه عوضاً من الآخرة لا يتم لهم ، ولا يبقى عليهم ، وأنه منقطع زائل ، ومضئ جل باطل ، وأن المال إلى المستحق في الآخرة ؛ وكل ذلك واضح بحمد الله .



مَجْلِسُ آخِرِ

تَأْوِيلِ خَبَرِ

روى عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « لو كان القرآن في إهاب ما مسَّته النار » .

وقد ذكر متأولوا حديث النبي صلى الله عليه وآله في هذا الخبر وجوهاً كثيرة ، كلها غيرُ صحيحٍ ولا شافي ، وأنا أذكر ما اعتمده (١) ، وأبين ما فيه ، ثم أذكر الوجه الصحيح .

قال ابن قتيبة : ذهب الأصمعي إلى أن من تعلم القرآن من المسلمين لو ألقى في النار لم تحرقه ، فكنتى بالإهاب - وهو الجلد - عن الشخص والجسم ؛ واحتج على تأويله هذا (٢) الحديث بما روى عن سليمان (٣) بن محمد قال : سمعت أبا أمامة يقول : اقرأوا القرآن ولا تغرَّركم هذه المصاحف المعلقة (٤) ؛ فإن الله لا يمدب قلباً وعى القرآن .

١٠ قال ابن قتيبة: وفي الحديث تأويل آخر ، وهو أن القرآن لو كتبت في جلد ، ثم ألقى في النار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لم تحرقه النار ؛ على وجه الدلالة على صحة أمر النبي عليه وآله السلام ، ثم انقطع ذلك بعده ، قال : وجرى هذا مجرى كلام الذئب وشكابة البعير وغير ذلك من آياته عليه السلام .

قال : وفيه تأويل ثالث ؛ وهو أن يكون الإحراق (٥) إنما نفى عن القرآن لا عن الإهاب ؛ ويكون معنى الحديث : لو جُمِع القرآن في إهاب ثم ألقى في النار ما احترق القرآن ؛

(١) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « ما ذكره » .

(٢-٢) ت : « بالحديث عن سليمان » . (٣) حواشي الأصل ، ت ، ف : « المعلقة ؛ يجوز

أن يكون معناها السكتب ؛ لأن التعليق السكتب » . (٤) حاشية ف (من نسخة) : « الاحتراق » .

فكان النار تُحرق الجلد والمداد ولا تُحرق القرآن ؛ لأنَّ الله تعالى ينسخه ويرفعه من الجلد، صيانة له عن الإحراق .

وقال أبو بكر / محمد بن القاسم الأنباري ردّاً على ابن قتيبة ، ومعتزلاً عليه : اعتبرتُ [١٤٢] ما قاله ابن قتيبة من ذلك كله ، فما وجدت فيه شيئاً صحيحاً .

أما قوله الأول فيرده ما روى عنه عليه السلام من قوله : يخرج من النار قومٌ بعد ما يُحرقون^(١) فيها فيقال : هؤلاء الجهنميون طلقاء الله عز وجل . قال : وقد روى أبو سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « إذ دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار قال الله عز وجل : انظروا من كان في قلبه مثقالُ حبة من خردل من إيمان^(٢) فأخرجوه منها » ؛ قال أبو بكر : وكيف يصحُّ قول ابن قتيبة في زعمه أن النار لا تُحرق من قرأ القرآن ؛ ولا خلاف بين المسلمين أن الخوارج وغيرهم ممن يُكفِّر في دين الله تعالى ويقرأ القرآن أن تُحرقهم النارُ بغير شك ؛ واحتجاجه بخبر أبي أمامة : « إنَّ الله لا يعذب قلباً وعى القرآن » معناه : قرأ القرآن وعمل به ؛ فأما من حفظ ألفاظه وضيع حدوده ؛ فإنه غير واعٍ له .

قال : فأما قوله إنه من دلائل النبوة التي انقطعت بعده ، فأروى هذا الحديث أحدٌ أنه كان في دلائله عليه السلام ؛ ولو أراد ذلك دليلاً لكان صلى الله عليه وآله يجعل القرآن في إهاب ثم يُلقيه في النار فلا يحترق

قال : وقول ابن قتيبة الثالث : « لا تحترق الجلد والمداد ، ولم يحترق القرآن » غير صحيح ؛ لأن الذي يصحُّ هذا القول يوجب أن القرآن غير المكتوب ؛ وهذا محال ؛ لأن المكتوب في المصحف هو القرآن . والدليل على هذا قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ . فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ . لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ ؛ [الواقعة : ٧٩ - ٨١] ، ومنه الحديث : « لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو » ؛ وإنما يريد المصحف .

قال أبو بكر : والقول عندنا في تأويل هذا الحديث أنه أراد : لو كان القرآن في جلد

(١) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « يحترقون » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « إيماناً » .

ثم ألقى في النار ما أبطأته ؛ لأنها وإن أحرقتة فإنها لا تدرسه؛ إذ كان الله قد ضمَّه قلوب الأخيار من عباده ؛ والدليل على هذا قول الله تعالى للنبي صلى الله عليه وآله فيما روى عنه : إني منزلٌ عليك كتاباً لا يغسله الماء ، تقرأه نائماً ويقظان؛ فلم يرد تعالى أن القرآن لو كتب في شيء ثم غسل بالماء لم ينجس ؛ وإنما أراد أن الماء لا يبطله ولا يدرسه إذا كانت القلوب تميته وتحفظه .

قال: ومثل هذا كثير في كتاب الله تعالى وفي لغة العرب؛ قال الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا / وَعَصُوا الرَّسُولَ أَوْ تَسْوَىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾؛ [النساء: ٤٢] ، فهم قد كتموا الله تعالى لئلاً قالوا: ﴿وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] ، وإنما أراد تعالى ؛ ولا يكتُمون الله حديثاً في حقيقة الأمر ؛ لأنهم وإن كتموه في الظاهر فالذي كتموه غير مستتر عنه .

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه: والوجه الصحيح في تأويل الخبر غير ما توهمه ابن قتيبة وابن الأنباري جميعاً ، وهو أن هذا من كلام النبي صلى الله عليه وآله على طريق المثل والمبالغة في تعظيم شأن القرآن والإخبار عن جلالة قدره وعظم خطره ، والمعنى أنه لو كتب في إهاب ، وألقى في النار وكانت النار مما لا تحرق شيئاً لعلو شأنه وجلالة قدره لم تحرقه النار .

ولهذا نظائر في القرآن وكلام العرب وأمثالهم كثيرة ظاهرة على من له أدنى أنسٍ بمذاهبهم ، وتصرف كلامهم .

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ؛ [الحشر: ٢١] .
٢٠ ومعنى الكلام : إننا لو أنزلنا القرآن على جبل ، وكان الجبل مما يتصدع إشفاقاً من شيء ؛ أو خشية لأمرٍ لتصدع مع صلابته وقوته ؛ فكيف بكم يامعاشر الكافرين ، مع ضعفكم وقتلكم ! وأنتم أولى بالخشية والإشفاق ؛ وقد صرح الله تعالى بأن الكلام خرج مخرج

المثل بقوله: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ؛ ومثله قوله تعالى :
﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴾ ؛ [مريم : ٩٠] .

ومثله قول الشاعر :

أَمَا وَجَلَّالِ اللَّهِ لَوْ تَذَكَّرْتَنِي
كذِّكَرَاكَ مَا مَهَنَتْ لِلْعَيْنِ مَدَمًا
فَقَالَتْ : بَلَى وَاللَّهِ ذِكْرًا لَوْ أَنَّهُ
تَضَمَّنَهُ صُمُّ الصَّفَا لَتَصَدَّعَا (١)

ومثله :

فلو أن مابى بالحصى فلق الحصى
وبالريح لم يُسمع لهن هُبوب (٢)

ومثله :

وَقَفْتُ عَلَى رَبْعٍ لِمِيَّةٍ نَاقِي
فَمَا زِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وَأَخَاطِبُهُ (٣)
وَأَسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبْثُهُ
تُسَكَّمُنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَاعِبُهُ (٤)

وهذه طريقة للعرب مشهورة في المبالغة ؛ يقولون : هذا كلام يُفَلِّقُ الصَّخْرَ ، ويهدِّثُ

الجبال / ويصرع الطير ، ويستنزِلُ الوُعول ؛ وليس ذلك بكذب منهم ؛ بل المعنى أنه حسنه [١٤٣]
وحلاوته وبلاغته يفعل مثل هذه الأمور لو تأتت ؛ ولو كانت مما يسهل (٥) ويتيسر لشيء
من الأشياء لتسهلت به من أجله .

فأما الجواب الأول المحكى عن ابن قتيبة فالذى يُفسده (٦) زائداً على ما رده ابن الأنباري ١٥
أنه لو كان الامر على ما ذكره ابن قتيبة وحكاه عن الأصمعي لكان النبي صلى الله عليه وآله
قد أغرانا بالذنوب ؛ لأنه إذا أمن حافظ القرآن ومعلمه من النار والعذاب فيها ركن (٧)

(١) الصفا : جمع الصفاة ؛ وهو الخجر الصلد الضخم لا يذبت . (٢) ت : فلق الحصى .

(٣) دبوانه : ٣٨ . (٤) أسقيه : أدعوله بالسقيا . (٥) من نسخة بحاشيتي ت ،

الأصل : « يتسهل » . (٦) ت : « يبطله » .

(٧) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : يقال : ركن [يفتح الكاف] يركن ، [بكسرهما] . وركن

[بكسر الكاف] يركن [يفتح الكاف] ؛ لغتان إلا أنهم أخذوا الماضي من هذا والمضارع من ذلك ،
فقالوا : « ركن يركن » بالفتح فيهما .

المكلفون إلى تعلّم القرآن والإقدام على القبائح آمينين غير خائفين ؛ وهذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وآله والمعنى في قول أبي أمامة أن الله لا يعذب قلباً وعى القرآن على نحو ما ذكره ابن الأنباري .

فأما جواب ابن قتيبة الثاني ، فمن أين له أن ذلك مختص بزمانه صلى الله عليه وآله ، وليس في اللفظ ولا في غيره دلالة عليه ! وأقوى ما يبطله أنه لو كان كما ذكر لما جاز أن يخفى على جماعة المسلمين الذين رَوَوْا جميع معجزاته عليه وآله السلام وضبطوها . وفي وجداننا مَنْ روى ذلك وجمعه وعُنِيَ به غير عارفٍ بهذه الدلالة والآية إبطالٌ لما توهمه .

فأما جوابه الثالث فباطلٌ ؛ لأنّ القرآن في الحقيقة ليس يحلُّ الجلد ، ولا يكون فيه حتى ينسب الاحتراق إلى الجلد دونه ؛ وإذا كان الأمر على هذا لم يكن في قوله : إن الإهاب هو المحترق دون القرآن فائدة ؛ لأنّ هذه سبيل كلِّ كلام كتب في إهاب أو غيره إذا احترق الإهاب يُضف الاحتراق إلى الكلام لاستحالة هذه القضية^(١) عليه .

ومن عجيب الأمور قول ابن الأنباري : « وهذا يوجب أن القرآن غير المكتوب » ؛ لأنّ كلام ابن قتيبة ليس يوجب ما ظنّه ؛ بل يوجب ضده من أن المكتوب هو القرآن ؛ ولهذا علق الإحراق^(٢) بالكتابة والجلد دون المكتوب ؛ الذي هو القرآن ؛ وإذا كان المكتوب في المصحف هو القرآن على ما اقترح ابن الأنباري ، فما المانع من قول ابن قتيبة أنّ الجلد يحترق دونه ؟ لأنّ أحداً لا يقول إن الجلد هو القرآن ؛ وإنما يقول قومٌ إنه مكتوب فيه ؛ وإذا كان غيره لم يمتنع إضافة الاحتراق إلى أحدهما / دون الآخر ؛ وهذا كله تخليط من الرجلين ؛ لأنّ القرآن غير حالٍ في الجلد على الحقيقة ؛ وليست الكتابة غير المكتوب ؛ وإنما الكتابة أمانة للحروف ؛ فأما أن تكون هي الكلام على الحقيقة أو يوجد معها الكلام مكتوباً فحال .

فأما استشهاده على ذلك بالآية وبقوله : « لا تسافروا بالقرآن » فذلك تجوز وتوسّع ،

(١) ت ، ف : « الفضة » . (٢) ت : « الاحتراق » .

وليس يجب أن يُجمل إطلاق الألفاظ المحتملة دليلاً على إثبات الأحكام والمعاني، ومعتزلة على أدلة العقول؛ وقد تجوز القوم بأكثر من هذا فقالوا: في هذا الكتاب شعر امرئ القيس وعلم الشافعي وفقه فلان، ولم يقتض ذلك أن يكون العلم والكلام على الحقيقة موجودين في دفتر. وقد بُين الكلام، في هذا الباب في مواضع هي أولى به.

فأما جواب ابن الأنباري الذي ارتضاه لنفسه، فلا طائل أيضاً فيه، لأنه لا مزية للقرآن فيما ذكره على كل كلام وشعر في العالم، لأننا نعلم أن الشعر والكلام المحفوظ في صدور الرجال إذا كتبت في جلد ثم أحرق أو غسل لم يذهب مافي الصدور. منه؛ بل يكون ثابتاً بحاله، فأى مزية للقرآن في هذا على غيره؟ وأى فضيلة؟ فإن قال: وجه المزية أن غير القرآن من الشعر وغيره يمكن أن يندرس ويبطل بإحراق النار؛ والقرآن إذا كان هو تعالى هو المتولى لإيداعه الصدور لا يتم ذلك فيه؟

١٠

قلنا: الكل سواء لأن غير القرآن إنما يبطل باحتراق الإهاب المكتوب فيه متى لم يكن محفوظاً مودعاً للصدور، ومتى كان بهذا الصفة لم يبطل باحتراق الجلد؛ وهكذا القرآن لو لم يُحفظ في الصدور لبطل بالاحتراق؛ وإلكنه لا يبطل بهذا الشرط؛ فصار الشرط في بطلان غير القرآن وثباته كالشرط في بطلان القرآن وإثباته، فلا مزية على هذا الجواب للقرآن فيما حُص به من أن النار لا تمسه، وهذا يبين أنه لا وجه غير ما ذكرناه في الخبر؛ وهو أشبه بمذاهب العرب وأولى بتفضيل القرآن وتمظيمه.

١٥

أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أنشدنا أبو حاتم قال ابن دريد وأنشدنا عبد الرحمن - يعني ابن أخي الأسمعي - عن عمه للحسين بن مطير الأسدي (١) - وقال عبد الرحمن قال عمي: لو كان شعر العرب هكذا ما أتم منشدته:

(١) هو الحسين بن مطير بن مكل؛ مولى لبي سمد بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد؛ شاعر متقدم من شعراء الدولتين؛ ومذهبه في الشعر يشبه كلام الأعراب ومذاهبهم؛ (وانظر ترجمته وأخباره وأشعاره في الأغاني ١٤: ١١٠-١١٤، والخزانة ٢: ٤٨٥-٤٨٨).

الْأَحَبُّ^(١) بِالْبَيْتِ الَّذِي أَنْتَ هَاجِرُهُ
 لِأَنَّكَ مِنْ بَيْتٍ لَعِينِي مُعِجِبٌ^(٢)
 أَصْدُ حَيَاءً أَنْ يَلِجَ بِي الْهُوَى
 وَفِيكَ حَبِيبُ النَّفْسِ لَوْ اسْتَطِيعَهُ^(٥)
 فَإِنَّ آتِهِ لَمْ أَنْجُ إِلَّا بِظَنَّةٍ
 وَكَانَ حَبِيبُ النَّفْسِ لِلْقَلْبِ وَإِرَاءً
 وَإِنْ تَكُنِ الْأَعْدَاءُ أَحْمَوْا كَلَامَهُ
 أَحْبَبْتُكَ يَا سَلْمَى عَلَى غَيْرِ رِيْبَةٍ
 وَيَا عَادِلِي لَوْ لَا نَفَاسَةُ حَبِيبِهَا
 بِنَفْسِي مَن لَابَدَّ أَنْتِي هَاجِرُهُ
 وَمَنْ قَدْ لَحَاهُ النَّاسُ حَتَّى اتَّقَاهُمْ
 أَحْبَبْتُكَ حَبًّا لَنْ أَعْنَفَ بَعْدَهُ
 لَقَدْ مَاتَ قَبْلِي أَوَّلُ الْحُبِّ فَانْقَضَى
 كَلَامُكَ يَا سَلْمَى وَإِنْ قَلَّ نَافِعِي
 إِلَّا لَا أَبَالِي أَيَّ حَسِيٍّ تَحْمَلُوا

وَأَنْتَ بِتَلْمَاحٍ مِنَ الطَّرْفِ نَاطِرُهُ^(٣)
 وَأَمْلَحُ فِي عَيْنِي مِنَ الْبَيْتِ عَامِرُهُ
 وَفِيكَ السُّنَى لَوْلَا عَدُوٌّ أُحَاذِرُهُ^(٤)
 لَمَاتَ الْهُوَى وَالشُّوقُ حِينَ تَجَاوِرُهُ^(٦)
 وَإِنْ يَأْتِهِ غَيْرِي تُنْطُ بِجِرَائِرُهُ
 وَكَيْفَ يُحِبُّ الْقَلْبُ مَنْ هُوَ وَإِرَاءَهُ !
 عَلَيْنَا فَلَنْ تُحْمَى عَلَيْنَا مَنَاطِرُهُ
 وَلَا بَأْسَ فِي حَبِّ تَعَفُّ سَرَائِرُهُ
 عَلَيْكَ لَمَّا بِالْبَيْتِ أَنْكَ خَابِرُهُ
 وَمَنْ أَنَا فِي الْمَيْسُورِ وَالْعُسْرِ ذَا كِرَهُ
 يَبْغِضِي إِلَّا مَا تَحْسِنُ ضَمَائِرُهُ
 حَبِيبًا وَلَكِنِّي إِذَا لَيْمَ عَاذِرُهُ
 وَلَوْ مَتَّ أَضْحَى الْحَبُّ قَدَمَاتِ آخِرُهُ^(٧)
 وَلَا تَحْسَبِي أَنِّي وَإِنْ قَلَّ حَاقِرُهُ^(٨)
 إِذَا تَمَدُّ الْبِرِّ قَاءَ لَمْ يَجْلُ حَاضِرُهُ^(٩)

(١) وردت هذه المقطوعة في أمالي النقالى ١ : ٧٨ ، وأمدى ابن السجري : ١٥٠ مع اختلاف في الرواية
 وعدد الأبيات . (٢) ت : « زائرته » . (٣) هـ : « إلى لمعجب » .
 (٤) م : « أن يلعج بي الهوى » . (٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « استطيعه » .
 (٦) ت : « تجاوره » ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « تجاوره » .
 (٧) في حاشية الأصل ، ت : « بهنا يدعى أنه أحيا الحب ، وأن الحب كان قبله ميتا . وسموت بعده » .
 (٨) الحفر : التحقير . (٩) تحملوا : ارتحلوا ؛ والتمد : الماء القليل . والبرقاء : موضع بالجزيرة .
 ولم يجول ؛ من جلاء القوم عن منازلهم .

وأنشد ابن الأعرابي لابن مُطَيْرٍ :

لَعَمْرُكَ لِلْبَيْتِ الَّذِي لَا نَطُورُهُ
أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ بِلَادِ نَطُورِهَا (١)
تَقَلَّبْتُ فِي الْإِخْوَانِ حَتَّى عَرَقْتُهُمْ
وَلَا يَعْرِفُ الْإِخْوَانَ إِلَّا خَيْرُهَا
فَلَا أَصْرِمُ الْخِلَآنَ حَتَّى يُصَارِمُوا
وَحَتَّى يَسِيرُوا سِيرَةً لَا أَسِيرُهَا
فَإِنَّكَ بَعْدَ الشَّرِّ مَا أَنْتَ وَاجِدُهُ
خَلِيلًا مُدِيمًا شِيمَةً لَا يُدِيرُهَا

٥

[١٤٥]

/ — معنى يديرها، يقلبها مرة هاهنا، ومرة هاهنا —

و

وَإِنَّكَ فِي غَيْرِ الْأَخْلَاءِ عَالِمٌ
بِأَنَّ الَّذِي يَخْفَى عَلَيْكَ ضَمِيرُهَا (٢)
فَلَا تَكُ مَعْرُورًا بِمَسْحَةِ صَاحِبِ
مِنِ الْوَدِّ لَا تَدْرِي عِلَامَ مَصِيرُهَا (٣)
وَمَا الْجُودُ عَنْ فَقْرِ الرَّجَالِ وَلَا الْغِنَى
وَلَكِنَّهُ خَيْمُ الرَّجَالِ وَخَيْرُهَا
وَقَدْ تَغْدِرُ الدُّنْيَا فَيُضْحِي غَنِيهَا
فَقِيرًا وَيَعْنَى بَعْدَ بُؤْسِ فَقِيرُهَا ١٠
وَكَأَنَّ تَرَى مِنْ حَالِ دُنْيَا تَغْيَرَتْ
وَحَالٍ صَفَا بَعْدَ اكْتِدَارِ غَدِيرُهَا
وَمِنْ طَامِعٍ فِي حَاجَةِ بَنٍ يَنَالُهَا
وَمَنْ يَتَّبِعُ مَا يُعْجِبُ النَّفْسَ لَا يَزَلْ
وَمِنْ يَأْسٍ مِنْهَا أَنَاهُ بَشِيرُهَا
فَنَفْسَكَ أَكْرَمَ عَنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ
مُطِيعًا لَهَا فِي فِعْلِ شَيْءٍ يَضِيرُهَا (٤)
فَاللَّكُ نَفْسٌ بَعْدَهَا تَسْتَمِيرُهَا

قال سيدنا أدام الله علوه : ولي في معنى قول ابن مُطَيْرٍ : « وقد تغدر الدنيا » ، والبيت ١٥

الذي بعده من جملة قصيدة :

وَكَيفَ آانسُ بِالْدُّنْيَا وَلَسْتُ أَرَى
إِلَّا امْرَأً قَدْ تَعَرَّيَ مِنْ عَوَارِيهَا (٥)

(١) حساسة ابن الشجري : ١٦٣ . ونظورها : تقربها . (٢) ف ، حاشية ت (من نسخة) « في عين الأخلاء » . (٣) المسحة : الأثر الظاهر ؛ ونقل صاحب اللسان عن شمر : أن العرب تقول : هذا رجل عليه مسحة جمال ، ومسحة عتق وكرم ؛ ولا يقال ذلك إلا في المدح . وفي ت : « مسحة » ، بكسر الليم . (٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « في كل شيء » . (٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « وكيف أنفس بالدنيا » .

نَصَبُوا إِلَيْهَا بِأَمَالٍ مُخَيَّبَةٍ كَأَنَّهَا مَا نَرَى عُشْبِي أَمَانِيهَا
فِي وَحْشَةِ الدَّارِ مِمَّنْ كَانَ يَسْكُنُهَا كُلُّ اعْتِبَارٍ لِمَنْ قَدْ ظَلَّ يَأْوِيهَا
لَا تَكْذِبَنَّ فَمَا قَلْبِي لَهَا وَطَنًا وَقَدْ رَأَيْتُ طُولًا مِنْ مَعَانِيهَا

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أنشدنا علي بن سليمان الأخفش قال أنشدنا أحمد بن

يحيى ثعلب للحسين بن مطير:

لقد كنتُ جَدًّا قَبْلَ أَنْ يوقِدَ الهَوَى عَلَى كَيْدِي نَارًا بَطِينًا خُمُودُهَا (١)
ولو تَرَكْتُ نَارُ الهَوَى لِتَضَرَّمَتْ وَلَكِنَّ شَوْقًا كُلَّ يَوْمٍ يَزِيدُهَا (٢)
وقد كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَمُوتَ صَبَابَتِي إِذَا قَدُمْتَ أَحْزَانُهَا وَعَهْودُهَا (٣)
/ فقدُ جَعَلْتُ فِي حَبَّةِ القَلْبِ وَالْحَشَا عِيَادَ الهَوَى تُولِي بِشَوْقٍ يُعِيدُهَا (٤) [١٤٥] ط
بِمُرْتَجَةِ الأَرْدَفِ هَيْفِ خُصُورُهَا عَذَابِ ثَنَائِيهَا عِجَافٍ قِيُودُهَا (٥) ١٠

— يعني أنها عجاف اللثات وأصول الأسنان ، وهي قيودها . قال أبو العباس ثعلب :

« عِجَافٌ » ، بالخفض لَحْنٌ ، لأنه ليس من صفة النساء ، وسبيله أن يكون نصباً ؛ لأنه حال من الثنايا (٦) . —

(١) أبيات منها في أمالي الزجاجي : ١٢٤-١٢٥ ، وأمالي القالي ١ : ١٦٥ ، والحاسة بشرح التبريزي ٣ : ٢٠٦-٢٠٧ وفي م : « توقد النوى » . (٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : « أي لو تركت نار الهوى ولم يزد فيها الشوق لكانت كافية ؛ فكيف والشوق كل يوم يزيدها ويذكيها ! » . (٣) ت ، د ، ف : « أيامها وعهودها » . (٤) المهاد : جمع عهدة ؛ وهو المطر الأول ، والولي ؛ المطر الثاني ، شبه أول الشوق بالمهاد ، وما وليه بالولي ؛ فأول المطر إذا لحقه المطر الثاني كثر الريم والحصب . (٥) هيف : جمع هيفاء ؛ وهو الدقيقة الحصر ، الضامرة البطن وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « عجافا » . (٦) حواشي الأصل ، ت ، ف : « إنما قال ثعلب ذلك لأن الضمير في « قيودها » لثنايا » . وفيها أيضا : « هذا الذي ذكره أحمد بن يحيى عجب ، وباب جريان الصفة على غير من هوله واسع . وقوله : « مرتجة الأرداف » ، وإن كان لا يحتمل أن يريد به جماعة النساء فإنه يحتمل أن يريد به واحدة ، وتكون « خصورها » جما بما يقارب الحصر ، ويكون قوله : « هيف » دون « هيفاء » من باب قوله : فيا ليلة خرس الدجاج طويلةً بيغداد ما كادت عن الصبح تنجلي وإنما جمع الحرس ، لأنها في الحقيقة صفة الدجاج ، لالليل ، فكذلك هاهنا .

مُخَصَّرَةَ الْأَوْسَاطِ زَانَتْ عَقُودَهَا بِأَحْسَنَ مِمَّا زَيَّنَتْهَا عُقُودُهَا
وَصُفْرٍ تَرَاقِيهَا وَحُمْرٍ أَكْفَهَا وَسُودٍ نَوَاصِيهَا وَبَيْضٍ خُدُودَهَا
- وصف التراقي بالصفرة^(١) من الطيب، وحمرة أكفها من الخضاب -

يُمْنِنَنَا حَتَّى تَرِفَّ قُلُوبُنَا رَفِيفَ الْخُزَامِيِّ بَاتَ طَلٌّ يَجُودُهَا^(٢)

أخذ قوله: «مُخَصَّرَةَ الْأَوْسَاطِ زَانَتْ...»، البيت من قول مالك بن أسماء بن خارجة: ٥

وَتَرِيدِينَ أَطِيبَ الطَّيِّبِ طَيِّبًا - إِنْ تَمَسَّيْهِ - أَيْنَ مِثْلِكَ أَيْنَا!
وَإِذَا الدَّرُّ زَانَ حُسْنَ وَجُوهٍ كَانَ لِلدَّرِّ حُسْنٌ وَجْهَكَ زَيْنَا

وروى أبو تمام الطائي في الحماسة بعض الأبيات الذي ذكرناها للحسين بن مطير .

وروى له أيضاً^(٣) - ويشبه أن يكون الجميع من قصيدة واحدة :

١٠ وَكَنتُ أَذُودُ الْعَيْنِ أَنْ تَرِدَ الْبُكَاءُ فَقَدْ وَرَدَتْ مَا كُنْتُ عَنْهُ أَذُودُهَا
خَلِيلِي مَا بِالْعَيْشِ عَيْبٌ لَوْ أَنَّنَا وَجَدْنَا لِأَيَّامِ الصَّبَا مَنْ يُعِيدُهَا

وروى أبو تمام أيضاً لغيره^(٤) ، وبعض الرواة يرونها لابن مطير :

وَلِي نَظْرَةٌ بَعْدَ الصَّدُودِ مِنَ الْجَوَى كَنَظْرَةِ تَسْكَلِي قَدِ أَصِيبَ وَلِيدُهَا
هَلْ اللَّهُ عَافٍ عَنِ ذُنُوبٍ تَسَلَّفَتْ! أَمْ اللَّهُ إِنْ لَمْ يَعْفُ عَنْهَا مُعِيدُهَا!^(٥)

١٥ وَأُنشِدُ أَبُو مَحَامٍ لَابْنَ مُطَيْرٍ :

قَضَى اللَّهُ يَا أَسْمَاءُ أَنْ أَسْتُ بَارِحًا أَحْبَبْتُكَ حَتَّى يُفَمِّضَ الْعَيْنَ مُغْمِضًا^(٦)

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « قد ذكر في صفرة التراقي أنها من الحلي .

(٢) حاشية الأصل : « يقال : رف النبات إذا مطر فاهتر بالندى .

(٣) الحماسة بشرح التبريزي ٣ : ٣٠٢-٣٠٣ . (٤) الذي في ديوان الحماسة بشرح التبريزي

أن الأبيات الأربعة منسوبة للحسين بن مطير . (٥) حاشية الأصل : « الضمير للمرأة التي يجوى لها .

(٦) الزهرة : ٢٤ ؛ وفي حاشية الأصل : « أغمض وغمض [بالتضعيف] بمعنى واحد ، أى يغمض عينه

وله بعد الموت . »

[١٤٦] / وَحُبُّكَ بَلَوَى غَيْرَ الْأَيَّامِ سُرَّتْنِي / وَإِنْ كَانَ بَلَوَى أَنْتَى لِكَ مُبْغِضٍ (١)
إِذَا أَنَارُضْتُ النَّفْسَ فِي حُبِّ غَيْرِهَا / أَتَى حُبُّهَا مِنْ دُونِهَا يَتَمَرَّضُ
فِيَالْيَتَنِي أَقْرَضْتُ جَلْدًا (٢) صَبَابَتِي / وَأَقْرَضَنِي صَبْرًا عَلَى الشَّوْقِ مُتَمَرِّضُ
ويشبهه أن يكون أخذ قوله :

* إِذَا أَنَا رُضْتُ النَّفْسَ فِي حُبِّ غَيْرِهَا *

من قول رجل من أفرارة :

وَأَعْرِضْ حَتَّى يَحْسِبَ النَّاسُ أَنَّمَا / بِي الْهَجْرُ لَهَا لِلَّهِ مَا بِي لِكَ الْهَجْرُ
وَلَكِنْ أَرُوضُ النَّفْسَ أَنْظُرْ هَلْ لَهَا / إِذَا فَارَقْتُ يَوْمًا أَحِبَّتْهَا - صَبْرُ!
أو من قول نصيب :

وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِي كَثِيرًا وَأَنْتَى / عِيونًا (٣) وَأَسْتَبْقِي الْمَوَدَّةَ بِالْهَجْرِ
وَأُنْدِرُ بِالْهَجْرَانِ نَفْسِي أَرُوضُهَا / لَتَعْلَمَ عِنْدَ الْهَجْرِ هَلْ لِي مِنْ صَبْرٍ!
ويشبهه أن يكون أخذ قوله :

* فَيَالْيَتَنِي أَقْرَضْتُ جَلْدًا صَبَابَتِي ... * الْبَيْتِ

من قول بعض العرب :

رَمَى قَلْبَهُ الْبَرْقُ الْمَلَأِي رَمِيَةً / بِحَنْبِ الْحِمَى وَهَنَا فَكَادَ يَبِيمُ (٤)
فَهَلْ مِنْ مُعِيرٍ طَرَفَ عَيْنٍ خَلِيَّةٍ / فَإِنْسَانُ عَيْنِ الْعَامِرِيِّ كَلِيمُ
ولاحسين في هذا المعنى ما رواه المبرد :
وَلِي كَبْدٌ مَقْرُوحَةٌ مَنْ يَبِيْعُنِي / بِهَا كَبْدًا لَيْسَتْ بِذَاتِ قُرُوحِ (٥)

(١) حاشية ت (من نسخة) : « وإن كان داني » . (٢) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف :
« غيرى » . (٣) ف : « غيوراً » ، م : « عدوا » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « البرق الملالى رمية » .
(٥) حواشي الأصل ، ت ، ف : « رواهما غير المبرد لابن الدمينه ، وقبلهما :

أَلَا يَأْتِي وَادِي الْمِيَاهِ قَتَلْتَنِي / أَبَا حَكَّ لِي قَبْلَ الْمَاتِ مُبِيحُ =

أَبِي النَّاسِ، وَيَبِ النَّاسِ لَا يَشْتَرُ وَنَهَا وَمَنْ يَشْتَرِي ذَا عُرَّةٍ بِصَحِيحٍ! (١)
 وَأَخَذَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَخْنَفِ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ :
 مَنْ ذَا يُعِيرُكَ عَيْنَهُ تَبْكِي بِهَا! أَرَأَيْتَ عَيْنًا لِلْبُكَاءِ تُعَارُ! (٢)

وَأَخْبَرَنَا الْمَرْزَبَانِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَكِيمِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي يَمُوتُ بْنُ الْمَزْرَعِ قَالَ
 حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ الْأَصْمَعِيِّ؛ فَأَنْشَدَهُ رَجُلٌ أَيْبَاتٍ دِعْبِلٍ :

أَيْنَ الشَّبَابُ وَأَيَّةَ سَلَكَا! لَا، أَيْنَ يُطَلَّبُ ضَلَّ بَلْ هَلَكَا! (٣)
 / لَا تَعَجَّبِي يَا سَلَمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى
 يَا سَلَمُ مَا بِالشَّيْبِ مَنْقَصَةٌ لَا سَوْفَةً يُبْقَى وَلَا مَلِكًا
 قَصَرَ الْغَوَايَةَ عَنْ هَوَى قَمَرٍ وَجَدَ السَّبِيلَ إِلَيْهِ مُشْتَرِكًا
 يَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ نَوْمُكُمْ يَا صَاحِبِي إِذَا دَمِي سُنْفِكَ! ١٠
 لَا تَأْخُذْهُمُ بِظَلَامَتِي أَحَدًا قَلْبِي وَطَرَفِي فِي دَمِي اشْتَرَكَا

قال: فاستحسنها كلُّ مَنْ فِي الْمَجْلِسِ، وَأَكْثَرُوا التَّعْجِبَ مِنْ قَوْلِهِ :

* ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى *

= وبعدها :

أَنْ مِنْ الشَّوْقِ الَّذِي فِي جَوَانِحِي أَنْيْنَ عَضِيضٍ بِالسَّلَاحِ جَرِيحٍ
 وَفِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ ٨ : ٣٧٧ أَيْبَاتٌ خَمْسَةٌ نَهَبَهَا إِلَى ابْنِ الدِّمِينَةِ ، يَتَفَقَّ الْبَيْتَ الْأَوَّلُ وَالرَّابِعُ وَالْخَامِسُ
 مَعَ هَذِهِ الْأَيْبَاتِ ، وَالْبَيْتَ الثَّانِي وَالثَّلَاثَ هُنَاكَ :

رَأَيْتُكَ غَضَّ النَّبْتِ مَرْتَبَطَ التَّرَى يَحْوُطُكَ شَجَاعٌ عَلَيْكَ شَحِيحُ
 كَأَنَّ مَدُوفَ الزَّعْفَرَانِ بِجَنْبِهِ دَمٌ مِنْ ظِبَاءِ الْوَادِيَيْنِ ذَبِيحُ
 (١) حَاشِيَةٌ (مِنْ نَسْخَةٍ) : « ذَاعَلَةٌ » . (٢) حَاشِيَةٌ الْأَصْلُ : قَبْلَهُ :

نَزَفَ الْبُكَاءُ دُمُوعَ عَيْنِكَ فَاسْتَعْرَهُ عَيْنًا لِغَيْرِكَ دَمْعًا مِدْرَارُ

وَالْبَيْتَانِ فِي دِيْوَانِهِ : ٦٨ . (٣) الْأَيْبَاتُ فِي الْعَقْدِ ٥ : ٣٧٥ وَالْخُرَازَانِيُّ ٣ : ٤٨٧ .

فقال الأصمعيُّ : إنما أخذ قوله هذا من ابن مُطَيْرِ الأَسَدِيِّ في قوله :

أَيْنَ أَهْلُ التِّيَابِ بالدَّهْنَاءِ ! أَيْنَ جِيرَانُنَا عَلَى الأَحْسَاءِ ! (١)
جَاوَرُونَا والأَرْضُ مُلْبَسَةٌ نَوْرَ الأَقَاحِي تُجَادُ بالأَنْوَاءِ
كُلَّ يَوْمٍ عَنِ أَفْحُوَانٍ جَدِيدٍ تَضْحَكُ الأَرْضُ مِنْ بُكَاءِ السَّمَاءِ (٢)

وقد أخذهُ مسلمٌ صريعُ الغواني في قوله :

مُسْتَعْبِرٌ يَبْكِي عَلَى دِمْنَةٍ وَرَأْسُهُ يَضْحَكُ فِيهِ الشَّيْبُ (٣)

قال سيدنا أدام الله علوه : ولأبي الحجناء نُصَيْبِ الأَصْغَرِ مِثْلُ هَذَا المعنى ، وهو قوله :

يَبْكِي الغَمَامُ بِهِ فَأَصْبَحَ رَوْضُهُ جَدْلَانِ يَضْحَكُ بِالْجَمِيمِ وَيُزْهِرُ (٤)

ولابن المعتز مثله :

أَلَحَّتْ عَلَيْهِ كُلُّ طَخِيَاءٍ دِيمَةٍ إِذَا مَا بَكَتْ أَجْفَانُهَا ضَحِكَ الرَّهْرِ (٥)

ولابن دريد مثله :

تَبَسَّمَ الزُّنُّ وَانْهَلَتْ مَدَامِعُهُ فَأَضْحَكَ الرَّوْضُ جَفْنَ الضَّاحِكِ البَاكِي (٦)

وَغَازَلَ الشَّمْسَ نَوْرٌ ظَلَّ يَلْحَقُهَا (٧) بَعِينَ مُسْتَعْبِرٍ بالدَّمْعِ ضَحَّاكَ

وروى عن أبي العباس المبرد أنه قال : أخذ ابن مُطَيْرِ قوله :

* تَضْحَكُ الأَرْضُ مِنْ بُكَاءِ السَّمَاءِ *

١٥

[١٤٧] / من قول دُكَيْنِ الرَّاجِزِ :

جُنَّ النَّبَاتُ فِي ذُرَاهَا وَزَكَ (٨) وَضَحِكَ الزُّنُّ بِهِ حَتَّى بَكَى

(١) الخزانة ٢ : ٤٨٧ ، عن الفرر . وفي حاشية الأصل : « الأحساء : جمع حسي ، وهو الموضع الذي استنقع فيه الماء » . والدهناء : أرض من منازل تميم بنجد . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « بأفحوان » . (٣) ديوانه : ٣٦٧ ، الوساطة : ٤٤ (٤) ت : « يبكي الغمام » . الجميم : الكلا الكثير . (٥) ديوانه : ١ : ٣٣ (٦) ديوانه : ٩٨ ، والخزانة ٢ : ٤٨٧ - ٤٨٨ وكلاهما عن الفرر . وفي حاشية ت (من نسخة) « دم الضاحك الباكي » . (٧) ت : « يلحقها » (٨) الخزانة ٢ : ٤٨٨ عن الفرر .

مَجْلِسٌ آخِرٌ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾؛ [آل عمران : ٧].

الجواب ، قلنا : ذكر في هذه الآية وجهان مطابقان للحق :

أحدهما أن يكون الراسخون في العلم معطوفين على اسم الله تعالى ؛ فكأنه قال : وما يعلم ٥
تأويله إلا الله وإلا الراسخون في العلم ، وإنهم مع علمهم به ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ ؛ فوقع قوله :
﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ في موقع الحال ؛ والمعنى أنهم يعلمونه قائلين : ﴿آمَنَّا بِهِ ، كُلٌّ مِنْ عِنْدِ
رَبِّنَا﴾ وهذا غاية المدح لهم ؛ لأنهم إذا علموا ذلك بقلوبهم ، وأظهروا التصديق به على ألسنتهم
قد تكاملت مدحتهم ووصفهم بأداء الواجب عليهم .

والحجة - لمن ذهب إلى ما بيناه ، والردُّ على من استبعد عطفه على الأول وتقديره أن يكون ١٠
قوله : ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ على هذا التأويل لا ابتداء له ، - قوله : ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى
رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ ؛ إلى قوله : ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ؛
[الحشر : ٧] ، فذكر جملة ، ثم تلاها بالتفصيل ، وتسمية من يستحق هذا الفء فقال :
﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ
وَرِضْوَانًا﴾ ، إلى قوله : ﴿الصَّادِقُونَ﴾ ؛ [الحشر : ٨] . وقال في الذين تبوءوا الدار والإيمان - ١٥
وهم الأنصار : ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ،
وَيُوَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ ؛ [الحشر : ٩] . وقال فيمن جاء بعدهم : ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا

وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴿١٠﴾ ؛ [الحشر : ١٠] ، فهذه الآيات تدلّ على أنه لا يُفكرُ
 في آية « الراسخين في العلم » أن يكون قوله : ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ حالاً لهم ؛ مع العلم
 بتأويل التشابه ؛ ولو أشكل شيء من ذلك لما أشكل قوله : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ
 يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ﴾ في أنه موافق لقوله : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا
 بِهِ ﴾ وأن الصورتين واحدة .

[١٤٧] ومما يُستشهد به / على ذلك من الشعر قول يزيد بن (١) مفرّغ في عبدٍ له كان يُسمّى
 بُرداً باعه ثم ندم عليه :

وَشَرَيْتُ بُرْدًا لِيَتَنَى مِنْ بَعْدِ بُرْدٍ كُنْتُ هَامَةً (٢)
 هَامَةٌ تَدْعُو صَدَى بَيْنَ الْمُشَقَّرِ فَالِيَمَامَةِ (٣)
 الرِّيحُ تَبْكِي شَجْوَهُ وَالْبَرْقُ يَلْعَعُ فِي الْغَمَامَةِ (٤)

١٠

فمطف البرق على الريح ، ثم أتبعه بقوله : « يلمع » ؛ كأنه قال : والبرق أيضاً يبيكه
 لامعاف غمامه ؛ أي في حال لمعانه ؛ ولولم يكن البرق معطوفاً على الريح في البكاء لم يكن للكلام
 معنًى ولا فائدة .

ويمكن أيضاً على هذا الوجه مع عطف « الراسخين » على ما تقدّم ، وإثبات العلم
 ١٥ بالتشابه لهم أن يكون قوله : ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا ﴾ استئناف جملة ، واستغنى فيه عن حرف العطف ؛ كما
 استغنى في قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَأَوْهُمْ كِلْبُهُمْ ﴾ ؛ [الكهف : ٢٢] ، ونحو ذلك
 مما للجملة الثانية فيه التباسٌ بالجملة الأولى ، فيُستغنى به عن حرف العطف ، ولو عطف بحرف
 العطف كان حسناً ، يُنزّل المتلبّس منزلةً غير المتلبّس .

والوجه الثاني في الآية أن يكون قوله : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ مستأنفاً غير معطوف

(١) هو يزيد بن زبيدة بن مفرغ ؛ وخبر بيعة بردا ، مع الأبيات في الأغاني ١٧ : ٥٣-٥٥ .
 (٢) شريت : بعث ، والهامة والصدى ، كلاهما كناية عما تزعم العرب أنه يطير من رأس الميت .
 (٣) المشقر : حصن بين البحرين ونجران . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « في غمامة » .

على ما تقدم، ثم أخبر عنهم بأنهم: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾، ويكون المراد بالتأويل على هذا الجواب التأويل، لأنه قد يسمى تأويلاً، قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾، [الأعراف: ٥٣] والمراد بذلك لا محالة التأويل، والتأويل الذى لا يعلمه العلماء؛ وإن كان الله عز وجل عالماً به، كنفح وقت قيام الساعة، ومقادير الثواب والعقاب، وصفة الحساب، وتعيين الصغار؛ إلى غير ذلك؛ فكأنه قال: وما يعلم تأويل جميعه. على المعنى الذى ذكرناه إلا الله؛^٥ وال العلماء يقولون آمنا به .

وقد اختار أبو علي الجبائي هذا الوجه، وقواه، وضعف الأول بأن قال: قولُ الراسخين فى العلم ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ دلالة على استسلامهم؛ لأنهم لا يعرفون تأويل التشابه، كما يعرفون تأويل المحكم، ولأن ما ذكرناه من وقت القيامة، ومن التمييز بين الصغار والكبار هو من تأويل القرآن؛ إذا كان داخلاً فى خبر الله؛ والراسخون فى العلم / لا يملكون [١٤٨] ذلك .

وليس الذى ذكره بشيء؛ لأنه لا يمتنع أن يقول العلماء مع علمهم بالتشابه: ﴿آمَنَّا بِهِ﴾ على الوجه الذى قدمنا ذكره؛ فكيف يُظنّ أنهم لا يقولون ذلك إلا مع فقد العلم به! وما المنكر من أن يُظهر الإنسان بلسانه الإيمان بما يعلمه ويتحققه! فأما قوله: «ولأن ما ذكرناه من تأويل القرآن» فذلك إنما يكون تأويلاً للقرآن إذا حُمِلت هذه اللفظة على التأويل، لاعلى الفائدة والمعنى. ١٥
وأما إذا حُمِلت على أنه: وما يعلم معنى التشابه وفائدته إلا الله، فلا بدّ من دخول العلماء فيه. وليس يمكنه أن يقول: إنَّ حملَ التأويل على التأويل أظهرُ من حمله على المعنى والفائدة؛ لأن الأمرَ بالعكس من ذلك؛ بل حمله على المعنى أظهرُ وأكثرُ فى الاستعمال، وأشبه بالحقيقة؛ على أنه لو قيل: إنَّ الجواب الأول أقوى من الثانى لكان أولى من قوله من قبل: إنه لو كان المراد بالتأويل التأويل لا الفائدة والمعنى لم يكن لتخصيص التشابه بذلك دون المحكم ٢٠ معنى؛ لأن فى تأويل المحكم؛ كما أخبره عن الثواب والعقاب والحساب؛ مما لا شبهة فى كونه

محكما ما لا يعرفُ تفصيله وكنهه إلا الله تعالى ؛ فأى معنى لتخصيص التشابه بذلك والكلام يقتضى توجهه نحو التشابه ! ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ ! فخص التشابه بالذكر .

والأولى أيضا أن يكون المراد بلفظة ﴿ تَأْوِيلَهُ ﴾ الثانية هو المراد بلفظة ﴿ تَأْوِيلِهِ ﴾ الأولى ، وقد علمنا أن الذين في قلوبهم زَيْغٌ إنما اتَّبَعُوا تَأْوِيلَهُ على خلاف معناه ولم يطلبوا تَأْوِيلَهُ الذى هو متأوله ؛ فالوجه الأول أقوى وأرجح .

ويمكن فى الآية وجه ثالث لم نجدهم ذكروه ، على أن يكون قوله : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ مستأنفاً غير معطوف ، ويكون المعنى : وما يعلمُ تأويلَ التشابه بعينه وعلى سبيل التفصيل إلا الله ؛ وهذا صحيح لأن أكثر التشابه قد يحتملُ الوجوه الكثيرة المطابقة للحق ، الموافقة لأدلة العقول ؛ فيذكر المتأول جميعها ، ولا يقطع على مراد الله منها بعينه ، لأن الذى يلزم مثل ذلك أن يُعلم فى الجملة أنه لم يُرد من المعنى ما يخالف الأدلة ؛ وأنه قد أراد بعض الوجوه المذكورة المتساوية فى الجواز ، والموافقة للحق . وليس من تكليفنا أن نعلم المراد / بعينه ؛ وهذا مثل الضلال والهدى اللذين نبين احتمالهما لوجوه كثيرة ؛ منها ما يخالف الحق فيقطع على أنه تعالى لم يرده ، ومنها وجوه تطابق الحق ، فيعلم فى الجملة أنه قد أراد أحدها ، ولا يعلم المراد منها بعينه وغير هذا من الآى التشابهية ؛ فإن أكثرها يحتمل وجوها ، والقليل منها يختص بوجه واحد صحيح لا يحتمل سواه ؛ ويكون قوله تعالى من بعد : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ ، أى صدقنا بما نعلمه مَفْصَلاً ومَجْمَلاً من المحكم والتشابه ؛ وأن الكل من عند ربنا ؛ وهذا وجه واضح .

٢٠ أخبرنا أبو عبيد الله الرزباني قال أخبرنا محمد بن أبي الأزهر قال أنشدنا محمد بن يزيد لأبي حية^(١) التميمي - وهى أبيات مختارة :

(١) هو أبو حية الهيثم بن الربيع بن زرارة ، ينتهى نسبه إلى مضر بن نزار . من مخضرمى الدولتين ، =

وخبرك الواشون إلا أحبكم بلى وستور الله^(١) ذات المحارم^(٢)
أصد ، وما الصد الذي تعرفينه عزاء بنا إلا اجترأ العلاقم^(٣)
حياء وبُنيا أن تشيع نيمة بنا وبكم ؛ أف لأهل التمام^(٤) !
وإن دماً لو تعلمين جنيته على الحى ، جاني مثله غير سالم^(٥)
أما إنه لو كان غيرك أرقلت صعاد القنا بالرافعات اللهازم^(٦) ٥
ولكنه والله ما ظل مسلماً كبيض الدنيا واضحات الملاغم

— قال ثعلب : الملاغم ، ماحول الفم ، وقال المبرد : « واضحات الملاغم » ، يريد العوارض ،

وقوله : « ما ظل مسلماً » ، أى أبطل دمه .

إذاهن ساقطن الحديث حسبته^(٧) سقوط حصى المرجان من سلك ناظم

— ويروى : « ساقطن الأحاديث للفتى » . ويروى أيضاً : « ساقطن الحديث كأنه » — ١٥

رمين فأقصدن القلوب فلا ترى دماً مائراً إلا جوى فى الحيازم^(٨)

من ساكئ البصرة ، وكان شاعراً راجزاً مقصداً ، (وانظر ترجمته وأخباره فى الأغاني ١٥ : ٦١-٦٢ والشعر والشعراء ٧٤٩-٧٥٠ ، والخزانة ٤ : ٢٨٣-٢٨٥) .

(١) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « ستور البيت » .

(٢) السكامل — بشرح المرصفي ١ : ٢٣١-٢٣٥ ، وأمالى الفال ٢ : ٢٨٠ ، ومختارات ابن

الشجرى ١٥٣ . (٣) اجترأ : مصدر اجترع الماء إذا ابتلمه . والعلاقم : واحدها العلقم ، جمع العلقمة ، وهى القطعة من كل شىء مر . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « لذى التمام » .

(٥) حاشية ت (من نسخة) : « غيرنادم » . (٦) فى حاشيتى الأصل ، ف : « الإرقال :

ضرب من السير السريع ؛ وهو هنا استمارة ، والصعاد : جمع صعدة ، والرافعات : الأسنة التى يرفعن ، واللهازم : جمع لهزم ؛ وهن القواطع » . (٧) ت ، حاشية الأصل (من نسخة) : « كأنه » ؛ وهى رواية السكامل ، وفى حاشية ت (من نسخة) : « ساقطن الأحاديث بيننا » .

(٨) أقصدن القلوب : رمينها ؛ من قولهم ؛ قصدت الرجل إذا طعنته أو رميته ؛ فلم تخطىء مقاتله .

والدم المائر : السائل . والحيازم : الحيازم ؛ وهى ضلع الفؤاد وما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر . وفى حاشية الأصل (من نسخة) : « فأصمن القلوب » .

قال سيدنا أدام الله تمكينه : ومن مُستحسن ما مضى في هذه القصيدة قوله :

كأن لم أبرح بالغيورِ وأقتتلُ بتفتيرِ أبصارِ الصَّحاحِ السَّقَامِ (١)
/ ولم ألهُ بالحديثِ الألفِ الذي لهُ غدائرُ لم يُجرَ منَ فارِ اللطائمِ (٢)
إذا اللهُ يُطبيني وإذا أستميلهُ بـُحلولِكِ الفودينِ وحفِ المقادِمِ (٣)
وإذا أنا مُنقادٌ لكلِّ مُقوِّدٍ إلى اللهُ حلافِ البطالاتِ آثمِ

[١٤٩]

— وروى ابن حبيب : « مُقوِّدٍ ». ومعنى « حلافِ البطالات »، أى حلافِ البطالات.

مُهينُ المطايا مُتلفٌ غيرَ أننى على هُلكِ ما أتلفتُهُ غيرُ نادِمِ (٤)
أرى خيرَ يومى الحسيسِ وإن غلّا بى اللومِ لم أحفلُ ملامةَ لأثمِ

— معنى « خير يومى الحسيس »، أى أحبُّ يومى إلى الذى هو أخسّ عند أهل

١٠ الرأى والعقل .

وأُشدُّ أبو إسحاق إبراهيم بن سيف بن الزيّادى لأبى حَيّة - واسمه هيثم بن الربيع :

ترَحَّلَ بالشَّبابِ الشَّيبُ عَنَّا فليتَ الشَّيبُ كانَ به الرَّحِيلُ
وقدْ كانَ الشَّبابُ لنا خَليلًا فقد قَضَى ما ربه الخليلُ
لعمْرُ أبى، الشَّبابُ لقد تَوَلَّى حميدا ما يُرادُ به بَدِيلُ

(١) حواشى الأصل ، ت ، ف : « أى كأن لم أعذب بعذاب شديد ؟ ويعنى بالغيور زوجها أو

أخاها . ومعنى أقتتل أقتل . والأعراف فى الحب أن يقال : اقتنله الحب ؟ قال ذو الرمة :

إذا ما امرؤٌ حاولن أن يفتتلنه بلا إحنةٍ بين النفوسِ ولا زحلِ

(٢) الحدث : الحادث . والأنف : عظيم انفخسذ ؛ ويقال : امرأة لفاء ؛ إذا كانت ضخمة انفخدين

مكتنزة باللحم . والفار : نافجة المسك . واللطائم : جمع لطيمة ؛ وهى الغافلة التى يكون فيها المسك .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « إذا أستميله » . طباه : دعاه . والحلولك : الحالك الأسود .

والفودان : مثنى فود ؛ وهو معظم شعر الرأس مما يلى الأذن وناحية الرأس . والوحف : الشعر الكثير

الأسود . والمقادِم : مقدمات الرأس . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « على ردما أتلفته » ، أى على

اكتساب ؛ والتقدير : غير أنى غير نادِم ؛ مع أنى قادر على رد ما أتلفت واكتساب مثله .

إِذِ الْأَيَّامُ مُقْبِلَةٌ عَلَيْنَا وَظِلُّ أَرَكَةِ الدُّنْيَا ظَلِيلٌ

وأنشد المبرد ، قال أنشدنا أبو عثمان المازني لأبي حنيفة :

زَمَانَ الصَّبَا لَيْتَ أَيَّامَنَا رَجَعْنَ لَنَا الصَّالِحَاتِ الْقِصَارَا^(١)

زَمَانٌ عَلَى غُرَابٍ غُدَافٌ فَطِيرَهُ الدَّهْرُ عَنِ فَطَارَا

فَلَا يُبْعِدُ اللَّهُ ذَاكَ الْغُرَابِ وَإِنْ هُوَ لَمْ يُبْقِ إِلَّا آدَا كَارَا

كَأَنَّ الشَّبَابَ وَلَدَاتِهِ وَرَيْقَ الصَّبَا كَانَ يَوْمًا مُعَارَا^(٢)

- رَيْقُ الصَّبَا وَرَيْقُهُ وَرَوْنَقُهُ : أَوَّلُهُ -

وَهَازِئَةٌ أَنْ رَأَتْ لِمَتِّي تَلْفَعُ شَيْبٌ بِهَا فَاسْتَدَارَا^(٣)

وَقَلَّدَنِي مِنْهُ بَعْدَ الْخِطَامِ عِذَارَا فَمَا اسْتَطِيعُ اعْتِدَارَا^(٤)

/ أَجَارَتْنَا إِنْ رَيْبَ الزَّمَانِ قَبْلِي نَالَ الرَّجَالَ الْخِيَارَا^(٥)

فَأَمَّا تَرَى لِمَتِّي هَكَذَا فَاسْرَعْتُ فِيهَا لِشَيْبِي النَّفَارَا^(٦)

فَقَدْ أُرْتَدِي وَخَفَةَ طَلَّةً وَقَدْ أُبْرِزُ الْفَتِيَاتِ الْخِفَارَا

أما قوله : « على غراب غداف » فأراد به الشباب والشعر الأسود ، ويشبهه أن يكون

مأخوذاً من قول الأعشى :

وَمَا طِلَابُكَ شَيْئًا لَسْتَ تُدْرِكُهُ إِنْ كَانَ عَنكَ غُرَابُ الْجَهْلِ قَدَوْقَعًا!^(٧)

ولأبي حنيفة من قصيدة أولها :

* أَلَا يَا اسْلَمَى أَطْلَالَ خَنْسَاءَ وَانْعَمَى^(٨) *

(١) حاشية ت : « يحتمل أن تكون « الصالحات » مفعول « رجمن ، ويحتمل أن يكون نصبا على

المدح . (٢) ت ، حاشية الأصل (من نسخة) : « ثوبا معاراً . (٣) من نسخة بمواشى الأصل ،

ت ، ف : « أهازئة » . وتلفع الشيب به ، أى شمله . (٤) حاشية ت : « جعل ظهور الشيب في

شاربه وعنفته خطاما ، وشيب ما على لحيه من الشعر عذاراً ؛ وهذا من حسن التشبيه » .

(٥) حاشية ت (من نسخة) : « غال الرجال » . (٦) حاشية الأصل (من نسخة) : « منها

لشيبى » . ومن نسخة أخرى : « فأسرعت منى » . وفي حاشية ت (من نسخة) : « لشيب نفارا » .

(٧) ديوانه : ٧٣ . (٨) أبيات منها في زهر الآداب : ١٩٠ (طبعة الحلبي) والحجاسة - بشرح

التبريزي ٣ : ٣٠٨-٣١٠ .

وَحَنَسَاءُ مِخْمَاصُ الْوِشَاحِينَ مَشِيهَا
إِلَى الرُّوحِ أَفْنَانٌ خُطَا الْمُتَجَشَّمِ (١)
أَلِمَّا بِسَلْمَى قَبْلَ أَنْ تَرْمِيَ النَّوَى
بِنَافِذَةٍ نَبْضَ الْفُؤَادِ الْمُتَيَّمِ
يَقِفُ عَاشِقًا لَمْ يَبْقَ مِنْ رُوحِ نَفْسِهِ
وَلَا عَقْلِهِ الْمَسْلُوبِ غَيْرُ التَّوَهُّمِ
فَقُلْنَا لَهَا سِرًّا: فَدَيْنَاكَ! لَا يَرُحُ
صَحِيحًا ، فَإِنْ لَمْ تَقْتُلِيهِ فَالْمَمِي (٢)
فَأَلَقْتَ قِنَاعًا دُونَهُ الشَّمْسُ وَاتَّقَتْ
بِأَحْسَنِ مَوْصُولَيْنِ: كَفِّ وَمِعْصَمِ

وهذا البيت الأخير مأخوذ من قول النابغة :

سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرْدِ إِسْقَاطَهُ
فَتَدَاوَلْتَهُ وَاتَّقَتْنَا بِالْيَدِ (٣)

ولقوله : « وَقَانَ لَهَا سِرًّا فَدَيْنَاكَ لَا يَرُحُ » خبره ، وهو ما أخبرنا به أبو الحسن
علي بن محمد الكاتب قال حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الباقراني قال : اتصل
بعميد الله بن سليمان بن وهب أمرُ علي بن العباس الرومي وكثرة مجالسته لأبي الحسين
القاسم ابنه ، وسمع شيئاً من أهاجيه ، فقال لأبي الحسين : قد أحببتُ أن أرى ابنَ روميِّك
هذا ؛ فدخل يوماً عميد الله إلى أبي الحسين وابن الرومي عنده ، فاستنشده من شعره
فأنشده ، وخاطبه ، فرآه مضطرباً العقل جاهلاً ، فقال لأبي الحسين - بينه
وبينه - : إنَّ لسان هذا أطول من عقله ، ومَن هذه صورته لا تؤمن عقاربه عند أول
عُتْبٍ ، ولا يفكر في عاقبة ، فأخرجه عنك ، فقال : أخاف حينئذ أن يُعلن ما يكتمه في
[١٤٣] دولتنا ، ويُذيعه في تمكنا ، فقال : يا بني / لم أَرِدْ بإخراجه لك له طرده ، فاستعمل فيه بيت
أبي حيَّه النُميري :

فَقُلْنَا: لَهَا سِرًّا فَدَيْنَاكَ! لَا يَرُحُ
صَحِيحًا ، فَإِنْ لَمْ تَقْتُلِيهِ فَالْمَمِي

(١) تخماس الوشاحين، كناية عن أنها هيفاء . والوشاح : أديم عريض ترصعه المرأة بالجوهر ونشده
على عاتقها . وشيها إلى الروح ؛ أي حين تخرج من خباياها تطلب الروح . وأفنان : جمع فن؛ أي أنواع؛
وفت : « إقتار خطا المتجشم » . (٢) ألمي : اشرعى في مبادي قتله . (٣) ديوانه : ٣٠ ؛ والنصيف :
الحمار ، أو نصفه .

فحدث القاسم بن فراس بما جرى ، وكان أعدى الناس لابن الرومي ؛ وقد هجاه بأهـاج^(١) قبيحة ، فقال له الوزير أعزه الله : أشار بأن يُغتال حتى يُستراح منه وأنا أكفيك ذلك قال : فسمه في الخشكناج ، فمات .

قال الباقراني : والناس يقولون ما قتله ابن فراس ، وإنما قتله عبيد الله^(٢) .

وذكر محمد بن يزيد المبرد قال : ” مما يُفضّل^(٣) لتخلّصه من التكاف ، وسلامته من التزيّد *
وبعده من الاستعانة قول أبي حية :

رَمَتْنِي - وَسِتْرُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا - عَشِيَّةَ آرَامِ الْكِنَاسِ رَمِيمٌ^(٤)

أَلَا رَبَّ يَوْمٍ لَوْ رَمَتْنِي رَمِيَّتْهَا ، وَلَكِنْ عَهْدِي بِالنِّضَالِ قَدِيمٌ^(٥)

قال سيدنا آدم الله علوه : وقد روى هذان البيتان لُنصيب في غير رواية المبرد . قال

المبرد يقول : ” رمتني وأصابني بمحاسنها ، ولو كنت شابا لرميتُ كَارُمِيَّتُ ، وفنتتُ كما ١٠
فُتِنْتُ ؛ ولكن عهدي قد تطاول بالشباب ، وهذا كلام واضح ؛ ” وأما الاستعانة فهي أن
يُدخل في الكلام مالا حاجة بالمستمع إليه ليُصحح نظما أو وزنا .^(٥)

ومما يختار من قول أبي حية أيضا :

(١) حاشية الأصل : « يقال بينهم أهجوة وأهجية ، والجمع الأهاجي ، وقد يخفف كالأفاني » .

(٢) في ت : « قال ابن الرومي لما رجم ، وقد دب السم في أعضائه :

أشرب الماء إذا ما التهبْتُ نَارُ أَحْشَائِي لِإِطْفَاءِ اللَّهْبِ

فأراه زائدا في حُرْقَتِي فَكَأَنَّ الْمَاءَ لِلنَّارِ حَطْبٌ

(٣) السكامل - بشرح المرفعي ١ : ١٢٩-١٣٠ ، وهما أيضا في الحماسة - بشرح النبريزي ٣ :

٢٦٩-٢٧٠ وآرام : جمع إرم ، مثل غيب ؛ وهي الحجارة تنصب علما في المغازة يهتدى بها . رميم : اسم

امرأة . وستر الله : الإسلام ، وفيل الشيب ؛ وقيل ما حرم الله عليهما . (٤) ومن زبادات السكامل

بعد هذا البيت :

يرى الناسُ أني قد سكَوتُ وإنني لمريميُّ أحناء الضلوع سَقِيمٌ

(٥) بقية عبارة المبرد : « . . . إن كان في شعر ، أو ليتذكر به ما بعده إن كان في كلام مثور » .

أَلَا حَىٍّ مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ الْمَغَانِيَا لَبِسْنَ الْبِلَىِّ مِمَّا لَبَسْنَ اللَّيَالِيَا (١)
إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمِيلُ التَّقَاضِيَا

ويقال: إن أحسن ما وُصفَ به المسواكُ قولُ أبي حِيَّةَ :

لقد طالما عَنَيْتُ رَاحِلَةَ الصَّبَا وَعَلَلْتُ شَيْطَانَ الْغَوَىِّ الشُّوْقِ (٢)
وَدَاوَيْتُ قَرْحَ الْقَلْبِ مِنْهُنَّ بِالْمُنَى وَبِاللَّحْظِ - لَوْ يَبْدُلْنَهُ - الْمُسْرَقِ
وَسَاقَيْنِي كَأَسِّ الْهَوَىِّ وَسَقَيْتُهَا رِقَاقَ الثَّنَائِيَا عَذْبَةَ التَّرِيْقِ (٣)
وَحُمْصَانَةٍ تَفْتَرُّ عَنْ مَتَنَضِّدِ كَنْوَرِ الْأَقَاحِي طَيِّبِ الْمَتَدَوِّقِ

/- ويروى: «عن متنسق»، يعني تُفْرَأُ على نسقٍ واحدٍ لا اختلاف فيه -

إِذَا مَضَعْتُ بَعْدَ امْتِنَاعٍ مِنَ الضُّحَى أَنَا يَبَّابٌ مِنْ عُوْدِ الْأَرَاكِ الْمَخْلُقِ
- الامتناع: الارتفاع، يقال مَتَعَ النَّهَارَ وأمتع إذا طال - والمخلوق: الذي عَلِقَ به المخلوق والطيب من يدها؛ وقال بعضهم: عَنِ الْمَخْلُقِ الْمَمْلَسِ -

سَقَتْ شَعَثَ الْمِسْوَاكِ مَاءٌ نَعْمَامَةٌ فَضِيضًا بِمُخْرَطُومِ الْمُدَامِ الرُّوْقِ (٤)
- والفضيض: الذي حِينَ سَالَ مِنَ الْعَمَامَةِ، أَيْ كَمَا فَضَّ (٥)، وَالْمُخْرَطُومُ: سُلَافُ الْخَمْرِ،

وهو أول ما يخرج من غير عَصْرِ ولا دَوْسٍ -

وَإِنْ ذُقْتَ فَهَآ بَعْدَ مَا سَقَطَ النَّدَى بِيْعَطْفِي بِبَحْنَدَاةٍ رَدَاحِ الْمُنْطَقِ
- الْبِحْنَدَاةُ: الضَّخْمَةُ . وَالرَّدَاحُ: الْعَظِيمَةُ الْأُرْدَافِ .

شَمِمْتُ الْعَرَازَ الطَّلَّ غِبَّ هَمِيمَةٍ وَنَوْرَ الْخَزَامِي فِي النَّدَى الْمُسْتَرْقِقِ (٦)

(١) الكامل - بشرح المصنف ٣ : ٢٥ .

(٢) زهر الآداب : ٢٢٧ (طبعة الحاي) ، شرح المختار من شعر بشار : ٢٣٨ .

(٣) حاشية ت : « راق السراب يريق ريقا ، وتريق ، إذا لمع ؛ كأنه قال : عذبة موضع التريق .

ويجوز أن يكون مشتقا من الريق الذي هو الرضاب ؛ أي عذبة مترشف الريق » .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « بمخرطوم المدام الروق » . (٥) كما فض ؛ أي كما نفرق

من السحابة ؛ ولم تصل إليه غبرة . (٦) حاشية الأصل (من نسخة) : « ونور الأفاحي » .

— العَرَّارُ: بَهَارِ الْبَرِّ، وَالطَّلُّ: الْغَضَّ الطَّرِيَّ، وَالْهَمِيمَةُ: مَطَرٌ لَيْلٍ^(١):

وأخبرنا المرزباني قال حدثني علي بن هارون بن علي قال: سمعت أبي — وقد ذكر قولاً

أبي حية:

نظرتُ كأني من وراء زُجاجةٍ إلى الدَّارِ مِنْ فَرَطِ الصَّبَابَةِ أَنْظُرُ^(٢)

بِعَيْنَيْنِ طَوْرًا تَعْرَقَانِ مِنَ الْبُكَاءِ فَأَعَشَى، وَطَوْرًا تَحْسِرَانِ فَأَبْصِرُ^(٣)

فقال: لو اعترضني مملكتك تجب طاعته، ويلزم الانقياد لأمره فقال: أيُّ شعرٍ أجودُ

وأولى بأن يستحسن؟ ولم يفسح لي في أن أمير المدح من الفخر، والهجاء من التشبيب،

وسائر أصناف الشعر ومذاهب الشعراء فيه لما عدلتُ عن هذين البيتين.

ويقال إن أبا أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أجاز بيتي أبي حية هذين بقوله:

١٠. فَلَا مُقْلَتِي مِنْ غَامِرِ الْمَاءِ تَنْجَلِي وَلَا دَمْعَتِي مِنْ مُكْمَدِ الْوَجْدِ تَقْطُرُ^(٤)

ولأبي حية:

مِنَ الْمُبْكِيَاتِ الْجَلْدَ حَتَّى كَأَنَّمَا تَسْحُ بِعَيْنَيْهِ الدُّمُوعَ شَعِيبُ

— الشَّعِيبُ: مَزَادَةٌ مِنْ أَدِيمَيْنِ، يُشْعَبُ^(٥) أَحَدُهُمَا بِالْآخِرِ —

(١) حاشية الأصل: «في نسخة س: أخبرنا البارع أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الوهاب

البغدادي رحمه الله قال: أخبرني الرئيس الحسن بن علي بن محمد بن باري الواسطي رحمه الله قال: كما عند

الملك العزيز في مجلس أنسه، وأنشد منشد بيتي أبي حية: «إذا مضت . . .»، والذي يليه، فسألني الملك

العزيز أن أجزئهما فقلت:

هَنِيئًا عَلَيَّ رُغْمِي لِإُودِ أَرَا كَيْ تَسُوكُ بِهِ الذَّلْفَاءُ مَبْسَمَهَا الْعَدْبَا

لَئِنْ شَفِيتُ مِنْهُ لَقَدْ زَانَ تُغْرَاهَا أَرَا كَأَيْبَيْسًا، وَأَنْثَنِي مَنْدَلًا رَطْبَا

(٢) أمالي الفاي: ١: ٢٠٨ بلا عزو. وفي: «من ماء الصبابة» (٣) حاشية الأصل (من نسخة): «فعياي

طوراً». وتحسيران، أي تنقشعان وتنكشفان. (٤) حاشية ت. من نسخة: «من مكمد الشوق تقطر»،

وفي حاشيتي الأصل، ف: «في الأصل: بين البيت والبيتين بعيد». (٥) شعب: يخاط. ويسح: يصب

لِيَالِي أَهْلَانَا جَمِيعًا وَحَوْلَنَا^(١) / سَوَائِمُ مِنْهَا رَائِحٌ وَغَرِيبٌ
وَإِذْ يَتَجَنَّبِينَ الذُّنُوبَ وَمَالَنَا / إِلَيْهِنَّ^(٢) إِلَّا^(٣) وَدُهْنٌ ذُنُوبٌ^(٤)

ولأبي حية :

أصُدُّ عَنْ الْبَيْتِ الْحَبِيبِ وَإِنِّي / لأصْنِي إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي أَتَجَنَّبُ
أزورُ بُيُوتًا غَيْرَهُ وَلَا أَهْلَهُ / عَلَى مَاعَدَا عَنْهُمْ أَعَزُّ وَأَقْرَبُ
وقطعَ أسبابَ المودَّةِ معشرُ / غَضَابِي، وَهَلْ فِي أَحْسَنِ الْقَوْلِ مَغْضَبٌ^(٥) !
وَالآنَ تَنِي يَأْمَ عَمْرٍ وَنَعِيمَةٌ^(٤) / تَدِبُّ بِهَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَقْرَبُ
وما بيننا لو أنه كان عالمًا / بِذَلِكَ الْأَلَى يُولونَ مَا يَرْتَبُ^(٥)
حَدِيثٌ إِذَا لَمْ تَخْشَ عَيْنًا كَأَنَّهُ / إِذَا سَاقَطَتَهُ الشَّهْدُ، بَلْ هُوَ أَطِيبُ
لَوْ أَنَّكَ تَسْتَشْفِي بِهِ بَعْدَ سَكْرَةٍ / مِنَ الْمَوْتِ كَانَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ تَذْهَبُ^(٦)
وَقُلْتُ لَهَا : مَا تَأْمُرِينَ ؟ فَإِنِّي / أَرَى الْبَيْنَ أَدْنَى رَوْعَةٍ تُتْرَقِبُ^(٧)

قال محمد بن يحيى الصولي : ولا أحسبه في قوله :

* لَوْ أَنَّكَ تَسْتَشْفِي بِهِ بَعْدَ سَكْرَةٍ *

إِلَّا تَمِيعُ قَوْلِ تَوْبَةِ بْنِ الْحُمَيْرِ :

لَوْ أَنَّ لَيْلِي الْأَخْيَلِيَّةَ سَلَّمَتْ / عَلَيَّ، وَدُونِي جَنْدَلٌ وَصَفَاخٌ^(٨)
لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ، أَوْ زَقَا / إِلَيْهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَاحٌ

(١) حاشية ت (من نسخة) : « أهلانا جميع » .

(٢-٢) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « لولا ودهن ذنوب » .

(٣) من نسخة بحاشيتي ت ، الأصل : « يقطع أسباب المودة » ، وفي د « غضاب » .

(٤) حاشية ت : « قوله : « وألاني : عطف على معشر » . (٥) حاشية ت : « يولون :

يخلفون علينا » ومن نسخة بحاشية الأصل : « يؤذون » . (٦) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت :

« كادت سكرة الموت » . (٧) في حاشيتي الأصل ، ت (من نسخة) : « ما تأمريني » .

(٨) ديوان الحماسة - بشرح التبريزي ٣ : ٢١٧ . الصفائح : الحجارة العراض تكون على القبور .

قال سيدنا أدام الله علوه : وأوّلُ مَنْ سبق إلى هذا المعنى فأحسن الأعشى في قوله :

عَهْدِي بِهَا فِي الْحَيِّ قَدْ دُرِّعْتُ صَفْرَاءَ مِثْلِ الْمُهْرَةِ الضَّامِرِ (١)

لَوْ أَسْنَدْتُ مَيْتًا إِلَى نَجْرِهَا عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرِ

حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا يَعْجَبًا لِلْمَيْتِ النَّاشِرِ!

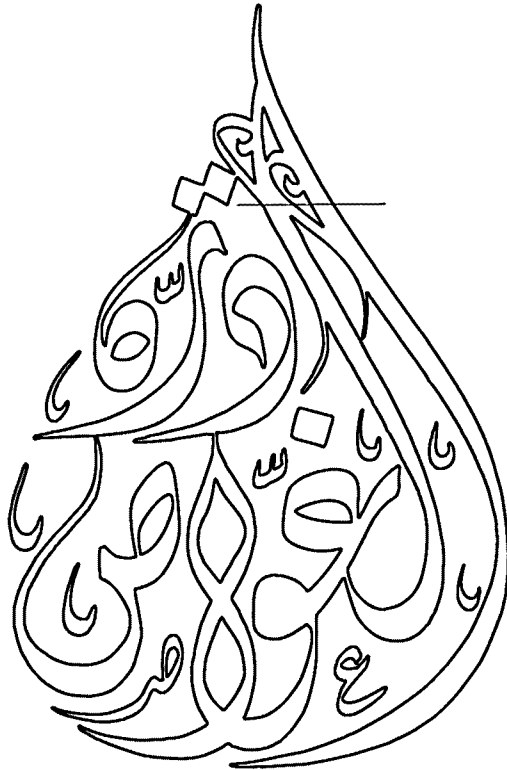
ومعنى الناشر : المنشور ، يقال : نَشَرَ اللهُ الْمَيْتَ فَنَشَرَ ، وهو ناشر بمعنى منشور ؛

مثل ماء دافق فهو مدفوق .

وقال بعض أصحاب المعاني : إنَّ الجاريةَ التي وصفها أيضاً هي مَيْتَةٌ بمعنى أنها ستموت ،

فيكون المعنى : إنَّ الناسَ عجبوا من أن يكونَ مَنْ يموتُ يَنشُرُ الموتى ، ومن قال هذا

أجاز : نَشَرَ اللهُ الموتى / بمعنى أنشر ؛ والقولُ الأولُ أظهر ، وما نظنُّ الأعشى عَنَى غيره . [١٥١] ط



(١) ديوانه ١٠٤ - ١٠٥ ، وفي حاشية الأصل : (من نسخة) : « قدر وعت » ، وفي حاشية ت

(من نسخة) : « قدأبرزت » ، وفي الديوان : « قد سربلت » .

مَجْلِسُ ٣٤ تَأْوِيلُ خَبَرِ

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾؛ [يوسف : ٩٢] ، حاكياً عن يوسف عليه السلام .
فقال : لِمَ خَصَّ «اليوم» بالقول ، وإنما أراد العفو عنهم في جميع مستقبل أوقاتهم ؟
الجواب ، قلنا : في هذه الآية وجوه أربعة :

- ٥ أولها أنه لما كان هذا الوقت الذي أشار إليه (١) هو أول أوقاته التي كشف فيها نفسه ، وأطلعهم على ما كان يستره (٢) عنهم من أمره ؛ أشار إلى الوقت الذي لو أراد الانتقام لا يتدأ به فيه ؛ والذي متى عفا فيه عنهم (٣) لم يراجع الانتقام .
- وثانيها أن يوسف عليه السلام لما قدم توبيخهم ، وعدد عليهم قبيح ما فعلوه ، وعظيم ما ارتكبوه ؛ وهو مع ذلك يستر عليهم (٤) نفسه ، ولا يفتح لهم بحاله قال لهم عند تبين أمرهم : ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ ؛ أي قد انقطع عنكم توبيخي ، ومضى عدلي ولائمتي عند اعترافكم بالذنب ، وكان ذكر «اليوم» دلالة على انقطاع المعاقبة والتوبيخ ؛ وعلى أن الأوقات المتصلة باليوم تجري مجراه في زوال الغضب ، وتام العفو ، وسقوط الموافقة لهم على ما سلف منهم .

- ١٥ وثالثها أن ذكر «اليوم» المراد به الزمان والحين ، فوضع «اليوم» موضع الزمان كله ، المشتمل على الليالي والأيام والشهور والسنين ؛ كما يقول العربي لغيره : قد كنت تستحسن شرب الخمر فاليوم قد وفتت لتركها ومقتها ؛ يريد في هذا الزمان ، ولا يريد يوماً واحداً بعينه ؛ ومثله :

* في الأصل : « هذا المجلس نصف الكتاب » .

(١) ت : « أشار الله إليه » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « ستره » .

(٣) ساقطة من ت . (٤) ت : « عنهم » .

قد كنتَ تقصّر في الجواب عن فنون العلم فاليوم ما تُعجزك مسألة ، ولا تتوقّف عن مُشكلة؛
يريد باليوم باقي الزمان كله ، وقال امرؤ القيس :

حَآتْ لِي الخمرُ وَكُنْتُ امرأً
فاليومِ فاشربْ غيرَ مُستَحَقِّبِ
عَنْ شُرْبِهَا فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ (١)
إِنَّمَا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَاعِلٍ (٢)

لم يقصد يوماً بعينه؛ ومثله :

[١٥٢] /اليومَ يَرِحْنَا مَنْ كَانَ يَغِيظُنَا
واليومَ نَتَّبِعُ مَنْ كَانُوا لَنَا تَبَعًا
وقال لبيد :

وما النَّاسُ إِلَّا كالدَّيَارِ وَأَهْلِهَا
بِهَا يَوْمَ حَاطُواهَا ، وَغَدَوًا بِلَاغٍ (٣)

كل ذلك لا يُراد بذكر اليوم أو الغد فيه إلا جميع الأوقات المستقبلة .

ورابعها أن يكون المرادُ : لا تثرِب عليكُم البتّة ، ثم قال : ﴿ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ ؛ ١٠
فتملّق « اليوم » بالفقران ، وكان المعنى غفر الله لكم اليوم (٤) .

وقد ضعف قومٌ هذا الجواب من جهة أن الدعاء لا ينصب ما قبله .

فأما التثرِب فإن أبا عبيدة قال : معناه لا شغَب ولا معاقبة ولا إفساد (٥) .

وقال الشاعر :

١٥ فَعَفَوْتُ عَنْهُمْ عَفْوًا غَيْرَ مُثَرَّبٍ
وَتَرَكْتُهُمْ لِعِقَابِ يَوْمٍ سَرْمَدٍ

(١) ديوانه : ١٥٠ . وفي شرح الديوان : « كانت حنّف ألا يشرب خرا ، ولا يأكل لحما ،
ولا يفسل رأساً ؛ حتى يدرك بثأر أبيه ؛ وكذلك كانت العرب تفعل ؛ فلما أخذ بثأر أبيه شربها فبرت عينه » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « أشرب » بسكون الباء ؛ ورواية الديوان :

* فاليوم أسقى غير مُستَحَقِّبِ *

المستحقب : المكتسب للامثم الحامل له . والواغل : الذى يدخل على القوم وهم يشربون فيشرب معهم من
غير دعوة . (٣) ديوانه ٢: ٢٢ . (٤) حواشئ الأصل ، ت ، ف : « لم لا يكون لإخباراً محضا

بالفقران حتى لا يمترض بذلك ! وله وجه آخر وهو أن المعنى : اليوم أقول لكم هذا القول الذى هو يغفر
الله لكم فأختصر » . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « فساد » .

وقال أبو العباس ثعلب: يقال: ثَرَّبَ فلان على فلان إذا عدَّ دعليه ذنوبه. وقال بعضهم^(١):
التثريب مأخوذ من لفظ التُّرْب ، وهو شحم الجوف ، فكأنه موضوع للمبالغة في اللوم
والتعنيف والتقصى إلى أبعدهما^(٢).

تَأْوِيلُ خَبَرِ

رَوَى أَبُو عُبَيْدِ القَاسِمِ بنِ سَلامٍ عن حِجَّاجٍ عن حَمادِ بنِ سَامةٍ عن هِشامِ بنِ حِسانٍ ،
وَحَبِيبِ بنِ الشَّهِيدِ عن ابنِ سَيرينَ عن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَهَى عَنْ كَسْبِ
الزَّامَرَةِ .

وقال أبو عبيد: قال حجاج: الزَّامَرَةُ الزانية ، وقال: هذا مثلُ حديثه الآخر أنه نهى عن
كسبِ البَغِيِّ .

وقال أبو عبيد: وقال غير حجاج: هي الزَّامَرَةُ ، بتقديم الراء ، قال: وقول حجاج أثبت
١٠ عندنا؛ لأنهم كانوا يُكْرَهُونَ إِمَاءَهُمْ على البغاء ، فأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تُكْرَهُوا فَتِياتِكُمْ
عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ؛ لَتَبْتَعُنَّوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [النور: ٣٣] ، قال: فالعرض
هو كسبُ البغِيِّ الذي نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْهُ .

قال أبو عبيد: ولا أعلمُ ممَّ أَخَذَتِ «الزَّامَرَةُ»؛ غير أني وجدتها مفسرة في الحديث .

وقال ابن قتيبة: الأمر على ما ذكر أبو عبيد ، إلا ما أنكره على من زعم أنها
١٥ الزَّامَرَةُ ؛ لأن الزَّامَرَةَ هي الفاجرة ، سميت بذلك لأنها ترمز ، أى تؤمى بعينها وجاجيتها
وشفتيها .

قال الفراء: وأكثر الرَّمْزِ بالشَّفتين ، ومنه قوله تعالى: ﴿ آيَتُكَ أَنْ لَا تُكَلِّمَ
النَّاسَ مَلَائِئَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ [آل عمران: ٤١] ، فالزَّامَرَةُ صفة من صفات الفاجرة ،
[١٥٢] / ثم صار اسمها لها أو كالاسم ؛ ولذلك قيل لها: هَلُوكِ ؛ لأنها تهالك على الفراش ، أو على
٢٠ الرجل ، ثم صار اسمها لها دون غيرها من النساء ، وإن تهالكت على زوجها ، وقيل لها خَرِيعٌ ،
ط

(١) م: « وهو ابن مسلم » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة): « غاياتها » .

لِئِنِّهَا وَتَنَيْهَا ، ثُمَّ صَارَ ذَلِكَ اسْمًا لَهَا دُونَ غَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ ؛ وَإِنْ لَانَتْ وَتَنَّتْ ؛ وَنَحْوُهُ قَوْلُهُمْ لِلْبَعِيرِ : أَعْلَمٌ ؛ لِلسَّقِّ فِي مِشْفَرِهِ الْأَعْلَى ثُمَّ صَارَ كَالِاسْمِ لَهُ ؛ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ لِلذَّنْبِ : أَرَلٌّ أَرْسَحٌ ^(١) ، ثُمَّ صَارَ كَالِاسْمِ لَهُ ، وَالْمَرِيْبَةُ لَا تَكَادُ تَمْلِكُ بِالْكَلَامِ ، إِنَّمَا تُؤْمَضُ ^(٢) أَوْ تَرْمِزُ أَوْ تَصْفَرُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

• رَمَزَتْ إِلَى مَخَافَةٍ مِنْ بَعْلِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَبْدُو هُنَاكَ كَلَامُهَا
وقال الأخطل :

أَحَادِيثُ سَدَّاهَا ابْنُ حَدْرَاءَ فَرَقَدَتْ وَرَمَّازَةٌ مَالَتْ لِمَنْ يَسْتَمِيلُهَا ^(٣)
وقال الراجز :

يَوْمِئِذٍ بِالْأَعْيُنِ وَالْحَوَاجِبِ إِيْمَاضَ بَرَقٍ فِي عَمَاءٍ نَاضِبٍ ^(٤)

١٠ — والعاء : السحاب ، والناضب : البعيد —

وقال بعضهم : إِنَّمَا قِيلَ لِلْفَاجِرَةِ قَجْبَةٌ ، مِنَ الْقُجَابِ وَهُوَ الشُّعَالُ ؛ قَالَ : وَأَحْسِبُهُ أَرَادَ أَنَّهَا تَتَنَحَّنِحُ أَوْ تَسْعَلُ تَرْمِزُ بِذَلِكَ .

قَالَ : وَبَلَّغَنِي عَنِ الْمَفْضَلِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي قَوْلِ النَّاسِ : « أَجْبِنُ مِنْ صَافِرٍ » ^(٥) أَنَّهُ الرَّجُلُ يَصْفَرُ لِلْفَاجِرَةِ ، فَهُوَ يَخَافُ كُلَّ شَيْءٍ .

١٥ وَأَمَّا الْأَصْمَعِيُّ فَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ : الصَّافِرُ مَا يَصْفَرُ مِنَ الطَّيْرِ ، وَإِنَّمَا وُصِفَ بِالْجَبْنِ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْجَوَارِحِ .

قَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ : وَلَا أَرَى الْقَوْلَ إِلَّا قَوْلَ الْمَفْضَلِ ، وَالِدَلِيلِ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ السُّكْمِيِّ بْنِ زَيْدِ الْأَسَدِيِّ :

(١) الأزل : الخفيف الوركين . والأرسح : القليل لحم العجز .

(٢) تؤمض ، أى تعرض نفسها . (٣) ديوانه : ٢٤١ ، واللسان (رمز) والحدرء : الممتلئة

الفخذ والعجز . (٤) البيتان في اللسان (زمر) ، والرواية فيه : « يومضن بالأعين . . . » .

(٥) المثل في مجمع الأمثال للعبداني ١ : ١٦٨ ؛ وروى عن ابن حبيب أن الصافر طائر يتعلق من

الشجر برجليه ، وينكس رأسه ، خوفاً من أن ينام فيؤخذ فيصفر منكوساً طول ليلته .

أَرْجُوا لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي إِخَائِكُمْ كَلْبًا كَوْرَهَاءَ تَتَمَلَّى كُلَّ صَفَّارٍ (١)
لَمَّا أَجَابَتْ صَفِيرًا كَانَ آيَتَهَا مِنْ قَابِيسٍ شَيْطَانَ الْوَجَمَاءِ بِالنَّارِ (٢)

وهذه امرأة كان يصفر لها رجل فتجيبه ، فتمثل زوجها به وصفر لها ، فأنته

فشيطها بميسم ، فلما أعاد الصفر (٣) قالت : « قد قلينا كل صفار (٤) » ، تريد أنا قد عفنا (٥) واطرحنا كل فاجر .

قال أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري : والاختيار عندي : « الزمارة » معجمة الزاي على

ماقال أبو عبید، ليحجج ثلاث :

[١٥٣] / إحداهن إجماع أهل الحديث على الزمارة .

والحجة الثانية أن الفاجرة سُميت زمارة ، لأنها تحسن نفسها وكلامها ، والزمر عند العرب

١٠ الحسن ، قال عمرو بن أحمر الباهلي يصف شراباً وغناء :

دَنَانٍ حَنَّانٍ بَيْنَهُمَا رَجُلٌ أَجَشُّ غِنَاؤُهُ زَمْرٌ (٦)

قال الأصمعي : معناه غناؤه حسن ؛ كأنه من مزامير داود .

والحجة الثالثة أنهم سموها الفاجرة زمارة ، لمهانتها وقلة ما فيها من الخير ؛ من قول العرب (٧) :

نمجة زمرة ؛ إذا كانت قليلة الصوف ، ويقال : رجل زمير المروءة ، إذا كان قليلها ، قال

١٥ ابن أحمر :

مُطْلَنَفِنًا لُونُ الْحَصَى لُونُهُ يَحْجُزُ عَنْهُ الذَّرَّ رِيَشُ زَمْرٍ (٨)

(١) البيتان في بجم الأمثال ٢ : ٤٠ ، والثاني في اللسان (شيط) . الورهاء : الحفء .

(٢) شيط : أحرق . والوجماء : الدبر . (٣) ت : « الصغير » .

(٤) المثل في بجم الأمثال ٢ : ٤٠ ، والرواية فيه : « قد قلينا صغيركم » .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « عققنا » . (٦) البيت في اللسان (زمر) ، وفي ت ، ف ،

وحاشية الأصل (من نسخة) : « زجل » . والزجل : عود أو معزفة .

(٧) م : « من قولهم » . (٨) حواشي الأصل ، ت ، ف : « يصف فرخ القطة ؛ وقبله :

تُرْوَى لَقَى الْقَى فِي مَهْمَةٍ تَصْهَرُهُ الشَّمْسُ فَمَا يَنْصَهَرُ

المطلنفي: اللاصق بالأرض، والذر: النمل، والزير: القليل، فسمى البغي^(١) زمارة، على وجه الظم لها والتصغير لشأنها؛ كما قيل لها: فاجرة لميلها عن القصد، يقال: فاجر الرجل إذا مال، قال كبيد:

فإن تتقدّم تغشّ منها مُقدّمًا غليظًا، وإن أخرت فالكفّل فاجر^(٢)

○ أي مائل، والكفّل: كساءٌ يُوضع على ظهر البعير يُوقى من العرق.

فالسيدنا أدام الله علوه: ولا أرى لإحدى الروایتين على الأخرى رجحانًا؛ لأنّ كلّ واحدة منهما قد أتت من جهة من يُسكن إلى قوله، ولكلّ منهما مخرج في اللغة، وتأويله يرجع إلى معنى واحد؛ لأنّ الرمّازة، بالراء غير معجمة يرجع معناها على ما ذكر ابن قتيبة إلى معنى الفجور، ومن رواها بالزاي المعجمة فالرجع في معناها إلى ذلك أيضًا على الوجهين اللذين ذكرهما ابن الأنباري، والأولى أن يثبتا^(٣) متساويين، ويكون الراوي مخيرًا ١٠ فيهما.

أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال أنشدني محمد بن أحمد الكاتب قال أنشدنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي للمضرب^(٤)؛ وهو عقبه بن كعب بن زهير بن أبي سلمى:

(١) ف، ومن نسخة بحاشيتي الأصل، ت: « فسميت البغي ».

(٢) ديوانه ١: ٥٥، ومن نسخة في حواشي الأصل، ت، ف: « أخرت »: بالبناء للجهول.

وفيها أيضًا: « قبله ».

فأصبحت أنى تأتمها تبتئس بها كلاً مركبها تحت رَحْلِكَ شَاجِرُ

تأتمها، أي تأت هذه الحصلة والحالة، وقال الجوهري: « الكفّل هو ما اكتفل به الرّاكب، وهو أن يدار الكساء حول سنام البعير ثم يركب؛ ومنه قول إبراهيم: لا تشربوا من ثلثة الإناء ولا من عروته؛ فإنه كفّل الشيطان؛ وإبراهيم هو التيمي ».

(٣) حاشية الأصل (من نسخة): « أن يكونا ».

(٤) ذكره المرزباني في المؤلف والمختلف: ٢٨١؛ و ضبطه صاحب تاج العروس في مستدرک =

وما زلتُ أرجو نفعَ سَمَى ووَدَّها
 وحتَّى رأيتُ الشَّخصَ يزْدادُ مثلهُ^(٢)
 / علا حاجيَّ الشَّيبُ حتَّى كأنَّهُ
 وهزَّةَ أظعانٍ عليهنَّ بهيجةُ
 فلما قَضِينا مِنْ مَنَى كلَّ حاجةٍ
 أخذنا بأطرافِ الأحاديثِ بيننا
 وشُدَّتْ على حُدْبِ المَهاري رِحالها
 قفلنا على الخوصِ المراسيلِ، وارتمتْ
 وتبعدهُ؛ حتَّى ابيضَّ مِنى المسأخُ^(١)
 إليه؛ وحتَّى نصفُ رأسى واضحُ
 ظيلاءَ جرتَ منها سنيحُ وبارحُ^(٣)
 طلبتُ، وربَّعانُ الصِّبا بي جامِحُ^(٤)
 ومَسَّحَ بالأرْكانِ مَنْ هو ماسِحُ
 وسالتُ بأعناقِ المَطى الأباطِحِ^(٥)
 ولا يَنْظُرُ العادي الذي هو رائجُ^(٦)
 بهنَّ الصَّحاريِّ والصِّفاحِ الصَّحاصِحِ^(٧)

[١٥٣]
ظ

٥

(ضرب) أنه بوزن « محدث » ، « معظم » ، وضبط في اللسان بالكسر فقط ، وفي الأصل : بالفتح ؛ وهو الأولى لما رواه ابن قتيبة في الشعراء : ٩٢ أنه « كان لكعب ابن يقال له عقبة بن كعب ، شاعر ، ولقبه المضرِب ؛ وذلك أنه شبب بامرأة من بني أسد فقال :

ولا عيبَ فيها غيرَ أنكَ وإجدُ
 ملاًقيها قد دُيِّتْ برُكوبِ

فضربه أخوها مائة ضربة بالسيف ، فلم يمِت ، وأخذ الدية ، فسمى المضرِب « .

(١) ورد البيت الخامس والسادس والسابع من هذه الأبيات في معاهد التنصيص ٢ : ١٣٤ ؛ وقال : « وقيل الأبيات لابن الضرية ، وهي مع بيتين تاليتين في زهر الآداب ٢ : ٥٦ ووردت أيضاً في الشعراء والشعراء ١١ ، والصناعتين ٥٩ ، وأسرار البلاغة ١٥ ، وورد الخامس والسادس في الخصائص ١ : ٢٨ ، ٢١٨ ، وأمالى الفال ٣ : ١٦٦ ؛ وفيها جميعاً من غير عزو مع اختلاف في الترتيب . ونقلها أيضاً صاحب المعاهد بنسبتها وروايتها عن الفرر ؛ وهي ضمن ١٨ بيتاً في ديوان كثير : ٧٧-٨٤ والمسأخ : شعر جوانب الرأس .

(٢) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « مثله » ، بفتح اللام .

(٣) السنيح والمسأخ : ما أتاك عن يمينك من طي أو طائر أو غير ذلك ، والبارح : ما أتاك من ذلك عن يسارك . والمسأخ : أحسن حالا عندهم في التيمن من البارح .

(٤) يعني : ورب طعامين طلبت اهترأهن وارتياجهن للهو معهن .

(٥) أطراف الأحاديث : ما يستطرف منها ويؤثر . والأباطيح : جمع أبطح ؛ وهو السبل الواسع ،

فيه دقاق الحصى . (٦) المهاري : جمع مهيرية ؛ وهي المنسوبة إلى مهرة من حيوان ؛ وهي قبيلة تكثر فيها النجائب . ولا ينظر : لا ينتظر . (٧) الخوص : الإبل الغائرة العيون . والمراسيل : السرعات . والصفايح : جمع صفح ؛ وهو مضطجع الجبل ، والصفايح : جمع صفح ، وهو المسكان المستوى الواسع .

وأنشد ابن الأعرابي :

فَصَدَّتْ بَعِينِي شَادِنٌ وَتَبَسَّمَتْ
بِحَمَاءٍ عَنْ غُرٍّ لَهَنَّ غُرُوبٌ^(١)
جَرَى الْإِسْجَلُ الْأَحْوَى عَلَيْهِنَّ وَأُجْرَى
عَلَيْهِنَّ مِنْ فَرَعِ الْأَرَاكِ قَضِيبٌ^(٢)

أخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال حدثنا محمد بن الحسن البلّغىّ قال حدثنا أبو حاتم قال : سمعت الأصمعيّ يقول : سمعت الرشيد يقول : قلب العاشق عليه مع معشوقه ، فقلت له : هذا والله يا أمير المؤمنين أحسن من قول عروة بن حزام العذريّ لعفراء :

أراني تعرّوني لذكراك روعةً لها بين جلدِي والعظامِ ديبٌ^(٣)
وما هو إلاّ أن أراها فجاءةً فأبتهتُ حتى لا أكادُ أجيبُ^(٤)
وأصرفُ عن داري الذي كنت أرتئي^(٥) ويعزبُ عنيّ علمه ويغيبُ
ويضميرُ قلبي غدرها ويعيمها عليّ ، فما لي في الفؤادِ نصيبُ
فقال الرشيد : من قال هذا وهماً فإني أقوله علماً ، والله درك يا أصمعيّ ! فإني أجدُ

عندك ماتصلّ عنه العلماء.

قال الصوليّ : فأخذه العباس بن الأحنف فقال :

يَهيمُ بحرّانِ الجزيرةِ قلبه وفيها غزالٌ فاترٌ الطّرفِ ساحرُه^(٦)
يؤازرُه قلبي عليّ وليس لي يدانِ بمنّ قلبي عليّ يؤازرُه

(١) ف ، ومن نسخة بحاشية ت : « تصدّت » .

(٢) الإسجل : شجر تتخذ منه أعواد السواك . والأحوي : الأسمر . (٣) ديوانه : ٤٣ : (مخطوطة

الشنقيطي بدارالكتب المصرية) ، والشعر والشعراء : ٦٠ ، وخرّانة الأدب : ١ : ٥٣٤ ، و ٣ : ٦١٥ - ٦١٧ وفيه : « ولاني لتعروني » . (٤) البيت من (شواهد سيبويه ١ : ٤٣٠) ، على جواز الرفع

والنصب في « أبتهت » ، فالنصب يحول على « أن » ، والرفع على القطع والاستئناف .

(٥) م : « عارفا » . (٦) حران : قصبة ديار مضر بالجزيرة ، بين الرها

والرقة . ومن نسخة بحاشية الأصل : « ساحر الطرف فانره » .

/ وأشار إليه أيضا في قوله :

قَلْبِي إِلَى مَا ضَرَّنِي دَاعِي
كَيْفَ احْتِرَاسِي مِنْ عَدُوِّي إِذَا

يُكْثِرُ أَحْزَانِي وَأَوْجَاعِي (١)

كَانَ عَدُوِّي بَيْنَ أَضْلَاعِي (٢)

وأخذه سهل بن هرون الكاتب فقال :

أَعَانَ طَرْفِي عَلَى جِسْمِي وَأَعْضَائِي
وَكَنتُ غِرًّا بِمَا تَجَنَّبِي عَلَى يَدِي
وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

بِنَظَرَةٍ وَقَفْتُ جِسْمِي عَلَى دَائِي
لَا عَلِمَ لِي أَنَّ بَعْضِي بَعْضُ أَعْدَائِي

وَلَسْتُ أَعْجَبُ مِنْ عِصْيَانِ قَلْبِكَ لِي
يَوْمًا إِذَا كَانَ قَلْبِي فِيكَ يَعْصِينِي (٣)

وروى أبو عكرمة الضبي عن مسعود بن بشر المازني قال : قال لنا الأصمعي يوماً :

١٠ ما أحسن ما قيل في صفة امرأة عجّزاء خميصة (٤) فأنشد قول الأعشى :

صِفْرُ الْوِشَاحِينَ مِثْلُ الدَّرْعِ بَهْكَنَةٍ
وَأَنشَدَ قَوْلَ عَلْقَمَةَ بْنِ عَبْدَةَ :

إِذَا تَأْتَى يَسْكَادُ الْخَصْرُ يَنْخَزِلُ (٥)

صِفْرُ الْوِشَاحِينَ مِثْلُ الدَّرْعِ خَرَّعِبَةٌ

كَأَنَّهَا رَشَاءٌ فِي الْبَيْتِ مَلَزُومٌ (٦)

(١) ديوانه : ١٠١ ، وبعده :

وَقَلَّمَا أَتَيْتُ عَلَى مَا أَرَى
لَمَّا سَمِعْتُ بِهِ عِنْدَهُمُ السَّاعِي

يُوشِكُ أَنْ يَنْعَى بِي النَّاعِي

(٢) وبعده ؛ كما في الديوان :

مَا أَقْتَلَ الْيَأْسَ لِأَهْلِ الْهَوَى
لَا سِيًّا مِنْ بَعْدِ أَطَاعِ

(٣) ديوانه : ٢ : ٢٩٥ ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « مثله » :

أَتَطْمَعُ أَنْ يُطِيعَكَ قَلْبُ سَعْدِي
وَتَزْعُمُ أَنْ قَلْبِكَ قَدْ عَصَاكَ

(٤) م : « خصانة » ، والخصيصة والخصانة : الضامرة البطن . (٥) ديوانه : ٤٢ . والمعلقات

— بشرح التبريزي : ٢٧٤ . صفر الوشاحين ؛ يعني أنها خميصة البطن دقيقة الخصر ، فوشاحها يعلن عنها
والبهكنة : الكبيرة الخلق ، وتأني : ترفق في المشي . (٦) ديوانه : ١٣٠ . الحرعبة : الناعمة . الرشأ :
الظبي الصغير . ملزوم : مربى في البيوت ؛ وهو أحسن له .

وَأَنْشُدَ قَوْلَ ذِي الرُّمَّةِ :

تَرَى خَافَهَا نِصْفًا قَنَاةً قَوِيمَةً وَنِصْفًا نَقًّا يَرْتَجُّ أَوْ يَتَمَرَّمَرُ (١)

فَقَالَ : أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِيهِ قَوْلُ أَبِي وَجْزَةَ السَّعْدِيِّ :

أُدْمَاءُ فِي وَضَحٍ يَكَادُ إِزَارُهَا (٢) يُقْوِي (٣) وَيَشْبَعُ مَا أَحَبَّ إِزَارُهَا (٤)

قال أبو عكرمة : ومثله قول الحارث بن خالد المخزومي :

غَرَّانُ ، سِمْطٌ وَشَاحِحَا قَلْبِي رِيَّانٌ مِنْ أُرْدَا فِيهَا الْمِرْطُ

وأخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن إبراهيم قال حدثنا أبو العيناء قال حدثني الأصمعي قال :

لما مات / محمد بن سلمان بن علي الهاشمي دخلت على أخيه جعفر بن سليمان ، وقد حزن عليه حزناً [١٥٤] شديداً ولم يطعم ثلاثاً ، فأنشدته لابن أراكة الشقي (٥) :

لَعَمْرِي لَنْ أَتَبَعْتَ عَيْنَكَ (٦) مَا مَضَى مِنْ (٧) الدَّهْرِ أَوْ سَاقِ الْجِهَامِ إِلَى الْقَبْرِ ١٠
لَتَسْتَنْفِدَنَّ مَاءَ الشَّمُونِ بِأَسْرِهِ وَلَوْ كُنْتَ تَمْرِيهِنَّ مِنْ تَبَسُّجِ الْبَحْرِ
فَقُلْتُ لِمَبْدِ اللَّهِ إِذْ خَنَّ (٨) بِأَكْبَا تَعَزَّ ، وَمَاءَ الْعَيْنِ مُنْهَمِرٌ يَجْرِي
تَبَيَّنْ فَإِنْ كَانَ الْبُكَاءُ رَدَّ هَالِكًا عَلَى أَحَدٍ فَاجْهَدْ بُبْكَاءَكَ عَلَى عَمْرٍو
وَلَا تَبْكِ مَيْتًا بَعْدَ مَيِّتِ أَحِبِّهِ (٩) عَلَى وَعَبَّاسٍ وَآلِ أَبِي بَكْرٍ

(١) ديوانه : ٢٢٦ يتمرر : يتحرك وهو تحرك دَرْنِ الارتجاج . وفي د ، م : « يتمرم » .

(٢) ت ، ش : « رداؤها » والأدمة هنا : لون أشرب بيضا . والوضح : البياض . وفي م :

« أدماء عيطلة » .

(٣) الإفواء في الأصل : نفاذ الزاد ؛ ويريد هنا دقة خصرها . وفي س : « لله : يقوى وشاحها » :

(٤) من نسخة مجاشبي الأصل ، ت : « مأجن إزارها » ، وفيها أيضا : « أحب ، فعل الإزار ؛

أي يشبع إزارها ما أحب ، أي ما شاء » . (٥) الخبر والأبيات في حساسة ابن الشجري : ١٣٨-١٣٩ ،

بروايته من ابن قدامة عن المرتضى ؛ مع اختلاف في ترتيب الأبيات ؛ وهي أيضا في أمالي الزجاجي : ٧ .

(٦) حاشية ت (من نسخة) « عينك » ؛ وهي رواية ابن الشجري .

(٧) ت : « به الدهر » ؛ وهي رواية ابن الشجري . (٨) ت : « حن » ، ومن نسخة

مجاشبيها : « خر » . (٩) ت : « أجنه » .

قال: فأمر فجيء بالطعام فأكل من ساعته .
قوله: « خن با كياً » معناه رفع صوته بالبكاء ، وقال قوم : الخنين ، بالخاء معجمة من
الأنف ، والحنين من الصدر ، وهو صوت يخرج من كل واحد منهما .

وأخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال :
سمعتُ التَّوَزِيَّ يقول : دخلنا مع الأَصْمِيِّ إلى إسماعيل بن جعفر ليلةً في حاجة ، فأنشده
الأصمى أبيات ابن هرمة :

أَتَيْتُكَ نَزْجِي حَاجَةً وَوَسِيلَةً إِلَيْكَ ، وَقَدْ تَحْطَى لَدَيْكَ الْوَسَائِلُ^(١)
وَنَذَرُكَ وُدًّا شَدَّهُ اللَّهُ بَيْنَنَا عَلَى الدَّهْرِ لَمْ تَدُبُّ إِلَيْهِ الْعَوَائِلُ^(٢)
فَأَقْسِمُ مَا أَكْبَى زِنَادِكَ قَادِحُ وَلَا أَكْذَبْتُ فَيْكَ الرَّجَاءَ الْقَوَائِلُ^(٣)
وَلَا رَجَعْتُ ذَا حَاجَةٍ عَنْكَ عَلَّةٌ وَلَا عَاقَ خَيْرًا عَاجِلًا مِنْكَ آجِلُ^(٤)
وَلَا لَأَمَ فَيْكَ الْبَاذِلُ الْوَجْهَ نَفْسُهُ وَلَا احْتَكَمْتُ فِي الْجُودِ مِنْكَ الْمَبَاخِلُ^(٥)

لم يزد على هذه الأبيات ، فقضى حاجته وأجاب مسألته .

قال سيدنا أدام الله علوه : ويشبهه أن يكون ابن هرمة أخذ قوله :

* وَلَا كَذَبْتُ فَيْكَ الرَّجَاءَ الْقَوَائِلُ *

من قول الحزین السكناني في زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام :

فلما^(٦) تَرَدَّى بِالْحَمَائِلِ وَأَنْتَنِي يَصُولُ بِأَطْرَافِ الْقُسْنِيِّ الذَّوَابِلِ^(٧)
/ تَبَيَّنَتْ الْأَعْدَاءُ أَنْ سِنَانَهُ يُطِيلُ حَنِينَ الْأُمّهَاتِ الثَّوَاكِلِ

[١٥٥]

و

(١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « نرجو حاجة » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « العواذل » .

(٣) ما أكبي زنادك ، أي ما وجد كايا . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « عنك آجل » .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « عنك المباخل » .

(٦) حاشية ت (من نسخة) : « إذا ما نردى » . (٧) وفي م : « القنا والذوابل » .

تُبَيِّنَ فِيهِ مِيسَمُ الْعِزِّ وَالتُّمَى وَوَلِيداً يَفْدَى بَيْنَ أَيْدِي الْقَوَائِلِ

وأخبرنا علي بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن الحسن البلخي قال حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : قال الرشيد يوماً : يا أصمعي ، أتعرف للعرب اعتذاراً وندماً ؟ ودع النابغة فإنه يحتج ويمتذر ، فقلت : ما أعرف ذلك إلا لبشر بن أبي خازم الأسدي ؛ فإنه هجا أوس بن حارثة بن لأم ، فأسره بعد ذلك وأراد قتله ، فتمالت له ٥ أمه - وكانت ذات رأي - : والله لا محأ هجاءه لك إلا مدحه إياك ، فعفا عنه ، فقال بشر^(١) :

إني على ما كان مني لنادمٌ وإني إلى أوس بن لأمٍ لتائبٌ
وإني إلى أوسٍ ليقبَلْ توْبتي ويعرف وُدِّي ما حُيتُ لراغبٌ
فهب لي حياتي فالحياءُ لقائمٌ يسُرُّك فيها خيرُ ما أنتَ واهبٌ
سأُحِبُّ بَدْحِي^(٢) فيك إذ أنا صادقٌ كِتَابَ هِجَاءِ سَارٍ إِذْ أَنَا كاذِبٌ

١٠

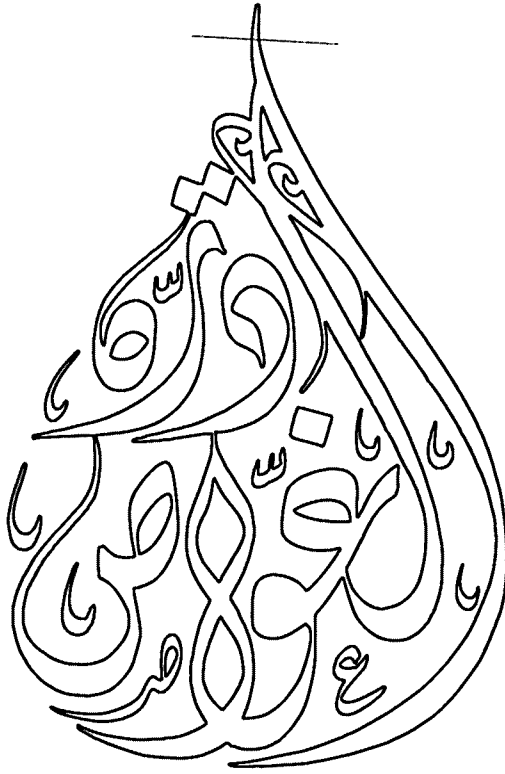
فقال الرشيد للأصمعي : إن دولتي لتَحْسُنَ ببقائك فيها .

وأخبرنا علي بن محمد الكاتب قال حدثنا ابن دُرَيْدٍ قال حدثنا عبد الرحمن - يعني ابن أخي الأصمعي - عن عمه قال : سمعت بيتين لم أحفل بهما ، ثم قال : قلت : هما على كل حال خير من موضعهما من الكتاب ، قال : فإني عند الرشيد يوماً وعنده عيسى بن جعفر ، فأقبل علي مسرور الكبير ، فقال : يامسرور ، كم في بيت مال السرور ؟ فقال : ما فيه شيء ، قال ١٥ عيسى : هذا بيت مال الحزن ، فاعتم لذلك الرشيد ، وأقبل على عيسى فقال : والله لتعطين الأصمعي سلفاً على بيت مال السرور ألف دينار ، فوجم عيسى وانكسر ، فقلت في نفسي : جاء موقع^(٣) البيتين ، وأنشدت الرشيد :

(١) تنسب إلى الأعشى ؛ وهي في ملحقات ديوانه : ٢٣٦ . (٢) ت ، ف ، ونسخة بحاشية

الأصل : « بدمح » . (٣) ف ، ونسخة بحاشية الأصل : ت : « موضع » .

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ مُعْبَسًا وَجَدَّاهُ فِي الْمَاضِينَ كَعَبٍّ وَحَاتِمٍ
فَكَشَفَهُ عَمَّا فِي يَدَيْهِ فَأَيْمًا تُكشِفُ أَخْبَارَ الرَّجَالِ الدَّرَاهِمُ (١)
قال: فَتَجَلَّى عَنِ الرَّشِيدِ وَقَالَ لِمَسْرُورٍ: أَعْطِهِ عَلَى بَيْتِ مَالِ السَّرُورِ أَلْفَيْ دِينَارٍ، فَأَخَذْتُ
بِالْبَيْتَيْنِ أَلْفَيْ دِينَارٍ، وَمَا كَانَ يَسَاوِيَانِ عِنْدِي دَرَاهِمِينَ (٢)!



(١) من نسخة بمحاشي الاصل ، ت ، ف : « احوال الرجال » .
(٢) بهذا المجلس ينتهي الجزء الأول - وهو ما لدينا من نسخة ت - وجاء في آخره : « تم نصف
الكتاب بحمد الله ومنه وفضله وحوله وطوله ، ويتلوه في الجزء الثاني أوله : مجلس آخر ، تأويل آية ؛ إن
سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ ،
إن شاء الله والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله والظاهرين وسلم » .

مَجْلِسُ آخِرٍ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن تأويل قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأْرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [الأنبياء : ٣٧] .

الجواب ، قيل له : قد ذكر في هذه الآية وجوه من التأويل نحن نذكرها ، ونرجح الأرجح منها :

٥ أولها أن يكون معنى القول المبالغة في وصف الإنسان بكثرة العجلة ، وأنه شديد الاستعجال لما يؤثره من الأمور ، لهيجٌ باستدناء ما يحلب^(١) إليه نفعاً ، أو يدفع عنه ضرراً ؛ ولهم عادة في استعمال مثل هذه اللفظة عند المبالغة ؛ كقولهم لمن يصفونه بكثرة النوم : ما خلقت إلا من نومٍ ، وما خلق فلان إلا من شر ؛ إذا أرادوا كثرة وقوع الشر منه ؛ وربما قالوا : ما أنت إلا أكلٌ وشربٌ ، وما أشبه ذلك ، قالت الخنساء تصف بقرة^(٢) :

١٠ تَرَ تَعُ ما غَفَلْتُ حَتَّى إِذَا ادَّكَّرْتُ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ^(٣) .
وإنما أرادت ما ذكرناه من كثرة وقوع الإقبال والإدبار منها .

ويشهد لهذا التأويل قوله تعالى في موضع آخر : ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾ ، [الإسراء : ١١] ، ويطابقه أيضاً قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ ؛ لأنه وصفهم بكثرة العجلة وأن من شأنهم فعلها ، توبيخاً لهم وتقريراً ، ثم نهاهم عن الاستعجال باستدعاء الآيات من

(١) حاشية ف (من نسخة) : « ماجر » . (٢) من نسخة بمشيتي الأصل ، ف : « نافة » .

(٣) ديونها : ٣٨ ، واللسان (سوا) ؛ وفي ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « مارعت » ؛

وهي رواية الديوان .

حيث كانوا متمكّنين من مفارقة طريقتهم في الاستعجال ، وقادرين على التثبّت والتأبّد .

وثانيها ما أجاب به أبو عُبيدة وقُطرب بن المستنير وغيرهما من أنّ في الكلام قلباً ، والمعنى : خلق العَجَل من الإنسان ، واستشهدَ على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَقدَ بَلَغنيَ الكِبرُ ﴾ ؛ [آل عمران : ٤٠] ، أي قد بلغتُ الكِبرَ ، وبقوله تعالى : ﴿ ما إنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنوُءُ بِالعُصْبَةِ ﴾ ؛ [النقص : ٧٦] ، والمعنى : إن العصبة تنوءُ بها ، وتقول العرب : عرضتُ الناقة على الحوض ، وإنما هو عرضتُ الحوضَ على الناقة ، وقولهم : إذا طلعت الشعري استوى العود على الجِرْباء ؛ يريدون استوى الجِرْباء على العود ؛ وبقول الأعشى :

[١٥٦] / لَمَحقوقَةٌ أَنْ تَسْتَجِبي لَصَوْتِهِ وَأَنْ تَعلمي أَنَّ المَمانَ مُوقِّمٌ^(١)

يريد أن الموقِّق معان .

وبقول الآخر :

على المياراتِ هَدَّاجُونَ قد بَلَغَتْ نَجْرانَ ، أو بَلَغَتْ سَوءاً تِهِم هَجَرَ^(٢)

والمعنى : أن السوءاتِ هي التي بلغت هَجَرَ .

وبقول خدّاش بن زهير :

ونزْ كَبُّ خَيْلا لا هَوادَةَ بَيْنِها وَتَشقى الرِّماحُ بالضِباطِرةِ الحُمُرِ^(٣)

(١) ديوانه : ١٤٩ ، وفي حاشيتي الأصل ، ف : « قبله :

وإن امرأ أهداك بيني وبينه فيأفٍ : تنوفاتٌ ويهَماءُ خيفقُ

لمحقوقة ... البيت ؛ يخاطب ناقة أهديت له ، فيقول لها : أنت محقوقة بأن تستجبي لصوته . تنوفات :

جمع تنوفة ؛ وهي المفازة ، وخيفقُ ، يخفق فيها آل . »

(٢) البيت للأخطل ، ديوانه ١٠ ، والهدج : مشى في ارتعاش .

(٣) جمهرة الأشعار : ١٩٣ ، واللسان (ضطر) . والضباطرة : الضخام الذين لا غناء عندهم ؛ وفي

اللسان : « قال ابن سيده : يجوز أن يكون عنى أن الرماح تشقى بهم ؛ أي أنهم لا يحسنون حملها ولا الطعن بها ، ويجوز أن يكون على القاب ، أي تشقى الضباطرة الحمر بالرماح ؛ يعني أنهم يقتلون بها . والموادة :

المصالحة والموادعة . »

يريد تشقى الضيافة بالرمح .

وبقول الآخر :

تَمْشِي بِهِ عُوذُ النَّعَاجِ كَأَنَّهَا عَدَارَى مُلُوكٍ فِي بَيَاضِ ثِيَابٍ^(١)

يريد في ثياب بيض .

وبقول الآخر :

حَسَرْتُ كَفِّي عَنِ السَّرْبَالِ أَخْذُهُ^(٢) فَرْدًا يَحِزُّ عَلَى أَيْدِي الْمُفِضِينَا^(٣)

يريد حسرت السربال عن كفى .

وبقول ابن أحرر :

وَجُرِّدِ طَارَ بَاطِلُهَا نَسِيلاً وَأَحْدَثَ قَمُوهَا شَمْرًا قِصَارًا^(٤)

أراد طار نسيها باطلا .

وبقول الآخر :

وَقَسُورَةٍ أَكْتَفَهُمْ فِي قِسِيهِمْ إِذَا مَامَشُوا لَا يَغْمِرُونَ مِنَ النَّسَا^(٥)

أى قسيهم في أكتافهم .

وبقول الآخر :

* وَهُنَّ مِنَ الْإِخْلَافِ وَالْوَلَعَانِ^(٦) *

أى الإخلاف والولعان منهن .

(١) العوذ : جمع عائد ؛ وهى الحديثة التاج ؛ والنعجة هنا : البقرة الوحشية .

(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « آخذة » . (٣) حاشية الأصل : « فردا ، يعنى

القدح » . يقال أفاض بالقدح : ضرب بها . والبيت لابن مقبل في الميسر والقدح ١٤١ . (٤) اللسان (قأ) .

النسيل : ما ينسل من شعرها . وقؤها : سمها . (٥) القسورة : الرماة من الصيادين والقمز : الظلم .

(٦) البيت في اللسان (ولع) ، وصدرة :

* خَلَابَةُ الْعَمِينِ كَذَابَةُ الْمُنَى *

قال في اللسان : « أى من أهل الخلف والكذب ، وجملهن من الأخلاف للازمتهم له » .

ويبقى على صاحب هذا الجواب مع التفاضل له عن حمل كلامه تعالى على القلب أن يقال له :
وما المعنى والفائدة في قوله تعالى : « خُلِقَ الْعَجَلُ مِنَ الْإِنْسَانِ » أتريدون (١) بذلك أن
الله تعالى خلق في إنسان العجلة؟ وهذا لا يجوز؛ لأن العجلة فعل من أفعال الإنسان، فكيف
تكون مخلوقة فيه لغيره ! ولو كان كذلك لما جاز أن ينهائم عن الاستعجال في الآية فيقول :
﴿ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ ، لأنه لا ينهائم عما خلقه فيهم .

[١٥٦] فإن قالوا : لم يرد أنه تعالى خلقها ؛ لكنه أراد كثرة فعل الإنسان لها ؛ وأنه لا يزال /
ط
يستعملها .

قيل لهم : هذا هو الجواب الذي قدّمناه من غير حاجة إلى القلب والتقديم والتأخير ؛
وإذا كان هذا المعنى يتم وينتظم على ما ذكرناه من غير قلب فلا حاجة بنا إليه .

١٠ وقد ذكر أبو القاسم البلخي هذا الجواب في تفسيره، واختاره وقواه، وسأل نفسه عليه
فقال : كيف جاز أن يقول : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ ، وهو خلق العجلة فيهم ! وأجاب بأنه
قد أعطاهم قدرة على مغالبة طباعهم وكفها ، وقد يكون الإنسان مطبوعاً عليها وهو مع
ذلك مأمور بالثبوت ، قادر على أن يجانب العجلة ، وذلك كخلق في البشر شهوة النكاح ،
وأمره في كثير من الأوقات بالامتناع منه .

١٥ وهذا الذي ذكره البلخيّ تصرّيح بأن المراد بالعجل غيره ، وهو الطبع الداعي إليه ،
والشهوة المتناولة له ، ويجب أيضاً أن يكون المراد بـ « من » هاهنا « في » ؛ لأن شهوة العجل لا
تكون مخلوقة من الإنسان ، وإنما تكون فيه . وهذا تجوز على تجوز ، وتوسّع على
توسّع ، لأن القلب أولاً مجاز ، ثم هو من بعيد المجاز ؛ وذكر العجل والمراد به غيره مجاز آخر ،
وإقامة « من » مقام « في » كذلك ؛ على أنه تعالى إذانهاهم عن العجلة بقوله : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾
٢٠ أي معنى لتقديم قوله : إني خلقت شهوة العجلة فيهم ، أو الطبع الداعي إليها ؛ على
ماعتبه البلخيّ . وهذا إلى أن يكون عذراً لهم أقرب منه إلى أن يكون حجة عليهم ؛ وأيسر

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « أريد » .

الأحوالِ ألاَّ يكونَ عذراً ولا احتجاجاً ، فلا يكونَ لتقديمه معنى .
وفي الجواب الأولِ حَسُنَ تقديم ذلك على طريق الذمِّ والتوبيخ والتقريع من غير إضافة له
إليه عز وجل ؛ فالجواب الأول أوضح وأصح .

وثالثها جوابٌ روى عن الحسن ، قال : يعنى بقوله : ﴿ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ، أى من ضَعْفٍ ،
وهى النُظْفَةُ المَهْيِنَةُ الضَّعِيفَةُ ، وهذا قريب إن كان فى اللغة شاهد على أن العَجَلُ يكون عبارة عن^٥
الضَّعْفِ أو معناه .

ورابعها ما حُكِيَ أَنَّ أبا الحسن الأخفش أجاب به ، وهو : أن يكون المرادُ أن الإنسان
خُلِقَ من تعجيل من الأمر ؛ لأنه تعالى قال : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ
فَيَكُونُ ﴾ ، [النحل : ٤٠] .

فإن قيل : كيف يُطابقُ هذا الجواب قولَه من بعد : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ ؟
قلنا : يمكن أن يكون وجهُ المطابقة أنهم لما استعجلوا بالآيات واستبطنوها أعلمهم تعالى
أنه ممن لا يُعجِزه شيء إذا أرادَه ، ولا يمتنع عليه ؛ وأنَّ مَنْ خَلَقَ الإنسان بلا كلفة ولا
مئونةٍ بأن قال له : كُنْ فـكَانَ ، مع ما فيه من بدائع الصنعة ، وعجائب الحكمة التى
يُعجِز عنها كلُّ قادر ، ويحار فيها كل ناظر ، لا يُعجِزه إظهار ما استعجلوه من
الآيات .

وخامسها ما أجاب به بعضهم من أن العَجَلَ الطين ، فكأنه تعالى قال : خُلِقَ الإنسان
من طين ، كما قال تعالى فى موضع آخر : ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ ؛ [السجدة : ٧] ،
واستشهد بقول الشاعر :

وَالنَّبْعُ يُنْبِتُ بَيْنَ الصَّخْرِ ضَاحِيَةً وَالنَّخْلُ يُنْبِتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْعَجَلِ^(١)

ووجدنا قوماً يطمنون فى هذا الجواب ، ويقولون : ليس بمعروف أن العَجَلَ هو الطين ،
وقد حكى صاحب كتاب العين عن بعضهم أن العَجَلَ الحُمأة ، ولم يستشهد عليه ، إلا أن

(١) البيت فى اللسان (عجل) .

البيت الذي حكيناه يمكن أن يكون شاهداً له ، وقد رواه ثعلب عن ابن الأعرابي ، وخالف في شيء من ألفاظه فرواه :

وَالنَّبْعُ فِي الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ مِنْبَتُهُ وَالنَّخْلُ يُنْبِتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْعَجَلِ
 وإذا صحَّ هذا الجواب فوجه المطابقة بين ذلك وبين قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ ﴾
 • على نحو ما ذكرناه ، وهو أن مَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ - مع الْحِكْمِ الظَّاهِرَةِ فِيهِ - مِنَ الطِّينِ ،
 لَا يُعْجِزُهُ إِظْهَارُ مَا اسْتَعْجَلُوهُ مِنَ الْآيَاتِ ؛ أَوْ يَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَجِبُ لِمَنْ خُلِقَ مِنَ الطِّينِ الْمَهِينِ ،
 وَكَانَ أَسْلُهُ هَذَا الْأَصْلُ الْحَقِيرِ الضَّمِيفِ أَنْ يَهْزَأَ بِرُسُلِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ وَشِرَائِعِهِ ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ
 قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ وَإِذَارَأَكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ، أَهَذَا الَّذِي يَذُكُرُ
 آلِهَتَكُمْ ﴾ ؛ [الأنبياء : ٣٦] .

١٠ وسادسها أن يكون المراد بالإنسان آدم عليه السلام، ومعنى ﴿ مِنْ عَجَلٍ ﴾ أى فى سرعة^(١) من خلقه ، لأنه لم يخلقه من نُطْفَةٍ ، ثم من عَلَقَةٍ ، ثم من مُضْغَةٍ كما خلق غيره ، وإنما ابتداء الله تعالى ابتداءً ، وأنشأه إنشأً ، فكأنه تعالى نَبَّهَ بِذَلِكَ عَلَى الْآيَةِ الْعَجِيبَةِ فِي خَلْقِهِ لَهُ ، وَأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُرَى عِبَادَهُ مِنْ آيَاتِهِ وَبَيِّنَاتِهِ أَوْلَىَّ أَوْلَىَّ مَا تَقْتَضِيهِ مَصَالِحُهُمْ وَتَسْتَدْعِيهِ أَحْوَالُهُمْ .

[١٥٧] / وسابها ما روى عن مجاهد وغيره أن الله تعالى خلق آدم بعد خلق كل شيء آخر،
 ١٥ نهار يوم الجمعة على سرعة ، معاجلا به غروب الشمس .
 وروى أن آدم عليه السلام لما نفخت فيه الروح وبلغت إلى أعلى جسده ، ولم تبلغ أسافلَه
 قال : يارب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس .

وثانمها ما روى عن ابن عباس والسُّدِّيَّ أَنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا خُلِقَ وَجَعَلَتِ الرُّوحُ
 فِي أَكْثَرِ جَسَدِهِ وَثَبَّ عَجَلَانَ مَبَادِرًا إِلَى أَمْتَارِ الْجَنَّةِ - وَقَالَ قَوْمٌ بَلْ هُمَّ بِالرُّوحِ - فَهَذَا مَعْنَى
 ٢٠ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ .

(١) حاشية الأصل (من نسخة : « من سرعة » .

وهذه الأجوبة المتأخرة مبنية على أن المراد بالإنسان فيها آدم عليه السلام دون غيره .

قال سيدنا أدام الله تمكينه : وإني لأستحسن لمسكين الدارمي قوله (١) :

رُبَّ أُمُورٍ قَدْ بَرَيْتُ لِجِئَاءِهَا وَقَوَّمتُ مِنْ أَصْلَابِهَا ثُمَّ زَعْتَهَا (٢)
 أَقِيمُ بَدَارِ الْحَرْبِ (٣) مَا لَمْ أَهْنُ بِهَا فَإِنْ خِفْتُ مِنْ دَارِ هَوَانًا تَرَ كَثُهَا
 وَأَصْلِحُ جُلَّ الْمَالِ حَتَّى تَخَالَئِي (٤) شَحِيحًا وَإِنْ حَقَّ عَرَانِي أَهْنُهَا
 وَلَسْتُ بَوْلَاجِ الْبُيُوتِ لِفَاقَةِ وَلَكِنْ إِذَا اسْتَغْنَيْتُ عَنْهَا وَلَجْتُهَا
 أَيْتُ عَنْ الْإِدْلَاجِ فِي الْحَيِّ نَائِمًا وَأَرْضٌ بِإِدْلَاجٍ وَهَمٌّ (٥) قَطَعْتُهَا
 أَلَا أَيُّهَا الْجَارِي سَنِيحًا وَبَارِحًا تُعْرَضُ نَفْسًا لَوْ أَشَاءَ قَتَلْتُهَا
 تُعَارِضُ فَخَرَ الْفَاحِخِينَ بِعَصْبَةٍ وَلَوْ وُضِعَتْ لِي فِي إِيْنَاءٍ أُكَلَّتُمَا
 وَإِنَّ لَنَا رِبْعِيَّةَ الْمَجْدِ كُلَّهَا مَوَارِثُ آبَاءِ كِرَامٍ وَرِثْتُهَا (٦)
 إِذَا قَصَّرَتْ أَيْدِي الرَّجَالِ عَنِ الْمَلَا مَدَدْتُ يَدِي بَاعًا عَلَيْهِمْ فَنَلْتُهَا
 وَدَاعٍ دَعَانِي لِلْمَلَا فَأَجَبْتُهُ وَدَعْوَةَ دَاعٍ فِي الصَّدِيقِ خَدَلْتُهَا
 وَمَكْرُمَةٍ كَانَتْ رِعَايَةَ وَالِدِي فَعَلَّمْنِيهَا وَالِدِي فَعَمَلْتُهَا (٧)

(١) هو ربيعة بن عامر بن أنيف ، ينتهي نسبه إلى مالك بن زيد مناة بن تميم ، شاعر شريف من سادات قومه (وانظر ترجمته وأخباره وأشعاره في الأغاني ١٨ : ٦٨ - ٧٢ ، ومعجم الأدباء ١١ : ١٢٦ - ١٣٢ ، والشعر والشعراء ٥٢٩ - ٥٣٠ ، والخزائن ١ : ٤٦٥ - ٤٧٠ ، واللائح ١٨٦ - ١٨٧) (٢) ديوان المعاني ١ : ٧٩ . ف ، حاشية الأصل (من نسخة) ، ديوان المعاني : «رثتها» وفي حاشية الأصل (من نسخة أخرى) : «رعتها» . وفي حاشيتي الأصل ، ف : « في الصحاح : زاع بعيره أي حركه إلى قدام يستزيد سيره ؛ قال ذو الرمة :

وَخَافِقِ الرَّأْسِ فَوْقَ الرَّجْلِ قُلْتُ لَهُ زُعُ بِالزَّمَامِ وَجَوْزُ اللَّيْلِ مَرَكُومُ

ومن رواه « زع » ، [بفتح الزاي] فقد أخطأ ؛ لأنه لا يأمره بالكف .

(٣) د ؛ « الحزن » ، ف ، وديوان المعاني : « الحزم » . (٤) ديوان المعاني : « حسبتي » .

(٥) هم ؛ أي همة . (٦) حاشية الأصل : « ربعية المجد : أوله وأجوده ؛ كربعية النتاج خيره »

ومن نسخة بحاشية الأصل : « مواريث آباء » . (٧) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « فعملتها » .

وعوراءٍ مِنْ قِيلِ اسْرِيٍّ ذِي قَرَابَةٍ
رَجَاةٍ غَدٍ^(٢) أَنْ يَعْطِفَ الرَّحْمُ بَيْنَنَا
إِذَا مَا أُمُورُ النَّاسِ رَثَّتْ وَضِيَعَتْ
وَإِنِّي سَأَلْتَنِي اللَّهُ لَمْ أَرْمِ حُرَّةً
وَلَا قَازِفٌ نَفْسِي وَنَفْسِي بَرِيئَةٌ
تَصَامَمْتُ عَنْهَا بَعْدَ مَا قَدْ سَمِعْتُهَا^(١)
وَمَظْلَمَةٌ مِنْهُ بِجَنَبِي عَرَكَتُهَا
وَجَدْتُ أُمُورِي كُلَّهَا قَدْ رَمَتْهَا^(٣)
وَلَمْ تَتَمَنِّي^(٤) يَوْمَ سِرِّ فَخُنْتُهَا
وَكَيْفَ اعْتَدَارِي بَعْدَ مَا قَدْ قَدَفْتُهَا

[١٥٨]

و

٥

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا أبو ذرّ القراطيسي قال حدثنا عبيد الله بن محمد ابن أبي الدنيا قال حدثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي أن رجلاً من الأنصار حدثه قال قال مسكين الدارمي :

ولستُ إِذَا مَا سَرَّنِي الدَّهْرُ ضَاحِكًا
وَلَا جَاعِلًا عِرْضِي لِمَالِي وَقَابَةً
أَعْفُ لَدَى عُسْرِي وَأُبْدِي تَجَمُّلاً
وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي إِذَا كُنْتُ مُعْسِراً
وَأَقْطَعُ إِخْوَانِي وَمَا حَالَ عَهْدُهُمْ
فَإِنْ يَكُ عَارًا مَا أَتَيْتُ فَرْجُومًا
وَمَنْ يَفْتَقِرُ يَعْلمُ مَكَانَ صَدِيقِهِ
ولا خَاشِعًا مَا عِشْتُ مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ^(٥)
وَلَكِنْ أَقَى عِرْضِي فَيُحْرِزُهُ وَفَرِي
وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَعِفُّ لَدَى الْمُسْرِ
صَدِيقِي وَإِخْوَانِي بَأَنْ يَمْلَعُوا قَفْرِي
حَيَاءً وَإِعْرَاضًا، وَمَابِي مِنْ كَبْرٍ
أَتَى الْمَرءَ يَوْمَ الشُّؤْمِ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي
وَمَنْ يَحْيَى لَا يَمْدُمُ بِلَاءً مِنَ الدَّهْرِ^(٦)

١٠

١٥

ومن مستحسن قوله :

إِنْ أُدْعَ مَسْكِينًا فَمَا قَصَرْتُ
قَدْرِي بُيُوتُ الْحَيِّ وَالْجُدْرُ

(١) العوراء هنا : الكلمة الفيجة . (٢) د ، ف ، وحاشية الأصل ، وديوان المعاني : « رجاء غدا » . (٣) رمتها : أصلحتها . (٤) د ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « لم تأتمني » . (٥) أبيات منها في معجم الأدباء ١١ : ١٢٩ ، واللائي : ١٨٦ ، وكنایات الجرجاني : ١٠ ، ٥٧ . (٦) حاشية الأصل : (من نسخة) : « ومن يقن » .

وقيل : إن مسكينا ليس باسمه ، وإنما اسمه ربيعة ، وإنما سمى بذلك لقوله :

وَسُمِّيتُ مِسْكِينًا وَكَانَتْ لَجَاجِسَةً وَإِنِّي لِمِسْكِينٌ إِلَى اللَّهِ رَاغِبٌ (١)

- ومعنى : قصرت قدرى ، أى : سترت ، يريد أنها بارزة لا تحجبها السواتر والحيطان -

مَا مَسَّ رَحْلِي الْعَنْكَبُوتُ وَلَا جَدَايَاتُهُ مِنْ وَضَعِهِ غُبْرٌ

وهذه كناية مليحة عن مواصلة السير وهجر الوطن ، لأن العنكبوت إنما تنسج على

ملا تناله / الأيدي ولا يكثر استعماله ، والجديات : جمع جدية ، وهى باطن دفة الرحل . [١٥٨] ط

لَا آخِذُ الصَّبِيَانَ الشَّمَمِ وَالْأَمْرُ قَدْ يُغَيِّرِي (٢) بِهِ الْأَمْرُ

- يقول : لا أقبل الصبي ؛ وأنا أريد التعريض بأمه .

ومثله لغيره :

١٠ وَلَا أَلْقَى لَدَى الْوَدَعَاتِ سَوْطِي (٣) الْأَعْبَهُ (٤) وَرَبِيَّتَهُ (٥) أُرِيدُ

وأنشد ابن الأعرابي مثله :

إِذَا رَأَيْتَ صَبِيَّ الْقَوْمِ يَأْتِمُهُ

ضَخْمُ الْمَنَاكِبِ لَا عَمَّ وَلَا خَالَ

فَاخْفِظْ صَبِيَّكَ مِنْهُ أَنْ يُدْنِسَهُ

وَلَا يَغْرُنْكَ يَوْمًا قَلَّةَ الْمَالِ (٦)

- رجع إلى تمام القصيدة -

١٥ وَلرُبَّ يَوْمٍ قَدْ تَرَكْتُ وَمَا

بَيْنِي وَبَيْنَ لِقَائِهِ سِتْرٌ

وَمُخَاصِمٌ (٧) قَاوَمْتُ فِي كَيْدِ

مِثْلِ الدَّهَانِ فَكَانَ لِي الْعُذْرُ (٨)

(١) الشعر والشعراء : ٥٢٩ . (٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « يعزى » .

(٣) م : « صوتي » . (٤) د : « لأئمه » ، ومن نسخة بحاشية ف : « لألهيه » .

(٥) د ، ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « وربته » ، أى أمه التى تربته . والودعات :

الجزرات . (٦) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « كثرة المال » .

(٧) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « ومقام » . (٨) فى حاشيتي الأصل ، ف : « إنما

يكون العذر إذا كان ثم ظلم ، فيقول : إنما أقاوم وأخاصم مظلوماً متعمداً عليه ، وإذا كان كذلك ، فيجب الاعتذار على الظالم ؛ ويكون العذر لى ، كقوله :

فَإِنْ كَانَ سِجْرًا فَاعْذِرْ بِنِي عَلَى الْهَوَى وَإِنْ كَانَ دَاءً غَيْرَهُ فَلِكِ الْعُذْرُ

- ويروى : « القَمَر » ، والكَبَد : المنزلة التي لا تثبت فيها الأرجل ، والدهان

الأديم الأحمر -

مَاعِلَّتِي (١) ! قَوْمِي بَنُو عُدُسٍ وَهُمْ الْمُلُوكُ وَخَالِي الْبِشْرُ (٢)
عَمِّي زُرَّارَةٌ غَيْرَ مُنْتَحَلٍ وَأَبِي الَّذِي حُدِّثَتْهُ عَمْرُو
فِي الْمَجْدِ غُرَّتْنَا مَبِينَةٌ لِلنَّاطِرِينَ كَأَنَّهَا الْبَدْرُ
لَا يَرْهَبُ الْجِيرَانُ غَدْرَتَنَا حَتَّى يُوَارِيَ ذِكْرَنَا الْقَبْرُ
لَسْنَا كَأَقْوَامٍ إِذَا كَلَّحَتْ إِحْدَى السَّنِينَ فَجَارَهُمْ تَمْرُ

- أي يستعلى الذنر به كما يُسْتَحْلَى التمر -

مَوْلَاهُمْ لِحْمٌ عَلَى وَضَمٍّ تَنْتَابُهُ الْعِقبَانُ وَالنَّسْرُ
نَارِي وَنَارُ الْجَارِ وَاحِدَةٌ وَآلِيهِ قَبْلِي تُنْزَلُ الْقِدْرُ

يقال : إنه كان له امرأة تماظه ، فلما قال ذلك قالت له : أجل ؛ إنما ناره ونارك واحدة ، لأنه / [١٥٩]

أوقد ولم توقد ، والقِدْرُ تنزل إليه قبلك ؛ لأنه طبخ ولم تطبخ ، وأنت تستطعمه .

مَا ضَرَّ جَارِيَّ إِذْ أُجَاوِرُهُ أَنْ لَا يَكُونَ لِبَيْتِهِ سِتْرُ

- قال : ويقال إنها قالت له في هذا البيت أيضا : أجل إن كان له سِتْرٌ هتكتُهُ -

أَعْمَى إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجْتُ حَتَّى يُوَارِيَ جَارَتِي الْخِذْرُ
وَيَصْمُ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا سَمِعِي وَمَا بِي غَيْرُهُ وَقْرُ

وأنشد عمر بن شبة لمسكين أيضا :

لَا تَجْمَلَنِي كَأَقْوَامٍ عَلِمْتَهُمْ (٣) لَمْ يَظْلَمُوا لَبَةً يَوْمًا وَلَا وَدَجًا (٤)

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « ما عابني » . (٢) من نسخة في حاشيتي الأصل ، ف : « هو مسكين بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمرو بن عمرو بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم ؛ فهذا عدس وعدس أبو زرارة ، مثل قثم ؛ وقال ابن دريد : يقال عدس وعدس » ، بضم الدال وفتحها .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « لا تجمليني كأقوام علمتهم » .

(٤) حاشية الأصل : « أي لم ينحروا للأضياف فيطعنوا في لبة أو ودج » .

إِنِّي لِأَغْلَاهُمُ بِاللَّحْمِ قَدْ عَلِمُوا
أَنَا ابْنُ قَاتِلِ جُوعِ الْقَوْمِ قَدْ عَلِمُوا
يَارُبَّ أَمْرَيْنِ قَدْ فَرَّجْتُ بَيْنَهُمَا
أَدِيمُ خُلُقِي لِمَنْ دَامَتْ خَلِيقَتُهُ
وَأَقْطَعُ الْخَرْقَ بِالْخَرْقَاءِ لَاهِيَةً
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ أَمْرٍ فَأَكْرَهُهُ
مَا مَدَّ قَوْمٌ بِأَيْدِيهِمْ إِلَى شَرَفٍ
وَأُنْشِدُ أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبُ لَهُ :

وَلَمْ يُبْلِهْنِي عَنْهُ غَزَالٌ مُقَنَّعٌ
أَضَاحِكُ ضَيْفِي قَبْلَ إِزْأَالِ رَحْلِهِ
وَتَعَلَّمْتُ نَفْسِي أَنَّهُ سَوْفَ يَهْجَعُ
أَحَدُهُ إِنْ الْحَدِيثَ مِنَ الْقِرَى
وَمِثْلُهُ لغيره :

وَأَضَاحِكُ ضَيْفِي قَبْلَ إِزْأَالِ رَحْلِهِ
وَمَا الْخِصْبُ لِلْأَضْيَافِ أَنْ يَكْثُرَ الْقِرَى
وَيُخْصَبُ عِنْدِي وَالْمَكَانُ جَدِيدٌ
وَلَكِنَّمَا وَجْهُ الْكَرِيمِ خَصِيبٌ
وَمَعْنَى :

١٥ * أَحَدُهُ إِنْ الْحَدِيثُ مِنَ الْقِرَى *

أى أصبر على حديثه ، وأعلم أنه سوف ينام ، ولا أعرض بمجادته / فأكون قد محقت [١٥٩] ظ
قِرَايَ ؛ وَالْحَدِيثُ الْحَسَنُ مِنْ تَمَامِ الْقِرَى .

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي الْغَيْرَةِ قَوْلُ مَسْكِينِ الدَّارِمِيِّ :
أَلَا أَيُّهَا الْغَائِرُ الْمُسْتَشِيطُ عَلَامَ تَفَارُ إِذَا لَمْ تُقْرَ

(١) الرهج : الغبار . (٢) اعتلج . اضطرب .

(٣) الحزن : المفازة الواسعة ، والخرقاء : الناقة السريعة .

فَمَا خَيْرُ عَرَسٍ إِذَا خِفْتَهَا وَمَا خَيْرُ بَيْتٍ إِذَا لَمْ يُبَزَّرْ^(١)
تَمَارُ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَنْظُرُوا وَهَلْ يَفْتِنُ الصَّالِحَاتِ النَّظَرُ
فَإِنِّي سَأَخِي لَهَا بَيْنَهَا فَتَحْفَظُ لِي نَفْسَهَا أَوْ تَذَرُ
إِذَا اللَّهُ لَمْ يُعْطِهِ وَوَدَّهَا فَلَنْ يُعْطِيَ الْوَدَّ سَوْطُ مَمَرٍ
وَمَنْ ذَا يُرَاعِي لَهُ عَرَسَهُ إِذَا ضَمَّهُ وَالْمَطِيَّ السَّفَرَ!

قال المرتضى رضى الله عنه: وكان مسكين كثير الالهج بالقول في هذا المعنى ، فمن ذلك قوله:

وَإِنِّي امْرُؤٌ لَا آلفُ الْبَيْتَ قَاعِدًا إِلَى جَنْبِ عَرْسِي لَا أُفْرِطُهَا شِبْرًا
وَلَا مَقْسِمٌ لَا أَبْرَحُ الدَّهْرَ بَيْنَهَا لِأَجَلِهِ قَبْلَ الْمَاتِ لَهَا قَبْرًا
إِذَا هِيَ لَمْ تُحْصِنْ أَمَامَ فَنَائِهَا فَلَيْسَ بِمُنْجِيهَا بِنَائِي لَهَا قَصْرًا
وَلَا حَامِلِي ظَنِّي وَلَا قَيْلُ قَائِلٍ^(٢) عَلَى غِيْرَةٍ حَتَّى أُحِيطَ بِهَا إِخْبَرًا
فَهَبْنِي امْرَأً رَاعَيْتُ مَا دُمْتُ شَاهِدًا فَكَيْفَ إِذَا مَا سِرْتُ مِنْ بَيْتِهَا شَهْرًا

وأنشد أبو العباس^(٣) عن أبي العالفة مسكين :

مَا أَحْسَنَ الْغَيْرَةَ فِي حِينِهَا وَأَقْبَحَ الْغَيْرَةَ فِي كُلِّ حِينٍ^(٤)
مَنْ لَمْ يَزَلْ مُتَمِيمًا عَرَسَهُ مُنَاصِبًا فِيهَا لَوْ هُمْ الظُّنُونُ
بُوشِكُ أَنْ يَغْرِيَهَا بِالذِّي يَخَافُ ، أَوْ يَنْصَبَهَا لِلْعُمُونُ
حَسْبُكَ مِنْ تَحْصِينِهَا ضَمُّهَا مِنْكَ إِلَى خُلُقِ كَرِيمٍ وَدِينٍ
لَا تَطْهَرَنَّ مِنْكَ عَلَى عَوْرَةٍ فَيَتَّبِعَ الْقَرُونُ حَبْلَ الْقَرِينِ^(٥)

(١) حاشية الأصل : « للسؤال » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « وإن فال قائل »

(٣) ف : « أبو العيال » . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « غير حين » .

(٥) حاشية الأصل : « أى إياك أن تطلع المرأة منك على زنا وريبة ؛ فإنها أياضاً ترضى أو تفعل كما فعلت »

مَجْلِسٌ آخِرٌ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

/إن سأل سائل عن قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ [١٦٠] و
لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّوْءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا
الْمُخْلِصِينَ ﴿﴾ [يوسف : ٢٤] .

قال : هل يسوغُ ما تأوَّل بعضهم هذه الآية عليه من أن يوسفَ عليه السلام عزمَ
على المعصية وأرادها ، وأنه جلسَ بجِلسِ الرجل من المرأة ، ثم انصرف عن ذلك بأن رأى
صورة أبيه يعقوب عليه السلام عاضاً على إصبعه ، متوعداً له على مواجهة المعصية، أو بأن نُوديَ
له بالنهي والزجر في الحال على ما ورد به الحديث ؟

الجواب ، قلنا : إذا ثبت بأدلة العقول التي لا يدخلها الاحتمالُ والمجاز ووجوه التأويلات
أنَّ المعاصيَ لا تجوز على الأنبياء عليهم السلام صرفنا كل ماورد ظاهره بخلاف ذلك من
كتابٍ أو سنة إلى ما يطابق الأدلة ويوافقها ، كما نفعل مثل ذلك فيما يرد ظاهره مخالفاً لما
تدل عليه العقول من صفاته تعالى ، وما يجوز عليه أو لا يجوز .

ولهذه الآية وجوه من التأويل؛ كلُّ واحدٍ منها يقتضي نزاهة نبي الله تعالى من العزم على
الفاحشة وإرادة المعصية .

أولها أنَّ الهمَّ في ظاهر الآية متعلِّقٌ بما لا يصح أن يعلِّق به العزم أو الإرادة على الحقيقة؛
لأنه تعالى قال : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ ، فمتعلِّق الهمَّ بهما، وذاتهما لا يجوز أن يُراد
أو يمزَم عليهما ؛ لأنَّ الوجود الباقي لا يصحَّ ذلك فيه ، فلا بدَّ من تقدير محذوفٍ يتعلَّق
العزم به ؛ وقد يمكن أن يكون ما تعلَّق به همُّه إنما هو ضربُها أو دفعُها عن نفسه ، كما

يقول القائل : كنت همت بفلان ، وقد همَّ فلان بفلان ؛ أى بأن يوقع به ضرباً أو مكروها .

فإن قيل : فأى معنى لقوله تعالى : ﴿ لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ والدفع لها عن نفسه طاعة لا يصرف البرهان عنها ؟

٥ قلنا : يمكن أن يكون الوجه في ذلك أنه لما همَّ بدفعها وضربها أراه الله برهاناً على أنه إن أقدم على ما همَّ به أهلكه أهلها وقتلوه ، أو أنها تدعى عليه المرادة على التبيين وتقذفه [١٦٠] بأنه دعاها إليه ، وأنَّ ضربه لا يستناعها ، فيظنُّ به ذلك من لا تأمل له ، ولا علم بأن مثله لا يجوز عليه ، فأخبر الله تعالى بأنه صرَّف بالبرهان عنه السوء والفحشاء ، ويعنى بذلك القتل والمكروه اللذين كانا يوقعان به ، لأنهما يستحقان الوصف بذلك من حيث القبح ، أو ١٠ يُعنى بالسوء والفحشاء ظنُّهم به ذلك .

فإن قيل : هذا الجواب يقتضى أنَّ جواب ﴿ لَوْلَا ﴾ يتقدّمها ، ويكون التقدير : لولا أن رأى برهان ربِّه لهمَّ بضربها ودفعها ، وتقدّم جواب ﴿ لَوْلَا ﴾ قبيح غير مستعمل ، أو يقتضى أن تكون ﴿ لَوْلَا ﴾ بغير جواب .

١٥ قلنا : أما تقدّم جواب ﴿ لَوْلَا ﴾ فجائز ، وسندكر ما فيه عند الجواب المختص بذلك ، غير أننا لا نحتاج إليه في هذا الجواب ، لأنَّ الهمَّ بالضرب قد وقع ، إلا أنه انصرف عنه بالبرهان ؛ والتقدير : ولقد همت به وهمَّ بدفعها لولا أن رأى برهان ربه لفعل ذلك ، فالجواب في الحقيقة محذوف ، والكلام يقتضيه ، كما حذف الجواب في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ ؛ [النور : ٢٠] ، معناه : ولولا فضل الله عليكم ورحمته لهلكتم ، ومثله : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ . لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾ ؛ [التكاثر : ٥ ، ٦] ، معناه : لو تعلمون علمَ اليقين لم تتنافسوا في الدنيا ، وتفاخروا بها ؛ وقال

فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَسَاقَطُ أَنْفُسًا^(١)

أراد : فلو أنّها نفسٌ تموت سويةً لانقضت وفنيت ، فحذف الجواب ؛ على أن من تأوّل هذه الآية على الوجه الذى لا يليق بنبيّ الله تعالى ، وأضاف العزم على المصيبة إليه لا بدله من تقدير جواب محذوف ، ويكون التقدير عنده : ولقد همّت بالزنا وهمّ به ؛ لولا أن رأى برهان ربه لفعله .

فإن قيل قوله : ﴿ هَمَّ بِهَا ﴾ كقوله : ﴿ هَمَّتْ بِهِ ﴾ فلم جملم همّها به متعلقاً بالقبيح وهمّه بها متعلقاً بما ذكرتم من الضرب وغيره ؟

قلنا : أما الظاهر فلا يدلُّ على ما تعلق به الهم والعزم فيهما جميعاً ، وإنما أثبتنا همّها به متعلقاً بالقبيح ، لشهادة الكتاب والآثار ؛ وهى ممن يجوز عليه فعل القبيح ، ولم يؤمن دليلٌ من امتناعه عليها ؛ كما أمن ذلك فيه عليه السلام .

والموضع الذى يشهد بذلك من الكتاب قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ

الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ، [١٦١]

[يوسف : ٣٠] ، وقوله تعالى : ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ [يوسف : ٢٣] ،

وقوله تعالى : ﴿ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ^(٢) وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾

[يوسف : ٥١] ، وفى موضع آخر : ﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ ^{١٥}

عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ [يوسف : ٢٢] .

(١) ديوانه : ١٤٠ ، وروايته : «تموت جميعة» . وفى حاشية الأصل : « ويروى : « تساقط »

[بضم التاء] ، وساقط بوزن فاعل متعد ؛ ويكون « أنفا » مفعولاً ؛ وإذا روى : « تساقط »

[بفتح التاء] جاز أن يكون « تفاعل » متعدياً ؛ والمعنى : أسقط . ويجوز أن يكون غير متعد أيضاً ؛

و « أنفا » نصبت على الحال ، كقوله تعالى : ﴿ تَسَاقَطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴾ ، أى تساقط عليك ثمر

النخلة رطباً ، وقال الفراء : هو تميز ، وكلاهما حسن . ويجوز إذا كان حالاً أن يفيد كثرة الرطب على الخدع

فكأنها إذا تساقطت رطباً .

(٢) حاشية الأصل : « معنى ﴿ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ ؛ أى طلبت منه أن ينزل عن نفسه فيسلها منى ؛

هذا هو هو حقيقة هذه الكلمة ؛ فاختر » .

والآثار واردة بإطباق مفسري القرآن ومتأوليه على أنها همت بالفاحشة والمعصية .

والوجه الثاني في تأويل الآية أن يُحمل الكلام على التقديم والتأخير ، ويكون تلخيصه :
ولقد همت به ، ولولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها ؛ ويجرى ذلك بجرى قولهم : قد كنتَ
هَلَكْتَ لولا أنى تداركتك ، وقُتِلت لولا أنى خلصتُك ، والمعنى : لولا تداركى لهلكت ،
ولولا تخليصى لقتلت ، وإن لم يكن وقع هلاك ولا قتل ؛ قال الشاعر :

فلا يدعنى قومي صريحا لِحِرَّةٍ لئن كنتُ مَقْتولاً ، ويسلمَ عامرٌ (١)

وقال آخر :

فلا يدعنى قومي صريحا لِحِرَّةٍ لئن لم أعجل طعمنةً أو أعجل (٢)

فقدم جواب ﴿لَوْلا﴾ في البيتين جميعاً ، وقد استشهد عليه أيضا بقوله تعالى : ﴿وَلَوْلا
١٠ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ ، والهَمُّ لم يقع لمكان فضل
الله ورحمته .

ومما يشهد لهذا التأويل أن في الكلام شرطا ، وهو قوله تعالى : ﴿لَوْلا أَنْ رَأَى
بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ ؛ فكيف يحتمل على الإطلاق ، مع حصول الشرط ؟ وليس لهم أن يجعلوا
جواب ﴿لَوْلا﴾ محذوفا مقدرا لأن جعل جوابها موجودا أولى .

١٥ وقد استبعد قوم تقديم جواب ﴿لَوْلا﴾ عليها ، قالوا : ولو جاز ذلك لجاز : « قام زيدٌ
لولا عمرو » ، و« قصدتك لولا بكرٌ » وقد بيننا بما أوردناه من الأمثلة والشواهد جواز
تقديم جواب ﴿لَوْلا﴾ ، والذي ذكروه لا يشبه ما أجزناه .

وقد يجوز أن يقول القائل : « قد كان زيد قام لولا كذا وكذا » ، و« قد كنت قصدتك لولا

١٦١] أن صدنى فلان » ، وإن لم يقع قيامٌ ولا قصد ؛ وهذا هو الذى يشبه الآية ؛ وليس تقديمٌ
ط

(١) صريحا : خالص النسب . (٢) م :

فلا يدعنى قومي ليوم كريمةٍ لئن لم أُجَلَّ ضربةً أو أعجل

وفي حاشية الأصل : « في نسخة س البيت الثانى مقدم على الأول » .

جواب ﴿أولاً﴾ بأبعد من حذف جواب ﴿لولا﴾ جملة من الكلام . وإذا جاز عندهم الحذف - لثلا يلزمهم تقديم الجواب - جاز لغيرهم تقديم الجواب حتى لا يلزم الحذف .

والجواب الثالث ما اختاره أبو علي الجبائي - وإن كان غيرُه قد تقدمه إلى معناه - وهو أن يكون معنى ﴿هَمَّ بِهَا﴾ اشتهاها، ومال طبعه إلى مادعته إليه . وقد يجوز أن تسمى الشهوة في مجاز اللغة همًّا ؛ كما يقول القائل فيما لا يشتميه : ليس هذا من همِّي ، وهذا أهمُّ الأشياء إلى ؛ ولا قبس في الشهوة لأنها من فعل الله تعالى فيه ؛ وإنما يتعلق القُبسُ بتنازل المشتهي .

وقد روى هذا التأويل عن الحسن البصري قال : أما همُّها فكان أخبثَ الهمِّ ، وأما همُّها فسا طبع عليه الرجال من شهوة النساء ، ويجب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى : ﴿لَوْ لَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ ، متعلق بحذف ؛ كأنه قال : لولا أن رأى برهان ربه لعزم أو فَعَلَ .

١٠

والجواب الرابع ، أن من عادة العرب أن يسموا الشيء باسم ما يقع عنده في الأكثر ، وعلى هذا لا يُنكر أن يكون المراد بـ ﴿هَمَّ بِهَا﴾ خطرَ بباله أمرُها^(١) ، ووسوس إليه الشيطان بالدعاء إليها ؛ من غير أن يكون هناك همٌّ أو عزمٌ ، فسمى الخطور بالبال همًّا من حيث كان الهمُّ يقع في الأكثر عنده ، والعزم في الأغلب يتبعه .

وإنما أنكرنا ماداعاه جهلة المفسرين ومُخرِّفو القصاص ، وقرءوا به نبى الله عليه السلام ، لما في العقول من الأدلة على أن مثل ذلك لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام ؛ من حيث كان منفراً عنهم ، وقادحاً في الغرض الجرى إليه بإرسالهم ؛ والقصة تشهد بذلك ؛ لأنه تعالى قال : ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ ؛ ومن أكبر السوء والفحشاء العزم على الزنا ، ثم الأخذ فيه ، والشروع في مقدماته ؛ وقوله تعالى أيضاً : ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ يقتضى تنزيهه

(١) س : « ما أخطر بباله أمرها » .

عن الهمّ بالزُّنا ، والعزم عليه . وحكايته عن النسوة قولهن : ﴿ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ﴾ [يوسف : ٥١] ، تدل أيضا على براءته من القبيح .

فأما البرهان الذي رآه فيحتمل أن يكون لطفًا لطف الله له به في تلك الحال أو قبلها ، اختار عنده الانصراف عن المعاصي ، والتنزه عنها .

[١٦٢] ويحتمل أيضا / ما ذكره أبو علي ، وهو أن يكون البرهان دلالة الله تعالى له على تحريم ذلك عليه ، وعلى أن من فعله يستحق العقاب . وليس يجوز أن يكون البرهان ما ظنّه الجهال من رؤية صورة أبيه يعقوب عليه السلام متوعداً له ، أو النداء له بالزجر والتخويف ، لأن ذلك يُنافي المحنة ، وينقض الغرض بالكيف ، ويقضى ألا يستحق على امتناعه وانزجاره مدحاً ولا ثواباً ؛ وهذا سوءُ ثناء على الأنبياء ، وإقدام على قرفهم بما لم يكن منهم ، ونحمد الله على حسن التوفيق . ١٠

روى أحمد بن عبد الله بن العباس الصوليّ الملقب بطماسٍ قال : كنت يوماً عند عمي إبراهيم بن العباس^(١) ، فدخل عليه رجل فرمعه حتى جلس إلى جانبه ، أو قريباً من ذلك ، ثم حادثه إلى أن قال عمي : يا أبا تمام ؛ ومن بقي ممن يُعتصم به ويلجأ إليه؟ قال : أنت لا عُدِمْت - وكان إبراهيم طويلاً - أنت والله كما قيل :

بَأَعْلَى سَنَامِي فَالْجِ يَتَطَوَّحُ
وَيُورِي كَرِيمَاتِ النَّدَى حِينَ يَقْدَحُ
هَلَالاً بَدَأَ فِي جَانِبِ الْأَفُقِ يَلْحُ
وَيَقْصُرُ عَنْهُ مَدْحُ مَنْ يَتَمَدَّحُ

يَمْدُ نِجَادِ السَّيْفِ حَتَّى كَانَهُ
وَيُدْلِجُ فِي حَاجَاتِ مَنْ هُوَ نَائِمُ
إِذَا اعْتَمَّ بِالْبُرْدِ الْيَمَانِي خِلْتَهُ
يَزِيدُ عَلَى فَضْلِ الرِّجَالِ فَضِيلَةً

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول ، شاعر مجيد ؛ توفي سنة ٢٤٣ ، وله ديوان شعر ، نشره الأستاذ عبد العزيز اليميني ؛ ضمن مجموعة الطرائف سنة ١٩٣٧ م . (وانظر ترجمته في الأغاني (٢٠٩ - ٣٣ ، وابن خلكات ١ : ٩ - ١١ ، ومعجم الأدباء ، ١ : ١٦٤ - ١٩٨ ، وتاريخ بغداد ٦ : ١١٧) .

فقال له إبراهيم: أنت تحسِن قائلًا، وراويًا، ومتمثلًا؛ فلما خرج تبعته وقلت له: أكتبني الأبيات، فقال: هي لأبي الجويرية العبدى^(١) نخذها من شعره .

وروى عن يحيى بن البحترى قال: رأيت أبا يذاكر جماعة من أمراء أهل الشام بعمان من الشعر، فمرّ فيها ذكر قلة نوم العاشق وما قيل فيه، فأنشدوا إنشادات كثيرة، فقال لهم أبا: قد فرغ من هذا كاتب كان بالعراق فقال:

أَحْسِبُ النُّوْمَ حَكَكََا إِذْ رَأَى مِنْكَ جَفَاكَ^(٢)
مَنَى الصَّبْرُ وَمِنْكَ أَلْ هَجَرُ فَا بُلُغْ بِي مَدَاكَ
بُعَدَتْ هِمَّةُ عَيْنٍ طَمِعَتْ فِي أَنْ تَرَآكَ
أَوْ مَا خَطَّ لِعَيْنِي أَنْ تَرَى مِنْ قَدْرَاكَ
لَيْتَ حَطَّيْتُ مِنْكَ أَنْ تَعْلَمَ مَا بِي مِنْ هَوَاكَ

قال أبا: /إنه تصرّف في معاني من الشعر في هذه الأبيات، قال: وكتبها عنه جماعة من [١٥٨] حضر؛ والأبيات لإبراهيم بن العباس الصولى .

وأخبرنا على بن محمد الكاتب قال أخبرنا محمد بن يحيى الصولى قال: لما بايع المأمون لعلى بن موسى الرضا عليهما السلام بالمهد، وأمر الناس بلبس الخضرة صار إليه دعبل^(٣) بن على

(١) اسمه عيسى بن أوس بن عصبية؛ أبو جويرية العبدى؛ شاعر محسن متمكن؛ ذكره الأمدى في المؤلفات والمختلف: ٧٩، والمرزبانى في المعجم: ٢٥٨ .

(٢) ديوان إبراهيم بن العباس: ١٤٨ .

(٣) هو دعبل بن على الحزاعى، شاعر مطبوع؛ كان هجاء خبيث اللسان؛ ولم يسلم من لسانه أحد ممن عاصره من الخلفاء والوزراء ولا من أولادهم وأولاد أولادهم؛ ولا ذو نباهة؛ أحسن إليه أو لم يحسن، وكان من مشاهير الشيعة؛ قال ياقوت «وقصيدته النائية في أهل البيت من أحسن الشعر وأسنى المدائح، قصدها على بن موسى الرضا بخراسان، فأعطاه عشرة آلاف درهم، وخلع عليه بردة من ثيابه، فأعطاه بها أهل قم ثلاثين ألف درهم فلم يبهها؛ فقطعوا عليه الطريق ليأخذوها فقال لهم: إنها تراد لله =

وإبراهيم بن العباس الصولي - وكانا صديقين لا يفتقان ، فأنشده دعبل :
مَدَارِسُ آيَاتٍ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةٍ وَمَنْزِلٌ وَحَى مُتَّفِرُّ الْعَرَاصَاتِ (١)

وأنشده إبراهيم بن العباس على مذهبه قصيدة ، أولها :

أَزَالَتْ عَزَاءَ الْقَلْبِ بَعْدَ التَّجَلُّدِ مَصَارِعُ أَوْلَادِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

قال : فوهب لها عشرين ألف درهم من الدراهم التي عليها اسمه ، وكان المأمون أمر بضربها في ذلك الوقت ؛ فأمدعبل بن علي فصار بالشطر منها إلى قم ، فاشتري أهلها منه كل درهم بعشرة ، فباع حصته بمائة ألف درهم .

= عزوجل ؛ وهي محرمة عليكم ؛ فدفعوا له ثلاثين ألف درهم ، فباع الأبيعيها أو يعطوه مضها ليكون في كفه ، فأعطوه كما واحدا ؛ فكان في أكفانه ؛ ويقال : إنه كتب القصيدة في ثوب وأحرم فيه ؛ وأوصى بأن يكون في أكفانه ، ونسخ هذه القصيدة مختلفة ، في بعضها زيادات ؛ يظن أنها مصنوعة ، وتوفي دعبل سنة ٢٤٦ .

(وانظر ترجمته في معجم الأدباء ١١ : ١٩ : ١١٢ ، وابن خلد كان ١ : ١٧٩ - ١٨٠ ، والأغاني ١٨ : ٢٩ - ٣٢ ، وتاريخ بغداد ٨ : ٣٨٢) .

(١) القصيدة في معجم الأدباء ، وتنوير الأبصار : ١٤١ ، ١٤٢ ؛ ومطلعها فيه :

ذَكَرْتُ مَحَلَّ الرَّبِّعِ مِنْ عَرَافَاتٍ وَأَجْرِيْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ بِالْمَبْرَاتِ
وَفَكَعْرِي صَبْرِي وَهَاجَتْ صَبَابَتِي رَسُومُ دِيَارٍ أَقْفَرَتْ وَعِرَاتِ
مَدَارِسُ آيَاتٍ

وفيه يقول :

أَلَمْ تَرَ أَنِي مِنْ ثَلَاثِينَ حِجَّةً أُرُوحٌ وَأَعْدُو دَائِمَ الْحَسْرَاتِ
أَرَى فِيهِمْ فِي غَيْرِهِمْ مَتَقَسَّمًا وَأَيْدِيهِمْ مِنْ فِيهِمْ صَفِرَاتِ
فَأَلِ رَسُولِ اللَّهِ نُحْفٌ جَسُومُهُمْ وَآلُ زِيَادٍ حُفْلُ الْقَصْرَاتِ
بَنَاتُ زِيَادٍ فِي الْقُصُورِ مَصُونَةٌ وَآلُ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْفَلَوَاتِ
إِذَا وَتَرُوا مَدُّوا إِلَى أَهْلِ وَتَرَهُمْ أَكْفَاءَ عَنِ الْأُوتَارِ مَنْقَبُضَاتِ
فَلَوْلَا الَّذِي أَرْجُوهُ فِي الْيَوْمِ أَوْغَدِ لَقُطِّعَ قَلْبِي إِرْهَمَ حَسْرَاتِ

وأما إبراهيم بن العباس فلم يزل عنده بعضها حتى مات؛ قال الصولي: ولم أفت من قصيدة إبراهيم على غير هذا البيت .

قال: وكان السبب في ذهاب هذا الفن من شعره ما حدثني به أبو العباس أحمد بن محمد بن الفرات والحسين بن عليّ الباقطاني^(١) قالا: كان إبراهيم بن العباس صديقاً لإسحاق بن إبراهيم أخى زيدان الكاتب المعروف بالزمن، فأنسخه شعره في عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام، وقد انصرف من خراسان، ودفع إليه شيئاً بخطه منه، وكانت النسخة عنده إلى أن ولي المتوكل، وولي إبراهيم بن العباس ديوان الضياع، وقد كان تباعد ما بينه وبين أخى زيدان، فعزله عن ضياع كانت في يده بمخون وغيرها وطلبه بمالٍ وألح عليه، وأساء مطابقتها، فدعا إسحاق بعض من يثق به من إخوانه، وقال له: امض إلى إبراهيم بن العباس، فأعلمه أن شعره في عليّ بن موسى بخطه عندي، وبغير خطه، والله لئن استمر على ظلمي^(٢)، ولم يُزل عني المطالبة لأوصان الشعر ١٠ إلى المتوكل؛ قال: فصار الرجل إلى إبراهيم بن العباس، فأخبره بذلك، فاضطرب اضطراباً شديداً، وجعل الأمر / في ذلك إلى الوسطة في ذلك حتى أسقط جميع ما كان طالبه به، وأخذ [١٦٣] الشعر منه، وأحلفه أنه لم يبق عنده منه شيء، فلما حصل عنده أحرقه بحضوره .

وذكر أبو أحمد يحيى بن عليّ المنجم أن أباه عليّ بن يحيى كان الوسطة بينهما .

قال الصولي: وما عرفت من شعر إبراهيم في هذا المعنى شيئاً إلاّ أبياتاً؛ وجدتها بخط أبي ١٥

قال: أنشدني أخى لعمه في عليّ بن موسى من قصيدة:

كفي بفعّالٍ امرئٍ عالمٍ على أهله عادلاً شاهداً^(٣)
أرى لهم طارفاً موقفاً ولا يُشبهه الطارفُ التالداً
يمنُّ عليكم بأموالكم وتُظنون من مائةٍ واحداً

(١) حاشية الأصل: الباقطان: قرية بالعراق، والنسبة إليها باقطان؛ وثم أيضاً قرية يقال لها

باقطينا؛ والنسبة إليها باقطيني . (٢) حاشية الأصل (من نسخة): « ظلمه » .

(٣) ديوانه: ١٧٢، ومن نسخة بحاشية الأصل: « على قومه عادلاً » .

فلا حَمَدَ اللهُ مُسْتَبَصِرًا^(١) يكونُ لأعدائِكُم حامدا
فَضَلْتَ قَسِيمَكَ فِي قُعْدُدٍ^(٢) كما فَضَلَ الوالدُ الوالدا

قال الصوليّ: فنظرت في قوله:

* فَضَلْتَ قَسِيمَكَ فِي قُعْدُدٍ *

٥ فوجدت عليّ بن موسى عليهما السلام والمأمون متساويين في قُعْدُدِ النسب، وهاشم التاسع من آبائهما جميعاً.

وروى الصوليّ أن منشداً أنشد إبراهيم بن العباس وهو في مجلسه في ديوان الضياع:

ربّما تَكَرَّهُ النفوسُ من الأُم رِله فَرَجَةٌ كَحَلِّ العقالِ^(٣)

قال: فنكت بقامه ساعة ثم قال:

١٠ وَرَبِّ نازلةٍ يَضِيقُ بها الفَتَى ذَرَعًا وَعِنْدَ اللهِ مِنْها مَخْرَجٌ^(٤)
كَمَلَتْ فَلَمَّا اسْتَحَكَمَتْ حَلَقَاتِهَا فُرَجَتْ وَكَانَ يَظُنُّهَا لَا تُفْرَجُ

فمجب من جودة بديهيته.

وأخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال حدثني

القاسم بن إسماعيل أبو ذكوان الراوية قال: كنت بالأهواز أيام الواثق، وإبراهيم بن العباس

١٥ يلبى معونتها وخراجها، فوصفت له بالأدب فأمر بإحضاري، فلما دخلت عليه قرّب مجلسي

[١٦٣] وقال: تسلف^(٥) أنس المطاولة؛ فإن الاستمتاع لا يتم إلاّ به، فانبسطت وتساءلنا/ عن الأشعار،

فأرأيت أحدا قط أعلم بالشعر منه، فقال لي: ما عندك في قول النابغة:

(١) حاشية الأصل (من نسخة): ❦ فَلَا حَمَدَ اللهُ مُسْتَبَصِرٌ ❦

(٢) حاشية الأصل: « في قعدد » تتعلق بقسيمك، والقعدد: الأقرب إلى الأب الأكبر، وفلان أفعد

من فلان نسباً إذا كان أقرب إلى الأب الأكبر. (٣) البيت لأمية بن أبي الصلت؛ وهو في شعراء

النصرانية: ٢٠٣، واللسان (فرج). والفرجة: بالفتح مصدر؛ وبالضم اسم، والرواية بالفتح.

(٤) ديوانه: ١٧١. (٥) حاشية الأصل: تسلف؛ أي خذه سلفاً؛ يعني أنك ستنبسط

إلى بعد المطاولة؛ فخذ ذلك سلفاً وانبط.

ألم ترَ أن الله أعطاك سورةً ترى كلَّ ملكٍ دونها يتدبَّدبُ^(١)
فإنك شمسٌ والملكُ كواكبٌ إذا طلعتْ لم يبدُ منهنَّ كوكبٌ

فقلت : أراد تفضيله على الملك، فقال: صدقت، ولكن في الشعر حَبٌّ^(٢)، وهو أنه اعتذر إلى النعمان من ذهابه إلى آل جفنة إلى الشام، ومدَّحِه لهم، وقال : إنما فعلت هذا لجفائك بي، فإذا صلحت لي لم أرددُ غيرك، كما أنَّ مَنْ أضاءت له الشمس لم يحتجْ إلى ضوء الكواكب؛^٥ فأني بمعنىين: بهذا، وبتفضيله، قال : فاستحسنْتُ ذلك منه .

وكان إبراهيم بن العباس من أصدق الناس لأحمد بن أبي دؤاد، فمَتَّب على ابنه أبي الوليد من شيء قدَّمه، ومدح أباه وأحسن في التخصُّص كلَّ الإحسان فقال :

عَفَّتْ مَسَاوِي تَبَدَّتْ مِنْكَ وَاضِحَةً على محاسنِ بقَّأها أبوك لَكَا^(٣)
لئن قدَّم أبناءُ الكرامِ بهِ لقد قدَّم أبناءُ اللثامِ بِكَا
ولإبراهيم :

تمرُّ الصِّبَا صَفْحًا بساكنِ ذى الفضا ويصدعُ قلبي أن يهَبَّ هُبُوبُهَا^(٤)
قريبةٌ عهدٍ بالحبيبِ وإنما هَوَى كلِّ نفسٍ حيثُ كان حَبِيبُهَا
تَطَّلَعُ من نَفْسِي إِلَيْكَ نَوَازِعٌ عَوَارِفُ أنَّ اليأسَ مِنْكَ نصيبُهَا
وأخذ هذا من قول ذى الرُّمَّة :

إذا هَبَّتِ الأرواحُ من نحوِ جانب به آلِ ميِّ هاجَ شوقِي هُبُوبُهَا^(٥)
هوىٌ تذرِفُ العينانِ منه، وإنما هوى كلِّ نفسٍ حيثُ كان حَبِيبُهَا
ولإبراهيم :

دنتُ بأناسٍ عن تناءِ زيارةٍ وشطَّ بليلى عن دنوِّ مزارُهَا^(٦)
وإنَّ مقيمتٍ بمنقطعِ اللوى لأقربُ من ليلي وهاتيكَ دارُهَا
٢٠

(١) ديوانه : ١٣ . (٢) الحُبء : ماخيء واستتر، كالخبيء . (٣) ديوانه : ١٦٢ .
(٤) ديوانه : ١٣٩ . (٥) ديوانه : ٦٥ - ٦٦ .
(٦) ديوانه : ١٤٥ ، وفي حاشية الأصل : « يروى البيتان لمحمد بن عبد الملك الزيات » .

/ وأخذ ذلك من قول النظار الفقمسيّ:

يقولون هَـذِي أُمِّ عَمْرٍو قَرِيبَةٌ دَنَتْ بِكَ أَرْضٌ نَحْوَهَا وَسَمَاءُ
أَلَا إِنَّمَا بُمِدُّ الْحَبِيبِ وَقُرْبُهُ إِذَا هُوَ لَمْ يَوْصَلْ إِلَيْهِ سَوَاءُ

ووجدت بعض أهل الأدب يظنّ أن إبراهيم بن العباس سبق إلى هذا المعنى في قوله :

كُنْ كَيْفَ شِئْتَ وَأَنْتَ تَشَاءُ وَأَبْرِقْ يَمِينًا وَأُرْعِدْ شِمَالًا^(١)
نِجَابِكَ لَوْ مُكَّ مَنْجَى الذُّبَابِ حَمْتُهُ مَقَاذِيرُهُ أَنْ يُنَالَا^(٢)

حتى رأيت مُسلم بن الوليد قد سبق إلى هذا المعنى ، فأحسن غاية الإحسان فقال :
أَمَّا الْمَهْجَاءُ فَدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ وَالْمَدْحَ عَنْكَ كَمَا عَلِمْتَ جَلِيلُ^(٣)
فَاذْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقُ عِرْضِكَ إِنَّهُ عِرْضٌ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ

(١) ديوانه : ١٦٣ . (٢) من نسخة بحاشية الأصل : « مقاديره » .

(٣) ملحقات ديوانه : ٢٤٢ .

مَجْلِسُ آخِرِ

تَأْوِيلُ آيَةِ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى حَاكِيًّا عَنْ يُوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ ، [يوسف : ٢٣] .

فقال : إذا كانت المحبة عندكم هي الإرادة، فهذا تصريح من يوسف عليه السلام بإرادة

- المعصية؛ لأن حبسه في السجن، وقطعه عن التصرف معصية من فاعله؛ وقبيح من المقدم عليه؛ وهو في القبح يجري مجرى ما دُعي إليه من الزنا . وقوله من بعد : ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾ يدل على أن امتناعه من القبيح (١) مشروط بمنعهنَّ وصرْفهنَّ (٢) عن كيدِه؛ وهذا بخلاف مذهبكم ، لأنكم تذهبون إلى أن ذلك لا يقع منه ؛ صرْف النسوة عن كيدِه، أو لم يصرْفهنَّ .

الجواب، قلنا: أما قوله: ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ ففيه وجهان من التأويل: ١

- أولهما أن المحبة متملقة في ظاهر الكلام بما لا يصح في الحقيقة أن يكون محبوباً مراداً؛ لأنَّ السجن إنما هو الجسم، والأجسام لا يجوز أن يريدوها؛ وإنما يريد الفعل فيها ، أو المتعلق بها؛ والسجن نفسه (٢) ليس / بطاعة ولا معصية ، وإنما الأفعال فيه قد تكون طاعات [١٦٤] ط ومعاصي بحسب الوجوه التي يقع عليها؛ وإدخال القوم يوسف عليه السلام الحبس ، أو إكراههم له على دخوله معصية منهم ؛ وكونه فيه وصبره على ملازمته ، والمشاق التي تناله باستيطانه ١٥ طاعة منه وقربة، وقد علمنا أن ظالماً لو أكره مؤمناً على ملازمة بعض المواضع ، وترك

(١-١) د ، ف : « مشروط بمنعهم وصرْفهم » .

(٢) حاشية ف (من نسخة) : « وحده » .

التصرف في غيره لكان فعلُ المُكره حسناً، وإن كان فعلُ المُكره قبيحاً. وهذه الجملة تبين
الأظاهرَ في الآية^(١) يقتضى ما عنده؛ وأنه لا بدّ من تقدير محذوف يتعلق بالسّجن؛ وليس
لهم أن يقدّروا ما يرجع إلى الحابس من الأفعال؛ إلّا ولنا أن تقدّر ما يرجع إلى المحبوس؛
وإذا احتتمل الكلام الأمرين، ودلّ الدليل على أن النبيّ عليه السلام لا يجوز أن يريد المعاصي
والتبائح اختصّ المحذوف التقدير بما يرجع إليه مما ذكرناه، وذلك طاعةٌ لا لومَ على مریده
وُحبه.

فإن قيل: كيف يجوز أن يقول: ﴿السّجّنُ أحبُّ إلىّ ممّا يدعُونى إليه﴾، وهو لا يجب
ما دعوه جملةً؛ ومن شأن هذه اللفظة أن تدخلَ بين ما وقع^(٢) فيه اشتراكٌ في معناها؛ وإن
فُصل البعض على البعض؟

١٠ قلنا: قد تُستعمل هذه اللفظة في مثل هذا الموضع؛ وإن لم يكن في معناها اشتراكٌ على
الحقيقة، ألا ترى أن من خيّر بين ما يحبه وما يكرهه جاز أن يقول: هذا أحبُّ إلىّ
من هذا، وإن لم يجوز مبتدئاً أن يقول من غير أن يُخيّر: هذا أحبُّ إلىّ من هذا، إذا كان
لا يُحبُّ أحدهما جملة!

وإنما يسوغ ذلك على أحد الوجهين دون الآخر؛ من حيث كان الخيّر بين الشئين لا يخيّر
١٥ بينهما إلّا وهما مرادان له، أو مما يصحُّ أن يريدَهما، فموضوع التخيير يقتضى ذلك،
وإن حصل فيما ليس هذه صفته، والمجيب على^(٣) هذا متى قال: كذا أحبُّ إلىّ من
كذا كان مجيباً على ما يقتضيه موضوع التخيير، وإن لم يكن الأمران يشتركان في تناول
محبه.

وما يقارب ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾؛ [الفرقان . ١٥]، ونحن
٢٠ نعلمُ ألاّ خيرَ في العقاب؛ وإنما حَسُنَ ذلك لوقوعه موقعَ التوبيخ والتقرير على اختيار

(١) حاشية ف (من نسخة): « للآية ». (٢) حاشية ف (من نسخة): « يقع » .

(٣) حاشية ف (من نسخة): « عن هذا » .

المعاصي على الطاعات ، وأنهم ما ركبوا المعاصي وآثروها على الطاعات إلا لاعتقادهم^(١) أن فيها خيرا / ونفعاً ، فقيل : أذلك خير على ما تظنونه وتعتمدونه ، أم كذا وكذا ؟ [١٦٥] و قد قال قوم في قوله تعالى : ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ ﴾ إنما حسن ذلك لاشتراك الحالين في باب المنزلة ، وإن لم يشتركا في الخير والنفع ، كما قال تعالى : ﴿ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ ؛ [الفرقان : ٢٤] ، ومثل هذا يتأتى في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾ لأنَّ الأمرين - يعني المعصية ودخول السجن - مشتركان في أن لكل منهما داعياً ، وعليه باعثاً ، وإن لم يشتركا في تناول المحبة ، فجعل اشتركا كهما في داعي المحبة اشتراكا في المحبة نفسها وأجرى اللفظ على ذلك .

ومن قرأ هذه الآية بفتح السين فالتأويل أيضا ما ذكرناه ؛ لأن «السَّجْنِ» المصدر، فيحتمل أن يريد : أن سَجَنِي لهم نفسي ، وصبري على حبسهم أحبُّ إليَّ من موقعة المعصية ؛ ولا يرجع ١٠ بالسجن إلى فعلهم بل إلى فعله .

والوجه الثاني أن يكون معنى ﴿ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾ أي أهون عندي وأسهل عليَّ ؛ وهذا كما يقال لأحدنا في الأمرين يكرههما معا : إن فعلتَ كذا وإلا فعل بك كذا وكذا ؛ فيقول : بل كذا أحبُّ إليَّ ، أي بمعنى أسهل وأخفُّ ، وإن كان لا يريد واحدا منهما ؛ وعلى هذا الجواب لا يمتنع أن يكون إنما عَنِي فعلهم به دون فعله ، لأنه لم يخبر عن نفسه بالمحبة التي هي الإرادة ؛ ١٥ وإنما وضع ﴿ أَحَبُّ ﴾ موضع أخف ، والمعصية قد تكون أهون وأخف من أخرى .

وأما قوله : ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾ فليس المعنى فيه على ما ظنَّه السائل ؛ بل المراد : متى لم تلطف لي مما يدعوني إلى مجانبة المعصية ، وتبينيني إلى تركها ومفارقتها صوبتُ ؛ وهذا منه عليه السلام على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى ، والتسليم لأمره ، وأنه لولا معونته ولطفه ما نجا من كيدهنَّ ؛ ولا شبهة في أن النبي عليه السلام إنما يكون ٢٠

(١) حاشية ف (من نسخة) : « لاعتقادهم » .

معصوماً من القبائح بعصمة الله تعالى له وبلفظه وتوفيقه .

فإن قيل: الظاهر خلاف ذلك لأنه قال: ﴿وَالْإِلاَّ تَصْرِفُ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾^(١) فيجب أن يكون المراد ما يمنعهم من الكيد ويرفعه ؛ والذي ذكرتموه من انصرافه عن المعصية لا يقتضى ارتفاع الكيد والانصراف عنه .

[١٦٥] قلنا: معنى الكلام: وإلا تصرف/ عنى ضرر كيدهن والغرض به ؛ لأنهن إنما أُجْرَيْنَ بكيدهن إلى مساعدته لهن على المعصية ، فإذا عُصِمَ منها ولُطِفَ له في الانصراف عنها؛ فكان الكيد قد انصرف عنه ولم يقع به ، من حيث لم يقع ضرره وما أُجْرِيَ به إليه ، ولهذا يقال لمن أُجْرِيَ بكلامه إلى غرض لم يقع: ما قلت شيئاً ، ولمن فعل ما لا تأثير له: ما فعلت شيئاً ، وهذا بين بحمد الله ومنه .

تأويل خبر

١٥ إن سأل سائل عن تأويل الخبر الذي يرويه عُثْبَةُ بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال في خطبة طويلة خطبها: « من يتبع الشَّمْعَةَ يَشْمَعُ اللهُ به » .

والجواب ، إن الشَّمْعَةَ هِيَ الضَّحِكُ والمُزَاحُ واللَّهَبُ ، يقال: شَمِعَ الرَّجُلُ يَشْمَعُ شَمَوْعًا ، وامرأة شَمَوْع إذا كانت كثيرة المزاح والضحك : قال أبو ذؤيب يصف الحمير :

بقرارِ قِيَمَانَ سَقَاها وإِبِلٌ وإِهٍ فَأَنْجَمَ بُرْهَةً لَا يُقْلِعُ^(١)

فَلَبِثْنَ حِينًا يَعْتَلِجْنَ بَرَوْضَةً فَيُجِدُّ حِينًا فِي الْعِلَاجِ وَيَشْمَعُ^(٢) ١٥

أراد أن هذا الحمار الذي وصف حاله مع الأتن ، وأنه معهن في بعض القيمان يُبارك هذه الأتن .

(١) ديوان الهذليين ١ : ٥ . الفرار : مستقر الماء . والقيمان : مناقع الماء في حر الطين ؛ وفي حاشيتي الأصل ، ف : « سقاها ، أى سقى القيمان وإه ؛ أى سحاب كثير المطر ؛ وهذه استمارة ؛ أى كأن هذا السحاب ضعيف فينهل عنه الماء انهلالاً . وأنجم : أقام برهة ؛ أى مدة من الزمان لا يقلع ولا يذهب .
(٢) حاشية الأصل : « يروى ، « بروضة » ، والضمير للبعير الذى يصفه ، أو للقرار ، أو للوابل .»

ومعنى « يَمْتَلِجُنْ » يُعَاضُ بعضها بعضاً، ويتراخُنْ من النشاط فيجدُ الفحل معهنَّ مرّةً، وأخرى يأخذ معهنَّ في اللعب فيشَمَعُ، وفي يجدد لغتان: يَجِدُّ وَيُجِدُّ، والفتوح لغة هذيل؛ ويقال فلان جادٌ مُجددٌ على اللغتين معاً.

وقيل إن معنى يَشْمَعُ الحمار أنه يَتَشَمَعُ، ثم يرفع رأسه فيكثُر عن أسنانه، فجمل ذلك بمنزلة الضحك، قال الشماخ:

ولو أنى أشاءُ كنتُ نفسى إلى لباتٍ بهكئةٍ شوع^(١)

وقال المتنخل الهذلي:

ولاً والله نادى الحى ضيفى هدىءاً بالمساءة والملاط^(٢)
سأبدؤهم بمشمةٍ وأنى بجهدى من طعامٍ أو بساطٍ

أراد بقوله « نادى الحى ضيفى » أى لا ينادونه، من النداء بالسوء والمكروه ولا يتلقونه بما لا يؤثر / والملاط: من أعلطه واعتلط به؛ إذا خاصمه وشاغبه ووسمه بالشر؛ وأصله من [١٦٦] علاط البعير، وهو وسم في عنقه.

وقيل إن معنى « نادى الحى » من النادى؛ أى لا يجالسونه بالمكروه والسوء.

ومعنى « سأبدؤهم بمشمة » أى بلعب وضحك، لأن ذلك من علامات الكرم والسرور

بالضيف، والقصد إلى إيناسه وبسطه، ومنه قول الآخر:

وربَّ ضيفٍ طرَّقَ الحى سرى صادفَ زاداً وحديثاً ما اشتهى

إنَّ الحديثَ جانبٌ من القرى^(٣)

وروى الأصمعى عن خاف الأحرار قال: سُنَّةُ الأعراب أنهم إذا حدَّثوا الرجل الغريبَ

(١) ديوانه: ١٧؛ وروايته: « هيكله »؛ وهى الضخمة. وكنت نفسى: سترتها. ولبات:

جمعية؛ وهى موضع الفلاة؛ والبهكئة: الغضة الحسنه الخلق.

(٢) ديوان الهذليين ٢: ٢١. (٣) الأبيات للشماخ يقولها فى عبد الله بن جعفر، وقبلها:

إنك يا بن جعفرٍ نعمَ الفتى ونعم ماوى طارقٍ إذا أنى

وانظر الأغاني ٩: ١٦٨ (طبع دار الكتب المصرية).

وهشوا إليه ومازحوه أيقن بالقرى ، وإذا أعرضوا عنه عرفَ الحرمان .
ومعنى : « أئبني * بجهدى من طعامٍ أو بساطٍ » ، أى أتبع ذلك بهذا .

ومعنى الخبر على هذا أن مَنْ كان من شأنه العبث بالناس والاستهزاء بهم ، والضحك منهم أصاره الله تعالى إلى حالة يُعبث به فيها ، ويستَهزأ منه .

٥ ويقارب هذا الحديث من وجه حديث آخر ؛ وهو ما زوى عن النبي صلى الله عليه وآله : « من يُسمِع الناس بعمله يُسمِع الله به » ؛ والمعنى : مَنْ يرأى ^(١) بأعماله ويظهرها تقرباً إلى الناس واتخاذاً للمنازل عندهم ؛ يشهره ^(٢) الله بالرياء ويفضحه ويهتكه .

ويمكن أيضاً فى الخبر الأول وجه آخر لم يذكر فيه ؛ وهو أن من عادة العرب أن يسموا الجزاء على الشيء باسمه ؛ ولذلك نظائر فى القرآن وأشعار العرب كثيرة مشهورة ، فلا يُنكر أن يكون المعنى : مَنْ يتَّبِع الله بالناس ، والاستهزاء بهم يعاقبه الله تعالى على ذلك ويجازيه ؛ فسمى الجزاء على الفعل باسمه ؛ وهذا الوجه أيضاً ممكن فى الخبر الثانى .

أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن بن أخى الأصمعى عن عمه قال : إني لفي سوق ضريبة ^(٣) ، وقد نزلت على رجل من بنى كلاب كان متزوجاً بالبصرة ، وكان له ابن بضريبة ، إذ أقبلت عجوز على ناقة لها ، حسنة اليزة ، فيها بقايا جمال ، فأناخت / ^ط [١٦٦] وعقلت ناقها ، وأقبلت تتوكأ على محجن ^(٤) لها فجلست قريباً منّا ، وقالت : هل من منشد؟ فقلت للكلابى : أيحضرك شيء؟ قال : لا ، قال : فأنشدتها شعر البشر بن عبد الرحمن الأنصارى :
وقصيرة الأيام ودّ جليسها لو باع مجلسها بفقد حميم ^(٥)

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « من يراء » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « يشهره » ، بالجزم . (٣) ضريبة : قرية بنجد فى طريق مكة

من البصرة . (٤) المحجن : عصا معوجة معقفة الرأس ؛ فى رأسها حديدة كالمعلق .

(٥) الأبيات فى الحماسة - بشرح التبريزى ٣ : ٣٠١ ، وأمالى القالى . ١ : ٢٠٣ ، من غير عزو مع اختلاف

فى الترتيب . والبيت الأول منها فى اللسان (ردع) منسوب إلى قيس بن معاذ مجنون بنى عامر . وفى الحماسة :

« لو نال مجلسها » ، وفى أمالى القالى : « لو دام مجلسها » .

(١) مِنْ مُحْدِيَاتِ أَخِي الْمَوَى غُصَصَ الْجَوَى (١)
 بدلالٍ غَانِيَةٍ وَمُقَلَّةٍ رَمِيهِ
 صَفْرَاءُ مِنْ بَقَرِ الْجَوَاءِ كَأَنَّمَا
 خَفَرُ الْحِيَاءِ بِهَا رُدَاعُ سَقِيمٍ (٢)
 قَالَ : فَجِئْتُ عَلَى رُكْبَتَيْهَا وَأَقْبَلْتُ تَحْرِشُ (٣) الْأَرْضَ بِمَحْجَبِهَا ، وَأَنْشَأْتُ تَقُولُ (٤) :
 قَفِي يَا أَمِيمَ الْقَلْبِ (٥) تَقْرَأُ تَحِيَّةً
 وَنَشِكُ الْمَوَى ، ثُمَّ أَفْعَلِي مَا بَدَأَ لَكَ (٦)
 فَلَوْ قُلْتُ : طَأْفِي النَّارِ أَعْلَمُ أَنَّهُ (٧)
 لَقَدَّمْتُ رِجْلِي نَحْوَهَا فَوَطِئْتُهَا
 هَوَى لَكَ ، أَوْ مُدْنٍ لَنَا مِنْ وَصَالِكَ •
 لَقَدَّمْتُ رِجْلِي نَحْوَهَا فَوَطِئْتُهَا
 (٨) هُدَى مِنْكَ لِي ، أَوْ ضَلَّةً مِنْ ضَلَالِكَ (٨)
 سَلَى الْبَانَةَ الْعَلِيَّامِينَ الْأَجْرَعِ (٩) الَّذِي
 بِهِ الْبَانُ : (١٠) « هَلْ حَيَّتْ أَظْلَالَ دَارِكَ (١٠) »
 وَهَلْ قُمْتُ فِي أَظْلَالِهَا عَشِيَّةً
 (١١) مَقَامَ سَقِيمِ الْقَلْبِ (١١) ، وَاخْتَرْتُ ذَلِكَ

(١-١) مِنْ نَسْخَةِ بِحَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ف :

* مِنْ مُحْدِيَاتِ أَخِي الْأَسَى غُصَصَ الْمَوَى *

(٢) الْجَوَاءُ : مَوْضِعُ بَعَاثِ . (٣) تَحْرِشُ : تَضْرِبُ عَلَيْهَا ؛ مِنْ حَرَشَ الضَّبَّ ، وَالْحَرِشُ

كَالْحَرِشِ وَهُوَ الْحَدَشُ .

(٤) الْأَبْيَاتُ لِابْنِ الدِّينِيَّةِ ؛ دِيْوَانُهُ : ١٥ ، وَأَمَالِيُّ الزَّجَاجِيِّ ١١٠ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ ، وَأَمَالِيُّ

الْقَالِي ٢ : ٣٣ عَنْ ابْنِ دَرِيدٍ ، وَمَعَاهِدُ التَّنْصِيصِ ١ : ١٥٩ ؛ وَهِيَ أَيْضًا فِي الْحَمَّاسَةِ - بِشَرْحِ التَّبْرِيزِيِّ

٣ : ٢٦٣ ، مِنْ غَيْرِ عَزْوٍ . (٥) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ : « أَضَانَهَا إِلَى الْقَلْبِ كَرَامَةً لَهَا وَإِعْجَابًا بِهَا » .

(٦) فِي حَاشِيَتِي الْأَصْلِ ف : « الْأَحْسَنُ أَنْ يُقَالَ : « بَدَالِكَ » بِكَسْرِ الْمَلَامِ لِتَتَوَازَنَ الْقَوَائِي ،

وَالْعَلَّةُ فِيهِ مَجَاوِرَةٌ كَسْرَةَ السَّكَافِ كَقِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ : ﴿ مِمَّا خَطِيئَاتُهُمْ ﴾ ، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ عَتِيًّا ﴾ ، وَ﴿ صَلِيًّا ﴾ .

(٧) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ (مِنْ نَسْخَةٍ) : « أُنْهَا » .

(٨ - ٨) مِنْ نَسْخَةِ بِحَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ف :

* سُورًا لِأَنِّي قَدْ خَطَرْتُ بِبَالِكَ *

(٩ - ٩) مِنْ نَسْخَةِ بِحَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ف : « سَلَى الْبَانَةَ الْغَيْنَاءُ بِالْأَجْرَعِ » ، وَهِيَ رِوَايَةٌ

الْحَمَّاسَةِ . وَالْغَيْنَاءُ : الشَّجَرَةُ الْعَظِيمَةُ الْوَاسِعَةُ الظِّلِّ . وَالْأَجْرَعُ : السَّهْلُ الْمُخْتَلِطُ بِالرَّمْلِ .

(١٠ - ١٠) مِنْ نَسْخَةِ بِحَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ف : « هَلْ حَيَّتْ أَظْلَالَ ضَالِكَ » ، وَالضَّالُّ : شَجَرَةٌ .

(١١ - ١١) مِنْ نَسْخَةِ بِحَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ف : « قِيَامَ سَقِيمِ الْبَالِ » .

لِيَهْنِكَ^(١) إِمْسَاكِ بَكَفِّي عَلَى الْحِشَا وَرَقْرَاقُ عَيْنِي^(٢) رَهْبَةً^(٣) مِنْ زِيَالِكَ^(٤)

قال الأصمعي: فأظلمت والله على الدنيا بحلاوة منطقتها، وفصاحة لهجتها؛ فدنوت منها

فقلت: نَشَدْتُكَ اللهُ لَمَّا زَوَّدْتَنِي^(٤) من هذا! فرأيت الضحك في عينها، وأنشدت:

وَمُسْتَخْفِيَاتٍ لَيْسَ يَخْفَيْنَ زُرْنَا يُسَجِّن^(٥) أَذْيَالَ الصَّبَابَةِ وَالشَّكْلِ^(٦)

جَمَعْنَ^(٧) الْهَوَى حَتَّى إِذَا مَا مَلَكَهُ نُزَعْنَ، وَقَدْ أَكْثَرْنَ فِينَا مِنَ الْقَتْلِ

مَرِيضَاتٍ رَجَعِ الْقَوْلُ^(٨) خُرْسٍ عَنِ النَّخَا

تَأَلَّفَنَ أَهْوَاءَ الْقُلُوبِ بَلَا بَدَلِ

مَوَارِقٍ مِنْ خَتْلِ الْحَبِّ، عَوَاطِفِ بَحْتَلِ ذَوِي الْأَبَابِ بِالْجِدِّ وَالْمَزْلِ^(٩)

يُعْنَفُنِي الْعَدَالُ فِيهِنَّ، وَالْهَوَى يُحَذِّرُنِي مِنْ أَنْ أُطِيعَ ذَوِي الْعَدْلِ

١٠ أما قول الأنصاري «وقصيرة الأيام» فأراد بذلك أن السرور يتكامل بحضورها لحسنها

[١٦٧] / وطيب حديثها فتقصر أيام جلسها، لأن أيام السرور موصوفة بالقصر.

ويمكن أن يريد بقصيرة الأيام أيضا حدائة سنّها وقُرْبَ عهد مولدها؛ وإن كان الأول

أشبه بما أتى في آخر البيت.

(١) حاشية الأصل (من نسخة): «ليهنك»؛ وهي رواية الحماسة.

(٢) حاشية الأصل (من نسخة): «ورقراق دمع».

(٣) بعد هذا البيت في ف:

لَنْ سَاءَنِي أَنْ نَلْتَنِي بِمَسَاءَةٍ لَقَدْ سَرَنِي أُنِّي خَطَرْتُ بِيَالِكَ

وهو أيضا في حاشية الأصل.

(٤) حاشية الأصل (من نسخة): «زودتني» ومن نسخة أخرى: «زدتني».

(٥) من نسخة بحاشيتي الأصل، ف: «ويسجن»

(٦) الأبيات في أمالي الفالي ٢: ٢٨٧ غير منسوبة (٧) من نسخة بحاشيتي الأصل:

«بلغن» (٨) من نسخة بحاشيتي الأصل، ف: «الطرف».

(٩) في حاشيتي الأصل، ف: «أى لا يختلنن الحب، بل يختلنن ذوى الأبواب».

ومعنى:

* لوباعٌ مجاسمها بفقد حميمٍ *

أى ابتاعه ، وهذا اللفظ من الأضداد؛ لأنه يستعمل في البائع والمشتري معاً، قال الفراء:

سمعت أعرابياً يقول: بَعَّ لى تمرّاً بدرهم ، أى اشترى تمرّاً بدرهم ، وقال الشاعر:

٥ فَيَا عَزُّ لَيْتَ النَّأْيَ إِذْ حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ بَاعَ الْوُدَّ لِي مَنَّكَ تَا جِرَ (١)

أى ابتاع .

وقوله: « من مُجَذِّيَاتِ أَخِي الْمَهْوَى » أى من مُعْطِيَاتِ ، يقال: أخذت الرجل من

العطية (٢) والغنيمة أُحْذِيهِ إِذَا أُعْطِيَتْهُ ، والاسم الحَذِيَّةُ والحِذْوَةُ والحُذْيَا ؛ كل ذلك العطية .

وقوله:

١٠ * كَأَنَّمَا خَفَرُ الْحِيَاءِ بِهَا رُدَاعٌ سَقِيمٌ *

فالرُدَاعُ هو الوجع فى الجسد ؛ فكأنه أراد أنها منقبضة منكسرة من الحياء كالسقيم،

أويريد تغيرَ لونها وصفرتها (٣) كما يتغير لون السقيم؛ ويجرى ذلك مجرى قول ليلى الأخيلية:

وَمُخْرِقٍ عَنْهُ الْقَمِيصُ تَحَالُهُ بَيْنَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحِيَاءِ سَقِيماً (٤)

أخبرنا الرزبانى قال حدثنا أبو عبدالله الحكيمى قال حدثنى ميمون بن هارون الكاتب

قال: حدثنا ابن أخى الأصمعى عن عمه قال : لقيت أعرابياً بالبادية فاسترشدته إلى مكان ، ١٥

فأرشدنى وأنشدنى :

(١) البيت لكثير ؛ وهى فى ديوانه ١ : ٩٠ .

(٢) ساقطة من م .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « صفرتها » . (٤) من أبيات فى الحماسة - يشرح التبريزى

٤ : ١٥٥ ؛ والعينى ٢ : ٤٧ ، وأمالى القالى ١ : ٢٤٨ وفى م بعد هذا البيت :

حَتَّى إِذَا خَفَقَ اللِّوَاءُ رَأْيَتَهُ تَحْتَ اللِّوَاءِ عَلَى الخَمِيصِ زَعِيماً

ليس العمى طول السؤال وإنما تمام العمى طول السكوت على الجهل
 ثم رجعت إلى البصرة فسكنت بها حيناً ، ثم قدمت البادية ، فإذا بالأعرابي جالساً
 بين ظهراني قوم ؛ وهو يقضى بينهم ، فما رأيت قضية أخطأت قضية الصالحين من قضيتته ؛
 فجلست إليه ، فقلت : يرحمك ! الله أما من رشوة ؟ أما من هدية ؟ أما من صلة ؟ فقال : لا إذا
 جاء هذا ذهب التوفيق ؛ فشكوت إليه ما ألقى من عدل حليلة لي إياي في طلب المعيشة ،
 فقال : لست فيها بأوحد ، وإني لشريكك ، ولقد قلت في ذلك شعراً ، فقلت : أنشدني ،
 فأنشدني :

[١٦٧] / باتت تُعيرني الإقتارَ والعدما
 ظ عُنْفُ لِرَأْيِكَ ! مَا الْأَرْزَاقُ مِنْ جَلْدٍ ،
 ١٠ يَا أُمَّةَ اللَّهِ إِنِّي لَمْ أَدْعُ طَلِبًا
 وكل^(١) ذَلِكَ بِالْإِجْمَالِ فِي طَلَبِ
 لو كَانَ مِنْ جَلْدِ ذَا الْمَالِ أَوْ أَدَبِ
 ارْضَى مِنَ الْعَيْشِ مَا لَمْ تُخَوِّجِي مَعَهُ
 وَاسْتَشْمَرِي الصَّبْرَ عَلَّ اللَّهُ خَالِقِنَا
 ١٥ لَا تُخَوِّجِيْنِي^(٣) إِلَى مَا لَوْ بَدَلْتُ لَهُ
 بِاللَّهِ سِرَّكَ أَنَّ اللَّهَ خَوَّلَنِي
 مَا سَرَّنِي أَنَّنِي خَوَّلْتُ ذَاكَ وَلَا
 وَأَنْنِي لَمْ أُحْزِ^(٤) عَقْلًا وَلَا أَدَبًا
 فَعَسْرَةُ الْمَرْءِ^(٥) أُخْرَى فِي مَعَاشِكَ مِنْ

لَمَّا رَأَتْ لِأَخِيهَا الْمَالَ وَالخَدَمَا
 وَلَا مِنَ الْعِجْزِ ؛ بَلْ مَقْسُومَةٌ قِسْمَا
 لِلرِّزْقِ - قَدْ تَعَلَّمِينَ - الشَّرْقَ وَالشَّامَا
 لَمْ أُرِدْ عِرْضًا ، وَلَمْ أَسْفِكْ لِذَاكَ دَمًا
 لَكُنْتُ أَكْثَرَ مِنْ نَمْلِ الْقَرْمَى نَعْمًا
 أَنْ تَفْتَحِي لِسُؤَالِ الْأَغْنِيَاءِ فَمَا
 يَوْمًا سَيَكْشِفُ عَنَّا الْفَقْرَ وَالْعَدَمَا^(٢)
 نَفْسِي لِأَعْقَبِكَ التَّهْمَامَ وَالنَّدَمَا
 مَا كَانَ خَوْلَهُ الْأَعْرَابَ وَالْمَجْمَا
 إِلَّا أَقُولُ لِبَاغِي حَاجَةٍ نَعْمًا
 وَلَمْ أَرِثْ وَالِدِي بَجْدًا وَلَا كَرَمًا
 أَمْرٌ يَجْرُ عَلَيْكَ الْهَمُّ وَالْأَلَمَا

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « فكل » .
 (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « مع نون التوكيد » .
 (٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « لا تخوِّجني » .
 (٤) حاشيتي الأصل (من نسخة) : « لم أفد عقلا » .
 (٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « ففسرة المال » .

قال: فوالله ما أنشدتها حتى حلفت ألا تمذلني أبداً .

حدثنا علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال: رأيت بقاء شاباً من بني عامر؛ فما رأيت بدويًا أفصح منه، ولا أظرف؛ فوالله لكانه شواطئ يتلظي، فاستنشدته فأنشدني:

فَلَمْ أَنْسَكُمُ يَوْمَ اللَّوَى إِذْ تَعَرَّضْتُ لَنَا أُمَّ طِفْلٍ خَاذِلًا قَدْ تَحَلَّتْ (١)
 وَقَالَتْ سَأُنْسِيكَ الْعَشِيَّةَ مَا مَضَى وَأَصْرِفُ مِنْكَ النَّفْسَ عَمَّا أَجَنَّتْ (٢)
 فَمَا (٣) فَعَلْتُ - لَا وَالَّذِي أَنَا عَبْدُهُ - عَلَى مَا بَدَأَ مِنْ حُسْنِهَا إِذْ أَدَلَّتْ
 أَبْتُ سَابِقَاتُ الْحُبِّ إِلَّا مَقَرَّهَا إِلَيْكَ ، وَمَا تُثْنِي إِذَا مَا اسْتَقَرَّتْ
 هَوَاكِ الَّذِي فِي النَّفْسِ أَمْسَى دَخِيلُهَا عَلَيْهِ انطَوَتْ أَحْشَاؤُهَا وَاسْتَمَرَّتْ

وأنشدني أيضاً:

١٠

دِيَارُ لَتَّى طَرَقْتِكَ وَهَنَا بَرِيًّا رَوْضَةً وَذَكَاءٍ رَنْدٍ (٤)
 تُسَائِلُنِي وَأَصْحَابِي هُجُودُ وَتُثْنِي عِطْفَهَا مِنْ غَيْرِ صَدِّ
 فَلَمَّا أَنْ شَكَّوتُ الْحُبَّ قَالَتْ: فَإِنِّي فَوْقَ وَجْدِكَ كَانَ وَجْدِي
 وَلَكِنْ حَالِ دُونِكَ ذُو شِدَاةٍ أُسْرُ بِفَقْدِهِ وَيَهْرُ فَقْدِي (٥)

وبهذا الإسناد عن الأصمعي قال: قعدت إلى أعرابي يقال له إسماعيل بن عمار، وإذا ١٥

هو يفتل أصابعه ويتلفه، فقلت له: علامَ تتلفه؟ فأنشأ يقول:

عَيْنَايَ مَشْمُومَتَانِ وَيُجْهِمَا! وَالْقَلْبُ حَيْرَانٌ (٦) مُبْتَلَى بِهِمَا

(١) الخاذل من الظباء: التي تتخلف عن صواحبها. (٢) حاشية الأصل: «أى أصرف نفسي عنك

عما أجنته». (٣) حاشية الأصل (من نسخة): «فلا فعلت».

(٤) الدهن: الليل ساعة يدبر. والرند: شجر طيب الرائحة.

(٥) الشداة: الحدة، ويهر: يكره. (٦) من نسخة بحاشيتي الأصل، ف: «حران».

عَرَفْتَاهُ الْهُوَى بِظُلْمِهِمَا يَا لَيْتَنِي قَبِلَهَا عَدِمَهُمَا
هَآ إِلَى الْحَيْنِ قَادَتَا وَهَآ دَلَّ عَلَى مَا جَنُّ دَمَعُهُمَا
سَاعَدُرُ الْقَلْبَ فِي هَوَاهُ فَمَا سَبَبَ هَذَا الْبَلَاءَ غَيْرُهُمَا

وبهذا^(١) الإسناد عن الأصمعيّ قال : نزلت ذات ليلة في وادي بني العنبر ، وهو إذ ذاك
٥ ممان^(٢) بأهله - أي أهل - فإذا فتية يريدون البصرة ؛ فأحبت أصحابهم ، فأقت ليلتي تلك
عليهم ؛ وإني لو صبب محموم ؛ أخاف ألا أستمسك على راحلتي ؛ فلما أقاموا ليرحلوا
أيقظوني ؛ فلما رأوا حالي رحلوا وحمّلوني ؛ وركب أحدهم ورأى يمسكني ؛ فلما أمعن السير
تنادوا ألافتي يحدو بنا أو ينشدنا ! فإذا منشد في سواد الليل بصوت ندي حزين ينشد :

لَعَمْرُكَ إِذِي يَوْمَ بَانُوا فَلَمْ أُمَّتْ خُفَاتَا عَلَى آثَارِهِمْ لَصَبُورُ
١٠ غَدَاةَ الْمُنَقَى إِذْ رَمَيْتُ بِنَظْرَةٍ وَنَحْنُ عَلَى مَتْنِ الطَّرِيقِ نَسِيرُ^(٣)

فَقُلْتُ لِقَلْبِي حِينَ خَفَّ بِهِ الْهُوَى وَكَادَ مِنَ الْوَجْدِ الْمَيْنُ يَطِيرُ^(٤)

فَهَذَا وَلَمَّا تَمَضَّ لِلْبَيْنِ لَيْلَةٌ فَكَيْفَ إِذَا مَرَّتْ عَلَيْهِ شُهُورُ

/ وَأَصْبَحَ أَعْلَامُ الْأَحِبَّةِ دُونَهَا مِنْ الْأَرْضِ غَوْلٌ نَازِحٌ وَمَسِيرُ

وَأَصْبَحْتُ نَجْدِي الْهُوَى مُتَمِّمِ الثَّوَى أَزِيدُ اشْتِيَاقًا أَنْ يَبْحَنَ بَعِيرُ

عَسَى اللَّهُ بَعْدَ النَّأْيِ أَنْ يُسْعِفَ النَّوَى وَيُجْمَعُ شَمْلُ بَعْدَهَا وَسُرُورُ

قال : فسكنت والله الحمى عني ، حتى ما أحسُّ بها ، فقلت لرفيقي : انزل رحمك الله

إلى راحلتك ، فإني متماسك ؛ وجزاك الله عن حسن الصُّحبة خيرا .

(١) الخبر والأبيات في حماسة ابن الشجري ١٦١-١٦٢ بروايته عن ابن قدامة عن المرتضى ، وهو

أيضا في أمالي القالي ٢ : ٢٦٧ بروايته عن ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه .

(٢) في ابن الشجري : «مغان أهله» . (٣) المنقى : موضع بين أحد والمدينة .

(٤) اللئن : اللازم المقيم ، وفي س : «المبر» .

[١٦٨]
ظ

أخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا محمد بن يزيد الذجوي قال حدثني بعض أصحابنا عن الأصمعي قال: كان^(١) بالبصرة أعرابي من بني تميم؛ يتطفل على الناس، فعاتبته على ذلك فقال: والله ما بنيت المنازل إلا لتدخل، ولا وضع الطعام إلا ليؤكل؛ وما قدمت هدية فأتوقع رسولاً؛ وما أكره أن أكون ثقلاً ثقيلاً على من أراه شحيحاً بخيلاً؛ أتقحم عليه مستأنساً، فأضحك إن رأيته عابساً، فأكل برغمه، وأدعه بغمه؛ وما اخترق اللهوات طعاماً أطيب من طعام ٥ لا ينفق فيه درهم، ولا يمسي إليه خادم، ثم أنشد:

كُلَّ يَوْمٍ أُدَوِّرُ فِي عَرَصَةِ الْحَدِّ ١٠ ١٠
 إِذَا مَا رَأَيْتُ آثَارَ عُرْسٍ ١٠ ١٠
 لَمْ أُرَوْعْ دُونَ التَّقَحُّمِ لَا أُرُ ١٠ ١٠
 مُسْتَهِينًا بِمَا هَجَمْتُ عَلَيْهِ ١٠ ١٠
 فَتَرَانِي أَلْفٌ بِالرَّغْمِ مِنْهُمْ ١٠ ١٠
 ذَلِكَ أَدْنَى مِنَ التَّكْلِيفِ وَالغُرْمِ ١٠ ١٠

١٠ ١٠ ١٠ ١٠

(١) الخبر في التطفيل للخطيب البغدادي ٧٣ - ٧٤ يرويه عن الحسن بن أبي القاسم عن أبي الفرج عن جعفر بن قدامة عن أبي هفان .
 (٢) في التطفيل: « عرصة الباب » ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف: « شم الذباب » .
 (٣) في التطفيل: « أو دعوة لصحاب » . (٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف: « لم أروع » ، ورواية الخطيب في هذا البيت وتاليه :

لَمْ أَعْرِجْ دُونَ التَّقَحُّمِ فِيهَا ١٠ ١٠
 مُسْتَخْفًا بِمَنْ دَخَلْتُ عَلَيْهِ ١٠ ١٠
 غَيْرَ مُسْتَأْذِنٍ وَلَا هَيَّابٍ ١٠ ١٠
 لَسْتُ أَخْشَى تَجْهَمُ الْبَوَابِ ١٠ ١٠

(٥) رواية البيت في حاشيتي الأصل (من نسخة) :

فتراني ألف ما قدم القوم ١٠ ١٠
 م على رغمهم كلف العقاب ١٠ ١٠

(٦) زاد الخطيب بعد هذا البيت :

قابل إن جرى على امتحان ١٠ ١٠
 في سبيل الخلواء والجوداب ١٠ ١٠

مَجْلِسُ آخِرٍ ٣٨

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾. قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ، فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٥﴾؛ [هود: ٤٥، ٤٦].

[١٦٩] فقال: ظاهر قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ يتنصى تكذيب / قوله: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ والنبي لا يجوزُ عليه الكذب، فما الوجه في ذلك؟ وكيف يصح أن يخبر عن ابنه بأنه ﴿عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾؟ وما المراد به؟
الجواب، قلنا: في هذه الآية وجوه:

أولها أن نفيه لأن يكون من أهله لم يتناول نفي النسب، وإنما نفي أن يكون من أهله الذين وعده الله بنجاتهم؛ لأنه عز وجل كان وعدنوحاً عليه السلام بأن ينجي أهله، ألا ترى إلى قوله: ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ [هود: ٤٠]، فاستثنى تعالى من أهله من أراد إهلاكه بالغرق! وبدل عليه أيضاً قول نوح: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾، وعلى هذا الوجه يتطابق الأمران (١) ولا يتنافيان؛ وقد روى هذا التأويل بعينه عن ابن عباس وجماعة من المفسرين.

١٥ والجواب الثاني، أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أي أنه ليس على دينك؛ وأراد تعالى أنه كان كافراً مخالفاً لأبيه؛ فكان كفره أخرجه عن أن يكون له أحكام

أهله؛ ويشهد لهذا التأويل قوله عز وجل على طريق التعليل: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾، فبين أنه إنما خرج عن أحكام أهله لكفره وسبب عمله، وقد روى هذا التأويل أيضا عن جماعة من المفسرين؛ وحكى عن ابن جرير أنه سئل عن ابن نوح فسبح طويلاً ثم قال لا إله إلا الله! يقول الله: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾؛ وتقول: ليس منه! ولكنه خالفه في العمل فليس منه من لم يؤمن.

وروى عن عكرمة أنه قال: كان ابنه ولكن كان مخالفاً له في النية والعمل؛ فمن ثم قيل: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾.

والوجه الثالث أنه لم يكن ابنه على الحقيقة؛ وإنما ولد على فراشه، فقال عليه السلام: إنه ابني على ظاهر الأمر؛ فأعلمه الله أن الأمر بخلاف الظاهر، ونبهه على خيانة امرأته؛ وليس في ذلك تكذيب لخبره، لأنه إنما أخبر عن ظنه، وعمّا يقتضيه الحكم الشرعي، فأخبره ١٠ الله تعالى بالغيب الذي لا يعلمه غيره؛ وقد روى هذا الوجه عن الحسن وغيره.

وروى قتادة عن الحسن قال: كنتُ عنده؛ فقال: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ لعمركم الله ما هو ابنه، قال: فقلت: يا أبا سعيد؛ يقول الله: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ وتقول: ليس بابنه! قال: أفرايت قوله: ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾؟ قال: قلت معناه: / ليس من أهلك الذين [١٦٩] وعدتُك أن أنجيهم معك، ولا يختلف أهل الكتاب أنه ابنه، فقال: أهل الكتاب يكذبون؛ ١٥ وروى عن مجاهد وابن جرير مثل ذلك.

وهذا الوجه يبعد إذ فيه منافاة للقرآن؛ لأنه تعالى قال: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾، فأطلق عليه اسم البنوة؛ ولأنه أيضا استثناه من جملة أهله بقوله تعالى: ﴿وَأَهْلِكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾؛ ولأن الأنبياء عليهم السلام يجب أن يُنزهوا عن مثل هذه الحال؛ لأنها تُعزِّم وتُشِين وتغضُّ من القدر؛ وقد جنب الله تعالى أنبياءه عليهم السلام ما هو دون ذلك؛ تعظيماً ٣٠ لهم وتوقيراً، ونفيًا لكل ما ينفّر عن القبول منهم؛ وقد حمل ابن عباس ظهور ما ذكرناه من الدلالة على أن تأويل قوله تعالى في امرأة نوح وامرأة لوط: ﴿فَخَاَتَاهُمَا﴾ على أن الخيانة

لم تكن منهما بالزنا، بل كانت إحداهما تخبر الناس بأنه مجنون؛ والأخرى تدل على الأضياف؛
والمعتمد في تأويل الآية هو الوجهان المتقدمان .

فأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ فالتقراء المشهورة بالرفع ، وقد روى عن
جماعة من المتقدمين أنهم قرءوا : ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ بنصب اللام وكسر الميم
و نصب «غير» ؛ ولكل وجه .

فأما الوجه في الرفع فيكون على تقدير أن ابنك ذو عملٍ غير صالح ؛ وصاحب عمل غير
صالح ؛ فحذف المضاف ، وأقام المضاف إليه مقامه ؛ وقد استشهد على ذلك بقول الخنساء :

مَا أُمُّ سَقْبٍ عَلَى بَوٍّ تَطِيفُ بِهِ قَدْ سَاعَدَتْهَا عَلَى التَّحْنَانِ أَظَارُ^(١)

تَرَ تَعُ مَارْتَعَتْ حَتَّى إِذَا ذَكَرْتُ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ^(٢)

أرادت إنما هي ذات إقبال وإدبار .

وقال قوم : إن المعنى أصلُ ابنك هذا الذي وُلِدَ على فراشك وليس بابنك في الحقيقة^(٣) عمل
غير صالح ، يعني الخيانة من امرأته ، وهذا جواب مَنْ ذهب إلى أنه لم يكن ابنه على الحقيقة^(٤)
والذي اخترناه خلاف ذلك .

وقال آخرون إن الهاء في قوله : ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ راجعة إلى السؤال ؛ والمعنى :

(١) ديوانها : ٧٨ ؛ وروايته :

فَمَا عَجُولٌ عَلَى بَرٍّ تَطِيفُ بِهِ لَهَا حَنِينَانُ : إِصْعَارٌ وَإِكْبَارُ
والسقب : الذكر من ولد الناقة . والبو : أن ينحر ولد الناقة ويؤخذ جلده فيجشى ويدنى من أمه
فترأمه والتحنان : الحنين . والأظفار : جمع ظفر ؛ وهى التى تعطف على واد غيرها .

(٢) بمدها :

لَا تَسْمِنُ الدَّهْرَ فِي أَرْضٍ وَإِنْ رُبِعَتْ فَإِنَّمَا هِيَ تَحْنَانٌ وَتَسْجَارُ
يوماً بأوجد منى يومَ فارقتنى صَخْرٌ ، وَلِلدَّهْرِ إِحْلَاءٌ وَإِمْرَارُ

(٣-٣) ساقط من م .

إن سؤالك إياي ما ليس لك به علمٌ عملٌ غير صالح لأنه قد رقع من نوح دليل^(١) السؤال والرغبة في قوله: ﴿إِنَّ ابْنَ مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ / ومعنى ذلك أي نَجَّةٌ كُنْجِيَّتِهِمْ، ومن [١٧٠] و
يجيب بهذا الجواب يقول: إن ذلك صغيرة من النبي؛ لأن الصغائر تجوز عليهم، ومن يمنع أن يقع^(٢) من الأنبياء شيء من القبائح يدفع هذا الجواب؛ ولا يجعل الهاء راجعة إلى السؤال بل إلى الابن، ويكون تقدير الكلام ما تقدم.

فإذا قيل له: فلم قال: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾؟ وكيف قال نوح عليه السلام من بعد: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾؟

قال: لا يمتنع أن يكون نهى عن سؤال ما ليس له به علم؛ وإن لم يقع منه وأن يكون تعود من ذلك وإن لم يوافق؛ ألا ترى أن الله قد نهى نبيه عن الشرك والكفر؛ وإن لم يكن ذلك قد وقع منه؛ فقال: ﴿لَيْسَ أَشْرَكَتَ لِي حَبِطَانٌ عَمَلُكَ﴾؛ [الزمر: ٥٦]، وكذلك لا يمتنع أن يكون نهاه في هذا الموضع عما لم يقع منه، ويكون عليه السلام إنمأسأله نجاة ابنه باشتراط المصلحة لا على سبيل القطع؛ وهكذا يجب في مثل هذا الدعاء.

فأما القراءة بنصب اللام فقد ضعفها قوم وقالوا: كان يجب أن يقال: إنه عمل عملا غير صالح؛ لأن العرب لا تكاد تقول هو يعمل غير حسن، حتى يقولوا: عملا غير حسن، وليس ١٥ وجهها بضعيف في العربية؛ لأن من مذهبهم الظاهر إقامة الصفة مقام الموصوف عند انكشاف المعنى وزوال اللبس؛ فيقول القائل: قد فعلت صواباً، وقلت حسناً، بمعنى فعلت فعلاً صواباً وقلت قولاً حسناً؛ وقال عمر بن أبي ربيعة الخزومي:

أَيُّهَا النَّائِلُ غَيْرَ الصَّوَابِ أَخْرَجَ النَّصْحَ وَأَقْلَبَ عِتَابِي^(٣)

(١) حاشية الأصل (من نسخة): « دليل في السؤال »، وحاشية ف من نسخة: « دليل على

السؤال » . (٢) ف: « على الأنبياء » . (٣) ديوانه: ٤٢٥ .

وقال أيضاً :

وَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ مَا يُبَاءُ بِهِ دَمٌ وَمِنْ غَلِقٍ رَهْنٍ إِذَا لَفَّهُ مِني (١)
وَمِنْ مَالِي عَيْنِيهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ إِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجَمْرَةِ الْبَيْضِ كَالدُّمَى (٢)

أراد : وكم إنسان قتيل ! وأنشد أبو عبيدة لرجل من بجيلة :

كَمْ مِنْ ضَعِيفِ الْعَقْلِ مُنْتَكِثِ الْقُوَى مَا إِنْ لَهُ نَقْضٌ وَلَا إِبْرَامُ
/ مَالَتْ لَهُ الدُّنْيَا عَلَيْهِ بِأَسْرِهَا فَعَلَيْهِ مِنْ رِزْقِ الْإِلَهِ رُكَامُ
وَمُشَيِّعٍ جَلْدٍ أَمِينٍ حَازِمٍ مَرَسٍ لَهُ فِيهَا يَرُومُ مَرَامُ
أَعْمَى عَلَيْهِ سَبِيلُهُ (٣) فَكَانَهُ فِيهَا يُجَاوِلُهُ عَلَيْهِ حَرَامُ

أراد : كم من إنسان ضعيف القوى .

١٠ أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا ميمون بن هارون قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال : كان محمد بن منصور بن زياد الملقب بفتى العسكريميل إلى الأصمعي ويفضله ، ويقوم بأمره قال : فجئته يوماً بعد موت محمد ، وعنده عبد كان لمحمد أسود ، وقد ترك الناس ، وأقبل عليه وساءله وتحفّى به وحادثه ، فلما خرج لمتّه على ذلك وقلت : من هذا حتى أفنيت عمر يومك به ؟ فقال : هذا غلام ابن منصور ،
١٥ ثم أنشدني :

وَقَالُوا يَا جَمِيلُ أَتَى أَخُوها فَقُلْتُ : أَتَى الْجَبِيبُ أَخُو الْجَبِيبِ (٤)

(١) ديوانه : ٤٥١ لا يباء به دم ، أي ليس من يكافئه فيقتل به . وغلق الرهن إذا صار لاسييل إلى سكاك ، وفي حاشية ف (من نسخة) : « ومن غلق رهننا إذا ضمه » .
(٢) حاشية ف (من نسخة) :

* إذا راح نحو الحيرة البيض كالدُّمَى *

(٣) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ف : « سبيله » بضم اللام .

(٤) حاشية ف : « صفة الجيب » ، أي الذي هو أخو الجيب .

أُحِبُّكَ وَالْقَرِيبُ بِنَا بَعِيدٌ لَأَنَّ نَاسِبْتَ بِنْتَهُ مِنْ قَرِيبٍ
فقلت له - وكنت أفعل هذا كثيراً به لأستجرك كلامه وعلمه - : يا أبا سعيد، ذاك أخوها،
وهذا غلامها^(١) فضحك، وقال : أنشد أبو عمرو - أو قال غيره :

أَرَى كُلَّ أَرْضٍ^(٢) أَوْطَنْتَهَا وَإِنْ خَلْتُ لَهَا حِجَجٌ تَنْدَى بِمِسْكِ تَرَابُهَا
وَأَقْسِمُ لَوْ أَنَّي أَرَى تَبَعًا لَهَا^(٣) ذِنَابَ الْغَضَى حُبَّتْ إِلَى ذِنَابِهَا ٥
قال : فجمعت أعجب من قرب لسانه من قلبه وإجادة حفظه له متى أرادته .

وبهذا الإسناد عن إسحاق الموصلي قال قرأت على الأصمعي شعر امرئ القيس ، فلما
بلغت إلى هذا البيت :

أَمِنْ أَجْلِ أَعْرَابِيَّةٍ حَلَّ أَهْلُهَا بَرَوْضِ الشَّرَى عَيْنَاكَ تَبْتَدِرَانِ^(٤)

فقال لي أتعرف في هذا البيت خبئاً باطناً غير ظاهر؟ قلت : لا ، فسكت عني ، فقلت :
إن كان فيه شيء فأفدنيه ، فقال : نعم ، أما يد لك البيت على أنه لفظ ملكٍ مُسْتَهِينِ ذِي قَدْرَةٍ
على ما يريد ؟ / قال إسحاق : وما رأيت قط مثل الأصمعي بالعلم بالشعر .
[١٧١] و

(١) من نسخة بحاشية الأصل : « غلامه » . (٢) ف : « كل دار » .

(٣) حاشية الأصل من نسخة : « حلفت لو أني » ، ومن نسخة أخرى : « حلفت لاهي » ، ومن نسخة

أخرى :

* حَلَفْتُ بِأَنِّي لَوْ أَرَى تَبَعًا لَهَا *

(٤) ديوانه : ١٢٤ ؛ وروايته :

أَمِنْ ذِكْرِ نَهَائِيَّةٍ حَلَّ أَهْلُهَا بِجَزَعِ الْمَلَا عَيْنَاكَ تَبْتَدِرَانِ !

قال شارحه : « نهائية : امرأة من نهبان ، ونهبان من طي » ، وكان امرؤ القيس نازلاً فيهم ثم
ارتحل عنهم ، والجزع : منعطف الوادي ، والملا : ما استوى من الأرض ؛ ومعنى تبتدران تستبقان بالدمع ؛
أي أنه لما أبدع به الشوق وغلبه البكاء لام نفسه على ذلك . وفي حاشية الأصل : « قبله :

فَدَمَعَهُمَا سَحٌّ وَسَكْبٌ وَدِيمَةٌ وَرَشٌّ وَتَوَكَّافٌ وَتَهْمَلَانِ

وروى عن إسحاق أيضا أنه قال : قال لي الأصمعيّ : ما يعنى امرؤ القيس بقوله :
 فَمِثْلِكَ حُبَّائِي قَدْ طَرَقْتُ وَهُرُضِعَ فَأَلْمَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَامٍ مُّحْوَلٍ (١)
 فقلت : تخبرني ، فقال : كان مَفْرَعًا (٢) فيقول : ألهيتُ هؤلاء عن كراهتهنَّ للرجال ،
 فكيف أنا عند المحبات لهم .

وروى أن السبب الذي هاج التنافر بين الأصمعيّ وابن الأعرابيّ أن الأصمعيّ دخل
 ذات يومٍ على سعيد بن سلمٍ وابن الأعرابيّ حينئذٍ يؤدب ولده - فقال لبعضهم : أنشدأ بسعيد ،
 فأنشد الغلام أبياتا لرجلٍ من بني كلاب ، رواه إياها ابن الأعرابيّ ، وهى :

رَأَتْ نِضْوَ أَسْفَارٍ أُمَيْمَةٌ قَاعِدًا عَلَى نِضْوِ أَسْفَارٍ فَجُنَّ جُنُونُهَا (٣)
 فَقَالَتْ : مِنْ أَى النَّاسِ أَنْتَ وَمَنْ تَكُنْ ؟ فَإِنَّكَ رَاعِي صِرْمَةٍ لَا يَزِينُهَا (٤)
 فُقِلْتُ لَهَا : لَيْسَ الشُّحُوبُ عَلَى الْفَتَى بَعَارٍ ، وَلَا خَيْرُ الرَّجَالِ تَسْمِيهَا
 عَلَيْكَ بِرَاعِي ثَلَّةٍ مُسْلِحِيَّةٍ يَرُوحُ عَلَيْهَا مَحْضُهَا وَحَقِيهَا (٥)

(١) ديوانه : ٢٤ . وفي حاشية الأصل . « روى أن النبي صلى الله عليه وآله استنشد هذه القصيدة ،
 فلما سمع البيت الذي قبله هذا قال : لا تنشد البيت الذي بعده ، وهذا دليل على أنه عليه السلام كان يعرف
 الشعر . ولما سمع قوله :

﴿ قِفَا نَبِيكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ ﴾

قال : وقف واستوقف ، وكى وأبكى ، وذكر الحبيب والمنزل في نصف بيت ؟ فقالوا : يا رسول الله ؟
 فديناك ! أنت في هذا النقد أشعر منه . (٢) المفرك : الذي تبغضه النساء .

(٣) الخبر بتمامه في اللسان (ضجا) ، والمزمر ٢ : ٣٧٩ ، والمجالس المذكورة للعلماء ٩ ، وإنباه
 الرواة ٣ : ١٣٣-١٣٤ ؛ والأبيات وردت متفرقة في اللسان (ضجا) ، جنن ، حقن ، نعم) .
 النضو : الدابة التي أهنئتها الأسفار وأذهبت لحمها . وفي اللسان : « أميمة شاحبا » .

(٤) الصرمة : القطعة من الإبل ؛ ما بين العشرين إلى الثلاثين . ورواية اللسان :

﴿ فَإِنَّكَ مَوْلَى أَسْرَةٍ لَا يَدِينُهَا ﴾

(٥) الثلثة ، بالفتح : جماعة نافع . والمسليحة : الممتدة ؛ وأصله في الطريق . والمحض : اللبن الخالص ؛
 والحقن : اللبن الحليس في الوطب ؛ وقد ورد البيت في اللسان (حقن) ونسبه للمخبل ، والرواية فيه :

وَفِي إِبِلٍ سِتِّينَ حَسْبُ ظَمِينَةٍ يَرُوحُ عَلَيْهَا مَحْضُهَا وَحَقِيهَا

وفي حاشية الأصل : « أى لست بالراعى فاطلبى غيرى لو كنت تطالبن راعيا » .

سَمِينُ الضَّوَّاحِي لَمْ تُورِّقْهُ لَيْلَةٌ وَأَنْعَمَ أَبْكَارُ الِهُمُومِ وَعَوْنُهَا
ورفع «ليلة» فقال الأصمعيّ: مَنْ رَوَّأَكَ هَذَا؟ فَتَالَ مُؤَدِّبِي؛ فَأَحْضَرَهُ فَاسْتَنْشَدَهُ فَأَنْشَدَهُ،
ورفع «ليلة»، فَأَخَذَ ذَلِكَ عَلَيْهِ؛ وَفَسَّرَ الْبَيْتَ فَقَالَ: إِنَّمَا أَرَادَ: لَمْ تُورِّقْهُ لَيْلَةٌ أَبْكَارُ الِهُمُومِ
وعونها، وأنعم، أي زاد على هذه الصفة.

وقوله: «سَمِينُ الضَّوَّاحِي» أي ما ظهر منه وبدا سمين، ثم قال الأصمعيّ لابن سلم: ٥
مَنْ لَمْ يُحَسِّنْ هَذَا الْمَقْدَارَ فَلَيْسَ مَوْضِعًا لِتَأْدِيبِ وَلَدِ الْمَلُوكِ.

وأخبرنا المرزبانيّ قال: حدثنا أحمد بن المكيّ قال حدثنا أبو العيّناء قال حدثنا الأصمعيّ
قال: وَوُلِدَ بَشَّارُ بْنُ بَرْدٍ أَوْ كَمَّهُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى الدُّنْيَا قَطًّا— وَكَانَ ذَافِطِنَةً— قَلَّتْ لَهُ يَوْمًا: مِنْ أَيْنَ
لَكَ هَذَا الذِّكَاءُ؟ قَالَ: مِنْ قِدَمِ الْعَمَى؛ وَعَدَمِ النُّوَظِرِ يَمْنَعُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْخَوَاطِرِ الْمَذْهِلَةِ فَيَكْسِبُ
فِرَاقَ الذَّهْنِ؛ وَصِحَّةَ الذِّكَاءِ، وَأَنْشَدَ لِنَفْسِهِ يَفْخَرُ بِالْعَمَى:

١٠
[١٧١] عَمِيْتُ جَنِينًا وَالذِّكَاءُ مِنَ الْعَمَى جِئْتُ عَجِيبَ الظَّنِّ لِلْعِلْمِ مَوْئِلًا^(١)
وَعَاضَ ضِيَاءُ الْعَيْنِ لِلْعَقْلِ رَافِدًا قَلْبِي إِذَا مَا ضَيَّعَ النَّاسُ حَصَلًا
وَشِعْرِي كَنُورِ الرَّوْضِ لِأُمَّتٍ بَيْنَهُ بِقَوْلِي إِذَا مَا أَحْزَنَ الشُّعْرُ أُمَّهَلًا

وأخبرنا المرزبانيّ قال أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدثنا أبو العيّناء قال حدثنا
الأصمعيّ قال: أَنْشَدَ رَجُلٌ وَأَنَا حَاضِرٌ بِشَارًا قَوْلَ الشَّاعِرِ:

١١: وَقَدْ جَعَلَ الْأَعْدَاءُ يَنْتَقِصُونَنَا وَتَطْمَعُ فِينَا أَلْسُنٌ وَعِيُونٌ^(٢)
أَلَا إِنَّمَا كَيْلِي عَصَا خَيْرُ رَأْيَةٍ إِذَا غَمَزُوهَا بِالْأَكْفِ تَلِينُ

فقال بشار: والله لو جعلها عصا مخ أو زُبْدٍ لما كان إلاّ مخطئًا مع ذكر العصا! ألا قال

كما قلت:

وَحَوْرَاءِ الْمَدَامِعِ مِنْ مَعَدِّ كَأَنَّ حَدِيثَهَا قِطْعُ الْحِنَانِ
إِذَا قَامَتْ لِسَبْحَتِهَا تَذَنَّتْ كَأَنَّ قَوَامَهَا مِنْ خَيْرِ رَانَ
يُنْسِيكَ الْمُنَى نَظَرَ إِلَيْهَا وَيَصْرِفُ وَجْهَهَا وَجْهَ الزَّمَانِ

وأخبرنا المرزباني قال حدثنا علي بن أبي عبد الله الفارسي قال حدثني أبي عن عمر بن
ه شبة قال قال لي أبو عبيدة : رحل بشار إلى الشام ، فمدح سليمان بن هشام بن عبد الملك ،
وكان مقياً بجران ، ؛ فقال قصيدة طويلة أولها :

نَأْتِكَ عَلَى طَوْلِ التَّجَاوُرِ زَيْنَبُ وَمَعَلِمَتْ أَنَّ النَّوَى سَوْفَ يَشْعَبُ (١)
وكان سليمان بخيلاً فأعطاه خمسة آلاف درهم ، ولم يصب غيرها بعد أن طال مقامه ، فقال:
إِنَّ أُمِّسٍ مُنْشَجِجَ الْيَدَيْنِ عَنِ النَّدَى وَعَنِ الْعَدُوِّ مُحْبَسَ الشَّيْطَانِ (٢)
فَلَقَدْ أَرْوَحُ عَلَى اللَّثَامِ مُسَلِّطًا ١٠ نَبِجَ الْقَيْلِ (٣) مُنَعَمَ النَّدْمَانِ
فِي ظِلِّ عَيْشٍ عَشِيرَةٍ مَحْمُودَةٍ تَنْدَى يَدِي ، وَيَخَافُ فَرَطَ لِسَانِي
أَزْمَانَ سِرْبَالُ الشَّبَابِ مُذَيَّلٌ وَإِذِ الْأَمِيرُ عَلِيٌّ مِنْ جِرَانِي
رِيمٌ بِأُخُوِيَةِ الْعِرَاقِ إِذَا بَدَأَ [١٧٢] بَرَقَتْ عَلَيْهِ أَكِلَّةُ الْمَرْجَانِ (٤)
فَاكْحَلْ بَعْبَدَةَ مُقْلَتَيْكَ مِنَ الْقَدَى وَبَوْشَكَ رُوَيْتِهَا مِنَ الْهَمَلَانِ
فَلَقْرُبُ مِنْ تَهْوَى وَأَنْتَ مُتَمِّمٌ أَشْفَى لِدَائِكَ مِنْ بَنِي مَرْوَانَ ١٥

فلما رجع إلى العراق برّه ابن هبيرة ووصله ، وكان ابن هبيرة يتقدمه ويؤثره لمدحه
قيساً وافتخاره بها ، فلما جاءت دولة خراسان عظم شأنه .

(١) الأغاني ٣ : ٥٦ ؛ ويشعب : يفرق ، وبعده :

يرى الناس ما تلقى بزَيْنَبِ إِذْ نَأَتْ عَجِيْبًا ، وَمَا تَخْفَى بِزَيْنَبِ أَعْجَبُ

(٢) الخبر والشعر في الأغاني ٣ : ٥٦ . ومن نسخة بحاشية الأصل : « محبس الشيطان » .

(٣) م : « نبيج القام » . (٤) أخوية جمع حواء ؛ والحواء : جماعة البيوت المتدانية .

والأكلة : جم لاكليل ؛ وهو الناج ؛ أو شبهه عصابة تزين بالجواهر .

وأخبرني المرزباني قال حدثنا محمد بن أحمد الكاتب قال حدثنا أحمد بن يحيى النحوي قال قال الأصمعي : ما وصف أحدُ الثَّغْرِ إِلَّا احتاج إلى قول بشر بن أبي خازم :

يُفَلِّجَنَّ الشَّفَاةَ عَنْ أَفْحِوَانٍ جَلَاهُ غِيبًا سَارِيَةً قِطَارًا

ولا وصف أحدُ اللون بأحسن من قول عمر بن أبي ربيعة :

- ٥ وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تَحِيَّرَ مِنْهَا فِي أُدِيمِ الْخُدَيْنِ مَاءُ الشَّبَابِ (١)
شَفَّ مِنْهَا مَحَقَّقٌ جَنْدِيٌّ فَهِيَ كَالشَّمْسِ مِنْ خِلَالِ السَّحَابِ (٢)

ولا وصف أحدُ عيني امرأةٍ إلا احتاج إلى قول عدي بن الرِّقَاعِ :

- لَوْ لَا الْحَيَاءُ وَأَنَّ رَأْسِي قَدْ بَدَأَ فِيهِ الشَّيْبُ لَزُرْتُ أُمَّ الْفَاسِمِ (٣)
وَكَأَنَّهَا وَسَطَ النِّسَاءِ أَعَارَهَا عَيْنِيهِ أَحْوَرُ مِنْ جَاذِرِ جَاسِمِ (٤)
١٠ وَسَنَانُ أَقْصَدِهِ النُّعَاسُ فَرَنَّتْ فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ وَليْسَ بِنَائِمِ (٥)

ولا وصف أحدُ نجيباً إلا احتاج إلى قول محمد بن ثور :

مُحَلِّيٌّ بِأَطْوَاقٍ عِتَاقٍ يُبَيِّنُهَا عَلَى الضَّرِّ رَاعِي الضَّانِ لَوْ يَتَقَوَّفُ (٦)

ولا وصف أحدُ ظليماً إلا احتاج إلى قول علقمة بن عبدة :

(١) ديوانه : ٤٢٣ . (٢) ثوب محقق بحكم الفسج ، وجند : بلد باليمن .

(٣) الشعر والشعراء ٦٠٤ ، واللائلي ٥٢١ ، وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « قدفشا » ،

ومن نسخة أخرى : « قدغشا » . (٤) الجاذر : جمع جؤذر ، بضم الدال وفتحها ، وهو ولد

البقرة الوحشي . جاسم قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ . (٥) أقصده : صرعه . رنقت : خالطت ،

والبيت أيضا في اللسان (رنق) . (٦) ديوانه ١١١ ؛ وفي حاشيتي الأصل ، ف : « يصف بعيرا

ومحلي ؛ أي عليه نجار العتق ، وإذا رآه صاحب الضأن الذي لا بصيرة له عرف عتقه ونجابهته على مامسه من

الضر . لم يتقوف ، من الفيافة ، ويروى : « لو يتعيف » . شبه ما بين من عتقه بأطوق تظهر لمن رآها

ويروى : « يبينه » أي البعير ، وقبل هذا البيت :

فِطِرْتُ إِلَى عَارِي الْعِظَامِ كَأَنَّهُ شَقَا ابْنَ ثَلَاثِ ظَهْرِهِ مُتَجَرِّفٌ

طَوْتُهُ الْفَلَاحَ حَتَّى كَأَنَّ عِظَامَهُ مَآسِيرَ عِيدَانٍ تَمُوجُ وَتُرْجَفُ

فَنَارَ وَمَا يُمَسِّي فَوْيُقَ عِظَامِهِ بِرَمٍ وَلَكِنْ عَارِفٌ مُتَكَلِّفٌ =

هَيْقٌ كَانَ جَنَاحِيهِ وَجُوجُوهٌ بَيَّتْ أَطَافَتْ بِهِ خَرْقَاءٌ مَهْجُومٌ^(١)

ولا اعتذر أحد إلا احتاج إلى قول النابغة :

[١٧٢] / فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خَاتُ أَنْ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ^(٢) ط

قال سعيدنا أدام الله علوه : أما قول محمد بن ثور : « محلى بأطواق عتاق » فإنه يريد أن عليه نِجار الكرم والعِتق ، فصارت دلالتهما وسماهما حلية له من حيث كان موسوماً بهما .

ومعنى : « يبينها على الضراء » يتبينها ويعرفها هذا الراعى فيعلم أنه كريم ، والتعوق من القيافة .

فأما قول علقمة « هَيْقٌ... » فالهَيْقُ : ذكر النعام . ومعنى : « أطافت به خرقاء » ، أى عملته

١٠ وابنته ، وقيل : إن خرقاء هاهنا هى الحاذقة ، وأن هذه اللفظة تستعمل على طريق الأضداد فى الحاذقة

وغير الحاذقة ، ومعنى « مهجوم » : أى مهدوم ، وقال الأصمعى : معنى « أطافت به » ، أى

عملته فخرقت فى عمله ، يقول : قد أرسل جناحيه كأنه خباء امرأة خرقاء ، كما رفعت ناحية

استرخت أخرى ؛ والوجه الثانى أشبه وأملح .

فأما قول بشر فى وصف الثغر فأحسن منه وأكشف وأشد استيفاء قول النابغة :

== قوله : « عارى العظام » أى بعير مهزول ، وشقا ابن ثلاث أى هلال ابن ثلاث . وماء أسير عيدان

ويروى « ماء أسر عيدان » ، أى عيدان مأسورة مشدودة . والرم . المخ ، يريد أنه ليس يسمى برم ،

أى ليس فى عظامه مخ ؛ ولكنه عارف ؛ أى معترف بالسير ، دليل متكاف يتكاف السير على جهد .

(١) حاشية الأصل : « هَيْقٌ ، أى ظليم ، وهو اسم له ، والجُوجُؤُ : الصدر ؛ وأراد بالبيت بيتان

الشعر أو الوبر . الخرقاء : المرأة التى ليست بصناع . ومهجوم : مصروع ساقط ، يقول : أنت البيت

هذه الخرقاء لتصلحه فلم تحسن ، واستخرجت عيدانه وأطنابه ، فشبه الظالم به ، لاسترخاء جناحيه ونشره

إياها . وقال المازنى : إذا بنت الخرقاء بيتا تهدم سريما . وقال غيره : خرقاء هنا : رخ لا تدوم على جهة

واحدة . والبيت فى ديوانه ١٣٠ ، والمفضليات : ٤٠٠ ، (طبعة المعارف) وروايته فيهما :

(٢) ديوانه :

* صَعْلٌ كَانَ جَنَاحِيهِ وَجُوجُوهٌ *

كَالْأَقْحَوَانِ غِدَاةَ غَبِّ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدٍ^(١)
فإنما وصف أعاليه بالجُفوف ؛ ليكون متفرقاً متنضداً غير متابداً ولا مجتمع ؛ فيشبهه
حينئذ الثغور ، ثم قال : « وأسفله نَدٍ » حتى لا يكون قَحلاً يابساً ، بل يكون فيه الغضاضة
والصقالة ، فيشبهه غروب الأسنان التي تلمع وتبرق .

وروى الرياشي قال : سمعت الأصمعي يقول : أحسن ما قيل في وصف الثغر قول
ذى الرمة :

وَتَجَاوُ بِفَرْعٍ مِنْ أَرَائِكٍ كَأَنَّهُ
ذُرّاً أَقْحَوَانٍ وَاجَهَ اللَّيْلَ وَارْتَقَى
هَجَانِ الثَّنَائِيَا مُغْرَبًا لَوْ تَبَسَّمْتُ
لَا خَرَسَ عَنْهُ كَادَ بِالْقَوْلِ يُفْصِحُ^(٢)
مِنَ الْعَنْبَرِ الْهِنْدِيِّ وَالْمِسْكِ يُصْبِحُ^(٣)
إِلَيْهِ النَّدَى مِنْ رَامَةٍ الْمَرْوَحِ^(٤)

(١) ديوانه : ٣١ . الأَقْحَوَان : نبت له نوار أصفر ، حوالبه ورق أبيض وفي حاشيتي الأصل ،
ف : « ضمن اللجام الحرائي هذا البيت في هجو فجملة آبدة من الأوابد فقال :

ياسائلي عن جعفر ، علمي به
رَطْبُ الْمِجَانِ وَكَفُّهُ كَالْجَمْدِ

كَالْأَقْحَوَانِ غِدَاةَ غَبِّ سَمَائِهِ
جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدٍ

والبيتان في خاص الخاص : ١٤٤ . (٢) ديوانه : ٨٣ . يصبح : يسقى وقت الصباح .

(٣) في الديوان : « راحة الليل » ، بالرفع . رامة : رملة بعينها . المَرْوَح : الذي جاء رواحا . وبعد هذا

البيت في رواية الديوان :

تَحْفُ بِرُبِّ الرَّوْضِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
نَسِيمٌ كِفَارِ الْمِسْكِ حِينَ يَفْتَحُ

(٤) المغرب : الأبيض من كل شيء .

مَجْلِسٌ آخِرٌ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ / الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [١٧٣] .
[التوبة : ٥٥] .

فقال : كيف يعذبهم بالأموال والأولاد ، ومعلوم أن لهم فيها سروراً ولذة؟ وما تأويل قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ وظاهره يقتضى أنه أراد كفرهم من حيث أراد أن تزهق أنفسهم ٥ في حال كفرهم ، لأن القائل إذا قال : أريد أن يلقاني فلان وهو لابسٌ أُر على صفة كذا وكذا ، فالظاهر أنه أراد كونه على تلك الصفة ؟

الجواب ، قلنا : أما التعذيب بالأموال والأولاد ففيه وجوه :

أولها ما روى عن ابن عباس وقناة ، وهو أن يكون في الكلام تقديم وتأخير ، ويكون التقدير : فلا تعجبك يا محمد ولا تعجب المؤمنين ممك أموال هؤلاء الكفار والمنافقين ١٠ ولا أولادهم في الحياة الدنيا ؛ إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة عقوبة لهم على منعمهم حقوقها ؛ واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ [النمل : ٢٨] ، والمعنى : فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون ، ثم تول عنهم ؛ وأنشد في ذلك قول الشاعر :

عشيةً أبدت جيد أدماء مُنْزِلٍ وطرّاً فأيريك الإئتمد الجون أحورا (١)

يريد : وطرّاً أحور يُريك الإئتمد الجون ؛ وقد اعتمد هذا الوجه أيضاً أبو علي قُطْرُب ، وذكره أبو القاسم البلخي والزجاج .

(١) منزل : معماغزها .

وثانيها أن يكون معنى التعذيب بالأموال والأولاد في الدنيا هو ما جعله للمؤمنين من قتلهم وغنيمة أموالهم وسبي أولادهم واسترقاقهم ؛ وفي ذلك لا محالة إيلام لهم ، واستخفاف بهم ، وإنما أراد تعالى بذلك إعلام نبيه عليه السلام والمؤمنين أنه لم يرزق الكفار الأموال والأولاد ؛ ولم يبقها في أيديهم كرامة لهم ، ورضاً عنهم ؛ بل للمصلحة الداعية إلى ذلك ، وأنهم مع هذه الحالة معذبون بهذه النعم من الوجه الذي ذكرناه ، فلا يجب أن يُغَيَّبُوا ،^٥ ويُحَسَدُوا عليها ؛ إذ كانت هذه عاجلتهم ، والمقاب الأليم في النار آجالتهم ؛ وهذا جواب أبي عليّ الجبائيّ .

وقد طعن عليه بعضُ مَنْ لا تأمّلَ له فقال : كيف يصح هذا التأويل ، مع أنا نجد كثيراً من الكفار لا تنالهم أيدي / المسامين ، ولا يقدرّون على غنيمة أموالهم ، ونجد أهلَ [١٧٣] الكتاب أيضاً خارجين عن هذه الجملة لكان الذمّة والمهد ؟ وليس هذا الاعتراض بشيء ،^{١٠} لأنه لا يمتنع أن تختص الآية بالكفار الذين لا ذمة لهم ولا عهد ؛ ممن أوجب الله تعالى محاربتهم ؛ فأما الذين لا تنالهم الأيدي ، أو هم من القوة على حدّ لا يتم معه غنيمة أموالهم ؛ فلا يقدح الاعتراض بهم في هذا الجواب لأهمّ ممن أراد الله تعالى أن يُسَبّي وَيَغَنَمَ ، ويجاهد ويُغلب ؛ وإن لم يقع ذلك ؛ وليس في ارتفاعه بالتعذّر دلالة على أنه غير مراد .

وثالثها أن يكون المراد بتعذيبهم بذلك كلّ ما يدخله في الدنيا عليهم من الغموم والمصائب ١٥ بأموالهم وأولادهم التي لهؤلاء الكفار المنافقين عقاب وجزاء ، وللمؤمنين محنة وجالبة للمعوض وللنفع .

ويجوز أيضاً أن يراد به ما يندّرُ به الكافر قبل موته ، وعند احتضاره ، وانقطاع التكليف عنه مع أنه حيّ ، من العذاب الدائم الذي قد أعدّ له ، وإعلامه أنه صائرٌ إليه ، ومنتقل إلى قراره ؛^{٢٠} وهذا الجواب قد روي معنى أكثره عن قوم من متقدمي المفسرين^(١) ، وذكره أبو عليّ الجبائيّ أيضاً .

(١) حاشية الأصل : « نسخة الشجرى : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري » .

ورابعها [جواب] ^(١) يحكى عن الحسن البصرى ، واختاره الطبرىّ وقدمه على غيره ، وهو أن يكون المراد بذلك ما ألزمه هؤلاء الكفار من الفرائض والحقوق في أموالهم ؛ لأن ذلك يُؤخذُ منهم على كرهٍ ، وهم إذا أنفقوا فيه أنفقوا بغير نيّة ولا عزيمة ؛ فتفسير نفقتهم غرامة وعذاباً من حيث لا يستحقون عليها أجراً .

٥ قال السيد قدس الله روحه : وهذا وجه غير صحيح ؛ لأن الوجه في تكليف الكافر إخراج الحقوق من ماله كالوجه في تكليف المؤمن ذلك ؛ ومحال أن يكون إنما كلف إخراج هذه الحقوق على سبيل العقاب والجزاء ؛ لأن ذلك لا يقتضى وجوبه عليه ^(٢) ؛ والوجه في تكليف الجميع هذه الأمور هو المصلحة والالطف في التكليف .

ولايجرى ذلك مجرى ماقلناه في الجواب الذى قبل هذا ؛ من أن المصائب والغنوم قد تكون للمؤمنين محنة ، وللـكافرين عقوبة ؛ لأن تلك الأمور مما يجوز أن يكون وجهُ حسنها المعقوبة والمحنة جميعاً ؛ ولا يجوز في هذه الفرائض أن يكون لوجوبها على المكلف إلا وجهٌ واحد ، وهو المصلحة في الدين ، فافترق الأمران .

[١٧٤] وليس لهم أن يقولوا : / ليس التعذيب في إيجاب الفرائض عليهم ؛ ^(٣) وإنما هو لإخراجهم أموالهم على وجه التكره والاستئثار ^(٤) ؛ وذلك أنه إذا كان الأمر على ما ذكره خرج ١٥ من أن يكون مراداً لله تعالى ؛ لأنه جلّ وعز ما أراد منهم إخراج المال على هذا الوجه ، بل على الوجه الذى هو طاعة وقرُبة ؛ فإذا أخرجوها متكرهين مستثقلين لم يُرد ذلك ؛ فكيف يقول : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا ﴾ ! ويجب أن يكون مايعذبون به شيئاً يصح أن يريده الله تعالى .

وجميع هذه الوجوه التى حكيناها في الآية - إلا جواب التقديم والتأخير - مبنية على أن

(١) من ف . (٢-٢) ساقط من الأصل ، وما أثبتته عن ف .

(٣-٣) ف : « وإنما هو في إخراجهم لأموالهم على وجه التكره والاستئثار » .

الحياة الدنيا ظرف للعذاب؛ فتحتمل^(١) كل متأول من القوم ضرباً من التأويل ؛ طابق^(٢) ذلك .

وما يحتاج عندنا إلى جميع ما تكلفوه، ولا إلى التقديم والتأخير إذا لم تجعل^(٣) الحياة ظرفاً للمقاب ، بل جعلناها ظرفاً للفعل الواقع بالأموال والأولاد ؛ والمتعلق بهما ؛ لأننا قد علمنا أولاً أن قوله : ﴿ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا ﴾ لا بد من الانصراف عن ظاهره ؛ لأن الأموال والأولاد أنفسهم لا تكون عذاباً ؛ والمراد على سائر وجوه التأويل الفعل المتعلق بها والمضاف إليها ؛ سواء كان إنفاقها والمصيبة بها والنعمة عليها، أو إباحة غنيمتها وإخراجها عن أيدي مالكيها؛ فكان تقدير^(٤) الآية : إنما يريد الله ليُعَذِّبَهُمْ بكذا وكذا؛ مما يتعلق بأموالهم وأولادهم ، ويتصل بها ؛ وإذا صحَّ هذا جاز أن تكون الحياة الدنيا ظرفاً لأفعالهم القبيحة في أموالهم وأولادهم التي تغضب الله تعالى وتُسَخِّطُه ؛ كإنفاقهم الأموال في وجوه المعاصي ، وحملهم الأولاد على الكفر، وإلزامهم الموافقة لهم في النحلة، ويكون تقدير الكلام: إنما يريدُ الله ليُعَذِّبَهُمْ بفعلهم في أموالهم وأولادهم ؛ الواقع ذلك منهم في الحياة الدنيا ؛ وهذا وجه ظاهر يغني عن التقديم والتأخير ؛ وسائر ما ذكره من الوجوه .

فأما قوله تعالى: ﴿ وَتَزَهَّقَ أَنْفُسُهُمْ ﴾ فمعناه تبطل وتخرج ؛ أي أنهم يموتون على الكفر؛ وليس يجب إذا كان مريداً لأن تزَهَّقَ أنفسهم وهم على هذه الحال أن يكون مريداً للحال ١٥ نفسها على ما ظنوه؛ لأن الواحد منّا قد يأمر / غيره ويريد منه أن يقاتل أهل البغي وهم [١٧٤] محاربون ، ولا يقاتلهم وهم منهزمون ، ولا يكون مريداً لحرب أهل البغي للمؤمنين؛ وإن أراد قتالهم على هذه الحالة ، وكذلك قد يقول لغلامه: أريد أن تواظب على المصير إلى في السجّْن وأنا محبوس ، وللطبيب: صِرْ إلى ولازمي وأنا مريض ، وهو لا يريد المرض ولا

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « فتمحل » .

(٢) ف : « يطابق » .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « لم نجعل الحياة » .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « فكان تقدير الكلام » .

الجبس ؛ وإن كان قد أراد ما هو متعلق بهاتين الحالتين .

وقد ذكر في ذلك وجه آخر على ألا يكون قوله : ﴿ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ حالاً لزهوق أنفسهم ؛ بل يكون كأنه كلام مستأنف ، والتقدير فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم ؛ إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا؛ وتزهق أنفسهم وهم مع ذلك كافرون صائرون إلى النار؛
 ٥ وتسكون الفائدة أنهم مع عذاب الدنيا قد اجتمع عليهم عذاب الآخرة؛ ويكون معنى ﴿ تَزَهَقَ أَنْفُسُهُمْ ﴾ على هذا الجواب غير الموت وخروج النفس على الحقيقة ، بل المشقة الشديدة والكلف^(١) الصعبة ، كما يقال: ضربت فلانا حتى مات وتلفت نفسه ، وخرجت روحه ، وما أشبه ذلك .

قال سيدنا أدام الله تمكينه : ذاكرني قوم من أهل الأدب بأشعار المحدثين وطبقاتهم
 ١٠ وانتهوا إلى مروان بن يحيى بن أبي حفصة^(٢) ؛ فأفرط بعضهم في وصفه وتقريضه ، وآخرون في ذمه وتمهيجينه والإزراء على شعره وطريقته؛ واستخبروا عما اعتقده فيه، فقلت لهم: كان مروان متساوياً الكلام ، متشابه الألفاظ ، غير متصرف في المعاني ولا غواص عليها ولا مدقق لها ؛ فلذلك قلت النظائر في شعره ، ومدائح مكررة الألفاظ والمعاني ، وهو غزير الشعر قليل المعنى ؛ إلا أنه مع ذلك شاعر له تجويد وحذق ، وهو أشعر من كثير من
 ١٥ أهل زمانه وطبقته ، وأشعر شعراء أهله ؛ ويجب أن يكون دون مسلم بن الوليد في تنقيح الألفاظ وتدقيق المعاني ، وحسن الألفاظ ، ووقوع التشبيهات ، ودون بشار بن برد في الأبيات النادرة السائرة ، فكأنه طبقة بينهما ؛ وليس بمقصر دونهما شديداً ، ولا منحط عنهما بعيداً .

وكان إسحاق بن إبراهيم الموصلي يقدمه على بشار ومسلم ، وكذلك أبو عمرو الشيباني

(١) ف : « والكلفة » . (٢) هو أبو السمط - وقيل أبو الهندام . مروان بن أبي حفصة ؛ ولد سنة ١٠٥ ، وهلك في أيام الرشيد سنة ١٨٢ . (وانظر ترجمته وأشعاره في الشعر والشعراء ٧٢٩-٧٤١ ، وابن خلكان ٢ : ٧٩-٨١) .

وكان الأصمعي يقول: مروان / مولد^(١)، وليس له علم باللثة. واختلافُ الناس في اختيار الشعر [١٧٥] و
بحسب اختلافهم في التنبيه على ممانيه؛ وبحسب ما يشترطونه من مذاهبه وطرائقه.

فسئلت عند ذلك أن أذكر مختاراً ما وقع إلى من شعره وأنبه على سرقاته ونظائر شعره، وأن أملي ذلك في خلال المجالس وأثنائها.

٥ فما يختاره من شعره قوله من قصيدة يمدح بها المهديّ أولها:
أَعَادَكَ مِنْ ذِكْرِ الْأَحِبَّةِ عَائِدُ! أَجَلُ، وَاسْتَخَفَّتْكَ الرُّسُومُ الْبَوَائِدُ
يقول فيها:

تَذَكَّرْتَ مِنْ تَهْوَى فَابْكَاكَ ذِكْرُهُ	فَلَا الذِّكْرُ مَنَسِيٌّ وَلَا الدَّمْعُ جَامِدُ
تَجِنُّ وَيَأْبَى أَنْ يُسَاعِدَكَ الْهَوَى	وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ هَوَى لَا يُسَاعِدُ
أَلَا طَالَمَا أَنْهَيْتَ دَمْعَكَ طَائِماً	وَجَارَتْ عَلَيْكَ الْآنِسَاتُ النَّوَاهِدُ
تَذَكَّرْنَا أَبْصَارُهَا مُقَلَّ الْمَهَا	وَاعْنَاقَهَا أَدْمُ الطَّبَّاءِ الْعَوَاقِدُ ^(٢)
تَسَاقَطُ مِنْهُنَّ الْأَحَادِيثُ غَضَّةٌ	تَسَاقَطَ دُرٌّ أَسْلَمْتُهُ الْمَعَاقِدُ
إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَجَاذَبْتُ	بِنَا اللَّيْلِ خُوصٌ كَالْقَسِيِّ شَوَارِدُ
يَمَانِيَّةٌ يَبْنَى الْقَرِيبُ مَحَلَّةٌ	بِهِنَّ، وَيَدْنُو الشَّاحِطُ الْمُتَبَاعِدُ
تَجَلَّى الشَّرَى عَنْهَا، وَلِلْعَيْسِ أَعْيُنُ	سَوَامٍ وَأَعْنَاقُ إِلَيْكَ قَوَاصِدُ
إِلَى مَلِكٍ تَنْدَى إِذَا يَبَسَ الثَّرَى	بِنَائِلٍ كَفَيْهِ الْأَكْفُ الْجَوَامِدُ

(١) ف: « المولدون الذين بهد المخضرين » وفي حاشية الأصل (من نسخة): « مولد » بكسر اللام؛ أي يولد الكلام. (٢) المعاقد: هو الظبي الذي عطف عنقه إلى ناحية عجزه؛ وقيل إن الصفاير تفعل ذلك كثيرا؛ قال ساعدة:

وَكأنَّمَا وَا فَاكِ يَوْمَ لَقِيَتْهَا
مِنْ وَحْشٍ وَجَرَةٍ عَاقِدٍ مُتَرَبِّبٍ

ولا يبعد أن يكون العواقد اللأئي بأوين إلى عقدات الرمل، أو يكون معناها أنها عقدت أعناقها ملتفة إلى أذنانها، وذلك معهود من عاداتها.

لهُ فَوْقَ مَجْدِ النَّاسِ مَجْدَانِ مِنْهُمَا طَرِيفٌ وَعَادِيٌّ الْجَرَائِمِ تَالِدٌ
وَأَحْوَاضُ عِزِّ حَوْمَةِ الْمَوْتِ دُونَهَا وَأَحْوَاضُ عُرْفٍ لَيْسَ عَيْنٌ ذَائِدٌ
أَيْدِي بَنِي الْعَبَّاسِ بَيْضٌ سَوَابِغٌ عَلَى كُلِّ قَوْمٍ بَادِيَاتُ عَوَائِدُ
هُمْ يَمْدُلُونَ السَّمَكَ مِنْ قَبَةِ الْهُدَى كَمَا تَعْدِلُ الْبَيْتَ الْحَرَامَ الْقَوَاعِدُ
سَوَاعِدُ عِزِّ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِنَّمَا تَنْوُءُ بِصَوَلَاتِ الْأَكْفِ السَّوَاعِدُ
/ يَكُونُ غِرَارًا نَوْمُهُ مِنْ حِذَارِهِ عَلَى قَبَةِ الْإِسْلَامِ وَالخَلْقُ رَاقِدُ
كَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدًا لِرَأْفَتِهِ بِالنَّاسِ لِلنَّاسِ وَالِدُ
أما قوله :

[١٧٥]

تساقط منهنّ الأحاديث غَضَّةٌ تساقطَ دُرٌّ أسلمتهُ المعاقِدُ

فكثير في الشعر ، وأظن أن الأصل فيه أبو حية النيمري في قوله :

إِذَا هُنَّ سَاقَطْنَ الْأَحَادِيثَ لِلْفَتَى سَقُوطَ حَصَى الرَّجَانِ مِنْ كَفِّ نَاطِمِ
وَإِنَّمَا عَنَى بِالرَّجَانِ صَفَارَ اللَّوْلُو ، وَعَلَى هَذَا يُتَأَوَّلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُو
وَالْمَرْجَانُ ﴾ ؛ [الرحمن : ٢٢] .

ومثله قول الآخر :

هِيَ الدُّرُّ مَنْشُورًا إِذَا مَا تَكَلَّمْتَ وَكَالدُّرِّ مَنْظُومًا إِذَا لَمْ تَكَلِّمْ
ومثله :

مِنْ نَعْرِهَا الدُّرُّ النَّظِيءُ مُمْ وَلَفْظُهَا الدُّرُّ النَّشِيرُ

ونظيره قول البحترى - وأحسن غاية الإحسان :

وَلَمَّا التَّمِينَا وَالنَّقَا مَوْعِدٌ لَنَا تَعَجَّبَ رَأَى الدُّرُّ حُسْنًا وَلَا قِطْعُهُ
فَعِنَ لَوْلُوٌ تَجْلُوهُ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمَنْ لَوْلُوٌ عِنْدَ الْحَدِيثِ تُسَاقِطُهُ

ومثله قول الأَخِيطِلِ^(١).

خَلَوْتُ بِهَا وَسَجَفُ اللَّيْلِ مُلْتَمَى وَقَدْ أَصْنَعْتُ إِلَى الْعَرَبِ النَّجُومُ
كَأَنَّ كَلَامَهَا دُرٌّ نَشِيرٌ وَرَوْنَقٌ نَغْرَهَا دُرٌّ نَظِيمٌ

ولغيره:

تَبَسَّمْتُ فَرَأَيْتُ الدَّرَّ مُنْتَهَظًا وَحَدَّثْتُ فَرَأَيْتُ الدَّرَّ مُنْتَهِرًا ٥

ولآخر:

وَتُحْفَظُ لَا مِنْ رِيَّةٍ يَحْذَرُونَهَا وَلَكِنهَا مِنْ أَعْيُنِ النَّاسِ تُحْفَظُ
وَتَلْفَظُ دُرًّا فِي الْحَدِيثِ إِذَا جَرَى وَلَمْ تَرَ دُرًّا قَبْلَ ذَلِكَ يُلْفَظُ

ولبعض من تأخر زمانه من الشعراء وقرب من عصرنا هذا:

أَظْهَرَ نَ وَصَلًا إِذْ رَحِمْنَ مَتِيًّا وَأَرَبْنَ هَجْرًا إِذْ خَشِينَ مُرَاقِبًا ١٠
/ فَتَنْظَمْنَ مِنْ دُرِّ الْمَبَاسِمِ جَامِدًا وَتَنْزَنْنَ مِنْ دُرِّ الْمَدَامِعِ ذَائِبًا [١٧٦] و

قال قدس الله روحه: وليس قول أبي دهب في صفة الحديث^(٢):

كَتَسَاقُطِ الرُّطْبِ الْجَنِيِّ مِنْ الِ أَقْنَاءِ لَا نَبْرًا وَلَا نَزْرًا

من هذا الباب في شيء، لأن جميع ما تقدم هو في وصف الثَّغْرِ؛ وهذا في وصف حسن

الحديث وأنه متوسط في القلة والكثرة، لازم للقصد كالتثارة الرُّطْبِ من الأَقْنَاءِ؛ ويشبهه ١٥
أن يكون أراد أيضاً مع ذلك وصفه بالحلاوة والغضاضة لتشبيهه له بالرطب، ثم إنه غضُّ طَرِيٍّ
غير مكرَّرٍ ولا معاد؛ لقوله: «الرطب الجنى» فتجتمع له أغراض: الوصف بالاعتقاد في القلة
والكثرة، ثم وصفه بالحلاوة، ثم الفصاحة، ثم الغضاضة.

(١) في م: «الأخطل» خطأ؛ وفي حاشية الأصل: «الأهوازي»، يقال له برقوتا؛ وهو

محمد بن عبد الله، شاعر مجيد من أهل الأهواز.

(٢) من نسخة بمحاشيتي الأصل، ف: «في وصف حسن الحديث والثغر».

ونظير قول أبي دَهْبَلٍ قول ذى الرِّمَّة :

لَمَّا بَشَّرْتُ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقُ رَخِيمِ الْحَوَائِي لَا هُرَاءَ وَلَا نَزْرُ (١)

فأما قول مروان :

إِلَى مَلِكٍ تَنْدَى إِذَا بَيْسَ الثَّرَى بِنَائِلِ كَفَيْهِ الْأَكْفُ الْجَوَامِدُ

فمثل قول أبي حنّس النُمَيْرِيّ فى يَحْيَى بن خالد البرمكى :

لَا تَرَانِي مُصَافِحًا كَفَّ يَحْيَى إِنَّنِي إِنْ فَعَلْتُ أَتَلَفْتُ (٢) مَالِي

لَوْ يَمَسُّ الْبَخِيلُ رَاحَةَ يَحْيَى لَسَخَتْ نَفْسُهُ بِبَدْلِ النَّوَالِ

ومثله قول ابن الحياط (٣) المدنى فى المهدى :

لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْغَى الْغْنَى وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُمْدِي (٤)

فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذُو الْغْنَى أَفَدْتُ ، وَأَعْدَانِي فَاتَلَفْتُ مَا عِنْدِي ١٠

وقد قيل إن هذا الشاعر كأنه مُصَرِّحٌ بالهجاء ؛ لأنه زعم أن الذى لمس كفه لم يفده

شيئاً بل أعداه جوده ، فأتلف ماله ، ولم يُرد الشاعر إلا المدح ؛ ولقوله وجه ، وهو

أن ذوى الغنى هم الذين تستقر الأموال فى أيديهم وتلبث تحت أيامهم ؛ ومن أخرج ما يملكه

حالا بحال لا يوصف بأنه ذو غنى ، فأراد الشاعر أنى لم أفد منه ما بقى فى يدي واستقر

١٥ تحت ملكي ؛ فلهذا قال : لم أفد ما أفاد ذوى الغنى .

ومن هذا المعنى قول مسلم :

إِلَى مَلِكٍ لَوْ صَافِحَ النَّاسَ كَلَّهْمُ لَمَّا كَانَ حَيًّا فِي الْبَرِيَّةِ يَبْخَلُ [١٧٦] ظ

ومثله قول العكوك :

لَوْ لَمَسَ النَّاسُ رَاحَتِيهِ مَا بَخَلَ النَّاسُ بِالْعَطَاءِ

(١) ديوانه ٢١٢ . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « أتلف » .

(٣) حاشية الأصل : « ابن الحياط ، هو عبد الله بن محمد ، ويعرف بابن الحياط ؛ ذكر ذلك

أبو الفرج الأصبهاني رحمه الله ، وترجمته فى الأغاني ١٨ : ٩٤-١٠٠ .

(٤) الأغاني ١٨ : ٩٤ .

وأحسن من هذا كله وأشبهه بالمدح ، وأدخل في طريقته قولُ البحترى :
مَنْ شَاكِرٌ عَنِّي الْخَلِيفَةَ بِالَّذِي وَأَوْلَاهُ مِنْ طَوْلِ وَمِنْ إِحْسَانِ^(١)
مَلَأَتْ يَدَاهُ يَدِي وَشَرَّدَ جُودُهُ بُخْلِي ، فَأَفْقَرَنِي كَمَا أَغْنَانِي
حَتَّى لَقَدْ أَفْضَلْتُ مِنْ إِفْضَالِهِ وَرَأَيْتُ نَهْجَ الْجُودِ حَيْثُ أَرَانِي
وَوَثَّقْتُ بِالْخَلْفِ الْجَمِيلِ مُعْجَلًا مِنْهُ ، فَأَعْطَيْتُ الَّذِي أَعْطَانِي ٥
ومن هذا قولُ الآخر :

رَأَيْتُ النَّدَى فِي آلِ عَوْفٍ خَلِيقَةً إِذَا كَانَ فِي قَوْمٍ سِوَاهُمْ تَخْلُقًا
وَلَوْ جُزَّتْ فِي أَبِيائِهِمْ^(٢) لَتَعَلَّمْتُ يَدَاكَ النَّدَى مِنْهُمْ فَأَصْبَحَتْ مُمْلِقًا
ولابن الرومي :

١٠ يَجُودُ الْبَخِيلُ إِذَا مَارَاكَ وَيَسْطُو الْجَبَانُ إِذَا عَايَنَاكَ
فأما قوله :

وَأَحْوَاضُ عَزَى حَوْمَةُ الْمَوْتِ دُونَهَا وَأَحْوَاضُ عُرْفٍ لَيْسَ عَمَّيْنِ دَائِدُ

فيشبهه أن يكون إبراهيم بن العباس الصولي أخذه في قوله :

لَنَا إِبِلٌ كَوْمٌ يَضِيقُ بِهَا الْفَضَا وَتَفَرَّتْ عَنْهَا أَرْضُهَا وَسَمَاوُهَا^(٣)
فَمِنْ دُونِهَا أَنْ تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُنَا وَمِنْ دُونِنَا أَنْ تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُهَا ١٥
حَمِيٍّ وَقَرِيٍّ فَالْمَوْتُ دُونَ مَرَامِهَا وَأَيْسَرُ خَطْبٍ عِنْدَ حَقِّ فَنَاؤُهَا

وقد أحسن إبراهيم بن العباس في أبياته كل الإحسان .

فأما قوله :

يَكُونُ غِرَارًا نَوْمُهُ مِنْ حِدَارِهِ عَلَى قُبَّةِ الْإِسْلَامِ وَالْخَلْقُ رَاقِدُ

[١٧٧]

/ فكثير متداول ، ومن حسنه قولُ محمد بن عبد الملك الزيات :

(١) ديوانه ٢ : ٢٧٢ . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « في أنفائهم » .

(٣) ديوانه : ١٥٣ ، والأغاني ١٠ : ٥٩ (طبع دار السكتب المصرية) . السكوم : الإبل الضخمة

العظيمة السنام ؛ الواحد أ كوم والأنتى كوما .

نَعِمَ الْخَلِيفَةُ لِلرَّعِيَّةِ مَنْ إِذَا رَقَدَتْ وَطَابَ لَهَا الْكُرَى لَمْ يَرْقُدْ
ومثله :

وَيَظَلُّ يَحْفَظُنَا وَنَحْنُ بِغَفْلَةٍ وَبَيْتُ يَكْلُونَا وَنَحْنُ نِيَامُ
ومثله للبحترى :

٥ أَرْبِيعَةَ الْفَرَسِ اشْكُرِي يَدَ مُنْعِمٍ وَهَبَ الْإِسَاءَةَ لِلْمُسِيءِ الْجَانِبِ (١)
رَوَّعْتُمُو جَارَاتِهِ فَبَعَثْتُمُو مِنْهُ حَمِيَّةَ آنِفِ غَيْرَانَ
لَمْ تَكْرَرْ عَن قَاصِي الرِّعِيَّةِ عَيْنُهُ فَتَنَّمَ عَن وَتَرِ الْقَرِيبِ الدَّانِي

فأما قوله :

كأن أمير المؤمنين محمداً لرأفته بالناس للناس والدُّ

١٠ فنظير قول بعض الشعراء في يحيى بن خالد البرمكى :

أَحْيَا لَنَا يَحْيَى فَعَالَ خَالِدٍ فَأُصْبِحَ الْيَوْمَ كَثِيرَ الْحَامِدِ
يَسْخُو بِكُلِّ طَارِفٍ وَتَالِدِ عَلَى بَعِيدٍ غَائِبٍ وَشَاهِدِ
النَّاسُ فِي إِحْسَانِهِ كَوَاحِدِ وَهُوَ لَهُمْ أَجْمَعِهِمْ كَالْوَالِدِ

ومن جيد قول مروان من قصيدة أولها :

١٥ خَلَتْ بَعْدَنَا مِنْ آلِ لَيْلَى الْمَصَانِعُ وَهَاجَتْ لَنَا الشُّوقَ الدِّيَارُ الْبَلَاقِعُ

يقول فيها :

وَمَالِي إِلَى الْمَهْدِيِّ لَوْ كُنْتُ مُدْنِبًا سِوَى حِلْمِهِ الضَّافِي عَلَى النَّاسِ شَافِعُ
وَلَا هُوَ عِنْدَ السُّخْطِ مِنْهُ وَلَا الرِّضَا بَغَيْرِ الَّتِي يَرْضَى بِهَا اللَّهُ وَاقِعُ (٢)
تَغْضُّ لَهُ الطَّرْفَ الْعِيُونَ وَطَرْفَهُ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ خَاشِعُ

(١) ديوانه ٢ : ٢٧٢ . وفي حاشية الأصل : « ربيعة رجل ورث أباه دوابه ، فقبل له ربيعة

الفرس ؛ وسميت القبيلة باسم ربيعة وهي التي تذكر مع مضر » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « ولا هو » وفيها (من نسخة) : « فاع » .

أما قوله :

* ولا هو عند السخط منه ولا الرضا *... البيت

فمثل قول أشجع :

وَأَسْتُ بِجَائِفٍ لِأَبِي عَلِيٍّ وَمَنْ خَافَ الْإِلَهَ فَلَنْ يُخَافَا

[١٧٧]

ط

/ومثله:

أَمَّنِّي مِنْهُ وَمَنْ خَوَّفِهِ خِيفَتُهُ مِنْ خَشِيَةِ الْبَارِي

ولأبي نُوَّاسٍ :

قَدْ كُنْتُ خَفْتُكَ نَمَّ أَمَّنِّي مِنْ أَنْ أَخَافَكَ خَوْفَكَ اللَّهُ (١)

ويُشَبِّه هذا المعنى مارُوي عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله أنه دعا غلاماً مراراً

فلم يجبه ، فخرج فوجده على الباب (٢) فقال له : ما حملك على تركِ إجابتي ؟ قال : كسيت

عن إجابتك ، وأمنت عقوبتك ، فقال : عليه السلام : الحمد لله الذي جعلني ممن يأمنه خلقه .

فأما قوله : « تَغُضُّ لَهُ الطَّرْفَ الْعَيُونَ » فيشبهه أن يكون مأخوذاً من قول الفرزدق ، أو ممن

تنسب إليه هذه الأبيات :

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا جِنَّ يَنْتَسِمُ (٣)

(١) ديوانه ١٠٩ ؛ من أبيات بعث بها إلى الفضل بن الربيع .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « على باب البيت » .

(٣) ينسب هذا البيت مع غيره أيضاً للعزير الكناني ؛ وانظر مامر من حواشي ص ٦٨ .

مَجْلِسُ آخِرٍ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾؛ [الأنفال: ٢٤].
فقال: ما معنى الحَوْل بين المرء وقلبه؟ وهل يصح ما تأوله قومٌ من أنه يحول بين الكافر وبين الإيمان؟ وما معنى قوله: ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾؟ وكيف تكون الحياة في إجابته؟

الجواب، قلنا: أما قوله تعالى: ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ ففيه وجوه:

أولها أن يريد بذلك أنه تعالى يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بالموت، وهذا حدث من الله عز وجل على الطاعات والمبادرة بها قبل الفوت وانقطاع التكليف، وتمذّر مايسوفُ به المكلف نفسه من التوبة والإقلاع؛ فكأنه تعالى قال: بادروا إلى الاستجابة لله وللرسول من قبل أن يأتيكم الموت فيحول بينكم وبين الانتفاع بنفوسكم وقلوبكم، ويتعذّر عليكم مايسوفون به^(١) نفوسكم من التوبة بقلوبكم. ويقوى ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾^(٢).

وثانيها أن يحول بين المرء وقلبه بإزالة عقله وإبطال تمييزه، وإن كان حياً، وقد يقال لمن فقد عقله وسلب تمييزه: إنه بغير عقل^(٣)؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾؛ [ق: ٣٧].

وقال الشاعر:

وَلَكِنْ بَلَاقِلِبٍ إِلَىٰ أَيْنَ أَذْهَبُ!

وهذا الوجه يقرب من الأوّل؛ لأنه تعالى أخرج هذا الكلام مخرج الإنذار لهم،

(١) حاشية الأصل (من نسخة) « فيه ». (٢) بقية الآية السابقة

(٣) حاشية الأصل (من نسخة): « بغير قلب ».

والحث لهم^(١) على الطاعات قبل قوتها ، لأنه لا فرق بين تعذر التوبة وانقطاع التكليف بالموت وبين تعذرها بإزالة العقل .

وثالثها أن يكون المعنى المبالغة في الإخبار عن قُرْبِهِ من عباده وعلمه بما يبطنون ويخفون ؛ وأن الضمائر المسكونة^(٢) له ظاهرة ، والخفايا المستورة لعلمه بادية ؛ ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [ق : ١٦] ، ونحن نعلم أنه لم تعالى يُرِدْ بذلك ٥ قرب المسافة ، بل المعنى الذي ذكرناه .

وإذا كان عز وجل هو أعلم بما في قلوبنا منّا ، وكان ما نعلمه أيضا يجوز أن ننساه ، ونسبوه عنه ، ونضِلَّ عن علمه — وكل ذلك لا يجوز عليه — جاز أن يقول : إنه يحول بيننا وبين قلوبنا ؛ لأنه معلوم في الشاهد أن كل شيء يحول بين شيئين فهو أقرب إليهما .

ولما أراد تعالى المبالغة في وصف القرب خاطبنا بما نعرف ونألف ؛ وإن كان القرب الذي عناه ١٠ جأت عظمتُهُ لم يُرِدْ به المسافة ، والعرب تضع كثيراً لفظة القُرْب على غير معنى المسافة ؛ فيقولون : فلان أقرب إلى قلبي من فلان ، وزيد مني قريب ، وعمرو مني بعيد ؛ ولا يريدون المسافة .

ورابعها ما أجاب به بعضهم — من أن المؤمنين كانوا يفكرون في كثرة عدوهم ، وقلة عددهم ، فيدخل قلوبهم الخوف ، فأعلمهم تعالى أنه يحول بين المرء وقلبه ، بأن يبدله بالخوف ١٥ الأمن ؛ ويبدل عدوهم — بظنهم أنهم قادرون عليهم وغالبون لهم — الجبن والخور .

ويمكن في الآية وجه خامس ؛ وهو أن يكون المراد أنه تعالى يحول بين المرء وبين ما يدعو إليه قلبه من القبائح ؛ بالأمر والنهي والوعد والوعيد ؛ لأننا نعلم أنه تعالى لو لم يكلف العاقل مع ما فيه من الشهوات والنفار لم يكن له عن القبيح مانع ؛ ولا عن مواقفته رادع ؛ فكان التكليف حائل بينه وبينه ؛ من حيث زجر عن فعله ، وُصِرَفَ عن مواقفته ؛

(١) ساقطة من ف . (٢) حاشية ف (من نسخة) : « المسكونة » .

[١٧٨] وليس يجب في الحائل / أن يكون في كل موضع مما يمتنع معه الفعل ؛ لأننا نعلم أن المشير منا^ط على غيره في أمر كان قد همَّ به وعزم على فعله أن يجتنبه. والمنبئه له على أن الحظ في الانصراف عنه يصح أن يقال : منعه^(١)، وحال بينه وبين فعله ، قال عبيد الله بن قيس الرقيات^(٢) :

حَالِ دُونََ الْهَوَى وَدُوْنَ سُرَى اللَّيْلِ مُصْعَبُ
وَسِيَاظُهُ عَلَى أَكْفِ رِجَالِ تَقَابُ

ونحن نعلم أنه لم يحل إلا بالتخويف والترهيب دون غيرها .

فإن قيل : كيف يطابق هذا الوجه صدر الآية ؟

قلنا : وجه المطابقة ظاهر^٣، لأنه تعالى أمرهم بالاستجابة لله تعالى ولرسوله فيما يدعون^٤ إليه من فعل الطاعات، والامتناع من المقتضات، وأعلمهم أنه بهذا الدعاء والإنذار وما يجري^(٣)

١٠ مجراهما يحول بين المرء وبين ما تدعوه إليه نفسه من المعاصي ؛ ثم إن المآب بعد هذا كله إليه والمنقلب إلى ما عنده ؛ فيجازى كلاً باستحقاقه .

فأما قوله تعالى : ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ ففيه وجوه :

أولها أن يريد بذلك الحياة في النعيم^(٤) والثواب ، لأن تلك هي الحياة الطيبة الدائمة التي يؤمن من تغيرها ، ولا يخاف انتقالها ، فكأنه تعالى حث على إجابته التي تكسب

١٥ هذه الحال .

وثانيها أنه يختص^(٥) ذلك بالدعاء إلى الجهاد وقتال العدو ، فكأنه تعالى أمرهم بالاستجابة للرسول عليه السلام فيما يأمرهم به من قتال عدوهم^(٦) ؛ ودفعهم عن حوزة الإسلام

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : «منه منه» . (٢) حاشية الأصل : « كان جده شاعرا يشب

بجماعة من النساء ، اسم كل واحدة منهن رقية ؛ فأضيف إليهن » .

(٣) حاشية ف (من نسخة) : « وما جرى » . (٤) حاشية ف (من نسخة) : « النعم » .

(٥) ش : « أن يختص » . (٦) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ف « الأعداء » .

وأعلمهم أن ذلك يحبيهم من حيث كان فيه قَهْرٌ للمشركين، وتقليل لعددهم، وفلَّحْدَهُمْ؛ وحَسَمٌ لأطماعهم، لأنهم متى كثروا وقووا استلانا جانب المؤمنين؛ وأقدموا عليهم بالقتل وصنوف المكاره؛ فمن هاهنا كانت الاستجابة له عليه السلام في القتال تقتضي الحياة والبقاء؛ ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾؛ [البقرة: ١٧٩].

وثالثها ما قاله قوم من أن كلَّ طاعة حياة، ويوصف فاعلها بأنه حي، كما أن المعاصي^٥ يوصف فاعلها بأنه ميت، والوجه في ذلك / أن الطائع لما كان^(١) منتفعاً بحياته، وكانت تؤديه [١٧٩] إلى الثواب الدائم قيل: إن الطاعة حياة؛ ولما كان الكافر المعاصي لا ينتفع بحياته؛ من حيث كان مصيره إلى العقاب الدائم كان في حكم الميت؛ ولهذا يقال لمن كان منغصاً^(٢) الحياة، غير منتفع بها: فلان بلا عيش ولا حياة، وما جرى مجرى ذلك من حيث لم ينتفع بحياته.

ويمكن في الآية وجه آخر، وهو أن يكون المراد بالكلام الحياة بالحكم لا في الفعل؛ ١٠ لأننا قد علمنا أنه عليه السلام كان مكلفاً مأموراً بجهاد جميع المشركين المخالفين للته وقتلهم، وإن كان فيما بعد كلف ذلك فيمن عدا أهل الذمة على شرطها؛ فكأنه تعالى قال: استجيبوا للرسول ولا تخالفوه، فإنكم إذا خالفتم كنتم في الحكم غير أحياء، من حيث تعبد عليه السلام بقتالكم وقتلكم، فإذا أطعتم كنتم في الحكم أحياء؛ ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾؛ [آل عمران: ٩٧]؛ وإنما أراد تعالى أنه يجب أن يكون آمناً؛ ١٥ وهذا^(٣) حكمه، ولم يخبر بأن ذلك لا محالة واقع.

فأما الجبرة فلا شبهة لهم في الآية، ولا متعلق بها؛ لأنه تعالى لم يقل: إنه يحول بين المرء وبين الإيمان، بل ظاهر الآية يقتضي أنه يحول بينه وبين أفعاله، وإنما يقتضي ظاهرها أنه يحول بينه وبين قابه؛ وليس للإيمان ولا للكفر ذكر، ولو كان للآية ظاهر يقتضي

(١) ش: «إذا كان». (٢) حاشية ف (من نسخة): «متكدر».

(٣) حاشية ف (من نسخة): «وهكذا حكمه».

ماظنوه - وليس لها ذلك - لا نُصرفنا عنه بأدلة العقل الموجبة أنه تعالى لا يحول بين المرء وبين ما أمره به ، وأراده منه ، وكلفه فعله ؛ لأن ذلك قبيح ، والقبائح عنه منفيّة .

* * *

أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثني أحمد بن محمد الجوهري قال حدثنا الحسن بن عليّ المنزلي قال حدثنا أحمد بن عمرو بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن عوف قال حدثني محمد بن خالد^(١) بن عبد الله عن الحجاج السلمي قال : لما اشتد بمحصن ابن حذيفة بن بدر وجمه من طمّنة كرز^(٢) بن عامر إياه يوم بني عُقَيْل دعا ولده فقال : إن الموت أهون مما أجد ، فأبيكم يُطيعني ؟ قالوا : كلنا نطيعك ؛ فبدأ بأكبرهم فقال : قم فخذ سيفي واطعن به حيث أمرك ، ولا تمجّل ؛ قال : يا ابتاه: أيقتل المرء^(٣) أباه ! فأتى على [١٧٩] القوم كلهم / ، فأجابوه جواب^(٤) الأول ؛ حتى انتهى إلى عُيَيْنة فقال : يا ابتاه، أليس لك فيما تأمرني به راحة ، ولي بذلك طاعة ؛ وهو هواك ؟ قال : بلى ، قال : فرّني كيف أصنع ، قال : قم فخذ سيفي فضمه حيث أمرك^(٥) ، ولا تمجّل ، فقام فأخذ سيفه ، ووضع على قلبه ، ثم قال : يا ابتاه ، كيف أصنع ؟ قال : ألق السيف ؛ إنما أردتُ أن أعلم: أيكم أمضى لما أمر به ؛ فأنت خليفتي ورئيس قومك من بعدى ، فقال القوم: إنه^(٦) سيقول فيما كان بيتاً، فاحضروه^(٧) فلما أمسى قال :

١٥ وَتَلَّوْا عُيَيْنَةَ مِنْ بَعْدِي أُمُورَكُمْ وَاسْتَيْقِنُوا أَنَّهُ بَعْدِي لَكُمْ حَامٍ
إِذَا هَلَكْتُ فَإِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكُمْ عِزَّ الْحَيَاةِ بِمَا قَدَّمْتُ قُدَّامِي
وَاسْتَوْسِقُوا لِتِلْكَ فِيهَا مَرُوءٌ تُكُمُ قَوَدَ الْجِيَادِ ، وَضَرَبَ الْقَوْمَ فِي الْهَامِ^(٧)

(١) ش : « عمر بن خالد » . (٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « كرز » .

(٣) ش : « الرجل » . (٤) ف : « بجواب الأول » . حاشية الأصل (من نسخة) :

« الجواب الأول » . (٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « كما أمرت به » .

(٦-٦) م : « إنه سيقول في ذلك شيئاً فيما بيننا ، فاحضروه » . (٧) استوسقوا : انضموا واجتمعوا ،

وفي حاشية الأصل : « نصب » قود الجياد ، على تقدير فعل مضمّر ؛ كأنه قال : أعني قود الجياد .

وَالْقُرْبَ مِنْ قَوْمِكُمْ وَالْقُرْبَ يَنْفَعُكُمْ—
 وَلِيَّ حُدَيْفَةَ إِذْ وَلَّى وَخَلْفَنِي
 لَا أَرْفَعُ الطَّرْفَ ذُلًّا عِنْدَ مُهْلَكَةٍ
 حَتَّى اعْتَقَدْتُ لِوَأَقَوْمِي فَقُمْتُ بِهِ
 لِمَا قَضَى مَا قَضَى مِنْ حَقِّ زَائِرِهِ
 أَسْمُو لِمَا كَانَتْ الْآبَاءُ تَطْلُبُهُ
 وَالذَّهْرُ آخِرُهُ شِبْهُ لِأَوَّلِهِ
 فَابْنُوا وَلَا تَهْدِمُوا فَالنَّاسُ كَالْهَمِّ
 وَالْبُعْدَ إِنْ بَاعَدُوا ، وَالرَّيَّ لِرَأْيِ
 يَوْمَ الْهَبَاةِ يَتِيًّا وَسَطًا أَيَّتَامَ
 أَلْقَى الْمَدْوَّ بِوَجْهِ خَذُهُ دَائِي
 ثُمَّ ارْتَحَلْتُ إِلَى الْجَفْنَى بِالشَّامِ
 عُجْتُ الْمَطَى إِلَى التُّعْمَانَ مِنْ عَامِي ٥
 عِنْدَ الْمَلُوكِ فَطَرَفِي عِنْدَهُمْ سَامِي
 قَوْمٌ كَقَوْمِ وَأَيَّامٌ كَأَيَّامِ
 مِنْ بَيْنِ بَانٍ إِلَى الْعَلِيَّاءِ وَهَدَّامِ

قال : ثم أصبح ودعا بني بدر ، فقال : لو أئى ورياستى لميينة؛ واسمعوا منى ما أوصيكم به :

١٠ لَا يَتَكَلَّأُ آخِرُكُمْ عَلَى أَوْلِكُمْ ؛ فَإِنَّمَا يَدْرِكُ الْآخِرُ (١) مَا أَدْرَكَهُ الْأَوَّلُ ؛ وَأَنْكِحُوا الْكُفَّ (٢) الْغَرِيبَ ؛ فَإِنَّهُ عَزُّ حَادِثٌ ؛ وَإِذَا حَضَرَ كَمُ أَمْرَانِ نَفَخُوا بِمَجْرِهِمَا صَدْرًا ؛ فَإِنْ كَلَّ مَوْرِدَ مَعْرُوفٍ ؛ وَاصْبُوا قَوْمَكُمْ بِأَجْلِ أَخْلَاقِكُمْ ؛ وَلَا تَخَالَفُوا فِي مَا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ ؛ فَإِنْ خَالَفَ يُزِيرِي بِالرَّئِيسِ الْمَطَاعِ ؛ وَإِذَا حَارَبْتُمْ فَأَوْقَمُوا ثُمَّ قُولُوا صَدَقًا ؛ فَإِنَّهُ لِأَخِيرٍ فِي الْكُذْبِ ، وَصَوْنُوا الْخِيُولَ ، فَإِنَّهَا حِصُونُ الرِّجَالِ ؛ وَأَطْبِئُوا الرِّمَاحَ ؛ فَإِنَّهَا قُرُونُ الْخَيْلِ ؛ وَأَعَزُّوا (٣) الْكَبِيرَ بِالْكَبِيرِ ؛ فَإِنِّي بِذَلِكَ كُنْتُ أَغْلِبُ النَّاسَ ، وَلَا تَفَرُّوا إِلَّا بِالْعَيْوُنِ ؛ وَلَا تَسْرَحُوا حَتَّى تَأْمَنُوا الصَّبَاحَ ؛ وَأَعْطُوا عَلَى حَسَبِ ١٥ الْمَالِ ، وَأَعْجَلُوا الضَّيْفَ بِالْقَرِيِّ ؛ فَإِنْ خَيْرَهُ أَعْجَلْهُ ، وَاتَّقُوا فَضْحَاتِ الْبَنَى ، وَفَتَاتِ الْمِزَاحِ ، وَلَا تَجْتَرِّئُوا عَلَى الْمَلُوكِ ؛ فَإِنْ أَيْدِيَهُمْ أَطُولَ مِنْ أَيْدِيكُمْ ؛ وَاقْتُلُوا كُرُزَ بْنَ عَامِرٍ .

ومات حصن فأخذ عيينة الرياسة ، وقال :

أَطَعْتُ أَبَا عُمَيْيَةَ فِي هَوَاهُ فَلَمْ تَخْلُجْ صَرِيمَتِي الظَّنُونُ (٤)

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « الأخير » . (٢) ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) :

« الكنى » . (٣) س : « واغزو » . (٤) الصريمة : العزيمة والرأى . وفي حاشية الأصل : « يقال : اختلجته الظنون وتخالجته وخلجته ، أى ظن ، والشاعر يقول : لم تأخذنى الظنون مأخذها إلى طعنه ، ولم أظن ظنا » .

وَقَدْ عَرَضَ الرَّئِيسُ عَلَى بَنِيهِ
سَتْحِيًّا أَوْ تَمُوتُ ، فَطَاوَلُوهُ^(١) وَقَتْلُ الْمَرْءِ وَالِدَهُ جُنُونٌ
فَلَمْ أَقْتُلْ بِحَمْدِ اللَّهِ حِصْنًا وَكَلُّ فَتَى سَتَدْرِكُهُ الْمَنُونُ
وَلَمْ أَنْكُلْ عَلَيْهِ ، وَكَلُّ أَمْرٍ إِذَا هَوَّنتَهُ يَوْمًا يَهُونُ
فَإِنْ يَكُ بَدَأُ هَذَا الْأَمْرَ غَنًّا فَإِخْرَهُ بَنِي بَدْرِ سَمِينُ

وحكى عمرو بن بحر الجاحظ أن اسم عيينة بن حصن خُدَيْفَةٌ، وإنما أصابته اللقوة^(٢) فحفظت عينه؛ وزال فكُّه، فسمى لذلك عُيَيْنَةَ؛ وإذا عظمت عين الإنسان لقبوه بأبعينته، وأبا عييناء.

وروى قيس بن أبي حازم أن عُيَيْنَةَ بن حصن دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «هذا أحقُّ مطاع».

وروى أيضاً أنه كان يدلّع^(٣) لسانه للحسين بن عليّ عليهما السلام وهو صبيّ، فيرى [الصبيّ]^(٤) لسانه، فيهشّ له، فقال له عيينة: ألا أراك^(٥) تصنع هذا بهذا، فوالله إنه ليكون لي الابنُ رجلاً قد خرج وجهه، ما قبلته قطّ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنه من لم يرَ حمّ لا يرَ حمّ^(٦)».

١٥ ونعود إلى ما كنا وعدنا به من الكلام على شعر مروان؛ فمما يُختار من شعره قوله من قصيدة أولها:

صَحًّا بَعْدَ جَهْلٍ فَاسْتَرَا حَتْ عَوَاذِلُهُ وَأَقْصَرَ نَ عَنْهُ حِينَ أَقْصَرَ بَاطِلُهُ
/ وَمَنْ مُدًّا فِي أَيَّامِهِ فَتَأَخَّرَتْ مَنِيَّتُهُ ، فَالشَّيْبُ لَا شَكَّ شَامِلُهُ [١٨٠] ط

(١) حاشية الأصل (من نسخة):

* سَيْحِيًّا أَوْ يَمُوتُ فَطَاوَلُوهُ *

(٢) اللقوة: داء في الوجه يعوج منه الشدق. (٣) يقال دلّع لسانه وأدلعه إذا أخرجه.

(٤) تكلمة من ش. (٥) من نسخة بحاشيتي الأصل، ف: «لا أراك».

(٦-٦) حاشية الأصل (من نسخة): «من لم يرَ حم لا يرَ حم».

يقول في المديح فيها :

هُوَ الرَّءُ؛ أَمَادِينُهُ فَهَوَ مَانِعٌ
أَمْرٌ وَأَحْلَى مَا بَلَى النَّاسُ طَعْمَهُ
أَبِيٌّ لَمَّا يَأْبَى ذَوُو الْحَزْمِ وَالْتَقَى
تَرْوِكُ الْهُوَى، لَا السَّخْطُ مِنْهُ وَلَا الرِّضَا
يَرَى أَنَّ مُرَّ الْحَقِّ أَحْلَى مَغْبَةً
فَإِنَّ طَلِيقَ اللَّهِ مَنْ هُوَ مُطْلِقٌ
وَإِنَّكَ بَعْدَ اللَّهِ لِلْحَكَمِ الَّذِي

صُتُونُ^(١)، وَأَمَّا مَالُهُ فَهَوَ بَاذِلُهُ
عِقَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَنَائِلُهُ
فَعَوْلُهُ إِذَا مَا جَدَّ بِالْأَمْرِ فَاعِلُهُ
لَدَى مَوْطِنٍ إِلَّا عَلَى الْحَقِّ حَامِلُهُ^(٢)
وَأُنْجَى وَلَوْ كَانَتْ زُعَافًا مَنَاهِلُهُ
وَإِنَّ قَتِيلَ اللَّهِ مَنْ هُوَ قَاتِلُهُ
تُصَابُ بِهِ مِنْ كُلِّ حَقٍّ مَفَاصِلُهُ

أما قوله :

١٠ وَمَنْ مُدَّ فِي أَيَّامِهِ فَتَأَخَّرَتْ
فَمَاخُودٌ مِنْ قَوْلِ طَرِيحِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ الثَّقَفِيِّ :

وَالشَّيْبُ غَايَةٌ مَنْ تَأَخَّرَ حِينُهُ
لَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعَهُ مَنْ يَجْزَعُ

والأصل في هذا قول أمية بن أبي الصلت :

مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا
وَالْمَوْتُ كَأْسٌ، وَالرَّءُ ذَائِقُهَا^(٣)

ويشبه ذلك قول الآخر :

١٥ قُلْ لِعَرْسِي لَيْسَ شَيْبِي بَعَجَبٌ
مَنْ يَعْشُ يَا أُمَّ عَمَّارٍ يَشِبُّ

ومثله قول أبي العتاهية :

مَنْ يَعْشُ يَهْرَمُ، وَمَنْ يَكْبُرُ يَمُتُ
وَالنَّيَا لَا تُبَالِي مَنْ أَنْتَ^(٤)

(١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « مصون » . (٢) حاشية الأصل : « أي لا يعمد

السخط ولا الرضا إلا على الحق » .

(٣) عبطة ؛ أي شابا صحيحا ؛ كذا ذكره صاحب اللسان (في عبط) ، واستشهد بالبيت . وفي

نسخة ش : « فالرء ذائقها » . (٤) ديوانه : ٣٩ .

يشبهه قول البحترى :

ولا بُدَّ من تركِ إحدى اثنتينِ / ويقاربه أيضا قوله:

[١٨١]
و

والشيبُ مَهْرَبُ مَنْ جَارَى مَنِيَّتَهُ / ولا نَجَاءَ لَهُ منْ ذَلِكَ الْهَرَبِ (٢)
وقريب منه قول ابن المعتز:

وقالتُ كَبِرْتُ وانتُضيتُ من الصَّبَا / فقلتُ لها: ما عِشْتُ إِلَّا لِأَكْبَرِ (٣)
ولبعضهم :

ولا بُدَّ منْ مَوْتٍ ؛ فإِما شَبِيهَةٌ / وإِما مَشِيْبٌ ، والشببيةُ أَصْلَحُ
معنى قوله : « والشببية أصلح » أن الإنسان إذا مات شاباً كان أكثرَ للحزن عليه
١٠ والأسف على مفارقتة، فإذا أسنَّ بِرَمَ به أهله، وهان عليهم فقدوه .

فأما قوله :

هُوَ الْمَرْءُ ، أَمَّا دِينُهُ فَهُوَ مَانِعٌ / صَوْنٌ ، وَأَمَّا مَالُهُ فَهُوَ بَادِلُهُ
فمعناه متكرر في الشعر كثير جداً .

وأحسن شعر جمع بين وصف المدوح ؛ بمنع ما يجب منعه ، وبذل ما يجب بذله قول
١٥ مسلم بن الوليد :

يُذَكِّرُنِيكَ الْجُودُ وَالْبُخْلُ وَالنُّهْيُ / وَقَوْلُ الْخَنَاءِ وَالْحِلْمِ وَالْعِلْمِ وَالْجَهْلِ (٤)
فَأَلْقَاكَ عَنْ مَذْمُومِهَا مُتَنَزِّهَا / وَأَلْقَاكَ فِي مَحْمُودِهَا وَلَكَ الْفَضْلُ
وَأَحْمَدُ مِنْ أَخْلَاقِكَ الْبُخْلَ إِنَّهُ / بِمِرْضِكَ لَا بِالْمَالِ حَاشَا لَكَ الْبُخْلُ

(٢) ديوانه ١ : ٣٠

(١) ديوانه ١ : ٢١٩

(٣) ديوانه ١ : ٣١ ، وانتضيت من الصبا ، أى خلع عنك صباك .

وقد أحسن البحترى في قوله :

بَلُونَا ضَرَائِبَ مَنْ قَدَّ نَرَى فَمَا إِزْ وَجَدْنَا لِفَتْحِ ضَرِيْبَا^(١)
تَنْقَلَ فِي سَلْفِي^(٢) سُوْدُودِ سَمَاحًا مُرَجِي وَبَاسًا مَهِيْبَا
فَكَالسَيْفِ إِنْ جِئْتَهُ صَارِحًا وَكَالْبَحْرِ إِنْ جِئْتَهُ مُسْتَيْبَا

فأما قوله :

تَرُوكُ الْمَهْوَى، لَا السَّخَطُ مِنْهُ وَلَا الرِّضَا لَدَى مَوْطِنٍ إِلَّا عَلَى الْحَقِّ حَامِلُهُ

فمعنى متداول^(٣) مطروق في الشعر ، وقد كرّره هو في قوله :

إِذَا هُنَّ الْأَتَمِينَ الرَّحَالَ بِيَابِهِ حَطَطْنَ بِهِ ثِقْلًا، وَأَدْرَكْنَ مَعْنَمَا^(٤)
/ إِلَى طَاهِرِ الْأَخْلَاقِ، مَا نَالَ فِي رِضَا وَلَا غَضَبٍ مَالًا حَرَامًا وَلَا دِمَا^(٥)

[١٨١]
ظ

١٠

وأحسن من هذا قول أبي تمام في محمد بن عبد الملك :

بَمِتُّ الْخَطَابَ إِذَا اضْطَكَّتْ بِمَظْلَمَةٍ فِي رَحْلِهِ أَلْسُنُ الْأَقْوَامِ وَالرُّكَبِ^(٦)
لَا الْمَنْطِقُ اللَّغْوُ يَزُكُو فِي مَقَاوِمِهِ يَوْمًا، وَلَا حُجَّةُ الْمَلْهُوفِ تُسْتَلَبُ
كَأَنَّمَا هُوَ فِي نَادَى قَبِيلَتِهِ لَا الْقَلْبُ يَهْفُو وَلَا الْأَحْشَاءُ تَضْطَرِبُ
وَتَحْتَّ ذَاكَ قَضَاةً حَزُّ شَفَرَتِهِ كَمَا يَعْضُ بِظَهْرِ الْغَارِبِ الْقَتَبِ^(٧)
لَا سَوْرَةَ تُتَقَى مِنْهُ وَلَا بَلَهَ وَلَا يُخَافُ^(٨) رِضَا مِنْهُ وَلَا غَضَبُ

١٥

(١) ديوانه ١ : ٥١ ، من قصيدة يمدح فيها الفتح بن خاقان وزير المتوكل وبعاتبه، ومطلعها :

لَوْتُ بِالسَّلَامِ بِنَانَا خَضِيْبَا وَلِحَظَا يَشُوْقُ الْفَوْادِ الطَّرُوْبَا

ومن نسخة بحاشية الأصل : « فإنا رأينا لفتح ضريبا » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) :

« خلقني سوؤدد » ؛ وهي رواية الديوان . (٣) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « فبذول » .

(٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « وأدين مغنا » ،

(٥) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « طاهر الأنواب » . (٦) ديوانه : ٤٨-٤٩ . وفي م :

« ثبت الجنان » . (٧) الغارب : السكاهل . القتب : ما يوضع على ظهر الرجل .

(٨) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « ولا يخيف » .

ومثله قول البحترى فى ابن الزيات أيضا :

وَجَّهَ الْحَقَّ بَيْنَ أَخْذٍ وَإِعْطَاءٍ ءَ وَقَصْدٍ فِى الْجَمْعِ وَالتَّبْدِيدِ^(١)
 وَاسْتَوَى النَّاسُ فَالْقَرِيبُ قَرِيبٌ عِنْدَهُ ، وَالبَعِيدُ غَيْرُ بَعِيدٍ
 لَا يَمِيلُ الْهَوَىٰ بِهِ حِينَ يَمْضَىٰ الْإِ أَمْرَ بَيْنَ الْمَقْلِيِّ وَالْمُودِدِ
 وَسَوَاءٌ لَدَيْهِ أَبْنَاءُ إِبْرَا هِيمَ فِى حُكْمِهِ وَأَبْنَاءُ هُودِ^(٢)
 مُسْتَرِيحُ الْأَحْشَاءِ مِنْ كُلِّ ضِغْنٍ بَارِدُ الصَّدْرِ مِنْ غَلِيلِ الْحُقُودِ
 فَأَمَّا قَوْلُهُ :

* وَإِنْ قَتِيلَ اللَّهُ مَنْ هُوَ قَاتِلُهُ *^(٣)

فیشبهه أن يكون مأخوذا من قول يزيد بن مفرغ فى عبيد الله بن زياد :

إِنَّ الذِّى عَاشَ خَتَرًا بَدِمْتَهُ وَمَاتَ عَبْدًا قَتِيلُ اللَّهِ بِالزَّابِ^(٣) ١٠
 أَمَّا قَوْلُهُ :

وَإِنَّكَ بَعْدَ اللَّهِ لِلْحَكَمِ الذِّى تُصَابُ بِهِ مِنْ كُلِّ حَقٍّ مَفَاصِلُهُ

فیشبهه قول أبى تمام يصف القلم ، من قصيدة يمدح بها ابن الزيات ، وأجمع العلماء أن هذه الأبيات أحسن وأفخم من جميع ما قيل فى القلم :

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الذِّى بِشِبَابَتِهِ تُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِّىِّ وَالْمَفَاصِلِ^(٤) ١٥
 لَهُ الْخَلَوَاتُ اللَّائِي لَوْلَا نَجِيهَا لَمَا احْتَفَلَتْ لِلْمَلِكِ تِلْكَ الْمَحَافِلُ [١٨٢]

(١) ديوانه ١ : ٢٠٥ .

(٢) أبناء إبراهيم : العدنانيون ، وأبناء هود : الفحطانيون .

(٣) الزاب : موضع قريب من أذربيجان ؛ وقتيل الزاب هو عبيدالله بن زياد ابن أبيه ؛ قتله أصحاب المختار بن أبى عبيد ؛ ويقال : إن إبراهيم بن الأشتر حمل على كتيفته فانهزموا ، ولقى عبيدالله فضر به فقتله ؛ والبيت فى الأغاني ١٧ : ٦٨ ، وبعده :

العَبْدُ لِلْعَبْدِ ، لَا أَصْلَ وَلَا طَرْفَ أَلُوتُ بِهِ ذَاتُ أَظْفَارٍ وَأَنْبَابِ

(٤) ديوانه : ٢٥٧ . الشبابة هنا : حد القلم ، والسكلى : جمع كلية أو كلوة .

مُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ مُعَابُهُ
 لَهُ رِبْقَةٌ طَلٌّ ، وَلَكِنَّ وَقَعَهَا
 فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْظَقَتْهُ وَهُوَ رَاكِبٌ ،
 إِذَا مَا امْتَطَى الْخِمْسَ اللَّطَافَ وَأُفْرِغَتْ
 أَطَاعَتُهُ أَطْرَافُ الْقَنَا ، وَتَقَوَّضَتْ
 إِذَا اسْتَغْزَرَ الذَّهْنَ الذَّكِيَّ وَأَقْبَلَتْ
 وَقَدْ رَفَدَتْهُ الْخِنْصِرَانِ وَسَدَّدَتْ^(٤)
 رَأَيْتَ جَلِيلًا شَانُهُ وَهُوَ مُرْهَفٌ
 وَأَرَى الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدِي عَوَاسِلِ^(١)
 بِأَثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالغَرْبِ وَابِلِ^(٢)
 وَأَعْجَمٌ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلٌ
 عَلَيْهِ شِعَابُ الْفِكْرِ وَهِيَ حَوَافِلِ^(٣)
 لِنَجْوَاهُ تَقْوِيضَ الْخِيَامِ الْجَحَافِلِ^٥
 أَعَالِيهِ فِي الْقِرْطَاسِ وَهِيَ أَسَافِلُ
 ثَلَاثَ نَوَاحِيهِ الثَّلَاثُ الْأَنَامِلُ
 ضَنْبِي ، وَصَمِينَا خَطْبُهُ وَهُوَ نَاحِلٌ

(١) الأرى : العسل . اشتارته : استخرجته . عواسل : جمع عاسلة ؛ والماسل : مستخرج العسل .

(٢) الطل في الأصل : المطر القليل . والوابل : المطر الكثير .

(٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « جعل القلم ممطياً الأنامل ؛ لأنهن يحملنه وإن علونه ؛ ولو جعل

القلم مطية للأنامل لأنها تعلوه لجاز وحسن . وقوله : « أفرغت عليه شعاب الفكر » دلالة قوية على أن للفكر مطية ؛ وبعد فهو منقول من قول أحمد بن يوسف وعمرو بن مسعدة : « الأفلام مطايا الفطن » .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « شددت » .

مَجْلِسُ آخِرِ

تَأْوِيلِ آيَةِ

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ. إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ. وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾؛ [التكوير: ٢٦-٢٩].

فقال: ما تأويل هذه الآية؟ أو ليس ظاهرها يقتضى أننا لا نشاء شيئاً إلا والله تعالى شاء له، ولم يخصص إيماناً من كفر، ولا طاعةً من معصية؟

الجواب، قلنا: الوجه المذكور في هذه الآية، أن الكلام متعلق بما تقدمه من ذكر الاستقامة؛ لأنه تعالى قال: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾؟ ثم قال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾؛ أى لا تشاءون الاستقامة إلا والله تعالى يريد لها؛ ونحن لا نكفر أن يريد الله تعالى الطاعات؛ وإنما أنكرنا إرادته المعاصي؛ وليس لهم أن يقولوا: تقدم ذكر الاستقامة لا يوجب قصر الكلام عليها؛ ولا يمنع من عمومها؛ كما أن السبب ١٠ لا يوجب قصر ما يخرج من الكلام عليه حتى لا يتعداه؛ وذلك أن الذى ذكره إنما يجب فيم يستقل بنفسه من الكلام دون ما لا يستقل.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ لا ذكر للمراد فيه؛ فهو غير مستقل

[١٨٢] بنفسه؛ وإذا علق بما تقدم من / ذكر الاستقامة استقل؛ على أنه لو كان للآية ظاهر يقتضى

ما ظنوه - وليس لها ذلك - لوجب الانصراف عنه بالأدلة الثابتة؛ على أن الله تعالى لا يريد المعاصي

١٥ ولا القبائح؛ على أن مخالفتها في هذه المسألة لا يمكنهم حمل الآية على العموم؛ لأن العباد قد

يشاءون عندهم ما لا يشاءه الله تعالى؛ بأن يريدوا الشيء ويعزموا عليه، فلا يقع لمنع أو

غيره؛ وكذلك قد يريد النبي عليه السلام من الكفار الإيمان، وتعبدنا بأن نريد من المقدم

على القبيح تركه؛ وإن كان تعالى عندهم لا يريد ذلك إذا كان المعلوم أنه لا يقع؛ فلا بد لهم

من تخصيص الآية؛ فإذا جاز لهم ذلك بالشبهة جاز لنا مثله بالحجة؛ وتجري هذه الآية مجرى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَدْرِكِرَةٌ، فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾؛ [الزمل: ١٩]، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، [الإنسان: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، [المدثر: ٥٦]، في تعلق الكلام بما قبله .

فإن قالوا: فالآية تدل على مذهبنا وبطلان مذهبكم^(١) من وجه آخر؛ وهو أنه عز وجل قال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾؛ وذلك يقتضى أنه يشاء الاستقامة في حال مشيئتنا لها؛ لأن «أن» الخفيفة إذا دخلت على الفعل المضارع اقتضت الاستقبال؛ وهذا يوجب أنه يشاء أفعال العباد في كل حال، ويُبطل ما تذهبون إليه من أنه إنما يريد الطاعات في حال الأمر .

قلنا: ليس في ظاهر الآية إلا نشاء إلا ماشاء الله تعالى في حال مشيئتنا كما ظننتم؛ ١٠ وإنما يقتضى حصول مشيئته لانشأؤه من الاستقامة من غير ذكر لتقدم ولا تأخر؛ ويجرى ذلك مجرى قول القائل: ما يدخل زيد هذه الدار إلا أن يدخلها عمرو؛ ونحن نعلم أنه غير واجب بهذا الكلام أن يكون دخولها في حال واحدة؛ بل لا يمتنع أن يتقدم دخول عمرو، ويتلوه دخول زيد، و«أن» الخفيفة وإن كانت للاستقبال على ما ذكرناه، فلم يبطل على تأويلنا معنى الاستقبال فيها؛ لأن تقدير الكلام: وما تشاءون الطاعات إلا بعد أن يشاء الله تعالى، ومشيئته ١٥ تعالى قد كانت لها حال الاستقبال^(٢).

وقد ذهب أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي إلى أنه لا يمتنع أن يريد تعالى الطاعات حالا بعد حال؛ وإن كان قد أرادها في حال الأمر؛ كما يصح أن يأمر بها أمرا بعد أمر؛ قال: / لأنه قد يصح أن يتعلق بإرادته ذلك منا بعد الأمر وفي حال الفعل مصلحة؛ ويعلم [١٨٣] و تعالى أننا نكون متى علمنا ذلك كنا إلى فعل الطاعات أقرب، وعلى هذا المذهب لا يعترض بما ذكرناه .

(١) حاشية ف (من نسخة) : « مذاهبكم » . (٢) حاشية ف (من نسخة) : « حال استقبال » .

والجواب الأول واضح إذا لم نذهب إلى مذهب أبي عليّ في هذا الباب ؛ على أن اقتضاء الآية للاستقبال من أوضح دليل على فساد قولهم ؛ لأن الكلام إذا اقتضى حدوث المشيئة واستقبالها بطل قول من قال منهم : إنه مرید لنفسه، أو مرید بإرادة قديمة ، وصحّ ما نقوله من إن إرادته متجدّدة محدثة .

ويمكن في تأويل الآية وجه آخر مع حملنا إياها على العموم ؛ من غير أن نخصها بما تقدّم ذكره من الاستقامة ؛ ويكون المعنى : وماتشاءون شيئاً من فعالكم إلا أن يشاء الله تمكينكم من مشيئته ، وإقداركم عليها والتخلية بينكم وبينها ؛ وتكون الفائدة في ذلك الإخبار عن الافتقار إلى الله تعالى ؛ وأنه لا قدرة للعبد على ما لم يقدره الله تعالى عزّ وجل ، وليس يجب عليه أن يستبعد هذا الوجه ؛ لأن ما تعلق به المشيئة في الآية محذوف غير مذكور ؛ وليس لهم أن يعلقوا قوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ بالأفعال دون تعلقه بالقدرة ؛ لأن كل واحد من الأمرين غير مذكور ، وكل هذا واضح بحمد الله .

ونعود إلى ما كنا وعدنا به من الكلام على شعر مروان ؛ فما يختار قوله من قصيدة أولها :

طَرَقْتِكَ زَائِرَةً ، فحَى خِيَالَهَا
بَيْضَاءُ تَخْلِطُ بِالْحَيَاءِ دِلَالَهَا

يقول فيها : ١٥

مالت^(١) بقلبك فاستعداداً ومثالها
وكانما طرقتُ بنفحة روضة
قادت القلوب إلى الصبا فأمالها
سحت بها ديم الربيع ظلّالها
باتت تُسائل في المنام معرّساً^(٢)
بالبيد أشعت لا يملّ سؤالها
في فتية هجعوا غراراً بعدما
سئموا مراعاة السرى ومطالها

(١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « ملكت » .

(٢) التعريس : النزول في آخر الليل .

فَكَانَ حَشْوًا يُبَاهِمُ هِنْدِيَّةً نَحَلَتْ وَأَغْفَلَتِ الْعِيونُ صِقَالَهَا

[١٨٣]
ظ

/ المراعشة^(١) : تحريك الرأس في السير من النوم .

أما ذكره في أول القصيدة طروق الطيف ؛ فإنه لم يأت فيه بمعنى غريب ؛ ولا لفظ مستعذب ؛ وقد قال الناس في الطيف والخيال فأكثروا ، وقد سبق في ذلك قيس بن الخطيم إلى معنى ؛ كل الناس فيه عيال عليه ، وهو قوله :

أَنْتِ سَرَبْتِ وَكُنْتِ غَيْرَ سَرُوبِ ! وَتُقَرَّبُ الْأَحْلَامُ غَيْرَ قَرِيبِ^(٢)
مَا تَمْنَعِي يَقْظَى فَقَدْ تَوْتَيْنَهُ فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرِّدٍ مُحْسُوبِ
كَانَ الْمَنَى بِلِقَائِهَا فَلَقِيَتْهَا فَلَهَوَتْ مِنْ لَهْوِ امْرِئٍ مَكْدُوبِ

وقد أحسن جرير في قوله :

١٠ أَنْتَسَى إِذْ تَوَدَّعْنَا سُلَيْمَى بَفَرَعِ بِشَامَةٍ ، سُقَى الْبَشَامِ^(٣)
بِنَفْسِي مَنْ تَجَنَّنِيهِ^(٤) عَزِيزٌ عَلِيٌّ ، وَمَنْ زِيَارَتَهُ لِمَامٌ
وَمَنْ أَمْسَى وَأَصْبَحَ لَا أَرَاهُ وَيَطْرُقُنِي إِذَا هَجَعَ النَّيَامُ

وهذه الأبيات وإن خلت من معنى في ذكر الطيف غريب ، فلم تخل من لفظ مستعذب .

ولأبي عبادة البحترى في وصف الخيال الفضل على كل متقدم ومتأخر ؛ فإنه تغفل في

(١) حاشية الأصل : « في نسخة الشجرى : قال السيد المرتضى رضى الله عنه : المراعشة في الأصل :

تحريك الرأس في السير من النوم » وفيها أيضا : « العرش : المشى الضعيف ، من الإعياء وغيره » .

(٢) ديوانه : ٥ ، وحامسة ابن الشجرى ١٨٩ ، والآلى : ٥٢٤ . وانظر ص ٣٩٣ من هذا الجزء .

(٣) ديوانه : ٥١٢ ، مع اختلاف في ترتيب الأبيات . والبشامة : واحدة البشام ؛ وهو شجر

ذو أفنان وورق صغير ؛ إذا قصفت غصونه سال منها سائل أبيض كاللبن ؛ يتخذ منه سواك ؛ يريد أنها

أشارت بسواكها تودعه ؛ ولم تتكلم مخافة الرقباء . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « تجنبه »

وهي رواية الديوان . ولام : قليل .

أوصافه، واهتدى من معانيه إلى ما لا يوجد لغيره، وكان مشغولاً بتكرار القول فيه لهجاً بدياًه وإعادته؛ وإن كان لأبي تمام في ذلك مواضع لا يجمل فضلها، ومحاسن لا يُبلغ شأوها؛ فما لأبي تمام قوله:

زَارَ الْخَيَالُ لَهَا، لَا بَلَّ أَزَارَ كَهُ فِكْرُهُ إِذَا نَامَ فِكْرُ الْخَلْقِ لَمْ يَنِمْ^(١)
ظَبِيٌّ تَقَنَّصَتْهُ لَمَّا نَصَبْتُ لَهُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أَشْرًا كَمَا مِنَ الْحُلْمِ
نَمَّ اعْتَدَى، وَبِنَا مِنْ ذِكْرِهِ سَقَمٌ بَاقٍ، وَإِنْ كَانَ مَشْغُولًا^(٢) مِنَ السَّقَمِ

وقوله:

عَادَكَ الزَّوْرُ لَيْلَةَ الرَّمْلِ مِنْ رَمِّ لَمَّةَ بَيْنِ الْحِمَى وَبَيْنَ الْمَطَالِ^(٣)
نَمَّ مَا زَارَكَ الْخَيَالُ وَلَكِنَّ كَبَالَفِكْرٍ زُرْتَ طَيْفَ الْخَيَالِ

وقوله:

اللَّيَالِي أَخْفَى بَقَلْبِي إِذَا مَا جَرَحَتْهُ النَّوَى مِنَ الْأَيَامِ
يَا لَهَا لَذَّةٌ تَنْزَهَتْ الْأَرْ وَاحٍ فِيهَا سِرًّا مِنَ الْأَجْسَامِ
مَجْلِسٌ لَمْ يَكُنْ لَنَا فِيهِ عَيْبٌ غَيْرَ أَنَّا فِي دَعْوَةِ الْأَحْلَامِ

فأما البحترى فقولته في هذا المعنى أكثر من أن يذكر جميعه هاهنا؛ غير أنا نشير إلى

١٥ نادره، فمن ذلك قوله:

فَلَا وَضَلَ إِلَّا أَنْ يُطِيفُ خَيَالُهَا بِنَا تَحْتَ جُوشُوشٍ مِنَ اللَّيْلِ أَسْفَعِ^(٤)
أَلَمْتُ بِنَا بَعْدَ الْهُدُوِّ فَسَاحَتْ بَوْضَلَ مَتَى تَطْلُبُهُ فِي الْجِدِّ تَمْنَعِ
وَمَا بَرِحَتْ حَتَّى مَضَى اللَّيْلُ وَانْقَضَى وَأَعْجَلَهَا دَاعِي الصَّبَاحِ الْمَلْمَعِ
فَوَلَّتْ كَأَنَّ الْبَيْنَ يَخْلُجُ شَخْصَهَا أَوْانَ تَوَلَّتْ مِنْ حَشَايَ وَأَضْلَعِي^(٥)

(١) ديوانه : ٢٦٨ . (٢) د؛ ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « معسولا ؛ أى وإن

كان ذلك السقم حلوا كالعمل » . (٣) المطالي : موضع .

(٤) ديوانه : ٢ : ٧٨ . وفي حاشية الأصل : « الجوشوش : الصدر ؛ وكذلك الجوش والجوشن .

أسفع : أسود » . (٥) حاشية الأصل : « الخلج : الجذب ؛ يقول : كأن البين يخلجها من حشاي

وأضلعي » .

وَرُبَّ لِقَاءٍ لَمْ يُؤْمَلْ وَفُرْقَةٍ
أَرَانِي لَا أَنْفَكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ
أَسْرًا بِقُرْبٍ مِنْ مُلَمٍّ مُسْلَمٍ
فَكَأَنَّ لَنَا بَعْدَ النَّوَى مِنْ نَفَرُوقٍ
وَقَوْلُهُ :

وَإِنِّي وَإِنْ ضَنْتُ عَلَى بُودِّهَا
يَعِزُّ عَلَى الْوَاشِينَ لَوْ يَعْلَمُونَهَا
فَكَمْ غُلَّةٌ لِلشَّوْقِ أَطْفَأَتْ حَرَّهَا
أَضْمُ عَلَيْهِ جَفْنَ عَيْنِي تَمَلُّقًا
وَقَوْلُهُ :

١٠

لَأُرْتَاخُ مِنْهَا لِلْخِيَالِ الْمُورِّقِ (١)
لِيَالٍ لَنَا نَزْدَارُ فِيهَا وَنَلْتَقِي
بَطِيفٍ مَتَى يَطْرُقُ دُجَى اللَّيْلِ يَطْرُقِ
بِهِ عِنْدَ إِجْلَاءِ النَّعَاسِ الْمُرْنَقِ
وَقَوْلُهُ :

١٥

بَلَى وَخِيَالٍ مِنْ أَثِيَلَةٍ كَلَّمَا
إِذَا زُورَةٌ مِنْهُ تَقَضَّتْ مَعَ الْكِرَى
تَرَى مُقَلَّتِي مَالًا تَرَى فِي لِقَائِهِ
وَيُكْفِيكَ مِنْ حَقِّ تَخَيُّلٍ بَاطِلٍ
وَقَوْلُهُ :

[١٨٤]
ظ

إِذَا مَا الْكِرَى أَهْدَى إِلَى خِيَالِهِ
إِذَا انْتَزَعَتْهُ مِنْ يَدِي انْتَبَاهَهُ
وَلَمْ أَرْ مِثْلَيْنَا وَلَا مِثْلَ شَأِنِنَا
وَقَوْلُهُ :

فَمَا نَلْتَقِي إِلَّا عَلَى حُلْمٍ هَاجِدٍ
يُجِلُّ لَنَا جِدْوَاكَ وَهِيَ حَرَامٌ (٤)

(١) ديوانه : ٢ : ١٢٢ . (٢) ديوانه ٢ : ٨٧ ؛ وفيه : « وخیال من قتیله » .

(٣) ديوانه ١ : ١٧٤ . (٤) ديوانه ٢ : ٢٤٩ .

إذا ما تَبَاذَلْنَا النَّفَائِسَ خَلْتَنَا
منَ الْجَدِّ أَيْقَاظًا وَنَحْنُ نِيَامُ ^(١)
وقوله :

وَلَيْلَةٌ هَوَمْنَا عَلَى الْعَيْسِ أُرْسَلَتْ
بَطِيفِ خَيَالٍ يُشْبِهُهُ الْحَقُّ بَاطِلُهُ ^(٢)
فَلَوْلَا بَيَاضُ الصُّبْحِ طَالَ تَشْبُثِي
بِعِطْفَى غَزَالِ بَيْتٍ وَهَنَا أَعَازِلُهُ
وقوله :

أَمِنْكَ تَأَوُّبُ الطَّيْفِ الطَّرُوبِ
حَبِيبٌ جَاءَ يُهْدِي مِنَ حَبِيبِ ^(٣)
تَخْطَى رِقْبَةَ الْوَأَشِينِ كُرْهَا ^(٤)
وَبُعْدَ مَسَافَةِ الْخَرْقِ الْمَجُوبِ
يُكَاذِبُنِي وَأَصْدُقُهُ وِدَادًا
وَمِنْ كَلَفِ مُصَادَقَةِ الْكَذُوبِ
وقوله :

مَا تَقْضَى أُبَانُهُ عِنْدَ لُبْنَى
وَالْمَعْنَى بِالْفَائِيَاتِ مَعْنَى ^(٥)
هَجَرَتْنَا يَقْضَى وَكَادَتْ عَلَى مَذْ
بَعْدَ لِأَيِّ وَقَدْ تَعَرَّضَ مِنْهَا
هَبْهَا ^(٦) فِي الصُّدُودِ تَهْجُرُ وَسَنَى
طَائِفٌ عَرَّجَتْ عَلَى الرَّكْبِ وَهَنَا

قال المرتضى رضى الله عنه : ووجدت أبا القاسم الحسن بن بشر الأمدى مع ميله إلى
البحترى وأنحطاطه في شعبه، واجتهاده في تأويل ما أخذ عليه من خطأ وزلل يزعم أن البحترى
١٥ أخطأ في قوله :

هَجَرَتْنَا يَقْضَى وَكَادَتْ عَلَى مَذْ
هَبْهَا فِي الصُّدُودِ تَهْجُرُ وَسَنَى
قال: "لأن ^(٧) خيالها يتمثل له في كل أحوالها؛ يقضى كانت أو وسنى". قال: "ولكن
الجيد في هذا المعنى قوله:

(١) حاشية الأصل : « في نسخة س : قرأت في ديوانه على شيخى : « خلتنا » ، بضم التاء .
(٢) ديوانه ٢ : ١٦٢ . (٣) ديوانه ١ : ٨٤ .
(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « وهنا » ؛ وهى رواية الديوان .
(٥) ديوانه ٢ : ٢٩٠ . (٦) في الديوان : « عادتها » :
(٧) الموازنة بين أبي تمام والبحترى : ١٨٨ .

أَرَدْتُ دَوَانَكَ يَقْظَانَا وَيَأْذَنُ لِي عَلَيْكَ سُكْرُ الْكَرَى إِنْ جِئْتُ وَسْنَاَنَا
قال : ”والذى أوقع البحتريّ في هذا الغلط قول قيس بن الخطيم :

[١٨٥]
و

/ ما تمنعني يَقْظَى فقد تَوَيْبِنَهُ في النوم غير مُصَرَّدٍ مُحْسُوبِ

وكان الأجود أن يقول : ما تمنعني في اليقظة فقد تَوَيْبِنَهُ في النوم ، أى ما تمنعني في يقظتي
فقد تَوَيْبِنَهُ في حال نومي ؛ حتى يكون النوم واليقظة منسُوبين إليه ؛ لأن خيال المحبوب يتمثل
في حال نومه ويتمثلته جيمماً ، قال : إلاّ أنه يتسع من التأويل في هذا لقيس ما لا يتسع للبحتريّ
لأن قيساً قال : « فقد تَوَيْبِنَهُ في النوم » ولم يقل نائمة ؛ وقد يجوز أن يُحمَل على أنه أراد :
ما تمنعني يَقْظَى وأنا يقظان ؛ فقد تَوَيْبِنَهُ في النوم ، أى في نومي ؛ ولا يسوغ مثل هذا في بيت
البحتريّ لأنه قال : « وسنى » ولم يقل في الوسن .

قال سيّدنا أدام الله علوه : وقد يمكن من التأويل للبحتريّ ما يمكن مثله لقيس ؛ لكنّ ١٠
الآمدى قد ذهب عن ذلك ؛ لأن البحتريّ لما قال : « وسنى » دلّ على حال الوسن ؛ والحال
المعهودة للوسن حال يشترك الناس فيها في النوم بالعادة ، كما أن الحال المعهودة لليقظة حال
مشتركة بالعادة ؛ فقولهُ : « وسنى » يُنبئ عن كونه هو أيضاً نائماً ؛ وإنما أراد المقابلة في زنة
اللفظ بين يَقْظَى ووسنى .

وقوله : « يَقْظَى » متى لم يُحمَل أيضاً على هذا المعنى لم يصحّ ؛ لأنه لا بدّ أن يريد بذلك : ١٥
هَجَرْتَنَا في أحوال اليقظة ؛ ويكون معنى « يَقْظَى » يتمدّى إليه ؛ ألا ترى أن الآمدى حمّل
قول قيس : « يَقْظَى » على معنى : « وأنا يقظان » وإن لم يبيّن الوجه ؛ فكيف ذهب عليه
مثل ذلك في قول البحتريّ !

وقوله : « وسنى » و« يَقْظَى » مثل قول قيس : « يَقْظَى » ، ولو مكن قيساً وزن الشعر من أن
يقول ؛ « وسنى » في مقابلة : « يَقْظَى » لقاله وما عدل عنه إلى النوم ؛ لأنه لم يكن عليه في « وسنى »
إلا ما عليه في « يَقْظَى » ، وما يُتأوّل له في أحد الأمرين يُتأوّل له في الآخر .

قال سيدنا أدام الله تمكينه : ولي في الخيال وطروقه معني ما علمت أنه سبق إليه ، من

جملة قصيدة :

وَزَوْرٍ تَخَطَّى جُنُوبَ الْمَلَا فَنَادَيْتُ أَهْلًا بِذَا الزَّائِرِ
أَتَانِي هُدُوءًا وَعَيْنُ الرَّقِي بِ مَطْرُوفَةٍ بِالْكَرَى الْعَامِرِ
فَأَعْجَبُ بِهِ يُسْعِفُ الْمَاجِمِينَ وَتُحْرَمُهُ مُقَلَّةُ السَّاهِرِ
/ وَعَهْدِي بَتَمُؤِيهِ عَيْنِ الْحَبِّ نِيْمٌ عَلَى قَلْبِهِ الطَّائِرِ
فَلَمَّا التَّقِينَا بَرَّغَمِ الرَّفَا دِمَوَّةَ قَلْبِي عَلَى نَاطِرِي

٥
[١٨٥]
ط

ومعنى البيت الآخر أن الأحلام إنما هي اعتقادات تحصل في القلب لاحقيقة لأكثرها؛

لأن الإنسان يمتد أنه راء لما لا يراه على الحقيقة ، ومدرك لما ليس بمدركه على الحقيقة ؛

١٠ فالقلب يخيل في النوم للمين مالا حقيقة له ؛ كما أن المين تخيل في كثير من الأحوال للقلب

ملا حقيقة له .

فأما قول مروان :

* فكَأَنَّمَا طَرَقَتْ بِنَفْحَةِ رَوْضَةٍ * . . البيت

فيشبهه أن يكون مأخوذاً من قول نهشل بن حرّى^(١) :

طَرَقَتْ أَسِيَاءَ الرَّحَالِ وَدُونَهَا ثُنْيَانٍ مِنْ لَيْلِ الثَّمَامِ الْأَسْوَدِ^(٢)
وَمَقَاوِزُهُ وَصَلَ الْفَلَاةَ جُنُوبَهَا بِجُنُوبِ أُخْرَى ، غَيْرَ أَنْ لَمْ تُعْقَدِ

١٥

(١) حاشية الأصل : « منسوب إلى الحرّة ؛ موضع فيه حجارة سود » .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « الثني : واحد أثناء الشيء أي تضاعفه ، وثني الوادي والجبل :

منعطفه » . ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « بينان » ؛ وهو مثني بين ؛ والبين : القطعة من الأرض

على مد البصر . ومن نسخة أيضا :

* نَقْيَانٍ مِنْ رَمْلِ الثَّمَامِ الْأَسْوَدِ *

وفي حاشيتي الأصل ، ف : « يقال : ولد المولود لتمام ، وقر تمام [بفتح التاء وكسرهما] ، وليل

التمام ، بالكسر لاغير ؛ وهي أطول ليلة في السنة » .

رَمَلٌ إِذَا أُبْدِيَ الرَّكَّابِ قَطَعَنَهُ قَرِعَتْ مَنَاسِمُهَا بِقَفِّ قَرْدَدٍ^(١)
 وَكَأَنَّ رِيحَ لَطِيمَةٍ هِنْدِيَّةٍ وَذَكَى جَادِيَّ بِنِصْعِ مُجَسَّدٍ^(٢)
 وَنَدَى خُزَامَى الْجَوِّ، جَوْ سُوَيْقَةٍ طَرَقَ الْخَيَالَ بِهَ بُعَيْدِ الْمَرْقَدِ^(٣)

أو من قول الآخر :

طَرَقَتْكَ زَيْنَبُ وَالْمَزَارُ بَعِيدُ بِمَنَى وَنَحْنُ مُعْرَسُونَ هُجُودُ^(٤)
 فَكأنَّما طَرَقَتْ بِرِيَا رَوْضَةٍ أَنْفٌ يُسْحَسِحُ مُزْمَهَا وَيَجُودُ^(٥)

وهذا المعنى كثير في الشعر المتقدم والمتأخر جداً .

فأما قوله :

* باتتُ تسائلُ في المنامِ معرّساً *

البيت، والبيتان اللذان بعده؛ فقد قال الناس في وصف قلة النوم، ومواصلة السرى، والإدلاج، ١٠

وشعث السارين فأكثرُوا، فمن أحسن ما قيل في ذلك قول لبيد :

وَجُودٍ مِنْ صُبَابَاتِ الْكَرَى عَاطِفِ النَّمْرِقِ صَدَقِ الْمُبْتَدَلِ^(٦)

(١) الركاب : الإبل ؛ والمناسم : جمع منسم كجلاس : خف البعير . والقف : ما ارتفع من الأرض
 وغلظ . والقردد : الغليظ المرتفع . (٢) اللطيمة : الهير التي تحمل الطيب والمسك . والجادي :
 الزعفران . والنصع : الثوب الأبيض . والمجسد : المصبوغ بالزعفران .
 (٣) الخزامى : نبت طيب الريح . وجو سويقة : موضع بالصمان .
 (٤) يقال : عرس القوم بالمسكان وأعرسوا ؛ إذا نزلوا في آخر الليل للاستراحة .
 (٥) روضة أنف : لم ترع . ويسحسح : يسيل . والجود : المطر الغزير .

(٦) ديوانه ٢ : ١٣ . الجود : الذي يجهد من العناء ؛ كذا ذكره صاحب اللسان، واستشهد بالبيت .
 وفي حاشية الأصل : « الجود الذي سقى الجود ؛ وهو المطر ؛ والمعنى هنا على التشبيه ؛ كأن النوم جاده ؛
 أى مطره . والصبايات : جمع صباية ؛ وهى البقية . والنرقة ، مثلثة : الطنفسة فوق الرجل . وصدق
 المبتدل : جلد قوى لا يتغير عند ابتذله نفسه ولا يسقط ؛ والمبتدل : مصدر بمعنى الابتدال ؛ وهو ضد الصيانة » .

[١٨٦] / قَالَ هَجَدْنَا فَقَدَّ طَالَ السَّرَى وَقَدَرْنَا إِنْ خَنَى الدَّهْرُ غَفَلَ (١)
 قَلَمًا عَرَسَ حَتَّى هَجَبْتُهُ بِالتَّبَاشِيرِ مِنَ الصُّبْحِ الأوَّلِ (٢)
 يَلْمَسُ الأَحْلَاسَ فِي مَنْزِلِهِ بِيَدَيْهِ كَالْيَهُودِيِّ المُصَلِّ (٣)
 يَتَمَارَى فِي الذِّى قُلْتُ لَهُ وَلَقَدْ يَسْمَعُ قَوْلِي حَيْهَلْ (٤)

ومن ذلك قول ذى الرمة :

وَلَيْلٍ كَأَنْبَاءِ الرَّؤُوزِيِّ جُبْتُهُ بَأَرْبَعَةٍ، وَالشَّخْصُ فِي العَيْنِ وَاحِدٌ (٥)
 - والرؤُوزِيُّ ، هو الطيلسان . وقد روى أيضاً : « كجلباب العروس ادرعته » ؛ وكل ذلك وَصَفَ له بالسواد ؛ لأن الطيلسان أسود ، وجلباب العروس أخضر ، والعرب تجمع بين الخضرة والسواد -

أَحْمٌ عِلَافِيٌّ ، وَأَبْيَضٌ صَارِمٌ ، وَأَعْيَسٌ مَهْرِيٌّ ، وَأَشْعَثُ مَا جِدُّ (٦)

(١) هجدنا ؛ من التهجد ؛ وهو هنا بمعنى النوم ؛ أى دعنا ننام . والسرى : سير عامة الليل وقدرنا ، أى وقدرنا على ورود الماء ، أو قدرنا على التهجد ، أو على السير . وخنى الدهر : آفته وفساده ؛ أى إن غفل عنا فساد الدهر فلم يعقنا . (٢) قلما ؛ ما المتصلة بقل كافة لها عن طلب الفاعل ؛ وتجمعها بمنزلة ما النافية فى الأغلب ؛ وهنا لإثبات القلة . والتعريس : النزول فى آخر الليل للاستراحة ؛ وهجته : أيقظته من النوم ، وهاج بهيج : يجىء لازماً ومتعدياً . وبالتباشير ، أى بظهورها . والتباشير : أوائل الصبح ، جمع تبشير . وأوَّل : صفة التبشير ؛ وهو جمع أولى مؤنث الأوَّل .
 (٣) يلمس الأحلاس ؛ يطالبها ، والأحلاس : جمع حلس ؛ وهو كساء رقيق يكون على ظهر البعير تحت رحله . وقوله : « كاليهودى المصل » ؛ قال فى حاشية الأصل : « شبهه باليهودى لأنه يسجد على شق وجهه ، وأصل ذلك أنهم لما نتق الجبل فوقهم قيل لهم : إما أن تسجدوا وإما أن يلقى عليكم ، فسجدوا على شق واحد مخافة أن يسقط عليهم الجبل ؛ فصار عندهم سنة إلى اليوم » . وكذا جاء فى شرح الطوسى .
 (٤) التمارى : المجادلة . وحيهل : اسم فعل بمعنى أسرع وعجل ؛ وهذه الأبيات أوردتها صاحب الحزانة (٢ : ٢٨) تقلاعن الفرر .

(٥) ديوانه : ١٢٩ . أى لانتفاوت الشخصوس والألوان فيه لظلمته .

(٦) يقول : جبت الليل بأربعة ؛ ثم نسر الأربعة فقال : أحمر أسود ؛ ويعنى به الرجل ، وعلافى : منسوب إلى علاف ؛ وهو رجل من قضاة . والأبيض الصارم : السيف القاطع . والأعيس : الأبيض ، يعنى بعيره . والماجد : الكثير المفاخر ؛ وفى حاشية الأصل : « الإبل المهرية : منسوبة إلى مهرة بن حيدان ، =

أخو شُقَّةٍ جَابَ الْفَلَاةَ بِنَفْسِهِ
 وَأَشَعَتْ مِثْلَ السَّيْفِ قِدْلَاحَ جِسْمِهِ
 سَقَاهُ الْكَرْمَى كَأْسَ النَّعَاسِ فِرَاسُهُ
 أَقَمْتُ لَهُ صَدْرَ الْمِطِيِّ فَمَا دَرَى
 تَرَى النَّاشِيءُ الْغَرِيدَ يُضْحِي كَأَنَّهُ
 عَلَى الْمَوَلِ حَتَّى طَوَّحَتْهُ الْمَطَارِدُ^(١)
 وَجِيفُ الْمَهَارَى وَالْمُومُ الْأَبَاعِدُ^(٢)
 لَدِينِ الْكَرْمَى مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ سَاجِدُ
 أَجَائِرَةٌ أَعْنَقُهَا أُمُّ قَوَاصِدُ!
 عَلَى الرَّحْلِ مِمَّا مِنْهُ السَّيْرُ عَاصِدُ^(٣)

ومن ذلك قول أبي حية النميري :

وَأَغْيَدَ مِنْ طُولِ الشَّرَى بَرَّحَتْ بِهِ
 سَرَيْتُ بِهِ حَتَّى إِذَا مَا تَمَزَّقَتْ
 أَنْخْنَا فَلَمَّا أَنْ جَرَتْ فِي دِمَاعِهِ
 فَمَا قَامَ إِلَّا بَيْنَ أَيْدٍ تُقِيمُهُ
 خَطَا الْكُرَّةَ مَغْلُوبًا كَأَنَّ لِسَانَهُ
 وَوَدَّ بَوْسَطَى الْخَمْسِ مِنْهُ لَوَانِنَا
 أَفَانِينَ مَهَاضٍ عَلَى الْأَيْنِ مِرْجَمٍ^(٤)
 تَوَالِي الدُّجَى عَنْ وَاضِحِ اللَّوْنِ مُعَلَّمٍ
 وَعَيْنِيهِ كَأْسُ النَّوْمِ قَلْتُ لَهُ: قُمْ
 كَمَا عَطَفْتُ رِيحَ الصَّبَاخُوطِ سَاسِمٍ^(٥)
 لِمَا رَدَّ مِنْ رَجْعِ لِسَانِ الْمُبْلَسَمِ
 رَحَلْنَا وَقَلْنَا فِي الْمَنَاحِ لَهُ: نَمٍ^(٦)

والجمع المهاري، ثم تخفف فيقال: مهاري، وفتح الراء فيقال: مهاري، تشبيها بصحاري وعذاري، وأصله صحاري وعذاري، فنههم من يحذف الياء فيقول صحاري [بالكسر]، ومنهم من يحذف الأولى ويجعل الثانية ألفا فيقول صحاري [بالتفتح] لتسلم الألف من الحذف عند التنوين، ومن يحذف الثانية يقول: صحار كجوار .

(١) جاب الفلاة: قطعها . وطوحت: أبعده . وفي الديوان: « لوحته » . وفي حاشية الأصل:

« المطارد: المواضع التي يطرد فيها . ويجوز أن يكون جمع مطرد . وفي الديوان: « المطاود » .

وفي شرحه: « المطاود: الذهاب في الأسفار » . (٢) أشعت، يعني صاحبه، يشبهه بالسيف في ضموره ودقته؛

والوجيف: نوع من السير . (٣) الناشئ: الشاب . والغريد: ذوالصوت الحسن .

وفي حاشية الأصل: « العاصد من الإبل: الذي يلوى عنقه إلى حاركة عند الموت . والعصد: التي » .

(٤) المرجم: الرجل الشديد، كأنه يرمى به معاديه .

(٥) الساسم: نوع من الشجر؛ قيل هو الأنوس . (٦) بوسطى الخمس: أي بدل قطع

الوسطى؛ وفي حاشية الأصل: « يروي » بجدع الأنف ، ويروي: « بقطع الخمس » .

مَجْلِسِ آخِرِ

تَأْوِيلُ آيَةِ

[١٨٦] ط إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠] .

٥ فقال: أى معنى الاختصاص «الأرض» بالذکر وهم لا يفوتون الله تعالى ولا يُعجزونه، ولا يخرجون عن قبضته على كل حالٍ، وفى كل مكان؟ ولم نفى الأولياء عنهم، وقد نجد أهل الكفر يتولّى بعضهم بعضاً وينصرونهم ويحمونهم من المكاره؟ وكيف نفى استطاعتهم للسمع والإبصار، وأكثرهم قد كان يسمع بأذنه ويرى بعينه؟

١٠ الجواب، قلنا: أمّا الوجه فى اختصاص الذکر بالأرض، فلأنّ عادة العرب جارية بقولهم للمتوعدّ: لا مهرب لك منى، ولا وزر، ولا نفق، والوزر: الجبل، والنفق: السرب، وكل ذلك مما يلجأ إليه الخائف المطلوب، فكأنه تعالى نفى أن يكون لهؤلاء الكفار عاصم منه، ومانع من عذابه؛ وأن جبال الأرض وسهولها لا تحجز بينهم وبين ما يريد إيقاعه بهم؛ كما أنها تحجز عن كثير من أفعال البشر؛ لأنّ معاقل الأرض هى التى يهرب إليها البشر من المكاره؛ ويلجئون إلى الاعتصام بها عند المخاوف؛ فإذا نفى تعالى أن يكون لهم فى الأرض معقل فقد نفى المعقل من كل وجه .

١٥ فأما قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ﴾ فمعناه أنه لاولى لهم، ولا ناصر من عذاب الله تعالى وعقابه لهم فى الآخرة؛ ولا مما يريد أيضا إيقاعه بهم فى الدنيا، وإن كان لهم من يحميهم من مكرهه البشر وينصرونهم ممن أرادهم بسوء؛ وقد يجوز أن يكون ذلك أيضاً بمعنى الأمر، وإن كان مخرجه مخرج الخبر؛ ويكون التقدير: وليس لهم أن يتخذوا أولياء

من دون الله، بل الواجب أن يرجعوا إليه في معونتهم ونصرهم ، ولا يعوّلوا على غيره .
فأما قوله عز وجل : ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ ففيه وجوه:

أحدها أن يكون المعنى : يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون؛
وبما كانوا يستطيعون الإبصار فلا يبصرون ؛ عناداً للحق ، وذهاباً عن سبيله ؛ فأسقط الباء
من الكلام، وذلك جائز كما جاز في قولهم : لأجزينك بما عملت، ولأجزينك ما عملت؛ ولأحدثتك
بما عملت، ولأحدثتك ما عملت ؛ وكما قال الشاعر :

نُعَالِي اللَّحْمَ لِلأَضْيَافِ نَيْتًا وَنَبْذُلُهُ إِذَا نَضِجَ القَدِيرُ^(١)

فأراد : نغالي باللحم .

والوجه الثاني أنهم لاستئمتهم استماع آيات الله تعالى، وكراهيتهم^(٢) تذكرها وتفهمها ١٠
جروا مجرى مَنْ لا يستطيع السمع ، كما يقول القائل : ما يستطيع فلان أن ينظر لشدة
عداوته إلى فلان ، وما يقدر على أن يكلمه ؛ وكما نقول لمن عهدنا منه العناد والاستئقال
لاستماع الحجج والبيّنات : ما تستطيع أن تسمع الحق ؛ وما تطيق أن يُذكَرَكَ ؛ وكما قال
الأعشى :

وَدَّعْ هَرِيرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلٌ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ^(٣) ! ١٥

ونحن نعلم أنه قادرٌ على الوداع ؛ وإنما نفى قدرته عليه من حيث الكراهة والاستئقال .
ومعنى : ﴿ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ أي أن إبصارهم لم يكن نافعا لهم ؛ ولا مُجْدِيًا عليهم ؛ مع
الإعراض عن تأمل آيات الله تعالى وتدبرها ؛ فلما انتفت عنهم منفعة الإبصار جاز أن ينفي
عنهم الإبصار نفسه ؛ كما يقال للمعرض عن الحق، العادل عن تأمله : مالك لا تبصر، ولا تسمع؛
ولا تعقل ؟ وما أشبه ذلك .

(١) البيت في اللسان (غلا) : قال في شرحه : « نغالي اللحم ، نشتره غاليا ، ثم نبذله ونطعمه إذا

نضج في قدورنا » . والفدير : ما يطبخ من اللحم بتوابل . (٣) ديوانه : ٤١ .

والوجه الثالث^(١) أن يكون معنى نفي السمع والبصر^(٢) راجعاً إلى آلهتهم لا إليهم؛ وتقدير الكلام: أولئك وآلهتهم لم يكونوا معجزين في الأرض، يضاعف لهم العذاب؛ ثم قال مخبراً عن الآلهة: ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾، وهذا الوجه يُرْوَى^(٣) عن ابن عباس رحمة الله عليه، وفيه أدنى بعد.

ويمكن في الآية وجه رابع، وهو أن يكون مافى قوله تعالى: ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ ﴾ ليست للنفي؛ بل تجرى مجرى قولهم: لأواصلنك ملاح نجم؛ ولأقيمَنَّ على مودتك ما طلعت شمس؛ ويكون المعنى أن العذاب يضاعف لهم في الآخرة؛ ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون؛ أي أنهم معذبون ما كانوا أحياء.

فإن قيل: كيف يعبر عن كونهم أحياء باستطاعة السمع والإبصار؛ وقد يكون حياً

١٠ من لا يكون كذلك؟

قلنا: للعرب في مثل هذا / عادة؛ لأنهم يقولون: والله لا كلمت فلاناً ما نظرت عيني، ومشت قدحى؛ وهم، يريدون: ما بقيت وحييت؛ لأن الأغلب من أحوال الحى أن تنظر عينه، وتمشى قدمه؛ فجعلوا الأغلب كالواجب؛ ومن ذلك قول الشاعر:

وما أنس من شيء تقادم عهدهُ فلست بناسٍ ما هدت قدحى نعلنى

عشية قالت والدُموعُ تُعِينُهَا: (٣) هنيئاً لقلبٍ عنك لم يُسَلِّهِ مُسَلِّي (٤)

وإنما أراد: أتى لا أنسى ذلك ما حييت؛ وكذلك لا يمتنع أن يماق على هذا المذهب دوامُ العذاب بكونهم مستطيعين للسمع والإبصار؛ ويمودُ المعنى إلى تعلقه ببقائهم، وبكونهم أحياء؛ والمرجع في ذلك إلى التأييد؛ لأنه إذا علق العذاب ببقائهم وإحيائهم وعلمنا أن الآخرة لا موت فيها، ولا خروج عن الحياة، علمنا تأييد العذاب.

(١-١) حاشية ف (من نسخة): « أن يكون نفي السمع والبصر ».

(٢) م: « مروى ». (٣) د، ف: « بعينها ».

(٤) د، ومن نسخة بمحاشيتي الأصل، ف: « مسل ».

ونعود إلى ما كنا شرعنا فيه من الكلام على شعر مروان ؛ فما يختار له من القصيدة التي مضى أولها وتكلمنا عليها :

وَضَعُوا الخُدُودَ لَدَى سَوَاهِمِ جُنْحٍ	تَشْكُو كُلوْمَ صِفَاحِهَا وَكَلَالِهَا
طَلَبْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَوَاصَلْتُ	بَعْدَ السَّرَى بَعْدُوهَا آصَالَهَا
نَزَعْتُ إِلَيْكَ صَوَادِيًا فَتَقَاذَفْتُ	تَطْوِي الفَلَاةَ حُزُونَهَا وَرِمَالَهَا (١)
يَتَّبَعْنَ نَاجِيَةً يَهْرُزُ مِرَاحُهَا	بَعْدَ النُّجُولِ تَلِيْلَهَا وَقَدَالَهَا (٢)
هُوجَاءٌ تَدْرَعُ الرُّبَا وَتَشْقُهَا	شَقَّ الشَّمُوسِ إِذَا تَرَاعُ جِلَالَهَا (٣)
تَنْجُو إِذَا رُفِعَ القَطِيعُ كَمَا نَجَتْ	خَرَجَاهُ بَادَرَتْ الظَّلَامَ رِئَالَهَا (٤)
كَالقَوْسِ سَاهِمَةً أَتَمَّكَ وَقَدْ تَرَى	كَالْبُرُجِ تَمَلُّ رَحْلَهَا وَجِبَالَهَا

هذه الأبيات في وصف الرّواجل بالسرعة والنّحول، جيّدة الألفاظ، مطرّدة النسيج، ١٠

وقد سبق الناس في هذا المعنى إلى ضروب من الإحسان ؛ فمن ذلك قول الأخطل :

بِحُوصٍ كَأَعْطَالِ القِسِيِّ تَقَلَّقَلْتُ أَجْنَتُهَا مِنْ شِقَّةٍ وُدَّوْبٍ (٥)

(١) نزعت : اشتاقت . صواديا : عطاشا . تقاذفت : تسارعت . (٢) التليل : العنق .

(٣) الشموس : الفجور .

(٤) الخرج ، بالتحريك : لوان ؛ سوادوبياض ؛ يقال : نامة خرجاء وظليم أخرج والرئال : جمع

رأل ؛ وهو ولد النعام ، وبادرت الظلام رئالها ؛ أى بدرت الظلام إلى رئالها .

(٥) ديوانه ١٧٩-١٨٠ وفي حاشية الأصل : هذه الأبيات من قصيدة يمدح الأخطل فيها

عباد بن زياد بن أبيه : أولها :

خَلِيلِي قَوْمًا لِلرَّحِيلِ فَإِنِّي وَجَدْتُ بَنِي الصَّمْعَاءِ غَيْرَ قَرِيبِ

- يعني عمير بن الحباب ورهطه - :

وَأَسْفَهَتْ إِذْ مَنَيْتُ نَفْسِي ابْنَ وَاسِعِ مُنَى ذَهَبْتُ لَمْ تَسْقِنِي بَدَنُوبِ

فَإِنْ تَنَزَّلَا بِابْنِ المَحَلِّقِ تَنَزَّلَا بَدْنِي عَذْرَةَ يَبْدَا كَمَا بَلغُوبِ

- المحلق : عبد العزيز بن حنتم -

لِمَا اللهُ أَرَمَاكَ بِدِجْلَةٍ لَا تَقَى أَذَاةَ أَمْرِي عَضْبِ اللِّسَانِ شَعُوبِ

- يعني نفسه - .

/إِذَا مُجَلَّ غَادِرَتُهُ عِنْدَ مَبْرَكٍ^(١) أُتِيحَ لِجَوَابِ الْفَلَاةِ كَسُوبِ

المجَل : الملقى من الأجنة لغير تمام، وجواب الفلاة : الذئب -

وَهُنَّ بِنَا عُوْجٌ كَانَ عِيُونَهَا

بَقَايَا قَلَاتٍ قَلَّصَتْ لِنُضُوبِ^(٢)

مَسَانِفٍ يُطَوِّبُهَا مَعَ الْقَيْظِ وَالشَّرَى

تَكَالِيفُ طَلَّاعِ النَّجَادِ رَكُوبِ^(٣)

قَدِيمٍ تَرَى الْأَصْوَاءَ فِيهِ كَانَتْهَا

رِجَالٌ قِيَامٌ عُصَّبُوا بِسُبُوبِ^(٤)

يَعْمَنَ بِنَا عَوْمَ السَّفِينِ إِذَا انْجَلَتْ

سَحَابَةٌ وَضَاحِ السَّرَابِ جَنُوبِ^(٥)

وقال مسلم بن الوليد الأنصاري :

إِلَى الْإِمَامِ تَهَادَانَا بِأَرْحُلِنَا

خُلِقَ مِنَ الرَّيْحِ فِي أَشْبَاحِ ظِلْمَانِ^(٦)

كَانَ إِفْلَاتَهَا وَالْفَجْرُ يَأْخُذُهَا

إِفْلَاتٌ صَادِرَةٌ عَنِ قَوْسِ حُسْبَانِ^(٧)

وقال بشار : ١٠

وَإِذَا الْمَطِيُّ سَبَّحْنَ فِي أَعْطَافِهِ

فَاتِ الْمَطِيِّ بِكَاهِلٍ وَتَلِيلِ^(٨)

= إِذَا نَحْنُ وَدَّعْنَا بِلَادًا هُمْ بِهَا

نَسِيرُ إِلَى مَنْ لَا يُغِبُّ نَوَالَهُ

بخصوص . . .

أعطال : جمع عطل ؛ وهو القوس الذي لا وتر له . وتقلبت أجنحتها : تحركت في بطونها من سرعة السير .

(١) في الديوان : « منزل » . (٢) بنا ، أى بحملنا ؛ أو حمل أعياننا . والعوج : جمع أعوج

وعوجاء . والفلات : جمع قلت ؛ وهو النقرة في الجبل : والتقليب : الاتزواء ، والنضوب : غثور الماء .

(٣) المسانيف هنا : الإبل المتدمات والتجاد : جمع نجد ؛ وهو المرتفع من الأرض . والركوب .

المذال . (٤) قديم ؛ أى طريق قديم . والأصواء : الأعلام . والسبوب : جمع سب ؛ وهو الثوب

الأبيض الرقيق ؛ وقيل هو العمامة . (٥) ف : « تعوم » . « خبوب » . وهى رواية الديوان .

(٦) ديوانه : ١٠٣ . والتهادى : المشى الضعيف يتسكى صاحبه على اثنين يميناً وشمالاً . والظلمان :

جمع ظليم ؛ وهو الذكر من النعام . ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « خلق من الزنج » .

(٧) إفلاتها ؛ أى سرعتها . صادرة ، أى إفلات سهام صادرة . والحسبان : سهام يرمى بها الرجل

في جوف قصبه ، يزرع في القوس ثم يرمى بعشرين منها فلا تمر بشيء إلا عقرته ؛ والواحد حسبانه .

(٨) حاشية الأصل (من نسخة) « سنجن » أى ظهرن . وأعطافه : جوانبه . وفات : سبق ؛

والتليل : العنق ؛ يقول : « إذا بدا يسير مع الطايا جاوزهن بكاهل وعنق » .

فَكَانَهُ وَالنَّاعِجَاتُ^(١) يُرْدَنَهُ قِدْحٌ تَطَّلَعَ مِنْ قِدَاحٍ مُجْبِلٍ

ولبعض الحارثيين :

نَهَشَ الْهَجَاثُ وَالظَّهَائِرُ لَحْمَهَا حَتَّى تَحْدَدَ لَحْمَهَا الْمُتَضَابِرُ^(٢)
 حَرْفٌ تُنَاهِبُهَا النَّجَاءُ قَلَائِصُ^(٣) مِمَّا تَنْخَلُ^(٤) شَدَقَمٌ أَوْ دَاعِرُ^(٥)
 صُبْرٌ إِذَا عَطَفْتُ سَوَالِفَهَا الْبُرَى سَمِعْتُ لَهْنَ كَشَاكِشٍ وَجَرَا جِرُ^(٦)
 وَيُخَلِّنَ مِنْ عِزِّ النَّفُوسِ وَجِدْهَا^(٧) جِنًّا ، وَهَنَّ إِذَا اخْتَبِرْنَ أَبَاعِرُ
 أَمَّا إِذَا مَا أَقْبَلَتْ فَكَأَنَّهَا ذُعْرٌ تَهَادَتْهَا الْفَلَاةُ نَوَافِرُ^(٨)
 أَمَا إِذَا مَا أَعْرَضَتْ فَكَأَنَّهَا كُدْرٌ تَوَرَّدَنَّ الْمَطَافُ صَوَادِرُ^(٩)
 أَمَا إِذَا مَا أُبْرِكْتَ فَكَأَنَّهَا صُرُخٌ مُشِيدَةٌ وَهَنَّ ضَوَامِرُ^(١٠)

[١٨٨] / وإني لأستحسن قول بَشَامَةَ بن الغدير في وصف الناقة بالسرعة^(١٠) :

ط

(١) الناعجات هنا : الخفاف من الإبل ؛ ومنه قوله :

* وَالنَّاعِجَاتُ الْمَسْرَعَاتُ لِلنَّجَا *
 * وَالنَّاعِجَاتُ الْمَسْرَعَاتُ لِلنَّجَا *

(٢) اللحم المتضابر: المتراكم المكتنز، وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « المتضاهر ». ومن نسخة أخرى « المتضابر ». (٣) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « منجل ». (٤) الحرف : الناقة الضامر: الصلبة . وتناهبها : تباريها في الجري . والنجاء : السير السريع . والقلائص : جمع قلوب ؛ وهي الفتية من الإبل . وشدقم وداعر: اسمان لفحلين منجيين من لحول الإبل ، تنسب إليهما الإبل الشدقيات والإبل الداعرية . (٥) السوالف : جمع سالفة ؛ وهي أعلى العنق ، والبرى : جمع برة ، وهي الحلقة في الزمام . والكشاكش والجراجر : أصوات تخرج من جوف الإبل . (٦) حاشية الأصل (من نسخة) : « وحدها ». (٧) ذعر ؛ أي وحش مذعورة ؛ ويجوز أن يريد بلذعر النعام ؛ وهي توصف بذلك . (٨) الكدر : قضا ألوانها كلون الرماد . والنطاف : جمع نطفة ؛ وهي الماء القليل . (٩) في حاشيتي الأصل ، ف : « صرح : جمع صرح ؛ وهو الفصر ، وأصله صروح فقصره ؛ وقد قيل في أسد ، جمع أسد أنه أسود ، فقصر ثم خفف بتسكين السين ». (١٠) الأبيات من قصيدة في الفضليات ٧٩-٩١ ، ومختارات ابن الشجري ١٤-١٦ ، وأبيات منها في حماسته ٢٠٥-٢٠٦ ، ومجموعة المعاني ٥٢ ، وأبيات منها أيضا في الأغاني ١١ : ٨٧ ، ونسبها العقيل بن علفه .

كَأَنَّ يَدَيْهَا إِذَا أَرْقَاتُ وَقَدْ جُرْنَ ثُمَّ اهْتَدَيْنَ السَّبِيلَا (١)
يَدَا سَابِحٍ خَرَّ فِي غَمْرَةٍ وَقَدْ شَارَفَ الْمَوْتَ إِلَّا قَلِيلَا (٢)
إِذَا أَقْبَلْتَ قَلْتَ مَشْحُونَةً أَطَاعَتْ لَهَا الرِّيحُ قَلَمًا جَفُولَا (٣)
وَإِنْ أَدْبَرْتَ قَلْتَ مَدْعُورَةً مِنَ الرُّبْدِ تَتَّبِعُ هَيْمًا ذُمُولَا (٤)

ومعنى قوله :

* وقد جرن ثم اهتدين السبيلًا *

يعنى المطايا ؛ يقول : كن نشيطاتٍ يمرحن فلا يلزمن لقم (٥) الطريق ؛ بل يأخذن عيمًا
وشمالا ؛ فلما عضن الكلال استقمن على المحجة ، فكأنه وصف ناقته ببقاء النشاط مع كلال
المطى ؛ وكنى عن الكلال بلزوم جادة الطريق بعد تنكبها وهذه كناية فصيحة مليحة .

ومثله قول الآخر :

كَأَنَّ يَدَيْهَا حِينَ جَدَّ نَجَاؤُهَا يَدَا سَابِحٍ فِي غَمْرَةٍ يَتَدَّرَعُ (٦)

ومما يشاكل هذا المعنى ويقاربه قول الشماخ :

كَأَنَّ ذِرَاعَيْهَا ذِرَاعَا مُدَلَّةٍ بُعِيدَ السَّبَابِ حَاوَلَتْ أَنْ تَمْدَّرَا (٧)
مُجْدَّةُ الْأَعْرَاقِ قَالَ ابْنُ ضَرَّةٍ عَلَيْهَا كَلَامًا جَارَ فِيهِ وَأَهْجَرَا

(١) أرقلت : أسرعت . وجرن : عدان عن محجة الطريق .

(٢) الغمرة : الماء الكثير ؛ ورواية ابن الجرى :

يَدَا عَائِمٍ خَرَّ فِي غَمْرَةٍ فَأَدْرَكَهُ الْمَوْتُ إِلَّا قَلِيلَا

(٣) المشحونة : المملوءة ، وهو من وصف السفينة . والجفول : الذى تستخفه الريح ثم تحركه .

(٤) الربد : جمع ربداء ؛ وهى فى السوداء المنقطة بجمرة ؛ من وصف النعام . والهيق : ذكر النعام

والذمول : وصف لسير الظليم ، ورواية المفضل :

إِذَا أَقْبَلْتَ قَلْتَ مَدْعُورَةً مِنَ الرُّبْدِ تَلْحَقُ هَيْمًا ذُمُولَا

(٥) لقم الطريق معظمه ؛ وقال الليث : لقم الطريق منفرجه ، تقول : عليك بلقم الطريق فالزمه .

(٦) يقال : ذرع السابح ، إذا حرك يديه للسبح . (٧) من قصيدة طويلة فى ديوانه :

٢٦-٣٤ ، وأولها :

أَتَعْرِفُ رَسْمًا دَارِسًا قَدْ تَعِيرَا بَدْرُوةً أَقْوَى بَعْدَ لَيْلِي وَأَقْفَرَا

شبهه ذراعها وهي تتذرع في مشيها^(١) بذراعى امرأة مُدلة على أهلها ببراءة ساحتها ، وقد حكى عنها ابن ضرتها كلاماً أهجر فيه ؛ أى أخش ، فهي ترُفع يديها وتضمهما تعتذر وتحلف وتنضح عن نفسها .

وقد قيل إن معنى قوله : « مُدلة » أنها نُدِلَ بحسن ذراعها ، فهي تُدمن إظهارها لثرى^(٢) حسنها .

وقوله : « بُميدَ السَّبَاب » أى فى عقيب المسابرة قامت تعتذر إلى الناس ؛ وقوم يروونه « بعيدَ الشباب » ؛ ومعنى هذه الرواية أنها نَصَف من النساء ، فهي أقوم بحجتها من الحدثة الغرّة ؛ ويشهد لهذه الرواية الأخيرة قول الآخر :

كَأَنَّ يَدَيْهَا حِينَ يَقَلِّقُ ضَفْرُهَا يَدَا نَصَفٍ غَيْرِي تَعْدَرُ مِنْ جُرْمِ^(٣)

و / قوله : « حِينَ يَقَلِّقُ ضَفْرُهَا » فيه سرٌّ وفائدة ؛ لأنَّ الضفر هو الأنساع^(٤) ؛ [١٨٩] وإنما تلقى إذا جهدها السير فضمرت ، فكأنه وصفها بالتذرع والنشاط مع الجهد والكلال ؛ ومثله :

كَأَنَّ ذِرَاعَيْهَا ذِرَاعَا بَدِيَّةٍ مَفِجَعَةٌ لَاقَتْ ضُرَائِرَ عَنْ عُفْرِ^(٥)
سَمِعْنَ لَهَا وَاسْتَمَعَلَتْ فِي كَلَامِهَا فَلَا شَيْءَ يَفْرِى بِالْيَدَيْنِ كَمَا تَفْرِى^(٦)

١٥

ويقاربه قول الآخر :

أَلَا هَلْ تُبْلِغُنِيهِمْ عَلَى اللَّأْوَاءِ وَالظَّنَّةِ
وَأَوْ لِحْصَى الْمَعْزَا فِي أَخْفَافِهَا رَنَّةُ^(٧)
إِذَا مَا عَسَفَتْ قُلْتَ سَمَاءٌ فَاضَحَتْ كَنَّةُ^(٨)

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « فى سيرها » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « ليرى حسنها » بالبناء للمجهول . (٣) النصف : المرأة التى ذهب نصف عمرها ، ويقال للرجل أيضا . (٤) الأنساع : جمع نسع ، وهو السير المضفور يجمل زماما للبعير وغيره . (٥) عن عفر ، أى بعد حين . وفى حاشيتى الأصل ، ف : ويروى « عن عفر » . أى بعد كونها عاقرا . (٦) يفرى ، أى يأتى بالعجب . (٧) الوآة : النجبية من الإبل . والمعزاء : المسكان الصلب الكثير الحصى : (٨) الحمأة : أم الزوجة . والكنة : امرأة الولد :

ومن شبه سرعة أيدي الإبل بأيدي النوايح كعب بن زهير فقال^(١):

كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَا إِذَا عَرِقَتْ وَقَدْ تَلَفَّحَ بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلُ^(٢)
 وَقَالَ لِلْقَوْمِ حَدِيثَهُمْ وَقَدْ جَعَلْتُ أُرْقُ الْجِنَادِبِ يَرْكُضْنَ الْحَصَى: قِيلُوا^(٣)
 شَدَّ النَّهَارِ ذِرَاعَا عَيْطَلٍ نَصَفٍ قَامَتْ لِحَاوِبِهَا نُكْدًا مَآكِيلُ^(٤)
 نَوَاحَةٌ رِخْوَةٌ الضَّبَعَيْنِ لَيْسَ لَهَا لَمَّا نَعَى بِكْرَهَا النَّاعُونَ مَعْقُولُ^(٥)

المساقيل: أوائل السراب؛ ولا واحد لها من لفظها. وأخبر أن ناقته في شدة الحر واتقاد الظهيرة تمرح في سيرها وتتذرع بيديها؛ وشبه ذراعها بذرعى امرأة نصف تنوح على ابنها، وقد نعى إليها؛ فهي تشير بيديها وتوالى تحريكهما. والعيطل: الطويلة العنق، وجعلها نصفاً لأنها قد كادت تأس من الولد فهي أشد لحزنها على ابنها وتفجئها عليه، والقور: جمع قارة وهي ما ارتفع واستدار من الرمل؛ وأراد أن يقول: كما تلفعت القور بالمساقيل، فلم يمكنه فقلب.

(١) ديوانه: ١٦-١٨، من قصيدته المشهورة: «بانت سعاد».

(٢) رواية الديوان: «وقد عرقت». وأوب: رجع. وتلفح: تلحف، وفي حاشية الأصل: «قريب منه قول المرار الفعسي يصف ناقته:

كَأَنَّ أَوْبُ يَدَيْهَا إِلَى حَيْرُومِهَا فَوْقَ حَصَى الْجَدِّ جَدٍ
 نَوْحُ ابْنَةِ الْجَوْنِ عَلَى هَالِكٍ تَنْدِبُهُ رَافِعَةَ الْمِجْلِدِ

— الجدد: الأرض الصلبة. ابنة الجون: نواحة معروفة. والمجلد: قطعة جلد تضرب بها الناحية على صدرها. (٣) حاشية ف (من نسخة): «ورق»، والورق والأرق: جمع أورق؛ وهو الأخضر المائل إلى السواد. أو ما كان على لون الرماد وقيلوا؛ من الفائلة.

(٤) شد النهار: ارتفاع النهار؛ وهو ظرف، أي وقت ارتفاع النهار. والعيطل: الطويلة، ونكد: قليلات الأولاد. والنصف، هي التي قامت تنوح، شبه يدي ناقته بيدي هذه المرأة. والنكد: جمع نكداء، وهي التي لا يصيبها خير. (٥) نواحة، يعني هذه النصف، وقوله: «رخوة الضبعين» يريد أنها شديدة الحركة والاتدام. والضبعان هما المضدان، والواحد ضبع. وبكرها: أول ولدها. والمعقول: العقل، يقال: مالتان معقول، وماله مجلود.

ومثله :

وَكأنَمَا رَفَعَتْ يَدَى نَوَاحِي شَمْطَاءَ قَامَتْ غَيْرَ ذَاتِ خِمَارِ

[١٨٩]
ط

/ وإنما خص الشَّمْطَاءَ لما ذكرناه من اليأس من الولد، كما قال عمرو بن كلثوم :

ولا شَمْطَاءَ لم يترك شَقَاهَا لها من تِسْعَةٍ إِلَّا جَنِينًا^(١)

وقد قيل في بيت عمرو : بل شبه الناقةَ بشمطاء، لما على رأسها من اللغام^(٢) .

ومثل ما تقدم من المعاني قول الشاعر :

يَا لَيْتَ شَعْرِي وَالْمُنَى لَا تَنْفَعُ ! هَلْ أَعْدُونَ يَوْمًا وَأَمْرِي مُجْمَعُ !

وَتَحْتِ رَحْلِي زَفْيَانُ مَيْلَعُ كَأَنَّهَا نَائِحَةٌ تَفَجَّعُ

تَبْكِي لِمَيْتٍ وَسِوَاهَا الْمَوْجَعُ

— الزفیان : الناقة الخفيفة ، والميلع : السريمة ؛ وشبه رجع يديها في السير لنشاطها ١٠

بيدي نائمة تنوح لقوم على ميتهم بأجرة ، فهي تزيد في الإشارة بيديها ليرى مكانها .

ومثله بمينه قول ذى الرمة :

بِجَانِيقٍ تُضْحِي وَهِيَ عَوْجٌ كَأَنَّهَا بِجَوْزِ الْفَلَا مُسْتَأْجِرَاتُ نَوَاحٍ^(٣)

(١) من المعلقة : ٢١٥ — بشرح التبريزي ؛ وقوله :

فَمَا وَجَدْتُ كَوْجِدِي أَمْ سَقِبِ أَضَلَّتْهُ فَرَجَعَتْ الْحَيْنَا

والسقب : ولد الناقة الذكر .

(٢) اللغام : الزبد الذي يعلو شفاه الإبل إذا احتاجت

(٣) ديوانه : ١٠٤ . والعوج : جمع عوجاء ، وهي الناقة الضامرة ، كأنها عجفت فاعوج ظهرها .

وقبل هذا البيت :

وَسَيْرِي وَأَعْرَاءِ الْمَتَانِ كَأَنَّهَا إِضَاءٌ أَحْسَتْ نَفْحَ رِيحٍ ضَحَاضِحُ

عَلَى حِمِيرِيَّاتٍ كَأَنَّ عَيُونَهَا ذِمَامَ الرِّكَايَا أَنْكَرَتْهَا الْمَوَاحُ

— الأعراء : الخالية من النبات . والمتان : ما ارتفع من الأرض . والإضاء : جمع أضاء ، وهو الغدير .

والضحاضح : قليلة الماء . والحميريات : إبل منسوبة إلى حمير . وركية ذمة : قليلة الماء . ونكرت الركبة :

قل ماؤها ، وأنكرتها أنا .

المجانيق : التي ضمَّرنَ بعدِ سَمَنَ ؛ وخصَّ المستأجرات من النوائح للمعنى الذي ذكرناه .

وقال الشماخ فيما يقارب هذا المعنى :

كَأَنَّ أَوْبَ يَدَيْهَا حِينَ أَعْجَلَهَا أَوْبُ الْمُرَاحِ وَقَدْ نَادَوْا بِرَحَالِ
مَقْطُ الْكُرَيْنِ عَلَى مَكْنُوسَةٍ زَلَقٍ فِي ظَهْرِ حَنَانَةِ النَّيْرَيْنِ مَغْوَالِ

— معنى : « أوب ذراعها » أى رجمها - وأوب المراح ، إذا أراح القوم عازبَ أموالهم ليرحلوا، وقد روى: «أوب المراح» بالكسر؛ ومعناه رجع المراح والنشاط. والمقط: اللعب بالكرة. والكُرَيْن: جمع كرة. والمنكوسة: الأرض البراح التي لا شيء فيها. والزلق: المستوية من الأرض. والحنانة: الريح. والنيران: جانباً هذه الأرض. ومغوال، قيل: إنه من صفات الريح؛ وقيل: من صفات الأرض؛ وإن كان من صفات الريح فمعناه أن الريح تقول الأرض بأسرها؛ أى تملؤها، وإذا كان للأرض فالعنى أنها تقول من [١٩٠] سلكها أى تهلكه؛ وتلخيص معنى البيت أنه شبه يدي ناقته بيدي ضاربٍ / بكرّة في أرض واسعة في يوم ريح عاصف؛ وهذا من دقيق المعانى وحسن التشبيه والمبالغة.

ومثل بيتي الشماخ قول المسيّب بن علس^(١):

مَرِحَتْ يَدَاهَا لِلنَّجَاءِ كَأَنَّهَا تَكْرُو بِكَفِّي مَاقِطٍ فِي قَاعِ^(٢)
فَعَلَ السَّرِيعةِ بَادَرَتْ جُدَادَهَا قَبْلَ الْمَسَاءِ تَهْمٌ بِالْإِسْرَاعِ

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : قال س : « وجدت بخط القاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة الفضاوى رحمه الله : « علس » بفتح العين مضبوطاً كأنه يجمله فعلاً ماضياً ، والعلس : حب كالعس . »
(٢) من قصيدة في المفضليات ٦٠-٦٣ (طبعة المعارف) أولها :

أرحلت من سلمى بغير متاعٍ قبل العطاس ورعتها بوداعٍ
والمقاط : الضارب ، ورواية المفضليات :

* تَكْرُو بِكَفِّي لَاعِبٍ فِي صَاعٍ *

معنى: «تَكْرُو» أى كأنها تلاعب بِكُرَّةٍ . والسريعة ، يعنى نَسَاجَةٌ . والجُدَاد: الغزل الضعيف، فأراد أنها تُسرِع الضرب بالحَفِّ^(١) والنسج قبل المساء ؛ وما دامت تبصر ؛ فشبهه يدي نأقته فى تذرّعها بيدي هذه النساجة .

وقال الأصمى الجُدَاد : هُدْبُ الثوب ؛ فى معنى أن هذه النساجة قد قاربت الفراغ من

الثوب ، وبلغت إلى هُدْبِهِ ؛ فهى تبادر لتفرغ منه قبل المساء .

وقريب منه قول الآخر :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِيقُ^(٢) أَيْدِي جَوَارٍ^(٣) يَتَعَاطِينَ الْوَرِقُ

فالقَرِيقُ الخَشِنُ الذى فيه الحصى ؛ وشبهه خَذْفٌ^(٤) مناسبٌ^(٥) له بخَذْفِ جَوَارٍ يلعبن بدراهم،

وخصّ الجوارى لأنهن أخفُّ يداً من النساء .

وقال آخرون : القَرِيقُ هاهنا: المستوى من الأرض، الواسع؛ وإنما خصّ بالوصف لأن أيدى ١٠

الإبل إذا أسرع فى المستوى فهو أحمَدُ لها ؛ وإذا أبطأت فى غيره فهو أحمَدُ لها .

ومن أحسن ما قيل فى الإسراع قول المرّار بن سعيد :

فَتَنَاوَلُوا شُعَبَ الرَّحَالِ فَقَلَّصَتْ سُودُ الْبُطُونِ كَفَضْلَةِ الْمُتَنَمِّسِ

ذَكَرُوا مَا سَفَرًا هَبُّوا مِنْ رَقْدَتِهِمْ إِلَى رِحْلِهِمْ لَيْسِرُوا ؛ ويعنى بسود البطن الإبل ؛

والتنمّس: الصائد الذق اتخذ ناموساً، وهو ما يستتر به ليختل الصيد، فشبه المطايا فى سرعتها ١٥

بقطاً قد صاد الصائد بعضها ، وأقلت بعضها ؛ فهنَّ يَطْرُنَ طيراناً شديداً .

ومثل هذا - وإن كان فى صفة الخيل - قولُ النابغة :

(١) الحف : النسج . (٢) البيتان فى اللسان (قرق) .

(٣) اللسان : « أيدى نساء » . (٤) الخذف : الرمى بالحصى الصفار .

(٥) م « مناسبها » .

* كَالطَّيْرِ تَنْجُو مِنَ الشُّؤْبِ ذِي الْبَرْدِ * (١)

وأما قول مروان :

... يَهْرُ مِرَاحُهَا بَعْدَ النَّحُولِ تَلِيهَا وَقَدَّالَهَا

فقد مضى من وصف المطايا بالنشاط بعد السامة والجهد ماضى .

[١٩٠] وأحسن من قول مروان / وأشدُّ إفصاحاً بالمعنى وإعراباً عنه قولُ الهدليّ :

ومن سيرها العنقُ المُسَبِّطُ رُ وَالْمَجْرَفِيَّةُ بَعْدَ الْكَلَالِ (٢)

وإنما كان هذا أحسن لأنه صريح بنشاطها بعد كلالها . وقول مروان : « بعد النحول »

لا يجرى هذا الجرى ؛ لأن النحول قد يكون عن جهد السفر والتعب ، ويكون عن غيره .

وأما قوله :

* كَالْقَوْسِ سَاهِمَةٌ أَتَتْكَ وَقَدْ تَرَى * ١٠

فقد أ كثر العرب في وصف المطايا بالنحول وتشبيهها بالقسي وغيرها ؛ وقد أحسن

كثير في قوله :

نَفَى السَّيْرُ عَنْهَا كُلَّ دَاءٍ إِقَامَةٍ فَهِنَّ رِذَايَا بِالطَّرِيقِ تَرَائِكُ (٣)

وَمَحَمَّتِ الْحَاجَاتِ خُوصًا كَأَنَّهَا - وَقَدْ ضَمَرَتْ - صُفْرُ الْقَيْسِيِّ الْعَوَائِكُ (٤)

وقال سلم بن عمرو الخاسر (٥) :

وَكَأَنَّهِنَّ مِنَ الْكَلَالِ أَهْلَةٌ أَوْ مِثْلُهُنَّ عَطَائِفُ الْأَقْوَاسِ (٦)

(١) ديوانه : ٢٣ ، صدره :

* وَالخَيْلُ تَمْرَعُ غَرْبًا فِي أَعْنَتِهَا *

(٢) ديوان الهدلين ٢ : ١٧٥ ، والبيت لأمية بن عائذ العنق : السير المنبسط . والمسبطر : المسترسل .

السهل . والعجريفه : الشديده . (٣) ديوانه : ٢ : ١٣٦ ؛ الرذايا : جمع رذية ؛ وهي الناقة المهزولة من السير .

والترايك : المتروكة لضعفها . (٤) العوائك : جمع عاتكة ؛ وهي القوس إذا قدمت واحرت .

(٥) في حاشيتي الأصل ، ف : « قيل إنعاسي عمرو خاسرا لأنه ورث عن أبيه مصحف قرآن ، فاشترى

به عوداً » . (٦) القوس المطيفة : المعطوفة ؛ وهي المنحنية .

قُوْدٌ طَوَّاهَا مَا طَوَّتْ مِنْ مَهْمِهِ نَأَى الصَّوَى وَمَنَاهِجٍ أَدْرَاسٍ^(١)
وقال أبو تمام يصف ناقة :

أَتَيْنَا الْقَادِسِيَّةَ وَهِيَ تَرْنُو إِلَى بَعَيْنِ شَيْطَانٍ رَحِيمٍ^(٢)
فَمَا بَلَّغَتْ بِنَا عُسْفَانَ حَتَّى رَنَتْ بِلِحَاطِ لِقْمَانَ الْحَكِيمِ
وَبَدَّ لَهَا الشَّرَى بِالْجَهْلِ حِلْمًا وَقَدَّ أَدِيمَهَا قَدَّ الْأَدِيمِ
أَذَابَ سَنَامَهَا قَطَعُ الْفِيَّافِي وَمَزَّقَ جِلْدَهَا نَضْحُ الْعَصِيمِ^(٣)
بَدَتْ كَالْبَدْرِ وَاقِي لَيْلِ سَعْدٍ وَآبَتْ مِثْلَ عُرْجُونٍ قَدِيمِ

وقال البحرى :

وَحَدَّانُ الْقَلَّاصِ حَوْلًا إِذَا قَا بَلْنَ حَوْلًا مِنْ أَنْجَمِ الْأَسْحَارِ^(٤)
يَتَرَقَّرْنَ كَالسَّرَابِ وَقَدْ خُضُّنَ غِمَارًا مِنَ السَّرَابِ الْجَارِي
/ كَالْقِسِيِّ الْمُعْطَلَاتِ، بَلِ الْأَسْمِ مَبْرِيَّةً ، بَلِ الْأَوْتَارِ
[١٩١] و

(١) قود : جمع أفود ؛ وهو من الإبل الطويل العنق . الصوى : جمع صوة ؛ وهى الأعلام فى الطريق .
وفى حاشية الأصل : « ومثله بعينه للمتنبى :

فَتَبَّيْتُ تُسْتَدُّ مُسْتَدًّا فِي نَيْهَا إِسْتَادَهَا فِي الْمَهْمَةِ الْإِنْضَاءُ

الإستاد : لإسراع السير فى الليل . والنى : الشحم . والمهمة : الأرض الواسعة البعيدة . والإنضاء :
مصدر أنضاء ينضيه إذا هزله . قال العكبرى : « والمعنى أن المهمة ينضيه كما تنضيه » .

(٢) ديوانه : ٤٢٣ ؛ من قصيدة يصف حجة حجها ؛ وأولها :

لَمَلَكَ ذَاكِرُ الْبَلَلِ الْقَدِيمِ وَمَوْفٍ بِالْمَهْوِدِ عَلَى الرَّسُومِ

وَوَاصِفُ نَاقَةٍ تَذَرُ الْمَهَارَى مَوْكَلَةً بِوَحْدِهِ أَوْرَسِيمِ

وَقَدْ أُمَّتْ بَيْتَ اللَّهِ نِضْوًا عَلَى عَيْرَانَةٍ حَرْفِ سَعُومِ

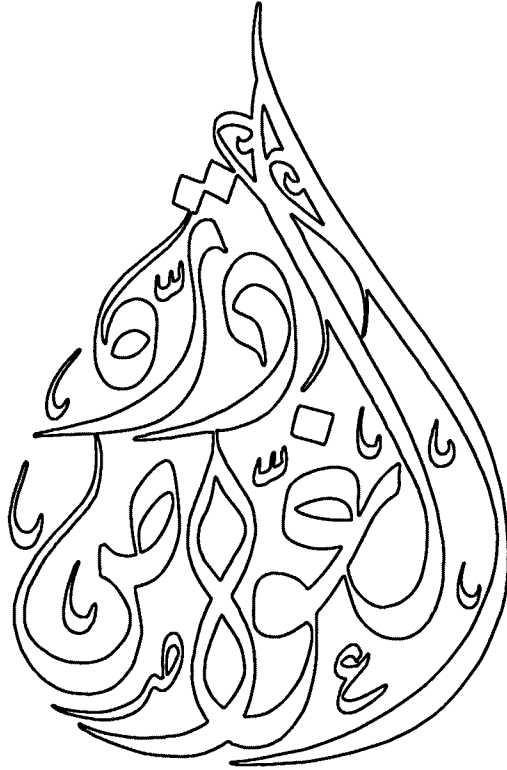
أتيت القادسية . . .

(٣) النضح : الرشح . والعصيم : العرق . (٤) ديوانه : ٢ : ٢٤ ؛ من قصيدة يمدح فيها

أبا جعفر بن حميد . وخذان القلاس : إسرعاهما . وحول : جمع حائل ، وحول الثانية جمع أحول .

وله أيضاً :

وَهِيَ الْعَيْسُ، دَهْرَهَا فِي ارْتِحَالٍ مِنْ حُلُولٍ، أَوْ فُرْقَةٍ مِنْ جَمِيعِ (١)
رُبَّ مَرَّتٍ مَرَّتٍ تُجَاذِبُ قَطْرِي هِ سَرَابًا كَالنَّهْلِ الْمَشْرُوعِ (٢)
وَسُرِّي تَلْتَجِيهِ بِالْوَحْدِ حَتَّى تَصْدَعُ اللَّيْلَ عَنْ بِياضِ الصَّدِيعِ (٣)
كَالْبُرَى فِي الْبُرَى وَيُحْسِنَ أَحْيَا نَا نُسُوعًا مَجْدُولَةً فِي نُسُوعِ (٤)



-
- (١) ديوانه ٢ : ٩١؛ من قصيدة يمدح فيها محمد بن محمد الواثق .
(٢) المرت : الأرض القفر . (٣) الصديع : الفجر .
(٤) البرى : جمع برة ؛ وهى الحلقة . والنسوع : الجبال .

مَجْلِسُ آخِرٍ تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ
أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ [س : ٧٥] .

فقال : كيف أضافُ إلى نفسه اليد ؛ وهو ممن يتعالى عن الجوارح ؟

الجواب ، قلنا في هذه الآية وجوهٌ :

أولها أن يكون قوله تعالى : ﴿ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ ﴾ جارياً مجرى قوله : «لما خلقت أنا» ،
وذلك مشهور في لغة العرب ، يقول أحدهم : هذا ما كسبتُ يداك ؛ وما جرّت عليك يداك ؛
وإذا أرادوا نفيَ الفعل عن الفاعل استعملوا فيه هذا الضربُ من الكلام فيقولون : فلان
لا تمشي قدمه ، ولا ينطق لسانه ، ولا تكتب يده ؛ وكذلك في الإثبات ، ولا يكون للفعل
رجوع إلى الجوارح في الحقيقة ؛ بل الفائدة فيه النفي عن الفاعل .

وثانيها أن يكون معنى اليد هاهنا النعمة ، ولا إشكال في أن أحدَ احتمالات لفظة اليد ١٠
النعمة .

فأما الوجه في ثنيتها فقد قيل فيه إن المراد نعمة الدنيا ونعمة الآخرة ، فكأنه تعالى
قال : ما منمك أن تسجدَ لما خلقتُ لنعمتي ؛ وأراد بالباء اللام .

وثالثها أن يكون معنى اليد هاهنا القدرة ؛ وذلك أيضا من احتمالات اللفظة ؛
يقول القائل : مالي بهذا الأمر يدٌ ولا يدان ، وما يجري مجرى ذلك ؛ والمعنى : أني لأقدر ١٥
عليه ولأطيعه ؛ وليس المراد بذلك إثباتُ قدرة على الحقيقة ؛ بل إثبات كون القادر قادرا ، ونفي

كونه قادراً ، فكأنه تعالى قال : ما منعمك أن تسجد لما خلقت وأنا قادر على خلقه ؛ فعبّر عن كونه قادراً بلفظ اليد الذي هو عبارة عن القدرة ؛ وكل ذلك واضح في تأويل الآية .

[١٩١] ونعود إلى ما كنا ابتدأناه من الكلام على شعر مروان .

فمن قصيدته التي تقدم بعضها ووقع الكلام عليه مما يختار قوله :

أحيا أمير المؤمنين محمد
مد الإله على الأنام ظلها
رأدى جبال عدوها فازاها (١)
إلا أجال لها الأمور مجالها
ألفى أباه مفرجا أمثالها
من صر فيهن لكل حال حالها (٢)
للمسلمين ، وفي العدو وبالها (٣)
أذهبت بعد مخافة أوجالها
وفككت من أسرائها أغلالها
وجعلت مالك وإقيا أموالها (٤)

أحيا أمير المؤمنين محمد
ملك تفرغ نبعه من هاشم
جبل لأمته تلوذ بر كنه
لم تغشها مما تخاف عظمة
حتى يفرجها أغر مبارك (٥)

ثبت على زلل الحوادث راكب
كلتا يديك جعلت فضل نوالها
وقعت مواقعها بعفوك أنفوس
أمنت غير معاقب طرادها
وانصبت نفسك خير نفس دونها

أما قوله : ١٥

أحيا أمير المؤمنين محمد سنن النبي حرامها وحلالها

فقد عابه عليه بعض من لا معرفة له بنقد الشعر فقال : كيف يكون في سنن النبي عليه

(١) في حاشيتي الأصل ؛ ف « رادى » فاعل « من المراداة ؛ وهى مرأمة الحجر ؛ أصله من الردى

وهو الحجر الذى يكسر به الحجارة ، يستعمل فى المفاخرة والمناجزة . (٢) م : « مهذب » .

(٣) أى راكب من الصروف لكل حال حالها . (٤) ش : « وللعديو وبالها » .

(٥) حاشية ف : « بخط عبد السلام بن الحسين البصرى رحمه الله : صياها » .

السلام حرام ! وما ذلك بعميبٍ ؛ لأنه أراد بقوله : « حلالها وحرامها » التحليل والتحريم ؛
ومن سننه تحريمُ الحرام ، وتحليل الحلال ؛ وإنما العميب من هذا قول ابن الرِّقاع العامليّ :

ولقد أراد الله إذْ ولاَّ كَها من أُمَّةٍ إِصْلاَحَها وفسادَها^(١)

ومثل قول مروان قولُ سلم الخاسر :

٥ ولما وليتَ ذكرتُ النبيَّ بتحليله وبتحريمِهِ

فأما قوله :

* حتى يفرَّجها أغرُّ مباركٌ * ... البيت

فكثير جداً للمتقدمين والمحدثين ؛ والأصل فيه قول زهير :

وما كانَ منْ خَيْرٍ أتوهُ فإنما توارثهُ آباءُ آبائِهِمْ قَبْلُ^(٢)

١٠ وهلْ يُنْبِتُ الخَطِيَّ إِلَّا وشِيجُهُ وتُفْرَسُ إِلَّا في منابِها النَّخْلُ!^(٣)

ومثله قول الآخر :

[١٩٢] / وَحَمْزَةُ وَالْعَبَّاسُ مِنْهُمْ وَمِنْهُمْ عَقِيلٌ، وَماءُ العُودِ مِنْ حَيْثُ يُعَصَّرُ^(٤)

و

ومثله للرَّبيع بن أبي الحَقِيق اليهوديّ :

إذَ ماتَ مِنّا سَيِّدٌ قامَ بَعْدَهُ لَهُ خَافٌ يَكْفِي السَّيِّدَةَ بارِعُ

(١) الطرائف الأدبية : ٩٠ ؛ والرواية هناك : « إصلاحها ورشادها » ، وهي أيضاً رواية المؤلف في المجلس التاسع والأربعين . وفي الحاشية : « عدى قال : «فسادها» ، والأصمعيّ أنشد : «رشادها» ؛ والبيت من قصيدته التي أولها :

عرف الديار توها فاعتادها من بعد ما درس البلى أبلادها

وانظر روايتها وتخرج أبياتها في الطرائف الأدبية ٨٧-٩١ .

(٢) ديوانه : ١١٥ ؛ وتوارثه ؛ أي ورثوه كابرا عن كابرا ؛ كناية عن مجدهم القديم .

(٣) الخطيّ : الرماح ؛ منسوبة إلى الخط ؛ وهي جزيرة بالبحرين ترفأ إليها سفن الرماح . والشبيح :

القنا الملتف في منبته ، واحدها وشبيجة . (٤) حاشية الأصل : «ومثله للدنبي :

فإن كان سيارُ بن مكرمٍ انقضَى فإنك ماء الورد إن ذهب الوردُ

منَ أَبْنَائِهِ وَالْعَرِيقُ يَنْصُرُ فَرَعَهُ عَلَى أَصْلِهِ، وَالْعَرِيقُ لِلْعَرِيقِ نَازِعٌ^(١)
ومثله له:

تَرْجُو الْفُلَامَ وَقَدْ أَغْيَاكَ وَالِدُهُ وَفِي أُرُومَتِهِ مَا يَنْبُتُ الْعُودُ
وأخذ هذا المعنى وبعض اللفظ الكُمَيْت فقال:

تَجْرِي أَصَاغِرُهُمْ تَجْرِي أكَابِرُهُمْ وَفِي أُرُومَتِهِ مَا يَنْبُتُ الشَّجَرُ ٥
ومن هذا المعنى قول عبيد الله بن قيس الرُّقِيَّات:

يَخْلُفُكَ الْبَيْضُ مِنْ بَنِيكَ كَمَا يَخْلُفُ عُودُ النَّضَارِ فِي شُعْبِهِ^(٢)
ومنه قول نهشل بن حَرَّي:

أَرَى كُلَّ عُوْدٍ نَابِتًا فِي أُرُومَةٍ أَبَى نَسَبُ الْعِيدَانِ أَنْ يَتَغَيَّرَا^(٣) ١٠
بَنُو الصَّالِحِينَ الصَّالِحُونَ وَمَنْ يَكُنْ لُوَالِدٍ سَوْءٌ يَلْقَاهُ حَيْثُ سَيَّرَا^(٤)
ومثله لمسلم بن الوليد الأنصاري:

أَلْحَ عَلَى الْأَيَّامِ يَفْرِى خُطُوبَهَا عَلَى مَهَجِ أَلْفَى أَبَاهُ بِهِ قَبْلُ^(٥)
ولبشار:

* عَلَى أَعْرَاقِهَا تَجْرِي الْجِيَادُ *

(١) نازع؛ أى ينزع إليه فى الشبه . (٢) النضار : شجر الأثل ؛ وقيل : النضار : كل شجرة ناضرة . (٣) ف : « ناميا فى أرومة » . (٤) نسب هذا البيت فى حماسة أبى تمام - بشرح التبريزى ١ : ٣٠٠ إلى جميل بن عبد الله بن معمر ؛ ضمن أبيات ثلاثة ؛ وهى :

أَبُوكَ حَبَابٌ سَارِقُ الضَّيْفِ بُرْدُهُ وَجَدَّيَ يَاحْجَاجَ فَارِسَ شَمْرَا
بَنُو الصَّالِحِينَ الصَّالِحُونَ وَمَنْ يَكُنْ لِأَبَاءِ صَدَقَ يَلْقَاهُمْ حَيْثُ سَيَّرَا
فَإِنْ تَفَضَّبُوا مِنْ قِسْمَةِ اللَّهِ حَظَّكُمْ فَلَلَّهِ إِذْ لَمْ يُرْضِكُمْ كَانَ أَبْصَرَا

وهى فى الحماسة - بشرح المرزوقى ٣١٥-٣١٦ من غير نسبة .

ومثله :

وَمَا فِيَّ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ فَانْهَاجِهَا
هُمُ الْقَوْمُ فَرَعِي مِنْهُمْ مُتَفَرِّعٌ

وللبحتري:

وَإِذَا أَبُو الْفَضْلِ اسْتَعَارَ سَجِيَّةً
شَرَفٌ تَتَابَعَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ
لِنَجِيبِ قَوْمٍ لَيْسَ بَابْنِ نَجِيبِ

/ وله أيضاً :

مَا سَمَوْا يَخْلُفُونَ غَيْرَ أَبِيهِمْ
كُلُّ سَاعٍ مَنَا يُرِيدُ نِصَابَهُ^(٢)

وله أيضاً :

وَمَا تَابِعٌ فِي الْمَجْدِ نَهَجَ عَدُوِّهِ
كَمُتَّبِعٍ فِي الْمَجْدِ نَهَجَ أَبِيهِ^(٣)

وفي هذه القصيدة يقول مروان :

هَلْ تَعْلَمُونَ خَلِيفَةً مِنْ قَبْلِهِ
طَلَعَ الدُّرُوبَ مُشْمَرًا عَنْ سَاقِهِ
قُودًا تَرَبُّعٌ إِلَى أَعْرَ لَوْجِهِ
قَصْرَتْ سَحَائِلُهُ عَلَيْهِ فَقَلَّصَتْ
أَجْرَى لِنَايَتِهِ الَّتِي أَجْرَى لَهَا
بِالْحَيْلِ مُنْصَلِتًا يُجِدُّ نَعَالَهَا^(٤)
نُورٌ يُضِيءُ أَمَامَهَا وَخِلَالَهَا^(٥)
وَلَقَدْ تَحَقَّقَتْ قَيْنُهَا فَأَطَاهَا
جَيْحَانٌ بَثَّ عَلَى الْعَدُوِّ رِعَالَهَا^(٦)

(١) ديوانه ١ : ٥٧ ؛ من قصيدة يمدح فيها يعقوب بن إسحاق النوبختي .

(٢) ديوانه ١ : ٩٠ ؛ من قصيدة يمدح فيها أبا ثوبة .

(٣) ديوانه ٢ : ٣٢٨ ؛ من قصيدة يمدح بها أحمد بن المدبر .

(٤) الدروب ، يريد بها دروب الروم . والمنصلت : الماضي في الأمر .

(٥) قود : جمع أقود ، وهو اللؤلؤ من الحيل . وتربيع : ترجع .

(٦) جيحان : اسم نهر . والرعال : جمع رعيل ؛ وهو القطعة من الحيل تنقدم العسكر .

[١٩٢]
ط

١٠

١٥

أُحْمَى بِلَادَ السُّلَمِينَ عَلَيْهِمْ
أُدْمَتْ دَوَابِرَ خَيْلِهِ وَشَكِيمَهَا
لَمْ تُبْقِ بَعْدَ (٢) مَقَادِمِهَا وَطِرَادِمِهَا
رَفَعَ الْخَلِيفَةُ نَاطِرِيَّ وَرَاشِنِيَّ
وَحَسِدْتُ حَتَّى قِيلَ أَصْبَحَ بَاطِلًا
وَلَقَدْ حَذَوْتَ لَنْ أَطَاعَ وَمَنْ عَصَى
وَأَبَاحَ سَهْلَ بِلَادِهِمْ وَجِبَالِهَا
غَارَاتُهُنَّ وَالْحَقَّتْ أَطَالِهَا (١)
إِلَّا نَحَائِزَهَا وَإِلَّا آلِهَا (٢)
بِيَدِ مُبَارَكَةِ شَكَرْتُ نَوَالِهَا
فِي الْمَشَى مُتَرَفٍ شِيمَةٍ مُخْتَالِهَا (٤)
نَمَلًا وَرِثَتَ عَنِ النَّبِيِّ مِثَالِهَا (٥)

أما قوله : « قَصَرَتْ سَمَاثِلُهُ » فالأصل فيه قول عنتره :

بَطْلٌ كَانَ ثِيَابَهُ فِي سَرَحَةٍ
يُحْدَى نِمَالَ السَّبْتِ لَيْسَ بَتْوَعْمٍ (٦)
أو قول الأعشى :

إِلَى مَا جِدَ كِهْلَالِ السَّمَاءِ
طَوِيلِ النَّجَادِ ، رَفِيعِ الْعِمَاءِ
أَزْكَى وَفَاءً وَبِحُدَا وَخَيْرًا (٧)
دِ ، يَحْمَى الْمُضَافَ ، وَيُغْنِي الْفَقِيرَا (٨)

[١٩٣]
و
/ ومثله:

طَوِيلُ نِجَادِ السَّيْفِ عَارِ جَبِينُهُ
إِذَا هُمْ بِالْمَعْرُوفِ لَمْ تَجْرِ طَيْرُهُ
كَنَصَلِ الْيَمَانِي أَخْلَصْتَهُ صِيَا قَلْبُهُ
نُحُوسًا ، وَلَمْ تَسْبِقْ نَدَاهَ عَوَازِلُهُ

(١) الدوابر: جمع دابرة ، وهى الموضع الذى يقع عليه مؤخر السرج . والحقت : ضمرت . والأطال : جمع إطال ؛ وهى الحاصرة . (٢) ش : « لَمْ يُبْقِ بَعْدُ » .

(٣) نحائزها : طباعها . وآلها : يريد شخصها . (٤) المترف : المبقى فى الملك والنعمة .

(٥) حاشية الأصل : « يعنى أنه اقتدى عن النبى عليه السلام فى أفعاله حذو النمل بالنمل » .

(٦) المعلقة — بشرح التبريزى : ١٩٩ ؛ أى هو بطل . والسرحة : الشجرة الكبيرة الطويلة ؛ يستظل بها . ونمال السبت : المدبوغة بالقرظ ، وكانت الملوك تلبسها وليس بتوعم : لم يولد معه آخر فيكون ضعيفا . (٧) ديوانه : ٧٠ . والرواية فيه : « لى ملك » .

(٨) رواية الديوان : « ويعطى الفقيرا » . والمضاف : الملجأ ، من قولهم : أضاف ظهره لى الحائط أى استند إليها .

ومثله قول طريح بن إسماعيل الثقفي :

يقولُ نجادَ السَّيفِ وهو طويلٌ^(١)

وأشعثَ طَلاعِ الثنايا مبارِكِ

ولأبي جويرية العبدى :

بأعلى سَنامِي فالحِجِ بِتَطَوُّحِ

عِدُّ نِجادِ السَّيفِ حتَّى كأنَّهُ

هلالاً بدأ في جانبِ الأفقِ يلمحُ

إذا اهتزَّ في البرْدِ اليمانيِّ خِلتهُ

ولأبي عطاء السندي :

حمائلُهُ وإن طالتِ قِصارُ

وأزهرَ من بني عمرو بن عمرو

ولبعضهم في آل المهلب :

وأمنعُهُمْ إذا عُدُّوا ذِمارةً^(١)

رَأَيْتُكُمْ أعزَّ الناسِ جاراً

١٠

نَراها عن شمائلكُم قِصاراً

شمائلكُم وإن كانت طوالاً

ولبعض بني العنبر في معنى الطول :

عمامتهُ بين الرِّجالِ لواءُ^(٢)

فجاءتْ به عِبلَ العِظامِ كأنَّما

ولآخر:

تَناطُ إلى جِذعِ طويلِ حمائلُهُ^(٤)

أشَمُّ طويلُ السَّاعِدِينَ كأنَّما

ولابن هرمة:

١٥

بِعاتِقِ ، لا أَلْفٌ ولا ضَبِيلِ

تَناطُ شمائلُ الهِنديِّ مِنْهُ

على ماضٍ بقائِمِهِ نَبِيلِ

ولكن تَسْتَقِلُّ به قِواءُ

(١) د ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « بطول » .

(٢) الذمار : الذمة والمهد .

(٣) عبل العظام : ضخمها ، والبيت من أبيات ثلاثة في الحماسة - بشرح المرزوقي ٢٦٩-٢٧٠ ،

والرواية هناك : « سبط العظام » . (٤) حاشية ف (من نسخة) : « طول الساعدين » .

ولسلم الخاسر :
يَقُومُ مَعَ الرُّمَحِ الرُّدَيْنِيِّ قَائِمًا وَيَقْصُرُ عَنْهُ طُولُ كُلِّ نِجَادٍ
وللخشمي :

يُوزِي الرُّدَيْنِيَّ فِي طَوْلِهِ وَيَقْصُرُ عَنْهُ نِجَادُ الحُسَامِ

وللوالبي :

[١٩٣]
ظ

طَوْلٌ وَطَوْلٌ قَرَى كَفَّهُ
يَهْلُ بِالطَّوْلِ انْهَالُ النِّمَامِ
وَطَوْلُهُ يَفْتَالُ يَوْمَ الوَغَى
وغيره فَضْلَ نِجَادِ الحُسَامِ

فأما قوله :

ولقد حَدَوْتُ لِمَنْ أَطَاعَ وَمَنْ عَصَى
نَعْلًا وَرِثَتْ عَنِ النَّبِيِّ مِثَالَهَا

فقد رَدَّدَ مروان معناه في مواضع من شعره فقال :

شَبِيهُ أَبِيهِ مَنْظَرًا وَخَلِيقَةً
كَمَا حُدَيْتَ يَوْمًا عَلَى أُخْتِهَا النَّعْلُ

وقال في موضع آخر :

أَحْيَا لَنَا سُنَنَ النَّبِيِّ سَمِيَةً (١)
قَدَّ الشَّرَاكِ بِهِ قَرَنْتَ شِرَاكًا (٢)

وقال أيضا :

صَحِيحُ الضَّمِيرِ ، سِرُّهُ مِثْلُ جَهْرِهِ
قِيَاسَ الشَّرَاكِ بِالشَّرَاكِ تُقَابِلُهُ

وقال أيضا :

تَشَابَهْتُمَا حِلْمًا وَعَدْلًا وَنَائِلًا
تَنَازَعْتُمَا نَفْسَيْنِ ؛ هَدَى كَهْدِهِ
كَمَا قَاسَ نَعْلًا حَضْرَمِيًّا فَقَدَّهَا
وَحَزْمًا إِذَا أُمِرَ أَقَامَ وَأَقَمَدًا
عَلَى أَصْلِ عِرْقٍ كَانَ أَفْخَرَ مُتَلَدًا
عَلَى أُخْتِهَا لَمْ يَأُلْ أَنْ يَتَجَوَّدَا

(١) م : محمد . (٢) حاشية ف : « قد الشراك : مصدر في موضع الحال ، أى قادا » .

وأخذ هذا المعنى أبو نواس فقال :
تَنَازَعَ الْأَحْمَدَانِ الشَّبَهَ قَاتِفَقَا خَلَقَا وَخُلُقَا كَمَا قَدَّ الشَّرَاكَانِ (١)

والأصل في هذا قول ابن أبي ربيعة :
فَلَمَا تَوَافَقْنَا عَرَفْتُ الَّذِي يَبْهَى كَمِثْلِ الَّذِي بَى، حَدُّوكَ النَّعْلَ بِالنَّعْلِ (٢)

ومثله للسَّيد بن محمد الحميري رحمه الله تعالى :

يَتَلُونَ أَخْلَاقَ النَّبِيِّ وَفِعْلَهُ فَالنَّعْلُ تُشْبِهُ فِي الْمِثَالِ طِرَاقَهَا (٣)

وقد تقدّم إلى هذا المعنى يزيد بن المكسر بن ثعلبة بن سيّار العجليّ بقوله في يوم ذي قار،

يحرص قومه على القتال :

مَنْ فَرَّ مِنْكُمْ فَرَّ عَنْ حَرِيمِهِ (٤) وَجَارِهِ ، وَفَرَّ عَنْ نَدِيمِهِ

/ أَنَا بِنُ سَيَّارٍ عَلَى شَكِيمِهِ (٥) مِثْلُ الشَّرَاكِ قَدْ مِنْ أَدِيمِهِ

* وَكُلُّهُمْ يُجْرَى عَلَى قَدِيمِهِ *

فأما قوله :

* وَحُسِدْتُ حَتَّى قِيلَ أَصْبَحَ بَاغِيَا * . . . البيت

ففي معناه قول البحترى :

أَلَنْتَ لِي الْأَيَّامَ مِنْ بَعْدِ قَسْوَةٍ وَعَاتَبْتَ لِي دَهْرِي الْمُسِيءِ فَأَعْتَبَا (٦)
وَأَلْبَسْتَنِي النُّعْمَى الَّتِي غَيَّرْتَ أُخِي عَلَى فَاؤْمَسَى نَارِحَ الْوُدِّ أَجْنِبَا

ومما يختار لروان قوله :

(١) حاشية الأصل : « أى ينزعان في الشبه ، كل منهما إلى صاحبه في الشبه ، ويجوز أن يكون

تنازع ، من النزاع الذى هو السلب » . (٢) ديوانه : ٣٢٦ .

(٣) طراق النعل : ما أطبقت عليه فخرزت به . (٤) الأبيات في تاريخ الطبرى ٢ : ١٥٤ .

وفي حاشية الأصل : من نسخة « منكم » . (٥) شكيمه : طبعه وعادته . (٦) ديوانه ١ : ٥٦ .

مَوْفَّقٌ لِسَبِيلِ الرُّشْدِ مُتَّبِعٌ يَزِينُهُ كُلُّ مَا يَأْتِي وَيَجْتَنِبُ
تَسْمُو الْعِيُونَ إِلَيْهِ كَمَا انْفَرَجَتْ لِلنَّاسِ عَنْ وَجْهِهِ الْأَبْوَابُ وَالْحُجُبُ
لَهُ خَلَائِقٌ بَيْضٌ لَا يُغَيِّرُهَا صَرَفُ الزَّمَانِ كَمَا لَا يَصْدَأُ الذَّهَبُ

ووجدت بعض من ينتقد^(١) الشعر يقول: ليس في شعر مروان بيت يُتمثل به غير هذا البيت
٥ الأخير من الثلاثة الأبيات. وكان ابن منذر^(٢) إياه أراد بقوله، وقد سأل وهو مجاور بمكة:
عمن يبغذاذ من الشعراء؟ فقيل له: العباس بن الأحنف؛ فقال: أنشدوني له، فأنشدوه:
لَوْ كُنْتُ عَاتِبَةً لَسَكَنْتَ عِبْرَتِي أَمَلِي رِضَاكَ، وَزُرْتُ غَيْرَ مُرَاقِبٍ^(٣)
لَكِنْ مَلَيْتُ فَلَمْ تَكُنْ لِي حَيْلَةً، صَدُّ الْمَلُولِ خِلافُ صَدِّ الْعَاتِبِ^(٤)
فقال ابن منذر: أخلق بمن أدام بحث التراب أن يصيب خرزة.

١٠ قال سيدنا آدم الله تمكينه: ولا شك في قلة الأمثال في شعر مروان؛ ولكن ليس إلى
هذا الحد؛ وهذا المعنى الذي قد تضمنه البيت قد سبق إليه أيضا، قال طريح بن إسماعيل:
جَوَادٌ إِذَا جِئْتَهُ رَاجِئًا كِفَاكَ السُّؤَالَ وَإِنْ عُذَّتْ عَادَا
خَلَائِقُهُ كَسْبِيكَ النَّضَا رِلا يَعْْمَلُ الدَّهْرُ فِيهَا فَسَادَا
ومثله قول الحريمي:

[١٩٤] /رَأَيْتَكَ يَا زَيْدُ زَيْدَ النَّدَى وَزَيْدَ الْفَخَّارِ وَزَيْدَ الْكَرَمِ
تَزِيدُ عَلَى نَائِبَاتِ الْخَطْوِ بَ بَدَلًا وَفِي سَائِبَاتِ النَّعْمِ
كَذَا الْخَمْرُ وَالذَّهَبُ الْمَدْنِيُّ يُجَوِّدُ هَذَا وَذَلِكَ الْقَدَمُ

وفي قوله: «الذهب المدني» فائدة؛ لأنه إذا خلص الذهب وصفا لم يفسد؛ وإذا امتزج

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « ينقد » . (٢) حاشية الأصل : « ابن منذر ، بضم الميم ، ومنهم من يفتح الميم ، ذهابا إلى أن له آباء اسم كل منهم اللندر ، وليس هذا بشيء . وقيل له : يابن منذر ، فقال : منذر الصغرى أم الكبرى ؟ وهما ناحيتان بالأهواز ، بل أنا ابن منذر ، بضم الميم » .
(٣) ديوانه : ٢ : ٢٢ . (٤) رواية الديوان : « لكن مللت » .

بغيره لم يكن هذا حكمه ؛ ومثله للأُموي^(١) :

يَأْوِي إِلَى خُلُقٍ لَمْ يُصِدِّهِ طَبَعٌ
كَأَنَّ جَوْهَرَهُ مِنْ جَوْهَرِ الذَّهَبِ

ولبعضهم:

مَلِكٌ لَهُ خُلُقٌ خَلِيقٌ بِالْعَلَا
كَسَبِيكَةِ الذَّهَبِ الَّتِي لَا تَكْلِفُ^(٢)

وقد أخذ الخبز أُرزِيّ هذا المعنى في قوله :

فَلَا تُعَنَّ لِتَحْدِيفِ تَكْلَفِهِ
لِصُورَةِ حُسْنِهَا الْأَصْلَى تَكْفِيهَا
إِنَّ الدَّنَايِرَ لَا تُجَلَّى وَإِنْ عُنُقَتْ
وَلَا تَزَادُ عَلَى النَّقْشِ الَّذِي فِيهَا

ولحظة مثله :

١٠ صَدِيقٌ لِي لَهُ أَدَبٌ
رَعَى لِي فَوْقَ مَا يُرْعَى
وَلَوْ نَقَدَتْ خَلَاتِقُهُ
أَوْجَبَ فَوْقَ مَا يَجِبُ
صَدَاقَةٌ مِثْلَهُ حَسَبُ
لَبُهِرَجَ عِنْدَهَا الذَّهَبُ

(١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : «الأسدي» (٢) لانكاف : لانصدأ ؛ من الكلف ؛ وهو

لون يخالف لون الوجه .

مجلس آخر

تأويل آية

إن سائل سائل عن قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٧] .
فقال: لم وحد ﴿ نجوى ﴾ وهو خبر عن جمع ؟ وما معنى ﴿ مسحوراً ﴾ وما جرت عادة مشركي العرب بوصف رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك ، بل عادتهم جارية بقرآنه بأنه ساحر ؟

الجواب ، قلنا : أما قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى ﴾ فإن « نجوى » مصدر يوصف به الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث ، وهو مقرر على لفظه . ويجرى ذلك مجرى [١٩٥] / قولهم : الرجال صوم ، والمنازل تحمد ، يعني بصوم صائمون ، وبحمد محمودون .
وقد قال قوم : إن معناه : وإذ هم أصحاب نجوى ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ،
١٠ ويقال : القوم نجى والقوم أنجى ، فن وحد بنى على مذهب المصدر ، ومن جمع جعله منقولاً عن المصادر ، ملحقاً برغيف وأرغفة ، وما أشبه ذلك .
وقد قال الشاعر (١) :

أَتَانِي نَجِيِّي بَعْدَ هَدَاءِ وَرَقْدَةٍ وَلَمْ أَكُ فِيمَا قَدَّ بَلَوْتُ بِكَاذِبٍ (٢)

(١) ف : « وقال الشاعر في التوحيد » ؛ وهو سواد بن قارب السدوسي ؛ صحابي ذكره ابن حجر في الإصابة ٣ : ١٤٨-١٤٩ . (٢) من أبيات أنشدها عند الرسول عليه السلام ، ذكرت مع خبر له في مقدمة جبهة الأشعار ٢٤-٢٦ . والرواية هناك :

وأنشد الفراء في الجمع:

ظَلَّتْ نِسَاؤُهُمْ وَالْقَوْمُ أَنْجِيَّةٌ يُعَدَى إِلَيْهَا كَمَا يُعَدَى عَلَى الْغَنَمِ (١)

فأما قوله تعالى: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ ففيه وجوه:

أولها أن يكون المراد: إن تتبعون إلا رجلاً متغير العقل؛ لأن الشركين كان من مذهبهم عيب النبي صلى الله عليه وآله، وتضعيف أمره وتوهين رأيه، وكانوا في وقت ينسبونه إلى أنه ساحر، وفي آخر يرمونه بالجنون، وأنه مسحور مُغَيِّرُ الْعَقْلِ (٢)، وربما قذفوه بأنه شاعر حوشي من ذلك كله. وقد جرت عادة الناس أن يصفوا من يُضيفونه إلى البله والغفلة وقلة التحصيل بأنه مسحور.

وثانيها أن يريدوا بالمسحور المخدوع المملَل؛ لأن ذلك أحد ما يستعمل فيه هذه اللفظة،

١٠

قال امرؤ القيس:

أَرَانَا مُوضِعِينَ لِحِمْ غَيْبٍ وَنُسَجْرُ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ (٣)

وقال أمية بن أبي الصلت:

فَإِنْ تَسْأَلِينَا فِيمَ نَحْنُ فَإِنَّا عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمُسَجَّرِ (٤)

(١) البيت في اللسان (نجما)، ونسبه لسحيم، ولم يذكر في ديوانه. وفي ف، وحاشية الأصل

(من نسخة): «يعدى عليها». (٢) د، ف، حاشية الأصل من نسخة: «متغير العقل».

(٣) ديوانه: ١٣٢. موضعين: مسرعين، والإبضاع: نوع من السير. والحم: الإيجاب؛ وبعده:

عصافيرٌ وذبانٌ ودودٌ وأجرأ من مجلحة الذئاب

فبعض اللوم عاذلتني فإني ستكفيني التجارب وانتسابي

إلى عرق الثرى وشجت عروقي وهذا الموت يسلبني شبابي

(٤) البيت في اللسان (سحر)، ونسبه إلى لبيد؛ وهو أيضا في ديوانه: ١: ٨١

وثالثها أن السِّحْرَ في لغة العرب الرِّثَّة وما تعلق بها ، فيها ثلاث لغات: سِحْرٌ وسِحْرٌ وسُحْرٌ ، وقيل السِّحْرُ مالصق بالحقنوم والمرى من أعلى الجوف؛ وقيل إنه الكبد؛ فكأنَّ المعنى على هذا : إن تَبْعُونَ إلا رجلا ذا سِحْرٍ ؛ خلقه الله بَشَرًا كَخَلَقِكُمْ .

ورابعها أن يكون معنى مسحور أى ساحر ، وقد جاء لفظ مفعول بمعنى فاعل؛ قال الله [١٩٥] تعالى : ﴿ وَإِذَا قرَأَتِ القرْآنَ / جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾ ؛ [الإسراء : ٤٥] ، أى ساترا ، والعرب تقول للمعسر : مُنْفَج ، ومعناه مُنْفِج ؛ لأن ماضيه أَلْفَجَ^(١) ، فجاءوا بلفظ المفعول وهو الفاعل ؛ ومن ذلك قولهم : فلان مشثوم على فلان وميمون ؛ وهم يريدون شأم له ويامن ؛ لأنه من شأمهم^(٢) ويمَنهم .

ورأيت بعض العلماء يطعن على هذا الاستشهاد الأخير فيقول : العربُ لا تعرف «فلان مشثوم على فلان» ؛ وإنما هذا من كلام أهل الأمصار ؛ وإنما تسمى العرب من لحقه الشؤمُ مشثوماً ؛ قال عاقمة بن عبدة :

ومن تعرَّض للغربان يزجرها
على سلامته لا بدَّ مشثوم^(٣)
والوجه الثلاثة الأول أوضح وأشبهه .

ومما يختار لروان بن أبي حفصة قوله من قصيدة يمدح بها معن بن زائدة الشيباني ، أولها :

أرى القلب أمسى بالأوانيس مولعاً وإن كان من عهد الصبا قد تمتعاً^(٤) ١٥

يقول فيها :

ولمَّا سرى الهمُّ الغريبُ قرَّيتهُ قرى من أزال الشكَّ عنه وأزَمعاً

(١) حاشية الأصل : « يقال : أَلْفَجَ ؛ فهو ملنج ، وأسهب إذا ذهب عقله فهو مسهب ، وأحصن فهو محصن » . (٢) شأمهم : أصابهم بشؤم . (٣) ديوانه : ١٣١ ، الفضليات : ١٢٠ (طبعة المعارف) . (٤) الأوانيس : جمع آنسة ؛ وهى الفتاة الطيبة الحديث والنفس .

عَزَمْتُ فَعَجَّتُ الرَّحِيلَ وَلَمْ أَكُنْ
فَأَمَّتْ رِكَابِي أَرْضَ مَعْنٍ وَلَمْ تَزَلْ
نَجَائِبُ لَوْلَا أَنَّهَا سَخَّرَتْ لَنَا
كَسُونًا رِحَالِ الْمَيْسِ مِنْهَا غَوَارِبًا
فَمَا بَلَّغْتُ صَنَمَاءَ حَتَّى تَوَاضَعْتُ
وَمَا الْغَيْثُ إِذْ عَمَّ الْبِلَادَ بِصَوْبِهِ
يقول فيها:

تَدَارَكَ مَعْنٌ قَبَّةَ الدِّينِ بَعْدَمَا
أَقَامَ عَلَى الثَّغْرِ الْمَخُوفِ ، وَهَاشِمٌ
مُقَامَ امْرِئٍ يُأْتِي سِوَى الْخَطَّةِ الَّتِي
وَمَا أَحْجَمَ الْأَعْدَاءُ عَنْكَ بَقِيَّةً
رَأَوْا مُخْدِرًا قَدْ جَرَّبُوهُ وَعَايَنُوا
/ وَلَيْسَ بِثَانِيهِ إِذَا شَدَّ أَنْ يَرَى
لَهُ رَاحَتَانِ : الْحَتْفُ وَالْغَيْثُ فِيهِمَا
لَقَدْ دَوَّخَ الْأَعْدَاءُ مَعْنٌ فَاصْبِحُوا
تَجِيبُ مَنْاجِيْبٍ وَسَيِّدُ سَادَةٍ
لَبَّانَتْ خِصَالُ الْخَيْرِ فِيهِ وَأَكْمَلَتْ
كَدِي لُوثَةٌ لَا يُطْلَعُ الِهْمَ مَطْلَمًا
إِلَى أَرْضِ مَعْنٍ حَيْثُمَا كَانَ نَزْعًا^(١)
أَبَتْ عِزَّةً مِنْ جَهْلِهَا أَنْ تُوزَعًا
تَدَارَكَ فِيهَا النَّثِيُّ صَيْفًا وَمَرَبَعًا^(٢)
ذُرَاهَا وَزَالَ الْجَهْلُ عَنْهَا وَأَقْلَمًا^(٣)
عَلَى النَّاسِ مِنْ مَعْرُوفٍ مَعْنٍ بِأَوْسَمًا
خَشِينَا عَلَى أَوْتَادِهَا أَنْ تُنَزَعًا
تَسَاقَى سَمَامًا بِالْأَسِنَّةِ مُنْقَمًا
تَكُونُ لَدَى غَيْبِ الْأَحَادِيثِ أَرْفَعًا
عَلَيْكَ ؛ وَلَكِنْ لَمْ يَرَوْا فِيكَ مَطْمَعًا
لَدَى غِيْلِهِ مِنْهُمْ مَجْرًا وَمَصْرَعًا^(٤)
لَدَى نَحْرِهِ زُرْقَ الْأَسِنَّةِ شُرْعًا
أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ تَضُرَّأَ وَتَنْفَعَا
وَأَمْنَعُهُمْ لَا يَدْفَعُ الدَّلَّ مَدْفَعًا
ذُرَا الْمَجِيدِ مِنْ فَرَعِي نِزَارٍ تَفَرَّعًا
وَمَا كَمَلْتُ خَمْسَ سِنُوهُ وَأَرْبَعًا^(٥)

[١٩٦]

و

١٥

(١) نزعا ، أى مشتافين . (٢) الميس : خشبة الرحل ، والغوارب : أعلى السنام . والنثي : الشحم .

(٣) ذراها : جمع ذروة ؛ وهى الأعلى ؛ ويعنى هنا الأسنمة .

(٤) الخدر : الأسد فى خدره وهو غيله ؛ ويعنى بالخدر الأجمة . (٥) فى حاشيتى الأصل ، ف :

ومثله لآخر :

لَنْ فَرِحْتُ بِي مَعْقِلٌ عِنْدَ شَيْبَتِي لَقَدْ فَرِحْتُ بِي بَيْنَ أَيْدِي الْقَوَابِلِ

لقد أصبحت في كلِّ شرقٍ ومغربٍ
وطِئتَ خُدُودَ الحَضْرَمِيِّينَ وطَاةً
بِسَيْفِكَ أَعْنَاقَ الرُّبَيْينَ خُضْمًا
فَأَقْعَمُوا عَلَى الْأَذْنَابِ إِقْعَاءَ مَعْشِرٍ
لَهَا هُدًى رُكْنَا عِزَّهُمْ (١) فَتَضَعُضَمَا
بِرَوْنٍ لَزُومِ السَّلْمِ أَبْقَى وَأَوْدَعَا
فَلَوْ مُدَّتِ الْأَيْدِي إِلَى الْحَرْبِ كُلِّهَا
لَكَنُفُوا وَمَا مَدُّوا إِلَى الْحَرْبِ إِصْبَعَا

٥ أَمَاقوله:

فَمَا بَلَغَتْ صَنَمَاءُ حَتَّى تَوَاضَعَتْ
فَقَدْ رَدَّدَهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فَقَالَ :

فَمَا بَلَغَتْ حَتَّى سَحَّاهَا كَلَالُهَا
وَهِذَا الْمَعْنَى (٢) كَثِيرٌ فِي الشَّعْرِ الْقَدِيمِ وَالْمَحْدَثِ (٢)، فَهِنَّ قَوْلُ جَرِيرٍ :

١٠ إِذَا بَلَغُوا الْمَنَازِلَ لَمْ تُقَيِّدْ وَفِي طَوْلِ الْكَلَالِ لَهَا قِيُودٌ (٣)

وَرَوَى أَنَّهُ قِيلَ لِنُصَيْبٍ : لَكَ بَيْتٌ نَازَعَكَ فِيهِ جَرِيرٌ ؛ أَيُّكُمَا فِيهِ أَشْعَرُ ؟ فَقَالَ : مَا هُوَ ؟
فَقِيلَ قَوْلُكَ :

أَضْرَّ بِهَا التَّهْجِيرُ حَتَّى كَانَتْهَا
بَقَايَا سُلَالٍ لَمْ يَدْعُهَا سُلَالُهَا (٤)
وَأَنشَدَ بَيْتَ جَرِيرِ الَّذِي تَقَدَّمَ ، فَقَالَ : قَاتِلَ اللَّهِ ابْنَ الْخَطَفِيِّ ! فَقِيلَ لَهُ : قَدْ فَضَلْتَهُ
١٥ عَلَيْكَ ، فَقَالَ : هُوَ ذَاكَ .

وَأَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى الْمُؤْمَلُ بْنُ أُمَيْلٍ الْحَارَبِيُّ فَقَالَ :
كَانَتْ تُقَيِّدُ حِينَ تَنْزِلُ مِنْزِلًا
فَالْيَوْمَ صَارَ لَهَا الْكَلَالُ قِيُودًا

وَلَأَبِي نَحِيلَةَ :

[١٩٦] / قَيَّدَهَا الْجَهْدُ وَلَمْ تُقَيِّدِ / فَهِيَ سَوَامٍ كَالْقِنَاءِ الْمُسْنَدِ
ظ

(١) حاشية ف (من نسخة) : « عزمهم » . (٢-٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف :
« كثير في شعر القدماء والمحدثين » . (٣) ديوانه : ١٤٨ . (٤) السلال : السل .

ومآلها مُعَلَّلٌ^(١) من مِرْوَدٍ^(٢) ومنها^(٣) ولا من شاحِطٍ مُسْتَبَعِدٍ

ومعنى قوله: «سَوَامٍ» أى هى رافعة رءوسها، وشبهها بالقنا، لأن القنا إذا ركز

مال قليلا مع الريح^(٤)، فيقول: فى أعناقها ميل من الضعف، كما قال الشاعر:

فَأَضْحَتْ تَفَالَى بِالسُّتَارِ كَأَنَّهَا رِمَاحٌ نَحَاهَا وَجِهَةَ الرِّيحِ رَاكِزٌ^(٥)

وكما قال حميد بن ثور الهلالي:

بِمَثْوَى حَرَامٍ وَالْمَطَى كَأَنَّهُ قِنَّا مُسْنَدٌ هَبَّتْ لَهْنًا خَرِيْقٌ^(٥)

(١) ش «معلل»، بكسر اللام المشددة. وهو على هذا كناية عن الملف الذى تجتره من جوفها.

(٢) فى حاشيتى الأصل، ف: «منها، متعلق بالمرود؛ أى من مزود منها، أى من نفسها، يعنى

كرشها». (٣) من نسخة بحاشيتى الأصل، ف: «من الريح».

(٤) فى حاشيتى الأصل، ف: «وهذا البيت آخر زائتته؛ وقبله:

فَأَصْبَحَ فَوْقَ الْحِقْفِ حِقْفٌ تَبَالَغَ لَهُ مَرَكْدٌ فِى مَسْتَوَى الْجِبَلِ بَارِزٌ

فَأَضْحَتْ تَفَالَى بِالسُّتَارِ كَأَنَّهَا . . .

يصف حميرا وصائدا، والحقف: ما اعوج من الرمل، والمركد: المقام والجبل: المعتد من الرمل.

وقوله: «تفالى» أى تدخل رءوسها بعضها فى بعض. والستار: موضع؛ وشبهها فى دقتها وطولها

بالرمح ونحاهما: جعلها فى ناحية الريح؛ وشبهها منحرفة إلى ناحية الريح تستنشى؛ فإن حملت الريح ربح الصائدا إليها

تركت ذلك المورد وأنت غيره؛ ولا تقدمت بالرمح والفصيدة فى ديوانه: ٤٣-٥٣؛ ورواية البيهقي فيه:

وَأَصْبَحَ فَوْقَ اللَّشْرِ نَشْرٌ حَمَامَةٌ لَهُ مَرَكْضٌ فِى مَسْتَوَى الْأَرْضِ بَارِزٌ

وَوَلَّتْ تَفَالَى بِالْيَفَاعِ كَأَنَّهَا رِمَاحٌ نَحَاهَا وَجِهَةَ الرِّيحِ رَاكِزٌ

(٥) ديوانه: ٣٤، من قصيدة طويلة؛ أولها:

نَأَتْ أُمَّ عَمْرٍو فَالْفَوَادُ مَشُوقٌ يَحِينُ إِلَيْهَا وَالْمَاءُ وَيَتُوقُ

وهو أيضا فى السكامل- بشرح المرصفي ٦: ١٩٣، واللسان (خرق)، وفى حاشيتى الأصل، ف:

نسخة س: «مثنوى حرام: مثنى»، وقبل هذا البيت:

فَأَعْرَضْتُ عَنْهَا فِى الزِّيَارَةِ أَتَقَى وَذُو اللَّبِّ بِالنَّقْوَى هُنَاكَ حَقِيقٌ

وهذا البيت لم يرد فى ديوانه؛ والذى ورد قبل البيت المذكور:

أَلَا طَرَقَتْ صَحْبِي عَمِيرَةٌ إِنَّهَا لَنَا بِالْمَرُورَةِ الْمُطِيلِ طَرُوقٌ

والمروراة هنا: الأرض أو المغازاة لاشئ فيها.

فالحريق ریحٌ شديدة تنحرق من كل جهة .

ومعنى قول أبي نخيلة : « من مزود » أى من ثملة^(١) تجترها، من الاجترار، وأراد أنه لاشيء في أجوافها تتمل^(٢) به . والمستبعد : ما بُعد من المرعى .

وأنشد أبو العباس ثعلب :

إذا بلغوا المنازل لم تقيدهم
فهنّ ممّيداتٌ مُطلقاتٌ
ركائبهم ولم تُشدّد بعقل
نقضم ما تشدّر في المحل^(٣)

والأصل في هذا قول امرئ القيس :

مطوتٌ بهم حتى تكيل مطيئهم
وحتى الجياد ما يقدن بأرسان^(٤)

ولعباد بن أنف الكلب الصيداوى :

فتمسى لا أقيدّها بجبل
بها طول الضراوة والكلال

ومن جيد هذا المعنى قول الفرزدق يصف الإبل :

بدأنا بها من سيف رمل كهيئة
وفيها نشاط من مراحٍ وعجرف^(٥)

(١) الثملة : بقية العلف .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « فتتمل به » . (٣) تشدّر : تفرق ؛ وفي د ، ف :

« تشذب » ، وهى بمعنى تفرق أيضا . (٤) ديوانه : ١٢٩ . مطوت بهم ؛ أى مددت بهم في السير ، ما يقدن بأرسان ؛ أى أعيت فلا تحتاج إلى أرسان . وفي حاشيتى الأصل ، ف : « قبله :

وَجُرِّ كغَلانِ الأنيعةِ بالغِ ديارَ المدوّ ذى زهاءِ وأركانِ

المجر: الجيش الكبير الثقيل . والغلان : الأودية ؛ واحدها غال ، وهو الوادى الكثير الشجر . وذوذهاء ؛ أى لا يحصون لكثرتهم . (٥) ديوانه ٢ : ٥٥١-٥٥٨ ؛ من نقائض المشهورة ، وأولها :

عزفت بأعشاشٍ وما كدت تعزفُ
وأنكرت من حدراء ما كنت تعرفُ

وأصل السيف شاطىء البحر ، وكهيئة : موضع . والعجرف : سير فيه نشاط . وفي حاشيتى الأصل ، ف :

فَمَا بَلَغَتْ حَتَّى تَقَارَبَ خَطْوُهَا وَبَادَتْ ذُرَاهَا وَالْمَنَامِيمُ رُعْفٌ (١)
 وَحَتَّى قَتَلْنَا الْجَهْلَ عَنْهَا وَغُودِرَتْ إِذَا مَا أُنِخْتُ وَالْمَدَامِعُ ذُرْفٌ (٢)
 / وَحَتَّى مَشَى الْحَادِي الْبَطِيءُ يُسْوِقُهَا لَهَا بِخَصِّ دَامٍ وَدَائِيٌّ مُجْلَفٌ [١٩٧]
 - البِخَصُّ: لحم الخِيفِ الذي تَطَأُ عليه . والدَّائِيٌّ: فقار الظهر . والمُجْلَفُ: المُشْوَرُ -
 وَحَتَّى بَمَثْنَاهَا وَمَا فِي يَدِ لَهَا إِذَا حُلَّ عَنْهَا رُمَّةٌ وَهِيَ رُسْفٌ
 - الرُّمَّةُ: الجبل ؛ وأراد أنها ترسُفُ كما يرسُفُ المقيد ، وإن لم يكن في يدها قيد -
 إِذَا مَا نَزَلْنَا قَاتَلَتْ عَنْ ظُهورِهَا حَرَاجِيحُ أُمَّمَالُ الْأَهْلَةِ شُسْفٌ
 - الحَرَاجِيحُ: الطَّوَالُ مِنَ الْإِبِلِ ، وَالشُّسْفُ: اليَابِسَةُ مِنَ الْجُهْدِ وَالْكَلالِ . وَمَعْنَى
 قَتَلَهَا لِلْغَرَبَانِ أَنَهَا إِذَا عَرَّيْتَ ظُهورَهَا تَقَعُ الْغَرَبَانُ عَلَيْهَا لِتَأْكُلَ دَبْرَهَا ؛ فَالْإِبِلُ تُدَافِعُ
 الْغَرَبَانَ بِأَفْوَاهِهَا عَنْ ظُهورِهَا وَذَلِكَ قَتَالُهَا -

= إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَمَتْ بِنَا هُمُومُ الْمَيِّ وَالْهُوجَلُ الْمُتَعَسِّفُ
 وَعَضُّ زَمَانٍ يَابِنِ مَرَوَانَ لَمْ يَدَعْ مِنَ الْمَالِ إِلَّا مُسْجِحَتَا أَوْ مَجْرَفُ
 وَمَائِرَةَ الْأَعْضَادِ صُهْبٍ كَأَنَّمَا عَلَيْهَا مِنَ الْإَيْنِ الْجِسَادُ الْمُدَوَّفُ
 ... بَدَأْنَا بِهَا مِنْ سَيْفِ رَمْلِ كَهَيْلَةٍ

- الهوجل: البطن الواسع في الأرس . المتعسف: الطريق المسلوك من غير علم . ويروي: « إلامسحت » ،
 بالرفع ؛ ومعنى: لم يدع ، من الدعى ؛ أي « لم يدع » مع هذا الزمان لإلامسحت مستأصل . قال سويده:

أَرَقَّ الْمَيْنَ خَيْالٌ لَمْ يَدَعْ مِنْ سُلَيْمِي فَفُؤَادِي مُنْتَزِعٌ

والمجرف: الذي أخذ ما دون الجميع ؛ وقال ثعلب: « مسجتا » نصب بوقوع الفعل عليه ، وقد وليه
 الفعل ، ولم يل الفعل « مجرف » فاستؤنف به فرفع ، قال: التقدير: « هو مجرف » . ومائرة الأعضاء:
 التي تمور بيديها دون رجليها ، وذلك مما يستجب في الإبل . والجساد: العرق ؛ وهو ما اصفر ، يضرب إلى
 الحمرة .

(١) باءت: هلكت أسنمتها والناسم: أظفار الإبل . ورعف: دامية من الحفاه .

(٢) نسخة الشجري: « قتلنا جهلها ؛ وهو مرحها ونشاطها بالكلال » . ويروي: « وغورت ،

من التغوير ، وهو نزول الغائرة ؛ والغائرة نصف النهار » .

إذا ما أَرَيْنَاهَا الأَزِمَّةَ أَقْبَلَتْ إِلَيْنَا بِحِرَاتِ الخُدُودِ تَصَدَّفُ
فَأَفْنَى مِرَاحِ الدَّاعِرِيَّةِ^(١) خَوْضُهَا بِنَا اللَّيْلِ إِذْ نَامَ الدَّثُورُ المُلَفَّفُ^(٢)

ومن أحسن ما قيل في وصف الإبل بالنحول من الكلال والجهد بعد السمن قول الشاعر:

وَذَاتِ مَاءٍ يُنِ قَدْ غَيَّضَتْ مُجَمَّتَهَا بِحَيْثُ تُسْتَمْسِكُ الأَرْوَاحُ بِالحَجَرِ
رَدَّتْ عَوَارِي غِيْطَانِ الفَلَا وَنَجَّتْ بِمَثَلِ إِيْبَالَةٍ مِنْ حَائِلِ العُشْرِ^(٣)

قوله: «ذات مائين» يعنى سيمناً على سمن؛ وقيل: بل عنى أنها رعت كلاً عامين.
وقوله «قد غيَّضتُ مُجَمَّتَهَا» يعنى أنه أتعبها بالسير حتى ردها هزيبلاً بعد سمن؛ فكأنه

غيض بذلك ماءها.

١٠ ومعنى:

* بحيث تستمسك الأرواح بالحجر *

يعنى الفلاة؛ حيث لا يكون فيها الماء، فيقتسم الركب الماء الذى يكون معهم بالحجر الذى يقال له المقلّة^(٣) فتمسك أرقامهم.

وقوله:

* ردت عوارى غيطانِ الفلا ونجت * ١٥

أى مارعت من كلاً هذه الأماكن وسمنت عنه كان كمارية عندها، فردته حيث جهدها السير وأهزلها^(٤). والإيبالة: الحزومة من الحطب اليابس.

(١) الداعرية: لابل منسوبة إلى فحل يقال له: داعر، معروفة بالنجاة والكرم. وخوضها: سيرها بالليل. والدثور: الرجل الثقيل البدن، الذى لا يبرح مكانه. الملفف، أى فى ثيابه.
(٢) العشر: شجر له صمغ، وفى حاشيتى الأصل، ف: «بى بجائل العشر ما يبس من هذا الشجر، وأصل الحائل فى الإبل إذا لم تحمل».

(٣) المقلّة، بالفتح: حصاة القسم؛ توضع فى الإناء ليعرف قدر ما يسقى كل واحد منهم؛ وذلك عند

قلّة الماء فى المفاوز. (٤) من نسخة بحاشيتى الأصل، ف: «هزلها».

وأخذ هذا المعنى بعينه أبو تمام فقال :

رَعَتْهُ الْفَيَافِي بَعْدَ مَا كَانَ حِقْبَةً رَعَاهَا، وَمَاءُ الْمُزْنِ يَنْهَلُ سَاكِبَهُ (١)

فَكَمْ جَزَعٌ وَإِدْجَبٌ ذِرْوَةٌ غَارِبٌ وَمِنْ قَبْلِ كَانَتْ أَمَكَّتَهُ مَذَانِبُهُ (٢)

فَأَمَّا قَوْلُهُ/ :

[١٩٧
ط

فَمَا أَحْجَمَ الْأَعْدَاءَ عَنْكَ بِقِيَّةً عَلَيْكَ، وَلَكِنْ لَمْ يَرَوْا فِيكَ مَطْمَعًا

فَمَاخُودٍ مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ (٣) :

فَمَا بُقِيََا عَلَى تَرَكَتُمَانِي وَلَكِنْ خِفْتُمَا صَرَدَ النَّبَالِ (٤)

وَقَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُ الْآخِرِ :

لَعَمْرُكَ مَا النَّاسُ أَتَنُّوْا عَلَيْكَ وَلَا قَرَّظُوكَ وَلَا عَظَّمُوا

لَوْ أَنَّهُمْ وَجَدُوا مَطْمَعَنَا إِلَى أَنْ يَمِيبُوكَ مَا أَحْجَمُوا

فَأَنْتَ بِفَضْلِكَ الْجَائِئِهِمْ إِلَى أَنْ يُجِلُّوْا وَأَنْ يُعْظَمُوا

١٠

(١) ديوانه : ٤٤ ؛ من قصيدته التي يمدح فيها عبد الله بن طاهر ؛ وأولها :

أَهْنَى عَوَادِي يَوْسُفٍ وَصَوَاحِبُهُ فَمَرْمًا فَقَدَمَا أَدْرَكَ السُّؤْلَ طَالِبُهُ

وفي الديوان : « وماء الروض ينهل ساكبه » . وبعده :

فَأَضْحَى الْفَلَاقُ قَدْ جَدَّ فِي بَرِي نَحْضُهُ وَكَانَ زَمَانًا قَبْلَ ذَلِكَ يَلَاعِبُهُ

النحوض : اللحم المكتنز .

(٢) جب : قطع . أمكته : أسمنته المذائب : مجارى الماء . ورواية الديوان :

* وَبِالْأَمْسِ كَانَتْ أَمَكَّتَهُ مَذَانِبُهُ *

(٣) هو اللعين المقرى ؛ وكان قد تعرض لجرير والفرزدق فقال :

سَأَقْضِي بَيْنَ كَلْبِ بَنِي كَلَيْبٍ وَبَيْنَ الْقَيْنِ قَيْنِ بَنِي عَقَالٍ

بَانَ الْكَلْبَ مَرْتَمَهُ وَخَيْمٌ وَأَنْ الْقَيْنَ يَمْعَلُ فِي سَفَالٍ

فلم يجبه أحد منهما ؛ فقال :

فَمَا بَقِيََا عَلَى تَرَكَتُمَانِي ، وَلَكِنْ خِفْتُمَا صَرَدَ النَّبَالِ

(٤) البقيا : الرحمة والشفقة . وصرد السمهم : نفذ أو نسل ؛ وهو من الأضداد ؛ والمعنى على الأول :

أنكما خفتما أن تنفذ سهمي فيكما، أي هجائي، وعلى الثاني : أنكما خفتما ألا تنفذ سهامكما، فعجزت عما عن الرد على .

ومثله وقريب منه :

أما لو رأى فيك المدؤ نقيصةً نلَبَّ بِتَضَرِّيفِ الْعُيُوبِ وَأَوْضَعَا
ولكنه لما رآك مبرأً من العيبِ غطَّى رأسه وتقبَّعَا

ومثله :

قد طلب العاذلُ عيباً فما أصابَ عيباً فانثنى عاذراً

وللبحتري في معنى قول مروان :

* فما أحجم الأعداءُ عنك بقيةً *^(١)

من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ويصف لقاءه الأسد :

غداة لقيت الليثَ والليثُ خادِرٌ يُحدِّدُ ناباً للقَاءِ ومُخْلِياً^(١)
شهدتُ ، لقد أنصفتُهُ يومَ تنبري له مُصْلِتَا عَضْبًا من البيضِ مَقْضِبَا^(٢)
فلم أرَ ضِرْغامينِ أصدقَ منكُما عِرا كما إذا الهَيَاةُ النَّكْسُ كَذْبَا^(٣)
هزبرٌ مشى يبغى هزبراً ، وأغلبٌ من القومِ يغشى بأسِلَ الوجهِ أغلبَا^(٤)
أدلَّ بشغبٍ ثمَّ هالتهُ صولةٌ رآكَ لها أمضى جناناً وأشغبَا
فأحجمَ لما لم يجدُ فيكَ مَطْمَعَا وأقدَمَ لما لم يجدُ عنكَ مَهْرَبَا
فلم يَغْنِه أن كَرَّ نَحْوَكِ مُقْبِلَاً ، ولم يُنْجِه أن حادَ عنكَ مُكْبِلَاً
حملتُ عليه السيفَ لا عزمك أنثنى ، ولا يدُكَ ارتدَّتْ ، ولا حدُّه نَبَاً
/ وكنتَ متى تجمَعُ يمينيك^(٥) مَهْتِكَا أو لا تُبْقِ للسيفِ مَضْرِبَا

١٠

١٥

[١٩٨]

ومن صافي كلام مروان ورائقه ، ومما اجتمع له فيه جودة المعنى واللفظ واطراد النسج

قوله :

(١) ديوانه ١ : ٥٦ . (٢) يقال : أصلت السيف إذا جردته . والعصب : السيف القاطم .

والفضيب : القطع أيضا . (٣) أي كذب الظن فيه ؛ ومن نسخة بحاشية الأصل : « نكبا » .

(٤) الأغاب : الأسد إذا كان غليظ الرقبة . (٥) جملة كلتايديه يميناً .

بنو مطرٍ يومَ اللقاءِ كأنهم
أُسودُّ لها في غيلِ خفانِ أُسْبُلٍ^(١)
هُمُ يَمْنَعُونَ الجارَ حتى كأنما
لِجارِهِمُ بينَ السَّمَا كَيْنِ مَنزِلُ
لها ميمٌ في الإسلامِ سادوا ولم يكن
كأولِّهِمُ في الجاهليَّةِ أوَّلُ
هُمُ القومُ إن قالوا أصابوا، وإن دُعوا
أجابوا، وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
وما يَسْتَطِيعُ الفاعِلونَ فَعالَهُمُ
وإن أحسنوا في النَّائِبَاتِ وأجمَلوا
ثَلَاثُ بِأَمْثالِ الجِبَالِ حُبَاهُمُ
وأحلامُهُمُ مِنها لَدَى الوِزَنِ أَثَقَلُ

ومن جيد قوله من قصيدة يمدح بها معنًا :

ما من عدوٍّ يرى معنًا بساحتِهِ
إلاَّ يَظُنُّ المَنايَا تَسْبِقُ القَدَرَا
يُلفى إذا الخيلُ لم تُقدِّمِ فوارِسُها
كلايِثُ يزدادُ إقداما إذا زُجِرا
أغرَّ يُحسَبُ يومَ الرِّوعِ ذا لَبِدٍ
ورداً ويحسبُ فوقَ المَنبَرِ القَمَرا^(٢)

وله من قصيدة يصف يوماً حارًّا :

ويومِ عَسولِ الآلِ حامٍ كأنما
لظى شمسِهِ مَشْبُوبُ نارٍ تَلَهَّبُ^(٣)
نَصَبْنَا لَهُ مَنَّا الوُجُوهَ وَكَثَّها
عَصائِبُ أسْهالٍ بها تَتعَصَّبُ

ويشبه أن يكون أخذ ذلك من قول الشنفرى :

ويومٍ من الشُّعْرَى يَدُوبُ لَعابُهُ
أفَاعِيهِ في رَمَضاءِهِ تَتَمَلَّلُ^(٤)
نَصَبْتُ لَهُ وَجْهِي وَلَكِنَّ دُونَهُ
— ولا سِترَ — إلاَّ الأَنحَمَى المَرعِبَلُ^(٥)

(١) حماسة ابن الشجرى : ١٠٩ - ١١٠ ، وأبيات منها في باب الآداب ٢٦٥ ، ٢٦٦

(٢) لبد : جمع لبدة ؛ وهو ما اجتمع من الشعر على قفا الأسد فتلبد .

(٣) عسول : جار ؛ وأصله في الذئب والتملب . وحام : حار . (٤) لامية العرب - بشرح الرخمى :

١٢٨ - ١٢٩ . الشعرى : من الكواكب الفيزية . (٥) الأنحمة : نوع من البرود . والمرعبل :

ولروان من أبيات يصف فيها حديقة وهبها له المهدي ، ويذكر نخلها وشجرها
أجاد فيها :

نواضِرَ غُلْبًا قَد تَدَانَتْ رِءُوسُهَا من النَّبْتِ حَتَّى مَا يَطِيرُ غُرَابُهَا^(١)
تَرَى البَاسِقَاتِ العُمَّ فِيهَا كَأَنَّهَا ظَمَائِنُ مَضْرُوبٍ عَلَيْهَا قِبَابُهَا
/ تَرَى بِأَبْهَاسِهِ لِكُلِّ مُدْفَعٍ إِذَا أَيْتَمَّتْ نَخْلٌ فَأَغْلِقَ بِأَبْهَاسِهَا^(٢)
يَكُونُ لَنَا مَا نَجْتَنِي مِنْ ثَمَارِهَا رَبِيعًا إِذَا الآفَاقُ قَلَّ سَحَابُهَا
حَظَائِرُ لَمْ يُخَلِّطْ بِأَمَانِيهَا الرَّبَّ وَلَمْ يَكُ مِنْ أَخْذِ الدِّيَاتِ اكْتِسَابُهَا
وَلَكِنْ عَطَاءُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ مِدْحَةٍ جَزِيلٍ مِنَ المُسْتَخْلِفِينَ ثَوَابُهَا
وَمَنْ رَكُضِنَا بِالْحَلِيلِ فِي كُلِّ غَارَةٍ حَلَالٌ بِأَرْضِ المُشْرِكِينَ نَهَابُهَا^(٣)
حَوَتْ غُنْمَهَا آبَاؤُنَا وَجُدُودُنَا بِصُمِّ العَوَالِيِ وَالدِّمَاءِ خِضَابُهَا

[١٩٨] ط

أما قوله :

حَظَائِرُ لَمْ يُخَلِّطْ بِأَمَانِيهَا الرَّبَّ وَلَمْ يَكُ مِنْ أَخْذِ الدِّيَاتِ اكْتِسَابُهَا
فَكَانَ ابْنُ المَعْتَزِ نَظَرَ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ :
لَنَا إِبِلٌ مَا وَفَّرَتْهَا دِمَاؤُنَا وَلَا ذَعَرَتْهَا فِي الصَّبَاحِ الصَّوَابِحُ^(٤)
وفي ضد هذا قول أبي تمام :

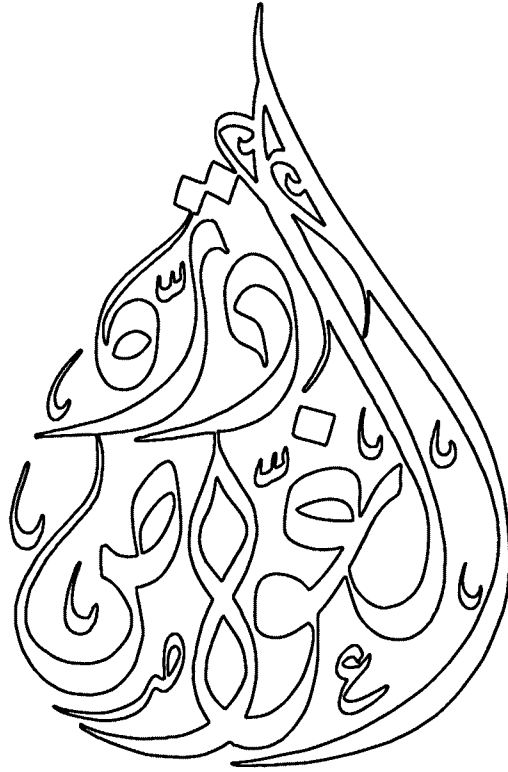
(١) ف : « نواضر عليا » .
فإن نخل هذه الروضة لا يفتح بابها .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « للنخل » . (٤) ديوانه : ٢٢ ؛ والرواية فيه :

* لَنَا وَفَرَّةٌ مَا وَفَّرَتْهَا دِمَاؤُنَا *

وفي نسخة ش : « الصوائح » ؛ والمعنى أنه لم تأخذ عوضاً عن دماننا .

كَثُرَتْ فِيهِمُ الْمَسَارِحُ إِلَّا أَنَّهَا مِنْ مَنَاحِيحٍ وَدِيَاتٍ^(١)
ومثل الأول قول حسان يهجو قوماً من قريش :
وما لكمُ لامن طرادِ فوارِسٍ ولكن من التَّرِّ قَيْحٍ يَا آلَ مَالِكِ^(٢)



(١) ف ، حاشية الأصل من نسخة : « المواشى » ؛ وفي حاشيتهما أيضا : إذا سكنت الياء من « المواشى » ؛ كان البيت مشعث العروض ؛ والتشعيت في العروض غير مألوف وإنما هو في الضرب الأول من الخفيف . والتشعيت : أن تقطع وتد فاعلاتن فتحذف ألفه وتسكن لامة فتصير : « فاعاتن » ، فتصير : « مفوان » . (٢) الترقيح : إصلاح المال .

مَجْلِسُ خَر

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن معنى قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [الفصص : ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لِرِجْهِ اللَّهِ﴾؛ [الإنسان : ٩] .

وقوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾؛ [الرحمن : ٢٧] .

وما شا كل ذلك من آى القرآن المتضمنة لذكر الوجه .

الجواب ، قلنا : الوجه فى اللغة العربية ينقسم إلى أقسام :

فالوجه المعروف المركب فيه العيان من كل حيوان .

والوجه أيضا أولُ الشىء وصدره ؛ ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَقَالَتْ طَافَّةٌ مِنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ﴾ [آل عمران : ٧٢]

أى أول النهار ؛ ومنه قول الربيع بن زياد :

[١٩٩] / مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فَلَيَاتِ نِسْوَتَنَا بِوَجْهِ نَهَارٍ^(١)

أى غداة كل يوم . وقال قوم : وجه نهار : موضع .

والوجه القصد بالفعل ؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾؛

[لقمان : ٢٢] ؛ معناه : من قصد بأمره وفعله إلى الله سبحانه ، وأراده بهما . وكذلك

قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ ، [النساء : ١٢٥] ؛ وقال

الفرزدق :

(١) الحماسة — بشرح المرزوق ٩٩٥ ؛ وفى نسخة بمجاشينى الأصل ، ف : « فليأت ساحتنا » ؛

وهى رواية الحماسة ؛ وهو مالك بن زهير العبسى قتل فى بنى فزارة ؛ فرتاه الربيع بأبيات من هذا البيت .

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي حِينَ شُدَّتْ رَكَابِي إِلَى آلِ مَرْوَانَ بُنَاةَ الْمَكَارِمِ

أى جعلت قصدى وإرادتى لهم ، وأنشد الفراء :

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ رَبَّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ

أى القصد ؛ ومنه قولهم فى الصلاة : وَجَّهْتَ وَجْهِي لِلذَى فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ؛ أى

قصدت قصدى بصلاتى وعملى ؛ وكذلك قوله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ﴾ ٥

[الروم : ٤٣] .

والوجهُ الاحتيالُ للأمرين ؛ من قولهم كيف الوجه لهذا الأمر ؟ وما الوجه فيه ؟ أى

ما الحيلة ؟

والوجه المذهب والجهة والناحية ، قال حمزة بن بيض الحنفي :

١٠ أَيْ الْوُجُوهِ اتَّجَعْتِ ؟ قُلْتُ لَهُمْ : لِأَيِّ وَجْهِ إِلَّا إِلَى الْحَكَمِ (١) !

مَتَى يَقُولُ صَاحِبًا سُرَادِقِهِ : هَذَا ابْنُ بَيْضٍ بِالْبَابِ يَبْتَسِمُ

والوجه : القدر والمنزلة ؛ ومنه قولهم : لفلان وجه عريض ، وفلان أوجه من فلان ،

أى أعظم قدرًا وجاهًا ، ويقال : أوجهه السلطان إذا جعل له جاهًا ؛ قال امرؤ القيس :

وَنَادَمْتُ قَيْصَرَ فِي مُلْكِهِ فَأَوْجَهَنِي وَرَكَبْتُ الْبَرِيدَا (٢)

والوجه الرئيس المنظور إليه ؛ يقال : فلان وجهُ القوم ، وهو وجه عشيرته ؛ ووجه ١٥

الشيء نفسه وذاته ؛ قال أحمد بن جندل السعدي :

(١) الأغاني ١٥ : ١٤ . (٢) اللسان (وجه) ؛ وهو من أبيات أربعة فى الأغاني ٨ : ١٩٦

(طبعة دار الكتب المصرية) ، وفى حاشية ف : « يقال : حمل فلان على البريد إذا هب له فى كل مرحلة مركوب ليركبه ؛ فإذا وصل إلى الرحلة الأخرى نزل عن المعى وركب المرفه ؛ وهكذا إلى أن يصل إلى

وَنَحْنُ حَفَرْنَا الحَوْفَرَ انَ بَطَعْنِي فَأُفَلَّتَ مِنْهَا وَجْهَهُ عَتِدْتُ نَهْدُ^(١)

أراد أفلتته ونجّاه ومنه قولهم : إنما أفعل ذلك لوجهك ، ويدل أيضا على أن الوجه يُعبر به/عن الذات قوله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ . إِيَّ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ . وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ . تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢ - ٢٥] ، وقوله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ لِسَمِيعٍ رَاضِيَةٍ ﴾ [الغاشية : ٨ ، ٩] ، لأن جميع ما أُضيف إلى الوجوه في ظاهر الآي ؛ من النظر ، والظن ، والرّضا لا يصحُّ إضافته في الحقيقة إليها وإنما يضاف إلى الجملة ، فمعنى قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ ؛ أي كل شيء هالك إلا هو ؛ وكذلك قوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ ؛ لما كان المراد بالوجه نفسه لم يقل «ذو الجلال» كما قال : ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ ؛ [الرحمن : ٧٨] : لما كان اسمه غيره .

ويمكن في قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ وجه آخر ؛ وقد روى عن بعض المتقدمين ، وهو أن يكون المراد بالوجه ما يقصد به إلى الله تعالى ويوجهه ؛ نحو القرية إليه أجلت عظمته ؛ فيقول : لا تُشرك بالله ، ولا تدعُ إلها غيره ؛ فإن كل فعلٍ يُتقرب به إلى غيره ، ويُقصد به سواه فهو هالك باطل ؛ وكيف يسوغ للمشبّهة أن يحملوا هذه الآية والتي قبلها على الظاهر ! أوليس ذلك يوجب أنه تعالى يَفْتَنِي وَيَبْقَى وَجْهَهُ : وهذا كفر وجهل من قائله .

فأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا نَطَعِمُكُمْ لَوْجَهُ اللَّهِ ﴾ ، [الإنسان : ٩] ، وقوله : ﴿ إِلَّا

(١) حفزنا : طعنا . ويقال فرس عند ، بفتح التاء وكسرهما : إذا كان شديدا نام الحلق سريعا الوثبة ؛ ليس فيه اضطراب ولا رخاوة والنهد من نعت الحيل : الجسم المشرف . والحوفزان هو الحارث بن شريك طعنه قيس بن عاصم يوم جدود ؛ والمشهور في ذلك قول سوار بن حبان النقرى :

وَنَحْنُ حَفَرْنَا الحَوْفَرَ انَ بَطَعْنِي سَقْتَهُ نَجِيمًا مِنْ دَمِ الجُوفِ أَشْكَلا
وَجَمْرَانِ قَسْرًا أَزَلَّتْهُ رَمَاحُنَا فَمَالجُ غُلًا فِي ذِرَاعِيهِ مُقْفَلًا

ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾ ؛ [الليل : ٢٠] ، وقوله : ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ ، [الروم : ٣٩] ؛ فمعلومٌ أن هذه الأفعال مفعولة له ؛ ومقصود بها ثوابه ، والقربة إليه ، والزلفة عنده .

فأما قوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ ؛ [البقرة : ١١٥] ، فيحتمل أن يُراد به : فمَّ الله ، لا على معنَى الحلول ، ولكن على معنى التدبير والعلم ، ويحتمل أن يراد به : فمَّ رضا الله وثوابه والقربة إليه .

ويحتمل أن يُراد بالوجه الجهة ، وتكون الإضافة بمعنى الملك والخلق والإنشاء والإحداث ؛ لأنه عزَّ وجلَّ قال : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ ؛ أى أن الجهات كلها لله تعالى وتحت ملكه ؛ وهذا واضح بين بحمد الله .

أخبرني أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال حدثني محمد بن يحيى الصولى قال : أئحدرنا ^{١٠} مع المكتفى بالله فى آخر سفرة سافرهما للصيد من الموضع المعروف بمحنة إلى تكريت فى حرّافة ^(١) فكانت تجنح كثيرا ، فيشتمد فزع من معه من الجلساء / لذلك ؛ وكنت أشدهم ^[٢٠٠] فزعا ، وكان فى الحرّافة سواى من الجلساء يحيى بن علىّ المنجم ، ومتوِّج بن محمود بن مروان ، والقاسم المعروف بابن حبابه ، وكان يضحك لفزعنا ويقول : لقد قسم الله لكم حظا من الشجاعة جزىلا ، فقلت له : إن البحترى يقول شعرا يصف فيه مثلَ حالنا ، ويمدح به أحمد بن ^{١٥} دينار بن عبد الله - وقد غزا الروم فى مراكب - أوله :

ألم ترّ تغليسَ الرّبيعِ المبكرِ وما حاك من وثنى الرّياضِ المنشرِ ^(٢)

(١) الحرّافة : اسم لسفينة ؛ وأصل الحرّافات : سفن كانت بالبصرة ، فيها رماهى نيران يرمى بها العدو .

(٢) ديوانه ٢ : ٢٢ - ٢٤ .

فقال له : أنشدني الموضع الذي ذكر هذا فيه منها - وكان جيّد العلم بالأشعار ، حافظاً
للأخبار - فأنشده :

غَدَوْتَ عَلَى الْمَيْمُونِ صُبْحًا ، وَإِنَّمَا غَدَا الْمَرْكَبُ الْمَيْمُونُ تَحْتَ الْمُظْفَرِ (١)
إِذَا زَمَجَرَ النَّوْتُ فَوْقَ عَلَانِهِ رَأَيْتَ خَطِيئًا فِي ذُوَابَةِ مِنْبَرِ (٢)
يَمُضُونَ دُونَ الْإِشْتِيَامِ عُيُونَهُمْ وَفَوْقَ السَّمَاطِ نَلْعَظِيمِ الْمُؤَمَّرِ (٣)
إِذَا مَا عَلَتْ فِيهِ الْجَنُوبُ اعْتَلَى لَهُ جَنَاحًا عُمَاقٍ فِي السَّمَاءِ مُهَجَّرِ (٤)
وَإِذَا مَا انْكَفَأَ فِي هَبْوَةِ النَّارِ خِلْتَهُ تَلَفَعَ فِي أَثْنَاءِ بُرْدِ مُجَبَّرِ (٥)
وَحَوْلَكَ رَكَابُونَ لِلْهَوْلِ عَاقِرُوا كَوْرَسِ الرَّدَى ؛ مِنْ دَارِ عَيْنِ وَخُسَّرِ (٦)
تَمِيلُ الْمَنِيَا حَيْثُ مَالَتْ أَكْفُهُمْ إِذَا أَصْلَتُوا حَدَّ الْحَدِيدِ الْمَذْكَرِ
إِذَا أُرْشِقُوا بِالنَّارِ لَمْ يَكُ رِشْقُهُمْ لِيُقْلِعَ إِلَّا عَنْ شِوَاءِ مُقْتَرِ (٧)

(١) قبله :

وَلَمَّا تَوَلَّى الْبَحْرُ وَالْجُودُ صِنُوهُ غَدَا الْبَحْرُ مِنْ أَغْلَاقِهِ بَيْنَ أَبْحُرِ
أَضَافَ إِلَى التَّدْبِيرِ فَضْلَ شِجَاعَةِ وَلَا عَزَمَ إِلَّا لِلشَّجَاعِ الْمَدْبَرِ
إِذَا شَجَرُوهُ بِالرَّمَاحِ تَكَسَّرَتْ عَوَامِلُهَا فِي صَدْرِ لَيْثٍ غَضَنْفَرِ

والميمون ، يريد به السفينة ؛ وفي حاشية الأصل : « هو اسم حراقة » .

(٢) حاشية الأصل : « العلاء : الموضع الذي يركب فيه الملاح من السفينة » .

(٣) حاشية الأصل : « يقال وقفوا دونه سماطا ؛ أي امظفوا ؛ وفي شعره : « وقوف السماط » ؛ قال

س : « وهو الصواب ؛ وكذا قرأت على مشايخي . والإشتيام : رئيس الركب ؛ كلمة نبطية » .

(٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « إذا عصفت فيه » ؛ وهى رواية الديوان ومهجر ؛ أى

يخلق فى الهاجرة . (٥) فى حاشيتي الأصل ، ف : « انكفا الميمون ؛ أى تمايل ؛ وأراد بهوة

النار ما كانوا يرمون به من النار إلى المدور من الحراقة التى اسمها ميمون ، وشبهه مواد الحراقة وحرارة النار

وبياض الماء بلون البرد . وانكفا ، أصله الهمز نكف ؛ يقال : انكفأت المرأة وتكفأت ؛ إذا تمايلت فى

سيرها « وفى م : والديوان : « هبوة الماء » تصحيف . (٦) المعاقرة : الملازمة .

(٧) الرشق : الرمي من جهة واحدة . والشواء المقتر : الذى يصعد منه القنار ؛ والقنار عند العرب :

ريح الشواء إذا ضهب على الجمر .

صدمت بهم صُهبَ العُمَانِينِ دُونَهُمْ ضِرَابٌ كِلَابِقَادِ اللَّطَى الْمُتَسَمِّرِ
 يَسُوقُونَ أَسْطُولًا كَأَنَّ سَهْمِيَهُ سِحَابٌ صَيْفٍ؛ مِنْ جَهَامٍ وَمُطِيرِ (١)
 كَأَنَّ ضَجِيحَ الْبَحْرِ بَيْنَ رِمَاحِهِمْ إِذَا اخْتَلَفَتْ تَرَجِبِعُ عَوْدٍ مُجَرَّجِرِ (٢)
 تُقَارِبُ مِنْ زَحْفِهِمْ فَكَأَنَّمَا تُوَلِّفُ مِنْ أَعْنَاقٍ وَحَشٍّ مُنْفَرِ
 فَارِمَتْ حَتَّى أَجَلَتْ الْحَرْبُ عَنْ طُلَى مُقَصَّصَةٍ فِيهِمْ، وَهَامٍ مُطِيرِ (٣)
 عَلَى حِينٍ لَا تَنْقَعُ تَطَوُّحُهُ الصَّبَا وَلَا أَرْضٌ تَلْقَى لِلصَّرِيحِ الْمُقَطَّرِ (٤)
 وَكُنْتَ ابْنَ كِسْرَى قَبْلَ ذَلِكَ وَبَعْدَهُ مَلِيًّا بَانَ تُوهِى صَفَاةَ ابْنِ قَيْصَرِ
 / جَدَحَتْ لَهُ الْمَوْتَ الذُّعَافَ فَعَاْفَهُ وَطَارَ عَلَى الْوَاحِ شَطْبٌ مُسْمَرِ (٥)
 مَضَى وَهُوَ مَوْلَى الرَّيِّحِ يَشْكُرُ فَضَاهَا عَلَيْهِ، وَمَنْ يُؤَلِي الصَّنِيعَةَ يَشْكُرِ

[٢٠٠]
ظ

١٠

قال : فاستجد المکتفی قوله :

* على حين لا تَنْقَعُ تَطَوُّحُهُ الصَّبَا *

فقال له يحيى بن علي : أنشدني ابن الرومي شعراً له في هذا المعنى :

وَلَمْ أَنْعَلَمْ قَطُّ مِنْ ذِي سِبَاحَةٍ سِوَى الْعَوْصِ، وَالْمَضْعُوفِ غَيْرِ مُغَالِبِ (٦)
 وَلَمْ لَا؟ وَلَوْ أُلْقِيَتْ فِيهَا وَصَخْرَةٌ لَوَافَيْتُ مِنْهَا الْقَعْرَ أَوَّلَ رَاسِبِ
 وَأَيْسَرُ إِشْفَاقِي مِنَ الْمَاءِ أَنْبَى أَمْرٌ بِهِ فِي الْكُوزِ مَرَّةَ الْمَجَانِبِ ١٥
 وَأَخْشَى الرَّدَى مِنْهُ عَلَى كُلِّ شَارِبٍ فَكَيْفَ بِأَمْنِيهِ عَلَى كُلِّ رَاكِبٍ!

(١) الأستول : جماعات السفن . وفي حاشيتي الأصل ، ف : « قال ش : ذكر لي أستاذي عند قراءة شعر البحتري عليه بأصبهان أن الأستول لغة مصرية ؛ وهي عندهم عبارة عن جماعة العسكر الذين يتوجهون إلى البحر بجوارحهم ؛ فهم بمجموع مراكبهم وحرقاتهم وشباراتهم وتجارهم أستول ؛ ويشتكى أهل مصر فيقولون : ما جاءنا العام أستول » . وفي حاشية الأصل أيضاً : « الشبارات : نوع من المراكب البحرية » .

(٢) العود : المسن من الإبل . (٣) الطلى : جمع طلية ؛ وهي صفحة العنق ؛ ومقصصة :

مقطعة . ورواية الديوان : « طلى مقطعة » . (٤) يقال : طعنه فطره ؛ أى ألقاه على قطره ، أى

جانبه ، ففطر . (٥) جدحت : خلطت ؛ والشطب في الأصل : الفرس الطويل ؛ وجعل المركب

شطباً على التشبيه لمراكبه ونجا . (٦) ديوانه الورقة ٢٣ ؛ مع اختلاف في ترتيب الأبيات .

فقلت له : إنما أخذ ابن الرومي بيته الثالث من قول أبي نواس ؛ فقال المكتفي بالله :
فما قال ؟ قلت : حدثني علي بن سراج المصري قال حدثني أبو وائل اللخمي قال حدثني
إبراهيم بن الخصب قال : وقف أبو نواس بمصر على النيل ؛ فرأى رجلا قد أخذه التمساح
فقال :

٥ أضمرتُ للنَّيْلِ هِجْرَانًا وَمَقْلِبِيَّةً مُدْقِيلَ لِي : إِنَّمَا التَّمْسَاحُ فِي النَّيْلِ
فَمَنْ رَأَى النَّيْلَ رَأَى الْعَيْنَ مِنْ كَثَبٍ فَمَا أَرَى النَّيْلَ إِلَّا فِي الْبَوَاقِلِ
قال الصولي : والبواقيل سُفْنُ صغار .

ثم أجرى المكتفي بعد ذلك ذكر الشيب ، فقال : العرب تقول أظلم من شيب ، وقد
شبت ، وظلمني المشيب ؛ وشبت ياصولي ، فقلت : جواب عبدك في هذا جوابُ معن بن زائدة
١٠ الشيباني لجدك المنصور وقد قال له : كبرت يامن ، فقال : في طاعتك يأمر المؤمنين ،
قال : وإنك لتتجدد ، قال : على أعدائك ، قال : وفيك بحمد الله بقیة ، قال : لحدمتك .
فزرع المكتفي عمامته ، فإذاشيبتان في مقدم رأسه ، فقال : لقد نعمني طلوع هاتين الشيبتين ،
فقلت له : إنما يعمش الناس في الشيب ؛ فأما السواد فلا يصحب الناس خالصاً أكثر من
[٢٠١] أربعين سنة إلى الخمسين / ، وقد يعاش في البياض الذي لاسوادفيه ثمانون سنة . وأنشده يحيى
و
١٥ ابن علي في معنى طول العمر مع المشيب قول امرئ القيس :

ألا إنَّ بعدَ العُدْمِ للمرءِ قِنْوَةٌ وَبعدَ المشيبِ طُولَ عُمُرٍ وَمَلَبَسًا^(١)
وأنشدته أنا أيضاً أبياتاً أنشدها إسحاق بن إبراهيم الموصلی لبعض القديسين :
لم يَنْتَقِصْ مِنْي المَشِيبُ قُلَامَةً الآنَ حينَ بدأ أَلْبُ وَأَ كَيْسُ
وَالشَّيبُ إنَّ يَظْهَرُ فَإِنَّ وراءَهُ عُمُرًا يَكُونُ خِلالَهُ مُتَنَفِّسُ

٢٠ قال سيدنا أدام الله تمكينه : أما قول البحرى : « مضى وهو مولى الريح » فقد كرر
معناه في قوله من قصيدة يمدح بها أبا سعيد الثغرى :

أَشْلَى عَلَى مَنْوِيلَ اطْرَافِ القَنَا فَنَجَا عَتِيقَ عَتِيقَةٍ جَرْدَاءِ^(١)
وَلَوْ أَنَّهُ أَبْطَأَ لَهَنَّ هَنْبِيَةً لَصَدَرْنَ عَنْهُ ، وَهَنَّ غَيْرُ ظَاهِرٍ
فَلَأَنَّ تَبَقَاهُ القَضَاءُ لَوْقَتِهِ فَاقْتَدَ عَمَمَتَ جُنُودَهُ بِفَنَاءِ

وأظنه أخذ هذا المعنى من قول أبي تمام في قصيدة يمدح بها المعتصم ، ويذكر فتح

الخرمية^(٢).

لَوْلَا الظَّلَامُ وَقَلَّةُ عَلَقُوا بِهَا بَاتَتْ رِقَابُهُمْ بِغَيْرِ قِلَالٍ^(٣)
فَلْيَشْكُرُوا جُنْحَ الظَّلَامِ وَدَرُوزًا فَهَمُّ لِدَرُوزِ وَالظَّلَامِ مَوَالِي^(٤)

وقد أخطأ الصولي في تفسير بيت أبي نواس بأن البواقيل سُفْنُ صغار ؛ لأن البواقيل

جمع بوقال ؛ وهو آلة على هيئة الكوز معروفة ؛ تُعمل من الزجاج وغيره ؛ وهذا مثل قول ابن

الرومي :

* أَمْرٌ بِهِ فِي الكُوزِ مَرَّ المَجَانِبِ *

وإنما أراد أنني لا أمرّ بماء النيل إلا إذا أردت شربه في كوز أو بوقال .

وأظن الصولي استمر عليه الوهم من جهة قوله : « فما أرى النيل » وصرف ذلك إلى

أنه أراد النيل على الحقيقة ؛ وإنما أراد ماء النيل ؛ وما علمت أن السفن الصغار يقال لها بواقيل

إلا من قول الصولي ، هذا ولو كان ما ذكره صحيحاً من أن ذلك اسم لصغار السفن لكان ١٥

بيت أبي نواس بما ذكرناه أشبهه / وأليق وأدخل في معنى الشعر ؛ وكيف تدخل الشبهة في [٢٠١]

ذلك مع قوله :

(١) ديوانه ١ : ٥ ؛ أشلى : أغرى . ومنويل : اسم فلعة والعتيقة هنا : الفرس .

(٢) الخرمية : فرق تنسب إلى بابك الخرمي ؛ خرج من كورة بفارس تدعى البذء ، وأثار فنتة على الخليفة

سنة ٢١٠ ؛ وامتدت زمن المأمون والمعتصم ؛ إلى أن قتل بمد حوادث دامية في أزمان متطاولة ؛ على يد

الأفشين قائد المعتصم سنة ٢٢٣ . (٣) ديوانه : ٢٦٢ . (٤) دروز : موضع في نهر

أذربيجان ؛ كندا ذكره ياقوت وأورد بيتي أبي تمام .

* فمن رأى النيل رأى العين من كُشِبِ *

ومن رأى النيل في السفن فقد رآه من كُشِبِ، ومن رأى ماءه في الآنية على بُعد لا يكون رائيًا له من كُشِبِ .

فأمادح الشيب وتفضيله على الشباب فقد قال فيه الناس فأكثرُوا؛ فَمَا تقدم من ذلك

٥ قولُ رُوَيْبَةَ بنِ المِجَاجِ ؛ وَيَقَالُ إِن رُوَيْبَةَ لَمْ يَقُلْ مِنَ التَّصِيدَةِ إِلَّا هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُعَيَّرُ بِالشَّيْءِ بِ أَقْلِنَ الشَّبَابِ افْتِخَارًا
قَدْ لَبَسْتُ الشَّبَابَ غَضًّا جَدِيدًا فَوَجَدْتُ الشَّبَابَ ثَوْبًا مُعَارًا

والمعلّى بن جبّالة :

جفا طربَ النَّمِيانِ وَهُوَ طَرُوبُ وَأَعْقَبَهُ قُرْبَ الشَّبَابِ مَشِيبُ
تَجَافَتْ عِيُونَُ البَيْضِ عَنْهُ ، وَرُبَّمَا مَدَدْنَ إِلَيْهِ الوَاصِلَ وَهُوَ حَبِيبُ
لِعُمْرِي لَنِعْمَ الصَّاحِبُ الشَّيْبُ وَاعْظَا وَإِنْ كَانَ مِنْهُ لِلْعِيونِ نُكُوبُ
حَلِيطُ نَهْيٍ ، مُنْتَابُ حِلْمٍ ؛ وَإِنَّهُ عَلَيَّ ذَاكَ مَكْرُوهُ الْخِلَاطِ مُرِيبُ

١٠

ولآخر :

وَتَنَكَّرْتُ شَيْبِي فَقَلْتُ لَهَا : لَيْسَ الشَّيْبُ بِنَاقِصٍ عُمرِي
سَيَّانِ شَيْبِي وَالشَّبَابُ إِذَا مَا كُنْتُ مِنْ عُمرِي عَلَى قَدْرِ

١٥

ولآخر :

إِنْ أكنْ قَدْرُزَيْتُ أَسْوَدَ كَالنَّفَحِ مِ وَأَعْقَبْتُ مِثْلَ لَوْنِ الثُّغَامَةِ (١)
فَتَمَدُّ أَسْعَفُ الكَرِيمِ وَأَحْبُو أَهْلُهُ بِالنَّدَى وَآبِي الظَّلَامَةِ

(١) الثُّغَامَةُ : نبت أبيض يشبه به الشيب .

غَيْرَ أَنْ الشَّبَابَ كَانَ رِدَاءً خَانَنَا فِيؤُهُ كَفَىءَ الغَامَةِ

ولآخر:

إِنَّ المَشِيبَ رِدَاءَ الجِلْمِ والأَدَبِ كَالشَّبَابِ رِدَاءَ الأَهُوِ واللَّعِبِ
تَعَجَّبْتُ إِذْ رَأْتُ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَا: لَا تَعَجَّبِي، مِنْ يَطُلُّ مُعْمَرٌ بِهِ يَشِبُ (١)

، لابن الجهم:

حَسَرْتُ عَنِّي القِنَاعَ ظُلُومُ / وَتَوَلَّتْ وَدَمَعَهَا مَسْجُومُ (٢)
/ أَنْكَرْتُ مَا رَأْتُ بِرَأْسِي فَقَالَتْ: أَمَشِيبُ أَمْ أَوْلُو مَنْظُومُ !
قُلْتُ: شَيْبٌ وَلَيْسَ عَيْبًا، فَأَنْتِ أَنْتِ يَسْتَشِيرُهَا المَهْمُومُ
شَدَّ مَا أَنْكَرْتُ تَصْرُمَ عَهْدِ لَمْ يَدُمُ لِي، وَأَيُّ شَيْءٍ يَدُومُ !

[٢٠٢]

١٠

ولأبي هفان:

تَعَجَّبْتُ دُرٌّ مِنْ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَا: لَا تَعَجَّبِي فَطُلُوعِ الشَّيْبِ فِي الصَّدْفِ (٣)
وَزَادَهَا عَجَبًا لَمَّا رَأَتْ سَمَكِي وَمَا دَرَّتْ دُرٌّ أَنْ الدَّرَّ فِي الصَّدْفِ (٤)

وقد أحسن أبو تمام غاية الإحسان في قوله:

أَبَدَتْ أَسَى أَنْ رَأَتْنِي (٥) مُخْاسِ القَصَبِ (٦) وَآلَ مَا كَانَ مِنْ عُجْبٍ إِلَى عَجْبٍ (٧)

(١) د، ف، حاشية الأمل من نسخة: « تعجبت أن رأيت شبي ». (٢) ديوانه: ١٧٦-١٧٧؛ وظلوم: اسم امرأة . (٣) حماسة ابن السجري: ٢٤٥؛ والصدف: الظلمات . (٤) السمل، محرّكة: الثوب الخلق البالي، ومن نسخة بحاشية الأصل: « أن رحت في سمل »؛ وهي رواية الحماسة . (٥) ديوانه: ١٥، والشهاب ١٠، وفي حاشية الأصل (من نسخة): « إذ رأيتني »، وهي رواية الشهاب والديوان . (٦) يقال: أخاس النبات؛ إذا جف أعلاه وابيض، وفي حاشية الأصل: « الفصب: الذوائب المفصبة؛ الواحدة قصبه وتجمع قصاب، يقال: قصب، فيسكن . وبخط السجري: « القصب »، بضم ففتح . (٧) حاشية الأصل: « أي كانت تعجب بي فصارت تعجب من شبي ». وفي الشهاب: « أم، قوله: « من عجب إلى عجب » فن البلاغة الحسنة والاختصار السديد البارع .»

سِتُّ وَعِشْرُونَ تَدْعُونِي فَأَتِبْهَا إِلَى الْمَشِيبِ وَلَمْ تَظْلِمِ وَلَمْ تَحْبِ (١)
فَلَا يُؤْرَفُكَ إِيْمَاضُ الْقَتِيرِ بِهِ فَإِنَّ ذَاكَ ابْتِسَامُ الرَّأْيِ وَالْأَدَبِ (٢)

وللبحتري :

عَيْرَتْنِي بِالشَّيْبِ وَهِيَ رَمَّتَهُ فِي عِذَارِي بِالصَّدِّ وَالْإِجْتِنَابِ (٣)
لَا تَرِيهِ عَارًا فَاهُوَ بِالشَّيْبِ بٍ وَلَكِنَّهُ جِلَاءُ الشَّبَابِ (٤)
وَبِيَاضِ الْبَازِيِّ أَصْدَقُ حُسْنًا إِنْ تَأَمَّتِ مِنْ سَوَادِ الْعَرَابِ

وله :

هَا هُوَ الشَّيْبُ لِأَيِّمَا فَأَفِيْقِي وَاتَرُكِهَ إِنْ كَانَ غَيْرِ مُفِيْقٍ (٥)
فَلَقَدْ كَفَّ مِنْ عِنَاءِ الْمَعْنَى (٦) وَتَلَفَنِي مِنْ اشْتِيَاقِ الْمَشْوَقِ

(١) لم تحب : لم تأثم ؛ والحبوب : الإثم ، وبعده في الديوان :

يَوْمِي مِنَ الدَّهْرِ مِثْلُ الدَّهْرِ مَشْتَهَرٌ عَزْمًا وَحَزْمًا وَسَاعِي مِنْهُ كَالْحَقْبِ
فَأَصْغِرِي أَنْ شَيْبًا لَاحَ بِي حَدَثًا وَأَكْبِرِي أَنْفِي فِي الْمَهْدِ لَمْ أَشِبْ

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « فلا يفرتك » . والقنير : الشيب ، او أوله . وفي الشهاب

للمرضى : « وقوله :

* فَإِنَّ ذَاكَ ابْتِسَامُ الرَّأْيِ وَالْأَدَبِ *

يريد أن الرأي والأدب والحام لهما مجتمع ويتكامل في أوان الكبر والشيب دون زمان الشباب ، وقد تصف الشعراء أبدا الشيب بأنه تبسم في الشعر لبياضه ؛ إلا أن هذه من أبي تمام تسليية عن الشيب وتنبية على منفعة .

(٣) ديوانه ١ : ٧ ، والشهاب : ٢٥ . وفي حاشية الأصل :

* عَيْرَتْنِي الشَّيْبَ وَهِيَ بَدْتُهُ *

وهي رواية الديوان ؛ وبدته ، مخفف من بدأته بالهمز . وفي حاشية الأصل أيضا (من نسخة) :

« جنته » . (٤) لاتريه : لاتظنه . وفي حاشية الأصل : « جعل سواد الشباب وسخا وصدأ على الشخص والشيب جلاء له » .

(٥) ديوانه ٢ : ١٢٥ ، والشهاب : ٢٥ ، وحاسة ابن الشجري : ٢٤٣ - ٢٤٤ ، وفي حاشيتي

الأصل ، ف : « يقول : أيها العاذلة ، أفبقي من عدله وملامته ، فقد أقبل الشيب يلومه ويعذله ، ولا حاجة إلى عدلك وإن لم يفق فاتركيه » . (٦) د ، والحاسة والشهاب . « عن عناء المعنى » .

عَدَلْتَنَا فِي عَشِقَتِهَا أُمَّ عَمْرٍو هَلْ سَمِعْتُمْ بِالْمَعَاذِلِ الْمَعْشُوقِ (١)
 وَرَأَتْ لِمَةً أَلَمَّ بِهَا الشَّيْبُ - بُ فَرِيَعَتْ مِنْ ظِلْمَةٍ فِي شُرُوقِ
 وَلَعَمْرِي لَوْلَا الْأَقْحَى لَأَبْصَرْتُ أَنْبِقَ الرِّيَاضِ غَيْرَ أَنْبِقِ
 وَسَوَادُ الْعِيُونِ لَوْلَمْ يَكْمَلْ بَبِيَاضٍ مَا كَانَ بِالْمَوْمُوقِ (٢)
 / وَمِزَاجُ الصَّهْبَاءِ بِالْمَاءِ أَمَلِي (٣)
 أَيْ لَيْلٍ يَبْهَى بِغَيْرِ نَجُومٍ أَوْ سَمَاءٍ تَنْدَى بِغَيْرِ بَرُوقِ!

[٢٠٢

ط

ويشبهه أن يكون أخذ قوله :

* أَيْ لَيْلٍ يَبْهَى بِغَيْرِ نَجُومِ *

من قول الشاعر :

أَشَيْبٌ وَلَمْ أَقْضِ الشَّبَابَ حُقُوقَهُ وَلَمْ يَمْضِ مِنْ عَهْدِ الشَّبَابِ قَدِيمٌ (٤)
 رَأَتْ وَضْحًا فِي مَفْرِقِ الرَّأْسِ رَاعِيًا وَشَتَانَ مُبْيَضٌ بِهِ وَبِهِمْ
 تَفَارِيقُ شَيْبٍ فِي الشَّبَابِ لَوَامِعٌ وَمَا حُسْنُ لَيْلٍ لَيْسَ فِيهِ نَجُومٌ!

ولحمود الوراق في مثل هذا المعنى وهو قوله :

١٥ ما الدُّرُّ مَنْظُومًا بِأَحْسَنَ مِنْ شَيْبٍ يُجَكِّلُ هَامَةَ الْكَهْلِ
 وَكَأَنَّهُ فِيهَا النُّجُومُ إِذَا جَدَّ الْمَسِيرُ بِهَا عَلَى مَهْلِ
 لَا تَبْكِينَ عَلَى الشَّبَابِ إِذَا يَبْكِي الْجَهُولُ عَلَيْهِ لِلْجَهْلِ
 وَاشْكُرْ لَشَيْبِكَ حُسْنَ صُحْبَتِهِ فَلَقَدْ كَسَاكَ جَلَالَةَ الْفَضْلِ

(١) حاشية الأصل : « إنما عدلته لأنه شاخ والعشق مع الشيخوخة لا يستحسن » .

(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « بالمرهوق » ؛ (٣) في حاشيتي الأصل : « أملي ،

مخفف من أملاً ؛ أي أوثق ؛ يقال : ماؤ فلان بذلك ؛ إذا كان نقه به ، وفلان أملاً بكذا من فلان » .

(٤) البيت الأول والثالث في حاشية ابن الشجري : ٢٤٤ ، من غير نسبة .

ولآخر في مدح الشيب :

لايرُءك المشيبُ يا بنةَ عبدِ ال
لَمَّ فَالشَّيْبُ حَلِيَّةٌ وَوَقَارُ (١)
إِنَّمَا تَحْسُنُ الرِّيَاضُ إِذَا مَا
ضَحِكْتُ فِي خِلَالِهَا الْأَنْوَارِ

ولى في هذا المعنى من قصيدة :

جَزَعْتُ لَوْحَطَاتِ الْمَشِيبِ وَإِنَّمَا
بَلَغَ الشَّبَابُ مَدَى الْكَمَالِ فَنَوَّرَا
وَالشَّيْبُ إِن فَكَّرْتُ فِيهِ مَوْرِدٌ
لَا بَدَّ يُورِدُهُ الْفَتَى إِن عُمَّرَا
يَبْيِضُ بَعْدَ سَوَادِهِ الشَّعْرُ الَّذِي
إِن لَمْ يَزُرْهُ الشَّيْبُ وَارَاهُ الثَّرَى

ومن عدل بين الشيب والشباب ، ومدح كل واحد منهما طريق بن إسماعيل النخعي فقال :

والشَّيْبُ لِلْحُكَمَاءِ مِنْ سَفَهِ الصَّبَا
بَدَلٌ يَكُونُ لَدَى الْفَضِيلَةِ مَقْنَعٌ
/ وَالشَّيْبُ غَايَةٌ مِنْ تَأَخَّرَ حِينُهُ
لَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعَهُ مِنْ يَجْزَعُ
إِنَّ الشَّبَابَ لَهُ لَذَاذَةٌ جِدَّةٌ
وَالشَّيْبُ مِنْهُ فِي الْمَغْبَةِ أَنْفَعُ
لَا يَبْعَدُ اللَّهُ الشَّبَابَ فَرَحًا
بِالشَّيْبِ حِينَ أَوَى إِلَيْهِ الْمَرْجِعُ

[٢٠٣]

ومثله لآخر :

وكان الشبابُ الغَضُّ لِي فِيهِ لَذَّةٌ
فَسَقِيًا وَرَعِيًا لِلشَّبَابِ الَّذِي مَضَى
فوقرني عنه المشيبُ وأدبًا
وأهلاً وسهلاً بالمشيبِ ومرحبا

(١) حماسة ابن الشجرى : ونسبهما إلى علي بن الجهم .

مَجَالِسُ خَر

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦] فقال : كيف ضَمِنَ الإجابة وتكفلَ بها ، وقد نرى مَنْ يدعو فلا يجاب ؟ .

الجواب ، قلنا في ذلك وجوه .

أولها أن يكون المراد بقوله تعالى : ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي ﴾ أى أسمع دعوته ؛ ولهذا يقال للرجل : دعوتُ مَنْ لا يجيب أى دعوتُ مَنْ لا يسمع . وقد يكون أيضاً يسمع بمعنى يجيب ؛ كما كان يجيب بمعنى يسمع ؛ يقال : سمع الله لمن حمده ؛ يراد به : أجاب الله من حمده وأنشد ابن الأعرابي :

دَعَوْتُ اللَّهَ حَتَّى خِفتُ الْآلَا يَكُونُ اللَّهُ يَسْمَعُ مَا أَقُولُ

أراد يجيب ما أقول .

وثانيها أنه تعالى لم يُردْ بقوله : ﴿ قَرِيبٌ ﴾ من قُرْبِ المسافة ؛ بل أراد أنى قريب بإجابتي ومعونتي ونعمتي ، أو بعلمي بما يأتى العبد ويذَر ، وما يُسرِّ وَيَجْهَر ، تشبيهاً بقرب المسافة ؛ لأن مَنْ قرب من غيره عرف أحواله ولم تحف عليه ؛ ويكون قوله : ﴿ أُجِيبُ ﴾ على هذا تأكيداً للقرب ؛ فكأنه أراد : إننى قريب قريباً شديداً ، وإننى بحيث لا يخفى على أحوال العباد ؛ كما يقول القائل إذا وصفَ نفسه بالقرب من صاحبه والعلم بحاله : أنا بحيث أسمع كلامك ، وأجيب نداءك ، وما جرى هذا المجرى . وقد روى أن قوماً سألوا الرسول صلى الله عليه وآله فقالوا / له : أربنا قريب فنناجيه ، أم بعيد فنناديه ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وثالثها أن يكون معنى هذه الآية أنني أجيب دعوة الداعي إذا دعاني على الوجه الصحيح، وبالشرط الذي يجب أن يقارن الدعاء؛ وهو أن يدعو باشتراط المصلحة؛ ولا يطلب وقوع ما يدعو به على كل حال؛ ومن دعا بهذا الشرط فهو مجاب على كل حال؛ لأنه إن كان صلاحاً فعل مادعا به؛ وإن لم يكن صلاحاً لم يفعل لفقد شرط دعائه، فهو أيضاً مجاب إلى دعائه .

ورابعها أن يكون معنى ﴿دَعَانِي﴾ أي عبدني، وتكون الإجابة هي الثواب والجزاء على ذلك؛ فكأنه قال: إنني أثيبُ العباد على دعائهم لي؛ وهذا مما لا اختصاص فيه .

وخامسها ما قاله قومٌ من أن معنى الآية أن العبد إذا سأل الله تعالى شيئاً في إعطائه صلاحاً فعمله به وأجابه إليه، وإن لم يكن في إعطائه إياه في الدنيا صلاحاً وخيرة لم يعطه ذلك في الدنيا، وأعطاه إياه في الآخرة، فهو مجيب لدعائه على كل حال .

وسادسها أنه إذا دعاه العبد لم يخجل من أحد أمرين: إما أن يُجاب دعاؤه، وإما أن يخار له بصره عما سأل ودعا، فحسن اختيار الله له يقوم مقام الإجابة، فكأنه يجاب على كل حال .

وهذا الجواب يضمف لأن العبد ربما سأل ما فيه صلاحاً ومنفعة له في الدنيا، وإن كان فيه فساد في الدين لغيره فلا يعطى ذلك، لأمر يرجع إليه، لكن لما فيه^(١) من فساد غيره، فكيف يكون مجاباً مع المنع الذي^(٢) لا يرجع إليه منه شيء من الصلاح! اللهم إلا أن يقال: إنه دعا؛ مشروط بأن يكون صلاحاً، ولا يكون فساداً، وهذا مما تقدم .

ومعنى قوله تعالى ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾، أي فليجيبوني وليصدّقوا رسلي، قال الشاعر:

وَدَاعٍ دَعَا يَأْمَنُ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَلِكَ مُجِيبٌ^(٢)

(١-١) ساقط من الأصل، وتكلمته من د، ف . (٢) مطاع قصيدة كعب بن سعد الغنوي؛

وهي في أمالي الغالي ٢: ١٤٨ - ١٥١ .

أى لم يجبه .

قال سيدنا أدام الله علوه : وإذ كنا قد ذكرنا في المجالس المتمدة لهذا المجلس طرفاً من الشعر في تفضيل الشيب وتقديمه ، والتمزى عنه ، والتسلى عن نزوله ؛ فنحن متبعوه بطرف مما قيل في ذمّه والتألم به والجزع منه .

فمن ذلك قول أبي حية النيرى :

[٢٠٤] فليت الشيبَ كان به الرّحيل^(١) / ترَحَّلَ بالشَّبابِ الشَّيبُ عَنَّا
وقد كان الشبابُ لنا خديلاً
فقد قضى مآرِبَهُ الخليلُ
لعمْرُ أبي الشبابِ لقد تَوَلَّى
حميداً ما يُرَادُ به بديل^(٢)
إذِ الأيامُ مُتَمِيلَةٌ عَلَيْنَا
وَظِلُّ أَرَاكَةِ الدُّنْيَا ظِلِيلُ

وقال الفرزدق :

أرى الدهرَ ، أيامُ الشيبِ أمرُهُ
وفي الشيبِ لَدَاتٌ وَقَرَّةٌ أَعِينُ
إِذَا نازَلَ الشَّيبُ الشَّبابَ فأصلتنا
فيا خَيْرَ مَهْزُومٍ ، وياشَرَ هَازِمٍ
عَلَيْنَا ، وَأَيامُ الشَّبابِ أَطايِبُهُ^(٣)
ومن قَبْلِهِ عَيْشٌ تَعَلَّلَ جَادِبُهُ^(٤)
بَسَيْفَيْهِمَا ، فَالشَّيبُ لَابِدٌ غَالِبُهُ
إِذَا الشَّيبُ وَاftُ للشَّبابِ كَتَابُهُ
مدى الدهرِ حتى يُرْجِعَ الدَّرَّ حَالِبُهُ
إِذَا لم تَعِظُهُ نَفْسُهُ وتجارِبُهُ

وأُشْدَ إِسْحاقُ الموصلي :

- (١) حماسة ابن الشجرى : ٢٣٩ ، مع اختلاف في ترتيب الأبيات .
(٢) الحماسة : لا يراد به بديل . (٣) ديوانه : ١ : ٥٢ .
(٤) في حاشيتي الأصل ، ف : جادبه : عائبه ، أى لم يجد عيباً فتعلل وجهها يتمحل به باطلاً ومنه قول ذى الرمة :

فيالك من خد أسيلٍ ، ومَنطِقٍ رخيماً ، ومن خَلقٍ تعلل جادبه

لَعَمْرِي لَنْ حُلِّتُ عَنْ مَنَهْلِ الصَّبَا
لِيَالِي أَمْشِي بَيْنَ بُرْدَى لَاهِيَا
سَلَامٌ عَلَى سَيْرِ الْقِلَاصِ مَعَ الرَّكْبِ
سَلَامٌ أَمْرِي لَمْ تَبْقَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ
لَقَدْ كُنْتُ وَرَادًا لِمَشْرَبِهِ الْعَذْبِ^(١)
أَمِيسُ كُفُضْنِ الْبَانَةِ النَّاعِمِ الرَّطْبِ
وَوَصَلَ الْغَوَانِي وَالْمُدَامَةَ وَالشَّرْبِ
سِوَى مَنْظَرِ الْعَيْنَيْنِ أَوْ شَهْوَةِ الْقَلْبِ^(٢)

ولنصور النمرى :

مَا تَنْقِضِي حَسْرَةَ مَنِي وَلَا جَزَعُ
بَانَ الشَّبَابُ ففَاتَتْنِي بِشْرَتِهِ
مَا كُنْتُ أَوْفَى شَبَابِي كُنْهَ عِزَّتِهِ
إِذَا ذَكَرْتُ شَبَابًا لَيْسَ يَرْتَجِعُ^(٣)
صُرُوفُ دَهْرٍ وَأَيَّامٍ لَهَا خُدَعُ
حَتَّى مَضَى فَإِذَا الدُّنْيَا لَهُ تَبِعُ^(٤)

ولمحمد بن أبي حازم :

عَهْدَ الشَّبَابِ ، لَقَدْ أَبْقَيْتَ لِي حَزَنًا
سَقِيًّا وَرَعِيًّا لِأَيَّامِ الشَّبَابِ وَإِنْ
جَرَّ الزَّمَانُ ذُبُولًا فِي مَفَارِقِهِ
وَرَبَّمَا جَرَّ أَذْيَالَ الصَّبَا مَرَحًا
لَا تَكْذِبَنَّ فَمَا الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا
كَفَاكَ بِالشَّبَابِ عِيًّا عِنْدَ غَانِيَةٍ
مَا جَدَّ ذِكْرَكَ إِلَّا جَدَّ لِي مُكْلُ^(٥)
لَمْ يَبْقَ مِنْكَ لَهُ رَسْمٌ وَلَا طَلْلُ
وَاللِّزْمَانِ عَلَى إِحْسَانِهِ عِلَلُ^(٦)
وَبَيْنَ بُرْدِيهِ غُضْنٌ نَاعِمٌ خَصِلُ
مِنَ الشَّبَابِ يَوْمٍ وَاحِدٍ بَدَلُ
وَبِالشَّبَابِ شَفِيعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ

(١) حيث : طردت ومنعت . (٢) د ؛ ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « نظر العينين » .

(٣) حماسة ابن الشجري : ٢٣٩ (٤) حاشية الأصل (٥ من نسخة) :

مَا كِدْتُ أَوْفَى شَبَابِي كُنْهَ شِرَّتِهِ حَتَّى مَضَى فَإِذَا الدُّنْيَا لَهَا تَبِعُ

(٥) من أبيات في الأغاني ١٢ : ١٥٢ - ١٥٣ مجموعها ثلاثة عشرة بيتا ؛ وأبيات منها في الورقة :

١١٠ ، وحماسة ابن الشجري : ٢٣٩ . (٦) في حاشيتي الأصل ، ف : « أي للزمان علل على تركه

الإحسان ؛ ويجوز أن يكون المعنى : له مع إحسانه علل » .

ولأبي نواس :

كان الشباب مطية الجهل
 كان الجميل إذا رتديت به^(٢)
 كان البليغ إذا نطقت به
 كان المشفع في مآربه
 والباعث والناس قد هجموا
 والآمري حتى إذا عزمتم
 فالآن صرت إلى مقاربة
 ومحسن الضحكات والمزل^(١)
 ومشيت أخطرت صيت النعل
 وأصاحت الآذان للمملى
 عند الحسان ومدر ك التبلى
 حتى أبيت خليفة البعل
 نفسي أعان على بالفعل
 وحططت عن ظهر الصبا رحلى

قال سيدنا رضى الله عنه : وعلى هذا الكلام طلاوة ومسحة من أعرابية ليستا لغيره .

ولبشار :

الشيب كرهه ، وكرهه أن يفارقني
 يمضى الشباب ويأتي بعده خلف
 أعجب بشيء على البغضاء مودود^(٣)
 والشيب يذهب مفقوداً بمفقود
 وهذا البيت الأخير يروى لسلم بن الوليد الأنصارى .

ومما أحسن فيه مسلم في هذا المعنى قوله :

طرفت عيون الغايات وربما
 / وما الشيب إلا شعرة ، غير أنه^(٥)
 أمان إلى الطرف كل مميل^(٤)
 قليل قذاة العين غير قليل
 [٢٠٥]

(١) ديوانه : ٣١١ . (٢) ديوانه : « كان الجمال » .

(٣) البنتان في حماسه ابن الشجرى : ٢٤٥ ، ونسبهما إلى مسلم .

(٤) البنتان في حماسه ابن الشجرى : ٢٤٢ ، ونسبهما لابن الرومى ؛ وفي حاشيتي الأصل ، ف :

« يقال : فلان مطروف العين فلان ؛ أى يحبه . والمعنى أنه وقم في عينه ، يقال : طرفت عينه بشوكة وبحاشية ثوب ؛ وأصله من طرفته إذا أصبت طرفه ، ورأسه إذا أصبت رأسه » . (٥) الحماسة :

* وما شبت إلا شبيبة غير أنه *

ونه :

أَهْلًا بَوَافِدَةَ لِلسَّيْبِ وَاحِدَةً وَإِنْ تَرَءَتْ بِشَخْصٍ غَيْرِ مُؤَدُّودٍ
لَا أَجْمَعُ الْجِلْمَ وَالصَّهْبَاءَ قَدْ سَكَنْتُ نَفْسِي إِلَى الْمَاءِ عَنِ مَاءِ الْعَنَاقِيدِ
لَمْ يَنْهَنِي كِبَرٌ عَنْهَا وَلَا فَنَدٌ لَكِنْ صَحَّوتُ وَغُصْنِي غَيْرِ مَخْضُودٍ
أَوْفَى بِي الْجِلْمُ وَاقْتَادَ النَّهْيَ طَلَقًا شَأْوِي وَعِفْتُ الصَّبَا مِنْ غَيْرِ تَفْنِيدٍ (١)

وقد أحسن دعبل في قوله يصف الشباب والشيب :

كَانَ كَحَلًّا لَمَّا قَبِهَا فَقَدْ صَارَ بِالسَّيْبِ لِعَيْنَيْهَا قَدَى

ولغيره :

رَأَتْ طَالِعًا لِلسَّيْبِ أَغْفَلَتْ أَمْرَهُ فَلَمْ تَعَاهَدَهُ أَكْفُ الْخَوَاضِبِ (٢)
فَقَالَتْ: أَشَيْبٌ مَا أَرَى؟ قَلْتُ: شَامَةٌ فَقَالَتْ: لَقَدْ شَانَتْكَ بَيْنَ الْحَبَابِ (٣)

ولحمود الوراق - ويروي ل محمد بن حازم (٤) :

أَلَيْسَ عَجِيبًا بَأَنَّ الْفَتَى يُصَابُ بِبَعْضِ الَّذِي فِي يَدَيْهِ
فَمَنْ بَيْنَ بَاكِ لَهُ مُوجَعٌ وَبَيْنَ مُعَزِّ مُغْدٍ إِلَيْهِ
وَيَسْلُبُهُ الشَّيْبُ شُرْخَ الشَّبَابِ فَلَيْسَ يُعْزِيهِ خَلْقٌ عَلَيْهِ (٥)

ولأبي دُلف :

فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرَى بَيْضَاءَ طَالِعَةً كَأَنَّمَا طَلَعَتْ فِي أَسْوَدِ الْبَصْرِ
لَئِنْ قَصَصْتُكَ بِالْمِقْرَاضِ عَنِ بَصْرِي لَمَّا قَصَصْتُكَ عَنِ هَمِّي وَعَنِ فِكْرِي

(١) حاشية الأصل : « يقال عدا طلقا وشأوا إذا عدا عدوا شديدا إلى غاية » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « تعهده » . (٣) حاشية الأصل (من نسخة) « شانتك » .

(٤) في الأصل : « محمد بن أبي حازم » ، وصوابه من ف . (٥) حاشية الأصل : « يقول : عجبت

من الناس يعزى بعضهم بضا على فوت المال ، ولا يعزون على فوت الشباب » .

وليحيي بن خالد بن برمك^(١) - ويروى لغيره :

الليْلُ شَيْبَ والنَّهَارُ كَلَاهَا رَأْسِي بَكَرَةٌ مَا تَدُورُ رَحَاهَا
يَتَنَاهَبَانِ نَفُوسَنَا وَدِمَاءَنَا وَلِحُومَنَا عَمْدًا وَنَحْنُ نَرَاهَا
وَالشَّيْبُ إِحْدَى الْمَيْتَتَيْنِ تَقَدَّمَتْ وَأُولَاهَا وَتَأَخَّرَتْ أَخْرَاهَا

/ وقد أتى الفحلان المبرزان أبو تمام وأبو عبادَةَ في هذا المعنى بكل غريب عجيب . [٢٠٥]

فإن ذلك قول أبي تمام :

غَدَاً الهمُّ مُخْتَطًّا بِفَوْدِي خِطَّةً طَرِيقُ الرَّدَى مِنْهَا إِلَى الْمَوْتِ مَهْمَعٌ^(٢)
هُوَ الزَّوْرُ يُجْفَى ، وَالْمَعَاشِرُ يُجْتَوَى وَذُو الْإِلْفِ يُقْلَى ، وَالْجَدِيدُ يَرْقَعُ
لَهُ مَنَظَرَةٌ فِي الْعَيْنِ أبيضُ ناصِعٌ وَلَكِنَّهُ فِي الْقَلْبِ أَسْوَدٌ أَسْفَعُ
وَنَحْنُ نُرَجِّيه عَلَى الْكِرْهِ وَالرِّضَا وَأَنْفُ الْفَتَى مِنْ وَجْهِهِ وَهُوَ أَجْدَعُ^(٣)

١٠

وله :

شُعْلَةٌ فِي الْمَفَارِقِ اسْتَوْدَعْتَنِي فِي صَمِيمِ الْفُؤَادِ مُكَلًّا صَمِيمًا^(٤)
تَسْتَشِيرُ الهمُومُ مَا اكْتَنَّا مِنْهَا صُعْدًا وَهِيَ تَسْتَشِيرُ الهمُومَا
غُرَّةٌ^(٥) مَرَّةٌ إِلَّا إِنَّمَا كُنْ تَأْغَرًّا أَيَّامَ كُنْتُ بَيْنَهُمَا

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « البرمكي » . (٢) ديوانه : ١٩٠ ، والشهاب : ٦ ؛
وحماسة ابن الشجري : ٢٤١ - ٢٤٢ . وفي م قبل هذا البيت :

لَنْ جَزَعَ الْوَحْشَى مِنْهَا لِرُؤْيِي لِأَنسِيَّهَا مِنْ شَيْبِ رَأْسِي أَجْزَعُ

وفي حماسة ابن الشجري : « غدا الشيب » ، وفي م : « غدا العمر » . وفي حاشية الأصل (من

نسخة) : « إلى النفس مهيم » ، وهي رواية الديوان ؛ ومهيم : واسع .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « يجذع » .

(٤) ديوانه : ٢٩١ ، وحماسة ابن الشجري : ٢٤١ ، والشهاب : ٧ .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « عرة » أي عيب .

دِقَّةٌ فِي الْحَيَاةِ تُدْعَى جَلَالاً مِثْلَ مَا سَمِيَ اللَّدِيعُ سَلِيمًا^(١)
حَلَمْتَنِي - زَعَمْتُمْ - وَأَرَانِي قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيمًا

وله :

كَلِمَةُ الشَّيْبِ بِالْفَارِقِ بِلُجَّةٍ فَابْكِي مُتَمَاضِرًا وَلَعُوبًا^(٢)
خَضِبْتُ خَدَّهَا إِلَى لَوْلُو الْعِقَّةِ بِدَمًّا أَنْ رَأَتْ شَوَاتِي خَضِيبًا
كُلُّ دَاءٍ يُرْجَى الدَّوَاءُ لَهُ إِلَّا لَافِظِيَيْنِ : مِيتَةٌ وَمَشِيبًا
بِأَنْسِيبِ الثُّغَامِ ذَنْبِكَ أَبْقَى حَسَنَاتِي عِنْدَ الْحِسَانِ ذُنُوبًا
وَلَنْ عَيْنَ مَا رَأَيْتَ لَقَدْ أَزْكَرَنَ مُسْتَنْكَرًا وَعَيْنَ مَعِييَا
أَوْتَصَدَّعْنَ عَنْ قَلْبِي لِكُفْيِ بَالِ شَيْبِ بَيْنِي وَيَبْنِي حَسِيبِيَا
لَوْ رَأَى اللَّهُ أَنَّ فِي الشَّيْبِ فُضْلًا جَاوَرَتْهُ الْأَبْرَارُ فِي الْخُلْدِ شَيْبِيَا

قال سيدنا آدم الله علوه : وجدت الأمدى يذكر أن قوما ادَّعوا المناقضة على أبي تمام في هذه الأبيات بقوله :

كَلِمَةُ الشَّيْبِ بِالْفَارِقِ بِلُجَّةٍ فَابْكِي مُتَمَاضِرًا وَلَعُوبًا *
وقوله :

خَضِبْتُ خَدَّهَا إِلَى لَوْلُو الْعِقَّةِ بِدَمًّا أَنْ رَأَتْ شَوَاتِي خَضِيبًا
يَأْنَسِيبُ الثُّغَامِ ذَنْبِكَ أَبْقَى حَسَنَاتِي عِنْدَ الْحِسَانِ ذُنُوبًا

[٢٠٦] / وقوله :

وَلَنْ عَيْنَ مَا رَأَيْتَ لَقَدْ أَزْكَرَنَ مُسْتَنْكَرًا وَعَيْنَ مَعِييَا

(١) حاشية الأصل : «مثل، بنى لإضافته إلى «ما»، ويجوز أن يكون صفة لمحذوف، أي تدعى جلالاً دعوة

مثل تسمية اللديع سليمان». (٢) ديوانه : ٢٥، ٢٦، والشهاب : ٩.

قالوا: كيف يبكين دماً على شبيهه ثم يعبئه !

قال الآمديّ: "وليس هذا يتناقض ؛ لأن الشيب إنما أبكى تُماخر ولعوب أسفاً على شبابه ، والحسان اللواتي عبئه غير هاتين المرأتين ، فيكون من أسفق عليه من الشيب منهن وأسيف على شبابه بكى ؛ كما قال الأخطل :

لَمَّا رَأَتْ بَدَلَ الشَّبَابِ بَكَتْ لَهُ إِنَّ الشَّيْبَ لَأُرْذَلُ الأَبْدَالِ (١)
 ولم يكن هذه حال من عابه . قال : " وهذا مستقيم صحيح " .

قال سيدنا أدام الله علوه : وليس يحتاج في الاعتذار لأبي تمام إلى ما تكلفه الآمديّ ؛ بل المناقضة زائلة عنه على كل حال ، وإن كان من قد بكى شبابه ، وتلف عليه من النساء هُنَّ اللواتي أنكرن شبيهه ، وعبئنه به ، وما المنكر من ذلك ! وكيف يتناقض أن يبكي على شبابه ونزول شبيهه منهن من رأين الشيب ذنباً وعيباً منكراً ! وفي هذا غاية المطابقة ؛ لأنه لا يبكي الشيب ، ويجزع من حلوله وفراق الشباب إلا من رآه منكراً ومعيباً .

وقال أبو تمام :

رَأَحَتْ غَوَانِي الحَيِّ عَنْكَ غَوَانِيَا يَلْبَسْنَ نَائِيَا تَارَةً وَصُدُودَا (٢)
 مِنْ كُلِّ سَابِقَةِ الشَّبَابِ إِذَا بَدَتْ تَرَكَتْ عَمِيدَ القَرَوَيْتَيْنِ عَمِيدَا
 أَرَبَيْنَ بِالرُّدِّ الغَطَارِفِ بُدُنَا غَيْدَا أَلْفَهُمُ لِدَانَا غَيْدَا
 أَحَلَّى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ مَوَاقِمَا مَنْ كَانَ أَشْبَهُهُمْ يَهِنَ خُدُودَا

وقوله : « أَرَبَيْنَ بِالرُّدِّ » من أرب بالشىء إذا لزمه ، وأقام عليه ، يقال : أرب وألب بالمكان إذا لزمه : يريد أنهم آرمين هوى الرُّدِّ وأقمن عليهم . ورواه قوم « أَرَبَيْنَ بِالرُّدِّ » من الرُّبَا الذى معناه الزيادة ، يقال : قد أربى الرجل إذا ازداد ؛ فيقول : أربين بالرُّدِّ ، أى زِدْنِ علينا بهم ، وجعلن للرُّدِّ زيادةً اخترنها علينا (٣) .

(٣) انظر الشهاب : ١٠ .

(٢) ديوانه : ٨٧ - ٨٨ .

(١) ديوانه ١٥٨

ويقال (١): إنه أخذ قوله:

* أحلى الرجال من النساء موقعا * . . . البيت

من قول الأعشى :

وأرى الغواني لا يواصلن امرأً فقدم الشباب وقد يصلن الأمرداً (٢)

/ولنصور النمري مثله :

[٢٠٦]

كرهن من الشيب الذي لو رأينه بهن رأين الطرف عنهن أزورا
ونحوه قول الآخر :

أرى شيب الرجال من الغواني كوقع مشيهن من الرجال

وقال أبو تمام:

شاب رأسي وما رأيت مشيباً إلا رَأْسَ إِيَّاهِ مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الْفُؤَادِ (٣)

١٠

وَكَذَلِكَ الْقُلُوبُ فِي كُلِّ بُوْسٍ وَنَعِيمٍ طَلَّعُ الْأَجْسَادِ

طَالَ إِنْكَارِي الْبَيَاضَ وَإِنْ رَتُّ شَيْبًا أَنْكَرْتُ لَوْنَ السَّوَادِ (٤)

زَادَنِي شَخْصُهُ بِطَلْعَةِ ضَيْمٍ عَمَّرَتْ مَجْلِسِي مِنَ الْعَوَادِ

نَالَ رَأْسِي مِنْ ثَغْرَةٍ لَمَّا لَمْ يَنْلَهُ مِنْ ثَغْرَةِ الْمِيلَادِ (٥)

١٥ ومعنى هذا البيت الأخير أن «الثغر» هي الفرجة والثلمة تكون في الشيء؛ ولذلك سُمِّيَ

كل بلد جاور عدواً ثغراً؛ كأن معناه مكشوف للعدو. ويجوز أن يكون أصله من ثغر الإنسان،

لأنه أول ما يقابلك من أسنانه، وأول ما يظهر عند الكلام، وأول ما يسقط فيرى مثلوماً،

فيشبه الثغر الذي هو البلد؛ يقال اثغر الصبي واثغر؛ وتسمى تلك الفرجة في موضع

(١) الموازنة: ٣٠. (٢) ديوانه: ١٥١؛ والرواية: «وأرى الغواني».

(٣) ديوانه: ٧٥. (٤) حاشية الأصل (من نسخة): «ولوعمرت شيئاً» أي تعميراً،

وهي رواية الديوان. (٥) حاشية الأصل: يروي: «من ثغرة المهم مالم * تشتمة».

السن تُغرة وفي كل موضع منفرج ؛ ومنه ثغرة الذَّحْر .

وأراد بقوله :

* نال رأسي من ثغرة الهم لَمَّا *

أى وجد الشيبُ من الهم فرجة دخل على رأسي منها ؛ لأن الهمَّ يُشيب لا محالة .

وقوله :

* مالم ينلّه من ثغرة الميلاد *

أراد بثغرة الميلاد الوقت الذى يهجم عليه فيه الشيب من عمره ؛ لأنه يجد السيل في ذلك

الوقت إلى الحلول برأسه ؛ فجعله ثغرة من هذا الوجه ؛ فأراد أن الشيب حلّ برأسه من جهة همومه وأحزانه لَمَّا لم يبلغ السن التى تُوجب حلوله به من حيث كبره .

١٠

ورأيت الأمدى يطعن على قوله :

* عمرت مجلسى من العواد *

ويقول : " لاحقيقة لذلك ولا معنى ، لأنا مارأينا ولا سمعنا أحدا / جاءه عوادٌ يعودونه من [٢٠٧

المشيب ؛ ولا أن أحدا أمرضه الشيب ، ولا عزّاه المعزون عن الشباب " ؛ وهذا من الأمدى
قلة نقد للشعر وضعف بصيرة بدقيق معانيه التى يغوص عليها حذاقُ الشعراء ؛ ولم يرد أبو تمام

١٥

بقوله :

* عمرت مجلسى من العواد *

القيادة الحقيقية التى يغشى فيها العواد مجالس المرضى وذوى الأوجاع ، وإنما هذه استعارة

وتشبيه وإشارة إلى الغرض خفية ؛ فكأنه أراد أن شخص الشيب لما زارنى كثير المتوجعون

لى ، والمتأسفون على شبابى ، والمتوحشون^(١) من مفارقتة ؛ فكأنهم فى مجلسى عواد لى ، لأن

٢٠

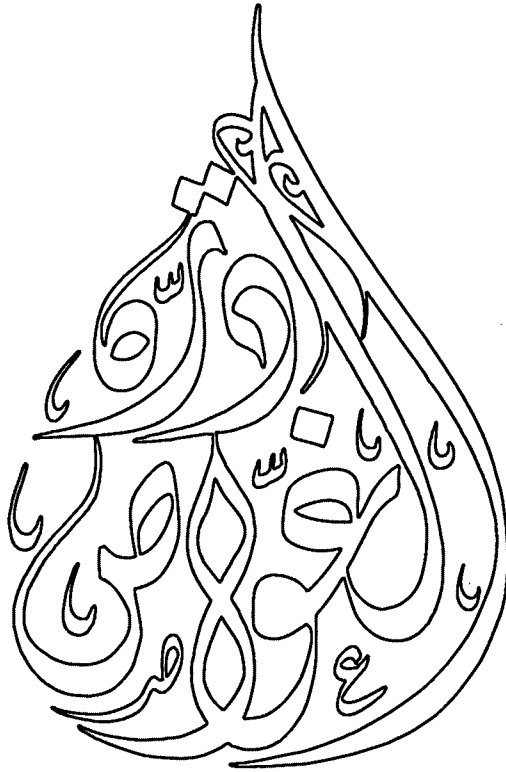
من شأن العائد للمريض أن يتوجع ويتفجع .

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « والمتفجعون » .

وكنى بقوله :

* عمرت مجلسي من العواد *

عن كثرة من تفجع له وتوجع من مشيبه؛ وهذا من أبي تمام كلام في نهاية البلاغة والحسن؛
وما الميب إلا من عابه وطمن عليه ؛ ونحن نذكر في المجلس الآتي بمشيئة الله ما للبحترى
في هذا المعنى إن شاء الله .



مَجْلِسُ آخِرِ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ [النحل : ١٠] .

فقال : إذا كان الشجر ليس بيمضٍ للماء كما كان الشراب بعمضاله ؛ فكيف جاز أن يقول :

﴿ وَمِنْهُ شَجَرٌ ﴾ بمد قوله : ﴿ مِنْهُ شَرَابٌ ﴾ ؟ وما معنى ﴿ تُسِيمُونَ ﴾ ؟ وهل الفائدة في هذه

اللفظة هي الفائدة في قوله : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ [آل عمران : ١٤] ، وقوله : ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِنْ سَجِيلٍ مَنْضُودٍ . مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ [هود : ٨٢ ، ٨٣] ؟ .

الحواب ، قلنا في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُ شَجَرٌ ﴾ وجهان :

أحدهما أن يكون المراد منه سقى شجرٍ ، وشرب شجرٍ ؛ فحذف المضاف ، وأقام المضاف

إليه مقامه ؛ وذلك كثير في لغة العرب ، ومثله قوله تعالى : ﴿ وَأُثْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾

١٠

[البقرة : ٩٣] ، أى حبَّ العجل .

والوجه الآخر أن يكون المراد : ومن جهة الماء شجر ، ومن سقيه وإنباته شجر ؛ فحذف

الأول وخلفه الثاني ؛ كما قال عوف بن الخريز :

أَمِنْ آلِ لَيْلَى عَرَفَتَ الدِّيَارَا بِجَنْبِ الشَّقِيقِ خَلَاءَ قَفَارَا^(١)

أراد : من ناحية آل ليلي .

(١) الفضليات ٤١٢ (طبعة المعارف) ، والرواية هناك :

أَمِنْ آلِ مَيِّ عَرَفَتَ الدِّيَارَا بِحَيْثِ الشَّقِيقِ خَلَاءَ قَفَارَا

والشقيق : ماء لبني أسيد بن عمرو بن تميم .

وقال زهير :

[٢٠٧] / أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةَ الدَّرَاجِ فَالْتَشَلَّمُ^(١) ظ
أراد : من ناحية أم أوفى .

وقال أبو ذؤيب :

٥ أَمِنْكَ الْبَرْقُ أَرْقُبُهُ فَهَاجَا فَيَتُ إِخَالَهُ دُهُمًا خِلَاجًا^(٢)

وقال أيضاً :

أَمِنْكَ بَرْقُ أَيْبِتُ اللَّيْلَ أَرْقُبُهُ كَأَنَّهُ فِي عِرَاضِ الشَّامِ مِصْبَاحُ^(٣)

وقال الجهمدي :

لِمَنْ الدِّيَارُ عَفْوُونَ بِالْتَهْطَالِ بَقِيْتُ عَلَى حِجَجٍ خَلَوْنَ طِوَالَ

١٠ أراد بقيت على مرّ حجج، وتكرار حجج .

فأما قوله تعالى : ﴿ فِيهِ تَسْمُونَ ﴾ فمعناه ترعون ، وترسلون أنعامكم ؛ يقال : أسام الإبل يُسِمُنا إِسَامَةً ؛ إذا أرهاها وأطلقها فرعت منصرفه حيث شاءت ؛ وسومها أيضا يُسَوِّمُها من ذلك ؛ وسامت هي إذا رعت ؛ فهي تسوم ، وهي إبل سائمة ؛ ويقال : سمتها إذا قصرتها على مرعى بعينه ؛ وسمتها الحسف ؛ إذا تركتها على غير مرعى ؛ ومنه قيل لمن أذلّ واهتضم : سيم فلان الحسف ؛ وسيم خُطَّةُ الضَّيْمِ ؛ قال السكيت بن زيد في الإسماء التي هي الإطلاق في الرعى^(٤) :

(١) أول المعلقة ، ديوانه : ٤ . الدمنة آثار الناس وما سودوا من الرماد وغيره . ولم تبين : لم

تسكلم . وحومانة الدراج والمثلث : موضحان .

(٢) ديوان الهذليين ١ : ١٦٤ ؛ وفي حاشيتي الأصل ، ف : « شبه السحاب بإبل سود ، وصوت الرعد

بحنينها ؛ ولم يذكر السحاب إلا أن البرق دل عليه ، وخلاج : جمع خلوج ؛ وهي الناقة التي خليج ولدها ؛ وهو فعول في معنى مفعول ، كالركوب والحلوب . »

(٣) ديوان الهذليين ١ : ٤٧ ، واللسان (عرض) ؛ وعراض الشام نواحيه ؛ الواحد عرض .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « المرعى » .

رَاعِيَا كَانَ مُسْجِحًا فَفَقَدْنَا هُوَ وَقَفَدُ الْمُسِيمُ هُلْكَ السَّوَامِ (١)

وقال آخر :

وَأَسْكُنُ مَا سَكَنْتَ بِبَطْنِ وَاِدٍ وَأُظْعَنُ إِنْ ظَعَنْتَ فَلَا أُسِيمُ (٢)

وذهب قوم إلى أنَّ السَّوَمَ في البيع من هذا ؛ لأن كل واحدٍ من المتبايعين يذهب فيما

يبيعه من زيادة ثمن أو نقصانه إلى ما يهواه ، كما تذهب سوائم المواشى حيث شاءت .

وقد جاء في الحديث : « لا سووم قبل طلوع الشمس » فحمله قوم على أن الإبل وغيرها

لا تُسام قبل طلوع الشمس ؛ لئلا تنتشر وتفوت الراعى ويخفى عليه مقاصدها .

وحمله آخرون على أنَّ السووم قبل طلوع الشمس في البيوع مكروهة ، لأن السَّلْمَةَ المبيعة

[٢٠٨]

تستتر عيوبها أو بعضها ، فيدخل ذلك / في بيوع الغرر المنهية عنها .

فأما الخيل المسوومة ، فقد قيل : إنها الملمة بعلامات ؛ مأخوذ من السِّياء وهي العلامة . ١٠

وروى عن الحسن البصرى في قوله تعالى : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ قال : سووم نواصبها

وأذناها بالصوف .

وقيل أيضا : إن المسوومة هي الحسان .

وروى عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ قال : هي المطهّمة الحسان .

وقال آخرون : بل هي الراعية ؛ روى ذلك عن سعيد بن جبير ؛ وكلُّ يرجع إلى ١٥

أصل واحد ، وهو معنى العلامة ، لأن تحسين الخيل يجرى مجرى العلامة فيها ؛ التي تُعرف

بها وتتميز لمكانها ؛ وقد قيل : إن السَّوَمَ من الرَّعَى يرجع إلى هذا المعنى أيضا ، لأن الراعى

يجعل في المواضع التي يرعاها علامات أو كالملاحظات بما يزيله من نباتها ، ويمحوه من آثارها ؛

فكأن الأصل في الكلِّ متفق غير مختلف .

(١) مسجحا: رقيقا سهلا ، وفي م : « مسيما » (٢) د ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « ماظنت » .

وقال لبيد في التسويم الذي هو التعليم:

وَعْدَاءُ قَاعِ الْقَرَنَيْنِ أَتَيْنَهُمْ رَهْوَاً يَلُوْحُ خِلَالَهَا التَّسْوِيمُ^(١)

أراد التعليم .

وأما قوله في الملائكة: ﴿ مُسَوِّمِينَ ﴾؛ فالمراد به المعلمين، وكذلك قوله تعالى: ﴿ حِجَارَةٌ

٥ مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ . مُسَوِّمَةٌ ﴾ أى مُعَلِّمَةٌ؛ وقيل: إنه كان عليها كأمثال الخواتيم .

قال سيدنا أدام الله علوه: ونعود إلى ما كنا وعدنا به من ذكر ماللبحتري في ذمّ الشيب

والتأم من فقد الشباب؛ فمن ذلك قوله^(٢):

وَكُنْتُ أَرْجِي فِي الشَّبَابِ شِفَاعَةَ فَكَيْفَ لِبَاغِي حَاجَةٌ بِشَفِيعِهِ^(٣)

مَشِيبٌ كُنْتُ السَّرَّ عَمِّي بِجَمَلِهِ مُحَدِّثُهُ ، أَوْضَاقَ صَدْرِي مُذِيعِهِ^(٤)

١٠ تَلَاْحَقَ حَتَّى كَادَ يَأْتِي بِطَيْئِهِ لِحَثِّ اللَّيَالِي قَبْلَ أَتَى سَرِيعِهِ

وما أحسن هذا من كلام! وأبلغه وأطبعه^(٥)!

(١) ديوانه: ١٠٤: ١ . وفي حاشية الأصل: « بعد هذا البيت :

بِكِتَابِ رُجْحٍ تَعُوْدُ كِبْشُهَا نَطْحَ الْكِبَاشِ كَأَمْنٍ نَجْمُومُ

والقرنتان: موضع، ورها في السير رهوا أى رفق، قال القضاى:

يَمْسِينِ رَهْوَاً، فَلَا الْأَعْجَازَ خَاذِلَةً وَلَا الصَّدُورَ عَلَى الْأَعْجَازِ تَتَكَلَّمُ

(٢) ديوانه ٢: ٩٠، والشهاب: ١٣، وفي حاشيتى الأصل، ف: « يقول: كنت أرجى أن

يكون الشباب شفيعى. ويجوز أن يكون المعنى: كنت أرجى في شبان شفاعته إلى الحسان من طراوتى وحسنى .

(٣) فى حاشيتى الأصل، ف: « يعنى أنه جد محتاج إلى الشفيعى؛ ولـكنه ولى وذهب .

(٤) من نسخة بحاشيتى الأصل، ف: « كبت السر . وفيهما أيضا: « أى أنه كان كالسر تبرم

به صاحبه فأفشاه . (٥) ذكر المرتضى فى الشهاب تعليقا على هذه الآيات: « وهذا والله أبلغ

كلام وأحسنه وأحلاه وأسلمه وأجمعه لحسن اللفظ وجوده المعنى؛ وما أحسن ماشبه تسكاتر الشيب وتلاحقه

بيت السر عن ضيق صدر صاحبه وإعيائه بجماله ومعجزه عن طيه! ويشبه بعض الشبه قوله:

= * تَلَاْحَقَ حَتَّى كَادَ يَأْتِي بِطَيْئِهِ *

وقال أيضاً :

رُدِّيَ عَلَى الصَّبَا إِنْ كُنْتَ فَاعِلَةً
جَاوَزْتُ حَدَّ الشَّبَابِ النَّضْرَ مُلْتَفِتًا
/ وَالشَّيْبُ مَهْرَبٌ مَنْ جَارَى مَنِيبَتَهُ
وَالْمَرْءُ لَوْ كَانَتْ الشُّعْرَى لَهُ وَطَنًا

إِنَّ الصَّبَا لَيْسَ مِنْ شَانِي وَلَا أَرِي (١)
إِلَى بَنَاتِ الصَّبَا يَرُكُضْنَ فِي طَلْبِي (٢)
وَلَا نَجَاءَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَهْرَبِ [٢٠٨] ظ
صُبَّتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ كَثَبِ (٣) ٥

وقال أيضاً :

لَا بَسٌ مِنْ شَبِيبَةٍ أَمْ نَاضٍ
وَإِذَا مَا امْتَعَضْتُ مِنْ وَلَعِ الشَّيْبِ
لَيْسَ يَرْضَى عَنِ الزَّمَانِ مَرَوٍ
وَالْبَوَاقِي مِنَ اللَّيَالِي وَإِنْ خَا
نَا كَرَّتْ لِمَتِّي وَنَا كَرَّتْ مِنْهَا

وَمُلِيحٌ مِنْ شَبِيبَةٍ أَمْ رَاضِي (٤)
بِ بَرَأْسِي لَمْ يَنْ ذَاكَ امْتِعَاضِي (٥)
فِيهِ إِلَّا عَنْ غَفْلَةٍ أَوْ تَغَاضٍ (٧)
لَفَنَ شَيْئًا فَمَشَبَهَاتُ الْمَوَاضِي (٦) ١٠
سُوءَ هَذِي الْأَبْدَالِ وَالْأَعْوَاضِ

= قولي من أبيات :

سَبَقَ احْتِرَاسِي مِنْ أَذَاهُ بَطِيئُهُ
وَفِي الْبَيْتِ لِحْجَةٌ بَعِيدَةٌ مِنْ بَيْتِ الْبَجْتَرِيِّ وَلَيْسَ بِنَظِيرِهِ عَلَى التَّحْقِيقِ ؛ وَمَعْنَى الْبَيْتِ الَّذِي يُخَصِّنِي أَدْخَلَ فِي
الصَّحَّةِ وَالتَّحْقِيقِ ؛ لِأَنَّي خَبَرْتُ أَنَّ بَطِيئَةَ الشَّيْبِ سَبَقَ وَغَلَبَ احْتِرَاسِي وَحَذَرِي ؛ فَكَيْفَ مَجْزُولُهُ ! وَمَنْ
سَبَقَهُ الْبَطِيئَةُ كَيْفَ لَا يَسْبِقُهُ السَّرِيعُ ! وَالْبَجْتَرِيُّ قَالَ : إِنَّ الْبَطِيئَةَ كَادَ أَنْ يَسْبِقَ السَّرِيعَ ؛ وَهَذَا عَلَى ظَاهِرِهِ
لَا يَصِحُّ ؛ لِأَنَّهُ يَجْهَلُ الْبَطِيئَةَ هُوَ السَّرِيعُ ؛ بَلْ أَسْرَعُ مِنْهُ ؛ لَكِنَّ الْمَعْنَى : أَنَّهُ مُتَدَاوِلٌ مُتَوَاتِرٌ فَيَكَادُ الْبَطِيئَةُ
لَهُ يَسْبِقُ السَّرِيعَ ؛ وَهَذَا فِي غَايَةِ الْمَلَاخَةِ .

(١) ديوانه : ١٦٩ ، ٢٩ ، ٣٠ ، والشهاب : ١٤ . (٢) حاشية الأصل : « في نسخة س :
قرأت في شعره على شيخني : إلى بنات الردى » . (٣) د ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) :
« من صبب » أي حدور ؛ وهو الموضع الذي يتحدر فيه . وفي م : « ويروي : حطت عليه صروف
الدهر من كشب » .

(٤) ناض : خالع ، ومايج : مشفق ؛ يخاطب نفسه فيقول : الألبس أنت برد الشباب أم خالعه ؟

(٥) في م : « لم يكن ذلك » وفي الديوان : « لم يعد » . (٦) مرو : مفكر .

(٧) د ؛ ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « مشبهات » ؛ وفي حاشية الأصل : « ويروي : شبيه

بالمواضي وهو أحسن . قال س : فمشبهات ، لأبأس به ، والذي حسن الفاء طول الكلام وإن الشرطية فيه » .

شَعْرَاتٌ أَقْصَهُنَّ وَيَرَجُهُ نَ رُجُوعِ السَّهَامِ فِي الْأَغْرَاضِ (١)
وَأَبَتْ تَرَكَى الْغُدَيَّاتُ وَالْآ صَالُ حَتَّى خَضَبْتُ بِالْمَقْرَاضِ (٢)
غَيْرَ نَفْعٍ إِلَّا التَّمَلُّلَ مِنْ شَخْ صِ عَدُوٍّ لَمْ يَعِدْهُ إِبْغَاضِي
وَرُؤَاءُ الْمَشِيبِ كَالْبَخْصِ فِي عِي سِنِي قَتْلُ فِيهِ فِي الْعِيُونِ الْمِرَاضِ (٣)
طَبْتُ نَفْسًا عَنِ الشَّبَابِ وَمَا سَ دَ مِنْ صِبْغٍ بُرْدِهِ الْفَضْفَاضِ
فَهَلِ الْحَادِثَاتُ يَا بَنَ عُوَيْفٍ تَارِكَاتِي وَلُبْسَ هَذَا الْبِيَاضِ !
وقال أيضاً :

تَعِيبُ الْغَايَاتُ عَلَيَّ شَيْبِي وَمَنْ لِي أَنْ أَمْتَعَ بِالْمَعِيبِ ! (٤)
وَوَجْدِي بِالشَّبَابِ وَإِنْ تَوَلَّى حَمِيداً دُونَ وَجْدِي بِالْمَشِيبِ
وقال أيضاً :

أَرَأَيْتَهُ مِنْ بَعْدِ جَثَلٍ فَاحِمٍ جَوْنَ الْمَفَارِقِ بِالنَّهَارِ خَضِيباً (٥)
فَعَجَبْتُ مِنْ حَالَيْنِ خَالَفَ فِيهِمَا صَرَفَ الزَّمَانَ وَمَا رَأَيْتَ عَجِيباً

(١) حاشية الأصل : « من شأن الغرض أن تنزع السهام منه ثم تعود إليه في الحال » .
(٢) قال المرتضى في الشهاب تعليقا على هذا البيت والذي قبله : « قوله : خضبت بالمقراض في غاية الملاحه والرشاقه . ومعنى قوله : رجوع السهام في الأغراض أنه لا يملك ردا لطلوع الشيب في شعره ولا تلافيا لحلوله ، فيجرى في ذلك مجرى رجوع السهام إلى الغرض في أنه لا يملك مرسل السهم صده عنه ولا رده عن إصابته . ويمكن في ذلك وجه آخر ؛ وإن كان الأول أشرف ؛ وهو أن يريد بالأغراض المغانل والمواضع الشريفة من الأعضاء ؛ فسكائه يشبه رجوع الشيب بعد قصه له وطلوعه في شدة إيلامه وإجماعه بإصابة السهام للمغانل والفرائص . ويحتمل وجهها آخر ؛ وهو أن السهام تنزع من الأغراض ، ثم ترجع بالرمي إليها أبداً ، فأشبهت في ذلك الشيب في قصه ثم طلوعه ورجوعه إلى موضعه » .

(٣) حاشية الأصل : الرؤاء يهمز ولا يهمز ؛ فإذا لم يهمز كان من الرى وإذا همز كان من الرؤية .
والبخص : لحم ناتي فوق العينين أو تحتها كهيئة النفخة . وفي حاشية الأصل أيضا : « مثله لابن الرومي :

إِذَا سَنَنْتَ عَيْنَ الْفَتَى عَيْبَ نَفْسِهِ فَعَيْنُ سِوَاهُ بِالشَّنَاءِ أَجْدَرُ

(٤) ديوانه : ٢ : ٨٤ .

(٥) ديوانه : ١ : ٧٥ . الجثل من الشعر : السكثير . والجون هنا : الأسود ؛ وهو من الأضداد ، يطلق على الأسود والأبيض . وفي حاشية الأصل : « جمل النهار خضابا لأنه شيء قدشاع وتمرن عليه » .

[٢٠٦] / إِنْ الزَّمَانَ إِذَا تَتَابَعَ خَطْوُهُ
سَبَقَ الطَّلُوبَ وَأَدْرَكَ المَطْلُوبَا
وقال أيضاً :

رَأَتْ فَلتَاتِ الشَّيْبِ فابْتَسَمَتْ لَهَا
أَعَاتِكُ مَا كَانَ الشَّبَابُ مُقَرَّبِي
وَقَالَتْ : نُجُومٌ لَوْ طَلَعْنَ بِأَسْعَدِ (١)
إِلَيْكَ ، فَأَلْحَى الشَّيْبَ إِذْ كَانَ مُبْعِدِي

وقال أيضاً :

عَمَّتْ كَبِدِي قَسْوَةً مِنْكَ مَا إِنْ
وُحِمَّتْ عِنْدَكَ (٣) ذَنْبَ الشَّيْبِ
تَزَالُ تُجَدِّدُ فِيهَا نُدُوبًا (٢)
بِحَتَّى كَأَنِّي ابْتَدَعْتُ المَشِيْبَا
وَمَنْ يَطَّلِعُ شَرَفَ الأَرْبَعِينَ
يُحْيِي مِنَ الشَّيْبِ شَخْصًا (٤) غَرِيْبَا

قال المرتضى رضى الله عنه : ولى فى هذا المعنى :

١٠ قُلْنَ لَمَّا رَأَيْنَ وَخَطَأً مِنَ الشَّيْبِ
كَسْنَا بَارِقٍ تَعَرَّضَ وَهْنَا
بِرَأْسِي أَعْيَا عَلَى مَجْهُودِي
فِي حَوَائِثِي بَعْضَ النَّالِيَالِي السُّودِ
أَبْيَاضٌ مُجَدِّدٌ مِنْ سَوَادِ
كَانَ قَدِيمًا ! لِأَمْرٍ حَبَابًا بِالجَدِيدِ
يَالْحَا كُنَّ مِنْ رَمَا كُنَّ بِالْحُسِّ
نِ لَتَتَهَرَّنَا بِنِيرِ جُنُودِ
لَيْسَ بِيضِي مَنِي فَأَجْزَى عَلَيْهِنَّ
صُدُودًا أَوْ لَيْسَ فَيَكُنَّ سُودِي
١٥ قَلَّ مَاضِرَّ كُنَّ مِنْ شَعْرَاتِ
كُنَّ يَوْمًا عَلَى الوَقَارِ شُهُودِي

وقال اليجترى أيضاً :

خَلِيَّاهُ وَجِدَّةَ اللّهُوَ مَا دَا
مَ رِدَاءُ الشَّبَابِ غَضًّا جَدِيدًا

(١) الشهاب : ١٧ . (٢) ديرانه ١ : ٥١ ، والشهاب : ١٨ عنت : قصدت

والندوب : آثار المراحات . وفى حاشية الأصل : « نسخة ج : ما تزال هو حسن ؛ لتكون عروض البيت محذوفة ؛ والفصيحة بأسرها محذوفة العروض لإلايت المصرع فى أزلها ؛ وإذا روعيت : « ما إن تزال » فالعروض سالمة ، فقولن « .

(٣) حاشية الأصل : « س : روى « حملت عبدك » ؛ كأنه تصحيف ، ولكنه حسن .

(٤) فى حاشيتى الأصل ، ف : « بروى : زورا » . (١) ديوانه ١ : ١٨٢ ، الشهاب : ١٩ .

إِنَّ أَيَّامَهُ مِنَ الْبَيْضِ بَيْضٌ مَرَّأَيْنَ الْمَفَارِقِ السُّودَ سُودًا

وقال أيضاً :

تَرَكَ السُّودَ لِلْإِسِيهِ وَبَيْضًا
وَشَاهَ أُعْيِدُ فِي تَصْرِفٍ لِحَظِهِ
وَكَأَنَّهُ وَجَدَ الصَّبَا وَجَدِيدَهُ
أَسْيَانُ أَثْرَى مِنْ جَوَى وَصَبَابَةٍ

وَنَضًا مِنْ السِّتِينَ عَنْهُ مَا نَضًا^(١)
مَرَضٌ أَعْلَبَ بِهِ الْقُلُوبَ وَأَمْرَضًا^(٢)
دَيْنًا دَنَا مِيقَاتُهُ أَنْ يُفْتَضَى
وَأَسَافَ مِنْ وَصْلِ الْحِسَانِ وَأَنْفَضًا^(٣)

٥

وقال أيضاً :

هَلْ أَنْتَ صَارِفٌ شَيْبَةٍ إِنْ غَلَّسَتْ
جَاءَتْ مُتَمَدِّمَةً أَمَامَ طَوَّالِعِ
وَأَخُو الْغَيْبَةِ تَاجِرٌ فِي لَمَّةٍ
لَا تَكْذِبَنَّ فَمَا الصَّبَا بِمُخْلَفِ

فِي الْوَقْتِ أَوْ عَجَلَتْ عَنِ الْمِعَادِ^(٤)
هَذِي تَرَاوِحُنِي وَتِلْكَ تُعَادِي
يَشْرِي جَدِيدَ بِيَاضِهَا بِسَوَادِ^(٥)
لَهُوًّا وَلَا زَمَنُ الصَّبَا بِمِعَادِ

١٠

(١) ديوانه ٢ : ٧٠ ، الشهاب : ١٩ . وفي حاشية الأصل : « أي خلع إتيان السنين عليه
المسرة والنشاط » . (٢) شاه : غلبه ، وفم : « سباه » . (٣) من نسخة بمحاشيتي الأصل ،
ف : « أسوان » ، وهو الحزين ، وأساف الرجل : ذهب ماله ، وكذلك أنفض ، والمراد هنا أنه ذهب من يده
ومل الحسان وميلهن إليه . (٤) ديوانه ١ : ١٤٤ ، الشهاب ٢٠ - ٢١ .
(٥) قال الرضي في الشهاب تعليقا على هذا البيت : ووجدت الآدمي قد نزل في معنى قوله :

* يَشْرِي جَدِيدَ بِيَاضِهَا بِسَوَادِ *

لأنه قال : معنى يشري يبيع ؛ وأراد : أن الغين من باع جديد بياضه بالسواد ، وأراد بالسواد الحضاب ؛
فكانه ذم الحضاب . والأمر بخلاف ما ذكره ، وما جرى للحضاب ذكر ، ولاها هنا موضع للكناية عنه ؛
ومعنى : « يشري » هاهنا يبتاع ؛ لأن قولهم : شريت يستعمل في البائع والبتاع جميعا ؛ وهذا من الأضداد ،
نص أهل اللغة على هذا في كتبهم ؛ فكانه شهد بالغين لمن يبتاع الشيب بالشباب ويتعوض عنه به ؛ وإنما
ذهب على الآدمي أن لفظة « يشري » تقع على الأمرين المضادين ؛ فتمجّل ذكر الحضاب الذي لامعني له
هاهنا .

وَأَرَى الشَّبَابَ عَلَى غَضَارَةِ حُسْنِهِ وَكَأَلِهِ عَدَدًا مِنَ الْأَعْدَادِ (١)

[٢٠٩]

/ وقال أيضا :

أَيْتَنَّى الشَّبَابُ أَمْ مَا تَوَلَّى مِنْهُ فِي الدَّهْرِ دَوْلَةٌ مَا تَعْوَدُ (٢)
لَا أَرَى الْعَيْشَ وَالْمَفَارِقُ بَيْضُ أُسْوَةَ الْعَيْشِ وَالْمَفَارِقُ سُودُ
وَأَعُدُّ الشَّقِيَّ جَدًّا وَلَوْ أَعُ طَى غُنْمًا حَتَّى يُقَالَ سَمِيدُ
مَنْ عَدَّتْهُ الْعِيُونَ وَأَنْصَرَفَتْ عَنْهُ الْتِفَاتًا إِلَى سِوَاهِ الْخُدُودُ

وقال أيضا :

قَدْ كَرِهْتُ مَنِيَّ فَمَا جَرَى السَّقْمُ إِلَّا فِي ضُلُوعٍ عَلَى جَوَى الْحَبِّ تُحَنِّي (٣)
لَوْرَاتُ حَادِثِ الْخِضَابِ لِأَنْتَ وَأَرَنْتَ مِنْ احْمَرِّ الْبِرْنَا (٤)
كَلَّفَ الْبَيْضَ بِالْمُعَمَّرِ قَدْرًا حِينَ يَكْلِفُنَ وَالْمَصْفَرِّ سِنًّا (٥)
يَتَشَاغَفُنَ بِالْغَرِيرِ الْمُسَمَّى مِنْ تَصَابِ دُونَ الْجَلِيلِ الْمَكْتَى (٦)

(١) قال المرتضى في الشهاب أيضا : « وقال الأمدى في قوله : عددا من الأعداد » أنه أراد : عددا قليلا ؛ وقد أصاب في ذلك ؛ إلا أنه ما ذكر شاهده ووجهه ؛ والعرب تقول في الشيء القليل إنه معدود ؛ لذا أرادوا الإخبار عن قلته ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ وقال جـل اسمه في موضع آخر : ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ﴾ وأظنهم ذهبوا في وصف القليل بأنه معدود من حيث كان العد والحصر لا يقع إلا على القليل والكثير ؛ ولكن كثرت له لا ينضب ولا ينحصر . (٢) ديوانه ١ : ٢٠٨ ، الشهاب : ١٨ ؛ وبرده : جمع برد ؛ وهو كساء مربع مخطط . (٣) ديوانه ٢ : ٢٩٠ ، الشهاب : ١٩ . (٤) البرنا ، بضم الباء وفتحها ، مقصورة مشددة النون ، والبرناء ، بالضم والمد : الحناء ؛ ويرنأ صبغ به ، كحنأ ؛ وهو من غريب الأفعال . (٥) في حاشية الأصل ف : السكاف : الحبة ؛ وهذا كما قال أبو الشيس :

شيثان لاتصبو النساءُ إليهما حَلَلُ الشَّيْبِ وَحَلَّةُ الْإِنْفَاضِ

(٦) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « الكبير » .

وقال أيضاً :

أخىَّ إنَّ الصِّبَا استمرَّ به سيرُ الليالي فأهَجَّتْ بُرْدُهُ (١)
تَصَدُّ عَنِّي الحِسانُ مُبِعِدَةً إذْ أنا لأقْرُبُهُ ولا صَدَدُهُ
شَيْبٌ على المَفرقينَ بارِضُهُ يَكْثُرُنِي أنْ أبنِيهُ عَدَدُهُ (٢)
تَطْلُبُ مِنِّي الشَّبَابَ ظالِمَةً بُعِيدَ خَمْسِينَ حينَ لا تَجِدُهُ
لا عَجَبٌ إنْ مَلِيتِ خُلَّتَنَا فافْتَمَدَ الوصلَ مِنكَ مُفْتَقِدُهُ
مَنْ يَتَطَاوَلُ على مُطَاوَلَةٍ أَلِ مِيشَ تُفَعِّعُ مَنْ مَلَّةٍ عَمَدُهُ

قال سيدنا أدام الله تمكينه : ورأيت الآمدى قد أخطأ في معنى البيت الأخير ، لأنه قال : "معنى «تَفَعَّعَ مِنْ مَلَّةٍ عَمَدُهُ» أى عظامه ، يحيى لها صوت إذا قام وقعد من كِبَرِهِ وضعفه"
١٠ قال : "وقوله : « من مَلَّة » أى من تملَّى العيش ؛ يريد طولَه ودوامه ؛ ومنه تَمَلَّيتَ حَبِيبَكَ" والأمر بخلاف مانوهمه ، ومعنى «تَفَعَّعَ مِنْ مَلَّةٍ عَمَدُهُ» أن مَنْ تَطَاوَلَ عَمْرُهُ تَعَجَّلَ [٢١٠] تَرَحَّلَهُ وانتقاله عن الدنيا ؛ وكفى عن ذلك / بتفقع العمدة ؛ وهذا مثل معروف للعرب ، يقولون : « مَنْ يَتَجَمَّعُ يَتَفَعَّعُ عَمَدَهُ » ؛ يريدون أن التجمُّع داعى التفرق ؛ وأن الاجتماع يمتب طرف ويورث ما يدعو إلى الانتقال الذى يتفقع معه العمدة .

والآمدى على كثرة ما يدعيه من التنقيب والتنقيب على علوم العرب إن كان لم يعرف
١٥ هذا المثل ومعناه فهو طريف ، وإن كان قد سمعه وجهل أن معنى بيت البحترى يطابقه فهو أطرف .

فأما قوله : « من مَلَّة » فإنما أراد به من مَلَّل ؛ ومَلَّة « فَعْمَلَةٌ » من المَلَّل ، وكيف يكون

(١) ديوانه : ١ : ١٤٥ ، الشهاب : ٢٠ . (٢) حاشية الأصل : « البارض : النبات أول

ما يبدو من البهيمى ، وهو شوك . أبنيه : أزيله . يكثرنى : يغلبنى بالكثرة » .

من تملّى العيش، ولم يسمع في تملّيت «مئة» ! وهذا خطأ على خطأ^(١) .

وقال البحرى :

مَا كَانَ شَوْقِي بِيَدْعِ يَوْمَ ذَاكَ وَلَا
وَلِمَّةٍ كُنْتُ مَسْغُوفًا بِجَدَّتِهَا
دَمْعِي بِأَوَّلِ دَمْعٍ فِي الْهَوَى سُفْحًا^(٢)
فَمَا عَفَا الشَّيْبُ لِي عَنْهَا وَلَا صَفْحًا

وقال أيضاً :

وَمَا أُنْسَ لَا أُنْسَ عَهْدَ الشَّبَابِ
كُؤَاكِبُ شَيْبٍ عَلِقْنَ الصَّبَا
وَعَلْوَةٌ إِذْ عَيَّرَتْنِي الْكِبَرُ^(٣)
فَقَلَّلْنَ مِنْ حُسْنِهِ مَا كَثُرُ
وَإِنِّي وَجَدْتُ وَلَا تُكْذِبَنَّ
سَوَادَ الْهَوَى فِي بِيَاضِ الشَّعْرِ
وَلَا بَدَّ مِنْ تَرْكِ إِحْدَى اثْنَتَيْنِ إِمَّا الشَّبَابِ وَإِمَّا الْعُمُرُ

قال الأمدى : ” وعليه في قوله :

٩٠

ولا بدَّ من تَرْكِ إِحْدَى اثْنَتَيْنِ إِمَّا الشَّبَابِ وَإِمَّا الْعُمُرُ
معارضة ، وهو أن يقال له : إنَّ مَنْ مات شاباً فقد فارق الشباب وفاته العمر أيضاً ،
فهو تارك لها معاً ، وَمَنْ شاب فارق الشباب ، وهو مفارق للعمر لاحتمال ؛ فهو أيضاً تارك
لها جميعاً “ .

(١) وعاد المرضى فبسط هذا النقد مرة ثانية في كتابه الشهاب فقال : ” وقد نهينا في كتاب التمر على

هفوة الأمدى في قول البحرى : « تَقَعَّقَ مِنْ مَلَّةٍ عَمْدُهُ » ؛ لأنه ظن أن معناه أن عظام الكبير
السن يجيء لها صوت إذا تام وقعد ، وتسمع لها تقعقة ؛ وما سمنا بهذا الذى ظنه في وصف ذوى الأسنان
والكبر ؛ والمعنى أظهر من أن يجنى على أحد ؛ لأنه أراد : من عمر وأسن وطاول العيش تعجل رحيله وانتقاله
عن الدنيا ؛ وكفى عن ذلك بتقعق العمدة ؛ لأن ذوى الأطناب والحيام إذا انتقلوا من محل إلى غيره وقوضوا
عمدخيامهم ، وسارت بها الإبل سمت لها تقعقة ، ومن أمثال العرب المعروفة : « من يتجمع يتقعق عمده » ،
يريدون أن التجمع يعقب الفرق والرحيل الذى تتقعق معه العمدة . ومعنى قوله : « من ملة » يريد من السأم
والملال دون ما ظنه الأمدى من أنه تملّى العيش “ . (٢) ديوانه ١ : ١١٤ . (٣) ديوانه ١ : ٢١٩ .

” وقوله : « إمامًا » لانوجب إلا إحداهما“ قال: ” والمذر للبحترى أن يقال: إن من مات شاباً فقد فارق الشباب وحده لأنه لم يعمر ، فيكون مفارقاً للعمر ألا ترى أنهم يقولون: عمر فلان إذا أسن ، وفلان لم يعمر إذا مات شاباً ، ومن شاب وعمر ثم مات لم يكن مفارقاً للشباب في حال موته؛ لأنه قد قطع أيام الشباب ، وتقدمت مفارقتة له ، وإنما يكون في حال موته مفارقاً للعمر وحده، فإلى هذا ذهب البحترى، وهو صحيح / ولم يُرد بالعمر المدّة القصيرة التي يعمرها الإنسان ، وإنما أراد بالعمر هاهنا الكبير ، كما قال زهير :

رَأَيْتُ الْمَنَايَا خَبَطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبُ تُمْتَتُهُ ، وَمَنْ تَخْطَى يُعْمَرُ فِيهِمْ (١)

قال رضى الله عنه : وما رأيت أشدّ تهافتاً في الخطأ منه فيما يفسرُه ويتكلم عليه من شعر هذين الرجلين ! ومعنى البيت غير ما توهمه ؛ وهو أظهر من أن يخفى ؛ حتى يحتاج فيه إلى هذا التغلغل والتعمّس ؛ وإنما أراد البحترى أن الإنسان بين حالين: إما أن يفارق الشباب بالشيب، أو العمر بالموت ؛ فمن مات شاباً - وإن كان قد خرج من العمر، وخرج بخروجه عن سائر أحوال الحياة من شباب وشيب وغيرهما - فإنه لم يفارق الشباب وحده ؛ وإنما فارق العمر الذى فارق بمفارقتة الشباب وغيره . وقِسْمَةُ الرجل تناولت أحد الأمرين : إما مفارقة الشباب وحده بلا واسطة - ولن يكون ذلك إلا بالشيب - أو مفارقة العمر بالموت . وتلخيص كلامه: أنه لا بدّ للحى من شيب أو موت ، فكأن الشيب والموت متعاقبان ؛ والبحترى إنما جعل قوله : « العمر » مقام الحياة والبقاء ، وإنما قال: « العمر » لأجل القافية؛ مع أنه مُنبى عن مراده ؛ ولو أنه قال: ولا بدّ من ترك الحياة أو ترك الشباب لقام مقام قوله: « العمر » .

أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى قال حدثنى على بن محمد الكاتب قال حدثنا أحمد بن عبيد الله قال : من معانى ابن الرومى التي فتهها قوله يذم من جمل مصيبة غيره مُنسية له مصيبتة ، وعاب

(١) من المعلقة ، ديوانه : ٢٩ ؛ خبط عشواء ؛ أى تسير على غير قصد ؛ يقال : عشا يعشوا إذا أصابه المشاء ؛ وهو السير على غير بصر .

مَنْ تَمَلَّلَ بِالتَّاسَى بِمَا نَالَ غَيْرَهُ، وَهُوَ يَرْتِي شَبَابَهُ، وَأَحْسَنُ :

يَا شَبَابِي وَأَيْنَ مَنِّي شَبَابِي ! آذَنْتَنِي أَيَّامُهُ بِانْتِضَابِ (١)
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى نَمِيمِي وَكُهْوِي ! تَحْتَ أَفْنَانِهِ اللَّدَانِ الرَّطَابِ
وَمُعَزِّيٍّ عَنِ الشَّبَابِ مُؤَسِّ بِمَشِيبِ اللَّدَاتِ وَالْأَحْبَابِ
قُلْتُ لَمَّا أَنْتَحَى يَمَدُّ أَسَاهُ (٢) مِنْ مَصَابِ شَبَابِهِ كَمَصَابِ
لَيْسَ تَأْسُو كُلُّهُمْ غَيْرِي كُلُّوْمِي مَا بِهِ مَا بِهِ، وَمَا بِي مَا بِي

ولابن الرومي:

[٢١١] / لَهْفِي عَلَى الدُّنْيَا وَهَلْ لَهْفَةٌ
و قُبْحًا لَهَا قُبْحًا عَلَى أَنهَا
١٠ وَقَدْ يَعِزُّنِي شَبَابُ مَضَى
وَمَدَّةٌ لِلْعَيْشِ اسْتَلْفَتْهَا فَكَرْتُ فِي خَمْسِينَ عَامًا مَضَتْ
كَانَتْ أَمَامِي ثُمَّ خَلَفَتْهَا أَجْهَلْتُهَا إِذْ هِيَ مَوْفُورَةٌ
ثُمَّ مَضَتْ عَنِّي فَعُرِّقَتْهَا فَفَرَحَةٌ الْمَوْهوبِ أُعْذِمْتُهَا
وَتَرَحَّةُ الْمَسْلُوبِ الْجَفِيفُهَا لَوْ أَنَّ عَمْرِي مَائَةٌ هَدَّتَنِي
تَذَكَّرِي أَنِّي تَنْصَفْتُهَا

وله في هذا المعنى ، وقد تقدمت هذه الأبيات في الأمالي السالفة ، وقد أحسن في معناها كل ١٥

الإحسان :

كَفَى بِسَرَّاجِ الشَّيْبِ فِي الرَّأْسِ هَادِيَا إِلَى مَنْ أَضَلَّتْهُ الْمَنَايَا لِيَا لِيَا (٤)
أَمِنْ بَعْدِ إِبْدَاءِ الْمَشِيبِ مَقَاتِلِي لِرَامِي الْمَنَايَا تَحْسِينِي نَاجِيَا !
غَدَا الدَّهْرُ يَرْمِينِي فَتَدْنُو سِهَامُهُ لِشَخْصِي أَخْلِقُ أَنْ يُصِبْنَ سَوَادِيَا
وَكَانَ كَرَامِي اللَّيْلِ يَرْمِي وَلَا يَرَى فَلَمَّا أَضَاءَ الشَّيْبُ شَخْصِي رَمَانِيَا ٢٠

(١) ديوانه، الورقة ٤٢ (٢) أساة : جمع أسوة ؛ وهو القدوة . (٣) ديوانه ، الورقة ٤٤

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « لمن قد أضلته » .

مَجْلِسٌ آخِرٌ تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ۚ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَأِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ ؛ [آل عمران : ١٢٨] :

فقال : كيف جاءت ﴿ أَوْ ﴾ بعد مالا يجوز أن يعطف عليه ؟ وما الناصب لقوله تعالى : ﴿ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ وليس في الكلام ما يقتضى نصبه ؟

الجواب ، قلنا : قد ذكر في ذلك وجوه :

٥

أولها أن يكون قوله : ﴿ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ معطوفاً على قوله : ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا ﴾ والمعنى أنه تعالى عَجَّلَ لكم هذا النصر ، ومنتحكم به ليقطع طرفاً من الذين كفروا ، أى قِطْعَةً منهم ، وطائفة من جمعهم أو يكتبهم ؛ أى يغلبهم ويهزمهم بكم فيخيب سعيهم ، وَيُكَذِّبَ فيكم ظنوتهم ، أو يعظمهم ما يرون من تظاهر آيات الله تعالى ، الموجبة لتصديق [٢١١] / نبيه صلى الله عليه وآله ، فيتوبوا ويؤمنوا ، فيقبلُ الله تعالى ذلك منهم ، ويتوب عليهم ، أو يكفروا بمد قيام الحجج ، وتأكيد البينات والدلائل ، فيموتوا أو يقتلوا كافرين ؛ فيعذبهم الله باستحقاقهم في النار ؛ ويكون على هذا الجواب قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ معطوفاً على قوله تعالى : ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ ؛ أى ليس لك ولا لغيرك من هذا النصر شيء ؛ وإنما هو من الله تعالى .

والجواب الثانى أن يكون ﴿ أَوْ ﴾ بمعنى «حتى» ، أو «إلا أن» ؛ والتقدير : ليس لك من الأمر

١٥

شيء حتى يتوب عليهم ؛ أو إلا أن يتوب عليهم ، كما قال امرؤ القيس :

بِكى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرَبَ دُونَهُ وَأَيَّقَنَ أَنَا لِاحِقَانَ بِقَيَّصَرَ (١)
فَقُلْتُ لَهُ : لِأَنَّكَ عَيْنَكَ إِنَّمَا نَحْوِلُ مُلْكًا ، أَوْ نَمُوتَ فَنُعْذَرَا
أراد : إِلَّا أَنْ نَمُوتَ

وهذا الجواب يَضَعُفُ من طريق المعنى ؛ لأن لقائل أن يقول : إن أمر الخلق ليس إلى
أحدٍ سوى الله تعالى قبل توبة العباد وعقابهم بمد ذلك ؛ فكيف يصحُّ أن يقول : ليس
٥ لك من الأمر شيء إلا أن يتوب عليهم أو يعذبهم ؛ حتى كأنه إذا كان أحد الأمرين كان
إليه من الأمر شيء !

ويمكن أن ينصر ذلك بأن يقال : قد يصحُّ الكلام إذا أُجْمِلَ على المعنى ؛ وذلك أن قوله :
﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ معناه : ليس يقع ما تريده وتؤثره من إيمانهم وتوبتهم ، أو
ما تريده من استئصالهم وعذابهم ، على اختلاف الرواية في معنى الآية وسبب نزولها ؛ إلا بأن
١٠ يُلطِّفُ اللهُ لهم في التوبة فيتوب عليهم أو يعذبهم ؛ وتقدير الكلام : ليس ما تريده من توبتهم
أو عذابهم بك ، وإنما يكون ذلك بالله تعالى .

والجواب الثالث أن يكون المعنى : ليس لك من الأمر شيء أو مِنَّ أَنْ يَتُوبَ اللهُ عَلَيْهِمْ ؛
فأضمر «من» اكتفاءً بالأولى ، وأضمر «أن» بعدها لدلالة الكلام عليها واقتضائه لها ، وهي
مع الفعل الذي بعدها بمنزلة المصدر ؛ وتقدير الكلام : ليس لك من الأمر شيء وَمِنَّ تَوْبَتِهِمْ ١٥
وعذابهم .

ووجدت أبا بكر محمد بن القاسم الأنباري يطمئن على هذا الجواب ويستبعده ، قال : لأنَّ الفعل
لا يكون محمولا على إعراب الاسم الجامد ، الذي لا تصرف له على إضمار « أن » مع الفعل / [٤١٢]
لأنه ليس من كلام العرب : «عجبت من أخيك ويقوم» ، على معنى : «عجبت من أخيك ومن
و

(١) ديوانه : ١٠٠ . الدرب : باب السكة الواسع ؛ وهو هنا كل مدخل إلى الروم فهو درب ؛
وصاحبه عمرو بن قتيبة الشاعر ؛ وكان رفيق امرئ القيس في رحلته .

أن يقوم» ، لأن أخاك اسمٌ جامدٌ محضٌ ، لا يمطف عليه إلا ما شاكله . وقال : وهذا إذا يستقيم ويصلح في ردّ الفعل على المصدر ، كقولهم : « كرهت غضبك وأن يغضب أبوك » ؛ على معنى : « كرهت غضبك وأن يغضب أبوك » ، فيطرد هذا في المصادر ، لأنها تتأول بـ « أن » فيقول النحويون : « يعجبني قيامك » ، وتأويله : « يعجبني أن تقوم » ، قال : والاسم الجامد لا يمكن مثل هذا فيه . ٥

وليس الذي ذكره ابن الأنباري مستبعداً ، وإن لم يضعف هذا الجواب إلا من حيث ذكر فليس بضعيف ؛ وذلك أن فيما امتنع منه مثل الذي أجازوه ؛ لأنه قد أجاز ذلك في المصادر ، وإن لم يجزه في غيرها .

وقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ فيه دلالة الفعل ، لأن « الأمر » مصدر أمرت أمراً ؛ فكأنه تعالى قال : ليس لك من أن أمرهم أو تأمرهم شيء ، ولا من أن يتوبوا ، ١٠ وجرى ذلك مجرى قولهم : « كرهت غضبك ويغضب أبوك » ، في رد الفعل على المصدر ؛ والوجه الأول أقوى الوجوه ؛ والله أعلم بمراده .

تأويل خبر

إن سأل سائل عن الخبر الذي يرويه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « لا تَنَاجِشُوا ولا تَدَابِرُوا ، كلُّ المسلم على المسلم حرامٌ دمه وعرضه » .

الجواب ، قيل له : أما النَّجْشُ فهو المدح والإطراء ، قال نابغة بنى شيبان يذكر الحمر :
وَتُرْحَى بِالْ مَنْ يَشْرِبُهَا وَيُفْتَدَى كَرَمَهَا عِنْدَ النَّجْشِ^(١)

١٥

أى عند مدحها ، ومنه النَّجْشُ في البيع ؛ وهو مدح السلعة والزيادة في ثمنها من غير إرادة لشرائها ؛ بل ليقتدى بالزائد في زيادته غيره ؛ وأصل النَّجْشُ استخراج الشيء والتنقيح عنه ، قال بعض الفقهاء :
عنه ، قال بعض الفقهاء :

أَجْرَسُ لَهَا يَا بَنَ أَبِي كِبَاشٍ (١) فَمَا لَهَا اللَّيْلَةَ مِنْ إِنْفَاشٍ (٢)
غَيْرَ الشَّرَى وَسَائِقٍ نَجَّاشٍ - أَسْمَرَ مِثْلَ الْحَيَّةِ انْلَحْشَاشٍ -

والنجاش : هو المستثير لسيرها ، والمستخرج لما عندها منه ، ومعنى : أَجْرَسُ لَهَا ، أى
أَحْدُ لَهَا لتسمع / الجداء فتسير ، وهو مأخوذ من الجرس وهو الصوت ؛ ومعنى : [٢١٢]
والإنفاش ، أراد أنها لا تترك رعى ليلا ، والنفش أن ترعى الإبل ليلا ، وقد أنفشتها إذا أرسلتها
بالليل رعى .

واللحشخاش : الخفيف الحركة السريع الثقلب .

والنجش في البيوع يرجع معناه إلى هذا أيضاً؛ لأن الناجش يستثير بزيادته في الثمن ،
ومدحه السلعة الزيادة في ثمنها ؛ فيكون معنى الخبر على هذا : لا تناجشوا ، أى لا يمدح
أحدكم السلعة فيزيد في ثمنها ، وهو لا يريد شراءها لیسعنه غيره فيزيده .

١٠

وقد يجوز أيضاً أن يريد بذلك : لا يمدح أحدكم صاحبه من غير استحقاق ليستدعى
منفعة ، ويستثير فائدته ؛ وهذا المعنى أشبه بأن يكون مراده عليه السلام ، لأن قوله : « ولا تدابروا »
أشدُّ مطابقة له .

ومعنى : « لا تدابروا » أى لا تهاجروا ويوتئ كل واحد صاحبه دُبْرَ وجهه ، قال

١٥

الشاعر :

وَأَوْصَى أَبُو قَيْسٍ بَأَنْ تَتَوَاصَلُوا وَأَوْصَى أَبُو كُفْمٍ، وَيَحْكُمُ! أَنْ تَدَابَرُوا (٣)

فكأنه قال عليه السلام : لا تمادحوا وتتواصلوا بالمدح الذى ليس بمستحق ، ولا تهاجروا

وتتقاطعوا .

(١) اللسان (جرس) ؛ وفي حاشية الأصل : « صوت الجرس ؛ وروى ابن السكيت : « أجرس » ،
وأنكروا عليه : أجرشت الشيء إذا لم تنعم دقه » .

(٢) حاشية الأصل : « نفشت الإبل : نفرقت في المرعى ، وأنفشتها أنا ، أى ليس لها الليلة استراحة » .

(٣) اللسان (دبر) ، من غير نسبة .

فأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «كلُّ المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه»، فقد ذهب قوم إلى أن عَرَضَ الرجل إنما هو سلفه من آبائه وأمهاته؛ ومن جرى مجراهم.

وذهب ابن قتيبة إلى أن عَرَضَ الرجل نفسه، واحتج بحديث النبي صلى الله عليه وآله حين ذكر أهل الجنة فقال: «لا يبولون ولا يتغوَّطون؛ إنما هو عَرَقٌ يجرى من أعراضهم مثل المسك»؛ أي من أبدانهم؛ قال: ومنه قول أبي الدرداء: «أقرض من عَرَضِكَ ليوم فقرك»، أراد مَنْ شتمك فلا تشتمه، ومن ذكرك بسوء فلا تذكره به، ودع ذلك قرضاً عليه ليوم الجزاء والقصاص.

واحتج أيضاً بحديث الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «أيعجز أحدكم أن يكون كَأبي ضَمُضَمٍ! كان إذا خرج من منزله قال: اللهمَّ إني قد تصدَّقت بعرضي على عبادك»؛ قال: فمعناه قد تصدَّقت بنفسي وأحلت من يمتابني، فلو كان العَرَضُ الأسلاف ماجازاً يُحِلُّ مَنْ سَبَّ الموتى؛ لأن ذلك إليهم لا إليه.

قال: ويدل على ذلك أيضاً حديثُ سفیان بن عيينة: «لو أن رجلاً أصاب / من عَرَضِ رجل شتماً ثم تورَّع من بعد؛ فجاء إلى ورثته بعد موته فأحلَّوه له، ولم يكن ذلك كفارة له، ولو أصاب من ماله شيئاً ثم دفعه إلى ورثته؛ لكننا نرى أن ذلك كفارة له».

قال: ويدل على أن عَرَضَ الرجل نفسه قول حسان:

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ^(١)
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعَرِضِي لِعَرِضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ

(١) ديوانه: ٩؛ يخاطب أبا سفیان بن الحارث بن عبد المطلب ويهجوّه؛ وقيل:

أَلَا أَبْلِغُ أَبَا سَفِيَانَ عَنِّي فَأَنْتَ مَجْوُوفٌ تُنَخَبُ هَوَاءُ
بأن سيوفنا تركتك عبداً وعبدُ الدار سادتها الإمامُ

والآيات في الاقتضاب: ٣٠٠؛ ونقل عن محمد بن الحسن بن دريد بسنده: «وأنشد النبي صلى الله عليه وسلم قصيدته التي أولها:

عَفَّتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجَوَاءُ إِلَى عِذْرَاءٍ مِنْهَا خَلَاءُ =

أراد : فإنَّ أبى وجدِّى ونفسى وقالا لنفس محمد، صلى الله عليه وآله .
 وقال آخرون—وهو الصحيح : العرِّض موضع المدح والذم من الإنسان ، فإذا قيل : ذَكَرَ
 عرِّض فلان ، فمعناه ذكر ما يرتفع به أو ما يسقط بذكره ، ويُمدح أو يذم به ، وقد يدخل
 فى ذلك ذكر الرجل نفسه ، وذكر آبائه وأسلافه ؛ لأن كل ذلك مما يمدح به ويذم ؛ والذى
 يدل على هذا أن أهل اللغة لا يفرقون فى قولهم : «شتم فلان عرِّض فلان» بين أن يكون
 ذَكَرَهُ فى نفسه بقبيح الأفعال ، أو شتم سلفه وآبائه ؛ ويدل عليه قول مسكين الدارمى :
 رَبِّ مَهْزُولٍ سَمِينٍ عَرِضُهُ وَسَمِينِ الْجِسْمِ مَهْزُولِ الْحَسَبِ^(١)
 فلو كان العرِّض نفس الإنسان لكان الكلام متناقضاً ؛ لأن السَّمْنَ والهزَّال يرجعان إلى
 شيء واحد ؛ وإنما أراد : رَبِّ مَهْزُولٍ كريمة أفعاله ، أو كريم آبائه وأسلافه ؛ وقد قال ابن
 عبدلُ الأَسَدِ^(٢) :

١٠

= حتى انتهى إلى قوله :

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا وَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجِزَاءُ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جزاؤك على الله الجنة يا حسان ؛ فلما انتهى إلى قوله :

فإنَّ أبى ووالده وعرضى لعرض محمد منكم وقاء

قال رسول الله صلى الله عليه : وقاك الله يا حسان النار ؛ فلما قال :

أتهجوه ولست له بئد فشرُّ كما لخير كما الفداء

فقال من حضر : هذا أنصف بيت قالته العرب . (١) بعده :

كسبته الورق البيض أباً ولقد كان وما يدعى لأب

وانظر الأغاني ١٨ : ٧٠ ، وأمالى الفالى ١ : ١١٨ ، واللاى ٣٥٢ .

(٢) من مقطوعة فى أمالى الفالى ٢ : ٢٦١ ، عدداً بيئاتها أربعة عشر بيتاً ؛ ومنها فى حماسة أبى تمام — بشرح

المرزوقى ١١٦٣ — ١١٦٤ ستة أبيات ؛ وذكر الفالى من خبر هذه الأبيات أنه "اجتمع الشعراء بباب

الحجاج ؛ وفيهم الحكم بن عبدل الأَسَدِ فقالوا : أصلح الله الأمير ! إنما شعر هذا فى الفأر وما أشبهه ،

قال : ما يقول هؤلاء يا بن عبدل ؟ قال : اسمع أيها الأمير ، قال : هات ، فأشده الأبيات ؛ حتى انتهى

إلى قوله :

ولست بذى وجهين فيمن عرفته ولا البخل فاعلم من سمأى ولا أرضى

وإني لاستغني بما أبطر الغني ، وأبدل ميسوري لمن يبتغي قرصى (١)
وأعسر أحيانا فتشتت عسرتي وأدرك ميسور الغنى ومعى عرضي
ولا يابق ذلك إلا بما ذكرناه .

قال سيدنا أدام الله تأييده: وجدت أبا بكر بن الأنباري قد ردّ علي ابن قتيبة قوله هذا
٥ وطمع على ما احتج به ، فقال في الحديث المروي عنه عليه السلام في وصف أهل الجنة : إن
المراد بالأعراض المغاين (٢) الجسد .

وحكى عن الأموي أنه قال : الأعراض المغاين التي تعرق من الجسد ؛ نحو الإبطين
٢١٣ . وغيرها ، وقال في حديث أبي الدرداء : معناه : من عابك / ، وذكر أسلافك ، فلا تجازيه ؛ ليكون
ظ
الله تعالى هو المثيب لك .

١٠ وقال في قول أبي ضمّم : معناه أنه أحلّ من أوصل إليه أذى بذكره وذكر آبائه فلم
يُحَلّ إلا من أمرٍ إليه .

وقال في قول حسان : المراد بعرضه أيضاً أسلافه ؛ كأنه قال : إن أبي ووالده وجميع
أسلاف الذين أمدح وأدّم من جهتهم وقاء له عليه السلام ، فأتى بالعموم بعد الخصوص ؛ كما
قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ ؛ ر : ٨٧] ،
١٥ فأتى بالعموم بعد الخصوص ؛ ولم أجده ذكر في خبر سفيان بن عيينة شيئاً ؛ وتأويله يقرب
من تأويل خبر أبي ضمّم ، لأنّ من آذى رجلاً بسببه في نفسه ، أوسب سلفه وأدخل عليه
بذلك وضعا ونقصا لم يكن إلى ورثته بعد موته الإحلال من ذلك ، لأن الأذى لم يدخل
عليهم ، ولو كان داخلا عليهم أيضا مع دخوله على المسبوب لكان إحلالهم مما يرجع إلى غيرهم
لا يصح ؛ على أن في الإحلال من الضرر وسقوط العوض المستحق عليه ، وهل يسقط بإسقاط
٢٠ مستحقه أم لا ؟ فيه كلام ليس هذا موضعه ، وقد ذكرناه في مواضع .

= فلما سمع الحجاج هذا البيت فضله على الشعراء بجائزة ألف درهم في كل مرة يعطيهم .

(١) أبطر الغنى ، أى أبطر في الغنى حتى أذهب عن سنن الشكر . وأعرض ميسوري ؛ يريد يسرى ؛

وضع اسم المفعول موضع المصدر . (٢) المغاين : معاطف الجلد ؛ جمع مقين .

وبعد، فلو سلّم لابن قتيبة أن المراد بالعرض في كلِّ المواضع التي ذكرناها النفس دون السلف، أو سلّم له ذلك في بيت حسان خاصة؛ فإنه أقرب إلى أن يكون المراد به ما ذكره لم يقدح فيما ذكرناه؛ لأننا لم نقل: إن العرض مقصور على سلف الإنسان، بل ذكرنا أنه موضع الدم والمدح من الإنسان، ولا فرق بين سلفه ونفسه؛ فكيف يكون الاحتجاج بما المراد بالعرض فيه النفس طمناً علينا، وإنما ينفذ ابن قتيبة أن يأتي بما يدلُّ على أن العرض لا يستعمل إلا في النفس دون السلف، وكل شيء فيما المراد بالعرض فيه النفس، أو المراد به السلف فهو مؤكّد لقولنا في أن هذه اللفظة مستعملة في موضع الدم والمدح من الإنسان؛ وإنما يكون ما استشهدنا به، وما جرى مجراه؛ مما يدلُّ على استعمال لفظ «العرض» في السلف حجة على ابن قتيبة؛ لأنه قصر معناها على النفس والذات، دون السلف؛ وهذا واضح بين بحمد الله.

أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم ١٠ قال: كان أبو عبيدة / معمر بن المثنى صُفْرِيَا^(١)، وكان يكتم ذلك؛ فأنشدني لعمران بن حِطَّان^(٢): [٢١٤] و

(١) في حاشيتي الأصل، ف: «الصفرية: جنس من الخوارج، سمو بذلك لاصفرار وجوههم؛ وقيل: نسبوا إلى رجل اسمه صفار».

(٢) هو أبو سماك عمران بن حِطَّان بن ذبيان السدوسي؛ رأس القعدة من الصفرية، وخطيبهم وشاعرهم، أدرك جماعة من الصحابة ورؤي عنهم، ثم لحق بالشرأة، فطلبه الحجاج فهرب إلى الشام، فطلبه عبيد الملك بن مروان ففر إلى عمان، ولما طأ عمره قعد عن الحرب، واكتفى بالتحريض والدعوة بشعره؛ وتوفي سنة ٨٤. وهذه الأبيات يقولها في رثاء أبي بلال مرداس بن أديه؛ وكان قد قتل في لمارة عبيد الله بن زياد، سنة ٦١؛ وهي برواية أبي العباس المبرد:

يا عَيْنُ بَكِّي لِمَرْدَاسٍ وَمَصْرِعِهِ	يَا رَبَّ مَرْدَاسٍ اجْعَلْنِي كَمَرْدَاسٍ
تَرَكْتَنِي هَائِمًا أَبْكِي لِمَرْزَاتِي	فِي مَنْزِلٍ مُوحِشٍ مِنْ بَعْدِ إِيْنَاسٍ
أَنْكَرْتُ بَعْدَكَ مَا قَدْ كُنْتُ أَعْرِفُهُ،	مَا لِلنَّاسِ بَعْدَكَ يَا مَرْدَاسٍ بِالنَّاسِ
إِمَّا شَرِبْتُ بِكَاسٍ دَارَ أَوْلَاهَا	عَلَى الْقُرُونِ فَنَدَاقُوا جَرْعَةَ الْكَاسِ
فَكُلٌّ مَنْ لَمْ يَذُقْهَا شَارِبٌ عَجَلًا	مِنْهَا بِأَنْفَاسٍ وَرِدٍ بَعْدَ أَنْفَاسٍ

وانظر الإصابة ٨١:٥، والكامل - بشرح المرصفي ٧: ٨٣.

أُنْكَرْتُ بِمَدِّكَ مَنْ قَدْ كُنْتُ أُعْرِفُهُ، ما الناسُ بِمَدِّكَ يَا مِرْدَّاسُ بِالنَّاسِ
إِمَّا تَكُنْ ذُقْتَ كَأَسَا دَارًا أَوْ لَهَا على القُرُونِ فذَاقُوا نَهْلَةَ الكَاسِ
قَدْ كُنْتُ أَبْكِيكَ جِينًا قَدْ بَيَّسْتُ نَفْسِي فَمَا رَدَّ عَنِّي عَبْرَتِي يَا سِي

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا ابن دريد قال حدثنا الأشناداني قال قال
التوزي : كنت إذا أردت أن أنشط أبا عبيدة سألته عن أخبار الخوارج فأبجج منه ثبج
بحرٍ ؛ فجبته يوماً وهو مطرق ينكت الأرض في صحن المسجد ؛ وقد قربت منه الشمس ،
فسلمت عليه فلم ير دد^(١) ، فتمثلت :

وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ إِذَا مَاعَدَّ مِنْ سَقَطِ التَّاعِ

— والبيت لقطري بن الفجاءة — فنظر إلى وقال : ويحك ! أتدري من يقوله ؟ قلت :

١٠ قَطْرِي ، فقال : اسكت ، رَضَ^(٢) الله فاك ! فألاقت : أمير المؤمنين أبو نعامه^(٣) ! ثم اتبته
فقال : اكنمها على ياتوزي ، فقلت : هي ابنة الأرض ، فأشدني :

أَقُولُ^(٤) لَهَا إِذَا جَاشَتْ حَيَاءٌ مِنَ الأَبْطَالِ وَيُحَكِّ لَنْ تُرَاعِي^(٥)
فإِنَّكَ لَوْ طَلَبْتَ حَيَاةَ يَوْمٍ عَلَى الأَجَلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تُطَاعِي^(٦)
فَصَبْرًا فِي مَجَالِ المَوْتِ صَبْرًا فَمَا نَيْلُ الخُلُودِ بِمُسْتَطَاعِ

(١) د ؛ ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف ، : « فلم يرد » (٢) حاشية الأصل (من نسخة) :
« فضاء فاك » . (٣) هي كنية قطري بن الفجاءة بن مازن الخارجي ؛ كان زعيماً من زعماء الخوارج ؛ خرج
زمن مصعب بن الزبير سنة ٦٦ ، وبقى عشرين سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة ؛ وكان الحجاج يسير إليه
جيشاً ، وهو يستظهر عليه ، إلى أن توجه إليه سفيان بن أبرد السكلي ، فظهر عليه وقتله سنة ٧٨ ، (ابن
خلسكان ١ : ٤٣٠) . (٤) الأبيات في الحماسة — بشرح التبريزي ١ : ٩٦-٩٧ .

(٥) د ، ومن نسخة بحاشية الأصل : « وقد جاشت » . وفي حاشية الأصل (من نسخة) :
« وقد طارت حياء » ، ورواية الحماسة : « وقد طارت شعاعاً » ؛ الشعاع : المنفرق ، والحطاب لنفسه ؛
ولن تراعي ، من الروع ، وهو النزوع . (٦) الحماسة : « بقاء يوم » .

وَمَا طُولُ الْحَيَاةِ بِثُوبٍ مَجْدٍ فَيُطَوَى عَنْ أُخَى الْخَنْعِ الْبِرَاعِ (١)
 سَبِيلُ الْمَوْتِ مَنْهَجٌ كُلُّ حَيٍّ وَدَاعِيهِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ دَاعٍ (٢)
 وَمَنْ لَا يُقْتَبِطُ بِسَامٍ وَيَهْمُ وَتُقْضَى بِهِ النُّونُ إِلَى انْقِطَاعِ (٣)
 وَمَا لِلْمَرءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ إِذَا مَاعُدَّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ

○

فكبتها وقت لأنصرف ؛ فقال : افعد ، ثم أنشدني :

إلى كم تعاربنى السيوفُ ولا أرى مُغَارَاتِهَا تَدْعُو إِلَى حِمَامِيَا (٤)
 أَقَارِعُ عَنْ دَارِ الْخُلُودِ وَلَا أَرَى بَقَاءً عَلَى حَالٍ لِمَا لَيْسَ بِقِيَا
 / وَلَوْ قَرَّبَ الْمَوْتَ الْقِرَاعُ لَقَدَّ أَنْي لِمَوْتِي أَنْ يَدْنُو لِطُولِ قِرَاعِيَا
 أَغَادِي جَلَادَ الْعَالَمِينَ كَأَنِّي (٥) عَلَى الْعَسَلِ الْمَازِيٍّ أَصْبَحُ مُغَادِيَا (٦)

[٢١٤]
ظ

- (١) الحماسة : « ثوب عز » . الخنع : الجنب ، والبراع : الجبان الضعيف .
 (٢) حاشية ف (من نسخة) : « غاية كل حي » ، وهي رواية الحماسة .
 (٣) ف :

* وَيُقْضَى بِهِ الْبَقَاءُ إِلَى انْقِطَاعِ *

ورواية الحماسة :

* وَتُسَلِّمُهُ الْمُنُونُ إِلَى انْقِطَاعِ *

- والاعتباط : أن الحي يموت من غير علة ؛ أي من لم يمّت شابامات هرما
 (٤) د ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « تعاربنى ، وفي حاشية الأصل ، ف : « المعارة ، بالعين
 المهملة : من العرى ، أي تلقانى السيوف عارية ، وبالعين المعجمة : من غرى به إذا أواع ، والمعارة أيضا :
 المتابعة بين الشيتين ، يقال غاربت بين الشيتين ، إذا واليت بينهما » . وفيه : « تغاربنى » ، تحريف .
 (٥) د ، ومن نسخة بجاشيتي الأصل ، ف : « الململين » ، بكسر اللام ، والمعلم : الفارس الذى علم
 مكانه في ساحة الحرب بعلامة أعلمها ؛ ومنه قول الشاعر :

فتمرّ فوني أننى أنا ذاكُمُ شالكِ سلاحى فى الحوادث معلّم

وقول الأخطل :

مازال فينا رباط الخليل معلّمًا وفى كليب رباط اللؤم والعار

(٦) الماذي : العسل الأبيض .

وَأَدْعُو الْكِمَاةَ لِلزَّلَالِ إِذَا الْقِنَا تَحَطَّمْ فِيمَا بَيْنَنَا مِنْ طِعَانِيَا
وَلَسْتُ أَرَى نَفْسًا تَمُوتُ وَإِنْ دَنْتُ مِنْ الْمَوْتِ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ دَاعِيَا^(١)
فقال ابن دُرَيْدٍ : وهذا الشعر أيضاً لقطريّ بن الفُجَاءة .

أخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال :
٥ جئتُ^(٢) أبا عبيدة يوماً ، ومعى شعر عُرْوَةَ بن الورد ، فقال . فارغُ حَمَلِ شعر فقير ليقراه
على فقير ، فقلت : مامعى غيرُهُ ، فأنشدني أنت ماشئت ، فأنشدني :
يَارُبِّ ظِلِّ حِمَارٍ قَدْ وَقِيَتْ بِهِ مُهْرِي مِنْ الشَّمْسِ ، وَالْأَبْطَالُ تَجَنَّدُ^(٣)
وَرُبَّ يَوْمٍ حَمِيَّ أَرَعَيْتُ عَقْوَتَهُ خَيْلِي اقْتِسَارًا ، وَأَطْرَافُ الْقِنَا قِصْدُ^(٤)
وَيَوْمَ لَهْوٍ لِأَهْلِ الْخَفْضِ ظِلٌّ بِهِ لَهْوِي اصْطِلَاءُ الْوَعَا وَنَارُهُ تَقْدِ^(٥)
مُشَهَّرًا مَوْفِي وَالْحَرْبُ كَاشِفَةٌ عَنْهَا الْقِنَاعَ وَبَحْرُ الْمَوْتِ يَطْرِدُ
وَرُبَّ هَاجِرَةٍ تَغْلِي مَرَاجِلَهَا نَحْرَتُهَا بِمِطَايَا غَارَةٍ تَخِذُ^(٦)
تَجْتَابُ أَوْدِيَةَ الْأَفْزَاعِ آمِنَةً كَأَنَّهَا أُسْدٌ يَقْتَادُهَا أُسْدُ^(٧)
فَإِنَّ أُمَّتَ حَتَفَ نَفْسِي لِأُمَّتِ كَدَا عَلَى الطَّعَانِ وَقَصْرُ الْعَاجِزِ الْكَمْدُ
وَلَمْ أَقْلُ لَمْ أُسَاقِ الْقَتْلَ شَارِبَهُ^(٨) فِي كَأْسِهِ وَالْمَنَايَا تَرَّعُ وَرُدُ
ثم قال له : هذا الشعر ! ؛ لا ماتعللون به نفوسكم من أشعار الخنثين . والشعر
لِقَطْرِيّ .

(١) حاشية الأصل : « أي ملسكا يقبض روحه ويدعوه » .
(٢) الخبر والأبيات في أمالي القالي ١ : ٢٦٥ - ٢٦٦ ، وزهر الآداب - طبعة الحلبي ١٠٢٧ -
١٠٢٨ . (٣) د : « ظل عقاب » وفي حاشية الأصل : « روى ظل عقاب ، يريد بها الراهية » .
(٤) العقوة : الساحة ، والقصد : القطع ؛ واحده قصدة . (٥) د ، ف ، وحاشية الأصل
(من نسخة) : « إذ ناره » . (٦) د : « نحرتها » . وتخذ : تسرع . (٧) الأفزاع :
المخاوف ، وفي زهر الآداب : « بصطادها » . (٨) حاشية الأصل (من نسخة) : « ساقيه » .

أخبرنا علي بن محمد الكاتب قال قال أخبرنا ابن دريد قال : أخبرنا أبو حاتم قال : كان أبو عبيدة يأنس إليّ في أول ما اختلفتُ إليه ، لأنه كان يظنني على رأيهم ، ويسألني عن خوارج سجستان - لأنه كان يظنني على رأيهم - وكنت أوهمه أنني على رأيهم ، فنالتني منه لذلك عناية خاصة ، فكان كثيرا ما يئشدني أشعارهم ، ثم يتمثل :

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنو البنى وإن عاهدوا أوفوا ، وإن عقّدوا شدّوا (١) ٥

/ قال : وأنشدني يوما لرجل من طي من الخوارج :

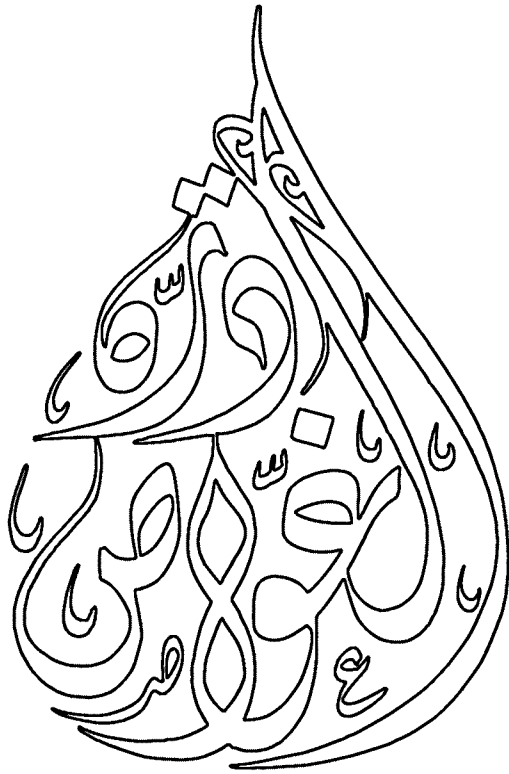
[٢١٥]

لا كابن ملحان من شارٍ أخى ثقةٍ أو كابن علقمة المستشهد الشاري (٢) و
من صادقٍ كنتُ أصفيه مخالصتي فباع داري بأعلى صفقة الدار (٣)
إخوان صدقٍ أرجيهم وأحذرهم أشكو إلى الله إخواني وإحذاري
فصرتُ صاحبَ دنيا لستُ أملكها وصار صاحبَ جناتٍ وأنهارٍ ١٠

تم القسم الأول من كتاب غرر الفوائد ودرر القلائد للشريف المرتضى ، ويليه القسم الثاني إن شاء الله تعالى ، وأوله : تأويل آية : إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ ... ﴾

(١) البيت للحطيئة ، ديوانه : ٢٠ . (٢) الشاري : واحد الشراة ؛ والخوارج تسمى نفسها بذلك ؛ كأنهم شروا أنفسهم لله ؛ أى باعوها ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ أى يبيعهما . وقال قطري في هذا المعنى :

رَأَتْ فِئَةً باعُوا الإلهَ نفوسهم بجناتٍ عدنٍ عنده ونعيم
(٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « داري ، يعنى الدنيا التي كانت داره ؛ وهو في قيد الحياة ؛ يعنى أنه باعها بصفقة رابحة ؛ أراد أنه استشهد وقتل ، فباع داره بدار في الجنة » .



المجلس الأول

- تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦] ٥- ٢
تأويل الحديث: «من تعلم القرآن ثم نسيه لقي الله وهو أجذم» ٩- ٥
مسألة في القول بوجوب الأصحح عليه تعالى ١٠- ٩

المجلس الثاني

- تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ...﴾ [الإسراء: ٨٥] ١٢- ١١
تأويل قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا...﴾ [الحجر: ١٩] ١٥- ١٣
تفسير معنى «اللحن» عند العرب ١٦- ١٥
خبر أسير بني العنبر في بكر بن وائل ورسالته إلى قومه وشرح مافيه من
كنايات ١٧- ١٦
تأويل كلام علي بن أبي طالب: «من أحبنا أهل البيت فليستعد للفقر جليبا
أو تجففا» ٢٨- ١٧
ذكر بعض أخبار الشعراء المتقدمين ممن كان على مذاهب أهل العدل ٢١- ١٩
ذكر بعض أخبار الشعراء المتقدمين ممن كان على مذهب أهل الجبر ٢١-
مسألة في الاستدلال على نفي الرؤية بالأبصار ٢٤- ٢٢

المجلس الثالث

- تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ [الشعراء: ٣٢] ٢٧- ٢٥
وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ، فَلَمَّا رآها تهتت...﴾ [القصاص: ٣١]
(٤١ - غرر - أول)

تأويل قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ ،

٢٨ - ٣٠

[الأعراف: ١٧٢، ١٧٣]

٣١ - ٣٦

تأويل الحديث : « ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن » .

الكلام على قوله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾

٣٦ - ٣٨

[الفاتحة: ٢٢، ٢٣]

المجلس الرابع

تأويل قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾

٣٨ - ٤٢

[يونس: ١٠٠]

تأويل قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ... ﴾ [هود: ١٠٣، ١٠٤]

٤٣ - ٤٥

وقوله تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦]

وقوله تعالى : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [الصفوات: ٢٧]

٤٥ - ٤٦

تأويل الحديث : « لاتسبوا الدهر فإن الدهر هو الله » .

٤٧ - ٤٨

مسألة في ذكر المنافع التي عرض الله الأحياء لها

المجلس الخامس

تأويل قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ ﴾ [الذخان: ٢٨، ٢٩]

٤٩ - ٥٥

تأويل الحديث : « إن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ » .

٥٥ - ٥٧

٥٨

خبر حسد الفرزدق لليلى الأخيلية على أبيات قالتها

٥٩

خبره ، مع الكميت حين عرض عليه أبياتا له من قصيدة

٦٠ - ٦٢

خبره عند سليمان بن عبد الملك

٦٣ - ٦٥

خبر تنسكه في آخر عمره وما قاله من شعر في ذلك

٦٦ - ٦٧

عود إلى خبره مع الكميت

٦٧ - ٦٩

خبر مديحه لعلى بن الحسين بن على

المجلس السادس

تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾

[هود: ١١٨، ١١٩] ٧٥- ٧٠

تأويل الحديث: «مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت». ٧٦- ٧٥

خبر علي بن أبي طالب ومارية القبطية ، وتفسير ماورد فيه من غريب ٨١- ٧٧

ما قالته العرب في أحوال القمر، وتفسير ماورد في ذلك من الغريب ٨٦- ٨١

المجلس السابع

تأويل قوله: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى﴾ [الإسراء: ٧٢]

تأويل الحديث: «تق^٤ الأرض أفلاذا كبادها مثل الأسطوان». ٩٨- ٩٥

أبيات للخنساء في مدح أخيها ، ثم استطراد لذكر أبيات تشبهها ١٠٤- ٩٨

المجلس الثامن

تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف: ١٨] ١٠٧-١٠٥

خبر قيس بن عاصم حين وفد على الرسول عليه السلام وشرح ماورد في ذلك من الغريب ١١٢-١٠٧

بعض أخبار قيس بن عاصم ١١٤-١١٢

قصيدة للمؤلف أجاز بها بيت أبي دهبيل: ١١٧-١١٦

وأبرزتها من بطن مكة عندما أصات المنادى بالصلاة فأعتما ١١٥-١١٢

نسب أبي دهبيل وذكر بعض أشعاره

المجلس التاسع

تأويل قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٢٠] ١٢٣-١٢٠

إيراد طائفة من شعر العرب مما وقع فيه التكرار ١٢٧-١٢٤

- ١٢٨-١٢٧ فصل في أخبار الدهريين والزنادقة المتهتكين ممن كانوا في صدر الإسلام
١٣٠-١٢٨ أخبار الوليد بن يزيد بن عبد الملك
١٣٢-١٣١ أخبار حماد الراوية
١٣٣-١٣٢ أخبار حماد بن الزرقان
١٣٤-١٣٣ أخبار حماد عجرد
١٣٧-١٣٤ أخبار ابن المقفع، وإيراد بعض كلامه
١٣٨-١٣٧ أخبار ابن أبي العوجاء
١٤١-١٣٨ أخبار بشار بن برد

المجلس العاشر

- ١٤٢- أخبار مطيع بن إلياس
١٤٤-١٤١ أخبار يحيى بن زياد الحارثي
١٤٦-١٤٤ أخبار صالح بن عبد القدوس
١٤٧-١٤٦ أخبار علي بن الخليل
١٤٨- الكلام على أن أصول مذهب أهل العدل مأخوذة من كلام علي بن أبي طالب
١٥٢-١٤٨ وقَّع من كلام علي بن أبي طالب والأئمة من أبنائه
١٦٢-١٥٢ أخبار الحسن بن أبي الحسن البصريّ وشيء من كلامه

المجلس الحادي عشر

- ١٦٥-١٦٣ أخبار واصل بن عطاء
١٦٩-١٦٥ مناظرة واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد في القول بالمنزلة بين المنزلتين
١٧٣-١٦٩ أخبار عمرو بن عبيد

المجلس الثاني عشر

- ١٧٦-١٧٣ عمرو بن عبيد وأبو جعفر المنصور
١٧٧-١٧٦ عمرو بن عبيد وهشام بن الحكم
-١٧٧ عمرو بن عبيد وسليمان بن علي
-١٧٧ كلام عمرو بن عبيد على القدر
١٨٣-١٧٨ أخبار أبي الهذيل العلاف وأخباره
١٨٥-١٨٣ خبر طرفة بن العبد والمتلمس الضبعيّ وحديث الصحيفة

المجلس الثالث عشر

- ١٨٧-١٨٦ أخبار بشر بن المعتمد وإيراد بعض أشعاره
١٨٩-١٨٧ أخبار إبراهيم بن إسحاق النظام وبعض أشعاره
١٩٤-١٨٩ اختبار لبيد بهجائه للبقلة وخبره مع الربيع بن زياد عند النعمان
١٩٩-١٩٤ أخبار الجاحظ وتنف من كلامه

المجلس الرابع عشر

- ٢٠١-٢٠٠ تأويل قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ ... ﴾ [البقرة: ١٧٧]
٢٠٨-٢٠٧ خبر قيس بن زهير العبسي مع النمر بن قاسط
٢١١-٢٠٨ خير يوم داحس والغبراء وتفسير ما ورد في ذلك من الأمثال
٢١٤-٢١١ مقتل زهير بن جديمة العبسيّ
٢١٤ خبر يوم الهباءة

المجلس الخامس عشر

- تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ...﴾ [البقرة: ١٧١] ٢١٩-٢١٥
خبر النبي عليه السلام حين دعى إلى مأدبة ومعه الحسين وهو صبي ، وتأويل
٢٢٠-٢١٩ ماورد من الغريب في ذلك
٢٢٢-٢٢٠ من كلام ابنة الحُسّ وتأويل ماورد في ذلك من الغريب
٢٢٢ تأويل قول العرب: «جاءنا بطعام لا يُنادى وليدُه» .
٢٢٢-٢٢٧ أخبار معن بن زائدة

المجلس السادس عشر

- تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ
حَقٍّ﴾ [آل عمران: ٢١].
٢٢٨-٢٣١ باب في ذكر المعمرين وأشعارهم ومستحسن كلامهم
٣٣٢ أخبار الحارث بن كعب المذحجيّ ووصيته حين الموت وشرح ماورد في ذلك
٢٣٢-٢٣٤ أخبار عمرو بن ربيعة المستوغر وإيراد بعض أشعاره
٢٣٤-٢٣٦ أخبار دريد بن زيد بن نهد وشرح ما أورده من كلامه
٢٣٦-٢٣٨ أخبار زهير بن جناب وإيراد بعض أشعاره
٢٣٨-٢٤٣

المجلس السابع عشر

- ٢٤٤-٢٤٩ أخبار ذى الإصبع العدواني وحديثه مع بناته الأربع
٢٤٩-٢٥١ خبر عبد الملك بن مروان مع سعيد بن خالد الجدليّ
٢٥١-٢٥٣ إيراد شعر لذي الإصبع وشرح ماورد في ذلك من الغريب
٢٥٣ ذكر معدى كرب الحميريّ وبعض شعره
٢٥٣-٢٥٦ أخبار الربيع بن ضبع الفزاريّ

المجلس الثامن عشر

- ٢٦٠-٢٥٧ أخبار أبي الطمجان القينى وإيراد طائفة من شعره
٢٦٣-٢٦٠ أخبار عبد المسيح بن بقيلة الغسانى
٢٦٩-٢٦٣ أخبار النابغة الجمدى وإيراد طائفة من أشعاره

المجلس التاسع عشر

- ٣٧٢-٣٧٠ مسألة تتضمن الرد على منكرى تطاول الأعمار وامتدادها
٢٧٩-٢٧٣ باب فى الجوابات الحاضرة المستحسنة
٢٨٢-٢٧٩ قصيدة لأبى نواس وشرح ما ورد فيها من الغريب

المجلس العشرون

- ٢٨٧-٢٨٣ عود إلى ذكر الجوابات المستحسنة
٢٨٨-٢٨٧ خبر قتيبة بن مسلم مع الحصين بن المنذر الرقاشى
٢٦٤-٢٩٢ بعض ما يروى من أجوبة أبى الأسود الدؤلى الحاضرة

المجلس الحادى والعشرون

- ٢٩٥ خبر سليمان بن عبد الملك مع يزيد بن أبى مسلم
٢٩٥ خبر صفوان بن الأهمم مع رجل من بنى عبد الدار
٢٩٦ مادار بين الفرزدق والحطيئة عند سعيد بن العاص
٣٠٣-٢٩٩ من أجوبة أبى العيناء المسكتة
٣٠٦-٣٠٥ موازنة بين شعر لإبراهيم بن العباس الصولى وأوس بن حجر
٣٠٧-٦٠٦ أبيات للمتنخل الهذلى وشرح ما ورد فيها من الغريب

المجلس الثاني والعشرون

تأويل قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ

٣١٧-٣٠٨

بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦]

تأويل الحديث: «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن...»

٣٢٣-٣١٨

المجلس الثالث والعشرون

تأويل قوله تعالى: ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]

٣٢٧-٣٢٤

المجلس الرابع والعشرون

تأويل قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾

٣٣٦-٣٢٨

[الأحزاب: ١٠]

المجلس الخامس والعشرون

تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النبا: ٩]

٣٤٠-٣٣٧

تأويل الحديث: «إن الميت يمدب في قبره بالنياحة عليه».

٣٤٣-٣٤٠

تأويل الحديث: «مامن أحد يدخله عمله الجنة ويُنجيه من النار...»

٣٤٥-٣٤٤

أبيات لعمر بن أبي ربيعة يقولها في الثريا بنت عبد الله

٣٤٧-٣٤٦

خبر عمر بن أبي ربيعة وابن أبي عتيق والثريا بنت عبد الله

٣٤٨-٣٤٧

المجلس السادس والعشرون

تأويل قوله تعالى: ﴿فَقَشِيهِمْ مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨]

٣٥٠-٣٤٩

تأويل قوله تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِّنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٢٦]

٣٥٣-٣٥١

تأويل الحديث: «إن هذا القرآن مأدبة الله...»

٣٥٨-٣٥٤

ذكر أنواع المآدب وأسمائها وما ورد في ذلك من الشعر

٣٥٨-٣٥٥

أخبار متفرقة عن الأصمعيّ وحضور ذهنه عند إنشاء الشعر

٣٦٢-٣٥٨

المجلس السابع والعشرون

- ٣٦٥-٣٦٣ [التوبة : ٣٠] ﴿ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣٠]
- ٣٦٧-٣٦٥ [إبراهيم : ١٤]
- خبر النبي عليه السلام حين سمع رجلاً ينشد شعراً لسويد بن عامر وتأويل ماورد فيه الغريب
- ٣٧٠-٣٦٨
- أبيات لرفيع الوالبيّ
- ٣٧١-٣٧٠
- أخبار عقيل بن علفة وإيراد طائفة من شعره
- ٣٧٤-٣٧١

المجلس الثامن والعشرون

- ٣٧٦-٣٧٥ [البقرة : ٢١٠] ﴿ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [البقرة : ٢١٠]
- ٣٧٩-٣٧١ [البقرة : ١٨٩] ﴿ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا... ﴾ [البقرة : ١٨٩]
- ٣٨٠-٣٧٩
- أبيات لهلال بن خثعم وشرح ماورد فيها من الغريب
- ٣٨٣-٣٨٠
- إيراد مقطعات مختلفة لحارثة بن بدر الغدانيّ
- ٣٨٨-٣٨٣
- طرف من أخبار حارثة بن بدر وبعض نواتره

المجلس التاسع والعشرون

- ٣٩٢-٣٨٩ [البقرة : ٢٠٢] ﴿ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَوْلَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا... ﴾ [البقرة : ٢٠٢]
- ٣٩٤-٣٩٢ [البقرة : ٢١٢] ﴿ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [البقرة : ٢١٢]
- ٣٩٧-٣٩٥
- تأويل الحديث : « توضئوا مما غيرت النار » .
- ٤٠١-٣٩٧
- بعض أخبار عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وطائفة من شعره

المجلس الثلاثون

تأويل قوله تعالى: ﴿ قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ ﴾

٤٠٥-٤٠٢

[الأعراف: ٨٩]

٤٠٧-٤٠٥

تأويل الحديث: « خير الصدقة ما بقت غني » .

٤١٠-٤٠٧

ذكر أبيات تروى لثابت قطنة وعروة بن أذينة

٤١١-٤١٠

أبيات للسيد المرتضى في معنى أبيات ثابت قطنة وعروة بن أذينة المذكورة

٤١٢-٤١١

خير عروة بن عبيد الله عن عروة بن أذينة وروايته أبياتا له

-٤١٣

عروة بن أذينة وسكينة بنت الحسين

٤١٤-٤١٣

أبيات لعروة بن أذينة في الغزل

موازنة بين مقاله الكميت بن زيد وعروة بن أذينة ونصر بن سيار

٤١٥-٤١٤

في الحسد

المجلس الحادى والثلاثون

تأويل قوله تعالى: ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ... ﴾

٤١٧

[البقرة: ١٠٢]

المجلس الثانى والثلاثون

٤٣١-٤٢٦

تأويل الحديث: لو كان القرآن في إهابٍ مامسته النارُ .

٤٣٣-٤٣١

من شعر الحسين بن مطير الأسدى

٤٣٤-٤٣٣

أبيات للسيد المرتضى في معنى بيت للحسين بن مطير الأسدى

٤٣٧-٤٣٥

عود إلى شعر الحسين بن مطير الأسدى

المجلس الثالث والثلاثون

تأويل قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ... ﴾

٤٤٢-٤٣٩

[آل عمران: ٧]

٤٥١-٤٤٢

إيراد طائفة من محاسن شعر أبي حية النيرى وتفسير ما فيها من الغريب

المجلس الرابع والثلاثون

- ٤٥٤-٤٥٢ تأويل قوله تعالى : ﴿ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ... ﴾ [يوسف : ٩٢]
- ٤٥٧-٤٥٤ تأويل ماورد في حديث نهى النبي عليه السلام عن كسب الزمارة
- ٤٥٩-٤٥٧ أبيات للمضرّب بن كعب بن زهير
- ٤٦٠-٤٥٩ موازنة بين قول الرشيد: «قلب العاشق عليه مع معشوقة»، وقول طائفة من الشعراء ٤٦٠-٤٦١
- ٤٦١-٤٦٠ أحسن ما قيل من الشعر في صفة امرأة عجزاء خميسة ، عن الأصمعيّ
- ٤٦٢-٤٦١ خبر جعفر بن سليمان وحزنه على موت أخيه محمد ، واسترواحه لشعر ابن أراكّة الثقفى
- ٤٦٢-٤٦١ تالطف الأصمعيّ بإنشاده شعر ابن هرمة عند إسماعيل بن جعفر، وقضاء حاجته عنده بسبب ذلك
- ٤٦٣ أبيات لبشر بن خازم في الاعتذار، رواها الأصمعيّ للرشيد

المجلس الخامس والثلاثون

- ٤٧١-٤٦٥ تأويل قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ... ﴾ [الأنبياء : ٢٧]
- ٤٧٦-٤٧١ طائفة من شعر مسكين الدارميّ وذكر بعض أخباره

المجلس السادس والثلاثون

- ٤٨٢-٤٧٧ تأويل قوله تعالى ﴿ وَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ... ﴾ [يوسف : ٢٤]
- ٤٨٨-٤٨٢ أخبار متفرقة لإبراهيم بن العباس الصوليّ وذكر طائفة من شعره

المجلس السابع والثلاثون

- ٤٩٢-٤٨٩ تأويل قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ... ﴾ [يوسف : ٣٣]
- ٤٩٤-٤٩٢ تأويل الحديث : «من يتبع المشمعة يشمّع الله به»
- ٤٩٩-٤٩٤ خبر الأصمعيّ مع عجزوز في سوق ضريبة حينما أنشدتها شعر بشر بن عبد الرحمن الأنصارى وأنشدته شعر ابن الدمينّة، وتفسير ما ورد في ذلك من الغريب

- ٤٩٩ خبر الأصمعيّ مع شاب بدوي فصيح من بني عامر واستنشاده الشعر
٥٠٠-٤٩٩ خبر الأصمعيّ مع إسماعيل بن عمار الأعرابيّ
٥٠٠ خبر الأصمعيّ حين سافر إلى البصرة؛ وسماعه لشعر استحسنته ورواه
٥١ خبر الأصمعيّ مع أحد الطفيليين وما ورد في ذلك من الشعر

المجلس الثامن والثلاثون

- ٥٠٦-٥٠٢ تأويل قوله تعالى: ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ ... ﴾ [هود: ٤٥، ٤٦]
٥٠٧-٥٠٦ من أفا كيه الأصمعيّ
٥٠٨-٥٠٧ تأويل الأصمعيّ لبیت من شعر امرئ القيس
٥٠٩-٥٠٨ نقد الأصمعيّ لرواية ابن الأعرابيّ أبياتاً رواها وكده سميد بن سلم
٥٠٩ حديث الأصمعيّ عن بشار بن برد
٥١٠-٥٠٩ نقد بشار لشعر سمعه
٥١٠ أبيات لبشار يمدح فيها سليمان بن هشام بن عبد الملك
أبيات مختلفة في وصف الثغر واللون والعيون والنجيب والظلم والاعتذار، رواها
٥١٢-٥١١ الأصمعيّ

المجلس التاسع والثلاثون

- ٥١٥-٥١٤ تأويل قوله تعالى: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ... ﴾ [التوبة: ٥٥]
رأى الشريف المرتضى في شعر مروان بن أبي حفصة ومختارات من محاسن شعره
٥٢٥-٥١٨ وموازنة بين قوله وقول غيره من الشعراء

المجلس الأربعون

- ٥٣٠-٥٢٦ تأويل قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ... ﴾ [الأنفال: ٢٤]

خبر حصن بن حذيفة مع أولاده حين طعنه كرز بن عامر ، وما روى له في ذلك

٥٣٢-٥٣٠

من شعر

عود إلى المختار من شعر مروان بن أبي حفصة ، وموازنة شعره بشعر غيره من

٥٣٦-٥٣٢

الشعراء

٥٣٧-٥٣٦

أبيات أبي تمام في وصف القلم

المجلس الحادي والأربعون

٥٤٠-٥٣٨

تأويل قوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ [التكوير: ٢٦-٢٩]

عود إلى المختار من شعر مروان بن أبي حفصة ، وموازنة شعره بشعر غيره من الشعراء ٥٤٩-٥٤٠

المجلس الثاني والأربعون

٥٥٢-٥٥٠

تأويل قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ... ﴾ [هود: ٢٠]

عود إلى المختار من شعر مروان بن أبي حفصة وموازنته بشعر غيره من الشعراء ٥٦٤-٥٥٣

المجلس الثالث والأربعون

٥٦٦-٥٦٥

تأويل قوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ ... ﴾ [س: ٧٥]

عود إلى المختار من شعر مروان بن أبي حفصة وموازنته بشعر غيره

٥٧٥-٥٦٦

من الشعراء

المجلس الرابع والأربعون

٥٧٧-٥٧٦

تأويل قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ ... ﴾ [الإسراء: ٤٧]

عود إلى المختار من شعر مروان بن أبي حفصة وموازنته بشعر

٥٨٩-٥٧٨

غيره من الشعراء

المجلس الخامس والأربعون

- ٥٩٣-٥٩٠ تأويل قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص: ٧٨]
وقوله : ﴿ إِنَّمَا نُنْطَمِعُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ ﴾ [الإنسان: ٩]
وقوله : ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧]
٥٩٥-٥٩٣ قصة سفرة للمكتفي بالله في حراقة ؛ مع جماعة من الأدباء ؛
واستمشاده شعر البحترى
٥٩٦-٥٩٥ أبيات لابن الرومي وموازنتها بشعر غيره من الشعراء
٦٠٢-٥٩٨ طائفة من أقوال الشعراء في مدح الشيب وتفضيله

المجلس السادس والأربعون

- ٦٠٥-٦٠٣ تأويل قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ... ﴾ [البقرة: ١٨٦]
٦١٤-٦٠٥ طائفة من أقوال الشعراء في ذم الشيب والتألم به والجزع منه

المجلس السابع والأربعون

- ٦١٨-٦١٥ تأويل قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ... ﴾ [النحل: ١٠]
٦٢٧-٦١٨ طائفة من أشعار البحترى في ذم الشيب والتألم من
فقد الشباب

المجلس الثامن والأربعون

- ٦٣٠-٦٢٨ تأويل قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ... ﴾
[آل عمران: ٢٨]
٦٣٥-٦٣٠ تأويل حديث : « لاتناجشوا ولا تدابروا ... »
٦٣٥-٦٣٢ ذكر ماورد في اللغة من معاني « العِرض »
٦٣٩-٦٣٥ طائفة من أشعار قطري بن الفجاءة
٦٣٩ أبيات لرجل خارجي من طيء

مكتبة الدرر والدرر الوصية

تصويبات

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤	١٩	ووينه	وبينه
٥	٧	البيت	الحديث
٢١	٣	يكتب البيت هكذا :	
		استأثر الله	بالوفاء وبإلا
		ولا يخون إلى	ولا يخون إلا
٣٧	٥		
٥٢	١٦	إياه	إياه
٥٣	٦	الجازعين	الجازعين
٥٩	٢	عجاجة	عجاجة
٨٥	٢٢	صواب ما نقل عن حاشيتي الأصل ، ف :	« مايسير الإنسان ثم يبيت »
٩٧	١	يكتب بيت الخنساء هكذا :	
		أبعد ابن عمرٍ و من آل الشريد	د حلت به الأرض أنقأها
١٠٦	٢٠	كذب	كذب، بالبدال المهملة
١١٠	١٧	اللهم	اللهم
١١١	١٥	كأن	كأنه
١١٦	١	أعجبا	أعجبا
١١٦	٢	للوداع	للوداع
١١٦	١٤	الزمار	الذمار
١٣٩	٧	القوم	القول
١٤٢	—	يحذف هذا العنوان : « تأويل آية »	

صواب	خطا	سطر	صفحة
وأنه	وإنه	٢	١٨٧
وأنى	إنى	١٣	١٩٢
جاور	جاوز	١٢	٢٠٧
أنى	إنى	٥	٢٠٨
معن	معن	١٥	٢٢٦
والآلى	والآلى	٥	١٥٦
المضرب ، بالفتح	المضرب	١٤	٢٥٧
ولحارثة	ولحارث	٩	٣٨٧
حُسن	حُسناً	١٣	٣٨٩
يكتب الشطر الأول هكذا :		١٢	٤٠٠

* لو شقَّ عن قلبي قُرى وسطه *

لا تُكذِّبَنَّ	لا تُكذِّبَنَّ	٣	٤٣٤
أفزارة	أفزارة	٦	٤٣٦
ورَبِّقْ	وَرَبِّقْ	٦	٤٤٥
ورَبِّقْهُ	وَرَبِّقْهُ	٧	٤٤٥
يجلب	يجلب	٦	٤٦٤
الرَّحْلُ	الرَّجْلُ	٢٠	٤٧١
الجِدَّة	الجِدَّة	١	٥٤٤
لا يُؤْمِنُونَ	لا يُؤْمِنُونَ	٥	٥٧٨
بادت	باءت	٥	٥٨٣